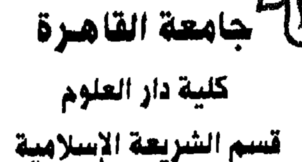


جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم الشريعة الإسلامية

الشَّنْقيطىُّ ومنهجُه فى التفسير

فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن

رسالة ماجستير

أعدها

أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمى

المعيد بالقسم

إشراف

الأستاذ الدكتور

احمد يوسف سليمان

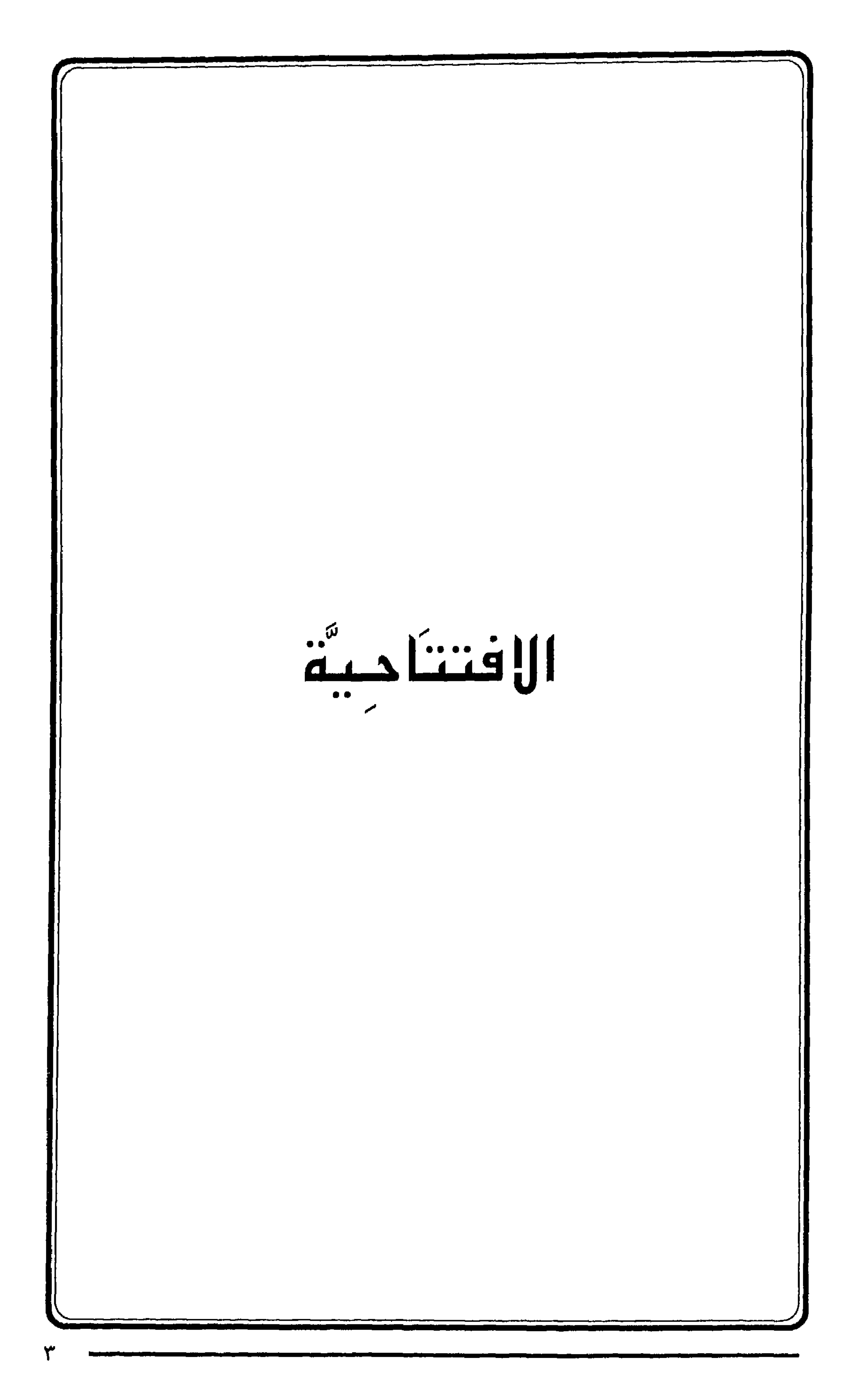
أستاذ الشريعة بالقسم

الجزء الأول

القاهرة

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



الافتتاحيَّة

أساتذتي العلماء الأجلاء

أهلي وضيوفي الأعزاء الفضلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بحمد الله وحوله وقوته نستفتح ، وبالصلاة والسلام على رسوله نستدفع ونستشفع ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الآية[١] ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الآية[٢] ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ الآيات[٣] .

أما بعد : فيقول ربُّ العزة والجلال فى محكم التنزيل : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية[٤] ويقول تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الآية[٥] ويقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[٦] .

كما يقول رسول الله ﷺ فى الحديث النبوى : «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» أى السُّنَّة المطهرَّة – الحديث[٧] ويقول ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتابَ الله ، وسُنَّةَ نبيه » الحديث[٨] .

---

(١) الممتحنة : ٤ . (٢) الأعراف : ٨٩ . (٣) طه : ٢٥ – ٢٨ (أربع آيات) .
(٤) النحل : ٤٤ . (٥) الأنعام : ٣٨ . (٦) الحجْر : ٩ .
(٧) أخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) السُّنَّة (باب) فى لزوم السُّنَّة – (طبع بيروت) – كما أخرجه أحمد فى مسنده (مسند الشاميين) – حديث رقم (١٦٧٢٢) – (طبع بيروت) .
(٨) أخرجه مالك ضمن بلاغاته من رواية عمرو بن عوف – انظر الموطأ (كتاب) الجامع (باب) النهى عن القول بالقَدَر – (طبع بيروت) – كما أخرجه ابن عبد البر من رواية أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «إنى قد خلفت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما أبداً : كتاب الله وسنتى» – ثم أورد رواية مالك المذكورة معقباً عليها بقوله : وهذا الحديث محفوظ مشهور عن رسول الله ﷺ شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد – انظر (التمهيد) : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ – ٢٤/ ٣٣١ – تحقيق : (مصطفى بن أحمد العلوى) مع (محمد عبد الكبير البكرى) – وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية – الرباط – المملكة المغربية – ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

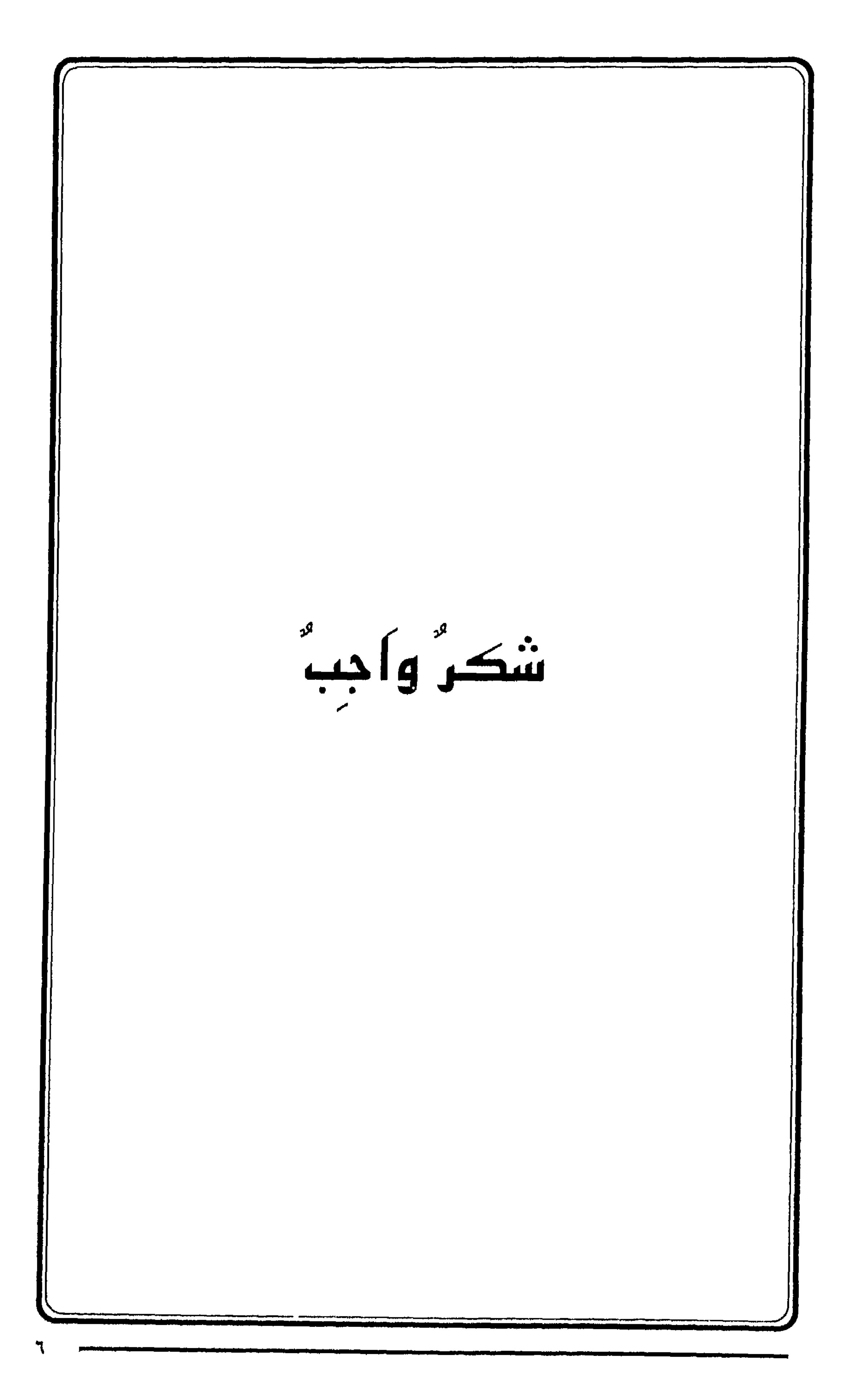
وأخرجه مسلم ضمن حديث طويل عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله » – انظر صحيح مسلم (كتاب) الحج (باب) حجة النبىّ ﷺ – (طبع بيروت) .

... ...

= وأجتزأ الترمذى حديث جابر المذكور بما ينـاسب موضوع الباب قائلاً : عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : «يا أيها الناس إنى قد تركت فـيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كـتاب الله ، وعتـرَتى أهل بيتى» قال التـرمذى : هذا حديث حـسن غريب من هذا الوجه - انظر سنن التـرمذى (كتـاب) المناقب (باب) مناقب أهل بيت النبىّ ﷺ - (طبع بيروت) .

وفى رواية أخـرى عن أبى سعـيد الخدرى وزيـد بن أرقم رضي الله عنهما قالا : قـال رسول الله ﷺ : «إنى تارك فيكـم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعـدى ، أحدهما أعظم من الآخـر : كتـاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعـترتى أهل بيتى ، ولن يتفرّقا حـتى يَرِدَا علىَّ الحوضَ ؛ فانظروا كيف تخلفونى فيهما» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب - انظر سُنَن الترمذى (كتاب) المناقب (باب) مناقب أهل بيت النبى ﷺ - (طبع بيـروت) - وقد أخـرج أحمد نفس الحـديث من رواية أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه - انظر مسند أحمد (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (١١١٦٧) - (طبع بيروت) .

كما أخرج السيـوطىّ ما رواه ابن أبى شيبة فى (مُسْنَده ومُصَنَّفـه) وما رواه ابن جرير الطبرىّ فى (تفسيـره) عن أبى سعيد الخـدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كتاب الله هـو حبل الله الممدود مـن السماء إلى الأرض» - انظر (جامع الأحـاديث) : السيوطىّ - ٥/٥٦ - حديث رقم (١٥٦٣٩) - جمع وترتيب ومراجعـة مجموعة من العلماء بإشراف : د. حسن عباس زكى - تقديم : د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر - الطبعة ١ - مطبعة خطّاب - القاهرة - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .



شكرٌ واجِبٌ

وطلباً لمزيد فضل الله تعالى الذى وعد به عباده الشاكرين من حيث قوله : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية[1] وتخلقاً بأدب رسولنا الكريم ﷺ من حيث قوله : «مَنْ لا يشكر الناس لا يشكر الله » الحديث[2] .

فإننى أرى لزاماً علىّ أن أزجى جزيل شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الجليل ، والداعية الإسلامى الكبير ، أستاذى الدكتور عبد الله شحاته على ما أولانى به من الرعاية والعناية والتوجيه منذ أن كان هذا البحث فى مراحله الأولى بالأمس البعيد ، وها هو فضيلته يشرفنى اليوم بقَبُول مناقشتى رغم ضيق وقته ، وكثرة مشاغله ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، لأستاذى الدكتور إبراهيم عبد الرحيم لتفضله بقَبُول مناقشتى، مشيداً بما عهدته فيه من قربه ووده ، وطيب نفسه ، وكريم طبعه ، فضلاً عن دماثة خلقه ، ورحابة صدره ؛ فجزاه الله تعالى عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص شكرى ، وعظيم تقديرى ، للعالم الكبير ، أستاذى الدكتور محمد بلتاجى ، وكذا أستاذى الدكتور محمد نبيل غنايم ، وأستاذى الدكتور محمد إبراهيم شريف، وأستاذى الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، ثم المرحوم أستاذى الدكتور إسماعيل سالم ، على ما قدموه لى من العون ، وذللوه لى من الصعاب ، أثناء مراحل البحث المختلفة ؛ فجزاهم الله تعالى عنى خير الجزاء .

أما الشكر كُلُّ الشكر ، والتقدير جُلُّ التقدير ، فلأستاذى الجليل ، وصاحب الفضل الكبير ، أستاذى الدكتور أحمد يوسف سليمان ، الذى رعانى ووجهنى ، ثم أكرمنى وشرّفنى ، بقبوله الإشراف علىّ ، وقد علم الله تعالى أنى كنت أطرق بابه ليلاً ونهاراً ؛ فلا أجد منه إلاّ خيراً وترحاباً ، فضلاً عن احتفائه بى ، وكرمه لى ، مع حسن قوله ، وجميل فعله ، وهذا ما يؤكد تواضعه الجَمّ ، وخلقه الكريم ،الذى يعرفه عنه ، ويلمسه فيه ، كل مَنْ تقرّب منه ، أو تعامل معه .

ولو ذهبت لأُعَدِّدَ مكرماته ، وأُعَرِّفَ بصفاته ؛ فلن أوفيه حقه ، ولن أقدره قدره ،

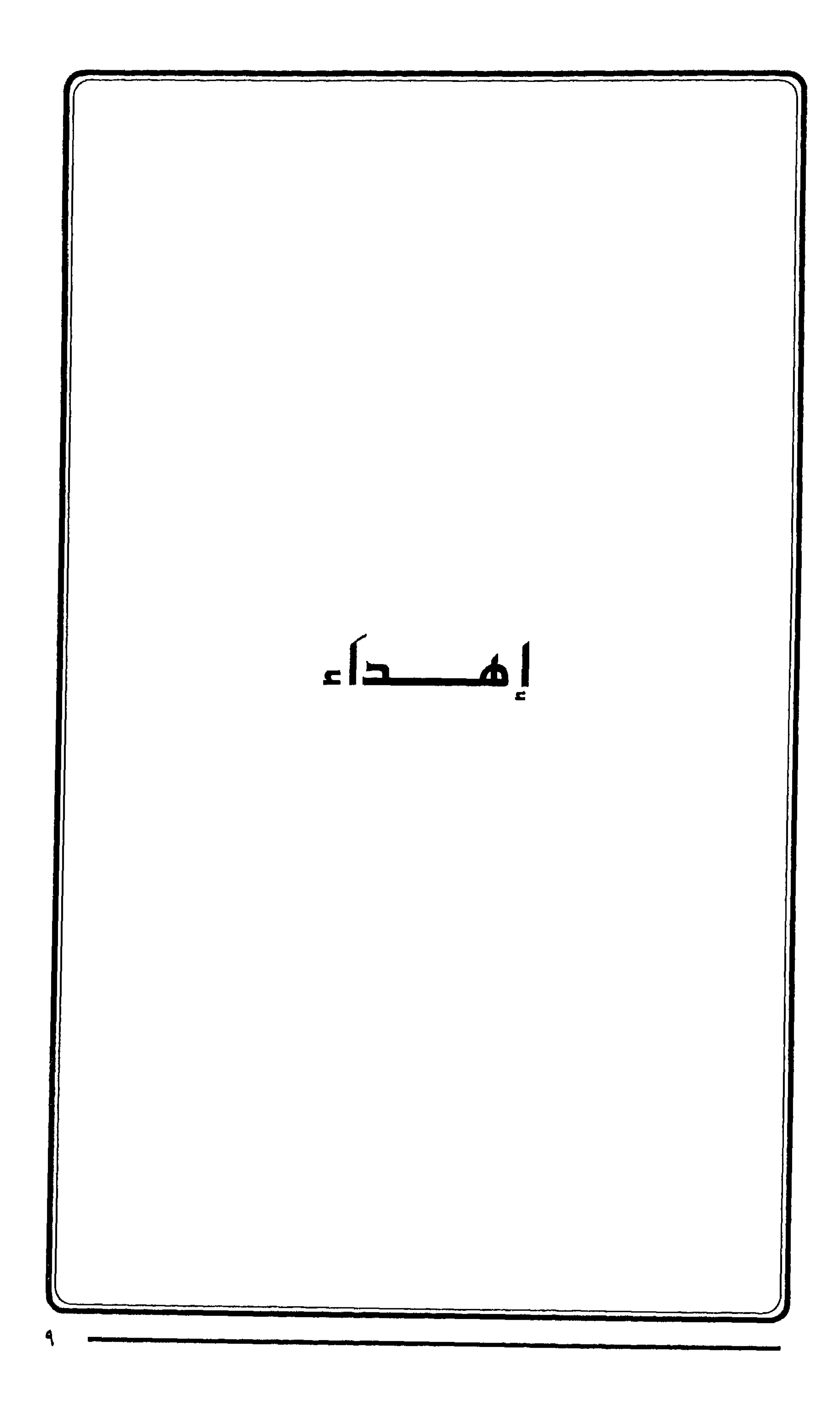
---

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سُننه من حديث أبى هريرة ﷺ (كتاب) البر والصلة (باب) ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك - (طبع بيروت) - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - كما أخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) الأدب (باب) فى شكر المعروف - (طبع بيروت) - وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٧٨٧٩) - (طبع بيروت) .

ولكن يكفينى والحال هذه أن أدعو الله تعالى أن يطيل فى عمره ، وأن يحسن فى عمله ، وأن يجزيه عنى وعن طلاب العلم خير ما جزى به أستاذاً عن طلابه ، وعالماً عن دينه .

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى ، وعظيم امتنانى وعرفانى ، لوالدىّ الكريمين ، ولجميع أهلى وإخوانى ، وسائر أساتذتى وزملائى وطلابى ، كما أخص بالشكر والتقدير كل مَنْ قدّم لى عوناً ، أو أَسْدَى لى نصحاً ، سائلاً الله تعالى أن يجزى عنى الجميع خير الجزاء ، وأن يجعله فى ميزان حسناتهم يوم اللقاء .



إهـــداء

إلى أساتذتى من العلماء الأجلاء ، وأصحاب الفضل علىّ من الكرماء النبلاء ، الذين أضاءوا لى الطريق ، وكانوا لى على درب العلم خير معين وصديق .

إلى طلاب العلم المخلصين ، وباحثيه المثابرين الراضيين ، الذين عرفوا قدره ومقداره العظيم ؛ فوصلوا نهارهم بليلهم ، ويقظتهم بمنامهم ، باذلين فى سبيله النفس والنفيس ، والغالى والرخيص ؛ حتى كانوا به وله .

إلى شهداء الحق فى كل بقعة على ظهر هذه البسيطة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، الذين لتلبية نداء ربهم سبقونا ، وإلى اللحاق بهم أرادونا ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

إلى والدىّ الكريميْن ، ثم إلى رفقاء دربى ، وشركاء عمرى ، أعنى زوجتى وأولادى ، الصابرين الأحباء ، المضحين الأوفياء .

إليهم جميعاً :

أهدى هذا العمل المتواضع عرفاناً وتقديراً ، وإجلالاً وتعظيماً ، وما هو إلا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، عساه يَرُدُّ إليهم ، بعض ما لهم ، وعسانا وإياهم لرضا ربنا نحوز ، وبجنته نفوز ، إنه على ما يشاء قدير ، وبإجابة الدعاء جدير .

المُقَدِّمَة

المحمود هو الله جلّ جلاله ، والمُصلّى عليه هو محمد وآله ، إنّ ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى ، و ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الآية[1] ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الآية[2] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ الآية[3] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الآية[4] .

وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ الإنسان علَّمه البيان[5] وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، وصفيّه من خلقه وحبيبه ، آخرُ مَنْ تلقى هَدْيَ السماء إلى الأرض ، ولسانُ الصدق الذى بلّغ عن الحق مراده إلى الخلق ؛ فكان تاج النبيين وإمامهم ، وسيدالمرسلين وخاتمهم ، أُرْسِلُوا إلى أقوامهم خاصة ، وأرسله ربه إلى الناس عامة ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ الآية[6] .

أيده ربه بالمعجزة الكبرى ، وأسبغ عليه النعمة العظمى ، فأوحى إليه قرآنه العظيم ، وأودع قلبه ذكره الحكيم ؛ فكان أول شارح ومفسِّر ، وأعظم مبيِّن ومعلّم ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية[7] وقال رسوله ﷺ : «ألا إنى أوتيتُ القرآن ومثلَه معه» الحديث[8] أى سُنَّته المطهَّرة ، مفسِّرة القرآن وشارحتهُ ، ومبيِّنةُ مراده وموضِّحتُه .

لم تلبث الجِنَّة أن انتهت إلى هذا القرآن حتى آمنت به وصدَّقته ، واهتدت بِهَدْيِه واتبعته ، قال تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الآيتان[9] .

كما لم يلبث أئمة الكفر أن استمعوه حتى اعترفوا به رغم إنكارهم ، وحكموا بصدقه رغم تكذيبهم ؛ فأقروا وهم لا يقصدون ، وشهدوا وهم لا يشعرون ، وها هو الوليد بن المغيرة يصف هذا القرآن العظيم قائلاً : (إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر

(١) الأنعام : ١٣٤ .
(٢) البقرة : ٣٢ .
(٣) يوسف : ٧٦ .
(٤) الإسراء : ٨٥ .
(٥) هذا اقتباس من قوله الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن :١ - ٤ (أربع آيات) .
(٦) سبأ : ٢٨ .
(٧) النحل : ٤٤ .
(٨) سبق تخريج الحديث ص ٥ من هذا البحث .
(٩) الجن : ١ - ٢ (آيتان) .

أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته)[1] .

ومن ثم ؛ فقـد تحدّى به الحقُّ جمـيعَ الخَلْق ، إنسهم وجنهم ، كبـيرهم وصغـيرهم ، شاعرهم وفصيحهم ، قال تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الآية[2] بل وأقل من ذلك حـينما يتحداهم بقـوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية[3] وأخيـراً ومبالغـة أيضاً بما هو أقل من ذلك حينما يتحداهم بقوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية[4] .

وهـو الأمر الذي تحـقق به عجزهم وافتـقارهم ، وتحدَّد معـه مآلهم ومصيـرهم ، قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الآية[5] وذلك فـضلاً عن ظهـور عـداوتهم وأحقـادهم، ووضـوح جحـودهم

---

(١) عن ابن عبـاس ﷺ أن الوليد بن المغيرة قَـبَّحَه الله قد جـاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليـه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جـهل لعنه الله فأتاه ، فقـال : يا عم إن قومك يرون أن يجمـعوا لك مالاً ، قال : لِمَ ؟ قال : لِيُعْطُوكَهُ ؛ فإنك أتيت محـمداً لتعرض لما قِبَلَه ، قال : قد عَلِمَتْ قريش أنى من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، أو أنك كاره له ، قال : وماذا أقول ؟! فوالله ما فـيكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برَجَزٍ ولا بقصـيدة منى ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشـبه الذى يقـول شيـئاً من هذا ، وَوَالله إنّ لقـوله الذى يقول حـلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليـعلو وما يُعْلَى ، وإنه ليحطم ما تحته ! قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقـول فيه ، قال : فدعنى حتى أفكر ؛ فلما فـكر قال : هذا سحر يؤثر ، يأثره من غيره ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ المدثر : ١١ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرّجاه - انظر المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبد المعروف بالحـاكم النيسابورى - ٢/ ٥٥٠ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .

وقد أورد هذا الخبر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ - ٩٢٣م) فى تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) : ١٢٧/٢٩ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

كمـا أورده أيضاً أبـو عـبد الله القـرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) فى تفـسيره (الجـامع لأحكام القرآن) : ١٩/ ٧٤ أحمـد عبد العليم البردونى - الطبعـة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢م .

(٢) الإسراء : ٨٨ .

(٣) هود : ١٣ .

(٤) البقرة : ٢٣ .

(٥) البقرة : ٢٤ .

واستكبارهم ، وهو ما أثبته الله لهم ، وسجّله عليهم ، من حيث قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الآية[1] .

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ، يقوّم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، كما ينطق بذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[2] لذا فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة، تماماً تمامهما، لم يدع من شئونهما صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنه ودلّ عليه ، قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[3] وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[4] وكما يصفه رسول الله ﷺ : بذلك فى وصفه الجامع المانع قائلاً : «كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ مَنْ قبلكم ، وخبر مَنْ بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه من جبّار قيمه الله ، ومَنْ ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» الحديث[5] .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لابد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يَردَ عليه أيُّ شتات ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان[6] بل إن الحق سبحانه قد تكفل بحفظه إلى أن يرث الأرض ومَنْ عليها كما يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[7] .

ومن هنا كانت الأمة مأمورة بالتزامه ، ومطالبة بتطبيقه ؛ حتى تعصم من الزَّلل ، ولا تتفرّق بها السُّبل ، وهو ما يوصيها به ربها فى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية[8] كما يحذرها من الإعراض عنه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ الآيات[9] .

---

(١) الأنعام : ٣٣ . (٢) الإسراء : ٩ .

(٣) الأنعام : ٣٨ . (٤) النحل : ٨٩ .

(٥) وسيأتى هذا الحديث بتمامه مع شرحه وتخريجه ص من هذا البحث .

(٦) فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) . (٧) الحِجر : ٩ . (٨) الأنعام : ١٥٣ .

(٩) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

غير أنه لن يتأتى للأمة هذا دون معرفتها بأوامـره ونواهيه ، وعلمها بتعاليمه وتكاليفه ، وذلك من خلال شرحه وتفسـيره ، على مستوى مفرداته وتراكيبه ؛ لذا كـانت حاجتها إلى التفســير حاجةً ماسّـةً متجددةً بتـجدد الحياة ذاتها ، وإزاء هذا فـقد انبرى كثيـر من العلماء الأعلام ، وقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم .

وذلك على امتداد مسيرة التفسير التى تتوزع بين حقبتين أساسيتين ، تبدأ أولاهما بنزول الوحى وتنتهى بـنهاية الاستـشهاد بأقوال الـتابعين فى أواخر القـرن الثانى الهجـرى (الثامن الميلادى) وتشـمل تفسـير النبى ﷺ ثـم تفـسير الصـحابة والتابعين رضـوان الله عليهم أجمعين .

فى حين تبدأ ثانيـتهما بعـصر تابعى التابعين فى أوائـل القرن الثالث الهجـرى (التاسع الميلادى) وتسـتمر حتى عـصرنا الحاضر ، بل وسـتظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليهـا ، وقد أفرزت هذه الحـقبة مخـتلف أنواع التفاسـير التى صَنَّفَهـا أصحابهـا فى شتى الأعصار والأمصار وفقاً لتمكنهم واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نحصـرها فى عشرة أنواع توزعت بين تفـاسير كل من : (المحـدِّثين - القرّاء - الفقـهاء - المتكلمين - الفِرَق - المؤرخين - اللغويين - العِلْمِيين - الاجتماعيين - المثقفين) .

وعلى الرغم من تنوع هذه التفسير وكثرتها ، واخـتلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلا أن التفسـير على امتداد مـسيرته ، واختلاف مـراحله ، قد ظل مفتقـراً حتى يومنا هذا إلى صياغة (نظريَّة عامَّة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيرىّ) لهذا المفسِّر أو ذاك ؛ بما يرسم حدوده ، ويوضح معالمه .

ولأن (تحديد المنهج يحقق الهـدف من التفسير) والذى يتمثل فى (إحـداث عمليّة الفهم الشامل للنص القرآنى على مـستويْيه الإفرادىّ والتركيبىّ) وبما يـتأدّى عنه النجاة فى الدنيا ، والفوز برضـا الله تعالى فى الآخـرَة ، وهو الهدف الأسـمى ، والغاية العظمى ؛ لذا فـقد استهدف هذا البحث التعريف بواحد من أعلام المـفسرين فى العصر الحديث ، وبيان منهجه فـى التفسـير ؛ ومن ثم فقد جـاء موسوماً بعنوان : (الشنقـيطى ومنهجه فى التفـسير ، فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) .

وفيمايلى أوجز التعريف بهذا الموضوع، مع ذكر أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختياره ، ثـم بعض الصعـوبات التى واجهتنى ، وأخـيراً منهج البحث وخطتـه ، وذلك على النحو التالى :

أولاً : التعريف بالموضوع :

ويشمل التعريف بالشنقيطيّ ، ثم التعريف بمنهجه التفسيريّ :

١- التعريف بالشنقطيّ:

وهو محمد الأمين بن محمد المختار الجكنيّ الشنقيطيّ ، ولد بمسقط رأسه (شنقيط) أو ما يعرف الآن بـ (جمـهوريّة موريتانيا الإسلاميَّة) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز فى أول خروج له من بلاده لاداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنـذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغـه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قدَّر له المقـام بمدينة رسول الله ﷺ حيث اشتـغل هناك بالتدريس فى كل من الحرم النبوىّ الشريف ، ثم بالجامعة الإسلاميـة منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) كما تنقل بين كل من الرياض العاصمة مـدرساً بكلياتها ومعاهدها العلميـة المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حـيث كان عضواً مـؤسساً برابطة العـالم الإسلامىّ ، وداعيـة بارزاً فى مؤتمر الحج السنوىّ .

وذلك فـضلاً عن رحلتـه للدعوة فى عـشرة من الأقطار الإفـريقيـة التى انتهت بـبلاده موريتانيا ، حيث كان على رأس البعثة الصيفـيّة التى تنظمها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى إطار برنامجها السـنوى الذى تُكَلَّفُ به كبار العلماء للدعوة تباعـاً فى شتى أنحاء العالم انطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[1] .

وبعـد عمر حافل بالعطاء العلمىّ قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببـلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجـاز ، حَطَّ الشنقيطى عصا التـرحال ليلقى ربه سبحانه عـقب أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليـدفن بمقبرة (المَعْلاة) بمنطقة (رَبْع الحُجُون) التى تضم بـين جنباتهـا مثوى أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها ببلد الله الحرام بمكة المكرمة التى بدأ مقامه فى أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

٢- التعريف بمنهجه التفسيرىّ:

يقـوم بناء منـهج الشنقيطى فى التـفسير على ثلاث ركائز أساسـية ، تمثـل كـل منـها سمـة بـارزة ، وترسـم مَـعْلَماً واضـحاً ، مـن سمات هــذا المنهج ومعـالمه ، والتـى تمثلـت فى كل من :

(١) آل عمران : ١٠٤ .

- **الجمع بين المأثور والمعقول :**

حيث يبدأ الشنقيطى إزاء ما يعرض له من الآيات بالتفسير بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذى يشمل تفسير النبى ﷺ وكذا تفسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يثنى بعد ذلك بجمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المعقول ، والذى يشمل رأى كل مَنْ سبقه من عامة المفسِّرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

- **التأصيل للعلوم العربيّة والإسلاميّة :**

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فينعم فيه النظر ، ويجيل فيه الفكر ؛ ليؤصله فى النهاية من خلال إدراجه تحت موضوعات أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

- **التحليل السائر ما يَعْرِض له :**

وبعد الجمع والتأصيل يعمد الشنقيطى إلى تحليل ما جمعه وأصّلَه من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من : المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذى يشمل نقد الشنقيطى كلاً من : (الإسرائيليات - المفسِّرين - المحدِّثين - الأصوليين - الفقهاء - الفِرَق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذى يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خفاءَه ، ويزيل إشكاله ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرته الذاتية ، ويُنْتِجُ على هَدْيه رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفقَ ضوابطه المعتبرة كذلك .

والناظر إلى هذه الركائز الأساسية التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ؛ لَيتبين له مدى ما تتسم به من المنهجية والشمولية ، أما المنهجية فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقىّ ، وذلك التعاقب العلمىّ ، والذى يجمع بين هذه المراحل الثلاث ، والتى

تبدأ بالجمع ويعقبه التأصيل ، ثم يعقبـه التحليل ، وفى هذا ما فيه من المنهجية بحيث تُسْلِمُ كل مرحلة منها إلى ما بعدها ، وترتبط فى الوقت ذاته بما قبلها .

وأما الشمولية فتبدو واضحـة من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، والتى تجمع بين المأثور والمعقـول ، ثم تـوصِّل لمختلف العلوم العربيـة والإسلامية ، وأخـيراً تحلِّل ذلك كله نقداً واستنباطاً واجتهاداً ، بما يمكن للشنقـيطى معه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يعرض لها .

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع :

وأما عن أهم الأسباب التى دعتنى إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إيجازها فيما يلى :

١- أهمية تفسيـر الشنقيطى المتمثلة فى شموله وموسوعيتـه ، وذلك نظراً لتأخره وحداثته ؛ الأمر الذى كفل له استـيعاب جهود السالفين قبله ، سواء من العلمـاء المعتبرين المعنيين بالقرآن وتفسيره خاصة ، أو من المعنيين بسائر العلوم العربية والإسلامية عامة .

٢- عناية الشنقيطى بعلم الأصول إلى الحد الذى يُوَجِّهُ على أساسه ما يَعْرِضُ له من الآيات بالتفسيـر ، فضلاً عن احتكامه إليه كضابط رئيس إزاء مـا يرجحه من قول ، أو يذهب إليه من رأى ؛ الأمر الذى يبشر باتجاه جديد فى التفسير يعتمد فى المقام الأول على علم الأصول وقواعده ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصُولىّ فى التفسير) .

٣- الرغبة الملحة فى إظهار هذا التـفسير ، وبيان منهج صاحبه فيه ، بما يبرز قـيمته العلمية للباحثين والدارسين خـاصة ، وغيرهـم من طلاب العلم عامـة ؛ وذلك إتماماً للفائدة ، وتعميماً للنفع ، بهذه (الموسوعة التفـسيريَّة الشاملة) التى ينبغى أن يستفاد بها على النحو الذى يناسب قيمتها .

ثالثا : الصعوبات التى واجهت الموضوع :

وأما عن أهم الصعوبات التى واجهتنى حال اختيارى هذا الموضوع فتتلخص فيمايلى :

١- ندرة المصادر التى عُنِيَتْ بالـشنقيطى وتفسيـره ؛ خاصة وأنه لم يكن يرضى أثناء حـياته بالكتابة عن نفسه أو بكتابة غيـره عنه ، سواء من أولاده وأقرانه والمقربين إليه خاصة ، أو من تلاميذه وغيرهم ممن يعرفونه عامة .

٢- تَأَخُّر الاستفادة بتلك المصادر النادرة التى عنيت بالشنقيطى وتفسيره إلى ما بعد رحيله ؛ وذلك احتراماً من أصحابها لرغبته التى عرفوها عنه فى حياته .

٣- عدم كفاية ما اشتملت عليـه هذه المصادر النادرة من معلومات وفوائد ؛ وذلك إلى الحد الذى لا يمكن معه الاستغناء بها عن غيرها إزاء ترجـمة الشنقيطى ، أو التعريف بمنهجه التفسيرى .

غيـر أن الله تعالى قد أعاننى بفضله وتوفـيقه على تذليل هذه الصعاب من خلال ثلاث مراحل متعاقبة ، بدأتها بمطالعة تلك المصادر النادرة وما اشتملت عليه من معلومات يسيرة ، ثم تلوتها بمراسلة الشيخ عطية محمد سـالم أخص تلاميذ الشنقيطى وأقربهم إليه ، وكان أنْ ختـمتهـا أخيـراً بملاقاته مع ولدىْ الشنقـيطى وبعض أقاربه خاصـة ، وكذا بعض تلامـيذه ومعارفه عامة ، وذلك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

رابعاً: منهج البحث :

وأما عن منهجى فى هذا البحث فقد سكلت إزاءه جملة الخطوات المنهجية التالية :

١- قسَّمتُ البحث قسمين وخمسة أبواب وأربعة وعشرين فصلاً ، ووسمت كلاً منها بعنوان يدل على مضمونها ، ويناسب محتواها .

٢- عرضتُ لكل مسـألة بالشرح والتحليل ، ثم المناقشة والترجـيح ، وذلك فى إطار أدلتها الشرعية ، ووفق ضوابطها المعتبرة ؛ وصولاً بها لأصوب الآراء ، وأعدل الأقوال .

٣- بيَّنتُ رأى كـل مذهب فقهى من كتب أتباعه المعـتمدة ؛ وذلـك تحاشياً لنقله من كتب المذاهب الأخرى ، حرصاً على المنهجية ، وطلباً للموضوعية .

٤- قمتُ بتـخريج الآيات القرآنية بتـرتيب مواضعهـا فى سورها ، كما خـرَّجت الأحاديث النبويّة فى كتب السُّنة المختلفـة ؛ وذلك توخياً لبيان درجتها والحكم عليهـا ، ثم لتمييز صحيحها من ضعيفها .

٥- شرحتُ بعض المفردات الغامضة ، وترجمتُ لبعض الأعلام الواردة ، وذلك كلما دعت الضرورة ، واقتضاه المقام .

٦- ذيَّلتُ البحـث بخاتمة تُبيِّن أهم النتائج التى توصّل إليها ، وبعـض التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .

٧- وأخيراً فقد حرصت على أن ألحق بالبحث فهارسه الفنية الشاملة ، والتى بَدأْتُ بفهرس الآيات القرآنـية والأحاديث النبـوية ، وانتهتْ بفـهرس المراجع العلمـية والموضـوعات التفصيلية ؛ وذلك لقناعتى التامة بأن فهرس البحث إنما يعد مِفتاحاً له ، ومدخلاً إليه ،

وما أصــدق ما وصــفه به شيخ العربيــة أستاذنا أبو فــهر محـمود شاكر ، حيـنما نبَّه على أهميته ، وأوصى بالبَدْءِ به ؛ فـقال : (مِفتاح كل كتاب فهرسٌ جامعٌ ؛ فـاقرأ الفهرس قبل كل شيء)[1] .

هـذا ، وقد التـزمت الموضوعيـة وسع طاقتى ، وسلكت كل سبـيل إلى المنهجيـة قدر إمكانـى ؛ فلم أتحيز لقول شخص بعـينه ، ولم أتعصب لرأى مذهب بذاته ، وذلك بقصـد إصـابـة الحـق فى كـل مـا عرضـت لـه ، وبهـــدف الوصول إلى الصـواب فى سائر مـا ذهبت إليه .

خامساً: خطة البحث:

وأما عن خطتى فى هذا البـحث فقد انتظمتْ قمـسين وخمسة أبواب وأربعـة وعشرين فصلاً ، تسبقها المقدمة والتمهيـد ، وتعقبها الخاتمة والفهارس ، وجاءت موزعة على النحو التالى :

المقدمة :

وتتناول التعريف بالموضـوع ، وأهم الأسباب الداعية إلى اختيـاره ، ثم الصعوبات التى واجهته ، وأخيراً منهج البحث وخطته .

التمهيد :

ويتناول تاريخ التفسير منذ نشأته وحتى عصر الشنقيطى ، وذلك من خلال الحديث عن شمول القرآن وتمامه ، وحاجة الأمة المتجددة إلى تفسيره ، ثم بيان أنه على الرغم من تطور مراحل التفـسير وتعــدد أنواعه ؛ إلا أننا لا نزال نفـتقر إلـى منهج تفسـيرىّ واضح المعالم يمكن أن يحقق الهدف من التفسير ، ويؤتى الثمرة المرجوة منه .

القسم الأول : الترجمة :

ويُعْنَى بسيرة الشنقيطى من حـيث حياته الشخصية ، ومسيـرته العلمية ، وينتظم البابين التاليين :

---

(١) انظر الغلاف الداخلى لكتاب (المتنبى) ومـعه (رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا) : لشيخ العـربية أستاذنا أبى فهر محمود محمد شاكر – الطبعة ١ – الناشر : (دار المدنى بجدة) مع (مكتبة الخانجى بمصر) – ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .

الباب الأول : حياته الشخصية :

وينتظم ستة فصول ، تحدثت فى الفصل منها عن قبيلة الشنقيطى وأسرته ، وفى الفصل الثانى عن اسـمه ولقبه ، وفى الفـصل الثالث عن مولده ونشـأته ، وفى الفصل الرابع عن صفاته الخِلْقـية والخُلُقية والعِلْمـية ، وفى الفصل الخامس عن زواجـه وأولاده ، وأخيراً فى الفصل السادس عن وفاته ورثائه وحُسْن خاتمته .

الباب الثانى : مسيرته العلمية :

وينتظم أيضا ستة فصول ، تحدثت فى الفصل الأول منها عن شيوخه من أهله ومن غير أهله ، وفى الفصل الثانى عن أقرانه ومعاصريه ، وفى الفصل الثالث عن تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة ، وفى الفـصل الرابع عن نشاطه فى بلاده وخارج بلاده ، وفى الفصل الخامس عن رحلاته للحج والدعوة والعـلاج ، وأخيراً فى الفصل السادس عن مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

القسم الثانى: المنهج :

ويُعْنَى بالسمـات العامـــة للمنهج الـشنقيطى فـى التفـسير ، وينتظـم الأبـواب الثلاثـة التاليـة :

الباب الأول : الجمع بين المأثور والمعقول :

وينتظم فـصلين ، تحدثت فى الفـصل الأول منهمـا عن تفسـير القـرآن بالمأثور ، وفى الفصل الثانى عن تفسـير القرآن بالمعقول ، ويمثل هذا الباب الـسـمة الأولى من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الباب الثانى : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وينتظم سبعـة فصول ، تحدثت فى الفصل الأول منهـا عن علوم القرآن ، وفى الفصل الثانى عن علوم الحـديث ، وفى الفصل الثالث عن علم الأصـول ، وفى الفصل الرابع عن علم الفـقـه ، وفـى الفـصل الخامس عـن علم الكـلام ، وفى الفصل الـسـادس عن علوم العربية ، وأخـيراً فى الفصل السابع عن علم الـتاريخ ، ويمثل هذا الباب السمـة الثانية من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الباب الثالث : التحليل السائر ما يَعْرِضُ له :

ويتنظم ثلاثة فصــول ، تحدثت فى الفصل الأول منها عن (الانــتقاد) من حيث تقــعيده النظرىّ عند الشنقيطى ، ثم تطبيقه العملىّ علـيه من خلال نقده كلا من : (الإسرائيليات ، والمفــسِّرين، والمحـدِّثين، والأصـوليِّين، والفـقــهــاء ، المتكلمِّين ، واللغـويِّين ، وأخـيـراً المؤرِّخين) .

ثم تحدثت فى الفـصل الثانى منها عن (الاسـتنباط) على مسـتوى تقعـيده النظرى عند الشنقيطى من حيث ماهيَّــة وحُجِّيَّة وضرورة وشروط وضوابط ومجال ومـعجم الاستنباط ، ثم على مســتوى تطبيقه العــلمى على ذلك من خلال جملة من الشواهد فى مـختلف فنون العلم وفروعه مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

وأخيراً فقد تحـدثت فى الفصل الثالث منها عن (الاجتهاد) على مسـتوى تقعيده النظرى عند الشنقـيطى مـن حيـث ماهيَّـة وحُجِّـيَّة وضرورة وشـروط وضـوابط ومجـال ومعــجم الاجتهــاد ، ثم على مستوى تطبيـقه العملىّ علــى ذلك من خلال جـملة من الشواهد فى مخـتلف فنون العلم وفروع مما فى ثنايا تفـسيره المخـتلفة ، ويمثل هذا البـاب السمة الثـالثة والأخيرة من سمات منهج الشنقيطى فى التفسير .

الخاتمة :

وتأتى فى نهاية البـحث لتوجز مـلخصه ، ولِتَعْـرِضَ لأهم النتائج التى توصل إليــها ، ولترصد أهم التوصيات التى يرى ضرورة تحقيقها .

الفهارس :

وتأتى بعد الخاتمة لتحتوى فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ثم المراجع العلمية والموضوعات التفصيلية .

* * *

وأخيراً:

فهــذا هو جُهْدُ المُقِلّ ، وهذه هى خطوة المُبْـتَدِىء ؛ فإن كنت قـد أصبت فيـما صنعت فبفـضل الله وتوفيقه ، وإن كنت قد قصّـرت فيما أتيت فحـسبى أن الكمال لله الحقّ ، وأن النقص من لوازم الخَلْق[1] .

(١) وما أشهر مـا يشير إليه العماد الأصـفهانى فى مقدمة ديوان رسائله الكبـير قائلا : (إنى رأيت أنه لا =

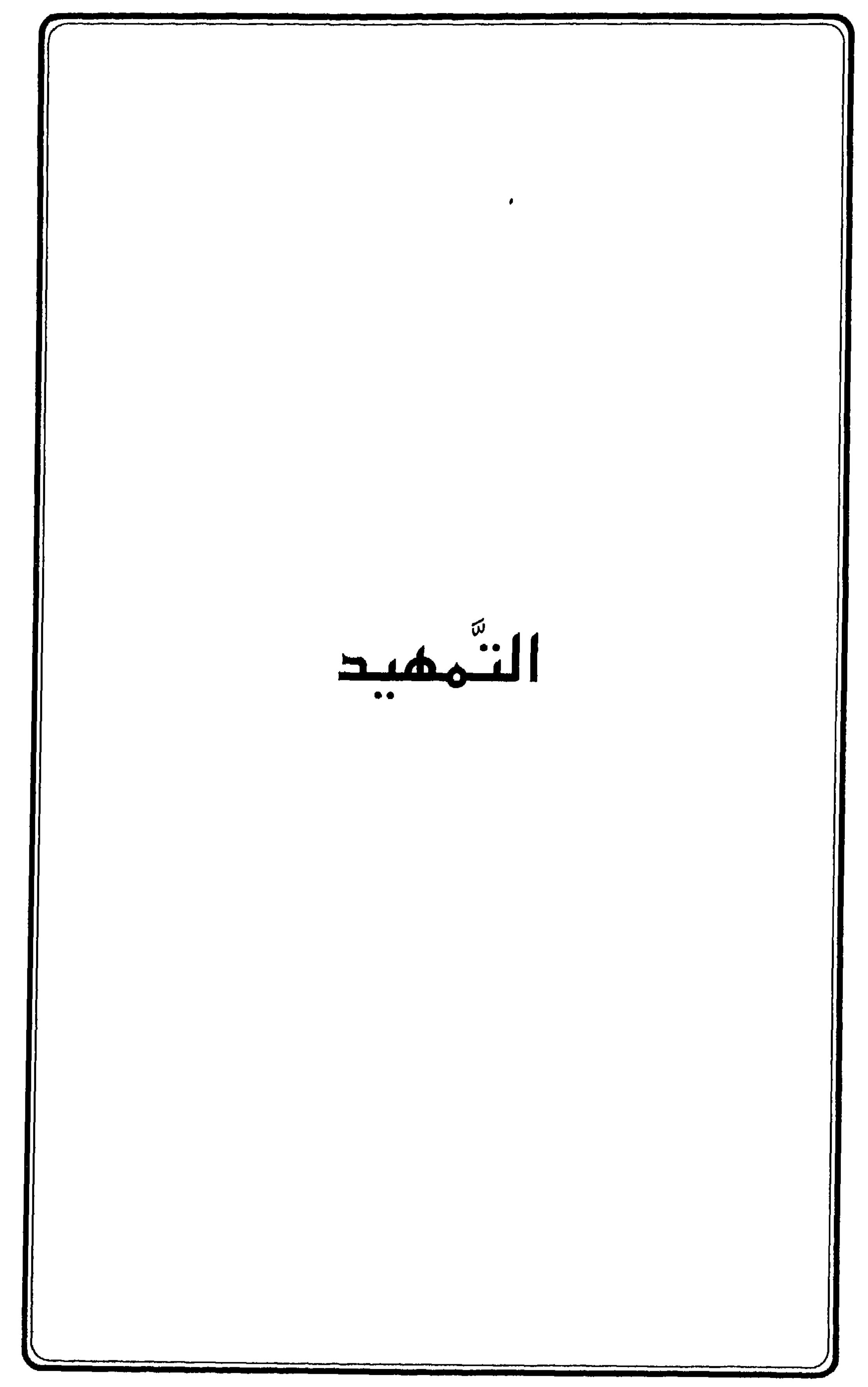
ولا يسعــنى فى الختام إلا أن أتوجه إلى الله العلىّ القدير أن يجعل عملنا هــذا خالصاً لوجهــه الكريم ، وأن يرزقنا الإخلاص فى السِّرِّ والعَلَن ، وأن يجنبـنا الخطأ والزلل ، كمـا أضرع إليه سبحــانه أن يغفر لنا ما مضى وأن يسترنا فيمـا بقى ، وأن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ الآية[1] .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين فى الأوّلين والآخِرِين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

= يكتب إنسـان كـتاباً فى يومـه إلا قـال فى غده : لو غُـيِّـرَ هذا لكان أحـسن ، ولو زيد هذا لكان يُسْتَـحْسَن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفـضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العـبَر ، وهو دليل على استيـلاء النقص على كافة البشر) وسـيأتى ذكر ديوانه هذا ضمن ترجمـته المفصَّلَة ص ٦١ من هذا البحث .

(١) آل عمران : ٨ .



التَّمهيد

يتبلور تاريخ التفسير ، وتتضح مدى حاجة الأمة إليه ، من خلال الوقوف على مراحله المتطورة ، وذلك عبر مسيرته الممتدة من لدن بَدْءِ نزول الوحى على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، تلك المراحل التى تُسْلِمُ كل منها إلى ما بعدها ، وتترتب كل منها على ما قبلها ؛ بحيث تبدو مترابطة موضوعياً ، ومتعاقبة تاريخياً ، فى إطار تسلسل يُبِينُ عن ماهية هذا التطور ، ويكشف النقاب عن أهمية دوره الفاعل فى تاريخ التفسير .

فشمول القرآن وتمامه قد بعث على حاجة الأمة الماسة إلى تفسيره ؛ وهو الأمر الذى أدّى بدوره إلى نشأة التفسير ، ثم كان أن تطوّر بعد ذلك عبر مراحله المختلفة من خلال تعدد التفاسير وتنوعها ، وعلى الرغم من ذلك لم تظفر الأمة بمنهج تفسيرى واضح المعالم ، بل ظلت مفتقرة إلى تحديد منهج يحقق لها الهدف من التفسير ، والذى يتمثل فى وقوفها على مراد ربها سبحانه فى كتابه الخالد ، ودستوره الدائم ، المتحقق قرآنه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1] .

ولبيان هذا فإننا نعرض فيما يلى لتاريخ التفسير ومسيرته الممتدة من خلال نشأته ومراحل تطوره ومدى حاجة الأمة إليه ، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول
شمول القرآن وتمامه

ليس ثَمَّةَ شَكٌّ فى أن القرآن الكريم كتاب هداية وتقويم ؛ يقوِّم سلوك البشرية ، ويهديها إلى سواء السبيل ، فيبشر المؤمنين ، وينذر المخالفين ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ الآيتان[2] .

ومن ثم ؛ فقد جاء شاملاً شمول الدنيا والآخرة ، تماماً تمامهما ، لم يدع من شئونهما صغيراً كان أو كبيراً ، إلا ذكره وأشار إليه ، أو بيّنَه ودلّ عليه ، وهو ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ**

(١) هذا اقتباس من وصف الله سبحانه قرآنه العظيم فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) الإسراء : ٩ - ١٠ (آيتان) .

(٣) الأنعام : ٣٨ .

الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[1] .

كما يُبيّن رسول الله ﷺ شمول القرآن وتمامه بهذا الوصف الجامع المانع الذى رواه عنه علىٌّ بن طالب رضي الله عنه حيث يقول : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتنٌ كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله، وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ مَنْ قبلكم ، وخبر مَنْ بعدكم ، وحكمُ ما بينكم ، هو الفَصْل ليس بالهزل ، مَنْ تركه مِنْ جبّار قصمه الله ، ومَنْ ابتغى الهُدَى فى غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَمَلُّه الأتقياء ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدِّ[2] ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجنُّ إذْ سمعَتْهُ أنْ قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً)[3] مَنْ عَلِمَ عِلْمَه سَبَق ، ومَنْ قال به صَدَق ، ومَنْ حَكَمَ به عَدَل ، ومَنْ عَمِلَ به أُجِر ، ومَنْ دَعَا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم» الحديث[4]

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) خَلَقَ وخَلُقَ وخَلِقَ وأخْلَقَ واخْلَوْلَقَ : أصابه البلَى ونالَ منه القِدَمُ ؛ فصار قديماً بالياً – انظر مادة (خَلَقَ) فى كل من لسان العرب : ٢/ ١٢٤٣ – مختار الصحاح : ص ١٨٧ – المعجم الوسيط : ١/ ٢٦٠ .

والمراد بـ (ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدِّ) : أى لا تذهبُ جدتُهُ ، ولا تقلّ قيمتُهُ ، بتكرار تلاوته ، وكثرة مراجعته ، على مَرِّ الأعصار ، واختلاف الأمصار ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

(٣) إشارة رلى قول الله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن : ١-٢ (آيتان) .

(٤) أخرجه الترمذىّ من رواية الحارث الأعور عن علىٍّ بن أبى طالب رضي الله عنه ثم عقب عليه بقوله : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفى الحارث مقال – انظر سُنن الترمذى (كتاب) فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ (باب ١٤) ما جاء فى فضل القرآن – ٥/ ١٥٨ – حديث رقم (٢٩٠٦) – تحقيق : كمال يوسف الحوت – الطبعة ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧م .

كما أخرجه الدارمىّ من رواية الحارث أيضاً – انظر سُنن الدارمى ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩م) – (كتاب) فضائل القرآن (باب) فضل مَنْ قرأ القرآن – ٢/ ٤٣٥ – طبع بعناية : محمد أحمد دهمان – ونشرته : دار إحياء السُّنة النبوية – (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

وقد أورد الألبانىّ إسناد الترمذىّ لهذا الحديث (عن عبد بن حميد، عن حسين بن علىّ الجعفىّ، عن حمزة الزيّات ، عن أبى المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور) ثم حكم بـ (ضعف هذا الحديث بعد أن ساق حكم الترمذى السابق عليه) – انظر (ضعيف سُنن الترمذى) : ص ٣٤٨ – (أبواب) فضائل القرآن (باب ١٤) ما جاء فى فضل القرآن – حديث رقم (٥٥٤) فى الضعيف – ورقم (٣٠٨٢) فى السُّنن – ضعَّف أحاديثه : محمد ناصر الدين الألبانىّ – =

وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» الحديث[1] .

المطلب الثانى

حاجة الأمة المتجددة إلى التفسير

لما أراد الله تعالى أن يجعل قرآنه دستور هذه الأمة الخالد ، وقانونها الثابت ؛ لذا فقد عصمه من العبث والتبديل ، وصانه عن الهوَى والتحريف ، وهذا ما ينطق به قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[2] .

ودستور بهذا الخلود ، وقانون بهذا الثبات ؛ لابد وأن يكون بمنأى عن أن تنال منه يد الباطل ، وصراطاً يستحيل أن يرد عليه أى شتات، وما أصدق وَصْفَ الحقِّ الذى يشهد لقرآنه بهذا فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان[3] وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية[4] .

وأمام هذه الوصية باتباع القرآن ؛ كان التحذير أيضاً من خطر الإعراض عنه ، والذى نبّه إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ الآيات[5] .

إذن فالأمة مأمورة بالتزام هذا الدستور ، ومطالبة بتطبيق هذا القانون ، وأنَّى لها هذا دون معرفتها بأمره وتكليفه ، وعلمها بنهيه وتحذيره ؟! ومن هنا ؛ كانت حاجة الأمة ماسة إلى فهم هذا القرآن العظيم ؛ لتسير على هَدْيه فى الدنيا ، ولتنال به رضا الله تعالى فى الآخرة ؛ وإزاء هذا كان السلف رضوان الله عليهم يصرفون جُلَّ اهتمامهم لِتَعَرُّفِ مقاصد القرآن ، بل ويشهدون بالفضل لِمَنْ عَلِمَ شيئاً من تفسيره .

وليس أدلَّ على ذلك مما يورده أبو عبد الله القرطبىّ من أنّ عَلِيّاً بن أبى طالب رضي الله عنه

= وأشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامىّ - عمّان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١م .

(١) سبق تخريج هذه الرواية ص ٥ من هذا البحث .

(٢) الحجر : ٩ .

(٣) فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٤) الأنعام : ١٥٣ .

(٥) طه : ١٢٤ - ١٢٦ (ثلاث آيات) .

لما ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم ؛ عندئذ قال له رجل : جُعِلْتُ فداءَك ! تصف جابراً بالعلم ، وأنتَ أنتَ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ الآية[1] .

وقال مجاهد : أَحَبُّ الخلقِ إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل ، وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلاّ أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعنى بها ، وقال الشعبى : رحل مسروق إلى البصرة فى تفسير آية ، فقيل له : إنّ الذى يفسرها رحل إلى الشام ؛ فتجهّز ورحل إلى الشام حتى عَلِمَ تفسيرها .

وقال عكرمة فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية[2] طلبت اسم هذا الرجل أربعَ عشرةَ سنة حتى وجدته ، وقال ابن عبد البر : هو ضمرة بن حبيب .

وقال ابن عباس : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ما يمنعنى إلاّ مهابته ، فسألته ؛ فقال : هى حفصة وعائشة .

وقال إياس بن معاوية : مَثَلُ الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كَمَثَلِ قوم جاءهم كتابٌ مِن مَلِكِهم ليلاً وليس عندهم مصباح ؛ فتداخلتهم رَوْعةٌ ولا يدرون ما فى الكتاب ، ومَثَلُ الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباحٍ فقرأوا ما فى الكتاب[3] .

ولئن كان السلف قد وجّهوا اهتمامهم إلى التفسير ، وأدركوا مدى حاجتهم إليه ، فإن هذا قد سار أيضاً واستمر فيمن بعدهم ، بل وسيظل متواصلاً مطرداً كذلك على تعاقب الأجيال ، وتتابع الدهور ؛ ومن هنا كانت حاجةُ الأمة إلى التفسير حاجة ماسة متجددة بتجدد حياتها ذاتها ، والتى سُداها ولُحمتها كتاب ربها الذى فيه نبأ ما قبلها ، وحكم ما بينها ، وخبر ما بعدها .

وإذن فلن تقف هذه الأمة على ما ضيها بما ينير حاضرها ويستشرف مستقبلها ؛ إلا مِن خلال فهمها لقرآنها وتعاليمه ، والتزامها أحكامه وتكاليفه ، والتى تحمل لنا الحياة كل يوم بفصولها المتجددة ما يؤكد جِدَّةَ القرآنِ ويؤيد حَدَاثَتَه التى تتفق وجدّة وحداثة هذا الكون من

---

(1) القصص : ٨٥ . (2) النساء : ١٠٠ .

(3) الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارىّ القرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) - ١/٢٦ (من المقدمة) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

لدن خَلق الله تعالى له وإلى أن تقوم الساعة ، وما أحسن وصف السيوطى للتفسير حينما توجّه بفكره الناضج إلى تصنيف العلوم فقال : النحو علم نضِج واحترق ، والفقه علم نضِج ولم يحترق ، وأما التفسير فعلم لا نَضِج ولا احترق[1] .

فالقرآن العظيم رغم عمومه وشموله ، وتمامه وكماله؛ إلا أنه سيظل دوماً غضاً ثرياً ، معطاء سخياً ، وتبعاً لهذا فسيظل تفسيره متصفاً بذلك أيضاً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ؛ لأنه بتجدد الحياة ؛ يتجدد التفسير ، وبتجدد التفسير تتجدد حاجة الأمة إليه ، وفى هذا برهان صدقه ، ودليل إعجازه ، والذى ينطق به قول الله تعالى : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** الآية[2] بل وأبعد من ذلك حينما يعجز إدراكنا المحدود ، عن كُنْه وحقيقة ما يحمله لنا الغيب المطلق ، والذى يقرره الحق سبحانه فى قوله تعالى : **﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** الآية[3] .

المطلب الثالث

نشأة التفسير ومراحل تطوره

مَرَّ تفسير القرآن الكريم على امتداد تاريخه الطويل بمراحل عدة ، وأطوار مختلفة ، منذ بدأت عناية المسلمين به من لدن نزول الوحى على رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر ، وستظل عناية الأمة قائمةً به ، ومتجهة إليه ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ؛ لأن دوام العناية به هو من دوام حفظ الله له ، وهذا ما تكفل به سبحانه فى قوله تعالى : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** الآية[4] وتتنازع تلك الرحلة الطويلة التى قطعها التفسير منذ بَدْءِ الوحى وحتى يومنا هذا حقبتان أساسيتان يمكننا تسميتهما فيمايلى :

- **الحقبة الأولى : منذ بَدْءِ الوحى وحتى نهاية عصر التابعين :**

وتشمل تفسير النبى ﷺ أول مفسرٍ للقرآن الكريم ومُبَيِّنٍ له ، ثم تفسير صحابته من بعده ، وأخيراً تفسير التابعين من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين وذلك حتى نهاية عصرهم الذى ينتهى بآخر تابعى يمكن الاستشهاد به والرجوع إليه حتى نهاية القرن الثانى

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) - ٢/٣٢٥ - شرحه وضبطه وعَنْوَنَ موضوعاته وعلّق حواشيه : (محمد أحمد جاد المولى بك - على محمد البجاوى - محمد أبى الفضل إبراهيم) - الطبعة ٣ - دار التراث - القاهرة - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م .

(٢) فصلت : ٥٣ . (٣) النحل : ٨ . (٤) الحجر : ٩ .

الهجرى تقريباً [1] .

- **الحقبة الثانية : منذ بَدْءِ عصر تابعى التابعين وحتى عصرنا الحاضر :**

وتشمل مختلف التفاسير التى وضعها العلماء فى بداية عصر تابعى التابعين فى ختام القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث الهجرى ، ثم مروراً بمختلف أعصار الأمة وأمصارها على امتداد تاريخها الذى يحفل بأحداثه وأحاديثه ، ويزخر بمواقفه وطرائفه ، ويمتد حتى يومنا هذا ، بل ويستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

- **آراء العلماء فى مراحل التفسير وأطواره المختلفة :**

ذهب كثير من علمائنا سواء من القدامى أو المحدثين إلى تقسيمات أخرى بشأن المراحل التى قطعها التفسير ، والأطوار التى مَرَّ بها ، على امتداد تاريخه الطويل من لدن نزول الوحى وحتى عصرنا الحاضر ، وفى حين نرى بعض هذه التقسيمات تصدر عن رؤية خاصة بأصحابها أحياناً ، إلاّ أننا نرى بعضها الآخر يصدر عن محاكاة آراء السابقين والأخذ بها أحيانا أخرى ، وهذا ما نعرض له فيما يلى :

١- من العلماء القدامى :

ونمثل لهم باثنين من أبرزهم مكانة ، وأكثرهم شهرة ، مِمَّن كانت لهم عناية بتفسير القرآن والتأريخ له ، ألا وهما :

---

(١) وعلى وجه التحديد فإن عصر الاستشهاد بالتابعين والرجوع إليهم ينتهى بآخرهم موتاً وهو (خلف بن خليفة) الذى توفى عام (١٨٠ هـ = ٧٩٧م) وقيل : عام (١٨١ هـ = ٧٩٨م) . فى حين كان أولهم موتاً هو (أبو زيد مَعْمَر بن زيد) الذى قتل بـ (خراسان) وقيل : بـ (أذربيجان) عام (٣٠ هـ = ٦٥١م) - راجع فى ذلك كلاً من :

- تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية : الشيخ محمد نجيب المطيعى - ص ١٩٧ - مطبعة حسَّان - القاهرة - ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م .
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - ص ٥١٩- سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤) - دار المعارف - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .
- الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث : د. محمد محمد أبى شهبة - ص ٥٤٨ - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .

• **شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) :**

حيث يمر التفسير عنده بأربعة مراحل هى : تفسير النبى ﷺ ثم تفسير الصحابة من بعده ، ويليه تفسير التابعين وتابعيهم ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك[1] .

• **الحافظ جلال الدين السُّيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) :**

ويمر التفسير عنده بأربعة مراحل مغايرة قليلاً عما ذهب إليه ابن تيمية حيث تتمثل فى : تفسير النبىّ ﷺ ثم تفسير الصحابة ، ويليه تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعد ذلك[2] .

٢- من العلماء المُحْدَثين :

ونمثل لهم باثنين من أهل الأختصاص من علمائنا المعاصرين المعنين بمجال التفسير والتأريخ له ، ألا وهما :

• **الأستاذ الدكتور محمّد حُسين الذهبىّ ت (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) :**

حيث يرى أن التفسير قد مَرَّ بثلاث مراحل تتمثل فى : تفسير النبى ﷺ وصحابته ، ثم تفسير التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وأخيراً تفسير مَنْ جاءوا بعدهم حتى يومنا هذا[3] .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية - ص (٤٢ - ٥٠) - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

وانظر هذه المقدمة أيضاً بتحقيق كل من :

- د. عدنان زرزور: (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة ببيروت لبنان) - ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م .
- أبى حذيفة إبراهيم بن محمد : (مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - (٢/٢٩٧ - ٣٢٤) على مدار سبع وعشرين صفحة كاملة - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٣) راجع فى ذلك للدكتور الذهبى كلاً من :

- الإسرائيليات فى التفسير والحديث: ص٢٠ - نشر: مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة - ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م .
- التفسير والمفسرون : ١/٣٣ - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.
- علم التفسير: ص ١٣ - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم (٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

- **أستاذنا الدكتور عبد الله شحاته :**

ويذهب إلى حصر المراحل التى مرّ بها التفسير فى خمسة أدوار ذكرها على النحو التالى :

١- **دور النشأة** : ويمتد من البعثة المحمدية إلى سنة (١٠٠هـ = ٧١٩م) .

٢- **دور النضج** : ويمتد من سنة (١٠٠ هـ = ٧١٩م) إلى سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) .

٣- **دور بداية التقليد** : ويمتد من سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م).

٤- **دور التقليد المطلق والجمود** : ويمتد من سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) إلى ظهور المجلة العدلية سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) .

٥- **دور اليقظة والنهضة** : ويمتد من سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) حتى الوقت الحاضر[١] .

- **رأى البحث :**

والحق أننا نذهب مذهباً آخر إزاء تلك التقسيمات التى ذهبت إليها قدامى علمائنا ، فضلاً عن مُحْدَثيهم ، بشأن ما ذكروه من المراحل والأدوار التى قطعها التفسير عبر مسيرته الطويلة ، والتى امتدت من لدن عصر التنزيل وحتى يومنا هذا .

حيث نرى أن مسيرة التفسير تتنازعها حقبتان زمنيتان أساسيتان ، تكاد تتحدد مصادر كل حقبة منهما ، وتتصل روافدها ؛ لتنهل من مَعين واحد ، ولتسيل بعد ذلك فى جداول تكاد تكون متشابهة ، من حيث طبيعة مسالكها ودروبها ، وحقيقة مآلها ومصيرها .

ويتضح ذلك من خلال فهمنا لواقعية الحقبة الأولى من هاتين الحقبتين وموضوعيتها ، والتى تمتد من لدن تفسير النبى ﷺ وتنتهى بتفسير تابعى التابعين أواخر القرن الثانى الهجرى ؛ فتابعو التابعين اعتمدوا فى تفاسيرهم على نقل المأثور عن التابعين ، والتابعون اعتمدوا بدورهم على المأثور عن الصحابة ، والصحابة نهلوا ولاشك من مَعين رسول الله ﷺ الذى تلقى عن أمين وحى السماء جبريل عليه السلام ، والذى تلقى بدوره عن ربٍّ العزة سبحانه ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان[٢] .

(١) التفسير بين الماضى والحاضر : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - ص ١٨ - دار الاعتصام - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

حتى إن الدكتور الذهبيّ نفسه يذهب إلى ما هو أبعد من عصر تابعي التابعين حين يقرر حصر التفاسير واقتصارها على المأثور دون غيره ، فيتجاوز بهذا القرن الثالث الهجري كله ، ليستقر به المقام عند ابن جرير الطبريّ الذي توفي أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عام (٣١٠ هـ = ٩٢٣م).

وفي هذا يقول الدكتور الذهبيّ ما نصه : انفصل التفسير عن الحديث فأصبح علماً قائماً بذاته ، وَوُضِعَ التفسيرُ لكل آية من القرآن على حسب ترتيب المصحف ، وقد تم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم : ابن ماجه القزويني ت (٢٧٣ هـ = ٦٤٨م) وابن جرير الطبري ت (٣١٠هـ = ٩٢٣م) وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وليس في واحد منها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور[1] .

أما الحقبة الزمنية الثانية والتي تمتد بالتفسير من بعد عصر تابعي التابعين مع بداية القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا ، فتكاد تتشابه خصائصها ، وتتقارب ملامحها ؛ لتجسد لنا في النهاية صورة حقيقة لما عليها واقع التفسير في هذه الحقبة الممتدة ، والذي يعتمد أولاً وآخراً على موروث الحقبة الأولى ، فيعمد إلى تحليله وإعمال النظر فيه ؛ بهدف توجيهه أو ترجيح بعضه على بعض ، مع ما يكون من زيادة عليه من فنون العلم ، وفروعه المختلفة ، حسبما تدعو إليه الحاجة ، وتقتضيه الضرورة ، وما فِعْلُ الطبريّ وغيره من العلماء حتى اليوم عنا ببعيد !

ولئن كان قدامى علمائنا ومحدثوهم قد لجأوا إلى تقسيم مسيرة التفسير (تقسيماً تاريخياً) إلى مراحله المذكورة ، وأدواره السابقة ، حيث أجملوا بعضها أحياناً ، وفصّلوا بعضها أحياناً أخرى ، إلا أننا نرى أن تقسيمها (تقسيماً موضوعياً) إلى الحقبتين المذكورتين ، يرقى لأن يشكل أساساً جوهرياً ، ويرسم ملمحاً واضحاً ؛ يمكننا بناءً عليه أن نفرّق بين هذه المرحلة أو تلك ، ونميّز بين هذا الطور أو ذاك ، وهو ما لا ينهض به تقسيمها التاريخي المشار إليه[2] .

---

(١) علم التفسير : د. محمد حسين الذهبي ص ٣٦ .

(٢) ومما يؤكد هذا التداخل الحادث بين مراحل التفسير وأطواره المختلفة التي ذهب إليها كثير من العلماء المعنيين بمجال التفسير والتأريخ له ؛ فإننا نكتفي بذكر الشاهد التالي :

فعلى الرغم من أن الدكتور محمد حسين الذهبيّ رحمه الله قد أكثر من ذكر مصادر التفسير في كل مرحلة من مراحله التي ذهب إليها ، ثم أشار إلى أشهر مفسريها ، وكذا قيمة التفسير ومميزاته أثناءها ، إلاّ أن ما ينطبق على هذه المرحلة أو تلك يتكرر بذاته في غيرها ، إلا من بعض الاختلاف =

وبهذا يتـأكد لنا ما ذهبنا إليـه بصدد كل من الحقبـتين الزمنيتين الأساسـيتين اللتين نرى أنهما تتنازعان مسيرة التفسيـر من لدن عصر التنزيل ، مروراً بعصرنا الراهن ، بل واستمراراً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

المطلب الرابع
تعدد التفاسير وتنوعها

اتسع مجال التفسير ، وانداحت دائرته ؛ ليسـتوعب شتى أنواع التفاسير على تعددها ، وليشمل مختلف طوائف المفسرين على تنوعها ، إلى الحد الذى عمد فيه كل مفسر إلى الفن الذى يمتلك زمامه ، أو المذهب الذى يعتقد صحته ، فيضعه نصب عينيه ، ويجعله غالباً فى تفسيره ، ومهيمناً عليه ؛ وبناءً على ذلك فقد أفرز هذا الاتساع فى مجال التفسير العديد من التفسير التى جاءت تبعاً لتمكن أصحابها واقتدارهم فى هذا الفن أو ذاك ؛ الأمر الذى يمكننا معه إيجاز تلك الأنواع فيما يلى :

١ - تفاسير المُحَدِّثين :

ويقتصرون فيها على رواية الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ والخاصة بتفسير آيات الذكـر الحكيم ، ويأتى على رأس هؤلاء أميـر المؤمنين فى الحـديث محـمد بن إسـماعـيل البخـارىّ ت (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) الذى أفرد فى صحـيحه كتـابين مستقـلين للتفسيـر وحده وَسَمَهُمَا بعنوانىْ : (كتاب التفسير) و(كتاب فضائل القرآن)[١] .

ويشير الأسـتاذ أمين الخولى إلى أن هذين الكتابين يشـغلان حيزاً واضحـاً من (صحيح البخارىّ) تقدر نسبته بما يقرب من ثُمُنِ هذا الصحيح[٢] .

= اليسير الذى لا يرقى لأنْ يشكل فـارقاً واضحاً يمكن على أساسه الفصلُ أو التـمييز بين هذه المراحل على النحو المذكور ؛ وهذا ما يؤكد ذلك التداخل الذى أشرنا إليه .

- راجع فى ذلك (علم التـفسير) : د. الـذهبى ص ١٣ - ٣٩ (على مدار سبع وعـشرين صفـحة كاملة) .

(١) انظر هذين الكتابين على الترتيب فى (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) كما يلى :

- كتاب التفسير : الجزء السابع عشـركاملاً ص (١ - ٣١٠) والجزء الثامن عشر كاملاً أيضاً ص (١ - ٤١٦) .
- كتاب فضائل القـرآن : بعضٌ من الجزء التـاسع عشر ص (١ - ١٢٣) وبهذا يبلغ مجموع هذين الكتابين وحدهما ما يقترب من ثمانمائة وخمسين صفحة من شرح هذا الصحيح .

(٢) دائرة المعارف الإسلاميـة : ٣٤٩/٥ - مادة (تفسير) - وضع : مجموعـة من المستشرقين - تعليق : أمين الخولى - طبع دار الشعب - القاهرة - (د.ت) .

٢- تفاسير القُرَّاء :

ويهتمون برواية القراءات الثابتة عن شيوخهم ؛ بحيث لا يَدَعون دقيقاً ولا جليلاً يتعلق بذلك إلاّ أتوا به(١) ومن هؤلاء الحسن البصريّ ت (١١٠هـ = ٧٢٩م) صاحب إحدى القراءات الأربع الشاذة(٢) .

٣- تفاسير الفقهاء :

وفيها يصرفون عنايتهم إلى إيراد الأحكام الفقهية ، مع الترجيح بين الآراء ، فضلاً عن مقارنة المذاهب ، والرد على مخالفيهم ، ومن هؤلاء أبو بكر الجَصَّاص الحنفى ت (٣٧٠ هـ = ٩٨١م) ثم عماد الدين الطبرىّ المعروف بـ (إِلْكِيَا الهَرَّاس) الشافعى ت (٥٠٤ هـ = ١١١١م) وأخيراً المالكيان : القاضى أبو بكر بن العربى ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩م) وأبو عبد الله القرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م)(٣) .

٤- تفاسير المتكلمين :

وهم الذين يعمدون إلى تناول الآيات المتعلقة بأسماء الله وصفاته ، فضلاً عن إقحام أقوال الحكماء ، وإيراد شُبَه الفلاسفة ؛ بهدف تفنيدها والرد عليها من خلال التفسير ، ومن هؤلاء فخر الدين الرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠م)(٤) .

---

(١) الفوز الكبير فى أصول التفسير : ولى الله الدهلوى ص ١٧ - (بتصرف يسير) - عَرَّبَه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

(٢) ستأتى ترجمة الحسن البصرىّ مفصَّلة ضمن تراجم القرَّاء الأربعة عشر ص من هذا البحث .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أحكام القرآن : الجصّاص - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- أحكام القرآن : إِلْكِيَا الَهرَّاس - تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د.ت) .
- أحكام القرآن : ابن العربى - تحقيق : على محمد البجاوى - دارالمعرفة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- الجامع لأحكام القرآن : القرطبى - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة - الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

(٤) راجع فى ذلك تفسيره المسمى بـ (التفسير الكبير) والمشهور بـ (مفاتيح الغيب) : لفخر الدين بن عمر ابن الحسين القرشى البكرى الطبرستانى - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .

٥- تفاسير الفِرَق :

ومن خلالها يحرص أتباع هذه الفِرَق على ترويج مبادئهم ، ونشر آرائهم ؛ بهدف زيادة مؤيدهم، وتكثير سواد أنصارهم ، وتتعدد هذه الفِرَق ؛ كما تتنوع وفقاً لها تفاسير أتباعها ، وفيما يلى ذكر مفسرىْ بعض هذه الفرق ، مع ذكر ما لهم من تفاسير ، على اختلاف أعصارهم ، وتباين أمصارهم :

- **الصوفية :**

ومنهم سهل التسترى ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) وأبو عبد الرحمن السُّلَمىّ ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) وأبو محمد الشيرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠م) ومحى الدين بن عربى ت (٦٣٨هـ = ١٢٤١م)[1] .

- **المعتزلة :**

ومنهم القاضى عبد الجبَّار ت (٤١٥هـ = ١٠٢٤م) وجار الله الزمخشرى ت (٥٣٨ هـ = ١١٤٤م)[2] .

- **الشيعة :**

وتشمل عدة طوائف نكتفى بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفتين منها ، ألا وهما :

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- تفسير القرآن العظيم : لأبى محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَرىّ - (بدون بيانات) .
- حقائق التفسير : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ - (بدون بيانات) .
- عرائس البيان فى حقائق القرآن : لأبى محمد الشيرازى - (بدون بيانات) .
- الفتوحات المكية: لمحيى الدين بن عربى - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى - تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مدكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الإجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا فى السوربون بفرنسا) - طبع الهيئة المصرية العامة لكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :
- تنزيه القرآن عن المطاعن : إملاء قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبّار بن أحمد - على نفقة : محمد سعيد الرافعى صاحب المكتبة الأزهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩هـ = ١٩١١م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل : لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى - وبهامشه (حاشية السيد شريف الجرجانى ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكى ، وكتاب تنزيل الآيات لمحب الدين أفندى ، وبأعلاه النص القرآنى برسم وضبط الدورى) - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - (د.ت) .

أ - الإماميَّة الاثنا عشريَّة :

ومنهم أبو على الطبـرسى ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣م) ومُلاًّ مـحسن الكاشـى ت (أواخر القرن الحادى عشري الهجرى السابع عشر الميلادى)[١] .

ب - الزيـديـّة :

ومنهم عطية بن محمد النجرانى ت (٦٦٥هـ = ١٢٦٧م) ومحمد بن على الشوكانى ت (١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م)[٢] .

- **الخوارج :**

ويشملون عدة طوائف نكتفى بالإشارة إلى تفاسير أهم طائفة منها ، ألا وهى :

الإبَاضيّة :

ومنهم هود بن مـحكم الهوارىّ من علمـاء القرن الثـالث الهجـرىّ التاسع المـيلادىّ ، ومحمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م)[٣] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- مجمع البـيان فى تفسير القـرآن : لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسىّ - طبع مكتبـة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م .
- تفسير الكاشى : لملا محسن الكاشى - (بدون بيانات) .

(٢) فيما يتعلق بالنجرانى راجع :

- الفهرست : ابن النديم ص ٢٣ - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م .

ويشير ابن النديم إلى هذا التفسير بقوله : (وقد قيل عنه : إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية) ويعقب الدكتور الذهبىّ على ذلك بقوله: (لم أقف عليه) - انظر (علم التفسير): ص ٦٨ .

وفيما يتعلق بالشوكانى راجع :

- فتح القدير الجامع بين فنىْ الرواية والدراية فى علم التفسير : لمحمد بن على بن محمد الشوكانى - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م .

(٣) فيما يتعلق بالهوارى راجع :

- علم التفسير : د. الذهبىّ ص ٦٩ - حيث ذكر ما نصه : (وهذا التفسير متداول بين الإباضية فى المغرب ، وقد اطلعت على بعض أجزائه الأربعة لدى الشيخ إبراهيم إطفيش رحمه الله) .

وفيما يتعلق بمحمد إطفيش راجع :

- هِمْيَان الزاد إلى دار المعـاد : محمد بن يوسف إطفيش - (بدون بيانات) - و(الهـمْيَان) : كيس يوضع فيـه المال ، ويشده صاحبـه على وسطه بحزامٍ محكمٍ أو نحـوه ، وهو مُعَرَّب ، وجمـعه (هَمَايِن وهَمَايين) - انظر مادة (هَمَى) فى كل من مختار الصحاح: ص ٦٩٩ - المعجم الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

٦- تفاسير المؤرخين :

وفيها يصرف أصحابها همتهم إلى إيراد القصص ، وذكر أخبار مَنْ سلف ، بقطع النظر عن صحة ذلك ، أو عدم صحته ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبى ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦م) وعلاء الدين الخازن ت (٧٢٥هـ = ١٣٢٥م)[١] .

٧- تفاسير اللغويين :

وهم الذين يشتغلون ببيان لغة القرآن وإعرابه ، فضلاً عن كشف لطائفة البيانية ، واستخراج نكاته البلاغية ، أما النحاة : فنذكر منهم كلاً من أبى الحسن الواحدى ت (٤٦٨هـ = ١٠٧٦م) وأبى حيان الأندلسى ت (٧٤٥هـ = ١٣٤٤م)[٢] وأما البيانيون فرائدتهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة بـ (بنت الشاطىء) ت (١٤٢٠هـ =

---

(١) فيما يتعلق بالثعلبى راجع :

- الكشف والبيان فى تفسير القرآن : الثعلبى - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم (١٣٦ / ٢٠٥٦) - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر بالقاهرة - كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) - ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

وفيما يتعلق بالخازن راجع :

- لباب التأويل فى معانى التنزيل : لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن - وبهامشه (تفسير معالم التنزيل) : لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ت (٥١٦هـ = ١١٢٢م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

(٢) فيما يتعلق بالواحدى راجع كلاً من :

- البسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية - الجزء الأول (التفسير) - ص ١٣ - المخطوط رقم (٢٨٢) .
- الوسيط فى تفسير القرآن الكريم : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣، ٢٨٠، ٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .
- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز : الواحدى - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٢ ، ٢٥٣، ٢٥٤) - (التفسير) .

وقد أشار الدكتور جودة المهدى إلى أن (الوجيز) هو التفسير الوحيد المطبوع للواحدى ، حيث طبع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة عام (١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م) - كما تتبع الدكتور المهدى تفاسير الواحدى الثلاثة (البسيط - الوسيط - الوجيز) فَحَصَر نسخها وعَرَّف بها من خلال بحثه الموسوم بعنوان :

- الواحدى ومنهجه فى التفسير : د. جودة محمد محمد المهدى ص (٨٦ - ٩٣) - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م . =

١٩٩٩م)[1] .

٨- تفاسير العِلْمِيين :

وفيها يعمد أصحابها إلى تفسير آيات القرآن بناءً على معطيات النظريات الحديثة ، ووفقاً للبحوث العلمية الجديدة ، وقد يُحَمِّلُون بعض الآيات ما لا تحتمل ، ويلزمونها ما لا يلزم ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م)[2] .

٩- تفاسير الاجتماعيين :

وهم الذين يوجهون عنايتهم إلى إصلاح المجتمع ، ويجندون طاقتهم لمعالجة أدوائه ، من خلال توثيق صلة الناس بدينهم ؛ بما يقوّم حاضرهم ، ويستشرف مستقبلهم ، فضلاً

= وفيما يتعلق بأبى حيان راجع كلاً من :

- البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسىّ الغرناطىّ - وبهامشه (تفسير النهر المادّ من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه تاج الدين الحنفى النحوى ت ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) - طبع القاهرة - (بدون بيانات) .

(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : للشيخ طنطاوى جوهرى - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) - ومن الجدير بالذكر أن الشيخ طنطاوى جوهرى قد ابتدأ هذا التفسير العلمى منذ كان مدرساً بمدرسة (دار العلوم) حيث كان الأمل معقوداً عليه لبعث الأمة على درس مختلف العلوم ، وشتى الفنون ؛ بالقدر الذى يجعل من أبنائها مَنْ يفوقون الفرنجة فى الطب والهندسة والفَلَك والزراعة والصناعة وغيرها ، بل ويرى أن الاشتغال بهذه العلوم أفضل من الاشتغال بعلوم الفرائض ؛ ومن ثم ينحو باللائمة على المفسرين السابقين لإهمالهم تلك العلوم على الرغم من أهميتها ، وأنه بتفسيره هذا يمحو وصمة التقصير فى كتبهم .

ولعل كثرة ما وُجِّهَ إليه من نقد توحى بأن هذا المسلك مذموم فى تفسير القرآن ، والحق ليس كذلك ؛ لأن ما عيب عليه إنما هو تكلفه البغيض ، وسوء تأويله ، أما هذا المسلك العلمى فليس مذموماً على إطلاقه ؛ لأن القرآن على الرغم من ثباته إلا أنه يلائم كل زمان ومكان ، ويساير التقدم العلمى جنباً إلى جنب ، فيجمع الماضى البعيد والحاضر القريب ، ويفسر علم اليوم بما يكشف عنه البحث فى الغد ، وفى هذا دليل قوته ، وبرهان إعجازه .

راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- دراسات حول القرآن : د. إسماعيل أحمد الطحان ١/ ٢٢٠ - الطبعة ١- مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن : د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (من ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

عن إرشادهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا ، وفوزهم فى الآخرة ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء كل من : الشيخ رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) والأستاذ سيد قطب الذى استشهد عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م)(١) .

١٠- تفاسير المثقفين :

وهم أولئك النفر المعاصرون من غير أهل الاختصاص الذين يلجأون إلى تفسير القرآن الكريم ؛ وفقاً لمعارفهم العامة ، وتبعاً لميولهم الذاتية ، وتجدهم فى ذلك أخلاطاً شتى ، حيث يتوزعون بين أهل الطب والهندسة والفَلَك ، وكذا الصحافة والاقتصاد والقضاء ، فضلاً عن المعنيين منهم بالعلوم البحتة والتجريبية ، وغيرهم من ذوى القدرات العقلية الخاصة ، والمواهب النادرة المتميزة ، مِمَّنْ تراودهم فكرة التفسير ، وتلح عليهم الرغبة فى ارتياده .

---

(١) فيما يتعلق بالشيخ رشيد رضا راجع كلاً من :

- (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بـ (تفسير المنار) : الإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ .
- رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة : لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م .
- منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

وفيما يتعلق بالشهيد سيد قطب راجع كلاً من :

- تفسير (فى ظلال القرآن) : بقلم سيد قطب - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى - القاهرة - (د. ت) .
- وكذلك الطبعة الشرعية الثالثة عشر من نفس التفسير الصادرة عن دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م - وقد كتب على غلافها ما نصه : (الطبعة الجديدة المشروعة التى تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى مع المراجعة الشاملة والتصويت الدقيق) .
- سيد قطب (الشهيد الأعزل) : محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامى - القاهرة - (د. ت) .
- سيد قطب (صفحات مجهولة) : محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .
- أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم : بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م - وقد عرض الباحث من خلال ذلك للمنهج التفسيرى لكل من : (رشيد رضا - سيد قطب - محمد عَزَّة دروزة) مقارناً بينهم وبين غيرهم من المفسرين السابقين عليهم إزاء مناهجهم التى سلكوها فى تفاسيرهم .

ولتحقيق هذا الهدف ، وتلبية تلك الرغبة ؛ تراهم يورّطون أنفسهم ويتكلفون مالا يطيقون ، ويَهُونُ عليهم ذلك كلُّه فى سبيل أن يدلوا بدلوهم ، ويجرّبوا حظهم ؛ إلا أن هذا يُسْقِطُ الكثيرين منهم فى دائرة الحرج والمخالفة ، وينأى بهم عن جادة الحق والصواب ، مما كان عليه سلف هذه الأمة وخلفها ، ونكتفى فى التمثيل لهم بأشهرهم من المعاصرين لنا وهو الدكتور مصطفى محمود فى كتابه المسمى (القرآن : محاولة لفهم عصرى)[1] .

المطلب الخامس

الافتقار إلى منهجٍ تفسيريّ واضحِ المعالم

رأينا كيف أن هذه التفاسير قد بلغت عشرة أنواع ، كما رأينا كيف اعتمد أصحاب كل نوع منها على ما برعوا فيه من فن ، أو استمسكوا به من مذهب ؛ ومن ثم جاء كل تفسير منها مقصوراً على هذا الفن ، أو محصوراً فى ذاك المذهب ، وعلى الرغم من تنوع هذه التفاسير وكثرتها ، واختلاف مشارب أصحابها وتباينها ؛ إلاّ (أننا لم نظفر بقانون نظرى محدد ، أو منهج نظرى واضح المعالم ، قد واكب هذه التفاسير وعاصر نشأتها ، بل إن المحاولات الأولى لصياغة بعض المناهج النظرية لم تظهر إلاّ متأخرة جدًا ، وإنْ كانت قد طبقت فى بعض الأعمال التفسيرية على نحو أو آخر)[2] .

ومن هنا افتقر التفسير على امتداد مسيرته ، واختلاف مراحله ، حتى يومنا هذا إلى

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- القرآن (محاولة لفهم عصرىّ) : د. مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .
- مصطفى محمود (حياتى وفكرى - آرائى ومواقفى) : مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سَلْمَى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

وجدير بالذكر أن هذا التفسير قد تعرض لنقد كثير من العلماء المعنيين ، فضلاً عن غيرهم من المهتمين بالتفسير خاصة ، والدراسات الإسلامية عامة ، ونكتفى فى التمثيل لهم بكل من :

- القرآن والتفسير العصرىّ : دة. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)- دار المعارف- القاهرة - ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م .
- شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن : د. عبد المتعال الجابرى - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير :

- محاضرات فى تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٣٣ - ألقيت على طلاب الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم بجامعة اقاهرة - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفصحى بالقاهرة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

صياغة (نظرية عامة) تعد بمثابة (القانون العام) الذى يحكم (المنهج التفسيرى) لهذا المفسِّر أو ذاك ؛ فيرسم حدوده ، ويوضح معالمه ، وبهذا نتوقى التداخل ، ونأمن الخلط ، الذى ينجم من جراء تناول مختلف هذه التفاسير ، فى محاولة للاقتراب من أصحابها بما يكشف عن مسلكهم ، وينبىء عن منهجهم .

المطلب السادس

تحديد المنهج يحقق الهدف من التفسير

انبرى كثير من العلماء الأعلام ، فوقفوا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم ، فى سبيل تفسير هذا القرآن العظيم ؛ لتتواصل بذلك جهودهم بجهود السابقين قبلهم ، ولتتصل فى ذات الوقت بجهود اللاحقين بعدهم ، والكل فى سَعْى حثيث ، وجهد دؤوب ؛ لفهم هذا القرآن والكشف عن معانيه ، بل ومحاولة الاقتراب من مراد الله فيه .

ومن ثم ؛ فإننا (نجد أن أسلوب التفسير يتجدد مع كل مفسِّر ، وكذا مع كل عصر بحسبه ، وذلك أمر طبيعى ، لأن المفسرين إنما يصورون ما فهموا من كتاب الله ، وأداة فهمهم هى عقولهم ، كما أن مادة علمهم هى بيئاتهم ومعارف عصرهم ؛ فكان لزاماً أن يظهر ذلك كله جلياً فى نفثات أقلامهم ، ومعرض آرائهم)[1] .

ومن هنا ؛ فقد اختلفت (معالجة المفسرين للكشف عن معانى القرآن الكريم ، فلم تَجْرِ على نمط واحد ، ولم تكن على مستوى واحد من الفهم والإدراك ، وتلك طبيعة كل كائن حىّ يحيا حياة حسية أو معنوية ، وكان بدهيًا أن يبدأ التفسير على صورة ضيقة ؛ لأن القوم وقت نزوله كانوا عَرَباً خُلَّصاً ، يعرفون اللسان العربى ، ولا يخفى عليهم من معانيه إلاّ النزر اليسير ، والذى لا يلبث أن ينجلى لهم برجوعهم إلى رسول الله ﷺ ثم اتسعت دائرة التفسير متدرجةً شيئاً فشيئاً بناءً على زيادة الغموض الذى اعترى الناس بسبب بُعدهم عن مَعِين العربية التى نزل بها القرآن العظيم ؛ ولهذا ستظل حاجة الناس فى ازدياد إلى التفسير بقدر زيادة هذا الغموض ، وكلما زاد ابتعادهم عن عصر النزول)[2] .

غير أن ما ينبغى الالتفات إليه ، ويجب التنبيه عليه ، هو أن جهود المفسرين من

---

(١) مقاصد القرآن الكرم (مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل البقرة) : الإمام الشهيد حسن البناص ١٣ - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م - (بتصرف يسير) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- علم التفسير : د. الذهبى ص ١٢ .
- التفسير والمفسرون : د. الذهبى ١/ ١٠٠ .

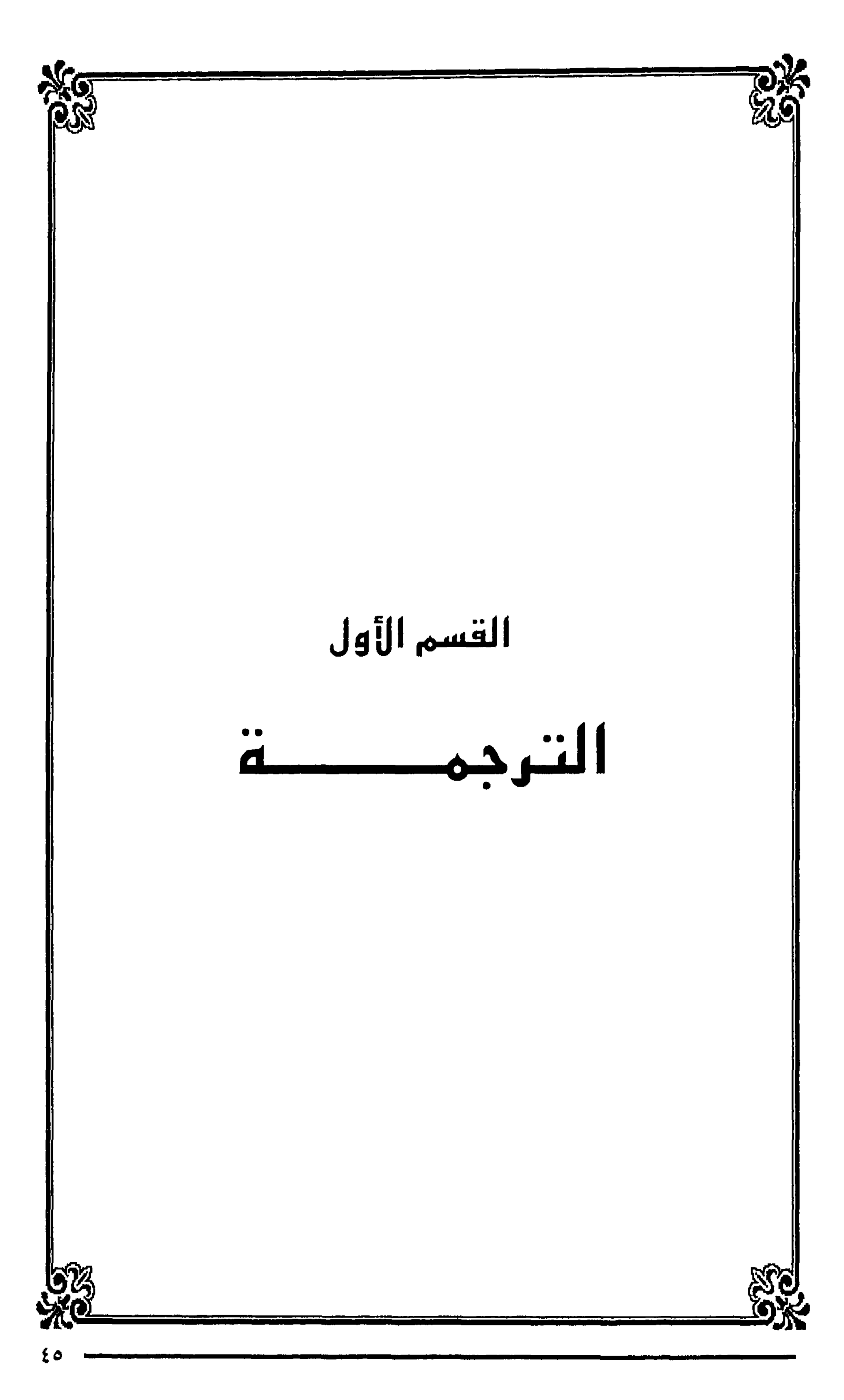
السابقين واللاحقين ، لن تُثْمِرَ ثَمَرَها ، ولن تُؤْتِيَ أُكُلَهَا ؛ إلاّ من خلال تحديد المنهج التفسيرى الذى ينبغى أن يلتزمه هذا المفسر أو ذاك ، إزاء كشفه عن معانى القرآن ، وتجليتها للأفهام ؛ فتحديد المنهج يؤدى بالضرورة إلى تحديد خط السير الذى يلتزمه الناظر فى التفسير ؛ فيسير على هداه ، ويترسم خطاه ، ليأخذ بيديه فى النهاية إلى تحقيق هدفه الكلىّ ، والذى يتمثل فى إحداث الفهم الشامل لكلمات القرآن وآياته ، وذلك دون أن يكلفه مؤنة البحث وما فيه من المشقة ، أو يجشمه إهدار الوقت وما فيه من المضرّة .

لأجل هذا ؛ كان (تحديد المنهج التفسيرىّ) من الأهمية بمكان بحيث تتوقف عليه (عمليَّة الفهم الشامل للنص القرآنى) سواء على مستوى (الإفراد) أو على مستوى (التركيب) والذى بدون تحديده نظل نفتقد الوسيلة الفعليّة التى تُوَصِّلُنَا لتحقيق الهدف المنشود من التفسير .

* * *

وبعد : فقد اقتضت رغبتنا فى الوقوف على ضرورة وجود منهج تفسيرىّ ؛ أن نعرض من خلال هذا التمهيد لمسيرة التفسير ومراحل تطوره ومدى الحاجة إليه ؛ وذلك بقصد التنبيه على أهمية مثل هذا المنهج وفائدته ، والتى تتبلور من خلال تحديد موقعه ، وتوصيف دوره ، الذى يقوم به لإتمام عملية التفسير ، والتى يرتبط شمولها بشمول القرآن ذاته ، بل وتتجدد الحاجة إليها بتجدد الحاجة إلى فهم القرآن ذاته .

وعليه فإنه يمكن لهذه الأمة أن تَتَّبِعَ ما فى قرآنها من الأوامر ، وتجتنب ما فيه من النواهى ؛ بما يتأدّى عنه حصول نجاتها فى الدنيا ، بل وفوزها برضا ربها سبحانه فى الآخرة ، وذلكم هو هدفها الأسمى ، وتلكم هى غايتها العظمى .



القسم الأول

الترجمـــــــة

سيرة الشنقيطى

حياته الشخصية و مسيرته العلمية

وتنتظم تمهيداً وبابين وتعقيباً :

- تمهيد : بين الترجمة ومسلك البحث .

١ - الباب الأول : حياته الشخصية .

٢- الباب الثانى : مسيرتـه العلمية .

- تعقيب : حول هذه الترجمة .

تمهيد
بين الترجمة ومسلك البحث

وتنتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : الترجمة :

ويعالج المسائل الخمس التالية :

أ - المسألة الأولى : ماهيّة الترجمة .

ب - المسألة الثانية : التراجم حق العلماء .

جـ - المسألة الثالثة : الترجمة بين الإقدام عليها والإحجام عنها .

د - المسألة الرابعة : أهمية الترجمة وخطر إغفالها .

هـ - المسألة الخامسة : حتمية الترجمة .

٢ - المطلب الثاني : مسلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مرحلة المطالعة .

ب - المسألة الثانية : مرحلة المراسلة .

جـ - المسألة الثالثة : مرحلة الملاقاة .

المطلب الأول

الترجمـــــة

إن الترجمة فى حقيقتها تعنى الكتابة عن شخص ما ، سواء كان عالماً أو غيره ، وهى بهذا تقوم مقام شخصيته من حيث إبراز صورته ، وبيان مكانته، وتقويم منزلته فى عظمتها أو توسطها أو خلافهما ، وهذا ما يمكن أن نستجليه من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الأولى

ماهية الترجمـــة

وتنتظم الحديث عن جانبىْ الترجمة وقسميْها وأنواع المترجمين على النحو التالى :

● **جانبا الترجمة :**

والترجمة باعتبار حقيقتها تُعَدُّ ذات جانبين :

١- الجانب الشخصىّ :

وهو عبارة عن السيرة الشخصية التى تُعَرِّفُ بشخص صاحبها وحقيقته ، وتصف صورته وهيئته ، وتُبيِّن منزلته ومكانته ، وكأنها بذلك تستحضره لتجعله ماثلاً أمام عينىْ مَنْ يُطالِعُ ترجمته ، ومرتسماً فى خيال مَنْ يقرأ عنه .

٢- الجانب العلمى :

وهو عبارة عن السيرة العلمية التى تُعَرِّفُ بمسلك صاحبها فى طلب العلم ، وتبيِّن منهجه فى تحصيله ونشره ؛ بما يمكن أن يُعدَّ نهجاً يَقْتَدى به مَنْ أراد أن يسلك سبيله ، ويحذو حذوه مَنْ أراد أن ينسج على منواله ، مستفيداً فى ذلك كله بأقواله ، ومهتدياً بأفعاله .

● **قسما الترجمة :**

كما أن الترجمة باعتبار نوعها تنقسم إلى قسمين :

١- الترجمة الذاتيّة :

وتشمل السيرة الشخصية وكذا العلمية التى يكتبها الشخص عن نفسه ، بادئاً فى ذلك بطفولته ، ومنتهياً بلحظة تدوين ترجمته ، ومتلزماً فى هذا كله بتسجيل ماله وما عليه عبر مراحل عمره ، وأطوار حياته المختلفة ، وهذا القسم من التراجم هو أصدق ما يكون حالما التزم صاحبه الاعتدال والأمانة فيما يكتبه عن نفسه .

ولقد ترجم خلق كثيـرون لأنفسهم من العلماء والفلاسفة وغيـرهم ؛ فصارت تراجمهم لأنفسهم بمنزلة المرجع الرئيس لكل مَنْ كتب عنهم فيما بعد من تلاميذهم وغيرهم ، ونذكر من هؤلاء العلمـاء بعضـاً منهم تنبيهـاً بهم على غـيرهم ألا وهم : (ابن سـينا - العمـاد الأصفهانىّ - ابن الخطيب - ابن خلدون - وأخيراً السيوطىّ)[1] .

---

(١) وفيما يلى موجز تراجمهم بترتيب وفاتهم على النحو التالى :

•• **ابن سينا ت (٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) :**

هو أبو على الحـسين بن عبـد الله بن الحسن بن على بن سـينا البَلْخى ثم البخـارىّ الحنفى ، العلاّمة الشهير، الطبيب الفيلسوف، والملقب بـ (الشيخ الرئيس) برع فى الطب والفلسفة والمنطق، وألَّف ما يقـرب من مائة مصنف منها : (الشـفاء - النجاة - الإشارات - القـانون) ومن رسائله البديعـة : (رسالة حى بن يقظان - رسالة الطيـر) وقد رَدَّ عليه أبو حامـد الغزالىّ ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢م) فى كتابه (تهـافت الفلاسفة) فَكَفَّرَه فى ثلاث مـسائل وبَدَّعَه فى سبع عشـرة أخرى من جملة عشرين مسألة أخذها عليه ويقال : إن تاب قبل موته ، كما أنه أصيب آنذاك بمرض (القُولَنْج) فَتُوُفِّىَ به ودفن بـ (هَمَذَان) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- عيون الأنباء فى طبـقات الأطباء : لموفق الدين أبى العباس أحمد بن القـاسم السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أُصَيْبـعة ت (٦٦٨ هـ = ١٤٦٢م) - ص (٤٣٧ - ٤٥٩) - شرح وتحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
- وفيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان : لأبى العباس شمس الدين أحمـد بن محمد بن أبى بكر بن خَلِّكان ت (٦٨١هـ = ١٢٨٢م) - (٢/ ١٥٧ - ١٦٢) - تحقيق : د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- سيـر أعلام النبـلاء: للإمام شمـس الدين محمـد بن أحمـد بن عثمـان الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (١٧/ ٥٣١ - ٥٣٧) - حقـقه وخـرّج أحاديثه وعـلّق عليه : (شعـيب الأرنؤوط) مع (محمد نعيم العرقسوسىّ) - الطبعة١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م .
- البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعـيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) - (٥/ ٦٦٧ - ٦٦٨) - تحـقيق : (د. عبـد الله بن عبـد المحسن التـركى) بالتعـاون مع : (مركز البحوث والـدراسات العربية والإسلامـية بدار هجر) - الطبـعة ١ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٥م .
- الجواهر المضيّة فى طبقـات الحنفية : لمحيى الدين أبى محمد عبد القادر بن مـحمد بن محمد بن نصـر الله بن سالم بن أبى الوفـاء القـرشى الحنفى ت (٧٧٥هـ = ١٣٧٤م) - (٢/ ٦٣ - ٦٤) - تحقيـق : د. عبد الفتـاح محمد الحلو - مطبـعة عيسى البـابى الحلبى - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

•• **العماد الأصفهانى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) :**

هو القاضى الإمام ، العلاّمة المفتى ، المنشىء البليغ ، الشافعى الوزير عماد الدين أبو عبد الله محـمد بن مـحمـد بن حامـد بن محـمد بن عبـد الله بن على بن مـحمود بن هبـة الله بن أُلُه=

... ...

= الأصبهانى الكاتب، والمعروف بابن أخى العزيز ، و(ألُه) : لفظ فارسى معناه (العُقَاب) حَدَّث ببغداد والشام ومصر ، واتصل بكل من الوزير ابن هُبَيْرَة والملك نور الدين محمود زَنْكى والملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ؛ فقربوه إليهم ، وعلت منزلته لديهم ، وقد ألَّف مصنفات عديدة منها : (خريدة القصر وجريدة العصر - البرق الشامى - ديوان الرسائل الكبير) وقد تُوُفِّىَ فى عامه المذكور ودفن فى (مقابر الصوفية) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ الذهبى ٢١/٣٤٥ - ٣٥٠ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩م) - (١١/١٩ - ٢٨) - الطبعة الأخيرة - راجعته : وزارة المعارف العمومية - طبع : دار المأمون - القاهرة - (د.ت) .
- التكملة لوفيات النَّقَلَة : لزكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ت (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) - (٢/٢٨٦ - ٢٨٩) - حققه وعلّق عليه : د. بشّار عوّاد معروف - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين أبى نصر عبد الوهّاب بن على بن على الكافى السبكى ت (٧٧١هـ = ١٣٧٠م) - (٦/١٧٨ - ١٨٣) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحى) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م .

●● ابن الخطيب ت (٧٧٦ هـ = ١٣٧٤م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلمانىّ القرطبىّ ثم الغرناطىّ ، كان سلفه يعرفون قديماً بـ (بنى وزير) ثم صاروا يعرفون بـ (بنى الخطيب) برع فى القراءات والعربية ، وأخذ الطب والمنطق والحساب عن الفيلسوف أبى زكريا يحيى بن هُذَيْل ، وقد ألّف مصنفات عديدة منها : (الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة - الإحاطة بما تَيَسَّر من تاريخ غرناطة - ديوان شعر فى سِفْرين) و (الحُلَل المرقومة فى اللمع المنظومة : وهو أرجوزة من ألف بيت فى أصول الفقه) عمل وزيراً لأبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد بن نصر بن الأحمر ثم من بعده لولده محمد ؛ ولعله لذلك قيل له : (ذو الوزارتين) وقد مات مخنوقاً فى سجنه من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الإحاطة فى أخبار غرناطة : لذى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب - (٤/٤٣٨ - ٦٣٤) - حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر : مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - (٤/٨٨ - ٩٣) - حققه وقدّم له ووضع فهارسه : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د .ت) .

●● ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦م) :

هو الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعى البحّاثة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمى ، من ولد وائل=

... ...

= ابن حجر ، التونسى الأصل ، ثم القاهرى المالكى ، المعروف بابن خلدون ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وأخذ على أبى البركات البلقينى والوادى آشى وغيرهما ، كما اعتنى بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً ، فضلاً عن الأدب وأمور الخط والكتابة ، وتوجّه أخيراً إلى مصر فأكرمه السلطان الظاهر برقوق ، وتولى قضاء المالكية غير أنه احتفظ بزىٍّ بلاده ولم يتزىّ بزىّ القضاة ، وقد ألفّ مصنفات عديدة فى الإنشاءات النثرية والشعرية ، غير أن أشهرها : (التاريخ المترجم بـ : العبر فى تاريخ الملوك والأمم والبربر) والذى حوت مقدمته جميع العلوم ، وقد مات ابن خلدون فجأة فى رمضان المعظم من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للمؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٦م) - (٤/ ١٤٥ - ١٤٩) - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د.ت) .
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور : لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤م) - ص ٧٥٤ - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوچيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ببيروت - ثم طبع بدار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى - (٤/ ١٠٦ - ١٠٧) - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .
- ابن خلدون (أبو علم الاجتماع): لسليمان فيّاض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية - القاهرة - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .
- المقدمة : لابن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

•• السيوطىّ ت (٩١١هـ - ١٥٠٥م) :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر الخضيرىّ الأسيوطىّ أو السيوطىّ ، ولد بالقاهرة عام (٨٤٩هـ - ١٤٤٥م) وتوفى بها من عامه المذكور ودفن بضاحية (مصر العتيقة) أو ما يعرف الآن بمنطقة (مصر القديمة) - والخضيرىّ : نسبة إلى مَحَلَّة ببغداد تعرف بـ (الخضيريّة) والتى نزح منها جده الأعلى (همّام الدين) زمن الدولة الأيوبية ، حيث استوطن (أسيوط) ثم نشأ فيها عَقِبُه ، وعاشت بها ذريته - وأما السُّيوطىّ : فنسبة إلى مدينة (أسيوط) بصعيد مصر حيث مسقط رأس والده بعد عام (٨٠٠هـ = ١٣٩٨م) قبل قدومه إلى (القاهرة) واستقراره بها .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- حُسْن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .
- الحافظ جلال الدين السُّيوطى (إمام المجتهدين والمجدّدين فى عصره) : عبد الحفيظ فرغلى القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .

٢- الترجمة غير الذاتية :

وهى مجموع ما يكتبه غيره عنه من تلاميذه خاصة ، ومن غيرهم من طلاب العلم والمشتغلين به عامة ، ليسجلوا بهذا سيرته بجانبيها الشخصى والعلمى على السواء .

- **أنواع المترجمين :**

غير أن هؤلاء المترجمين ينقسمون إزاء ترجمتهم لغيرهم إلى ثلاثة أنواع :

١- قريب متحيز :

حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له من خلال زاوية واحدة فقط ، ألا وهى زاوية العاطفة ؛ ومن ثم يقع تحت تأثيرها الجارف ؛ فتحالفه المبالغة والإفراط فيما يكتبه ، ويصدق عليه قول الشاعر فى الشطر الأول من البيت :

وَعَيْنِ الرِّضا عنْ كلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ...

٢- بعيد متحامل :

وهو عكس النوع الأول تماماً ، حيث ينظر إلى مَنْ يترجم له بعين السخط فقط ؛ ومن ثم يكون متحاملاً منفعلاً ؛ فيحالفه التجنى والتفريط فيما يكتبه ؛ وعندئذ يصدق فيه الشطر الثانى من البيت :

... ولَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيَا[1]

(١) لم نستدل على هذا البيت فى كل من :

- معجم الشواهد العربية : عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .
- معجم شواهد النحو الشعرية : د. حنا جميل حدّاد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

غير أننا قد عثرنا على هذا البيت منسوباً إلى المتنبى أبى الطيب فى :

- التمثيل والمحاضرة : لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ص ٣١٠ - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

كما عثرنا على نفس البيت منسوباً إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بلفظ (فعين الرضا) بدلاً من (وعين الرضا) وذلك فى :

- بهجة المَجَالس وأنس المُجَالس ، وشحذ الذاهن والهاجس : لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرىّ القرطبىّ - ١/ ٨١٤ - تحقيق : محمد مرسى الخولى - مراجعة : د. عبد القادر القط - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - (د.ت) . =

٣- محايد معتدل :

أما هـذا النوع من المترجمين فهو منصف فى النظر إلى مَنْ يترجم له ؛ حيث ينظر إليه بعين الحياد والإعتـدال ذاكراً ما له وما عليه فى صدق وأمانة ، وملتزماً فى ذلك بميزان الحق دون إفراط أو تفريط ؛ ولـذا فـإن هـذا النوع مـن المترجمين يُعْذَرُ فيما يُقَصِّرُ دون ذكره بغير قصد منه فيما يكتبه عن غيره ، وشفـعيه فى ذلك حرصه على التزام الحياد والاعتدال ، إلى الحد الذى ينشد معه بلوغ التمام والكمال ، وكأنه المقصود بعينه فى قول أبى الطيب المتنبى :

وَلَمْ أَرَ فــى عُيُوبِ الناس عَيْبًا كَنَقْصِ القادرين على التمامِ[1]

المسألة الثانية

التراجم حَقّ العلماء

ليس من شك فى أن تراجم العلماء حَـقٌّ لهم على مَنْ بعدهم مِنْ تلاميذهـم خاصة ، ومِنْ غيرهم مِنْ طلاب العلم والمشتغلين به عامـة ؛ فبالترجمة يحفظ الخلف تراث السلف ، ويقوم اللاحـقون بحق السابقين فى حـفظ تاريخهم ، وتدوين سـيرهم ؛ خدمـةً لتراثهم ، وإحياءً لذكرهم ، وهم فى حقيقة الأمـر وواقعه إنما يحفظون العلم ذاته ، يصونون شرفه ، ويؤدون أمـانتـه ؛ ومن ثم يُنْسَبُ الفـضلُ لأهله ، ويُذكـر العلم بذويه ، من خـلال ذكـر محـاسن العلماء ومآثرهـم ، وطـلب الدعـاء لهم والترحم عليهـم ، وهذا كله من بركات العلم وخيرات عوائده .

= وأخيراً فإنه يلاحظ كثرة ورود هذا البيت بلفظيْه معاً (وعين الرضا) وكذا (فعين الرضا) فى :

- تفسير الطبرىّ المعروف بـ (جامع البيان عن تأويل القرآن): لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - مراجعة وتخريج : أحمـد محمد شاكر - تحقيق وتعليق : محمـود محمد شاكر - سلسلة (تراث الإسلام) - الطبعـة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) - نشـر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) .

(١) ورد هذا البيت بلفظه المذكور فى :

- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى : لأبى العلاء المعرىّ ١٣٩/٤ - تحقـيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د.ت) .

كما ورد هذا البيت بلفظ (شيئا) بدلاً من (عيبا) فى كل من :

- ديوان المتنبى : ص ٤٧٦ - صَحَّح هذه الطبعة وقارن نسخهـا وجمع تعليقاتها : د. عبد الوهّاب عزام - طبع : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .
- ديوان أبى الطيب المتنبى : ١٤٥/٤ - شـرح أبى البقـاء العكبرىّ المسمى بـ (التـبيان فـى شرح الديوان) - ضبطه وصححه ووضع فهارس : (د. مصطفى السّقا) بالاشتراك مع (إبراهيم الإبيارى - عبد الحفيظ شلبى) - طبع ونشر : مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦م .

وليس أَدَلَّ على ذلك مما رواه القاضى عياض عن بعض مشايخه حينما وَجَّه إليهم قولاً يحمل معنى العتاب واللوم من جانب ، كما يحمل معنى الرجاء والطلب من جانب آخر ؛ عَلَّهُم بذلك يتذكرون ! فماذا قال لهم شيخهم ؟ لقد عاتبهم متعجباً بقوله : مالكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدون منا ، ثم تذكروننا فلا تترطمون علينا ؟![1] .

حقاً ، إنه ربط أصيل بين العلم والعالم ، وتنبيه أكيد على وجوب الاعتراف بفضل العلماء على مَنْ بعدهم ، وذلك بالترجمة لهم بعد رحيلهم ؛ حتى تُرَدَّ إليهم بعضُ حقوقهم ، وبذلك يكون تواصل العلم والتواصى به بين طلابه ومريديه عبر الأجيال المتعاقبة والعصور المتلاحقة .

المسألة الثالثة

الترجمة بين الإقدام عليها والإحجام عنها

وإزاء التحرج من الإقدام على الترجمة والتقصير فيها ، أو عدم تناولها والإحجام عنها ، فإنا نؤيد ما ذهب إليه الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى الأول فيما يقرره بصدد موقف كل من الأصدقاء والأعداء ومَنْ بينهما من ذلك ، حيث يقول ما نصه : وقد يتحرج الأصدقاء مخافة التهمة والتأثر بالألفة ، أو يتوقف الأعداء مكتفين بالإغضاء ، أو يتردد الآخرون خشية التقصير ؛ ولهذا فقد تذهب الشخصية الفذة دون كتابة عنها ؛ فيفتقدها الحاضرون ، ويفقد سيرتها القادمون ، علماً بأن سيرة الرجال مدرسة الأجيال[2] .

ومن ثم؛ فإن الإقدام على الترجمة وإنْ شابها شيء من التأثر أو التقصير غير المقصود ، فهى ولاشك خير وأنفع من الإحجام عنها أو التفريط فيها ؛ لما فى ذلك من الضرر البالغ ، والخطر العظيم ، وحسبنا فى ذلك قناعتنا بأن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

المسألة الرابعة

أهمية الترجمة وخطرُ إغفالها

إن إغفال تراجم العلماء الذين يتم تناولهم من خلال دراسة تراثهم أو تحقيقه أو تصنيفه أو ما إلى ذلك من ألوان البحث المعروفة ؛ ليعد أمراً من الخطورة بمكان من حيث إنه ضياع لحقوقهم ، وإهمال لتراثهم ، ومن ثم ضياع حقوق الأمة كلها ، وإهمال تراثها ، كما أنه

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٢ (من المقدمة) .

لون من ألوان عدم الوفاء لهم أو الترحم عليهم ، كفاء ما قدموا ، وجزاء ما أفادوا !! ومن هنا كان السؤال الذى يفـرض نفسه : هل يمكنُ أنْ تُغْفَل تراجمُ هؤلاء العلماء ، أو يُسْـتَهَانَ بأهميتها فى البحث ؟!

ويأتى الجواب بالنفى القاطع ، فكيف يمكن ذلك ؛ والترجمة فى المقام الأول هى مِفْتاح فَهْمِ تراث هؤلاء العلمـاء الفكرى ، وسبيل معـرفة منهجهم العلمى ؛ وبالتـالى فَهْمُ تراث الأمة ومعرفة منهجها على مدار عصورها المتلاحقة ، وعبر أجيالها المتعاقبة .

المسألة الخامسة

حتمية الترجمـــة

لما كانت الترجمـة تحتل هذا الموقع من الأهمية ، ولما كان إغفـالها يحتل هذا الموقع من الخطر ؛ لذا فإننا نجـد المكتبات الإسلامـية فى مشـارق الأرض ومغاربها وقـد ملئت بتراجم وسِيَرِ العلماء الأعلام منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحتى يومنا هذا ؛ لتكون بمثابة السجل الحافل الذى يضم بين أنصع صفحاته تراث الأمة جيلاً بعد جيل .

وقـد لا أكون مـبالغـا إذا قلت : إن تراجم العلمـاء السابقين هى مـدارس الحاضـرين واللاحقين ؛ فتـراجم العلماء تجعلهم وكأنهم فى عِـدَاد الأحياء الذين يعيـشون بين ظهرانىْ الأجيال بسيرتهم وتاريخهم ، يَهْدونهم ويعلمونهم ، على مر العصور ، وتعاقب الدهور .

وصدق السـخاوى فيـما ذهب إليـه ، حيث أُثِرَ عنه أنه قال : (مَنْ وَرَّخَ مـؤمناً فكأنما أحياه)[1] أى مَنْ ترجم لمؤمن وأَرَّخَ لحياته ، فكأنما جعله بمنزلة الأحـياء ، من حيث تسجيل سيرته ، وتدوين تاريخه ؛ ليتعرف عليه الحاضرون ، ومِنْ بعدهم اللاحقون .

وهكذا تتأكد حتمـية الترجمة ، وتتبلور أهميتهـا القصوى ؛ لما فى ذلك من تخليد ذكر العلماء الأعلام ، ومن ثم بقاء تراث الأمة على مَرِّ الأيام .

* * *

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ (من المقدمـة) - والقول المذكور ليس قول السخاوىّ ، وإنما نقله عن أبى العباس أحمد بن على بن أبى بكر بن عيسى بن محمد الميورقى - راجع فى ذلك :

- (الإعلام بالتوبيخ لِمَنْ ذَمَّ التاريخ) : للحافظ شمس الدين محـمد بن عبد الرحمن السخاوى ت (٩٠٢هـ = ١٤٩٧م) - ص ٢٨ - نشر : دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د.ت) .

المطلب الثانى

مسلك البحث

لقد سلكت إزاء ترجمة الشنقيطى كل سبيل ممكنة ، وأخذت بكل سبب مُتَاح ؛ وذلك لمعرفة المزيد مما يتصل بحياته الشخصية ، ويُعَرِّفُ بسيرته العلمية ، من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

مرحلة المطالعة

حيث طالعت فى البداية ما كتبه الشيخ عطية محمد سالم بشأن ترجمته لشيخه الشنقيطى[1] تلك الترجمة التى تعد المصدر الرئيس ، والمرجع الوحيد ، لكل مَنْ أراد أن يترجم للشنقيطى أو يكتب عنه ، بل إن ما بعدها يُعَدُّ عالةً عليها ، وهو منها بمنزلة الفرع من الأصل ؛ وذلك لما لها من السَّبْق والخصوصية ، والأهمية والشمولية ، بما ليس لغيرها فى بابها ، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكاتبها الشيخ عطية قد حظى من شيخه بما لم يَحْظَ به غيره ؟!

فكان له ماله من حُسْن الصحبة ، وطول العشرة ، ودوام الملازمة ، ومواصلة الطلب ، معهدًا وجامعةً ، منزلاً ومسجدًا ، ليلاً ونهارًا ، حلاً وترحالاً ؛ الأمر الذى استحق به الشيخ عطية أن يكونَ أَخَصَّ تلامذة الشنقيطى ، بل أقربَهُم إليه ، وأَبَرَّهُم به .

وبالرغم من مطالعة تلك الترجمة؛ إلا أننى اطلعت أيضاً على ما كتبه الآخرون ممن اعتمدوا عليها ، أو رجعوا إليها ، عن طريق النقل أو الاختصار أو الاقتباس ، إلى غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ وليس ذلك إلا جمعاً للنفع ، وإتماماً للفائدة ، بما قد يكون أضافه هؤلاء أولئك من ملاحظات خاصة ، أو انطباعات ذاتية ؛ مما قد يفيد منها هذا البحث حول تلك الترجمة وصاحبها[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣ - ٦٤ (من المقدمة بقلم الشيخ عطية بعنوان : مع صاحب الفضيلة والدن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من الدراسات الإسلامية الآتى ذكرها :

- الإقليد فى الأسماء والصفات ، والإجتهاد والتقليد) : تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزَّاع - الطبعة ١ - طبع : (المكتبة الإسلامية عمان الأردن) - نشر : (مكتبة ابن تيمية الطالبية الهرم الجيزة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م . =

المسألة الثانية

مرحلة المراسلة

وبعد مطالعة ترجمة الشنقيطىّ بقلم تلميذه الشيخ عطية كان أن وقفت على جملة من التساؤلات والاستفسارات التى تتعلق بحياة شيخه ومنهجه فى التفسير ، ولم يكن أمامى لإجابة مطلبى سوى مراسلة الشيخ عطية الذى سطرت إليه رسالة جامعة بالمطلوب ، غير أن انشغاله بشئون العلم والقضاء، وضيق وقته بهما ؛ قد حال دون رده العاجل إزاء ما طلبت ، ولما استبطأت الرد ؛ كان أن أرسلت إليه العديد من الرسل الذين أوصيتهم بلقائه ، ومتابعة الأمر معه[1] .

=
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشرة والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .
- حِلية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار النفائس بيروت لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م) - نشر : (دار الاعتصام القاهرة - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) .
- القول السديد فى كشف حقيقة التقليد : نشر مقتدى حسن الأزهرىّ - الطبعة ١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
- محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .
- منسك الإمام الشنقيطى : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى (المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣هـ) وهو مجموع من تفسيره : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) - جمع ورتبه وحققه وعلق عليه ووضع عناوينه وفهارسه وعرَّفَ به وبمؤلفه كل من : (د. عبد الله ابن محمد بن أحمد الطيَّار) مع (د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان) - الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .
- نثر الورود على مراقى السُّعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطىّ - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود محمد الخُضر القاضى - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

(١) وأخص منهم الأخ الأستاذ محمد خضر القوصىّ المصرى رئيس القسم الإسلامىّ بجريدة (المدينة المنورة) بجدة بالمملكة العربية السعودية ، والأخ الأستاذ محمد حلفاية المصرى المصحح اللغوى بنفس الجريدة .

وبعد حوالى عام تفضل مشكوراً بالرد على رسالتى من خلال (شريط مسجل) أحال فى بعض منه على ترجمته لشيخه فى مقدمة (أضواء البيان)[1] .

المسألة الثالثة

مرحلة الملاقاة

خامرنى إحساس عميق ، وراودتنى رغبة مُلِّحَة ؛ فى لقاء الشيخ عطية وأبناء الشنقيطى وذويه ؛ وذلك العظيم يقينى ، وكبير ثقتى ؛ بأن هناك جوانب كثيرة من حياة الشنقيطى لازالت بحاجة إلى الإضاءة والإيضاح ، بل إن بعضاً منها لا يزال مستوراً لمّا يكشف عنه النقاب ؛ ومن ثم فقد تحتم اللقاء .

ولم يَمْضِ وقت طويل حتى أكرمنى الله تعالى بأول عُمْرَة لى فى حياتى ؛ والتى على إثرها كان لقائى الأول بالمدينة المنورة بكل من الشيخ عطية ، والدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى[2] ثم بالابن الأصغر الدكتور عبد الله[3] .

ثم توالت اللقاءات فيما بعد بهم جميعاً، وكذا ببعض بنىْ عمومة الشنقيطى[4] وتلامذته[5] وذلك عن طريق صُحْبَة طيبة من المصريين الأخيار الذين تربطهم بهم صلة قلبية وعلمية[6] .

---

(١) كانت رسالتى إلى الشيخ عطية بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨م على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .

كما كان رده على رسالتى بعد عام تقريباً بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩هـ = ١٨ من أبريل ١٩٨٩م على مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ولازلت أحتفظ بكل من الرسالة والرد المسجل عليها .

(٢) وكان ذلك فى غضون عام ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م حيث تم هذا اللقاء عِشَاءً بمنزل الدكتور محمد المختار الذى يحمل رقم ٣ بحارة المغربة بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوىّ الشريف ، وهو ذات المنزل الذى كان يقطنه والده الشنقيطى ، بل وبين جدران مكتبته الخاصة التى كان يطالع فيها .

(٣) وكان ذلك بمنزله أيضاً بأطراف المدينة المنورة .

(٤) ومنهم الأستاذ محفوظ بن محمد الأمين الجكنىّ الشنقيطىّ مدير إدارة العلاقات العامة بمجمع الملك فهد الطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

(٥) ومنهم الدكتور يعقوب طالب عبيدى الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو من الشناقطة كذلك .

(٦) ونخصٌ منهم بالذكر كلا من :

- الأخ عبد الفتاح الزينىّ : المالك الوحيد لحق طبع مؤلفات الشنقيطىّ بموجب إذن رسمىّ من ورثته الشرعيين ، وصاحب مكتبة ابن تيميّة بالطالبية بالهرم بمصر ، والقائمة على طبع تلك المؤلفات ونشرها .
- الأخ عادل السُكرىّ : مدير دار البخارى للنشر والتوزيع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والقائم على طبع معظم مؤلفات ابنىْ الشنقيطى : الدكتور محمد المختار ، وأخيه الدكتور =

وبهذا اللقاء أتيحت لىّ الفرصة لسماع وجمع الأخبار من مصادرها الأصيلة المباشرة ، والتى لم تتضمنها ترجمة الشنقيطىّ السابقة بقلم تليمذه الشيخ عطية ، والذى أشار نفسه إلى جدوى وضرورة اللقيا والسماع بالنسبة لكل مَنْ يريد الترجمة لشيخه أو الكتابة عنه ؛ حيث يقول : والحال أنه لا مرجع لمن يكتب عنه إلا الخلطة وطول العشرة ، وتصيد الأخبار من ذويه الأخيار[1] .

هذا بالإضافة إلى المحاضرة القيّمة التى ألقاها الدكتور عبد الله عن والده الشنقيطىّ تحت عنوان : (الدُّرُّ الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) والتى أضاءت جوانب جديدة من حياته الشخصية والعلمية[2] .

* * *

وبعد : فيقول الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطىّ ما نصه : وإنى لأعتبر ما أقدمه بداية لانهاية ، وتذكرة للآخرين من حاضرين وغائبين ؛ لعلهم يتمون ما بقى ، ويكلمون ما نقص[3] . ثم يختم تلك الترجمة بقوله : هذا ما وسعنى ذكره ، ولعل من أبنائه الحضور أو غيرهم مَنْ لديه المزيد على ذلك[4] .

والحق أن الشيخ عطية على صواب فيما ذهب إليه بهذا الصَّدَد ؛ لأن الترجمة لشخص ما ، أو الكتابة عنه، لن تكون شافية كافية، ولا وافية ضافية ؛ إلا بتعدد الكُتَّاب عنه؛ وكثرة ورود الأقلام عليه .

= عبد الله ، الأستاذين بنفس الجامعة .

- الأخ الدكتور جمال السيِّد : الباحث بمركز السُّنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأحد أبنائها الذين تربطهم صلة قوية بأبناء الشنقيطىّ وذويه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٢ (من المقدمة) .

(٢) ألقيت هذه المحاضرة ليلة الثلاثاء الموافق (الثالث من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ = التاسع من ديسمبر ١٩٩١م) وقد سُجِّلَتْ على شريط أصدرته كل من : تسجيلات الآثار الإسلامية بجدة ، وتسجيلات مكتبة النجاة السمعية بالمدينة المنورة - ولازالت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/١٦ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٥٩ (من المقدمة) .

الباب الأول

حياته الشخصية

وينتظم تمهيدًا وستة فصول :

- تمهيد : بين يديْ هذا الباب .

١ - **الفصل الأول** : قبيلته وأسرته .

٢- **الفصل الثانى** : اسمه ولقبه وسَمِيُّه .

٣- **الفصل الثالث** : مولده ونشأته .

٤- **الفصل الرابع** : صفاته الخِلْقية والخُلُقية والعِلْمية .

٥- **الفصل الخامس** : زواجه وأولاده .

٦- **الفصل السادس** : وفاته ورثاؤه وحُسْنُ خاتمته .

تمهيد

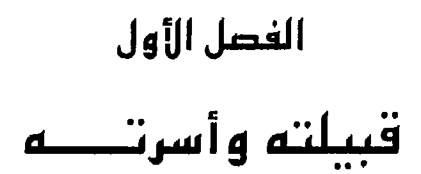
بين يدىْ هذا الباب

يـــدور حديثـنا فى هذا الباب حول حـياة الشنقـيطى الشخصـية بما تنتظمـه من مراحل مختلفة ، ومـا تحويه مـن أطوار عديدة ، انطوت عليها رحلة عمـره الممتدة ، والتى بدأها بمولده ومهده ، واختتمها بوفاته ولحده .

ففى أسرته الصـغيرة كانت ولادته ، وبين أحضـان قبيلته (بنى جاكـان) كانت نشأته ، خِلْقته على هيئـتهما ، وتكوينه على خصالهـما ، ولا يزال كذلك حتى شبَّ عن الطوق ، وطلب العلم ، آخذاً منه بخط وافر ، ومظهراً فيه نبوغاً ملحوظاً .

وهنا يستجـيب لداعّى الفطرة فيتزوج بعـد كثير إلحـاح ، وينجب ثلاثة بنتاً وولدين من هذا النكاح ، ثم بعـد هجرته إلى بلاد الحـجاز ومقـامه بهـا يوافيه الأجل ؛ فـيضع عـصا الترحال ببلد الله الحـرام عقب رجوعه من حجـه الأخير ، وليصير مـثواه بذات الثرى الذى يضم مثوى أم المؤمنين السيدة خديجة ﵁ بمقبرة (المَعْلاَة) بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة .

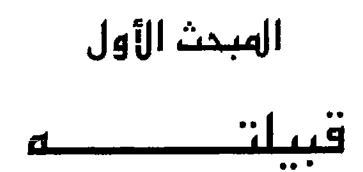
وفيما يلى نعرض لرحلة عمره الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :



وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : قبيلـته .

٢- المبحث الثانى : أسرته .



وتنتظم المطلبين التاليين :

١- المطلب الأول : أصـــل القبيلة .

٢- المطلب الثانى : صفات القبلية .

المطلب الأول

أصـــــل القبيلة[1]

ينحدر الشنقيطى من أسرة تنتمى إلى قبيلة : (بنى جاكن أو بنى جاكان) نسبة إلى جدها الأكبر المعـروف بـ : (جاكن الأَبَرّ) كما يعـرف (الجكنيون) بـ : (تَجكَانْت)[2] ويتنازع أصل هذه القبيلة قولان :

● **القول الأول : إن أصلها يرجع إلى (حِميَر) :**

وممـن قال بـه الشيخ عطية ، واستدل عليه بما ورد عـلى لسان شاعر موريتانى مجهول الاسم فى قوله :

يـا قـائلاً طاعناً فـى أننـا عـربُ ... قـد كَـذَّبَتْكَ لنا لُسْـنٌ وألـوانُ

وَسْمُ العـروبـة باد فـى شمـائلنا ... وفـى أوائلنا عـزٌّ وإيمـانُ

آسَادُ (حِمْيَرَ) والأبطالُ مِـنْ مُضَرٍ ... حُمْرُ السُّيوفِ ، فما ذَلُّوا ولا هَانُوا[3]

● **القول الثانى : إن أصلها يرجع إلى (غالِب) :**

وهـو جَـدٌّ رسول الله ﷺ وممـن قال به الشـيخ أحـمد بن أحـمـد المختـار الجكنى الشنقيطـى ، واستدل عليـه بما ورد على لسان الشاعـر الموريتانى مـحمد الحسن بن الإمام الحاجى الجكنى فى قوله :

---

(١) بدأ هذا الفصل بذكر قـبيلة الشنقيطى وأسرته قبل ذكـره ؛ نظراً لأنهما سابقتـان عليه فى الوجود ، فضلاً عن كـونهما البيئـة الأولى التى احتضنته بعادتهـا وطَبَعَتْه بتقـاليدها ؛ ومن ثم كان من الأنسب البَدْء بذكرهمـا قبل ذكره ، لإمكان الاستدلال بهـما عليه من حيث صفـاته التى اكتسبهـا منهما فى صغره ثم ظهرت عليه فى كبره .

(٢) انظر وصف (الجكنيين) بـ : (تَجكَانْت) فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .
- الوسيط فى تـراجم أدباء شنقيط : أحمـد بن الأمين الشنقيطـىّ ص ٢٧٧ – ط٣ – عناية : فؤاد سيد (أمين المخطوطات بدار الكتب المصـرية) – نشر : (مكتبة الخانجى بمصر) مع (مـكتبة الوحدة العربية بالدار البـيضاء بالمغرب) – ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م – حيث وصف صاحب الوسـيط (شعراء الجكنيين) بقوله : (شـعراء تجكانت) – أما كلمـة (تجكانت أو تكانت) فهى تعنى الغـابة فى لسان الشناقطة ؛ ومن ثم فإنهم يطلقونها كعَلَم على موضع عظيم المساحة عندهم – راجع (الوسيط) : ص ٤٤٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقـيطى ١/١٩ (من المقدمة) – وجدير بالذكر أن الشيخ عـطية قد صرَّح برأيه هذا من خلال ردّه المسجل على رسالتنا إليه .

نحن الكرام (بنى جاكان) من مُضَر ... من (غَالب) جَدٍّ مَنْ فاقَ الورَى خَبرًا

يكفيكَ مِنْ شرف مَحْضٍ لنا وعُـلاً ... أنَّا (قُرَيْشٌ) وكلٌّ دوننا انْحَـدَرَا

النهجُ منهجُنا ، والأمـنُ مأمنُنا ... والحقُّ مذهبُنا ، والرشدُ فيه سَرَى[1]

● رأى البحث :

والحق أننا نرجّح ما ذهب إليه أصحاب القول الثانى الذين يرون أن قبيلة (بنى جاكن) إنما ترجع فى الأصل إلى (غالِب) جَدِّ رسول الله ﷺ وذلك للأسباب التالية :

١- أن الشيخ أحمد بن أحمد المختار قد وضع أيدينا على موطن الخلط ، وكشف ما حدث من لبس ؛ حيث أوضح لنا أن وجود اسم (تُبَّع) فى سلسلة نسب الجكنيين جعل أصحاب القول الأول يتوهمون أنه من (التبابعة الحِمْيَرِيَّة) بيد أن الأمر على خلاف ذلك ؛ فـ (تُبَّع) المذكور هو اسم عَلَم لأحد أجداد الجكنيين أنفسهم .

٢- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه بما هو مدون ومسجل فى النسخ المحفوظة فى كتب مشائخ الجكنيين أنفسهم ، وهو فى حد ذاته شاهد قوى ومقبول[2] .

٣- أن الشيخ أحمد استشهد على رأيه كذلك بشاعر معلوم أولاً ، ثم جكنى من نفس قبيلته ثانياً ، وذلك فى معرض دفاعه الشعرىّ السابق عن قبيلتهما (بنى جاكن) رداً على مخالفيها من أهل البدع وأعوانهم ؛ ومن ثم فهما أدرى من غيرهما بنسبهما .

٤- أن الشيخ عطية من أصحاب القول الأول قد استشهد على رأيه بشاعر موريتانى مجهول ، ولا تشفع له موريتانيته ؛ إذ ليس كل موريتانى (جكنيًّا) والعكس صحيح ، كما أن هذا الشاعر قد جمع بين (حِمْيَر) و (مُضَر) فى معرض دفاعه عن عروبتهما معاً ؛ ومن ثم لم ينص على انتمائه إلى أحدهما عامَّة ، فضلاً عن عدم نصه على (بنى جاكن) خاصَّة .

---

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ - الطبعة١ - مراجعة : عبد الله إبراهيم الأنصارى - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامى - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٢) راجع فى ذلك (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٣ .

• وبهذا يخلص البحث إلى أن نسب الشنقيطى لا يرجع فى الأصل إلى (حِمْيَر) وإنما يتصل نسبه بنسب رسول الله ﷺ من جهة جدهما (غَالِب)[1] .

المطلب الثانى

صفـــات القبيلة

لا يخفى ما يمتاز به الجكنيـون من كريم السجايا ، وحميد الخصـال ، التى يلمسها كلُّ مَنْ حَلَّ بهم ، أو نزل عليهم ، أو حتى سمع بهم ، أو قرأ عنهم ، ونستطيع أن نوجز تلك الصفات بأدلتها فيما يلى :

١- الأصالة :

وليس أدل على أصالة الجكـنيين وعراقتـهم من اتصال نسبـهم بنسب رسول الله ﷺ حيث عمق عروبتهم ، وكرم أرومتهم ، وهذا ما يشـير إليه الشيخ عطية بقوله : لقد كانت خصائص العـروبة ومميزاتها موفورة لدى الشيـخ رحمه الله ، ولدى أهله وذويه ، فى النظم والنثر[2] .

بل إن أحد شـعرائهم يعبر عـن ذلك بارتضاعهم العروبة مـن أمهاتهم ؛ فيـخاطب مَنْ ينكر عليهم ذلك بقوله :

لنا العـروبـةُ الفـصـحى ، وإنـــا   أحقُّ العَـالِمين بـهـا اضطلاعــا
عـن الكتب اقـتبـستمـوها انتـفاعـا   بما فـيهـا ، ونـرضـعـهـا ارتضاعـا[3]

وهـذا شاعـرهم محمد فـال ولـد العينين يسـتدل بفصاحـتهم على عروبتـهم ؛ حيث يفاخر بذلك قائلاً :

إنا بنو حَسَنٍ دَلَّـــتْ فصاحـتنا   أنا إلى العـرب الأقـحـاح ننتـسبُ

---

(١) حيث إن نسبـه الزكى ﷺ هو : محمد بن عـبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عـبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى بن (غَالِب) . . . إلى آخر نسـبه الشريف حتى آدم عليهما الصلاة والسلام .

• انظـر تمام نسـبه الشريف ﷺ فى (الـسيرة النبـوية) : لابن هشام - (١/ ٣ - ٦) - قـدَّمَ لها وضبطها وعـلق عليها: طه عبد الرؤوف سـعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٢) قوله : (الشيخ) أى الشنقيطى - انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٩/١ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١٩/١ .

إن لم تقم بيناتٌ أننا عـــــربُ ... ففى (اللسان) بيانُ أننا عربُ[1]

٢ - العلم :

وإذا كان طلب العلم ، ورعاية طلابه ، يمثلان الهمّ الأول ، والهدف الرئيس عند (الزوايا) من الشناقطة) عامة ؛ فإن ذلك مشهور عن (الجكنيين) من الزوايا خاصة ؛ حيث عُرِفَ عنهم حبهم للعلم وطلبهم له فى جميع أحوالهم ، سواء كان ذلك فى حِلهم وترحالهم ، أو ظعنهم وأسفارهم .

وها هو شيخهم المختار بن بونا الجكنى[2] يصف طريقتهم فى طلب العلم ، وهيئة تدريسهم له فيقول :

ونحن رَكْبٌ مِـنَ الأشراف منتظمٌ ... أَجَلُّ ذا العصرِ قَدْراً ، دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العِيْس[3] مدرسةً ... بهـا نُبَيِّنُ دينَ الله تبيانا[4]

ولذا ؛ فقد شاع فى أفواه العامة فضلاً عن غيرهم من أهل شنقيط قولهم : (العلم

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١٨/١ (من المقدمة) - ويقصد بقوله (اللسان) : أى كلامهم ونطقهم بالعربية الفصحى ، فإنْ لم يقم دليل على عروبتهم ؛ فيكفى لسانهم وما ينطقون به دليلاً على ذلك .

(٢) هو المختار بن بُوْن أو بُونَا الجكنى ، ويعرف فى بلاده شنقيط بعدة ألقاب منها : (الشيخ العَلاّمة) و (تاج العلماء) و (أبو النحو الموريتانى) مولده ووفاته هناك بين عامىْ (١٠٨٥ - ١٢٢٠هـ) عن مائة وخمسة وثلاثين عاماً هجرياً من المعمّرين المعروفين آنذاك .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٢٧٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرّاً ص ٦٢ .

(٣) العِيْس : هى الإبل البيض التى يخالط بياضَهَا شىءٌ من الشقرة أو الصفرة ، ويقال لها : (كَرَائِمُ الإِبِل) - انظر مادة (عَبَس) فى كل من : لسان العرب : ٣١٨٩/٤ - مختار الصحاح : ص ٤٦٥ - المعجم الوسيط : ٦٦٣/٢ .

(٤) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدته (النونية) والتى مطلعها : (حَدَتْ حُدَاةَ بنى يحيى بن عثمانا) فى معرض حديثه عن منهج طلب العلم فى محضرته ، ووصفه لهيئة التدريس فيها .

راجع هذه الأبيات فى كل من :

- التعليم فى موريتانيا من المحضرة إلى الجامعة : مجلة الأمة ص ٥٢ - العدد ٦٠ - السنة ٥ - قطر - ذو الحجة ١٤٠٥هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥م .
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٠ - ٢١ (من المقدمة) .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البراً ص ١٥ .
- إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٢ .

جكنى) ويحكى أن أول مَنْ قال هذا هو الشيخ سِيْدَيَّ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى[1] .

٣ - الكَرَم :

أما عن الكرم فى الجكنيين ، فهم مفطورن عليه ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، ويأخذه صغيرهم عن كبيرهم ؛ فتراهم يتفانون فى إكرام ضيفهم ، ويجودون له بأقصى ما عندهم ، ولو كان فى ذلك مشقتهم وعناؤهم ، فضلاً عن عسرتهم وضيق حالهم .

وفى ذلك يقول الشيخ عطية : أما كرم الطبع ، فهذا سجية فى جميعهم ، وأمر يَشُبُّ فيه الصغير ، ويشيب عليه الكبير ، وقد ألفوا الضيف لِنُجْعَةِ منازلهم[2] .

ومن عاداتهم إذا نزل وفد على بيت ؛ فإن أهل هذا المنزل يرسلون لأهل بيت المضيف مما عندهم قلّ أو كثر ؛ مشاركة فى قِرَى الضيف ، وتعاوناً مع المضيف ، حتى لو كان مُعْدَمَاً ؛ غَدَا واجداً ، ويرحل الضيف وهو فى غاية الرضا ، وهكذا دواليك[3] .

وهذا يعنى أن المضيف لو كان معدماً فقيراً رقيق الحال لا يجد ما يكرم به ضيفه ؛ إلاّ أنه بمشاركة الجكنيين من أهل قبيلته له ، وبتعاونهم معه ، فإنه يصير واجداً ما يقدمه لضيفه ، قادراً على إكرامه وحُسْن وفادته .

ولذا ؛ فقد تواترت فى وصف كرم الجكنيين الأشعار ، وسارت بذكرهم الركبان ؛ فذاع صِيْتهم ، وطار خبرهم ، فى تفانيهم فى قِرَى ضيفهم ، وسعادتهم بقاصدىْ ديارهم ، وفى التمثيل لتلك الأشعار التى تصف كرم الجكنيين نكتفى بالنماذج الثلاثة التالية :

---

(١) هو الشيخ سِيْدَيَّ (سِيْدَيَّا) عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام مَحَنْضْ العلوىّ ، المتوفى فى حدود عام (١٢٣٠هـ = ١٨١٥م) وقيل : (١٢٣٣هـ = ١٨١٨م) ببلاده شنقيط ، وله تآليف عديدة ، وشروح كثيرة ، من أشهرها : (مراقى السعود) وشرحه (نشر البنود) فى أصول الإمام مالك ﷺ .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٧ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَّا ص ١٠٣ .

(٢) النُّجْعَة بوزن الرُّقْعَة : طلب الكلأ فى موضعه ، وقصد ذى المعروف لمعروفه - انظر مادة (نَجَع) فى كل من : لسان العرب : ٤٣٥٣/٦ - مختار الصحاح : ص ٦٤٧ - المعجم الوسيط : ٩٤٠/٢ - وعلى هذا يصير معنى (نجعة منازلهم) : أى يقصد الأضياف ديار الجكنيين لاشتهارها بأنها مواضع صنع المعروف لقاصديها ، ومواطن الكرام لوافديها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢١/١ (من المقدمة) .

أ - فها هو رئيس القضاء الشرعى فى موريتانيا الشيخ محمد سالم بن محمد على بن عبد الودود يقول بلسان حال الموريتانيين أنفسهم :

جزى الله عنا الحىَّ (جاكان) خيرَ ما ... جزى معشراً من حُسْنِ ما صنعوا بنا

هم خلَّدوا فى كل قطر ثَوَوْا به ... من الذكر مجداً شامخاً لشعوبنا

ونحسدهم فينا ، ونجحد فضلهم ... لنهدم ما شادوا ، وقد رفعوا بنا[1]

ب- وهذا الشريف محمد بن محمد الأمين بن سيد المختار ينشىء قصيدة كاملة فى كرم الجكنيين يقول فيها :

فقيرهم فى النائبات وغيرُهُ ... سواسية فى البذل متفقان

طِباعٌ بها سَادوا القبائلَ كُلَّهَا ... وتَاهُوا فخاراً ، والعيونُ روانى[2]

إذا قيل : أىُّ الناسِ خيرُ قبيلة ؟ ... أشارتْ إلى (جاكان) كلُّ بَنَانِ[3]

جـ- وأخيراً يقف الشيخ بابا بن الشيخ سِيْدِيَّا محيياً بنى جاكان ، مشيداً بكرمهم فيقول :

عِيدُ الوفود لَدَى اللأواء[4] (جاكانُ) ... وليس ذاك حديثَ العهد ، بل كانوا

(١) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٢) رَوَانِى من رَانَ أو رَوَنَ اليومُ يَرُوْنُ رَوْناً : أى اشتد حَرُّهُ وغَمُّهُ - انظر مادة (رَوَن) فى كل من لسان العرب : ٣/ ١٧٨٣ - المعجم الوسيط : ١/ ٣٩٧ .

وعلى هذا يصير معنى (والعيونُ رَوَانى): أى والعيون تنظر بحسرة وغَمٍّ شديدين إلى الجكنيين ؛ حسداً لهم على كرمهم الذى سادوا به القبائل كلها ، ولم يستطع غيرهم أن يبلغ شأوهم فيه .

(٣) إعداد المهج للاستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٥ .

(٤) اللأْواء : الشدة وضيق المعيشة وشدة المرض ، وفى الحديث الشريف : «مَنْ كان له ثلاث بنات ، فصبر على لأوائهن ؛ كنَّ له حجاباً من النار» - انظر مادة (لأى) فى كل من : لسان العرب : ٥/ ٣٩٧٨ - مختار الصحاح : ص ٥٨٨ - المعجم الوسيط : ٢/ ٨٤٤ .

وعلى هذا يصير معنى البيت : أن الجكنيين كانوا ولازالوا كعبة للكرم ؛ يقصدها الوفود والأضياف ، إذا ضاق بهم العيش ، واشتدت بهم الحاجة ؛ وبهذا يذهب عنهم ما بهم ، وكأنهم من سرورهم فى عيد بين ديار بنى جاكان ووسط عشائرهم .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه ابن ماجه فى سُنَنه من رواية عقبة بن عامر الجهنى ﷺ - انظر سُنَن ابن ماجه (كتاب) الأدب (باب) بر الوالد والإحسان إلى البنات - كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عقبه بن عامر ﷺ فى (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٩٥٠) - وأخرجه بمعناه أيضاً من رواية عوف بن مالك ﷺ فى (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٤٧١) وحديث رقم (٢٣٤٨٧) .

وحيثما كان مجدٌ ، كان معشرهم ولو يكون مقرَ المجد شَوْكَانُ[1]

وفي المآثرِ منْ آثارهم طرقٌ وعندهم لِمَحالِّ المجدِ إمكانُ[2]

وكأن لسان حال الموريتانيين جميعهم يعلن أن : (الكرم جكنى) كما أعلنوا من قبل أن : (العلم جكنى) .

٤ - الفروسية :

جمع الجكنيون إلى الأصالة والعلم والكرم ، أخلاق الفروسية من القوة والشجاعة ، والحسم وشدة البأس ، إلى جانب إغاثة الملهوفين ، ونجدة المستغيثين وإلى ذلك يشير الشيخ عطية بقوله : وقبيلة الجكنيين خاصة ، قد جمعت بين طلب العلم ، وفروسية القتال ، مع عفة عن أموال الناس[3] .

وها هو الشيخ بابا بن سِيْدِيَّا يمدح شجاعتهم وعفتهم ، وعزهم ورفعتهم فيقول :

وهُمْ أُسُود لدى الهيجاء ضاريةٌ وهُمْ لكعبةِ بيتِ العزِّ أركانُ[4]

وأخيراً يذكر لنا صاحب (الوسيط) يومين من أيام حروب الجكنيين مع غيرهم من القبائل الشنقيطية ، أما أحدهما : فيعرف بـ (يوم الفَلْح)[5] وفيه انتصر الجكنيون على قبيلة (كُنْتَه) وألجأوهم إلى الفرار ، وأما ثانيهما : فيعرف بـ (يوم تَاغَطَّافت)[6] وفيه انسحب الجكنيون أمام قبيلة (الأغْلاَل) التى لجأت إلى الحيلة والخدعة لإحراز النصر آنذاك[7] .

والمتأمل فى ذلك يتبين له أن حروب الجكنيين لم تكن بهدف الإغارة والاعتداء ، وإنما كانت دفاعاً ورداً للعدوان ؛ لذا فقد كان النصر حليف بنى جاكان فى معظم حروبهم ؛ لشرف هدفهم ، ونبل مقصدهم ، إلا من مرات قليلة لجأ فيها عدوهم إلى الخداع والخيانة ، والمكرو المباغتة ؛ ليوقعهم فى شَرَكِه ، ويُنْزِل بهم هزيمته .

---

(١) الشُّوَيْكَة وشُوكٌ وشَوْكَانُ : كلها أسماء لمواضع – انظر مادة (شَوَك) فى لسان العرب : ٢٣٦٣/٤ – ولعلها أماكن معروفة بكثرة شوكها ، فضلاً عن قحطها وجدبها ، وكذا سوء أرضها وتضاريسها .

(٢) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٠ (من المقدمة) .

(٤) إعداد المهج للإستفادة من المنهج : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٤ .

(٥) الفَلْح : أى الأُخْدُودُ أو الشَّقُّ من فَلَحَ الأرض إذا شقها للحرث ، وفى المثل : (الحديد بالحديد يُفْلَحُ) أى يُشَقُّ ويُقْطعُ – انظر مادة (فَلَح) فى كل من : لسان العرب : ٣٤٥٩/٥ – مختار الصحاح : ص ٥١٠ – المعجم الوسيط : ٧٢٦/٢ .

(٦) تَاغَطَّافت : لا ندرى ما المقصود بمعناه فى لسان الشناقطة ، ولم يورد صاحب (الوسيط) شيئاً عن ذلك ، على خلاف ما صنع عند ذكره معنى (الفَلْح) ولعل (تَاغَطَّافت) عَلَمٌ على الساحة التى دارت عليها رَحَى هذه الحرب ؛ ومن ثم فهى اسم لها وحسب .

(٧) الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٥٠٧ .

المبحث الثانى

أســـرتـــــه

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : والد الشنقيطى .

٢- المطلب الثانى : والدة الشنقيطى .

٣- المطلب الثالث : إخوة الشنقيطى .

المطلب الأول

والـد الشنقيطـىّ

لا نعرف عنه سوى أن اسمه : محمد المختار ، وهو جكنى من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنه ابن عم زوجته والدة الشنقيطى ، حيث يجتمع نسبهما فى جدهما لأبيهما والمعروف بـ : (أحمد نوح) وقد وُلِدَ والد الشنقيطى ببلاده شنقيط ، ثم كانت وفاته بها كذلك وقت أن كان الشنقيطى دون العاشرة من عمره ، حيث كان لا يزال آنذاك يحفظ جزء (عَمَّ) وقد ترك والده الشنقيطىّ لابنه ثروة من الحيوان والمال ؛ حيث انتقل إلى بيت أخواله ليقوموا على رعايته وتربيته .

وفى ذلك يسوق الشيخ عطية على لسان شيخه الشنقيطى ما نصه : توفى والدى وأنا صغير أقرأ فى جزء (عَمَّ) وترك لى ثروة من الحيوان والمال ، وكانت سُكْنَاىَ فى بيت أخوالى ، وأمى ابنة عم أبى[1] .

المطلب الثانى

والدة الشنقيطىّ

لا نعرف عنها كذلك سوى أنها جكنية من ذات قبيلة (بنى جاكان) كما أنها وُلِدَتْ ببلادها شنقيط ، واسم أبيها (محمد المختار) كاسم زوجها ، وقد عُمِّرَتْ والدة الشنقيطى بعد وفاة زوجها دون أن تتزوج غيره ؛ حيث تفرغت للعناية بالشنقيطى كأشد ما تكون عناية الأم بولدها ، ثم كانت وفاتها ببلادها بعد أن جَهَّزَتْ ولدها لطلب العلم وتحصيله ، بل وهيأت له كل سُبُلِه ، وذلك بعد أن أتم مرحلة البلوغ فى السادسة عشرة من عمره ، وبمساعدة أخواله ؛ فرحاً به ، وترغيباً له[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢١ (من المقدمة) .

(٢) راجع فى ذلك كلا من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطىّ (محاضرة مسجلة له عن حياة والده الشنقيطىّ ، ولازلت أحتفظ بنسخة من هذا الشريط) .
- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٢٨ (من المقدمة) .

المطلب الثالث

إخـــوة الشنقيطـــىّ

نشأ الشنقـيطى وحيد والديْــه ، حيث لم ينجبـا غيره ؛ ومن ثم فـقد وجد منهــما من العناية والرعاية ما ساعد على إعداده كأحسن مـا يكون الإعداد ، بل إنهما عملا على تهيئة كل الأجواء المحيطة به لتكون فى خـدمته ؛ إلى الحد الذى كانا يفـرغان له الدار وقت نومه وراحته عقب فراغه من طلب العلم وتحصيله[1] .

* * *

• **وبعد :** فهذه هى أسرة الشنقيطى ، وتلكم هى قبيلته (بنو جَاكَان) التى تُعَدُّ أشهر قبائل شنقيط ؛ بما لها من أصالة النسب الذى يمتـد إلى رسول الله ﷺ فضلاً عما لها من كريم السجايا ، وحميد الخِصَال .

---

(١) راجع فى ذلك كلا من :

• الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطىّ (محاضرة مسجلة) .

• أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢٨/١ (من المقدمة) .

الفصل الثانى

اسمُــه ولقبُــه وسَمِيُّــه

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : اسمه وشهرته .

٢- المبحث الثانى : لقبه واشتقاقه .

٣- المبحث الثالث : سَمِيُّه وشبيهُه .

المبحث الأول

اسمـــه وشهرتـــــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأو ل : اسمه .

٢- المطلب الثانى : شهرته .

المطلب الأول

أصـــل القبيلة

هو محمد الأمين بن محـمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحـمد نوح بن محمد بن سيـدى أحمد بن المختـار من أولاد أولاد الطالب أوبك ، وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافى بن يعقوب بن جاكن الأبَرّ [1] ثم ينتهى نسب (جَاكَن الأَبَرّ) بدوره إلى (غَالِب) جَدٍّ رسُولِ الله ﷺ [2] .

المطلب الثانى

شهرتـــــه

اشتهر الشنقيطى بين العلماء ، ولدى طلاب العلم وباحثيه ، فى البلاد الحجاز خاصة ، وسائر بـلاد العالم الإسلامىّ عـامة ، باسم : (مـحـمـد الأمين بن محـمد المختـار الجكنى الشنقيطىّ) .

١- أما (محمد الأمين) و(محمد المختار) :

فكلاهما عَلَمٌ مركب من اسمين :

- **محمد :**

وهو تبرك باسم رسول الله ﷺ وإلى هذا يشـير الشيخ عطية فـى ترجمتـه لشيـخه الشنقيطى بقوله : وهذه ترجمتـه رحمه الله كما سمعتها منه مـباشرة ، الاسم : هو محمد الأمين ، وهو علم مركب من اسمين ، وذكر محمد تبرك[3] .

- **الأمين والمختار :**

وهما من الأسماء التى يكثـر اقترانها باسم (محمد) عند الشناقطة ؛ تبـركاً وتيمناً أيضاً برسول الله ﷺ[4] وإلى هذا يشير الشـيخ محمد المجذوب بقوله : والأمين كـالمختار من

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .

(٢) راجع نسب أسرة الشنقيطى الذى يرجـع إلـى (غَالِب) جَدٍّ رســول الله ﷺ كما أثبته البحـث ص .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .

(٤) حيث عُرِفَ ﷺ قبل بعثته بـ (الصَّادق الأمين) كما أنه (المختار) الذى اختاره ربه سبحانه واصطفاه على جميع خلقه لحمل رسالة الإسلام الخاتمة .

الأسماء التى كثيراً ما تقرن باسم محمد عند الشنقيطيين ؛ تبركاً وتيمناً وتعبيراً عن حبهم لرسول الله ﷺ[1] .

٢- وأما الجَكَنى :

فنسبة إلى قبيلته (بنى جَاكَن أو بنى جَاكَان) التى تسمى باسم جدها الأكبر (جَاكَن الأَبَرّ) ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنيين) .

٣- وأما الشنقيطى :

فنسبة إلى مقسط رأسه ببلاده (شنقيط) والمعروفة الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) .

- **ملاحظات حول اسمه :**

١- يذكر البعض اسمه بتقديم الشنقيطى على الجكنى ، والأَوْلَى خلاف ذلك كما جاء فى عنوان تفسيره ؛ حيث كتب على الغلاف ما نصه : (تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى) وليس (الشنقيطى الجكنى)[2] وجدير بالذكر أن هذا العنوان قد كتب فى حياة الشنقيطى بعدما أقرّه ووافق عليه .

٢- يذكره البعض كذلك باسم : (محمد الأمين بن المختار بن عبد القادر اليعقوبى)[3] وذلك نسبة إلى (يعقوب بن جَاكَن الأَبَرّ) المذكور فى سلسلة نسبه السابق .

٣- يختصر البعض اسمه فيذكرونه بـ : (محمد الأمين الشنقيطى) اكتفاءً منهم بنسبته إلى بلاده (شنقيط) عن غيرها من النِّسَب الأخرى[4]

٤- وَهِمَ البعض ؛ حيث اختلط عليه الأمر فذكر الشنقيطى باسم : (محمد أمين) بدلاً من (محمد الأمين) بتنكير (أمين) بدلاً من (الأمين) بتعريفها[5] والواقع أن (محمد أمين) غير

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧١ .

(٢) انظر غلاف تفسيره المسمى: (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) فى جميع طبعاته .

(٣) ومنهم تلميذه وابن قبيلته : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى فى كتابه (إعداد المهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

(٤) ومنهم تلميذاه فى ترجمتهما له :

- الشيخ عطية محمد سالم فى (أضواء البيان) : ١/ ٣-٦٤ (من المقدمة) .
- الشيخ محمد المجذوب فى كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) : ١/ ١٧١ - ١٩١ .

(٥) ومنهم : مقتدى حسن الأزهرى فى كتابه الذى وسَمَه بعنوان : (القول السديد فى كشف حقيقة التقليد) - راجع فى ذلك ص من هذا البحث .

(محمد الأمين) المعنى بالبحث ؛ وقد وقع الخلط بينهما لأن كلا منهما (شنقيطى) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل .

٥- ينطق البعض اسمه بلفظ : (الشِّنْقِيطِيّ) بكسر الشين المعجمة ، والصواب : (الشَّنْقِيطِيّ) بفتحها ؛ وذلك نسبة إلى (شَنْقِيط) بالفتح ، وليست (شِنْقِيط) بالكسر[1] .

(١) راجع الضبط الصحيح للفظ شنقيط ومعناه ص من هذا البحث .

المبحث الثانى

لقبـــه واشتقاقـــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : لقبــــه .

٢- المطلب الثانى : اشتقاقــــه .

المطلب الأول

لقبـــــــــه

يلقب الشنقيطى بـ : (آبًّا) بمد الهمزة وتشديد الباء من الإِبَاء [١] .

المطلب الثانى

اشتقاقـــــــه

إذا نظرنا إلى أصل هذا اللقب فى اللغـة نجد أنه من الفـعل : (أَبَى يَأْبَى إِبَاءً وإِبَاءَةً) إذا استعـصى أو امـتنع وتَرَفَّع ، ويقـال : (رجل أَبَّاءٌ أو أُبَاءٌ) إذا أَبَى أن يُضَـام (أى رفض أن يُظْلَم) أو إذا تَرَفَّعَ عن حقه ؛ لأن له نفـساً أَبِيَّة تَعِفُّ عَمَّا لهـا من حقوق[٢] ؛ ومن ثم فإننا نرى أن أصل (آبًّا) هو : (أَبَّاءٌ أو أُبَّاءٌ) غير أنهـا جاءت ممدودة الهمزة فى أولها ، مـقصورة فى آخرها ، وكـأن الهمزة التى قصـرت فى آخرها قد زيدت فى أولها فـصارت (أَأْبًّا) ثم سُكِّنَتْ الهمزة الثانيـة المنقولة ، فى حين ظلت الهمزة الأولى الأصلية على حالهـا ؛ لتصير الكلمة (أَأْبًّا) ثم أدغـمت الساكنة فى المتحركة لتـصبحا ألفاً ممدودة ؛ ولـتؤول الكلمة فى النهاية إلى (آبًّا) كما هو اللقب .

ولهذا ما يؤيده فى لسان الشناقطة ؛ حيث يكثـر ميلهم إلى نطق أول الكلمات المهموزة بألف ممدودة ، ومن أمثلة ذلك : آدارا بدلاً من أدرار[٣] وآطار بدلاً من أطار[٤] وآوكار بدلاً من أوكار[٥] .

كما يميل الشناقطة كـذلك إلـى قصر الممدود ، وهذا أكثـر من أن يُحْصَى ؛ حيث إنه معروف فى اللغة ، مشهور فى لسان الـعرب ، ومنه : سَمَا بدلاً من سماء ، وصحرا بدلاً من صحراء ، وخضرا بدلاً من خضراء ، وهكذا دواليك .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٨ (من المقدمة) .

(٢) انظر فى ذلك مـادة (أَبَى) فى كل من : لسـان العرب : ١/١٤ - مـختـار الصحـاح : ص ٣ - المعجم الوسيط : ١/٤ .

(٣) آدرار : تعنى عند الشناقطة (الجبـل) ولذا يتخذونها علمـاً على جبال شاهقـة الارتفاع فى بلادهم - انظر (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٢٨ .

(٤) آطار : تعنى عندهم (الطريق) ويطلقونها اسماً لمدينة عظيمـة ، أكثر دوراً ونخيلاً من مدينة شنقيط - انظر المصدر السابق : ص ٤٣٤ ، ٥٤١ .

(٥) آوكار : هى اسم لأرض شاسعـة المساحة بها كثـير من المناهِل والقِفَار بالبـلاد - انظر المصدر السابق أيضاً : ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

● ملاحظة حول لقبه :

ذكر الشـيخ محـمد النحـوىّ لقب الشنقـيطى على أنه (آب ابن أَخْطور) بمد الألف من (آب) وفتح الهمـزة وسكون الخاء المعجمة من (أَخْطور) وذلك فى معـرض حديثه عن نظام (المَحَاضِر) فى بلاده شنقيط[1] حيث يقول مانصه : ومن سـفراء المحظرة فى الديار السعودية الشيخ محمد الأمين آب بن أخطور صاحب : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن)[2] .

كما عَرَضَ الطيب بن عـمر بن الحسين لتعريف الشنقيطى بهـذا اللقب أيضاً قائلاً : هو محمد الأمين الملقب (آبّ) بمـد الهمزة وتشديد الباء مـن الإباء ، ابـن محمد المختار الملـقب (أخطور) اختصاراً للمختار[3] .

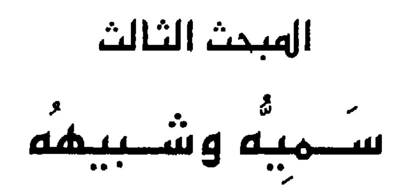
وواضح أن لفظ (آبّ) يقابل (آبًا) أما لفظ (أخطور) فيقابل (المختار) على عادة الشناقطة الغالبة فى مثل هذه الألقاب ؛ ومع ذلـك فلم نقف على ذكر الشنقيطى بهذا اللقب (آبّ بن أخطور) عند غير الشيخين : (النحوى والطيب) المذكورَيْن .

---

(١) راجع تفصيل ذلك من خلال (التعليم فى شنقيط) ص من هذا البحث .

(٢) دور التعليم التقليدى فى نشـر الإسلام والعربية فى موريتانيا : الشـيخ خليل النحوى - مجلة الأمة ص ٦٣ - العدد ٦٧ - السنة ٦ - إصـدار رئاسة المحاكم الشـرعية والشئون الدينية - قطـر - رجـب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦م .

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٤ .



وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : العلماء الثلاثة .

٢- المطلب الثانى : العلماء الآخرون .

تمخض البحث عن ثلاثة من علماء الشناقطة كلهم يلتبس اسمه باسم الشنقيطى ، هذا بالإضافة إلى مَنْ اشتهر منهم باسم الشنقيطى بعيداً عن ذلك اللبس ؛ وللتمييز بين هؤلاء العلماء وبين الشنقيطى ؛ فقد لجأنا إلى وصفه بـ (الشنقيطى المفَسِّر) أَمْناً للبس ، ورفعاً للخلط ، الذى قد يُتَوَهَّم بينه وبينهم .

ويمكننا إيجاز الحديث عن العلماء الثلاثة ، ثم عن الشناقطة الآخرين ، ممن اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطى) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

العلماءُ الثلاثـــــة

منهم اثنان (سَمِيَّانِ) للشنقيطىّ (المفَسِّر) من حيث التطابق التام بين اسميهِمَا واسمه ، فى حين أن الثالث (شبيه) له .

- **سَمِيُّه الأول : الشنقيطىّ الشارح :**

هو محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بن المختار بن سيدى الأمين بن المختار بن أحمد بن الطالب الإبراهيمى الجكنى الشنقيطى ، والمشهور باسم (محمد الأمين الشنقيطى) مولده ووفاته ببادية موريتانيا بين عامىْ (١٢٤٠هـ = ١٣٥٠هـ) على وجه التقريب ، وله من التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ما يربو على العشرين مؤلفاً ، أغلبها من شروح المتون الشرعية واللغوية المختلفة ، وكأنه مختص بالشروح دون غيرها ؛ ولذا كان تمييزنا له بوصف (الشنقيطى الشارح)[1] .

- **سَمِيُّه الثانى : الشنقيطىّ السفير :**

هو محمد الأمين الشنقيطى ، حيث لم نعثر على اسمه كاملاً ، كما لم نقف على تاريخ مولده ، أما وفاته فقد وقعت على الأرجح فى أعقاب الخمسينيات فى حدود عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م) وقد عمل سفيراً للأردن لدى كل من السعودية والسودان ، كما كان مشرفاً عاماً على كلية الشريعة (أو المعهد الشرعى سابقاً) بالأردن فى نهاية

---

(١) ومن أشهر هذه الشروح : (شرحه على مختصر خليل - وشرحه على مراقى السُّعود - وشرحه على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) وكلها فى الفقه المالكى ، وكذا (شرحه على ألفيه المختار بن بُونا الجكنى فى النحو العربى) .

- انظر ترجمته فى (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى ص ١٧ .

الخمسينيات ، والتى كان يرأسها آنـذاك الأستاذ تيسير ظبيان ، وقد عُرِف بمكارم أخلاقه ، وتقديم العون لمحتاجيه ، من أهل بلاده خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة(1) .

• **شَبِيهُهُ : الشنقيطى المؤسِّس :**

هَو أبو يوسف أو أبو عائشة محمد أمين (بدون الألف واللام) بن عبدى بن فال الخير ابن حبيب الله ابن أَبِىّ بن حبيب بن أحمد بن أَعْمَر بن كداش (أو أكداش) الحسَنى الشنقيطى ، والمشهور باسم (محمد أمين الشنقيطى) مولده ببلاده شنقيط عام (١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦م) أما وفاته فكانت بمدينة الزُّبَيْر العراقية عام (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) .

وقد ظل ينتقل معلماً وداعياً بين مصر والحجاز وغيرهما ، إلى أن حَطَّ عصا الترحال بمدينة الزُّبَيْر ، حيث أسس بها (جمعية النجاة الأهلية) عام (١٣٤١هـ = ١٩٢٢م) ثم (مدرسة النجاة أو مدرسة الشنقيطى) التابعة للجمعية ذاتها عام (١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م) ولا تزال هذه المدرسة قائمة حتى يومنا هذا ، ويقوم منهجها على مدارسة العلوم الشرعية واللغوية ؛ بهدف تربية وتخريج أجيال متلاحقة من العلماء العاملين ، والدعاة الجادّين(2) .

ولما كان اسم (محمد أمين) يشبه اسم الشنقيطى المفَسِّر (محمد الأمين) إلاّ من (الألف واللام) فى (أمين) لذا فقد أطلقنا عليه : (شَبِيهُهُ) ثم ولما غلب على نشاطه أيضاً تأسيس كل من (جمعية النجاة) ثم (مدرسة النجاة) التابعة لها ؛ لذا فقد أطلنا عليه : (المؤَسِّس) .

المطلب الثانى

العلماءُ الآخــرُون

ونقصد بهم أولئك العلماء الذين اشتهروا بلقب (الشنقيطى) غير الثلاثة المذكورين ، وقد ورد ذكر هؤلاء العلماء عند كل من الزركلى ، وكَحَّالة ، كما تمخض البحث عن وجود غيرهم بنفس الشهرة كذلك ، ويمكن إيجاز ذكر هؤلاء وأولئك على النحو التالى :

---

(1) راجع إيجاز ترجمته فى : (ذكريات مع الشيخ الراحل محمد الأمين الشنقيطى) : عدنان سارى الزبن - مجلة الشريعة ص ١٤ - العدد ٢٩٠ - إصدار وزارة الشباب - عَمَّان - الأردن - رجب ١٤١٠هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠م .

(2) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

• من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ١١ ، ٢٣٩ .
• الشنقيطى ومدرسة النجاة فى الزبير : د. على أَبَا حسين - مجلة الدارة ص (١٠٤ - ١٢٨) - العدد ١ - السنة ١٣ - الرياض - المملكة العربية السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧م .

- **المشهورون باسم (الشنقيطى) عند الزركلى :**

أورد خير الدين الزركلى فى كتابه (الأعلام) تسعة منهم ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطىّ (أحمد بن الأمين) :

نــزيل القاهرة والمتــوفـى بـها عام (١٣٣١هـ = ١٩١٣م) ، وصـاحب كتـاب (الوسيط فــى تراجــم أدباء شنقــيط) المرجــع الأول ، والمصــدر الرئيــس ، للحــديث عن شنقــيط وأدبائها[١] .

٢- الشنقيطىّ (محمد الخضر بن مايابى) :

جكنى ، مفتى المالكية بالمدينة المنورة ، والمتوفى بها عام (١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م)[٢] .

٣- الشنقيطىّ (محمد محمود بن التلاميد) :

ويعرف أيضا بـ (التركزىّ) و(ابن التلميذ) نزيل القاهرة ، والمتوفى بها عام (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م)[٣] .

- **المشهورون باسم (الشنقيطى) عند كحالة :**

أورد عمـر رضا كحــالة فى كتابه (معجم المؤلفين) ثلاثةَ عشــرَ منهم ، بزيادة أربعة فوق التسعة المذكورين عند الزركلى ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر الثلاثة التاليين :

١- الشنقيطى (أحمد البدوىّ) :

المجلسىّ النسب ، ثــم البوحــمدى اليعقــوبى الأمــوى المدنــى ، نَسَّابَةٌ شهيــر ، أحيا

---

(١) الأعلام : الزركلىّ ١/ ٩٧ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :
- كتابه (الوسيط) : ص ٧ - ١٠ .
- معــجم المطبوعات العــربية والمعــربة : جمع وترتيب يوسف إليـان سركيس ص ١١٤٨ - مكتـبة ومطبعة سركيس - القاهرة - ١٣٤٦هـ= ١٩٢٨م .

(٢) الأعلام : الزركلىّ ٦/ ٣٤٧ .

(٣) الأعلام : الزركلىّ ٧/ ٣١١ .
- كما وردت ترجــمته كذلك فى كــتاب (الوسيط) : أحمـد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٨١ - ٣٩٧ (وقد جاء فيه : أن التلاميد بالدال المهملة هى تصحيف التلاميذ بالذال المعجمة) .
- ومــن المصادر الــتى ذكرته بـ (ابن التلمــيذ) كتــاب (الروض الفتيــق الفالِق ، ومؤنـــس الكئيب العاشق) : لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمدانى ص ٤٤٤ - الطبعة ٢ - شرح وتحقيق : سعيد ناصر الدهان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

أنساب العرب بنظمه (عمود النسب) وأجاد فيه ، وكانت وفاته عام (١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥م)[١] .

٢- الشنقيطى (بَاب بن أحمد) :

علوىّ ، عالم أديب ، كانت وفاته فى حدود عام (١٢٦٠هـ = ١٨٤٤م)[٢] .

٣- الشنقيطى (محمد بن محمد) :

كنيته (أبو عبد الله) وكان فاضلاً متصوفاً ، كما كان حياً بعد عام (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) [٣] .

- **المشهورون باسم (الشنقيطى) بين يدىّ البحث :**

تمخض البحث عن وجود سبعة من العلماء اشتهروا جميعاً باسم (الشنقيطى) فوق الذين ورد ذكرهم عند كل من الزركلىّ وكحّالة ، ويمكن إيجاز ذكرهم فيمايلى :

١- الشنقيطىّ (أحمد بن أحمد المختار) :

الجكنى، المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وصاحب كتاب: (إعداد المهج، للاستفادة من المنهج، فى قواعد الفقه المالكىّ) كما أنه أحد تلاميذ صاحبنا الشنقيطى المفسِّر[٤] .

٢- الشنقيطىّ (أحمد المختار) :

الجكنى، عالم بالأنساب، وصاحب كتاب : (التعليق الصواب على تحفة الألباب)[٥] .

---

(١) معجم المؤلفين : كحالة ١/ ١٧٣ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :
- الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .
- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغدادى ١/ ١٢٦ - نشر مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د.ت) .

(٢) معجم المؤلفين : كحالة ٣/ ٣٣ - كما وردت ترجمته كذلك فى كل من :
- الوسيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٤ - ٣٧ .
- اليواقيت الثيمنة فى أعيان مذهب عالم المدينة : لمحمد البشير ظافر الأزهرى ١/ ١١٧ - مطبعة الملاجىء العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى - القاهرة - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦م .

(٣) معجم المؤلفين : كحّالة ١١/ ٢٢٣ .

(٤) راجع تفصيل ترجمته فى (السلفية وأعلامها فى موريتانيا): الطيب بن عمر بن الحسين ص٣٩٥ - ٣٩٩ .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣٥٢ - ٣٥٦ .
- و(التعليق الصواب) هو عبارة عن حاشية على : (تحفة الألباب فى شرح الأنساب) للشيخ حمّاد بن الأمين المجلسىّ الموريتانىّ - انظر (التحفة وحاشيته التعليق) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١- مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

٣- الشنقيطى (الحسن بن أَبِه) :

الحسنى ، أديب معروف ، وقد استشهد صاحبنا الشنقيطىّ بشعره غير مرة فى تفسيره ، ومن ذلك استشهاده على عِظَم كيد النساء فى معرض تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ الآية[1] بقول الشاعر الذى يُبَيِّنُ به سبب عِظَم هذا الكيد قائلاً :

ما استعظمَ الإلهُ كَيْدَهُنَّهْ ۞ إِلاّ لأَنهنَّ هُـــنَّ هُنَّهْ[2]

٤- الشنقيطى (محمد بن أحمد) :

ولقبه (الدّاه) صاحب كـتاب : (فتح الرحيم على فقه الإمـام مالك بالأدلة) حيث جاء بآخره أن الفراغ منه كان فى شعبان من عام (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)[3] .

٥- الشنقيطى (محمد بن أبى مَدْيَن) :

ومن آثاره كـتاب : (الصـوارم والأَسِنَّة فى الذَّبِّ عن السُّنَّة) والذى صـدر فى طبـعتـه الأولى عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)[4] .

٦- الشنقيطى (محمد بن حنبل) :

ويعرف كـذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البوحَـسَنى) من أعلام العلمـاء فى بلاده فى النحو والشعر وغـيرهما ، كما عُرِفَ عنه انقطاعه لطلب العلم وتعليـمه وحضه الناس على ذلك[5] .

---

(١) يوسف : ٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى : ٣/ ٧٢ .

- وقد أراد الشاعر أن يعبر بقوله هذا عن مدى تعجبه وحيرته إزاء تفسيره لعِظَم كيد النساء ، غير أنه لم يجد لذلك من سبب إِلاّ أن النساء هُنَّ النساء ؛ ومن ثم فـالكيد باقٍ ما بقيت النساء ؛ لذا نراه يؤكـد هذا المعنى توكيـداً لفظياً بقـوله : (هُنَّ هُنَّهْ) فالثـانية توكـيد للأولى ، أمـا الهاء السـاكنة فلضرورة التصريع بين قافية البيت وعَرُوضِه (هُنَّهْ : هُنَّهْ) .

(٣) انظر فى ذلك كتابه :

- فتح الرحيم على فقـه الإمام مالك بالأدلة : محمد بن أحـمد الملقب بـ (الدّاه الشنقيطى) - ثلاثة أجزاء - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة بميدان الأزهر - مصر - شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧م .

(٤) الصَّوَارِمُ والأَسِنَّة فى الذَّبِّ عن السُّنَّة : محمد بن أبى مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٥) راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣١١ - ٣٣٥ .

وقد أكثر صاحبنا الشنقيطى المفسِّر من الاستشهاد بشعره ، خاصة بقصيدته البائية التى يحض فيها على طلب العلم قائلاً :

لا تَسُوءْ بالعلم ظناً يا فتى　　　إنَّ سوءَ الظنِّ بالعلمِ عَطَبْ[١]

٧- الشنقيطى (محمد المصطفى) :

ابن الإمام العلوىّ ، وقد كان أحد أفاضل العلماء الذين وافقوا الشيخ سليمان العُمَرىّ فى دعوته إلى ضرورة صلاة الوتر فى جماعة واحدة خلف الإمام الراتب بالحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ؛ وقد استأنسا فى دعوتهما هذه بقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ الآية[٢] .

* * *

● **وبعد :** فهؤلاء هم العلماء الذين اشتهروا باسم (الشنقيطىّ) كاسم صاحبنا (الشنقيطى المفسِّر) حيث بلغ مجموعهم ثلاثة وعشرين عالماً ، أما غيرهم مِمَّنْ لم يشتهروا بذلك من علماء الشناقطة فيندُّون عن الحصر والإحصاء ؛ وذلك لكثرتهم وانتشارهم فى شتى أنحاء المعمورة ، ومن أمثالهم : محمد بن الطلب اليعقوبى ، والمختار بن بُونَا الجكنى ، والشيخ ماء العينين[٣] وغيرهم من علماء الشناقطة خلق كثير[٤] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٦٢ (من المقدمة) .

ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَضْرَمَ الهَمَّ سُحَيْراً فَالتَهَبْ　　　لَمْعُ بَرْقٍ برُبَيَّات الذَّهَبْ

وقد وردت بتمامها ضمن ترجمة الشاعر فى كتاب (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ٣١٤ - ٣١٨ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

والشيخ سليمان العُمَرىّ كان قاضياً بالمدينة المنورة، فضلاً عن عمله كرئيس للمدرسين بالحرم النبوى الشريف، ومراقبته على الدروس العلمية به - انظر ذكر الشيخين العمرىّ ومحمد المصطفى الشنقيطىّ فى :

● التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبىّ ﷺ : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤٦، ١٥٠ ، ١٥١ - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٣) راجع تفصيل تراجمهم على الترتيب فى :

● الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص (٩٤ - ١٩٠) - (٢٧٧ - ٢٨٣) - (٣٦٥ - ٣٦٧) .

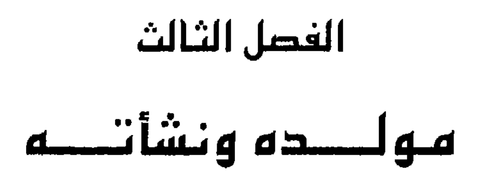
(٤) انظر المزيد من هؤلاء العلماء فى كل من :

● الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطىّ ص ١١ - ١٥ .

● ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البرّاً ص ٩٣ - ١٢١ .

غيـر أننا أثرنا ذكـر مَنْ اسمه الشنقـيطيّ غير صـاحبنا المفسِّـر ؛ وذلك أمناً للبس ، ورفعاً للخلط ، الموهـم بينه وبينهم ؛ الأمـر الذى لا يتداركه كثير مـن البـاحثين ، فضلاً عن غـيرهم مـن طلاب العلم ، خـاصة وأن هؤلاء العـلماء قـد اشتهـروا جمـيعـاً باسم (الشنقيطىّ) .

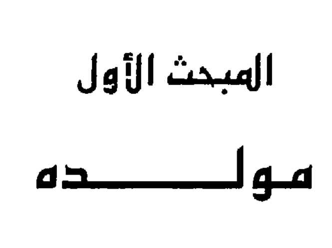
ولما لم يشتهـر أىٌّ من هؤلاء العلماء الشناقطة بالتفـسير سوى صاحـبنا الشنقيطى ؛ لذا فلـم نجد بُداً فـى التـمييز بيـنه وبينهم ، إلاّ أن نصـفه بـ (الشنقيطى المفسِّـر) وذلك نسبة إلـى تفـسيره : (أضـواء البيَان) المَعْنِىّ فـى هـذا البحث ، والذى صـار مقـروناً بـه ، ودَالاً عليه .



ويتنظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : مولـــده .

٢- المبحث الثانى : نشأتـــه .



المبحث الأول

مولـــــــده

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : تاريخ مولـده .

٢- **المطلب الثانى** : موطن مولده .

المطلب الأول

تاريخ مولـــــده

وُلِدَ الشنقيطى عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ)[١] وهو ما يقابل بالتقويم الميلادى عام سبعة وتسعمائة وألف من الميلاد (١٩٠٧م)[٢] .

• **ملاحظة حول تاريخ مولده :**

حيث وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية من أن مولد شيخه الشنقيطى كان عام خمسة وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٠٥هـ ، وذلك فى معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال تقديمه لرحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام[٣] .

وقد دفعنى هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطى بسؤال كل من: تلميذه الشيخ عطية، وولديْه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله ؛ حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٢٥هـ) وهو ذات التاريخ الذى أثبتناه فى صلب البحث والتزمناه فى ثناياه[٤] .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد أثبت ذات التاريخ دون التنبيه إلى ما وقع فيه من تصحيف ، فى حين نَبَّه البعض الآخر إلى ذلك[٥] وفى مقابل هؤلاء وجدنا

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٩ (من المقدمة) .

(٢) قد قابلنا هذا التاريخ فى كل من :

- الأعلام : الزركلى ١/١٥١ - وذلك فى معرض ترجمة الدكتور أحمد السَّمَّان ، حيث أورد الزركلى تاريخ مولده ووفاته بين عامىْ : (١٣٢٥ - ١٣٨٦هـ) الموافقيْن لعامىْ : (١٩٠٧ - ١٩٦٦م) .
- التقويم اليابانى الهجرىّ الميلادىّ (هيل هـ - م١) : لحساب شركة كهرباء الشرق - جدة - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .
- برنامج المؤذن العربى (الإصدار رقم ١٠١) : شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د. ت) .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : بقلم العلامة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى ص ١٤ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

(٤) وقد تم هذا من خال لقائى معهم فى غضون عام (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) بمنزل الدكتور محمد المختار ، وهو ذات منزل والده الشنقيطى بباب الكومة بالمدينة المنورة بالقرب من الحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

(٥) ومن المصادر التى لم تشر إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص١٠ . =

بعضاً من الباحثين الآخرين قد وقع فى التصحيف المشار إليه ؛ فسايره ولم يتنبه إليه[1] .

المطلب الثانى

موطـــن مولـــده[2]

ولد الشنقيطى عند عين للماء تعرف بـ (بئر تَنْبَه) بجانب ذلك الوادى الفسيح ، ذى البطاح والمياه والنخيل ، حيث مسقط رأسه بقرية (قَرو) التابعة لمديرية (كِيفًا) من القطر المسمى (شنقيط) أو (جمهورية موريتانيا الإسلامية الحديثة) الآن ، وتبعد مدينة (كِيفًا) عن مدينة (نواكشوط) عاصمة البلاد بمسافة ستمائة وستة كيلو مترات ٦٠٦ كم شرقاً ، فى حين تبعد (تَنْبَه) عن مدينة (كِيفًا) بمسافة ستين كيلو متراً ٦٠ كم شمالاً .

وكما أن (تَنْبَـه) اسم البئر ، فكذلك (كِيفًا أو كِيفَّـه) اسم لبئر مشهورة بمائها المِلْح ؛ وبالرغم من ذلك إلا أنها تعد إحدى المناهل العظيمة التى تردها الإبل ، فتنعم بشربها ، ويكثر لبنها ، كما أنها ملقط عظيم للصمغ العربى ذى الجودة العالية .

= • منسك الإمام الشنقيطى : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) - ١/ ١٣ .
• علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧١ .
• الإقليد فى الأسماء والصفات ، والاجتهاد والتقليد : تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ص٨ - تحقيق وتعليق : شريف بن محمد فؤاد بن هزّاع ص ٨ .

(١) و من المصادر التى أشارت إلى ذلك التصحيف نذكر كلاً من :
• نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/ ١٧ .
• السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
• محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه : تأليف العلامة محمد الأمين الشنقيطى ص٨ - تحقيق وتعليق وعنوان : ساعد عمر غازى - ص ٨ .

(٢) انظر موطن مولده ولفظ شنقيط ومعناه فى كل من :
• أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٩ (من المقدمة) .
• رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ٤٠ .
• الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٥١ .
• السلفية وأعلافها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٥ .
• موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٥ .
• ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرّاَ ص ٤ .
• الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنقيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ١١ .
• مظاهر الوعى القومى عند مثقفى شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ .
• المقدمة فى التاريخ : لعبد الرحمن بن خلدون ٦/ ١٤٤ .

وأمـا (شِنْقِيط) فكانت ولا تزال اسـماً لقـرية من أعمـال مديرية (آطار) فى أقـصى الشمال الغربى من موريتانيا ، وهى تعنى عندهم (عيون الماء التى كانت تشرب منها الخيول) ثم سمى القطر كله باسم (شنقيط) من باب تسميـة الشىء باسم بعضه أو تسمية الكل باسم الجزء ، وقد سبق الحديث عن مدينة (شنقيط) وما لها من مزايا وخصوصية من حيث حُسْنُ مناخها وبطاحها وجودة تمرها الذى لا يصـبر عليه آكله ، إلى غير ذلك من الميزات الظاهرة عندهم .

وأما (آطار) فـتعنى عندهم الطريق ، وقد صـارت عَلَماً على تلك المدينة العظيـمة التى تفوق (شنقيط) من حيث كـثرة دورها ونخيلها ، وتبعد عنها مسـافة يومين من جهة الجنوب الغربى ، كما تجاورها أودية كثيرة ، ويعرف أهلها بـ : (السِّمَاسِدَة) .

المبحث الثانى

نشـأتـه

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : مرحـلة الطفولة .

٢- المطلب الثانى : مرحلة البـلوغ .

٣- المطلب الثالـث : مرحلة الطلـب .

المطلب الأول

مرحلة الطفولة

تمتـد هذه المرحلة فى حيـاة الشنقيطـى منذ مولده ونعـومة أظافـره ، حتى بلوغـه سن العاشرة ، وتتمـيز بما خالطها من الطرافة والغرابة ؛ حـيث لم يكن أول هذه الطفولة المَرِحَة المدللة ليدل على ما انتـهى إليه آخـرها من مواصلة الجهد ، وظهور النجـابة ، فى تحصيل العلوم النافعـة ، وحفظ المتون الجامعـة ، وهـذا ما يتضح لنا مـن خلال تـطورات طفولته التالية :

- **الشنقيطى وحيد والديه :**

نشأ الشنقـيطى يتيماً ؛ حيث تُـوُفِّىَ والده وهو لا يزال صغيراً يقـرأ فى جزء (عَمَّ) وقد ترك له ثروة مناسبة من الحيوان والمال ، ثم صار أمره إلى أمـه التى وقفت نفسها على تربيته والعناية به كأشد وأبلغ مـا تكون تربية الأم وعنايتها بوحيدها ، غـير أنه كان لابد لهذه الأم ووحيدها من الرعاية والعون ما يمكنهما من مواصلة رحلتهما فى الحياة .

ومـن ثم ؛ فقـد انتقلت أم الشنقيطى مع وحيـدها إلى بيت أخواله الذين هم أبناء عَمِّ أبيه ؛ وبسُكْنَى الشنقـيطى فى بيت أخواله نال ضعفين من الرعايـة والعناية ؛ حيث صار له حظه من رعـاية وعناية أخـواله به فوق حظـه من رعاية وعناية أمـه به ، وفى ذلك يقـول الشنقيطى ما نصـه : توفى والدى وأنا صغير أقرأ فى جـزء (عَمَّ) وترك لى ثروة من الحيوان والمال ، وكـانت سُكْناى فـى بيت أخـوالى ، وأمى ابنة عَمٍّ أبى ، وقـد عنـيت بى والدتى وأخوالى أشد عناية[1] .

- **الشنقيطى فى بيت أخواله (المدرسة الأولى الأهلية) :**

يمثل بيت أخواله (مدرسة الأولى الأهليـة) حيث كان جميع مشايخه ومدرسـيه فيها هم أهله وذووه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم ؛ وفى تلك المدرسـة الأهلية بدأ يتكون الشنقيطى الطفل الصغـير ؛ فينمو جـسده ، ويتبلور عقلـه ، ويتلون فكره ، وتتضح بواكير ومـعالم شخصيته ؛ ليصير فيما بعد جـزءاً من كل ، ووِحْدَةً صغيرةً فى بناء كبير هو بناء قبيلته (بنى جاكَان) .

تلك القبيلة التى تأثر الشنقيطى بحميد خصالها، وكريم سجاياه، من الأصالة والعلم ، والكرم والفروسـية ، إلى غيـر ذلك من الصفـات والأخلاق التى بَوَّأتها مـوقع الصدارة ،

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جاكان) ص من هذا البحث .

وجعلتهـا أشهر القبائـل؛ ومـن ثم كان شـرفها وعلو شـأنها ، وكذا ارتفاع سهـمها وذيوع صيتها ، فى طول البلاد وعرضها[1] .

ذلكم هو المَنَاخ الذى احتـوى الشنقيطى منذ أن فتح عينيه علـى هذه الدنيا ؛ مما كان له أكبـر الأثر وأعظمه فى بناء أسـاسه الأخلاقى ، وتشكـيل وجدانه النفسى ؛ تمهـيداً لتـربية ملكاته العقلية ، ورسم مـلامحه الفكرية ، اضطلاعاً بما يؤمله فيه أهلـه وذووه كأحد علماء الإسلام النابهين .

● **الشنقيطىّ لا يميل إلى الدراسة :**

نشأ الشنقيطى مرفهاً مـدللاً ؛ ومن ثم مالت نفسه إلى المرح واللعب ، أكثر من الدرس والطلب ، ولم يكن هذا السلوك غريباً من طفل نشأ فى مثـل بيئته ، وحظى بمثل رعايته ؛ حيث اجتمـعت عوامل عدة على جعله موضع الاهتمـام ، ومَحَطَّ الأنظار ، لدى القائمين على أمره ، والمعنيين بتربيته ، بدءً بأمه ، ومروراً بأخواله ، وانتهاءً بسائر أهله وذويه .

ولا يخفى أن محور هذه العوامل جميعها يتمثل فى كون الشنقيطى نشأ وحيد والديه ، ثم ذاق مرارة اليـتم مبكراً ؛ ليصيـر بذلك وحيد أمة التى أرضـعته حنانها ، وروتـه عصارة قلبها ؛ ولتعوضه بذلك عن فقد أبيه وترى فـيه امتداداً له ، غير أنها ما لبثت أن رحلت عنه بعد أن أتم مرحلة البلوغ ، لتلحق بأبيه .

ومع ذلك ؛ لم يكن الشنقيـطىّ يتيمُ أبويْه محرومـاً أو مُعْدَمَـاً ، بل كان طفلاً مرفـهاً مدللاً ، فـشاباً موسـراً قادراً ؛ بما تركه له والده مـن الثروة ، فوق مـا حظى به من رعاية أخواله له ، وعنايتهم به ، وَهُمْ بدورهم مَنْ هُمْ مِنْ يُسْرِ الحـال ، ورغد العيش ؛ لهذا كله لم يعرف الحـرمان إلى قلبه سبـيلاً ، ولم يقعد بـه اليُتم عن انطلاقه طفلاً مـدللاً ، وشاباً ميسوراً .

وقـد دفـعه ذلك إلى إيـثار لهـو وبراءة المرح واللعب ، على عنـاء ومـثـابـرة الدرس والطلب ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وكان وحيد والديه ؛ فكان فى مكان التدلل والعناية)[2] كما يسوق على لسان شيخـه ما نصه : (قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة)[3] .

بل والأكثر من هذا أننا نرى الشنقيطى يجتهد آنذاك فى خَلْقِ الأعذار التى مِنْ شأنها أن تصرفه عن الدراسة والطلب ، وتسلمه إلى المرح واللعب ، ومن ذلك عدم صبره على حفظ

(١) راجع تفصيل صفات قبيلته (بنى جَاكَان) ص من هذا البحث .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٨/١ (من المقدمة) .

الحروف الهجائية ؛ حيث لم يجد سبيلاً للإفلات من هذا المأزق إلا أن يقول لأهله وذويه ممن يحظفونه إياها ما نصه : فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ؛ كى يتركوننى[1] .

إلا أن الله تعالى أنفذ مشيئته ، وأجرى قدره ، فى ذلك الطفل الصغير ؛ حيث صَيَّرَ أمر الدراسة والطلب ، أقربَ إلى قلبه ، وأحَبَّ إلى نفسه ، من المرح واللعب ؛ وحقاً لا يقع فى كون الله تعالى ما يريده الله تعالى ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية[2] .

كما يُعَبِّرُ ابن الرومىّ عن تلك الإرادة الإلهية النافذة فى معرض رثاء ابنه فيقول :

ولكــنَّ ربــى شــاءَ غيرَ مشيئتى ... وللرَّبِّ إمضاءُ المشيئةِ لا العَبْدِ[3]

- **الشنقيطىّ وحفظ الحروف الهجائية :**

لم يلبث أهله وذووه أن أحسوا بذلك التحول الحادث ، وهذا الميل الملموس ، اللذين أبداهما الشنقيطى فى تطور مفاجىء إزاء إقباله على الدرس والطلب ، بعد أن كان منصرفاً عنهما إلى المرح واللعب ؛ وعندئذ بدأوا معه أولى خطوات رحلته الطويلة مع الدرس والتحصيل بتعليمه وتحفيظه حروف الهجاء بنطقها ورسمها على طريقتهم الخاصة فى ذلك .

غير أنهم فوجئوا بذهنه المتفتق ، وموهبته المبشرة ؛ فما إن وصلوا معه إلى الحرفين الثالث والرابع حتى لاحظوا نهمه الشديد، واستعداده الملحوظ، لإكمال بقية الحروف مِنْ تلقاء نفسه دون الحاجة إليهم ، ونراه يصف ذلك قائلاً : وبدأوا يقرئوننى الحروف الهجائية بالحركات باء فتحة (بَا) باء كسرة (بِى) باء ضمة (بُو) وهكذا (ت ، ث) إلخ ؛ فقلت لهم : أوَ كل الحروف هكذا ؟ قالوا : نعم ؛ فقلت : كفى ؛ إنى أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ، فقالوا : اقرأها ؛ فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة ، وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة ؛ فعرفوا أنى فهمت قاعدتها ، واكتفوا منى بذلك ؛ ومن ثم حُبِّبَتْ إلىَّ القراءة[4] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٨ (من المقدمة) .

(٢) الإنسان : ٣٠ - التكوير : ٢٩ .

(٣) ديوان ابن الرومى (أبى الحسن على بن العباس بن جريج) : ٢/٦٢٥ - البيت رقم (١٥) - تحقيق : د. حسين نصّار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث) - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٨ (بتصريف يسير من المقدمة) .

• **الشنقيطىّ وحفظ القرآن الكريم :**

وما إنْ أتم الشنقيطى تعلمـه وحفظه حروف الهجاء ؛ حتى عـاود حفظه للقرآن الكريم الذى توقـف فيـه عند جزء (عَمَّ) بسـبب وفاة والده آنـذاك ؛ وهناك وفـى بيوت أخـواله واصل الشنقيطى الحفظ حتى أتم القرآن كله على يد خاله وشيخه (عبد الله بن محمد المختار ابن إبراهيم بن أحمد نوح) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

وبتمام حفظه للقـرآن يختتم الشنقيطى مرحلة طفولتـه ، بعد أن أُرْسِىَ له حجر الزاوية الذى يعد أساساً لانطلاقـه فيما بعد إلى مرحلتىْ البلوغ والطلب ، حيث الجِـدُّ والاجتهاد ، والصبر والمثابرة ، على عناء الدرس ، ومشاق التحصيل .

المطلب الثانى

مرحـــلة البُلوغ

تمتد هذه المرحلة فى حـياة الشنقيطىّ من سن العاشـرة وحتى بلوغه السادسـة عشرة من عمره ، وتتميز بإقباله الشديد ، ونهمه الواضح ، على تعلم رسم المصحف الأم المعروف بـ (المصحف العـثمانـى) مع تجويده القرآن بقـراءة (نافع) بروايتيْـها : (وَرْش) من طريق (أبى يعقوب الأزرق) ورواية (قالون) من طريق (أبى نشيط) وذلك عـلى ابن خاله (سيدى محمد ابـن أحمد بن محمد المختار) بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ .

وذلك بالإضافة إلى حفظ بعض المتون ، ودراسة بعض المخـتصرات ، فى النحو والفقه والأدب والتاريخ والسيـرة ، وقد تم له ذلك وهو لم يزل فى (مدرستـه الأولى الأهليّة) فى (بيوت أخواله) حيث شيوخه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم وسائر أهله وذويه .

وعن الملامح المميـزة لتلك المـرحلة ، ومـا لهـا من منهج علمىّ خـاصّ فى حـيـاة الشنقيطى، يـحدثنا تلميـذه الشيخ عطية قـائلاً : تعتبـر الدراسـة فـى علوم القرآن منهـجاً متكاملاً ، لا تقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول مـعرفة رسم المصحف (أى نوع كتابته) ما كان موصولاً أو مفصولاً ، وما رُسِمَ فيه المد أو ما كان يُمَدُّ بدون وجود حرف المد ، ثم ضبـط مـا فيـه مِنْ مَتْشَابِه فى الرسم أو الـتلاوة ، ومــن المشـهور عندهم فى هذا : رجـز (محمد بن بُوجَه) المعروف باسم : (البحر) .

وقد تَعَـرَّضَ فيـه لكل كلمة جـاءت فى القرآن مـرة أو مرتين أو ثلاثة مـرات إلى سبع وعشرين مرة من الكلمات المشتبهة ، كما أفـرد لكل عدد منها فصلاً خاصاً به ، فمثلاً كلمة (أَعْيُنُهُمْ) بالرفع جاءت ثلاث مرات فى القرآن ، وفيها يقول :

أعينُهُمْ بالرفع مِنْ غيــر حضورْ　　　مِنْ بعد كانتْ وتولَّتْ وتدورْ[1]

ومن الثنائى : كلمة (الأشياع) بالعين ، والتى جاءت مرتين فى القرآن ، وفيها يقول :

أشياعُ بالعين فهل مِــنْ مُدَّكِرْ　　　فى سبإٍ مِنْ قبل بأنهم ذُكِرْ[2]

وقد درس رحـمه الله هذا كله ، وكانــت له زيادة نظم عليه ؛ تذييـلاً لزيادة الفائدة ، ومن ذلك تذييله على هذا البيت الأخير ؛ مبيناً حركاته وإعرابه قائلاً :

فى سورة القمر خَاطِبْ وانْصِبَا　　　وجُــرَّهُ وغَيِّبَنَّهُ فـــى سَبَأ

أى فـى ســـورة (القمـر) تكون تلاوة كلمـة (أشـياع) بالخطاب والنصب ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ الآية[3] وفى سورة (سَبَأ) تكون تـلاوتها بالغـيبة والجـر ، وذلك فـى قـول الله تعالى : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ الآية[4] .

وهذه دراسة لا تكاد تـوجد إلاّ ما شـاء الله تعالى ، وهى من المهـام العلميـة التى بها يُحفظ رسمُ القـرآن مـــن التغييـر والتبديل ، كمـا أنها من آثار تعهد الله تعـالى بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه[5] .

وعن حفظ المتون ، ودراسـة المختصرات ، بعـد حفظ القرآن وتجويده ، وإتقـان رسمه

---

(١) والمقصود أن كلمة (أعينُهُمْ) جاءت مرفوعةً دالَّةً على جماعة الغائبين بالضمير (هُمْ) فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، وهى بحسب ترتيب الناظم كمايلى :

- من بعـد (كانتْ) أى فى قوله تـعالى : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ الكهف : ١٠١ .
- مــن بعد (تولَّتْ) أو (تَوَلَّوا) أى فى قــوله تعالى: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ التوبة : ٩٢ .
- من بعد (تدور) أى فى قوله تعالى : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الأحزاب : ١٩ .

(٢) والمقصود أن كلمة (أشياع) جاءت فى سورة (القمر) وبعدها ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كما جاءت فى سورة (سبأ) بعد ذلك وبعدها ﴿مِّن قَبْلُ﴾ .

(٣) القمر : ٥١ .　　　(٤) سبأ : ٥٤ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٢ - ٢٣ (بتصرف يسير) .

وقــد تعهد الحق سبحانه بحفظ قـرآنه الكريم على مر العصور ، وتعاقب الدهور ، من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل ، أو أن يصيبـه عبث العابثين ، من أعداء هذا الدين ؛ فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر : ٩ .

وإعرابه ، يضيف الشيخ عطية على لسان شيخه قوله : ثم قال رحمه الله تعالى : وقد درست بعض المختصرات فى فقه الإمام مالك كرجز الشيخ ابن عاشر ، كما درست دراسة واسعة فى الأدب على زوجة خالى أم ولد الخال ، أى أن ولد خاله كان يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

قال : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات ودروساً واسعة فى أنساب العرب وأيامهم ، وكذا نظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطى[1] وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وأيضاً نظم عمود النسب له وهو بالآلاف، مع شروحهما لابن أخته المعروف بـ: حمَّاد[2] الذى وصل فى شرحه لـ : (عمود النسب) إلى خصوص العدنانيين ؛ لأنه مات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين[3] .

وبهذا يتخرج الشنقيطىّ فى (مدرسته الأولى الأهلية) فى (بيوت أخواله) بعد أن أتم فيها مرحلتىْ (طفولته وبلوغه) حيث أبدى إبداعاً ملحوظاً ، وأحرز تفوقاً ملموساً ؛ يكفيان لتأهليه لالتحاق بـ : (مدرستَيْه الثانية والثالثة) أثناء (مرحلة الطلب) .

المطلب الثالث

مرحلة الطلب

تمتد هذه المرحلة فى حياة الشنقيطى منذ أن كان شاباً يافعاً فى السادسة عشرة من عمره ، وحتى استوى عوده ، وبلغ أشده ، وامتلك نصاب العلم الذى أَهَّلَهُ لأخذ مكانه بين صفوف العلماء فى بلاده ، وقد قارب آنذاك الثلاثين ، وتتميز بانطلاقه خارج (مدرسته الأولى الأهلية) حيث (ديار أخواله) وسائر أهله وذويه ؛ بعد ما بَزَّ أندادَه ، وتفوَّق على أقرانه ، فى كل ما قرروه له فى مرحلتىْ الطفولة والبلوغ ، من حفظ القرآن وتجويده ، ومختصرات العلم ومتونه .

---

(١) راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) هو حمَّاد المجلسىّ أو المدْلِشِىّ نسبة إلى قبيلة (مِدْلِشْ) ثم البوحمدى الشنقيطى ، عالم متفَنِّن ، ولغوى متقن ، ابن أخت أحمد البدوى السابق ، وشارح نظميه : (عمود النسب) و (المغازى) إلا أنه وقع فى أغلاط كثيرة فى شرح الأنساب .

- راجع تفصيل ترجمته فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٣ - ٢٤ (بتصرف يسير) .

وعـن خروجه للطلب ، وتجهيز أهله له ، يحدثنا قائلاً : لما حفظت القرآن[1] وأخذت الرسم العثماني[2] وتفوقت فيه على الأقران ؛ عنيت بى والدتى وأخوالى أشد عناية ، وعزموا على توجيهى للدراسة فى بقية الفنون ؛ فجهزتنى والدتى بَجَمَلَيْن ، أحدهما عليه مركبى وكتبى ، والآخر عليه نفقتى وزادى ، وصحبنى خادم ومعه عدة بقرات[3] وقد هَيَّأَتْ لى مركبى كأحسن ما يكون من مركب ، وملابسى كأحسن ما تكون ؛ فرحاً بى ، وترغيباً لى فى طلب العلم ، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل[4] .

• **مدرسته الثانية** ***(القبلية الجكانية)*:**

وفيها جعل الشنقيطى يتصل بشيوخه (الجكنيين) من علماء قبيلته (بنى جَاكَان) حيث تلقى على أيديهم ما نقصه من مختلف الفنون التى لم يكن أتمها مِنْ قبل فى مرحلتىْ الطفولة والبلوغ فى (مدرسته الأولى الأهلية) فى (بيوت أخواله) وسائر أهله وذويه .

ومن ثم ؛ نراه يبدأ بطلب الفقه المالكى[5] فيدرس مختصر خليل على يد شيخه (محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم الجكنى) الذى وصل معه إلى (قسم العبادات) كما درس عليه ما يقرب من نصف ألفية ابن مالك فى النحو ، وعلى مشايخه الآخرين من مشاهير علماء الجكنيين فى قبيلته نجده يكمل بقية الفنون من تفسير وحديث وأصول ونحو وصرف وبلاغة وإلى ذلك يشير بقوله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ من الجكنيين كل الفنون (الفقه المالكى والنحو والصرف والأصول والبلاغة وبعض التفسير والحديث)[6] .

• **مدرسته الثالثة** ***(الذاتية الخاصة)*:**

وفيها اعتمد الشنقيطى على مطالعته الشخصية ، وبحثه الذاتى ، حيث إدامة النظر ،

---

(١) كان ذلك فى (مرحلة الطفولة) وعمره آنذاك عشرة أعوام .

(٢) كان ذلك فى (مرحلة البلوغ) وعمره آنذاك ستة عشر عاماً .

(٣) وهذا ما يؤكد نشأة الشنقيطى فى يُسْر ورغد من العيش ، وكيف لا ، وحاله تلك ؟! حيث مركبه وكتبه على جَمَل ، ونفقته وزاده على جَمَلٍ ثانٍ ، وفوق ذلك خادمه وبقراته ؛ فياله مِنْ تعظيم لقدر العلم ، وياله مِنْ تقدير لشرف طالبيه !! .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٩/١ .

(٥) وهو المذهب الفقهى السائد فى غرب أفريقيا عامة ، وفى شنقيط خاصة ؛ بحيث لو حاول أحد أن يتعلم مذهباً غيره لما وجد أحداً يعلمه ذلك فى شنقيط بأَسْرِها - انظر (نثر الورود على مراقى السعود) : شرح الشنقيطى ١٨/١ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٥/١ (من المقدمة) .

ومواصلة القراءة ؛ لتحصيل ما فاته ، واستدراك ما غاب عنه ، من فنون العلم وفروعه المختلفة ، وخاصة علم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، وإلى هذا يشير بقوله : أما المنطق وآداب البحث والمناظرة ، فقد حصلناه بالمطالعة[1] .

كما يصف الشيخ المجذوب تحصيل الشنقيطى هذين العلمين قائلاً : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، وفى ما درس وفى ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافرَ له ذلك التضلع الملموس فى علمىْ المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلاّ الأَقَلُّون[2] .

ولم يلبث الشنقيطى أن أتم مرحلة طلبه هذه ؛ حتى طار خبره ، وانتشر ذكره ، فجلس للدرس والفتيا ، ثم اشتهر بالقضاء والفِرَاسة فيه ؛ وذلك لعظيم ثقة المتقاضين فى قضائه وعدله ، وتقدير مواطنى بلاده لاجتهاده وعلمه .

* * *

وهكذا يمر الشنقيطى أثناء نشأته بمراحل ثلاث ، حيث الطفولة والبلوغ والطلب ، كما ينتقل خلالها أيضاً بين مدارس ثلاث ، حيث مدرسته الأولى (الأهلية) فى مرحلتىْ الطفولة والبلوغ ، ثم مدرسته الثانية (القبلية الجكنية) والثالثة (الذاتية الخاصة) وكلتاهما فى مرحلة الطلب ؛ ومن ثم يأخذ الشنقيطى مكانه بين مصاف العلماء العاملين ، مترسماً نهجهم وخطاهم ، ومتحلياً بصفاتهم وأخلاقهم .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتُهُمْ : محمد المجذوب ١/ ١٧٣ .

الفصل الرابع

صفاتـــــه

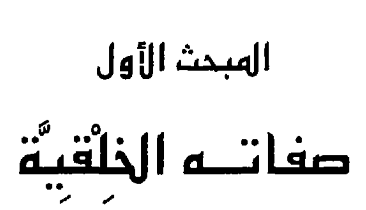
الخِلْقِيَّة والخُلُقِيَّة والعِلْمِيَّة

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١- المبحث الأول : الصفات الخِلقيَّة .

٢- المبحث الثانى : الخُلُقِيَّة .

٣- المبحث الثالث : الصفات العِلْمِيَّة .



المبحث الأول

صفاتــه الخِلْقِيَّة

وينتظم المطالب الثلاثة :

١ - المطلب الأول : لونـه وملامحه .

٢- المطلب الثانى : جسـمـه وبُنيته .

٣- المطلب الثالث : ملبســه وهيئته .

المطلب الأول

لـونـه وملامحـه

يُعرف الموريتانيون بغلبة السُّحْمَة عليهم[1] والتى تشمل كلاً من : السودان (وهم شديدو السواد أو الزنوج) فى مقابل البيضان (وهم الأقل سواداً أو البيض) .

وفى حين يمثل السودان النسبة الغالبة من سكان البلاد ؛ نجد أن البيضان يمثلون القلة الباقية من هذه السُّحْمَة ، وهم يختلفون عن أهل أوروبا الذين يميزون عند الشناقطة باللون (الأصفر) ليشيروا به إلى البشرة (البيضاء) أو (الشقراء) .

أما (البيض أو البيضان) فهم يشبهون (عرب شبة الجزيرة) وهذا ما أشار إليه محمد يوسف مقلد بقوله : (وأهل موريتانيا يشبهون إلى حد كبير عرب اليمن والكويت والبحرين والسعودية)[2] ويقصد بـ (أهل موريتانيا) أى (البيض أو البيضان) وهذا ما يؤكده فى كتابه الذى جاء يحمل عنوان : (موريتانيا الحديثة أو العرب البيض فى أفريقيا السوداء)[3] .

وإلى البيض أو البيضان ينتمى الشنقيطى وقبيلته بنو جاكان ، كما أفاد بذلك تلميذه الشيخ عطية على وجه العموم والإجمال[4] .

---

(١) السَّحَم والسُّحَام والسُّحْمَة : أى السَّواد ، ويقال للرجل الأسود : أَسْحَم كما فى حديث الملاعنة : «إن جاءت به أَسْحَمَ أحتم» أى أسود ، كما يقال للمرأة السوداء : سَحْمَاء كما فى حديث أبى ذر : «وعنده امرأة سَحْمَاء» أى سوداء - انظر مادة (سَحَم) فى كل من : لسان العرب : ٣/١٩٥٩ - المعجم الوسيط : ١/٤٢٦ .

- وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخارى فى صحيحه بالاقتصار على (أسحم) دون (أحتم) وكلاهما بمعنى (أسود) - انظر صحيح البخارى (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ النور : ٦ .
- وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٨/٥٢ - حديث رقم (٤٧٤٥) - راجعه وقدّم له وضبط أحاديثه وعلّق عليه : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

(٢) موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤٣ .

(٣) انظر غلاف هذا الكتاب الموسوم بالعنوان المذكور .

(٤) ضمن رده المسجّل على رسالتنا إليه .

المطلب الثاني
جِسْــمُهُ وبِنْيَتُــهُ

كان الشنقيطي رَبْعَةً بين الرجــال[١] لا بالقصير ولا الطويل الزائد ، معتدل القامة ليــس بالأحــدب ، كمــا لم يكن نحيفاً نحــيلاً ، أو بــديناً ذا بِطْنَة[٢] وإنما كان وسطاً فــى ذلك كله[٣] .

المطلب الثالث
ملبســه وهيئتــه

كان الشنقــيطى فى ملبسه وهيئــته العامــة كسائر أهل بلاده المعروفين بزيِّهم الصــحراوى الخاص ، وألوانه الموروثة المميزة ، وهو ما يصفــه لنا الشيخ المجذوب بقــوله : والمخالطون للشناقطة عن كثب يلمسون احتفاظهم بالكثيــر من طوابع بيئتهم الأولى ، مهما طال بعدهم عنها وفــراقهم لأهلهــا ، وقد لاحظت امتــيازهم[٤] بهذه الخــاصة على سائر جــيرانهم من الأفارقــة ، حتى فى ثيــابهم والألوان التى يؤثرونهــا ، وفــى المدينة المنورة غيــر قليل مــن مهاجريهم لا يكادون يفارقــون أزيــاء الصــحراء التى انتقلوا عنها .

فثوب الرجل منهم[٥] صورة من الخيمة التى ألفــها فى بلاده ؛ فــهو عبــارة عن قطعة فضــفاضة من القمــــاش المصبــوغ بالــزرقة ، وقــد شُقَّ أعلاه لإدخال الرأس ، كمــا أُسْبِغَ سائره على الجسم فوق السراويل ، وقد احتفظ فى ذات الــوقت بفتحتين ممتدتين على جانبيه لتسرب الهواء ، كما تحتفظ خيمة البادية ببابين متقابلين للغرض نفسه[٦] .

غير أن الشنقــيطى كغيره من علماء بلاده ، وكذا طلاب العلم منهم ، ممــن يعيشون فى

---

(١) يقال: (رجل رَبْعَة أو رَبَعَة) أى مربوع الخَلْق ، وسيط القامة، لا بالطويل ولا بالقصير ، ويوصف به المذكر والمؤنث - انظر مادة (رَبَع) فى كل من :
لسان العرب : ١٥٦٦/٣ - المعجم الوسيط : ٣٣٧/١ - مختار الصحاح : ص ٢٨٨ .

(٢) البطْنَة : امتلاء البطن وبروزه الشديد من الشبع وكثرة الطعام ، ويوصف بها فى قولهم : رجل بَطِن وبَطِين ومِــبْطَان ، كمــا يقال : (البِطْنَة تذهب الفِطْنــة) - انظــر مادة (بَطَن) فــى كل من : لــسان العرب : ٣٠٣/١ - المعجم الوسيط : ٦٣/١ - مختار الصحاح : ص ٥٦ .

(٣) ضمن رده المسجَّل على رسالتنا إليه .

(٤) والأنسب أن يقال : (تميزهم) فالمقام يقتضى التفرقة لا التفوق .

(٥) أما ثوب المرأة فيغلب عليه الحجاب الشرعى المعروف .

(٦) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٧/١ .

المدينة المنورة خاصة ، وغـيرها من بلاد الحجاز عامة ، غالبـاً ما يدخلون تعديلاً على زيِّهم هذا ليتقربوا به من الثـوب الحجازى المعروف ؛ ولذا فقد استـثناهم الشيخ المجذوب بقوله : مع أن أهل العلم منهم شـيوخاً وطلاباً ، قـد يُعَدِّلُون فى أثوابهم ؛ فـيقتـربون من الثواب الحـجازى، إلا أنهم لا يسـتنكفـون أن يراجـعوا ثوبهـم الموروث بين الحين والآخر ؛ وقـد ساعدهم ذلك على الاحتفاظ بالكثير من خصائصهم المتوارثة[1] .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧.

المبحث الثانى

صفاتــه الخُلُقِيَّة

ويتنظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : بعده عن الغِيبة وإعراضه عن اللّغو .

٢- المطلب الثانى : زهده فــى الدنيا وحــذره منها .

٣- المطلب الثالث : عبادته وورعـــه وتـقواه .

٤- المطلب الرابــع : خيريته وحبــه للمسلمين .

٥- المطلب الخامس : مروءتـه وتواضعه وهيبته .

كان للشنقيطى من الأخلاق الرفيعة ، والسجايا الكريمة ، مالا يخفى على كل مَنْ لازمه وخالطه بصفة خاصة ، فضلاً عمَّنْ أخذ عنه وتلقى عليه بصفة عامة ، كما أن هذه الأخلاق كانت من الكثرة والشمول بحيث لا يسعف فى ذكرها سوى الإيجاز والإجمال ؛ مراعاة هنا لما يقتضيه المقام ، وتستلزمه الحال .

وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : أما الناحية الشخصية من حيث تقويمه الشخصى لسلوكه وأخلاقه وآدابه وما إلى ذلك ؛ فهذا ما يستحق أن يفرد بحديث ، وهذا لا يُعلَمُ إلا لِمَنْ خالطه ، وليس كل مَنْ خالطه يعرف ذلك منه ، بل مَنْ داخله ولازمه ، وإنى لا أستطيع الآن تصويره ، ولا يسعنى فى هذا الوقت تفصيله ؛ ولكن قد تكفى الإشارة إذا لم تسعف العبارة[1] .

ونحن بدورنا نكتفى بالإشارة والتمثيل ؛ استغناءً بهما عن التصوير والتفصيل ، إزاء ما نتناوله من أخلاقه وسجاياه ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بعده عن الغيبة ، وإعراضه عن اللغو

لم يكن الشنقيطى يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد فى مجلسه ، كما كان مجلسه منزهاً عن اللغو وفضول الكلام ، فضلاً عن إيذاء المسلمين والخوض فى أعراضهم .

ويحدثنا تلميذه الشيخ عطية عن ذلك قائلاً : لم يكن رحمه الله تعالى يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد فى مجلسه ، وكثيراً ما يقول لإخوانه : اتْكَايْسُوا[2] أى من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، كما كان يقول : إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتى فى صحيفته ؛ فلا يأتى فيها إلا الشيء الطيب[3] .

ويبين لنا الدكتور عبد الله مدى خوف أبيه من غيبة الناس ، وعدم صبره على ذلك فيقول : كان رحمة الله عليه لا يقبل شخصاً يتكلم فى شخص فى مجلسه ، بل ويصف ذلك بأنه ضعف وخَوَر ، ثم يحذر من أكل الغيبة والنيل من أعراض المسلمين قائلاً : اعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة ؛ فاتركوها ولا تتكلموا فيها ، واعلموا أن الله تعالى

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ - ٦١ (من المقدمة) .

(٢) فعل أمر فى اللهجة العامية لدى الشناقطة والحجازيين، ويعنى التزام الكياسة بحفظ اللسان وتنزيهه عن كل مالا يليق .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٣ (من المقدمة) .

بَشَّعَ ذلك فقال سبحانه : ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية[١] والله ، لو قتلتم أبنائى وأخذتم أموالى لسامحتكم ، ولكن أن تأخذوا حسناتى فلا ؛ فأخذ حسناتى وأنا شائب لا صبر لى عليه[٢] .

وعن تنزيه مجلسه عن اللغو ، وإعراضه عن فضول الكلام ، يقول تلميذه الشيخ عطية : ومن صفاته الجليلة رحمة الله علينا وعليه تنزيه مجلسه عن كل ما لا يليق من اللّغو وفُحْشِ القول ونحوهما[٣] .

المطلب الثانى

زهده فى الدنيا وحذره منها

تمثل زهد الشنقيطى فى تلك القناعة التى جعلته راضياً من دنياه بتحصيل الضرورى منها ؛ ومتعففاً بذلك عما فى أيدى الناس ، ويصف لنا الشيخ عطية مناعة شيخه قائلاً : وسمعته يقول : (لقد جئت معى من البلاد[٤] بكنز عظيم ؛ يكفينى مدى الحياة ، وأخشى عليه الضياع ، فقلت له : وما هو ؟ قال : القناعة) كما كان شعاره فى ذلك قول الشاعر :

الجوعُ يُطردُ بالرغيف اليابسِ ... فعلَامَ تَكْثُرُ حسرتى ووساوسى ؟!

والموتُ سَوَّى حين عَدَّلَ قَسْمَهُ ... بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ[٥]

أما حذره من الدنيا ووجله من إقبالها عليه فقد تمثل هذا فى نصحه لأبنائه وطلابه قائلاً : (لو كانت الدنيا ميتةً لأباح الله منها سَدَّ الخَلَّة[٦] ونحن لا نريد إلا سَدَّ الخلة)[٧] لأجل هذا ؛ لم يطلب منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز عطاءً أو مكافأة ، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه[٨] .

---

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) المقصود بها بلاده شنقيط .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦١ (من المقدمة) .

(٦) الخَلَّة : أى الفقر والاحتياج ، ومنها دعاؤهم : (اللهُمَّ اسْدُدْ خَلَّتَهُ) وكذلك دعاؤهم (لا أَخَلَّكَ اللهُ إلى هذا) والمقصود هنا بـ (سَدّ الخَلَّة) أى : ما يفى بالحاجة الضرورية فقط - انظر مادة (خَلَل) فى كل من لسان العرب : ٢/ ١٢٤٨ - المعجم الوسيط : ١/ ٢٦١ مختار الصحاح : ص ١٨٧ .

(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦١ (من المقدمة) .

بل دفعته قناعته هذه إلى تعففه عن راتبه ، وكذا عن حقه في مؤلفاته ؛ فلم يكن يتكسب بها ، وإنما تركها لطلاب العلم ، ولو شاء لساقت إليه المال الوفير ، كما لم يكن يُقْرِض أحداً قرضاً ينتظر رده ، أو يعقد صفقة ينتظر ربحها ؛ ومن ثم فقد كان يتعفف عن ذلك كله ابتغاءَ وجه الله تعالى(١) .

المطلب الثالث

عبادته وورعه وتقواه

كان الشنقيطى دائم الذكر ، مجتهداً فى طاعة ربه سبحانه ، فرضاً كانت أم نفلاً ، متقلباً بين الخوف والرجاء ؛ خاصة إذا رأى أو سمع ما يغضب الله تعالى ، أو يخالف سُنة نبيه ﷺ قولاً كان أو فعلاً ، بل يبدو وكأنه يحترق بنيران حقيقية .

ويصور لنا ابنه الدكتور عبد الله تلك الحال بقوله : كنا إذا جئنا بالسيارة إلى محطة الوقود ، وسمع بعض الأغانى تنبعث من هنا أو هناك ؛ يكون عندئذ مثل المحروق ويقول : جاءنا السوء يا ولدى ! اطلعْ اطلعْ ، أعوذ بالله أعوذ بالله !!(٢) .

كما كان يرد مَنْ يحتجون فى جواز هذا بكثرة مَنْ يفعله مِنَ الناس، ومنهم ابنه الدكتور عبد الله فى صغره ، قائلاً له: الناس فى السوء ليسوا بحجة؛ والله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية(٣) ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآية(٤) ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح: «أن نصيب الجنة واحد من الألف»(٥) .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ (من المقدمة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٨ .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) الأنعام : ١١٦ . (٤) يوسف : ١٠٣ .

(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد السنقيطى (محاضرة مسجلة) .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عمر بن حفص عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لَبَّيْكَ ربَّنا وسَعْدَيْك ، فيُنَادَى بصوت : إنّ الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذريتك بعثاً إلى النار ، قال : يارب وما بَعْثُ النار ؟ قال : مِنْ كل أَلْف أُراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد : «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد» فشق ذلك على الناس حتى تغيّرت وجوههم ، فقال رسول الله ﷺ : مِنْ يأجوج =

ويتجلى خوفه من الله تعالى ، ورجاؤه فى رحمته سبحانه ، فى ذلك الموقف الذى وقع له قبيل موته مع ابنه الدكتور عبد الله ، والذى يرويه لنا بقوله : ومرة كنت أقرأ عليه القرآن قبل موته ، فقال: يا ولدى فى القرآن آية تفرحنى كثيراً ، ثم بكى !!

فقلت : ماهى ؟ أهى قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية[1] ؟ فقال : لا ، بل هى قول الله تعالى : ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ الآيتان[2] فالكبائر إن شاء الله ما نقربها ، والصغائر نترك منها ما استطعنا ، والله يقول : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ الآية[3] فلما نظرت إليه وجدته يبكى يرحمه الله ، ثم قال لى : يكفيك هذا[4] .

المطلب الرابع

خيريته وحبه للمسلمين

كان الشنقيطى بمثابة الأب لشتى قبائل الجالية الشنقيطية من أبناء بلاده الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة خاصة ، وغيرها من بلاد الحجاز عامة ، كما كان يتولى الأرامل واليتامى ، ويرعى المعوزين وأصحاب الحاجات ، بل يروى عنه أن الناس كانت تأتيه من كل فج ، من المشرق والمغرب ، على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ، سواء كانوا من السُّنة أو الشيعة أو غيرهما ؛ فكان يعطى كلاً منهم ما يستحق إن كانت عنده حاجتهم ، أما إن كانت حاجتهم ليست عنده ؛ فإن هذا يدفعه إلى أن يكون شفيعاً لهم هنا وهناك ، لقضاء مطالبهم الكبيرة والصغيرة على السواء .

بل قد يدفعه حبه للمسلمين وخيريته لهم إلى مخالفة منهجه بأن يذهب إلى كبار التجار فى المدينة المنورة فيقترض منهم على حساب نفسه ليعطى الفقراء والمحتاجين ، ولو كان ذلك

= ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جَنْب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى جَنْب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا رُبعَ أهل الجنة فكبّرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبّرنا ، ثم قال : شَطْرَ أهل الجنة فكبّرنا» وقال أبو أسامة عن الأعمش : «ترى الناس سكارى وما هم بسكارى» قال : مِنْ كل ألْف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وقال جرير وعيسى بن يونس وأبو معاوية : سَكْرَى وماهم بسَكْرَى - انظر صحيح البخارى (كتاب) تفسير القرآن (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ الحج : ٢ - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى: لابن حجر العسقلانى ١٨/ ٤٤ - حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(١) فاطر : ٣٢ . (٢) النجم : ٣١ - ٣٢ (آيتان) . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

لنفسه ما فـعله وما أقدم عليه ؛ لأنه ليس من طبعه ولا عـادته ؛ ولكنه فعل الخير ، وحب المسلمين[1] .

المطلب الخامس

مروءته وتواضعه وهيبته

كانت المروءة والتسامح فى حق نفسه ومراعاة شعور مَنْ يتعـاملون معه ويتصلون به ، أهم ما يحكمه فى جـميع أقواله وأفعاله ، وهذا ما يـشير إليه تلميذه الشـيخ عطية بقوله : وإذا كان علماء الأخـلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضـائل بـ (المروءة) فإن المروءة كانت شعاره ودثاره ، بل هى التى كانت تحكمه فى جميع تصرفاته ، سواء فى نفسه أو مع إخوانه وطلابه ، أو مع غيرهم مَنْ عرفهم ومَنْ لم يعرفهم .

وأما مكارم أخلاقه ومراعـاة شعور جلسائه ، فهذا فوق حد الاستطاعة ؛ فـمذ صَحِبْتُه لم أسمع منه مقالاً لأى إنسان ولو مخطىء عليه يكون فـيه جرح لشعوره ، وما كان يعاتب إنساناً فى شىء يمكن تداركه ، كما كان كثير الـتغاضى عن كثير من الأمور فى حق نفسه ، وحيثما كنت أسائله فى ذلك يقول :

ليس الغبيُّ بسيِّدٍ فى قومِهِ　　　لكنَّ سَيِّدَ قومِهِ المتغابى[2]

وقد دفـعتـه مروءته هذه إلـى تواضعـه ولين جانبـه لكل مَنْ يراه أو يلقاه ، أينمـا نَزَلَ وحيثما حَلَّ ، وهذا مـا يوضحه لنا تلميذه الشيخ عطية كذلك بقـوله : وأما عاداته فعادات بلاده وما يوجد فى المدينة المنورة ومكة المكرمة من مكارم أو محاسن العادات ، ولم يكن له عادة يتميز بها عن الآخرين فيمـا نعرفه ، وليست هناك تقاليد خاصة به ، وإنما هى السائدة من عادات الناس وتقاليدهم ، اللهم إلا كرم أخلاقه ، وتواضعه مع أهله وغيرهم .

كما أنه فى حلق الدروس الخاصة به فى بيته تكـون جلسته مع الخاصة به فى بيته تكون جلستـه مع الحاضرين كأحـدهم دون تميز فى جلسة أو مكـان أو غير ذلك ، وإنما يتمـيز بما يلقيه رحمة الله من دروس وبيان[3] .

ويضيف الدكتور عبد الله عن تواضع أبيه قوله : والشيخ كان متواضعاً بشكل عجيب ؛ إلى درجة أن الذى يراه ولم يكن يعرفه يحسب أنه عامى[4] .

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ - ٦٣ (من المقدمة) .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وبالرغم من تواضع الشنقيطى ولين جانبه ؛ إلا أنه كان مهاباً جليلاً ، ومحترماً وقوراً ، يجمع إلى هيبة العلماء، جلال الحكماء؛ بل إن قوة شخصيته، وحكمة منطقه ، تحمل كل مَنْ رآه على احترامه وتقديره ، سواء كان حاكماً أو محكوماً ، طالبَ علم أو غيره ، كبيراً كان أو صغيراً ، على مختلف مستوياتهم ومواقعهم من المسئولية .

ولقد تجلت هيبته وحكمته فى طلبه من الملك سعود بن عبد العزيز التنازل عن الحكم لأخيه الملك فيصل بناءً على إجماع مؤتمر العلماء بالرياض على إنابة الشنقيطى عنهم فى ذلك ؛ فكان أن قام بالمهمة خير قيام ؛ حيث كان لشخصيته القوية ، وكلمته الحكيمة ، أطيب الأثر فى نفس الملك سعود ، والذى أعلن عقب لقائه بالشنقيطى عن ثقته التامة بنصيحة العلماء ، وامتثاله وخضوعه لمقرراتهم[1] .

بل وقد بلغ الأمر بأحد الحكام الأفارقة أن أصر على عدم مفارقة الشنقيطى لا فى حلٍّ ولا ترحال ؛ إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المعدة للزيارة ، وقد ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخْفِى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده[2] .

وأما هيبة الشنقيطى لدى طلاب العلم خاصة ، فضلاً عن غيرهم من الناس عامة ؛ فليس أدل على ذلك مما يسوقه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وإن تفصيل ذلك لمتروك لِمَنْ خالطه عن قرب ، وقد استعصى عَلَيَّ المقال فى ذلك ، ولكأنى بقول القائل :

أَهَابُكَ إجلالاً ، وما بِكَ سُلْطَةٌ ... علىَّ ، ولكَنْ مِلءُ عينٍ حبيبُها[3]

* * *

وفى الجملة : فقد جمع الشنقيطى - إضافة إلى الصفات السابقة - بين كل من : الأدب والحياء ، والكرم والعطاء ، والدقة والنظام ، والرُّوح الخفيفة والإحساس الجيَّاش ، مع حبه للرماية والصيد .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .

(٢) وكان ذلك ضمن بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برئاسة الشنقيطى إلى عشرة من الأقطار الأفريقية .

- انظر (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٠ (من المقدمة) .

والبيت المذكور من شعر (نُصَيْب بن رَبَاح) وقد ورد بلفظ (ومَا بِكَ قُدْرَةٌ) بدلاً من (ومَا بِكَ سُلْطَةٌ) - انظر (شعر نُصَيْب بن رَبَاح) : ص ٦٨ - جمع وتقديم : د. داود سَلّوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م .

فضلاً عن عنايته بالتربية والسلوك لأولاده وطلابه ؛ الأمر الذى يقرر معه كل من تلميذه الشيخ عطية ، وابنه الدكتور عبد الله : أن ما يستفاد من الشنقيطى فى جانب السلوك ، أكثر مما يؤخذ منه فى جانب العلم[1] .

هذا بالإضافة إلى غيـر ما ذكرنا من أخلاقه الحسنة ، وسجـاياه الكريمة ، والتى يستحق أن يُفْرَدَ كل خُلُق منها بحديث وحده ، غير أن هذا مما لا يحتمله المقام .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

المبحث الثالث

صفاتُــه العِلْمِيَّة

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : بواكيره المبشِّرة وأمارات نجابتــه .

٢- المطلب الثانــي : استغراقه التام وتفرغه الكامــل .

٣- المطلب الثالــث : استقصاؤه وشموله وموسـوعيته .

٤- المطلب الرابـــع : معاصــرته وثقافته الحاضــرة .

٥- المطلب الخامــس : تورعه عن الفُتيا ورجوعُه للحَقِّ .

كان للشنقيطى من الصفات العِلْميَّة ما دَلَّ على ما صار إليه أمره فيما بعد كواحد من أبرز علماء عصره فى بلاده وخارجها ، ونستطيع أن نرصد فيما يلى بعض هذه الصفات عبر مراحل عمره المختلفة طفلاً وشاباً وعالماً ، وذلك على سبيل الاستشهاد والتمثيل ؛ اكتفاءً به عن الحصر والتفصيل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

بَوَاكيرُهُ المبشِّرَةَ وأماراتُ نجابتِه[1]

بدا الشنقيطى متميزاً منذ الصغر بما ظهر عليه من علامات النجابة والذكاء ، وبما لوحظ عليه من بديهة حاضرة ، وهمة عالية ؛ الأمر الذى كان له أكبر الأثرو وأعظمه فى تفتق مواهبه العقلية ، وتفجير طاقاته الفكرية ، وقد تجلى هذا واضحاً من خلال ما يلى :

- **سرعة الحفظ والقدرة على القِرَان :**[2]

فإلى جانب حفظ القرآن الكريم وإتقان رسمه وتجويده ، إلا أن الشنقيطى أظهر فى ذات الوقت قدرة فائقة على حفظ العديد من متون العلوم ومختصرات الفنون كعلوم القرآن والفقه وعلوم العربية ، إلى جانب ما لابد من معرفته فى بلاده من سيرة النبى ﷺ وغزواته ، وكذا أنساب العرب وأيامهم .

ولم يكن حفظ هذه المتون واستيعاب تلك المختصرات بالشىء الهيِّن ؛ خاصة المطوَّلات منها ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : وبين مراجع هذه العلوم متون منظومة تبلغ المئات من الأبيات ؛ ومن هنا كان ما نلمسه فى حديث الشيخ من تبحر ، يغنى عن الرجوع إلى مختلف الأسفار[3] .

(١) (بواكير جمع باكورة ، كطواحين جمع طاحونة) وباكورة كل شىء : أى أوله ، أو أول ما يدرك منه - انظر مادة (بكَرَ) فى كل من : لسان العرب : ١/ ٣٣٣ - مختار الصحاح : ص ١٣٨ - المعجم الوسيط : ١/ ٦٩ .

والمقصود ببواكيره هنا : أى مواهبه الأولى التى بدت عليه ، ولمسها فيه أهله وذووه .

(٢) المقصود بالقِران هنا أى الجمع بين أكثر من عِلْم فى وقت واحد .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٢ .

ومن أمثلة هذه المتون : (نظم الغزاوت) وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وكذا (نظم عمود النسب) وهو يُعَدُّ بالآلاف ، وكلاهما من نظم أحمد البدوى المجلسى الشنقيطى ، مع شروحهما لابن أخته حَمَّاد المجلس الشنقيطى .

- راجع فى ذلك ص من هذا البحث .

وبالرغم من أن إفراد الفنون يُعَدُّ أصلاً ثابتاً من أصول الدراسة فى المحضرة الشنقيطية ؛ حيث لا يجمع الشيخ على تلميذه أكثر من فن واحد فى وقت واحد ؛ إلا أن شيوخ الشنقيطى كانوا يلزمونه دوماً بالقِرَان بين كل فنين معاً ؛ لملاحظتهم قدرته الفائقة على الجمع بينهما فى آن واحد ، وهذا ما يصوره لنا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وقد مضى رحمه الله فى طلب العلم قُدُمَاً ، حيث ألزمه بعض مشايخه بالقِرَان ؛ فصار يَقْرِنَ بين كل فنين ؛ حرصاً على سرعة تحصيله ، وتفرساً له فى القدرة على ذلك[1] .

● **علوّ الهمة والتفوق على الأقران :**

ومن بواكير الشنقيطى المبشرة ، وأمارات نجابته المبكرة ، ذلك الإقبال على طلب العلم وتحصيله بتلك الهمة العالية الملحوظة ، وهذا التفوق الملموس ، تلك الهمة التى يحدثنا عنها تلميذه الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : ومن ذلك ما حدثنيه رحمه الله قال : قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ، ولم يكن يعرفنى من قبل ؛ فسأل عنى مَنْ أكون ؟ وكان فى ملأٍ من تلامذته ؛ فقلت له مرتجلاً :

هذا فتى منْ بنى جَاكانَ قَدْ نَزَلاَ	به الصِّبَا ، عن لسان العرب قَدْ عَدَلاَ
رَمَتْ بِه هِمَّةٌ عليَاءُ نحوَكُمُ	إذْ شامُ برقَ علوم نوره اشتَعَلاَ
فجاءَ يرجو رُكَاماً منْ سَحَائبه	تكسو لسانَ الفتَى أزهارُهُ حُلَلاَ
إذْ ضاقَ ذَرْعَاً بجهلِ النَحو ، ثم أَبَى	أَلاَّ يَميزَ شَكلَ العين منْ فَعَلاَ
قَد أتى اليومَ صَبَّاً مُولَعَاً كَلِفَا	بـ (الحَمدُ لله) لا أَبْغى به بَدَلاَ[2]

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك بقوله : فالشنقيطى يمدح الشيخ بالإشارة إلى ما اشتهر به من العلم ، ثم يفخر هو بنسبه وعلو همته ؛ ليعرض بعد ذلك حاجته إلى علم الصرف، حاصراً مطلبه فى لاَمِيَّة الأفعال المبدوءة بـ : (الحمدُ لله)[3] .

وأما تفوق الشنقيطى وتميزه على أقرانه وأنداده منذ صغره وصباه ، فهذا ما يؤكده بنفسه من خلال ما يذكره عنه تلميذه الشيخ عطية بقوله : (وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثمانى ، وتَفَوَّقْتُ فيه على الأقران)[4] .

وأيضاً ما يورده الشيخ عطية من سبب دفن شيخه لنَظْمٍ له فى أنساب العرب معروفٍ بـ

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٠ (من المقدمة) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٩ (من المقدمة) .
(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٨ (من المقدمة) .

(خالص الجُمَـان فى ذكر أنساب بنى عدنان) حـيث يقول فى ذلك ما نصه : وقـد ألَّفَهُ قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كان بنية التفوق على الأقران[1] .

- **الاجتهاد والإبداع :**

وقد تجلى هــذا واضحاً فـيما كـان للشنقيطـى من إبداع مبكر إزاء ما يدرسـه من علوم مختلفة وفنون شتى ، حيث تمثل هذا الإبداع فى الجانبين التاليين :

الجانب الأول : نظمه الخاص به :

ومن ذلك مـا أنشأه من نظمـه الطويل فى أنساب العـرب ، والذى أسمـاه : (خالص الجُمَان فى أنساب بنى عدنان) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشنقيطى قد ألَّفَه قبل البلوغ ، ثم دفنه بعد البلوغ ؛ لأنه كـان بنية التفوق على الأقـران ، وتجدرر الإشارة إلى أن شيـوخه قد لاموه على ذلك ، ثم قـالوا له : كان من الممكن تحويل النيـة وتحسينهـا لإمكان الإفادة منه بوجهٍ أو بآخر[2] .

الجانب الثانى : زيادته على نظم غيره :

من ذلك ما زاده الشنقـيطى على رجز (محـمد بن بُوجَه) المشـهور عدنهم بـ (البـحر) والذى يختص بضبط رسم المصحف وتلاوته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك[3] .

المطلب الثانى

استغراقهُ التامُ وتفرغهُ الكامل

كان لبواكيـر الشنقيطى المبشرة ، ومواهبه الأولى المبكرة ، أكـبر الأثر وأعظمه فى إلزام أهله ومشايخه له بالاسـتغراق التام فى طلب العلم ، وتفرغه الكامل لتـحصيله ، وقد تجلى ذلك واضحاً من خلال ما يلى:

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥١ (من المقدمة) .

(والجُمَـان جمع جُـمَانَة) : وهو اللؤلؤ أو حَبٌّ من الفـضة يشبـه الدُّرَّ ، وفى صفـته ﷺ : «يتَحَدَّرُ منه العَرَقُ مِثْلَ الجُمَان» - انظر مـادة (جَمَن) فى كل من : لسان العرب : ١/٦٨٩ - مختار الصحاح : ص ١١٢ - المعجم الوسيط : ١/١٤٢ .

وأما الحديث المذكور فقد أخرجه البخـارى فى صحيحه (كتاب) المغازى (باب) حديث الإفك - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٣/١٦ - حديث رقم (٤١٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .

(٣) راجع فى ذلك ص   من هذا البحث .

- **صبره ومثابرته :**

حيث كان يواصل البحث والمطالعة متحلياً فى ذلك بصبر ملحوظ ومثابرة ملموسة ؛ إلى الحد الذى يجعله يصل أحياناً ليله بنهاره فى سبيل إزالة بعض اللبس ، أو إيضاح بعض المشكل ، مما لم يتسع له شرح بعض مشايخه ، ولم يشبع نهمه ويرو ظمأه على ما تعود من ذلك فى طلبه وتحصيله .

ومن ذلك ما حدث له عندما وصل إلى (كتاب النكاح فى مختصر خليل) حيث قام من عند شيخه ولم يشف نفسه إزاء فهم بعض النصوص ، وعندئذ أخذ كتبه بعد انتهاء درس الشيخ ليتوفر على البحث والدرس من بعد الظهر فى ذلك اليوم وحتى قبيل الظهر من اليوم التالى ؛ وقد زال اللبس ، وتم الفهم ، واستغنى بذلك عن درسه القادم .

وفى تلك الأثناء كان لا يقوم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام مستعيناً فى ذلك بخادمه الذى يوقد له الضوء ويصنع له الشاهى الأخضر ليستروح به كلما أصابه شىء من الملل أو داخله بعض الإرهاق .

وهكذا كان الشنقيطى يقضى نهاره ، ويبيت ليله ، فى طلب العلم مفكراً وباحثاً ، حتى يذلل صعابه ، ويوضح مشكله ، بل إنه يصف ذلك بنفسه قائلاً :

أبيتُ مفكراً فيها ؛ فَتَضْحَى   لِفَهْم الفَدْمِ خَافضةَ الجَنَاحِ[1]

بل إن صبره هذا ، ومثابرته تلك ؛ قد أفضيا إلى استغراقه التام وعزلته الملحوظة بالرغم من وجوده بين الناس ، فقد كان معهم وليس معهم ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان رحمه الله يدخل عليه فى مجلس الاستقبال فى البيت بعض الضيوف ، وقد يكونون كباراً من ذوى الشأن ؛ ومع ذلك لا يتنبه إليه الشيخ إلا إذا نَبَّهتُه إليهم ؛ ولذا فقد كان بعض مَنْ لا يعرف الشيخ يقول : دخلنا على الشيخ ولم يُسَلِّمْ علينا !!

والحقيقة أنه لا يكون متنبهاً إليهم ؛ حيث يكون مشغولاً بتأليف (أضواء البيان) فى

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٣١/١ (من المقدمة) .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وقوله : (الفَدْم) أى ثقيل الفهم أو قليله - انظر مادة (فَدَم) فى كل من : لسان العرب : ٣٣٩٥/٥ - مختار الصحاح : ص ٤٩٤ - المعجم الوسيط : ٧٠٢/٢ .

ذهنه ، فيجمع الآيات ويضم بعضها إلى بعض ، ويؤلف بين العديد من المسائل المختلفة ؛ ومن ثم يكون مع الجماعة وليس معهم لانشغاله بالتأليف وهو بينهم(١) .

● **أخْرَق لا يُحسِنُ إلا العلمَ (٢) :**

نشأ الشنقيطى وله مَنْ يخدمه ويتولى أمره منذ صغره ونعومه أظافره ؛ ومن ثم لم ينشغل أو يشغل باله بأى عمل من أعمال الدنيا ، بل كان كل تفرغه لطلب العلم وتحصيله ، ويصف لنا الشيخ عطيه أثر ذلك على شيخه بقوله : كان رحمه الله تعالى يقول عن نفسه : (إنى أَخْرَق لا أُحْسِنُ صنعة) وفعلاً ما كان لو كَلَّفتَهُ بأن يعمل أى شىء ، ولو أن يعقد حبلاً عقدة محكمة ، أو يحزم فراشه ، لما استطاع لذلك ولم يتعوده(٣) .

بل إن الشيخ عطية يُشَبِّهُ حالة شيخه من حيث تفرغه للعلم وعدم إتقانه لِصَنْعَةٍ غيره ، بحالة الشافعى فى ذلك ، حيث يقول : وقد ذكرتنى هذه الحالة أمر ذلك الرجل الذى نزل ضيفاً على الشافعى ، فلما كان الليل لاحظ هذا الضيف أن الشافعى بعد كل فترة من الليل ينادى خادمة عنده توقد له السراج ؛ فقال له الضيف : لقد أشغلت هذه الجارية !! لِمَ لا تشعل أنت السِّرَاج لنفسك ؟! فرد عليه الشافعى بقوله : إن معاناة السراج لتشغل قلبى ، وكان الشافعى يطلب إشعال السراج ليقيد شيئاً خطر بباله فى نومه .

وأعتقد أن هذه الحالة من تفرغ الشافعى الكامل لطلب العلم ؛ قد هيأت له هذا التحصيل الكبير ، ولعل شيخنا الشنقيطى رحمة الله تعالى علينا وعليه كان من هذا القبيل(٤) .

● **فروضُ الكفايةِ فرضُ عينٍ عليه :**

كان لقدرة الشنقيطى على الحفظ والقرآن كمظهر من مظاهر بواكيره المبشرة ومواهبه المبكرة ، إلى جانب صبره ومثابرته على طلب العلم وتحصيله ، السبب المباشر ، والدافع الأول ، إزاء إلزام شيوخه له بما لم يلزموا به غيره من أنداده وأترابه ؛ إلى الحد الذى جعلوا فروض الكفاية على غيره فرض عين عليه .

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) الأَخْرَقُ : هو الجاهل بعمل الأشياء ، ولم يكن فى يَدَيْهِ صَنْعَةٌ يكتسب بها ، ويقال للرجل : أَخْرَق ، وللمرأة : خَرْقَاء - انظر مادة (خَرَق) فى كل من : لسان العرب : ١١٤٣/٢ - المعجم الوسيط : ٢٣٧/١ .

(٣) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

وفى ذلك يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : نفعنى الله تعالى بشيخ لى كان يقول لى : يا فلان اعلم أن الفقهاء يقولون : والضرورى من علوم الشرع أنه إذا كان هناك شخص ذكى ذكاءً خارقاً ؛ فإن فروض الكفاية تبقى فرض عين عليه ، فَاتقِ الله واعلمْ أن فروضَ الكفاية فرضُ علين عليك .

وكان يعلمنى دائماً أبياتٍ من شعرِ محمد بن حنبل الشنقيطى[1] يقول فيها :

لا تَسُوءْ بالعم ظناً يا فتى ... إنَّ سُوءَ الظنِ بالعلم عَطَبْ
لا يُزَهِّدْكَ أخى فى العلم أنْ ... غَمَرَ الجهالُ أربابَ الأدبْ
إنْ ترَ العَالمَ نضْواً مُرمِلاً ... صِفرَ كَفٍّ لم يُسَاعِدْهُ سَبَبْ
وترى الجاهِلَ قد حازَ الغِنَى ... مُحْرِزَ المأمولِ مِنْ كُلِّ أَرَبْ
قد تجوعُ الأُسْدُ فى آجَامِهَا ... والذئابُ الغُبْسُ تعتَامُ القَتَبْ
جَرِّعِ النفسَ على تحصيله ... مَضَضَ المُرَّيْن : ذُلٍّ وسَغَبْ
لا يَهَابُ الشَّوْكَ قَطَّافُ الجَنَى ... وإِبَارَ النحل مُشْتَارُ الضَّرَبْ[2]

فقال : نفعنى الله بهذا الشعر ، وبشيخى الذى كان يقول لى : إن فروض الكفاية فرض عين عليك[3] .

● **إيثارُ العِلمَ على الزَّوَاج :**

شُغِلَ الشنقيطى بمتعة العلم عن متعة الأنس بالزوجة ؛ مع شدة الحاجة إلى ذلك خاصة فى سن الفتوة والشباب ؛ ولكنه الإيثار الذى جعله يفضل العلم على كل ما عداه ، حتى لو اقتضته الضرورة ، ودعا إليه مسيس الاحتياج ، كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

---

(١) ويعرف كذلك بـ (ابن الفال الحَسَن) أو (البُوحَسَنى) وهو من أعلام العلماء فى بلاده فى النحو والشعر وغيرهما - راجع ترجمته ص من هذا البحث .

(٢) استهل الشاعر قصيدته هذه بمطلعها الذى يقول فيه :

أَضْرَمَ الهَمَّ سُحَيْراً فالتهَبْ ... لَمْعُ بُرَقٍ بِرُبَيَّاتِ الذَّهَبْ

وقد وردت هذه القصيدة بتمامها فى (الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط) : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثالث

استقصاؤه وشموله وموسوعيته

درج الشنقيطى منذ صغره على نوع خاص من مناهج طلب العلم وتحصيله ، ذلك المنهج الذى يتسم بالتؤدة الواضحة ، والتركيز الملحوظ ؛ بحيث لا ينتقل الطالب إلى مسألة جديدة فى هذا العلم أو ذاك إلا إذا أتقن المسألة التى قبلها إتقاناً تاماً ، واستوعبها استيعاباً كاملاً ؛ وهذا ما غرس فى الشنقيطى ذلك النوع من الاستقصاء والشمول والموسوعية ، والذى بدت ملامحه واضحة من خلال ما يلى:

- **الدراسة الجَرْدِيَّة** [١] :

وهى تلك الدراسة التى تعتمد على إتقان وتفصيل المسألة الواحدة فى الباب الواحد فى الفن الواحد ؛ وبما يشبه أن يكون تتبعاً تفصيلياً لهذه المسألة أو تلك ، وإلى الحد الذى لا يتجاوز معه الطالب الذكى سطرين اثنين من متون بعض العلوم ، فلا يتجاوزهما إلى غيرهما حتى يتقنهما إتقاناً تامًا ، ودون النظر فى ذلك إلى عامل الوقت أو السرعة إزاء إتمامها وإتقانهما ؛ لأن الدراسة ترتبط بالكتب لا بالسنين[٢] .

- **قراءة المطولات :**

كان الشنقيطى يعمد دائماً إلى قراءة الكتب المُطَوَّلَة فى شتى فنون العلم وفروعه ، مبتعداً بذلك عن المختصرات المفردة أو المجموعة، وعن هذا يحدثنا ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى لا يقرأ المختصرات ، وإنما قراءته كلها كانت فى المُطَوَّلاَتِ مثل : فتح البارى لابن حجر أو شرح العينى أو البداية والنهاية لابن كثير أو المغنى لابن قدامة أو المبسوط للسرخسى أو تفسير الطبرى وغيرها من كتب العلوم المُطَوَّلَة[٣] .

---

(١) الجَرْدِيَّة : تعنى بلسان الشناقطة (التتبع والتفصيل) بما يتأدَّى عنهما (الاتقان التام) و (الاستيعاب الكامل) - راجع فى ذلك (ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية) : يحيى بن البَرَّا ص ١٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ - ٢٧ (من المقدمة) .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

• **التبحرُ والإتقان :**

وانطلاقاً من موسوعية الشنقيطى فى طلب العلم وتحصيله نجده فى مرحلة الطلب يتبحر فى مسائل كل باب يتناوله من أبواب العلوم المختلفة ، جامعاً لذلك شتى المراجع ، ومحيطاً بأدق التفاصيل ، وإلى هذا يشير ابنه الدكتور عبد الله بقوله : كان الوالد رحمه الله تعالى يقول : كنت فى أيام الطلب لا أقرأ الفنون فناً بعد فن ، وإنما كنت أخذ باباً من الفن وأجمع له كل المراجع ، ثم أعكف عليه شهراً أو شهرين حتى أقرأ كل ما يحيط بهذا الباب ، ثم أستريح أسبوعاً أو أسبوعين ، ثم أعود لباب آخر .

فمثلاً كان يأخذ كتاب (القياس) ويجمع كل ما حوله من كتب الأصول فيقرؤها تماماً ، ثم يحفظ المتون والشروح والحواشى ؛ وعندئذ ينتقل إلى باب (الاجتهاد) ثم باب (الإجمماع) وهكذا[١] .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطى إذا تكلم فى أمر لا يتركه حتى يُفَصِّلَه تفصيلاً بما لا يدع معه زيادة لمستزيد ؛ بل يبدو كأنه إمام فى هذا الأمر دون غيره من الأمور ؛ وذلك لفرط إتقانه وعمق تبحره فى مختلف فنون العلم وفروعه ؛ الأمر الذى حدا بابنه الدكتور عبد الله إلى تشبيهه بالطبرى الذى يراه إماماً فى كل العلوم ، وذلك بقوله : كان الوالد رحمة الله عليه إذا تكلم ظهر علمه فى مختلف الفنون كالفقه والمنطق والنحو والبلاغة والتاريخ والسيرة ؛ وهو فى ذلك مثل ابن جرير الطبرى الذى كان عالماً فى كل العلوم ؛ ولهذا يقول الحافظ ابن حجر : (سَلِمَ لابن جرير مَالمْ يَسْلَمْ لغيره) لأن كل مفسر يظهر فيه التخصص ، أما ابن جرير فقد كان متخصصاً فى كل العلوم ، والوالد رحمه الله تعالى كان كذلك[٢] .

المطلب الرابع

مُعاصرَتهُ وثقافتهُ الحاضِرَة

كان الشنقيطى من أولئك النفر من العلماء الذين يهتمون بمجريات الأحداث فى أيامهم ، ويدلون بآرائهم فى مستجدات الأمور من حولهم ؛ وليس أدل على ذلك من مناقشته مختلف القضايا الراهنة التى يكثر حولها الجدال ، وتختلف بشأنها الآراء ؛ الأمر الذى تجلّت معه معاصرته وإحاطته بتلك القضايا بصورة واضحة من خلال مايلى :

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● **مناقشة القضايا الراهنة :**

وذلك من خلال تعرضه لتفسير الآيات التى يتناول تحتها تلك القضايا ، ومن أمثلتها :

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا تعدد الزوجات ، وكون الطلاق بيد الرجل ، وكون ميراث الرجل أكثر من ميراث المرأة ، وقضية الرقيق وجواز رقهم من عدمه إلخ .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[2] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضية الاجتهاد والتقليد وموقف الأمة منها .

وقوله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الآية[3] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية مسألة القياس والرد على منكريه .

وقوله تعالى : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية[4] حيث ناقش من خلال تفسير هذه الآية قضايا البيوع والإيجارات والشركات ، وسائر ما يتعلق بذلك من مسائل ومشكلات .

● **الاهتمام بواقع المسلمين :**

كان الشنقيطى واسع الإهتمام بواقع الأمة الإسلامية على مستوى حكامها وشعوبها على حد سواء ، حتى إن ابنه الدكتور عبد الله يُحَدِّثُ عنه فى ذلك قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يُحَذِّرُ من حكام بعض الدول الإسلامية الذين فسدت عقيدتهم، ومنبهاً إلى مدى ضررهم الذى يلحق شعوبهم من جراء شرورهم التى تنذر بخراب ديارهم، وإفساد حياتهم[5] .

● **متابعة الأحداث العالمية :**

ولم يقتصر اهتمام الشنقيطى على الدول الإسلامية فحسب ؛ بل تعداه إلى متابعة الأحداث العالمية ، ومواكبة الصراعات الدولية التى تنشأ هنا أو هناك ، وإلى هذا يشير أيضاً ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحدثنى وأنا لازلت صغيراً فى المتوسط[6] بكلام رأيت كتباً صدرت به فيما بعد ، ومن أمثلتها كتاب (لعبة الأمم) الذى طالعت فيه جملة الكلام الذى حدثنى عنه الوالد رحمه الله تعالى من قبل[7] .

---

(١) الإسراء : ٩ . (٢) محمد ﷺ : ٢٤ .
(٣) الأنبياء : ٧٩ . (٤) الكهف : ١٩ .
(٥) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة بتصرف) .
(٦) والمتوسط يعادل فى مصر المرحلة الإعدادية من التعليم الأساسى .
(٧) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) . .

المطلب الخامس

تورعه عن الفتيا ورجوعه للحق

كان الشنقيطى من أولئك النفر من العلماء الذين يتورعون عن الفتوى وينأون بأنفسهم عنها ؛ وليس ذلك إلا على سبيل التواضع الذى ألفوا تربية أنفسهم عليه ، وهذا سَمْتُ العلماء المعتبرين من سلف هذه الأمة ، والذين أُثِرَتْ عنهم أقوالهم العديدة فى التنبيه على التورع عن الفتوى ، وتحذيرهم من خطر الإقدام عليها فى غير ما ضرورة ، ومن ذلك قولهم : (جُنَّةُ العالم : لا أدرى ؛ فإذا أغفلها أصيبتْ مقاتلُه)[1] وقولهم : (ينبغى أن يُوَرِّث العالمُ جلساءَه قولَ : لا أدرى ؛ حتى يكون ذلك أصلاً فى أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سُئل أحدهم عما لا يدرى قال : لا أدرى)[2] وأخيراً : فقد صَحَّ عن أبى الدرداء ﷺ أنه قال : (لا أدرى نصفُ العلم)[3] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعى ﷺ) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم : للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البَرِّ النمرىّ القرطبىّ ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١م) - ص ٣٧ - عن نسخة (دار الكتب المصرية) مع إتمامها ومقابلة بعضها (بنسخة كوبريلى محمد باشا بالآستانة) - عُنِىَ بنشره : حسام الدين القدسى - مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٠م .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - ٨/ ٦٩ - أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط - وحقق هذا الجزء : نذير حمدان - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م .

و (الجُنَّة) : هى السترة والوقاية ، بل وكل ما وَقَى من سلاح وغيره ، وهى مأخوذة من قولهم : (جَنَّ جَنًّا) أى استتر، والجمع : (جُنَن) - انظر مادة (جَنَن) فى المعجم الوسيط : ١٤٦/١ .

وعليه فقوله هنا : (جُنَّة العالم) أى وقايته وحمايته التى تنأى به عن مزالق الخطر ، وتكفيه شر الوقوع فى الفُتيا بغير ضرورة ؛ وذلك بإلزام نفسه قول : (لا أدرى) وتدريبها عليه .

(٢) الدِّيبَاج المُذْهَب فى معرفة أعيان علماء المَذْهَب : لابن فرحون المالكى ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧م) - ١١٢/١ - تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدى أبى النور - دار التراث للطبع والنشر - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : للحافظ أبى عمر بن عبد البَرِّ ص ٣٨ .

ويلاحظ أنه على الرغم مما اشتهر عن الإمام مالك من قوله (مَنْ قال لا أدرى فقد أفتى) أو : (مَنْ قال لا أدرى فقد أتى بنصف الإجابة) إلاّ أن ابن عبد البَرّ لم يورده فى فضائل الإمام مالك من خلال مصنفه المذكور الذى قصره على فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعى) متعقباً إياها فى مظانها المختلفة ، كما أننا لم نقف بدورنا على هذا القول المشهور عن مالك فيما توفر تحت أيدينا من مصادر .

ومن ثم ؛ لم يكن شيء أسهل علـى الشنقيطى من قول : (لا أدرى) كـما أنه لم يكن ليتكلم فى شىء إلا إذا سُئل عنه ، وإلى هذا يشير ابنه الدكـتور عبد الله قائلاً : كان يجلس فى مجلسه رحـمه الله تعالى كل مَنْ شاء ، وكان يتـأدب مع كل الناس ، غير أنه لا يتكلم إلا إذا سُئل أو تكلم أحد أمامه بالخطأ كما كنت أتعمد ذلك أحياناً فى بعض المسائل لأعرف رأيه فيـها ؛ وعندئذ يجيب رحـمه الله تعالى بالواقع كـيفما اتفق حـتى لو كان فيـه تجريح للسائل ؛ لأنـــه مادام قد سألـه فلابد أن يُبيِّنَ له الحق ، أمـا إذا سُئل وكان لا يعـرف فإنه يقول : لا أعرف ، وما رأيت أحداً أسهل عليه : (لا أدرى) منه رحمه الله تعالى .

وفى التحذير من خطر الكلام بدون علم كان يقول لى دائماً : يا ولدى :

إذا مـــا قتلتَ الشىءَ علماً فقلْ به ... ولا تقل الشىءَ الذى أنتَ جَـاهلُهْ

فَمَنْ كـــانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّراً ... ويكره (لا أدرى) أُصِيبَتْ مَقَاتلُهْ[1]

كما يضـيف الشيخ عطية عن تورع شيـخه عن الفتوى إلا إذا دعـته الضرورة إلى ذلك فيقول : ومما لوحظ عليه فى سنواته الأخيرة تباعده رحمه الله تعالى عن الفتيا ، وإذا اضْطُرَّ إليها كان يقول : لا أتحمل فى ذمتى شيئاً ، ولكن العلماء يقولون : كذا وكذا ؛ وقد سألته ذات مرة عن ذلك فقال : إن الإنسان فى عافية مالم يكن مصاباً بابتلاء السؤال؛ لأنك تقول عن الله تعالى ، ولا تدرى أتصـيب حكم الله تعالى أم لا ؟! فما لم يكن عليـه نص قاطع من كتاب الله أو سُنَّة رسوله ﷺ وجب التحفظ فيه[2] .

غير أن الشنقيطى بالرغم من صـلابته فى بيان الحق ، مع قوة حجته وصـدق لهجته فى ذلك كما سيـأتى بيانه فى مواضعه من البحث ؛ إلا أنه كان رَجَّـاعاً للحق ، بل وسهلاً ليناً فى الأخذ به مـتى ظهر له ؛ وهو فى ذلك يصدر عن حديث رسـول الله ﷺ : «الحكمة ضالةُ المؤمنِ أينما وجدها أخذها» الحديث[3] .

ومن المواقف التى تحـسب للشنقيطى إزاء رجـوعه إلى مـا ظهر له من الحق ، نذكـر ما قرره بشأن كل من :

---

(١) وفى رواية : (أن يُرَى مُتَقَوِّلاً) - راجع ذلك بتصرف فى (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

وهكذا يرى الشنقيطى أن حب الصدارة ، والتعرض للافـتاء بدون علم ، إنما هو موت محقق لصاحبه ، وكأنه وَجَّهَ بيده سهاماً نافذة إلى صدره فأصابت مواقع القتل منه .

(٢) أضواء البيان : الضنقيطى ١/ ٦٣ (من المقدمة) .

(٣) أخرجه الترمـذى فى سُنَنه (كتاب) العلم (باب) ما جاء فى فضل الفقـه على العبادة - (طبع بيروت) - كما أخرجه ابن ماجه فى سننه (كتاب) الزهد (باب) الحكمة - (طبع بيروت) .

● الأشهر الحُرُم:

حيث كان يقول بنسخها ثم عَدَلَ عن ذلك إلى القول بإحكامها ، وإلى هذا يشير تلميذه الشيخ عطية بقوله : فى آخر دروس الشيخ فى الحرم النبوى فى رمضان الماضى[1] فى سورة (براءة) حيث أعلن عن رجوعه عن القول فى الأشهر الحرم بأنها منسوخة[2] وقال : الذى يظهر لى أنها مـحكمة ليست منسوخة ، وكنا نقول بنسخها فى (دفع إيهام الاضطراب)[3] ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة ، وهو الحق الذى ينبغى اعتماده والتعويل عليه[4] .

● زكاة الحُلِيّ:

يحدثنا الشيخ عطية أيضاً عن رجوع شيخه عما كان قد رآه بشأن زكاة الحُلِىِّ للنساء فيقول ما نصه : ومما وقع لى معه رحمه الله تعالى وأكبرته فيه تواضعه وإنصافه فيما سمعت منه فى مبحث زكاة الحُلِىِّ فى(أضواء البيان) عند سرد الأدلة ومناقشتها أن من أدلة الموجبين حديث المرأة اليمنية ومعها ابنتها وفى يدها مَسَكَتَانِ غليظتان من ذهب[5] فسألها رسول الله ﷺ : «أتؤدين زكاةَ هذا ؟ فقالت : لا ؛ فقال : هما حسبك من النار ؛ فخلعتهما وألقت بهما» الحديث[6] .

وأجاب المانعون: بأن هذا كان قبل إباحة الذهب للنساء ، فتساءلت مستوضحاً منه رحمه الله تعالى: وماذا يسمى هذا منه ﷺ : سكوته عن لبسه وهو مُحَرَّمٌ ، وسؤاله عن

---

(١) ويقصد به شهر رمضان المعظم من عام وفاة الشنقيطى فى (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

(٢) وعددها أربعة أشهر ، منها ثلاثة سُرُد متتابعة هى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وشهر فَرْدٌ هو : رجب ، وقد حَرَّمَ الله تعالى فيها القتال بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ براءة أو التوبة : ٣٦ .

(٣) وتمام اسمه : (دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب) وهو أحد مؤلفات الشنقيطى كما سيأتى بيانه فى موضعه من البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٨/١ (من المقدمة) .

(٥) مَسَكَتَان أى سِوَارَان ، المفرد مَسَكَة والجمع مَسَك : وهى الأسورة أو الخلاخل من الذَّبْل أو القرون أو العاج أو الذهب أو الفضة أو نحو ذلك مما تجعله المرأة فى يديها أو رجليها – انظر مادة (مَسَك) فى كل من لسان العرب : ٤٢٠٢/٥ – المعجم الوسيط : ٩٠٤/٢ .

(٦) أخرجه النسائى فى سننه (كتاب) الزكاة (باب) زكاة الحُلِىِّ – (طبع بيروت) – كما أخرجه أبو داود فى سننه (كتاب) الزكاة (باب) الكنز ما هو ؟ وزكاة الحُلِىِّ – – (طبع بيروت) .

زكاته ؟! فقال : عجباً !! إن هذا يتضمن وجود اللبس عند السؤال ، بل ويدل على إباحته آنذاك ؛ لأنه ﷺ لا يُقِرُّ أحداً على مُحَرَّم ، ولا يتأتى أن يسكت عن لبسها إياه وهو ممنوع ، وفى ذات الوقت يهتم لزكاته ، ولو أعيد طبع الكتاب لَنَبَّهْتُ عليه رغم أن جميع المراجع لم تلتفت إليه[1] .

ويعقب الشيخ عطية على كلام شيخه بقوله : والشيخ رحمه الله تعالى يلقن طلبة العلم بهذا درساً فى موقفه من الحق ، ولكأنى بكلام عمر رضي الله عنه فى كتابه لأبى موسى رحمه الله تعالى : (لا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَه بالأمس ، ثم راجعتَ فيه نفسَكَ وظهر لك الحق ؛ أن تأخذَ به ، فالحق أحق أن يُتَّبَع) وقد رأينا من قبل للشافعى القديم والجديد ، وهذا ما تقتضيه أمانة العلم وإنصاف العلماء[2] .

* * *

وفى الجملة : فقد جمع الشنقيطى - إضافة إلى الصفات السابقة بين كل من : التمكن والاقتدار من حيث حفظه واستحضاره لآيات القرآن الكريم ، وكذا امتلاكه ناصية اللغة والشعر على الرغم من بغضه نسبة الشعر إليه ، وأخيراً حبه وإنصافه غيره من العلماء من لدن سلف هذه الأمة إلى معاصريه منهم .

غير أن أخص ما يميز الشنقيطى هو عمق فكره ، وغزارة علمه ؛ الأمر الذى لم تتسع له مؤلفاته على ما فيها من موسوعية ظاهرة ، واستقصاء ملحوظ ؛ وهذا ما يشهد به غير واحد من علماء عصره الذين يقررون أن علمه أغزر مما فى كتبه كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه من البحث .

وهكذا يفضى الإلمام بصفات الشنقيطى الخِلْقِيَّة والخُقِيَّة والعِلْمِيَّة إلى تحديد معالم شخصيته ؛ واستحضار هيئته وصورته ؛ والذى يعين بدوره على فهم وتحليل إنتاجه الفكرىّ ، بل واستجلاء أصول منهجه العلمىّ ؛ وتلكم ضرورة يقتضيها فضول البحث ، وتحتمها منهجيته ؛ وهو الأمر الذى ينبغى أن يتم الاتفاق على أهميته وعدم الاستهانة به أو إغفاله ، إزاء تناول العلماء بالترجمة لهم ، أو الحديث عنهم .

وهذا ما فعله الدكتور أحمد الحوفى فى معرض ترجمته لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبرى حيث يَنُصُّ على ذلك قائلاً : ورسمت صورة لشخصيته من صفاته الجسمية والخُلُقية والعقلية ، بالقدر الذى استطعت أن أعثر على ألوانه فى المصادر التى أَرَّخَتْ له ، بل نراه

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٨ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٩ (من المقدمة) .

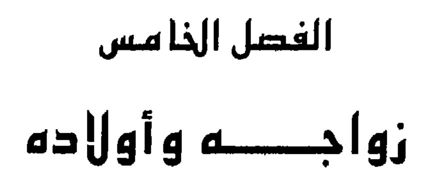
يخصص لذلك الفصل الرابع كاملاً تحت عنوان (معالم شخصيته) والذى ضَمَّنَه عناصر شخصية الطبرى بما له من صفات جسدية وخُلقية ونفسية وعقلية ، ثم يختم ذلك بذكر أثر هذه الشخصية على علم الطبرىّ ومنهجه الفكرى(١) .

وليس أدل على أهمية ذكر تلك الصفات من الاستئناس لذلك مع الفارق بجملة الأحاديث والآثار التى وردت فى وصفه ﷺ(٢) فمع كثرة هذه الأحاديث ، وتعدد تلك الآثار ؛ إلاّ أنه لا يُخْتَلَفُ على أهميتها ، بل وضرورة تناولها بالدراسة والبحث .

---

(١) انظر كتاب (الطبرىّ) : د. أحمد الحوفىّ ص ٥ (من المقدمة) - ثم ص (٤٢ - ٨٢) - (الفصل الرابع : معالم شخصيته) - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣م .

(٢) انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - (١٤/٤٩ - ٦٧) - (باب) صفة النبى ﷺ - (الأحاديث والآثار من رقم ٣٥٤٢ إلى رقم ٣٥٦٨) مراجعة كل من : (طه عبد الرؤوف سعد - مصطفى محمد الهوارى - السيد محمد عبد المعطى) - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .



الفصل الخامس

زواجـــه وأولاده

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : زواجه .

٢- المبحث الثانى : أولاده .

المبحث الأول

زواجـــــــــه

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأو ل : مرحلة مـا قبل الزواج .

٢- المطلب الثانى : مرحلة الـــــزواج .

المطلب الأول

مرحلة ما قبل الزواج

آثر الشنقيطى متعة العلم على متعـة الأنس بالزوجة ؛ على الرغم من شدة احتياجه إليه فى فتوته وشبابه ، غـير أن تفرغه الكامل واشتغراقه التام الطلـب العلم وتحصيله صار هدفاً سامياً يحتل من نفسه موقع الصدارة من حيث اهتمامه له ، وانشغاله به .

بل دفع بـه هذا الهدف إلى تـفضيل العلم على كل مـا عداه من الرغبات المشـروعة ، والمتطلبـات المباحة ، التى يرغب فـيهـا المـرء ، وتميل إليهـا النفس ؛ حتى لـو اقـتضتـها الضرورة ، ودعا إليها مسيس الاحتياج ، ومنها بل وأهمها الزواج بلا خلاف .

ومع ذلك ؛ لم يتردد الشنقيطى لحظة ولا أقل من ذلك فى الرد على بعض أقرانه الذين فاتحوه فى أمر الزواج أثناء مرحلة التحصيل والطلب ، حيث أجابهم على الفور بإيثاره العلم وانشغاله بأبكار فنونه العذارى ، عن زواجه بالفاتنات الأبكار العذارى .

ونترك المقام هنـا للشنقيطى ليحدثنا بنفـسه عن مرحلة ما قبل زواجـه قائلاً : كنت فى أخريات زمنى فى الاشتغال بطلب العلم دائم الاشـتغال به عن التزويج؛ لأنـه ربما عاق عنه ، وكـان إذ ذاك بعض البنات مِـمَّنْ يصلح لمثلى يرغب فى زواجى ويـطمع فيـه ؛ فلمـا طال اشتغـالى بطلب العلم عن ذلك المنوال ؛ أَيِسَتْ منى فتزوجتْ ببعض الأغنيـاء ، فقال لـى بعض الأصـــدقـاء : إنْ لم تتـزوج الآن مَنْ تـصلح لك ؛ تزوجـتْ عنـك ذوات الحـسب والجمـال ، ولم تجد مَنْ تصلح لمثلك ، يريد أن يعجلنى عن طـلب العلم ؛ فقلت فى ذلك هذه الأبيات :

دَعَـــانى الـناصـحـونَ إلى النكاحِ	غــــداةَ تـزوجـتْ بِـيضُ الملاَحِ
فــقـــالـوا لى : تـزوجْ ذات دَلٍّ	خَلُـوبَ اللَّحْـظ ، جـائلةَ الـوشَـاحِ
فـقلت لـهم : دعـــونى ؛ إنَّ قلبى	منَ الغَـىِّ الصُّـرَاحِ الـيـومَ صَـاحِى
ولـى شُـــغلٌ بـأبكـار عَـــذَارَى	كـأن وجـوهَهَـا ضَــوْءُ الصَّـبَـاحِ
أَبِيتُ مـفـكراً فـيـهـا فَـتَـضْـحَى	لِفَـهْم القَـدْمِ خَـافِـضَـةَ الجَنَاحِ
أَبَحْتُ حـريمَهَـا جـبـراً عليـهـا	ومـا كـان الحريمُ بِـمُـسْتَـبَـاحِ[1]

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقـيطى ص ٢٤٨ - الطبعة ١ - دار الشـروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

وتمام هذه الأبيات أحد عشـر بيتاً اخترنا منها ما أثبتنـاه من باب دلالة البعض على الكل ، كما وردت هذه الأبيات بتمامها فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٣١ - ٣٢ (من المقدمة) .

ويعقب تلـميذه الشـيخ عطية على ذلك بقـوله : نعم ، إنه كان يبـيت فى طلب العلم مفكراً وباحثاً ؛ حتى يذلل الصِّعَاب ، وقد طابق القول العمل[1] .

كمـا يردف الشيخ المجـذوب ذلك بقوله : فقـد كان مشـغولاً بمتعـة العلم عن الأنس بالزوجة ؛ حتى ليصـرفه التفكير بالمعانى الغوامض عن حاجة نفـسه التى هى أشد ما تكون تفتحاً إلى ذلك الأنس[2] .

المطلب الثانى

مرحـلة الـزواج

ظل الشنقيطى يؤثر الـعلم على الزواج إلى أن تم له النصاب الذى أَهَّلَهُ للدرس والفُتـيا والقضاء كـواحدٍ من أبرز العلماء فى بلاده ؛ وعندئذ جمع العزم على الزواج ، وعـقد النية عليه ؛ وما أحرى عـالماً كالشنقيطى بالامتثال لأمـر الله تعالى ، واتباع سُنة رسوله ﷺ ، بشأن الترغيب فى النكاح والحثّ عليه[3] .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣١ (من المقدمة) .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٥ .

(٣) ومن آيات القـرآن المرغبـة فى ذلك قول الله تعـالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم : ٢١ .

ومن أحاديث السُّنة المرغبة فى النكاح ، الحاثة على الذرية الصالحة نذكر مايلى :

- عن أنس ﷺ قال : جـاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج الـنبى ﷺ يسألون عن عـبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها ؛ فقالوا : وأين نـحن من النبى ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ، قال أحـدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال آخـر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أ تزوج أبداً ؛ فـجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أمَا والله إنى لأخشـاكم لله وأتقاكم له ؛ لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فَمَنْ رَغِب عن سُنتى فليس منى» .

أخرجـه البخارى فى صـحيحه (كـتاب) النكاح (باب) الترغـيب فى النكاح - واللفظ له - (طبع بيروت) - وانظر كـذلك فتح البارى بشرح صـحيح البخارى : لابن حـجر العسقـلانى (كتاب) النكاح (باب) الترغيب فى النكاح - ١٩/ ١٢٥ - حديث رقم (٥٠٦٣) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) النكاح (باب) استحباب النكاح - (طبع بيروت) .

- ومن ذلك أيضاً قول رسول الله ﷺ : «لم نَرَ للمتحـابين مثل النكاح» - أخرجه ابن ماجه فى سُنه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء فى فضل النكاح - (طبع بيروت) .

- وأخيراً ما رواه مـعقل بن يَسَار ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فـقال : إنى أصبت امرأة ذات حَسَب وجمال وإنها لا تلد ، أفأتزوجهـا ؟ قال : «لا» ثم أتاه الثانية : «فنهاه» ثم أتاه الثالثة فقـال : «تزوجوا الودود الولود ؛ فـإنى مكاثر بكم الأمم» - أخـرجه أبو داود فى سُنَنه (كـتاب) النكاح (باب) النهى عن تزويج مَنْ لم يلد من النساء - (طبع بيروت) - كـما أخرجه النسائى فى سُنَنه (كتاب) النكاح (باب) كراهية تزويج العقيم - (طبع بيروت) .

ومن ثم ؛ تزوج الشنقيطى الأولى ، وهى أم أولاده وقد توفـيت عنه ، ثم تزوج الثانية ولم ينجب منها وتوفيت عنه كذلك ، فتزوج الثالثـة غير أنه فارقها ولم ينجب منها أيضاً ، ثم كان أن تزوج الرابعة والأخيرة وقد تُوُفِّىَ هو عنها ولم ينجب منها كذلك[1] .

وأما حُسْنُ معاشـرته ، وطيبُ معاملته لزوجاته ، فهذا ما يحدثـنا عنه ابنه الدكتور عبد الله قائلا : لازالت زوجته الأخـير تبكى إلى الآن كلما ذكَرَتْه ، وكان يعاملهـا كأنها ضيف فى البيت ، ويقول : هذه ضيفة ؛ كلمة تخرجها من البيت[2] .

- **ملاحظات حول زواجه :**

١- تأخـر زواج الشنقيطى خـلافاً لأنداده وأترابه الذين يـتم تزويجهم فى سن مـبكرة على عاداتهم فى بلادهم ؛ وذلك لإيثاره العلم ، وانشغاله بتحصيله كما سلف بيانه .

٢- بالرغم من أنه تزوج أربع نسوة ؛ إلا أنهن كُنَّ من الثيبات جـميعاً ؛ ومن ثم لم يتزوج بكراً قط فى حياته[3] .

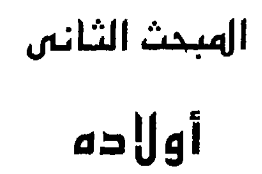
٣- لم ينجب الشنقيطى سوى من زوجته الأولى أم أولاده ، والتى توفيت عنه فى بلاده .

---

(١) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ١٩١ (بتصرف) .

(٢) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢٠٧ .

(٣) راجـع فى ذلك (ترجمـة الشيخ محمد الأمين الشنقـيطى) : جمع وتصنيف عبـد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩١ .



المبحث الثانى

أولاده

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : البنت الكبرى .

٢- المطلب الثانى : الولد الأول .

٣- المطلب الثالث : الولد الثانى .

المطلب الأول

البنت الكبـــرى

وهى البكر ؛ حيث كانت أوّلَ ما رُزِقَ به الشنقيطى من الذرية ، ولا تزال مقيمة ببلادها شنقيط ، غير أننا لا نعلم من خبرها سوى ما ذكرنا ، وإلى هذا يشير شيخ عطية تلميذ أبيها بقوله : والواقع أن له ثلاثة من الأولاد ، بنتاً وولدين ، أمـا البنت وهى الكبرى : فهى فى البلاد موريتانيا[1] .

المطلب الثانى

الولـــــد الأول

الدكتــور مـحمد مـختار ، واسـمه كاسم جَـدِّه لأبيه ، ويعمل أسـتاذاً ورئيسـاً لقسم الأصـول بكليـة الشـريعـة بالجامعة الإسـلامية بالمدينة المنورة ، ومـن آثاره العلمـية مـا يلى :

١- مقابلة ومراجعة كتاب والده الشنقيطى المسمى : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) حيث جاءت فى نهايته مـا نصه : هذا آخر ما كتبه المؤلف رحمـه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليْها[2] فى ٢٥ من رجب عام ١٣٩٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطى[3] .

٢- تحقيق ودراسة أحد مؤلفات أصول المالكية والمسمى : (مَرَاقِى السُّعود إلى مَرَاقِى السُّعود) لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنىّ الشنقيطى[4]* .

---

(١) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) والضمير يعود هنا على رحلة والده الشنقيطى فى حجه إلى بيت الله الحرام .

(٣) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الـشنقيطى ص ٢٨٤ (نهاية الكتـاب) - وهذا التاريخ يوافق ٢٠ من يونيو عام ١٩٧٩م .

(٤) وقد نال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قـسم الدراسات العليا بالجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة فى رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١م .

- انظر النشـرة الإخبارية الصـادرة عن وحدة المعلومـات التابعـة للندوة العالميـة للأنشطة العلمـية الإسلامـيـة - العدد (٥) - دار البحوث العـلمية - الكويت - جمـاد الأول ١٤٠٢هـ = مارس ١٩٨٢م .
- ويلاحظ أن هذا الكتاب قد ورد باسم : (مراقى الصُّعُود إلى مراقى السُّعُود) على لسان أحمد بن أحمد المختار الجنكى الشنقيطى فى كتابه المسمى : (إعداد المهج للاستفادة من المنهج) ص ١٦ .

والدكتور محمد المختار لا يزال يقيم حتى الآن مع أولاده فى بيت والده الشنقيطى بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوى الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم[1] .

المطلب الثالث

الولـــــد الثانـــى

الدكتور عبـد الله ، العميد السابق ، وأستـاذ ورئيس قسم التفسير الحـالى بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن آثاره العلمية نذكر : تحقيق ودراسة كتاب : (الواضح فى التفسـير) للدِّيَنَوَرِىِّ [2] إلى غيـر ذلك من الدراسات النافـعة حول كـتاب الله تعالى .

والدكـتور عـبـد الله يقـيم مـع أولاده فـى دار واسـعـة المرافـق فى ضـواحـى المدينة المنورة[3] .

* * *

وهكذا أثمر زواج الشنقيطى وَلَدَيْنِ من أهل العلم ورجـالاته ؛ حيث سارا على دربه ، ولا يزالان يكملان المسـيرة بعـده ، فى نشر العلم وتدريسه ، عـبر الأجـيال المتلاحـقة من طلاب العلم وباحثيـه على السواء ، بالإضافة إلى نشاطهمـا المكثف فى الدعوة إلى ضرورة التمسك بكتـاب الله تعالى ، وسُنة رسوله ﷺ واتباع منهج الـسلف الصالح رضوان الله عليهم بالحكمـة والموعظة الحسنة ؛ امتـثالاً منهما لقـول الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية[4] .

وقد لاقت دعوتهما الاسـتحسان والقَبُول ، سواء بين أعضاء الجـالية الموريتانية فى مكة

(١) وهو بيت متواضع مبنى من الطوب اللَّـبِن يُعْرَفُ هناك بـ (البيت الشعبى) ويشبه إلى حد كـبير بيوت الريف المصرى المبنية من الـطين ، ويحمل هذا البيت رقم (٣) بحارة الأشراف ببـاب الكومة ، وقد زرت هذا البيت المكوّن مـن طابقين وفناء واسع ، حيث جعل الطابق الـثانى لأهل البيت مع المكتـبة التى هى مكتبة الشنقيطى ذاته ، فى حين جـعل الطابق الأول مع الفناء لطلاب العلم وكذا الأضياف من الشناقطة وغيرهم ، وما أكثرهم كما هى حالهم فى حياة الشنقيطى .

(٢) وقد نال به درجة الدكتوراه من قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

- انظر (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٦ .

(٣) وقد زرت هذا البيت الذى يضم مكتبة طيبة ، ومجلساً رحـباً عامراً بحلقات النقاش والبحث ، فيما يتعلق بأحوال المسلمين وواقعهم المعاصر فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

(٤) النحل : ١٢٥ .

المكرمــة والمدينة المنورة ، أو فــى موريتانــيا نفســها من خــلال بعثـات الدعوة التى توفـدها الجامعة الإسلامية فى صـيف كل عام إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى[1] وليس ذلك إلا لتواضعــهما وكرم نفــسيهما ، وأدبهــما وطيب معدنهــما ، إلـى آخــر ما يتمتـعان بـه مـن جـمـلة الأخـلاق الحـسنة ، والســجايا الـكريمة ، والتى ورثاها عن والدهمـا الشنقـيطى ، وصــدق الله العظيم إذ يقول فى محكم التنزيل : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية[2] .

(١) راجع فى ذلك (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٤٢٧ .

(٢) آل عمران : ٣٤ .

الفصل السادس

وفاته ورثاؤه وحُسْنُ خاتمته

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : وفاته .

٢- المبحث الثاني : رثاؤه .

٣- المبحث الثالث : حُسْنُ خاتمته .

المبحث الأول

وفاتــــــــــه

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١- المطلب الأو ل : حَجُّه الأخــــــير .

٢- المطلب الثانــى : مرضه الذى تُوُفِّيَ فيه .

٣- المطلب الثالــث : الشنقيطى يُسْلِم الرُّوح لخالقه .

٤- المطلب الرابـــع : غُسْله والصلاة عليه ودفنـــه .

٥- المطلب الخامس : صلاة الغائب على الشنقيطى .

بعد عُـمْرٍ حافل بالعطاء ، وحـياة زاخرة بالإيثـار ، يلقى الشنقيطىّ عـصار التسـيار ؛ فَيُسْلِمُ رُوَحـه ، ويقضى نحبه ، عـما يناهز ثمانية وسـتين عاماً ، قضى منهـا ما يقرب من اثنين وأربعين عاماً فـى بلاده شنقيط ، ثم أتمها بستة وعـشرين عاماً فى بلاد الحـجاز حيث وفاته بها(١) .

وقد سبـقتْ وفاةَ الشنقيطى إرهاصـاتٌ مبدئية كَوَّنَتْ لديـه إحساساً عامـاً يُؤْذِنُ بالنهاية ويَدُلُّ عليهـا ، وذلك بَدْءً مِنْ حَجِّـهِ الأخير ، وانـتهاءً بمرضـه الذى توفى فيـه ، وهذا ما نعرضه له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
حَجُّـه الأخـير

على الرغم من سوء صـحته الشنقيطى فى أخريات أيامـه ، إلاَّ أنه أَصَرَّ على الحج فى السنة التى توفى فيـها ؛ خاصة وأنه أراد أن يكفـر به عن سفره للعلاج بلندن الـتى كان قد رجع لتوه منها ، ولما راجعه تلميذه وابن قبيلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى فى ترك الحج فى تلك السنة نظراً لـسوء صحـته ؛ كـان أن رَدَّ عليه قـائلاً ما نصـه : دَعْ عنك المحاولة إن سفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لابد أن أكفر عنه بحج(٢) .

وبالفعل فقـد أنفذ الشنقيطى عزمـه على حجه من سنته تلك ، حـيث خرج من المدينة المنورة قاصداً البلد الحرام بمكة المـكرمة مفرداً ملبياً كعادتـه فى نسكه كل عام ، حتى إذا كان السَّعى للحـج ؛ هاجمتـه بواكير الألم ، وهذا الذى يحـدثنا عنه تلميـذه أحمد بن أحـمد الشنقيطى قـائلاً : لما جاء الشيخ رحمـه الله للسعى يوم الحج الأكبر ، سـعى شوطاً واحداً على قدمـيه ، ثم أُخِذَتْ له العَرَبَة ؛ غـير أنه كان قد حـصل له ضيق فى التنفس من ذلك الشوط الذى طافه على قدميه(٣) .

ومع ذلك ؛ فقد أتم الشنقيطى مناسك ذلك الحج كاملة ، حتى جاء اليومُ الخامسَ عشرَ من ذى الحجة بعد انتهاء شعائر الحج بيومين ، وعندئذ كان من أمره ما كان .

---

(١) هذه السنوات بحساب التقويم الهجرىّ ، أما حسابها بالتقويم الميلادى فهو : سبعة وستون عاماً ، ثم واحد وأربعون عاماً ، وأخيراً ستة وعشرون عاماً على الترتيب .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- المعين والزاد فى الدعـوة والإرشاد : جـمع وتأليف سيـد الأمين بن المامى الجكنى الشنقـيطى ص ١٠٤ .

المطلب الثانى

مرضه الذى توُفّىَ فيه

لما كان يوم الثلاثاء الخامسَ عشرَ من ذى الحجة أصيب الشنقيطى بوعكة صحية بسبب (فيروس الأنفلونزا) وكان العلاج مركباً من مادة (البنسلين) غير أنه كان يعانى منذ زمن من (حساسية شديدة) من هذه المادة ، فلما تعاطى هذا العلاج ؛ زادت عليه تلك الحساسية بدرجة كبيرة ؛ الأمر الذى أدى إلى نقله على الفور إلى (مستشفى أهلىّ) كان قد افتتح منذ أشهر قليلة ، وذلك بواسطة (رابطة العالم الإسلامىّ) بمكة المكرمة ، وكانت تحت مسئولية الشيخ القزاز الذى تولى أمر الشنقيطى بنفسه آنذاك .

ولما كان الصباح ؛ قَرَّب الشنقيطىُّ الطُّهُور ، ثم صَلّى الصلوات التى ما كان صَلاّها فى الليل ؛ حتى إذا فرغ من صلاته قال : واللهِ ما أظنُّ هذا إلاّ مرضَ الموت[1] .

المطلب الثالث

الشنقيطىُّ يُسلِمُ الرُّوحَ لِخالقه[2]

لما أَحَسَّ الشنقيطى بأنه مرض الموت ؛ كان أن شعر بدوار شديد راح يَغُطُّ بعده فى نوم عميق دونما حِرَاك ، ثم كان أن نقلوه إلى بيته بمكة المكرمة[3] فى يوم الأربعاء السادسَ عشرَ من ذى الحجة ، وقد ظل الشنقيطىّ على حاله تلك بين النوم العميق غالباً ، والإفاقة الخاطفة أحياناً ؛ حتى أسلم روحه لله تعالى فى وقت الضحى من يوم الخميس السابعَ عشرَ من ذى الحجة من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق العاشر من يناير

---

(١) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- حلية طالب العلم : د. بكر أبى زيد ص ١٢ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطى ص ١٠٤ .

(٣) ويقع هذا البيت بجبل (بومَطَشَّش) - حارة (الأشراف) - شارع (المنصور) - حى (العزيزية) - مكة المكرمة - كما أفاد بذلك ابنه الدكتور عبد الله فى محاضرته المسجلة بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

من عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد (١٧-١٢-١٣٩٣هـ = ١٠-١-١٩٧٤م)(١)
وإلى تلك اللحظة المهيبة يشير ابنه الدكتور عبد الله قائلاً : لقد مات رحمة الله عليه وأنا ضَامُّهُ علىَّ .

المطلب الرابع

غَسْلُهُ والصلاةُ عليهِ ودَفْنُهُ (٢)

تَوَلَّى غسلَ الشنقيطى ببيته بمكة المكرمة كل من ابنه الأصغر الدكتور عبد الله ، وتلميذه وابنه عمه أحمد بن أحمد الجكنىّ الشنقيطىّ ، ورجل ثالث من الصالحين مِمَّنْ يقال : إنه من آل بيت النبىّ ﷺ .

وقد صلّى عليه صديقه وقرينه رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز فى الحرم المكىّ بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَضَرَ من المسلمين مِمَّنْ لا يُحْصَوْنَ عدداً من جموع المقيمين والحجيج على السواء .

ثم كان أن دُفِنَ بمقبرة (المَعْلاَة) بمنطقة (رَبْع الحُجُون) وهى ذات المقابر التى تضم بين جنباتها مثوى أمّ المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها بالبلد الحرام بمكة المكرمة .

ولما سُئل ابنه الدكتور عبد الله عن رغبة والده فى حياته : هل كان يفضل أن يُدْفَنَ بمكة المكرمة أم بالمدينة المنورة ؟ فأجاب قائلاً : كان يرغب أولاً فى المدينة المنورة ، ثم صار فى أخريات حياته يرغب فى مكة المكرمة ، مكتفياً فى التعليل لذلك بترديد قوله : إنّ مكة أمرها عجيب ! إنّ مكة أمرها عجيب !

وكأن الشنقيطىّ قد أَحَسَّ دُنُوَّ الأجل ، واستشرف مثواه فى مكة المكرمة ؛ ومن ثم صار يميل إليها مؤخراً بعد أن كان يميل دوماً إلى المدينة المنورة التى كان متوقعاً أن يُقْبَرَ

---

(١) أخذت مقابلة التقويم الهجرىّ بالميلادىّ من كل من :
- التقويم الهجرىّ الميلادىّ (هيل هـ - م١) : طوكيو - اليابان - لحساب شركة كهرباء الشرق - (الدمام - الرياض - جدة) - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .
- المؤذن العربى (إصدار رقم ١٠١): شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د.ت) .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٧ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٨ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

فيها نظراً لإقـامته الدائمة بها ؛ غير أنّ أمـرَ الله نافذ ، وله سبحانه إنفاذُ المشيـئة لا العبد ، وما أصدق قول الله تعالى فى محكم تنزيله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآية[1] .

والمرء عاجز لا مـحالة عن معرفة ساعـته ومثواه ، وما أبعـده أبداً عن جواب : متى ؟ وأين ؟ وما أحكمَ قولَ الحقِّ سـبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية [2] .

المطلب الخامس

صلاة الغائب على الشنقيطى [3]

وقد أقيمت عليـه صلاة الغائب ليلة الأحد العشرين من ذى الحجـة الموافق الثالث عشر من يناير (٢٠ - ١٢ - ١٣٩٣هـ = ١٣ - ١ - ١٩٧٤م) بعـد مـوته بثـلاثة أيام فى الحـرم النبوىّ الشريف ، وصلى عليـه آنذاك صديقه وقرينه الشيخ عبد الـعزيز بن صالح آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوىّ ورئيس المحاكم الشرعـية بمنطقة المدينة المنورة ، وذلك بعد صلاة العشـاء من ذلك اليوم ، مع مَنْ حَـضَرَ من المسلمين مِـمَّنْ لا يُحْصَـوْنَ عدداً من المقـيمين والحجيج على السواء .

كما أقـيمت عليه صلاة الغائب بمسجـد الجامعة الإسلاميـة بالمدينة المنورة ، ثم تتابعت فيما بعد فى سائر المساجد الأخرى فى أرجاء المملكة المختلفة .

---

(١) الإنسان : ٣٠ .　　(٢) لقمان : ٣٤ .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٧-٨ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

المبحث الثانى

رثـــــــــاؤه

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

١ - **المطلب الأول** : رثاء أوّل وأخصّ تلامذته الشيخ عطية .

٢- **المطلب الثانى** : رثاء ثانى تلامذته الشيخ المجذوب .

٣- **المطلب الثالث** : رثاء الشناقطة لـه خاصّة .

٤- **المطلب الرابع** : رثاء غير الشناقطة له عامّة .

اعتصرَ الألمُ ، وألجمَ الحزنُ ، كلَّ مَنْ عَرَفَ الشنقيطىّ أو سَمِعَ عنه بصفة عامّة ، وكلَّ مَنْ لازمه وتتلمذ عليه من بنى عمومته وغيرهم بصفة خاصّة .

وإزاء مُصَابهم فيه ؛ فقد رثاه هؤلاء وأولئك بفيض مما اعتمل فى نفوسهم نظماً ونثراً ، غير أن المقام لا يحتمل تسجيل كل ما قالوا ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بإيراد البعض تنبيهاً به على الكل ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

رثاء أول وأخص تلامذته الشيخ عطية

حيث رثى شيخه ونعاه إلى كل مَنْ تحدث إليهم، بادئاً ذلك بخطاب شيخه ذاته قائلاً : إلى رحمة الله وحسن جواره ، فقيدَ العلْم يا عَلَمَ الرجال ، نَعَاكَ العلمُ فى حِلَق السؤال[1] نَعَم فقيدَ الدرس يا عَلَمَ الرجال ، نعاكَ الدرسُ فى فصل المقال[2] .

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة وعلم الأعلام ، الشيخ الجليل الإمام الهُمَام ، زكىّ النفس رفيع المقام ، كريم السجايا ذو الخلق الرزين ، عَفّ المقال ، حميدُ الخِصَال ، التقىّ الأمين ، شيخنا محمد الأمين الشنقيطىّ .

وإنى كأحد أبنائه، ومن جملة تلاميذه ، أقف اليوم معزّياً متعزّياً ، ومترجماً مترحماً ، وقد عَظُمَ المُصَاب ، وعزّ فيه العزاء ؛ فأقول ما قد قلته على البديهة عندما سألنى سائل قائلاً : مَنْ هذا الذى نعزيه فى الشيخ ؟! فأجبته بهذه الأبيات :

أقولُ للسائلِ لَمَّا سَأَل :	مَنْ ذا نعزّى فيما نَزَل ؟!
كُلَّ مَنْ لاقيتَ فعزّه	وابدأ بنفسك فى الأوَّل
عَزَّ الجميعَ بموته	واعلمْهُ أنَّ الخَطبَ جَلَل
موتُ العَالِمِ رُزْءُ العَالَمَ	فى موته يأتى الخَلَل
لو نَزَلَ الرزءُ بقمة	فوق الجبالَ لَهُدَّ الجَبَل
خيرُ التعازى فى أننا	نُرَدُّ إلى الله عَزّ وجَل[3]*

(١) الحَلَق والحِلَق : جمع حَلْقَة وحَلَقَة وهى تَحَلُّقُ القومِ واجتماعهم فى شكل دائرى – انظر مادة (حَلَقَ) فى مختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٢) لعله يقصد بذلك الفصلَ بمعنى مكان الدرس ، أو الفصلَ بمعنى الحاسم الصائب من القول ، وكلا الوجهين محتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ -٥-٨ (من المقدمة) .

● وعجز البيت الأخير تضمين لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة : ١٥٦ .

ويعارض الشيخ عطية قول أبى ذؤيب الهُذَلِىِّ قائلاً : ولئن قيل :

وتجلّدى للشامتين أريهموا   أنّى لِريْبِ الدهرِ لا أتضعضعُ

فإنى أقول :

وتجلّدى للسامعين أريهموا   شَمْسَ الحقيقةِ مِنْ سَنَاهُ تطلعُ(١)

وأخيراً يبكى الشيخ عطية شيخه متمثلاً قول النابغة الذبيانى :

كلينى لِهَمٍّ يا أميمةُ نَاصِبِ   وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكبِ
تطاولَ حتى قلتُ : ليس بُمنْقَضٍ   وليسَ الذى يَرْعَى النجومَ بآيبِ
وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عَازبَ هَمِّهِ   تَضَاعَفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ
علىّ لَعَمْرٍو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ   لوالده ، ليست بذاتِ عَقَارِبِ(٢)

المطلب الثانى

رثاء ثانى تلامذته الشيخ المجذوب

وَجَّه الشيخ محمد المجذوب ذات يوم عشرة أبيات من شعره إلى شيخه الشنقيطىّ ، وهو لا يدرى أنه سيوَجِّه إليه ذات الأبيات فى مقام رثائه ليخاطبه بها بعد موته كما خاطبه بها من قَبْلُ فى حياته ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الآية(٣) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/١٦ (من المقدمة) .

- وانظر بيت أبى ذؤيب المذكور فى (ديوان الهُذَليين) : ١/٣ - (شعر أبى ذؤيب وساعدة بن جؤية) - الطبعة ١ - طبع : دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/١٥- ١٦ (من المقدمة) .

وانظر جملة هذه الأبيات المذكور فى (ديوان النابغة الذبيانى) ضمن قصيدته التى افتتحها بقوله :

أَرَسْماً جديداً مِن سُعَادَ تَجَنَّبُ   عفَتْ رَوْضَتُه الأجدادُ منها فيَثْقَبُ

- ديوان النابغة الذبيانى بتمامه : صَنْعَة الإمام أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السِّكيت ت (٢٤٤هـ = ٨٥٩م) - ص ٥٤ - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكرى فيصل - دار الفكر - القاهرة (د.ت) .
- وطبعة أخرى بتحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٤٠ - دار المعارف - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - القاهرة - (د.ت) .

(٣) الجنّ : ٢٦ .

وها هو يبكى شيخه قائلاً : إنه أحد الأفذاذ الذين يُخْشَى إذا فُقدوا ألاّ يُعَوَّضُوا ، وإلى ذلك أسرت فى هذه الأبيات التى وجهتها إليه ذات يوم تحت عنوان : (قبس وينبوع) فقلت :

دُمْتَ يا شيخَنَا الأمينُ لدينِ	الله ذُخْراً وعصْمَةً للحَيَارَى
إنما أنتَ نَفْحَةٌ مِنْ تراث	كان فى ظُلْمَةِ الوجود مَنَاراَ
(قَبَسٌ) من كتاب ربى و(ينبوعٌ)	هُدَىً من (بيانه) لا يُمَارَى
ذَكَّرتَنِى (أضواؤك) الغُرُّ أفذا	ذاً من السابقين فاقوا البحَاراَ
أورثونا من فضلهم كلَّ علم	لم يَسِرْ قَطُّ كوكبٌ حيث سَارَاَ
لو قضينا حياتنا ننعمُ الفكْرَ	بأغواره ؛ لَفَاتَتْ وخَاراَ
فَلْيُمَتِّعْكَ ذو الجلال بعُمْرٍ	يملأ الخِصْبُ لَيْلَه والنَّهَاراَ
وَدَّ كلٌّ لو يستطيعُ له مَداً	بشطرٍ من عُمْره مُخْتَاراَ
كلُّ طُولٍ فى عُمْرِ مثلكَ طَوْلٌ	فى قوى الحقِّ يُرْهِبُ الكُفَّاراَ
وكثيرون إنْ يعيشوا فلا خيرٌ	وإنْ يَهْلكُوا فشَرٌّ تَوَارَى

وليس من قبيل الإطراء المألوف دعائى له بطول العمر ، وودى له لو أعيره بعض عمرى طمعاً فى المزيد من خدماته للإسلام ؛ فإنى كنت شديد القلق عليه لما أرى من ظواهر الضعف فى صحته ، بل وتماديه فى هذا الضعف ؛ حتى إنى فى عصر يوم ، ونحن على باب عمر ﷺ من المسجد النبوىّ ، وقد لاحظت الجهد الضخم الذى كان يبذله أثناء درسه العام ؛ فقلت له : يا شيخ ! إن صحتك ليست ملكك ، إنها للعلم وللمسلمين ؛ فارفقْ بها ولا تعجلْ عليها[1] .

المطلب الثالث

رثاء الشناقطة له خاصة

وبعد رثاء أول وثانى تلامذته الشيخين عطية والمجذوب ، فإننا نأتى إلى رثاء أبناء بلاده من الشناقطة على وجه الخصوص ، بَدْءً بمَنْ وردت قصائدهم أولاً ، ثم مَنْ أُشِيرَ إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى التالى :

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ - ١٨٦ (بتصريف يسير) .

أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قصائدهم :

١- أحمد بن أحمد الجكنىّ الشنقيطىّ :

وهـو تلميذه وابنـه عـمه وأحد الثلاثة الذين غَسَّلُوه ، وقـد رثاه بقصيدة من ستة وعشرين بيتاً قال فيها :

موتُ الإمامِ الحَبْرِ منْ (جَاكَانى) ... رُزْءٌ أَلَمَّ بـأمَّـــةِ العَـــدْنَانى
يا للمصيبةِ للبريَّةِ أنهـا ... فـقـدتْ عظيمَ مـناهلِ العرفـانِ
أبكى الأمينَ محمداً و إننى ... أبكى الأمينَ لشرْعَـةِ القرآنِ
أرجو الذى جمعَ العزيزَ بأهله ... منّاً عليه بنعمـةِ الإحسـانِ
أنْ يَحْتَفِى بلقائنا فى جَنَّةٍ ... مشحونة بالحُورِ والوِلْدَانِ[١]

٢- أحمد بن محمد عبد الله بن آدُّ الشنقيطىّ :

وقد رثاه بقصيدة من اثنى عشرَ بيتاً قال فيها :

أَعَيْنَىَّ جُودَا بالدموع السَّوَاكِبِ ... لِمَنْ (ضَوْؤُه) قد فاقَ ضوءَ الكواكبِ
أَعَيْنَىَّ جُودَا لا تقولا لى انتهى ... فَلستُ بُعَيْدَ اليومِ منكمْ بطالبِ
دموعاً ولا حُزْنَاً لأَنْدُبَ بعدما ... نَدَبْتُ خيارَ الناسِ ماشٍ وراكبِ
له الفضلُ فى التفسير إنْ رُمْتَ باحثاً ... وفى الفقه والتوحيد منْ كلِّ جانبِ
خَلِيلَىَّ هذا عَالِمُ العُرْبِ قد سَمَا ... بِهِ العِلْمُ فى شتى العلومِ الأَطَايِبَ[٢]

٣- محمّد الأمين بن مختار الجكنىّ الشنقيطىّ :

ويلقب بـ (التَّعَدِّى) وهو ابن عم الشنقيطىّ ، وقد رثاه بقصيدة من ثمانيةَ عشرَ بيتاً قال فيها :

هُوَ الموتُ لا يَنْفَكُّ يَفْجَعُ مَعْشَرَاً ... بكوكبهِ الدُّرِّىِّ بينَ الكواكبِ
فَتىً لَمْ يرَ الرَّاؤون شَرْوَاهُ بَعْدَهُ ... ولا أنجبتْ شَرْوَاهُ بيضُ الكواعبِ
يُرَوِّى البَرَايَا منْ رَوَايا عُلُومِهِ ... بنقلٍ صحيحٍ عَنْ فُحُولِ المَذَاهِبِ
وتفسيرِهِ منْ حفظِهِ كُلَّ آيَةٍ ... بأختٍ لها أَعْظِمْ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِ

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨٩ .

عـجيبٌ غـريبٌ فى البـرايا وإنما ... غـرائبُـهُ فى العلْمِ فـوقَ الغَـرَائبِ[1]

٤- محمد بن عبد الله بن أحمد مزيد الجكنى الشنقيطىّ :

وقد رثاه بثلاث قصائد مختلفة القوافى ، أما أولاها فعلى قافية الدال ، وتبلغ ثمانية وستين بيتاً قال فيها :

نُعِىَ الهُـدَى فَـعَـلاَ القلوبَ سـوادُ ... وتَفَطَّـرَتْ لمُـصَـابِهَـا الأكْـبَـادُ
خَطْبٌ يَجِلُّ عَنِ البُكا وفـجيـعَـةٌ ... هَـدَّتْ رَوَاسِـى الأرضِ أو لَـتَـكَـادُ
بَكَت المَثَـانِى تَـرْجُـمَـانَ بَيَـانِّهـا ... حـامـيـمُـهَـا تبكى عليـه وصَـادُ
وكـذا المعـانـى كـالمثـانى ثواكـلا ... أُمَّـاتُهـا تبـكى وتبـكى الضَّـادُ
هذا البـيـانُ وهذهِ أضـواؤهُ ... عَـزَّتْ لغيـرِ الشـيخِ لا تَنْقَـادُ[2]

وأما قصيدته الثانية فجاءت على قافية الميم ، وتبلغ واحداً وعشرين بيتاً قال فيها :

نَعَى الأمينَ نُـعَـاةٌ قَـدْ نَعَـوْا عَلَـمَـا ... بحـراً خضـمَّـاً بمَـوْجِ العلْمِ مُلْتطمَـا
أَبْكَتْـهُ أجـيـالُ علْمٍ حينَ عُـدَّ لَهُ ... رَبْعُ الحُجُون مـصـيراً بـعدمـا خُـتـمَـا
ما كـان يرغبُ فى السُّكْنَى بذى بلد ... غـيـرِ المدينةِ طابـتْ مَـسْكَنَ الكُـرَمَـا
مَنْ للنـوازلِ مـثْلُ الشـيخِ إنْ نزلتْ ... أو للـحَـوادث إنْ أَدْمَتْ بنا كَـلْمَـا
أضـواؤه كـشَـفتْ أبعـادَ مطلبـه ... والدَّفْعُ يَدْفَعُ ما فى الوَحْى قد وُهِمَا[3]

وأخيراً جـاءت قصيدته الثالثة عـلى قافـيـة النون ، وتبلغ واحدًا وعشرين بيتاً أيضاً قال فيها :

هُوَ الموتُ أَمْـرٌ فى انتظارِكَ كـانَا ... لقـاؤكـمـا حَـتْمٌ وحـينُكَ حَـانَا
ورُزْؤُكَ عَمَّ الـعـامليـنَ مُـصَـابُهُ ... وعَـمَّقَ جُـرْحَ الأقـربينَ جَكَـانَا
ومـوتُكَ بَتْـرٌ لـلبيـان فـمـا أرى ... إلى الحـشـرِ للمـبـتـور منْهُ بَيَـانَا
فـما الوقـفُ عندَ الحشـرِ إلاَّ لحكمـة ... تشـيـرُ إلى الحـشر البـعـيـدَ مَكَانَا[4]

---

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمـة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتـصنيف عبد الرحمن ابن عبد العزيز السديس ص ١٨٧ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (المعين والزاد فى الدعوة والإرشـاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطىّ) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨١ .

(٤) إشارة إلـى آخر سورة فـسرهـا الشنقيطىّ فى (أضـواء البيـان) حيث أتم (المجـادلة) ووقف على أول (الحشر) فلم يبدأ فيها .

فَمَنْ كانَ أعطاكَ البيانَ تَفَضُّلاً ... يُحَقِّقُ بالرِّضْوانِ عَنْكَ رَجَانَا[1]

٥- محمّد بن مَدْيَنَ الشنقيطيّ :

وهو شاعر كبير ببلاد شنقيط ، وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشرَ بيتاً قال فيها :

اللهُ أكبرُ ماتَ العلْمُ والورَعُ ... يا ليتَ ما قد مَضَى منْ ذاكَ يُرْتَجَعُ

يبكى الكتابُ كتابُ الله غَيْبَتَهُ ... كذا المدارسُ والآدابُ والجُمَعُ

مفسِّرُ الذكرِ الحكيمِ ومَا ... من الحديث إلى المختارِ يَرْتَفِعُ

فهو الإمامُ الذى مَنْ غيرُهُ تَبَعٌ ... لَهُ ، وهلْ يستوى المتبوعُ والتَّبَعُ ؟!

حَدِّثْ بما شِئْتَ مِنْ حِلْمٍ ومِنْ كَرَمٍ ... وانشُرْ مَآثِرَهُ فالبابُ مُتَّسِعُ[2]

ثانياً : مَنْ أُشِير إلى قصائدهم [3] :

١- عبد الله بن بُونَا أو بُونَه الشنقيطى : وقد رثاه بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً .

٢- محمد أحمد بن عبد القادر الغَلَاوِى الشنقيطى : وقد رثاه بقصيدة من أربعة عشر بيتاً .

المطلب الرابع

رثاء غير الشناقطة له عامة

وبعد رثاء أبناء بلاده لـه من الشناقطة على وجه الخصوص ، فإننا نأتى إلى رثاء غير الشناقطة له من الخلائق على وجه العموم ، بَدْءًا أيضاً بِمَنْ وردت قصائدهم أولاً ، ثم مَنْ أُشِيَر إلى قصائدهم ثانياً ، وذلك بحسب ترتيب هجائهم التالى :

أولاً : مَنْ وَرَدَتْ قصائدهم :

ويمثلهم فى هذا المقام واحد منهم فقط مِمَّنْ توفرت لدينا قصيدته ، ألا وهو :

---

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد) : جمع وتأليف سيد الأمين بن المامى الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٨٦ .

(٣) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .

١- عبد الرحمن المُنَيِّر :

ويعمل أستاذاً بالمعهد العلمى التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد رثى الشنقيطىَّ بقصيدة من ثلاثين بيتاً قال فيها :

صُرُوفُ الليالى لا يَقَرُّ قَرِينُها ... أذَلِكَ للضَّراء أمْ ذَاكَ دَيْنُها ؟!
أتانى من الأنباء ما سَدَّ مَسْمَعى ... فكَادتْ لها رُوحى يُجَنُّ جُنُونُها
إمامٌ تولَّى مَنْ تَوَقُّد ذهنه ... حُصُونَ المثانى وَهْوَ بابٌ يَصُونُها
أقولُ لنادي الحَىِّ : ما فيكَ نَدوةٌ ... إذا ما خَبَا علمٌ وولَّى أمينُها
تَرَقَّبْتُهُ مِنْ حَجٍّ مَكَّةَ سَالماً ... فَشَحَّتْ به مَعْلاَتُها وحُجُونُها[1]

ثانياً : مَنْ أُشِيرَ إلى قصائدهم [2] :

١- أحمد بن إسماعيل اليَمَانى : وقد رثى الشنقيطى بقصيدة من أحدَ عشرَ بيتاً ، غير أنها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر .

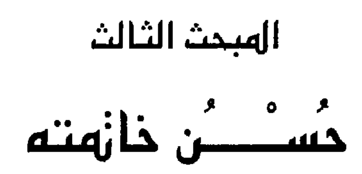
٢- الدكتور سَفَر بن عبد الرحمن الحَوَالى : ويعمل أستاذاً ورئيسا لقسم العقيدة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقصيدته غير موجودة .

* * *

وبعد : فقد رثى الشنقيطىَّ خلقٌ كثير من غير هؤلاء وأولئك من تلاميذه ومحبيه فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، والذين أحَسُّوا مرارةَ فَقْدِه ، وافتقدوا على إثْرِه دَرْسَه .

(١) انظر تمام هذه الأبيات فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عبد العزيز ص ١٨٨ .
- وقوله: (مَعْلاتُها وحُجُونُها) يقصد به مقابر (المَعْلاة) التى تقع بمنطقة (الحُجُون) بمكة المكرمة حيث دُفِنَ الشنقيطى ، وهى ذات المقابر التى تضم مثوى أم المؤمنين السيدة خديجة ﷺ كما أخبرنى بذلك مَنْ صحبنى فى زيارتى لها ببلد الله الحرام .

(٢) انظر الإشارة إليهم دون ذكر قصائدهم فى (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٠ .



وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : الأمور المصاحبة لوفاتـــــه .

٢- **المطلب الثانـى** : المرائى الطيّبة التي رُؤِيَتْ له .

صَاحَبَتْ وفـاةَ الشنقيطىِّ جملةٌ من الأمور والمرائى التى يَحْتَسِبُهَا نَاظِرُهَا أنها من دلائل حُسْن خاتمته ؛ مما يُوَسِّعُ دائرةَ رجاء أبنائه وتلامذته ومحبيه فى أن يشمله اللهُ تعالى بقَبُوله ، وأن يتغمـدَهُ برحمته ، وعَسَـاهُ أن يكون بذلك مِمَّنْ قال فيهم الحق سـبحانه : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية[1] .

المطلب الأول

الأمُورُ المُصَاحِبَةُ لِوَفَاتِه

وتتمثل فى الأمور الخمسةِ التالية :

١- وفاته يومَ الخميس :

ولا يخـفى ما لهـذا اليوم مِن الفـضل الذى تواترت به أحاديث رسـول الله ﷺ بل أعْظِمْ بهِ مِنْ يومٍ تُعْرَضُ فيه أعمالُ أمته عليـه ﷺ كما يُعْرَضُ الحصيرُ عوداً عوداً[2] وفوق هذا ؛ فإنه يتلوه خيرُ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ ، ألاَ وهو يوم الجمعة[3] .

فياله مِن يوم عظيم ، ويعـقبه يوم عظيم ؛ يَعُمُّ فضلهما سـائر الأحياء والأموات ؛ مما يؤمل فيهما أن تكون ليلةُ وحشةِ المسلمِ وَوِحْـدتِهِ فى قبرِهِ هى ذاتُ ليلة أُنْسِهِ وبشارتِهِ برحمةِ ربهِ وغفرانِهِ .

٢- القراءة فى العشَاء قُبَيْلَ صَلاَةِ الغائب :

قَدَّرَ الله تعالى أن يقرأ الإمام فى صلاة العشاء التى سبقت صلاة الغائب على الشنقيطى فى الحرم النبـوىِّ الشريف مـن الآيات ما يحمل البـشرى والتفاؤل برحـمة الله ورضوانه ، وذلك على غير قصدٍ منه[4] .

وهذا ما يشـير إليه الشيخ عطيـة تلميذ الشنقيـطىِّ بقوله : ومن حُسْنِ التفـاؤل أن يقرأ الإمامُ فى صلاة العشاء فى الركعة الأولى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ⟨١٠٧⟩ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ⟨١٠٨⟩ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ⟨١٠٩⟩ قُلْ إِنَّمَا أَنَا

(١) المجادلة : ٢٢ - البينة : ٨ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بمعناه (باقى مسند المكثرين) - حديث رقم (٩٨٨٣) - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجمعة (باب) فضل يوم الجمعة - (طبع بيروت) .

(٤) وكان الإمـام آنذاك هو صديق الشنقيطىِّ وقـرينه الشيخ عبـد العزيز بن صالح آل صالح رحـمه الله تعالى - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ الآيات[١] .

وفى الركعة الثانيــة قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾ الآيات[٢] .

وقد سألت فضيلته عن هذه القراءة : أهو قاصـدٌ لهذه الآيات ومختارٌ لها ، أما جاءت عفواً ؟! فقال : بل عفواً ؛ فما الملاحظة عليها ؟! فقلت : إنها مِنْ أغرب الصُّدَف[٣] لأنك صليتَ على الشيخ الأمـين بعدها ؛ فظننت أنك قصـدتَ إليها ؛ فكان هـذا من المناسـبات الحسنة ، تَـغَمَّدَ اللهُ الشـيخَ برحـــمتـهِ ، وأسكنه فسِـيحَ جنتهِ ؛ إنه جَـوَادٌ كريم ، رؤوف رحيم[٤] .

٣- صَلاة الحجيج عليه ودَعَواتُهُم له :

ومن فضل الله على الشنقيطى أن يحضـر صلاة جنازته فى الحرم المكىّ الشريف ، وكذا صلاة الغـائب عليه فى الحرم المدنىّ الشـريف ، مالا يُعَدُّ ولا يُحْـصَى من المسلمين مِن أمّة محـمد ﷺ مـن حُـجَّاج بيت الله الحـرام بمكة المكرمة ، وزائرىْ رسـوله ﷺ بالمدينة المنورة ؛ حيث نالتْهُ دعواتُهُم المخلصة ، التى اتجهت بها نيّاتُهُم الصَّادقة .

فهم على اخـتلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتبـاين أجناسهم وأوطانهم ؛ قد جـاءوا رجالاً ورُكبَـانا ، من كل حدب وصوب، ومن كل فجٍّ عـميق؛ فَدَعَوا جـميعـهم للشنقيطىِّ دون معرفتهم له، وتَرَحَّمُوا عليه دون صلتهم به إلاّ من صِلَة هذا الدين العظيم ؛ وأَعْظِمْ بها من صِلَة حَرِيَّةٍ بـأن تكونَ مُظَنَّةَ إجابة دعاء هـؤلاء المتقين ، وصدق الحق سـبحـانه إذْ يقول فى محكم تنزيله : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية[٥] .

٤- البداية بالحَجِّ والنهاية بالحَجِّ :

شاء الله تعالى أن يكون أول عـهد الشنقيطى بأرض الحجـاز كآخر عهده بهـا ، فها هو يدخلها على نيـة الحج قبيل شهر ذى الحـجة ضحى يوم الاثنين المبارك السـابعَ عشرَ من ذى

---

(٥) الكهف : الآيات ١٠٧ - ١١٠ (اربع آيات) .

(٢) مريم : الآيات : ٩٦ - ٩٨ (ثلاث آيات) .

(٣) راجع التنبيه على هذا التعبير ص من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيقىّ ١/ ٧ - ٨ (من المقدمة) . (٥) المائدة : ٢٧ .

القعدة (١٧ - ١١ - ١٣٦٧هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) وليستقر مقامه بها بعد أداء مناسك حجه الأول[1] .

ثم ها هو يُقْضَى أجلُهُ ويُدْفَنُ بها أيضاً ضحى يوم الخميس المبارك ، وأيضاً السابع عشر من ذى الحجة (١٧ - ١٢ - ١٣٩٣م) الموافق (١٠ - ١ - ١٩٧٤م) وأيضاً بعد أداء مناسك حجه الأخير[2] .

وهكذا بدأت حياة الشنقيطىّ فى أرض الحجاز بالحج وكذلك انتهت فيها بالحج ؛ ولعل هذا يحمل من الاستبشار فى رحمة الله تعالى ومغفرته بقدر ما جاء على لسان رسول الله ﷺ فى قوله : «مَنْ حَجَّ فلمْ يَرْفُثْ ولمْ يَفْسُقْ ؛ رَجَعَ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّه» الحديث[3] فَعَسَى الشنقيطىُّ أن يكونَ مِن أهل هذا الوعدِ ؛ فيستحق مغفرةَ ربِّهِ ، ويحظى بعفوه .

٥- آخِرُ ما كَتَبَهُ وفَسَّرَهُ :

إن من بشائر حُسْنِ خاتمته أن يكونَ آخِرُ م خَطَّهُ الشنقيطىُّ تفسيره هو قول الله تعالى : ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ الآيتان[4] وأن يكون آخرُ ما وقف عنده فى تفسيره (أضواء البيان) هو قول الله تعالى : ﴿**أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ الآية[5] .

حتى إن أحد شعراء الشناقطة قد صَوَّرَ وقف الشنقيطى عند آخر المجادلة وأول الحشر بأنه إشارة إلى الحشر البعيد يومَ أَنْ يرثَ الله تعالى الأرضَ ومَنْ عليها ، وبهذا يرثى الشنقيطىَّ قائلاً :

ومَوْتُكَ بَتْرٌ للبيانِ فما أرى ... إلى الحشرِ للمبتورِ منه بَيَانَا

فما الوقفُ عند الحشرِ إلاَّ لحِكْمَةٍ ... تشيرُ إلى الحشر البعيدِ مكَانَا[6]

فياله من ختام طيب عَلَّهُ يستحقُّ به بشارة رسول الله ﷺ : «يقال لقارىء

---

(١) راجع تفصيل حجه الأول ص من هذا البحث .

(٢) راجع تفصيل حجه الأخير ص من هذا البحث .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الحج (باب) فضل الحج المبرور - (طبع بيروت) وانظر (فتح فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٧/ ١٥٤ - حديث رقم (١٥٢١) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الحجرات : ٧ - ٨ (آيتان) . (٥) المجادلة : ٢٢ .

(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

القرآن : اقرأ وارْتَقِ ؛ فمقامُكَ عندَ آخر آيةٍ ، وقفتَ عندها »[1] ولئن كان هذا لقارىء القرآنِ ومرتلهِ ؛ فما أجدَرَهُ بكاتبه ومفسِّرِه .

المطلب الثانى

المرائى الطيبة التى رُؤِيَتْ له[2]

وتتمثل فى المرائى الأربع التالية :

١- الرؤيا الأولى :

وكانت قبل موت الشنقيطى بأسبوعٍ واحد، حيث رأى أحد أقاربه ممَّنْ كانوا يحجُّون معه فى سيارته أن النبىّ ﷺ قد توفى ومُسَجًّى عليه ثوبٌ ، وقد دخل عليه علىٌّ بن أبى طالب رضي الله عنه ليُغَسِّلَه ، ثم جاء الرائى فرفع الثوب فوجد أن الميت نبىٌّ ولكنه ليس رسول الله ﷺ فَقَبَّلَهُ فى جبينه وانصرف .

ولما قصَّ الرائى رؤياه هذه على الشنقيطىِّ ، تَغَيَّرَ وَجْهُ الشنقيطىّ على الفور ، ثم قال مؤكداً : نعم ، هذا ليس بالنبى ﷺ ولكن يقضى الله خيراً ، ثم سكت .

وكأن الشنقيطىَّ استشعر أن هذا الميت ليس إلاّ هو نفسه ، وأنه سيغسله واحد من آل بيت النبى ﷺ وبالفعل ؛ فقد شاء الله تعالى أن يقضى الشنقيطىُّ نَحْبَهُ بعد هذه الرؤيا بأسبوع ، ثم كان مِمَّنْ دخل عليه ليغسله رجلٌ من الصالحين مِمَّنْ يقال : إنه مِنْ آل بيت النبى ﷺ .

٢- الرؤيا الثانية :

وكانت بعد موت الشنقيطىّ بأيام قلائل ، وفيها رآه ابنه الأصغر الدكتور عبد الله، وقد جاءه أناس فَسَلَّموه كتابه بيمينه؛ وعلى الفور شدّ عليه يده بحرصٍ بالغٍ حتى وَهَرَ العِرْق الذى فى ظاهر يده اليُمْنَى ، وكان من عادته أن يعطى هذا الكتاب ابنه عبد الله ليقرأه له ، غير أنه فى هذه المرة لم يُعْطِهِ هذا الكتاب الذى كان مدوناً فيه ما يشبه الأرقام الحسابية .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) فضائل القرآن (باب) ما جاء فِيمَنْ قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر - وقال : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الصلاة (باب) استحباب الترتيل فى القراءة - (طبع بيروت) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٧٩ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطىّ (محاضرة مُسَجَّلَة) .

٣- الرؤيا الثالثة :

حيث رأى الدكتور عبد الله والده الشنقيطيّ بعد موته فَسَأَلَه عن المقصود بِمَنْ يملك العفو فى قول الله تعالى : ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ الآية[1] أَهُوَ الوَلِيُّ أم الزوجُ ؟ وعندئذ يكتفى الشنقيطيُّ فى الإجابة عن هذا بإشارةٍ من يده تفيد عدم ترجيحه ، بل وعدم رغبته فى الإفتاء .

الأمر الذى حدا بابنه الدكتور عبد الله فى نومه إلى أن يفطن إلى عزوف والده عن الفتوى ، وعدم ميله إلى ترجيح الولى على الزوج ، أو العكس ، وهو ذات رأيه الذى أثبته فى كل من : (أضواء البيان) و (مذكرة أصول الفقه)[2] .

٤- الرؤيا الرابعة :

وقد رآها له أحد تلامذته عقب موته ، حيث وجده وقد أخذ حبلاً مجدولاً ، متيناً قوياً ، مثل حبل السفينة ، فوضعه على ظهره ، ثم لَبِسَ عليه جُبَّةً ضافيةً ومشى ؛ فانزعج الرائى عندئذ ، وقصّ ما رأى على الدكتور عبد الله الذى قال على الفور مُطَمْئِناً إياه : والله إنى لأَعْرِفُ هذا فى حياة الوالد ؛ فقد كان رحمة الله عليه يقول : القرآن حبلُ الله المتين ، مَنْ تَمَسَّكَ به نجا[3] .

* * *

وفى الجملة : فلا نجد فى ختام حديثنا عن وفاة الشنقيطىّ خيراً مِمَّا ذَكَرَهُ أوّلُ وأخصُّ تلامذته الشيخ عطية محمد سالم ، حيث أَجْمَلَ ذلك قائلاً : مات رحمه الله تعالى بعد أن أحيا علوماً دَرَسَتْ ، وخَلَّفَ تراثاً باقياً ، وربَّى أفواجاً متلاحقة تُعَدُّ بالآلاف مِنْ خريجى المعاهد والكليات بالرياض ، فضلاً عن خريجى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ما مات إلاّ بعد أن أصبح له فى كل دائرة من دوائر الحكومة فى مختلف أنحاء البلاد[4]

---

(١) البقرة : ٢٣٧ .

(٢) راجع ذلك إجمالاً فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ .
- مذكرة أصول الفقه : الشنقيطىّ ص ٢٢٥ - ٢٣١ .

(٣) وفى ذلك إشارة إلى وصف رسول الله ﷺ للقرآن الكريم فى جزء من حديث طويل قال فيه : «هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم» وفى رواية أخرى : «كتاب الله هو حبل الله الممدود مِن السماء إلى الأرض» - وقد سبق تخريج هذا الحديث بروايتيه ص من هذا البحث .

(٤) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

ابن من أبنائه ، وفى كل قطر إسلامىّ بعـثة تعليميّـة عن طريق المِنَح الدراسيّة التى تقـدمها الجامعة الإسلامية بالمدينـة المنورة ؛ ما مات إلاّ بعد أن ترك فى كل مكتبة ، بل فى كل بيت (أضواء البيان) التى تبدد الظلام ، وتهدى السبيل ؛ فلا يبعد ولا يغالى مَنْ يقول : ما مات مَنْ خَلَّفَ هذا التـراث ، وأدّى تلك الرسالة ؛ لـيبـقى بذلك أثراً خالداً على مَـرِّ الأجيـال والقرون .

حقاً لقد أدَّى رسالة عظمى ، ثم انتقل إلـى الرفيق الأعلى ؛ ليحصد ما زرع ، ويجنى ثمار ما غرس ، وينعم بما قدّم ، بعد أن صارت أعماله تترجم عـنه ، ومؤلفاته تُعَرِّفُ به ؛ حتى عَـرَفَهُ الصغيـر والكبير ، والقـاصِى والدانِى ، والعالم والـعامى ، فَرَحِمَـهُ اللهُ رحمةً واسعةً (١) .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٨ - ٩ (من المقدمة بتصرف) .

الباب الثانى

مسيرته العلمية

ويتنظم تمهيداً وستة فصول :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

١ - الفصل الأول : شيوخه من أهله ومن غير أهله .

٢ - الفصل الثانى : أقرانه ومعاصروه .

٣ - الفصل الثالث : تلامذته من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة .

٤ - الفصل الرابع : نشاطه فى بلاده وخارج بلاده .

٥ - الفصل الخامس : رحلاته للحج والدعوة والعلاج .

٦ - الفصل السادس : مؤلفاته الموجودة والمفقودة والمنسوبة .

تمهيد

بين يدىْ هذا الباب

يـــدور حـديثنا فى هذا الباب حول مـسيـرة الشنقيطى العلمـية بما تنتظمـه من مراحل مختلفة ، وما تحويه من أطوار عديـدة ، انطوت عليها رحلة طلبه الممتدة ، والتى بدأها من مسقط رأسه ببلاده (شنقيط) ثم استكمل اليسير الذى تبقى منها ببلاد (الحجاز) .

ففى بلاده كان شيوخه من الشناقطة ، بل من قـبيلته (بنى جاكان) من أهله الذين تربطه بهم صلة الدم المبـاشرة ، ومن غيـر أهله الذين تربطه بهم صلة القـرابة البعـيدة داخل إطار القبيلة .

ومن هؤلاء وأولئك كانت مدرسته الأولى الأهلية ، ثم مدرسته الثانية القَبَلِيّة ، حتى إذا ما اكتمل نصابه منهما انتقل بعدهما إلى مدرسـته الثالثة الذاتية التى استدرك فيها ما فاته من فنون العلم وفروعه المختلفة عن طريق اطلاعه الشخصى ، ودراسته الذاتية .

وبعد نشـاطه العلمى الملحوظ فى بلاده يرحل لأداء حـجة الإسلام على نيـة الرجوع ، غيـر أنه يستقـر به المقام ببلاد الحـجاز التى واصل فيـها نشاطه الـعلمى والدعوى ، والذى صاحبه فيه كثير من أقرانه وتلامذته ، بل وصنَّفَ من خلاله معظم مؤلفاته فضلاً عن القليل الذى كان منها فى بلاده .

وفيما يلى نعرض لمسيرته العلمية الممتدة من خلال الفصول الستة التالية :

الفصل الأول

شيوخه

من أهله ومن غير أهله

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - **المبحث الأول** : شيوخه من أهله .

٢ - **المبحث الثاني** : شيوخه من غير أهله .

ينتمى جميع شيوخ الشنقيطى إلى ذات قبيلته (بنى جاكان) ومن ثم فإن لهم ما لتلك القبيلة من كريم السجايا ، وحميد الخصال ؛ الأمر الذى كان له أعظم الأثر وأبلغه فى إثراء الشنقيطى أخلاقيًا ، وتوجيهه تربويًا ، فضلاً عن رعايته علميًا ، وإعداده دعويًا ؛ ليضطلع فيما بعد بأمانة هذا العلم ، ولينال شرف نشره والدعوة إليه فى الآفاق .

ومع أن هؤلاء الشيوخ وإن كانوا جميعًا من الجكنيين ، إلا أن قليلاً منهم تربطه بالشنقيطى صلة الدم المباشرة ، فى حين أن أكثرهم لا يمت إليه إلا بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة.

ولذا ؛ فقد آثرنا أن نتناول شيوخه من الجكنيين من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول

شيوخه من أهله

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : خال الشنقيطى .

٢ - المطلب الثانى : ابن خال الشنقيطى .

٣ - المطلب الثالث : زوجة خال الشنقيطى .

ويمثلون مدرسته الأولى فى بيوت أخواله ، والتى أطلقنا عليها من قبل : (المدرسة الأولى الأهليّة) حيث شيوخه الأوائل من أخواله وأولادهم وذويهم [1] وهم الذين نستطيع إيجاز ذكرهم من خلال المطالب الثالثة التالية :

المطلب الأول

خـال الشنقيطى

وهو الشيخ عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح إلى آخر نسب الشنقيطى السالف ذكره[2] وقد أتم الشنقيطى على خاله هذا حفظ القرآن الكريم وهوإذ ذاك فى العاشرة من عمره[3] وتجدر الإشارة إلى أن خال الشنقيطى المذكور ليس له آثار مكتوبة بالرغم من علو كعبه فى القرآن وعلومه .

المطلب الثانى

ابن خال الشنقيطى

الشيخ سِيدَىَّ محمد بن أحمد بن محمد المختار ، عالم بالقراءات القرآنية ، ومن آثاره كتاب (الخريدة فى علم القراءات)[4] وقد أخذ عليه الشنقيطى رسم المصحف العثمانى المعروف بـ : (المصحف الأم) كما قرأ عليه التجويد، وعمره آنذاك ستة عشر عامًا .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً: قال رحمه الله تعالى: تعلمت رسم المصحف العثمانى (المصحف الأم) عن ابن خالى سِيْدَىَّ محمد بن أحمد بن محمد المختار ، كما قرأت عليه فى مقرأ نافع برواية وَرْش من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وبرواية قالون من طريق أبى نشيط[5] كما أخذت عنه سندًا بذلك إلى النبى ﷺ وعمرى آنذاك

---

(١) راجع ذلك مفصلاً ص   من هذا البحث .

(٢) راجع ذلك النَّسَبَ كاملاً ص   من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢١ (من المقدمة) .

(٤) انظر فى ترجمته (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ - ويلاحظ أن والد سِيْدَىَّ هو خال الشنقيطى الثانى، وأخو خاله الأول عبد الله بن محمد المختار المتقدم ذكره .

(٥) ورد فى الأصل : (وقالون من رواية أبى نشيط) كما فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) - وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ؛ حيث إن سند القراءة ، ورتبة نقلها ، يقتضى تسلسلها على الترتيب التالى : القراءة فالرواية فالطريق؛ فكل قراءة لها روايتان، وكل رواية لها طريقان، ثم كل طريق له بدوره طريقان أو أكثر من الطرق الفرعية - انظر تفصيل ذلك فى :

- المهذب فى القراءات العشر من طريق طيبة النشر : د. محمد سالم محيسن ١/ ٧ - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .

ست عشرة سنة[1] .

المطلب الثالث

زوجة خال الشنقيطى

وهى عائشة بنت الأمين الجكنيـة، لغوية أديبة، على معرفة واسـعة بعلم الأنساب وأيام العرب ، وليس لها أى آثار مكتوبة[2] كما أنها شـيختـه الوحيدة من أهله ، وقـد أخذ عليها دراسات واسعة فى النحو والأدب ، وكذا السِّيَر والتاريخ والأنساب .

وهذا ما يسوقه لنا الشيخ عطية على لسان شيخه قائلاً : قال رحمه الله تعالى : درست دراسة واسـعة فى الأدب على زوجـة خالى أم ولد الخـال ، أى أن ولد خاله يعلمـه العلوم الخاصة بالقرآن ، وأمه تعلمه الأدب .

ويواصل رحمه الله تعالى قوله : كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية ، وتمرينات واسعـة فى أنساب العـرب وأيامهم ، والـسيرة النـبوية ، ونظم الغـزوات لأحمـد البدوى الشنقيطى الذى يزيـــد على خمسمـائة بيت مـع شروحـه لابن أخت المؤلف المعروف بـ : حَمّاد .

هـذا بالإضافة إلى نظم عمود النسب للمؤلف نفسه والذى يُعَدُّ بالآلاف مع شرحه أيضًا لابن أختـه المذكور ، والذى وصل فيـه إلى شرح خصـوص العدنايين ؛ لأنه مـات قبل أن يشرح ما يتعلق بالقحطانيين[3] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) .

(٢) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٦ .

(٣) أضواء البـيان : الشنقـيطى١/ ٢٣ - ٢٤ (من المقدمـة) - وانظر ترجمـة كل من : أحمـد البدوى الشنقيطى صاحب النـظم ص   وابن أخته حماد المجلسى الشنقـيطى صاحب الشروح ص   من هذا البحث .

المبحث الثانى

شيوخه من غير أهله

وينتظم المطالب السبعة التالية :

١ - المطلب الأول : أحمد الأَفْرَم بــن محمد المختار الجكنىّ .

٢ - المطلب الثانــى : أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنىّ .

٣ - المطلب الثالــث : أحمــد فــال بـــن آدُّه الجكنىّ .

٤ - المطلب الرابــع : أحمد بـــــــن مَوْد الجكنىّ .

٥ - المطلب الخامس : محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكنىّ .

٦ - المطلب السادس : محمد النعمَهْ بــن زيدان الجكنىّ .

٧ - المطلب السابــع : جملة العلوم التى حصَّلها عليهم .

ويمثلون مشاهير العلماء فى قبيلتـه (بنى جاكان) وهم وإن كانوا لا يمتون إليه بصلة الدم المباشرة ؛ إلا أنهم يمتون إليه بصلة القرابة البعيدة بحكم الانتماء إلى ذات القبيلة ، وهم الذين يمكننا إيجاز التعريف بهم من خلال المطالب الستة التالية :

المطلب الأول

أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى

يوصف بأنه علامة زمانه ، وفائق أقرانه ، وعليه تدور رحى القضاء والفتيا فى عصره ، كما امتاز بالأدب وجودة الشعر ، ومن آثاره العلمية : (نظم فى التوسل بأسماء الله الحسنى)[1]وهو الشيخ الوحيد الذى نقل عنه الشنقيطى فى التفسير واصفًا إياه بقوله : (شيخى الكبير)[2] .

المطلب الثانى

أحمد بن محمد محمود بن عمر الجكنى

أصولى وفقيه ، له معرفة بعلمىْ المنقول والمعقول ، وقد اشتهر بقوة ذاكرته مع سرعة بديهته وصحة استنباطه ؛ غير أنه لم ترد له أية آثار مكتوبة على الرغم من اضطلاعه بِفَنَّىْ الأصول والفقه وغيرهما[3] .

المطلب الثالث

أحمدَ فال بن آدّه الجكنى

علامة متبحر فى الفنون ، له اليد الطولى فى النحو والفقه ، اشتهر بالحفظ وقوة

---

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٣٤٧ - ٣٤٨ .

حيث يذكر الشنقيطى اللغات الواردة فى مادة : (غَنِى) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ الجاثية : ١٠ - ثم يقول: وهذه اللغات التى ذكرنا فى مادة (غَنِىَ) كنت تلقيتها فى أول شبابى فى درس من دروس الفقه لقننيها (شيخى الأكبر) أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى، وقد ذكر لى بيتىْ رجز فى ذلك لبعض أفاضل علماء القطر، وهما قوله :

وضد فقر كـ (إلَى) وكـ (سَحَاب) النفع ، والمطرب أيضًا كـ (كتَاب)

وكـ (فَتَى) إقامة ، وكـ (هُنَا) جمع لُغْنِيَة لما به الغِنَى

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

الذاكـرة ، وقد تولى القـضاء وسـار فيه سـيرة حسنة ، وكانـت وفـاته ببلاده حـوالى عام (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م)[١] .

المطلب الرابع

أحمد بن مَوْد الجكنى

أصـولى وفـقيـه مالكى ، أخذ الـطريقة التـجانية ثـم رجع عنها ، اشـتهر بالـتواضع والـورع ، بالإضـافة إلى المواظبـة على العبـادة ، مع الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ، فضـلاً عـن رجوعـه إلـى الحق متـى ظهر له ، وكـانت وفاته ببـلاده عام (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م)[٢] .

المطلب الخامس

محمد بن صالح الشهير بابن أحمد الأفرم الجكنى

قال عنه مترجموه : إنه أحاط بالعلوم فى بلاده ، سواء فى ذلك جليها وغامضها ، من قرآن وتوحيـد ، وأصول وفقه ، وقـواعد ولغة ، كما اشـتهر بالورع والزهد وكثـرة العبادة والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، بـالإضافة إلى شدة إنكاره على المتصوفـة ، وقد جرت فى ذلك محاورات بينه وبين شيخ التـجانية فى قبيلته محـمد بن سيدى الجكنى ، ومن آثاره العلميـة : (طرد البدعـة عن أهل الملة بواضح الأدلة) و (إرشاد المغـرور) وقد كانت حـياته ووفاته ببلاده شنقيط[٣] .

المطلب السادس

محمد النعمةَ بن زيدان الجكنى

ويُعَدُّ آخر شيوخ الشنقيطى من مشاهير العلمـاء فى قبيلته (بنى جاكان) غير أننا لم نعثر على أى تعريف به فى مظان ترجمته المتاحة لدينا[٤] .

---

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٢) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .

(٣) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٧ .

(٤) ومن مظان ترجمته نذكر كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٤ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَّا ص ٩٣ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٤٨ .

المطلب السابع

جملة العلوم التى حصلها عليهم

وعن جملة العلوم التى حصلها الشنقيطى على هؤلاء المشايخ يسوق تلميذه الشيخ عطية على لسانه ما نصه : قال رحمه الله : وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون كالفقه المالكى وهو المذهب السائد فى البلاد[١] والنحو والصرف[٢] والأصول ، والبلاغة ، وبعض التفسير والحديث[٣] .

وأما المعقول من العلوم كالمنطق وآداب البحث والمناظرة فقد صرح بأنه حصله عن طريق النظر الخاص والمطالعة الذاتية ، وإلى هذا يشير بقوله : وأما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة[٤] .

وهذا ما يصفه أيضًا الشيخ المجذوب بقوله : كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفى بما يتلقاه عن شيوخه وشيخاته ؛ فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار ، فى ما درس وفى ما لم يدرس ؛ ومن هنا توافر له ذلك التضلع الملموس فى علمىْ المنطق وأصول البحث والمناظرة ، مما لا يكاد يضاهيه فيه إلا الأقلون[٥] .

كما نرجح أن يكون الشنقيطى قد سلك ذات السبيل فى تحصيل علم التفسير ، وهو ما يذهب إليه تلميذه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى معللاً ذلك بقوله : والذى يظهر لى والله أعلم أن علم التفسير الذى فاق فيه الأولين والآخرين إنما قرأه على نفسه ؛ وذلك لأمرين الأول : أن البلاد هناك ما كانت خصبة لقراءة التفسير ، ولا كانت المشايخ على استعداد لإقرائه الناس ، على تقدير معرفتهم به ، والثانى : أنى سمعته يقول : عكفت على كتاب الله فى البلاد أتتبعه آية آية ، كل آية بانفرادها ؛ فهذا دليل عندى على أنه درس التفسير على نفسه[٦] .

وأخيرًا يعقب الشيخ عطية على جملة تلك العلوم التى حصلها شيخه الشنقيطى سواء

(١) راجع انتشار المذهب المالكى وسيادته دون غيره فى بلاد شنقيط : ص   من هذا البحث .

(٢) والأصل الذى يعولون عليه فى ذلك هو : (ألفية ابن مالك الأندلسى) بشروحها العديدة منذ دخولها شنقيط فى القرن الثامن الهجرى وحتى الآن .

- انظر (ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية) : يحى بن البَرَّا ص ٣٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٣ .

(٦) نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشنقيطى ١/ ١٩ .

على مشـايخه السالف ذكرهم ، أو بمطالعـته الذاتية فـيقول ما نصـه : علمًا بأن الفن الذى درسه على المشايخ أو مطالعةً من الكتب ، فإنه لم يقتصر فى تحصيله على دراسته ، بل كان يديم فيه النظر ، ويواصل التـحصيل ؛ حتى غدا فى كل منه كأنه متـخصص فيه ، بل وله فى كُلٍّ منه اجتهادات ومباحث مبتكَرة[1] .

* * *

وهكذا يصل مجموع شـيوخ الشنقيطى السالف ذكرهم إلى تسعـة مشايخ ، توزعوا بين ثلاثة من أهله مِـمَّنْ تربطه بهم صلة الدم والقـرابة ، فى حين لا يمت إليه شـيوخـه السـتة الآخرون بتلك الصلة ، إلا أن هؤلاء وأولئك ينتـمون جميعهم إلى ذات القـبيلة التى ينتمى إليها الشنقيطى ؛ فكلهم جكنيون مثله من بنى جاكان .

ومع أن الشيخ عطية قد اقتصر فى ذكر مشايخ شيخه الشنقيطى على هؤلاء التسعة ؛ إلا أنه أشار فى عقبـهم إلى غيرهم مِمَّنْ أخذ عنهم الشنقيطى ، دون تسـميته إياهم ، ولكنهم محصـورون كذلك فى علماء قبـيلته (بنى جاكان) وهذا مـا يشير إليه الشيخ عـطية بقوله : وغيرهم من المشايخ الجكنيين[1] .

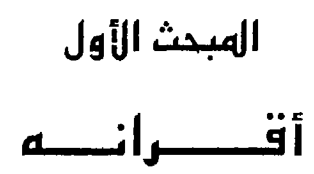
(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٥ (من المقدمة) .



وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : أقرانـــه .

٢ - المبحث الثانى : معاصـروه .



وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : أقرانه الراحلون .

٢ - **المطلب الثانى** : أقرانه الباقــون .

ونعنى بهم أنداده وأترابه من العلماء الذين يماثلونه فى شرف حمل أمانة العلم والدعوة إليه ، فضلاً عن الاضطلاع بمهامه الجسيمة من حيث تعليمه وتدريسه للأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه على السواء فى شتى أنحاء المعمورة .

وأقران الشنقيطى من المنزلة والفضل بما لا يتسع المقام لاستيفاء تراجمهم ، وتمام التعريف بهم ؛ حيث يلزم لهذا سِفْر ضخم وبحث مستقل ، وهذا ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فسوف نكتفى بالإشارة إليهم حسب الترتيب الهجائى لأسمائهم ؛ وذلك خروجًا من تقديم أو تأخير بعضهم على بعض ، خاصة وأنهم جميعًا نخبة فاضلة من العلماء الأجلاء الذين يصعب التمييز بينهم فى الصفة ، أو المفاضلة بينهم فى المنزلة .

ولما كان أكثر أقران الشنقيطى قد رحلوا مثله عن عالمنا إلى جوار ربهم سبحانه ، فى حين أن قليلاً منهم لا يزال قائمًا بين ظهرانَيْنا حتى اليوم ؛ لذا فسوف نبدأ بذكر الراحلين منهم ثم نتبعهم الباقين ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
أقرانه الراحلون

ونكتفى بذكر أربعة منهم من جِلَّة العلماء وهم :

١ - الشيخ عبد الرزاق عفيفى :

وهو مصرى المولد والمنشأ ، سعودى الهوية والمهجر ، حيث استقر به المقام فى الرياض ثم أسندت إليه رئاسة المعهد العالى للقضاء منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) وكان الشنقيطى ممن يذهب لإلقاء المحاضرات المطلوبة فى علمىْ التفسير والأصول ، على نظام الدراسة آنذاك والذى بدأ باستقدام الأساتذة الزائرين[١] .

وقد تدرج الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى المناصب العلمية إلى أن صار نائبًا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التى كان يترأسها الشيخ ابن باز[٢] .

هذا بالإضافة إلى تدريس الشيخ عبد الرزاق عفيفى فى معاهد وكليات الرياض

(١) راجع (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة) .
(٢) راجع كتاب (٩٩ سؤالاً وجوابًا فى البيع وصوره) : يجيب عليها أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمعها صالح بن أحمد صالح بن ذياب - المطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

المختلفة ، ومن آثاره العلمية محاضرة بعنوان : (دراسات فى التوحيد : قواعده وأصوله) إلى غير ذلك من المصنفات والفتاوى المختلفة[1] .

٢ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى :

حيث كان يقوم بتدريس علم الحديث فى مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى البلاد بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض ، فى حين كان يقوم الشنقيطى بتدريس علم الأصول فى نفس المسجد لكبار طلاب العلم آنذاك ، ومع ذلك فقد كان يحضر درسه هذا العامة والخاصة الذين كانوا يتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض[2] .

٣ - الشيخ عبد العزيز بن بَـاز :

وقد صاحب الشنقيطى على مدار واحد وعشرين عامًا منذ أن كانا يُدَرِّسَان معًا فى معاهد وكليات الرياض المختلفة، وحتى انتقلا سويًا إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث صار ابن باز نائبًا لرئيس الجامعة ، فى حين صار الشنقيطى عضواً فى مجلس إدارتها ، هذا بالإضافة إلى تدريسهما بها .

وقد ظلا كذلك حتى صار ابن باز رئيسًا للجامعة وإلى أن توفى الشنقيطى عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) حيث صار ابن باز بعد ذلك رئيسًا عامًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ عام (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) وحتى وفاته يوم الأربعاء (٢٧-١-١٤٢٠هـ) الموافق (١٢ -٥- ١٩٩٩م) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة سبعة وعشرين عامًا .

هذا بالإضافة إلى صحبتهما فى هيئة كبار العلماء بالرياض ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وغيرهما من الهيئات والمحافل الإسلامية المختلفة[3] .

وعن منزلة ابن باز لدى الشنقيطى يحدثنا الدكتور عبد الله قائلاً : كان الوالد رحمه الله تعالى يحب الشيخ ابن باز ويقول : هذا الرجل أمره عجيب ؛ حيث لم أر شخصًا أبصر

---

(١) راجع (تعدد الزوجات وتحديد النسل) : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٣ - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥ - ٧ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ٧٧ ، ١٨٢ (بتصرف) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

بعلم الفرائض منه، ثم قال لى : كنت يومًا أبحث فى (سُنن أبى داود) عن حديث ، فزارنى الشيخ عبد العزيز بن باز وقال لى : افتح الكتاب صفحة كذا ؛ فوجدت الحديث ، فجزاه الله تعالى خيرًا[1] .

٤ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبار العلماء) فى المملكة العربية السعودية ، وأستاذًا بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم ، وقد صاحب الشنقيطى فى الرياض أثناء تدريسه فى معاهدها وكلياتها المختلفة ، بل ودرس على الشنقيطى فى المعهد العلمى فى الرياض ، ثم فى كلية الشريعة بها .

وطيلة حياته لم يقم الشيخ العثيمين إلاّ بمنزله المتواضع ببلدته (عُنَيْزَة) بالمنطقة الشرقية ، حيث كان يقصده طلاب العلم من كل حَدَب وصَوْب من داخل المملكة وخارجها ، وقد عَبَّدَتْ أقدامهم الطريق الترابية الموصلة إلى بيته هذا الذى كان مبنيًا من الطوب اللبن ، أما غير هذا البيت من الأبنية الحديثة والقصور الفاخرة مما كان يُهْدَى إلى الشيخ من قِبَل أولى الأمر فى البلاد ؛ فقد جعله كله لطلاب العلم وباحثيه على السواء .

وهو فى زهده هذا يذكرنا صاحبه وشيخه الشنقيطى الذى كان يسير على نفس الدرب ، وينتهج ذات السبيل ؛ ابتغاء وجه الله تعالى ، وهو الأمر الذى ظل يذكره له ، ويثنى عليه خيرًا ، صاحبه وتلميذه العثيمين حتى أواخر حياته حيث كانت وفاته يوم الأربعاء (١٥ - ١٠ - ١٤٢١ هـ) الموافق (١٠ - ١ - ٢٠٠١ م) بعد رحيل الشنقيطى بقرابة ثمانية وعشرين عامًا[2] .

المطلب الثانى
أقرانه الباقون

ونكتفى بذكر أبرزهم من جِلَّة العلماء الآن ألا وهو :

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ= يناير ٢٠٠١ م .

• **الشيخ حمّاد الأنصارىّ :**

وقد صاحب الشنقيطى على مـدار سبعة عشر عامًا ، منهـا عامان فى دار العلوم والحرم النبوى الشـريف عامى (٦٩ / ١٣٧٠ هـ = ٤٩ / ١٩٥٠ م) ثم سـبعـة أعوام فى الرياض تدريسًا فى مـعاهدها وكلياتها المخـتلفة ، بل ومجـاورًا له فى السكن من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) حتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) وهو العام الذى افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ؛ حيث انتـقل إليها الشنقيطى منذ البداية ، ثـم لحق به الشيخ الأنصارىُّ من عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) مدرسًا معه فى نفس الجامعـة على مدار ثمانية أعوام حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ= ١٩٧٤ م)[1] .

والشيخ الأنصارىّ كان من أبرز علماء الحديث فى الجامـعة الإسلامية خاصة ، ولا يزال كذلك بـالمدينة المنورة عامـة ، كمـا أن مكتبتـه الخاصـة لا تزال عامـرة بأنفس المخطوطات وأندرها ، فضلاً عن آلاف التصانيف التى تند عن الحـصر فى مختلف فروع العلم وفنونه ، والمكتبة مـفتوحة أمام طلاب الشيخ خـاصة ، وغيرهم مـن طلاب عامـة مـن شتى أنحاء العالم ، ولكن حسب توجيهات الشيخ وإرشاداته .

* * *

وبالإضافـة إلى هؤلاء العلماء كثيـرون غيرهم من أمثـال : عبد العزيز آل صـالح إمام وخطيب الحرم الـنبوى الشريف ، وعـبد اللطيف آل الشـيخ حفيـد الشيخ مـحمد بن عـبد الوهّاب مدير معاهد وكليات المملكة ، وعبد الله الزاحم رئيس القضاء الشرعى بمنطقة المدينة المنورة ، وأخيرًا مـحمد بن إبراهيم آل الشيخ الحفيـد الثانى للشيخ محمـد بن عبد الوهّاب مفتى الديار السعودية آنذاك .

---

(١) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢٢٧ .

المبحث الثانى

معـــاصــروه

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - **المطلب الأول** : الملــوك .

٢ - **المطلب الثانى** : الأمــراء .

٣ - **المطلب الثالث** : الأدبــاء .

ونعنى بهم معاصريه من غير أقرانه من العلماء السالف ذكرهم ، ويشملون هنا كلاً من الملوك والأمراء والأدباء الذين اقتربوا من الشنقيطى وقـربُّوه إليهم ؛ فأنزلوه منزلته ، وعرفوا له قدره ؛ وبهذا يخرج كلُّ مَنْ عاصره مِنْ غير الأصناف المشار إليها هنا ، سواء من تلامذته أو غيرهم مِمَّنْ صحـبوه فى حلِّه وترحاله عامة ، ورحلاته العلمية والعلاجـية خاصة ، فإن هؤلاء وأولئك يندون عن العَدِّ والإحصاء ، ويستعصون على الحصر والاستقصاء ، وهذا ما لا يقصد إليه البحث ، وليس موضعه ؛ ومن ثم فإننا نستطيع ذكر معاصريه الذين قصدناهم بحسب ترتيبهم الزمنى من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
الملـــــــوك

وقـد عاصـره منهم أربعـة ملوك راحلين ، عـرفوا لـه قدره ، ولجـأوا إلى مشـورته ، وأعملوا رأيه ألا وهم :

١ - الملك عبد العزيز[(١)] :

وهـو عبد العـزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود الذى تولى الحكم فى البلاد عام (١٣١٩ هـ= ١٩٠١ م) والمتـوفى بمدينة الرياض فى حياة الشنقـيطى عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م)[(٢)] .

---

(١) وهو غير جـده الملك عبد العزيز الذى فتح الرياض عام (١١٨٧ هـ= ١٧٧٣ م) بعـد أن أخرج منها (دهام بن دواس) الذى فَرَّ هاربًا ، ثم كان أن قضى الملك عبد العزيز نحبه وهو ساجد على أثر طعنة جنجر نافذة بيـد رجل من الشيعة العراقـية كان متنكرًا فى صورة درويش ، حـتى إذا قربه الملك إليه وأكرمه ؛ فعل فعلته وكان عندئذ ما كان فى رجب الحرام من عام (١٢١٨ هـ = ١٨٠٣ م) .

وقد جاء هذا انتقامًا من الملك عبد العزيز الذى كـان قد أمـر ابنه وولى عهـده الأمير سعود بغزو العراق عام (١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م) حيث هدم قبة قبر الحسين ﷺ فى كربلاء بعد أن أنزل بشيعتها خسائرها هائلة .

راجع تفصيل ذلك فى :

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لأحمد بن حجر آل أبو طامى قاضى المحكمة الشرعية بقطر ص ٢٧ - الطبعـة ١ - طبع وتوزيـع وإهداء الجامـعة الإسـلاميـة - المدينـة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

- أطـلس العالـم الإسلامى: جمـع وإعـداد مجموعة من المتـخصصين جغرافيًا وتربويًا بإشراف: دة . دولت أحمد صادق أستاذة الجغرافيـا البشرية ص (ب) من المقدمة - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وكان الشنقيطى قد رغب فى جـوار رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة قائلاً : ليس من عمل أعظم من تفـسير كتاب الله فى مـسجد رسول الله ﷺ وقـد تم له ما أراد بأمر من جلالة الملك عبـد العزيز رحمه الله بداية من عام (١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م) وليسـتمر الدرس قرابة ربع قرن من الزمان حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

كما كان الشنقـيطى أول مَنْ ساهم فى تأسيس وإنشاء النهضة العلمـية الحديثة بالرياض بناءً على رغـبة وتكليف الملك عـبد العـزيز له بذلك ، وقـد بلغ تقدير الملك عـبد العـزيز للشنقيطى أن منحه الجنسيـة ، بل وأكثر من ذلك عندما منحه أمرًا ملكيًا خـاصًا يمنح بمقتضاه تلك الجنسيـة لكـل مَنْ ينتمى إليه ، بل وجمـيـع مَنْ فى كفالته ؛ وذلك ثقـةً به ، وإكرامًا له[1] .

٢ - الملك سعود :

وهو سعود بن عبـد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الـعزيز آل سعود والذى تولى حكم البلاد عام (١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م) عـقب وفاة أبيه ، وحتى تنازله عن العـرش لأخيه الملك فيصل عام (١٣٨٤ هـ= ١٩٦٤ م)[2] .

وقد واصل الملك سـعود نهج أبيه الملك عبـد العزيز فى إكرام الشنقـيطى وتقديره ، بل وإعمال رأيه، والنزول على رغبته ؛ إلى الحد الذى قَـبِلَ معه التنازل عن عرش البلاد لأخيه الملك فيصل نزولاً على رغبة كبار علماء البلاد الذين أنابوا الشنقيطى ليبلغ عنهم تلك الرغبة للملك سعود ؛ فكان لحكمـة الشنقيطى وقوة حجته ، فضـلاً عن علو قدره ومكانته ؛ أبلغ الأثر وأعظمه فى اسـتجابة الملك سـعود لذلك ؛ إيثاراً مـنه لمصلحة البلاد ، وحـفاظًا على مقدسات المسلمين[3] .

٣ - الملك فيصل :

وهـو فيصل بـن عبد العزيز بـن عبـد الرحمن بن عبد العزيـز آل سعود والذى تـولى

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كل من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٧ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محـمد الأمين الشنقيطى : جميع وتصنيف عبد الرحمـن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ .

(٢) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :
- أطلس العالم الإسلامى : إشراف دة . دولت أحمد صادق ص (ج) من المقدمة .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .

حكم البلاد بعد تنازل أخيه الملك سعود له عن العرش عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)[١] .

وقد ظل ملكا على البلاد منذ ذلك التاريخ وحتى نالت منه يَدٌ آثمة غادرة لشاب غير مسئول من الأسرة المالكة ؛ وليقضى بذلك نحبة على الفور عام (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م) ولتفقد أمتنا الإسلامية برحيله واحدًا من خيرة أبنائها العظام ، وأبرز حكامها الأعلام[٢] .

وأما تقدير الملك فيصل للشنقيطى فلم يكن أقل شأنًا عن والده الملك عبد العزيز وأخيه الملك سعود ؛ بل ظل للشنقيطى فى عهد الملك فيصل ما له من المكانة والتقدير فى شتى المحافل العلمية عامة ، وفى كل من رابطة العالم الإسلامى والحج بمكة المكرمة ، وكذا بالجامعة الإسلامية والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة خاصة .

ثم توج الملك فيصل تقديره للشنقيطى بأن كلفه برئاسة لجنة من كبار العلماء للإشراف على إصدار طبعة معتمدة من المصحف الشريف بالمدينة المنورة برواية وَرْش عن نافع من طريق أبى يعقوب الأزرق ، وذلك قبل رحيل الشنقيطى بعام واحد وقبل رحيل الملك فيصل بثلاثة أعوام .

وإلى هذا يشير آخر هذه الطبعة بما نصه : بأمر من صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود أطال الله عمره ، أُلِّفَتْ لجنة من كبار علماء المسلمين فى المدينة المنورة برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى، وضبطت هذه النسخة على قراءة وَرْش عن نافع ، من طريق يوسف أبى يعقوب الأزرق عن وَرْش عن نافع ، وهو أصح الحروف وأثبتها فى قراءة وَرْش عن نافع .

وكان لصاحب الجلالة الملك فيصل الفضل فى إظهار هذه الطبعة المصححة من جميع وجوهها ، سواء من ناحية ضبط القراءة أو ضبط الخطوط ، إلى حيز الوجود ، وذلك فى المدينة المنورة فى تاريخ الثامنَ عشرَ من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية ، حيث أشرف على تصحيح هذه النسخة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى وصحح ما فيها من الخطأ ، ثم توقيع الشنقيطى بخط يده : (محمد الأمين) وبعده الناشرون : دار الكتاب اللبنانى[٣] .

---

(١) راجع تاريخ حكمه للبلاد فى :

- أطلس العالم الإسلامى : إشراف د. دولت أحمد صادق ص (د) من المقدمة .

(٢) كما طالعتنا بذلك فى حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية فى مصر وخارجها .

(٣) انظر فى ذلك الصفحات الداخلية الأخيرة من :

- المصحف الشريف برواية وَرْش عن نافع : الطبعة ١ - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤ - الملك محمد الخامس :

وهو جَدُّ الملك الحالى محمد السادس الذى اعتلى عرش المملكة المغربية عقب وفاة والده الملك الحسن الثانى فى غضون عام (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م)[١] .

وقد عرف الملك محمد الخامس للشنقيطى قدره ومنزلته ؛ حيث تجلى ذلك واضحًا عندما زار الرياض ، ثم استأذن آنذاك فى صحبة الشنقيطى إلى المدينة المنورة ؛ ومن ثم فقد صحبه الشنقيطى تقديرًا وإكرامًا ، بل وألقى بحضرة الملك محاضرة قيمة بالحرم النبوى الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد جاءت هذه المحاضرة بعنوان قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ الآية[٢] .

المطلب الثانى
الأمـــــــراء

وقد عاصره ثلاثة منهم كلهم عرفوا له قدره وعلمه ؛ فأكرموا وفادته وأحسنوا معاملته منذ بداية مقدمه إلى المملكة لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى وفاته ، وهؤلاء الأمراء بترتيبهم الهجائى هم :

١ - الأمير تركى السّديرىّ :

وكان أمير منطقة(أَبْهَا) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطى مع أخيه الأمير خالد السديرى كما سيأتى ذكره الآن .

---

(١) كما طالعتنا بذلك فى حينه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من عربية وعالمية فى مصر وخارجها .

وانظر فى ترجمة الملك محمد الخامس :

- الجأش الربيط فى النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط : محمد الإمام ابن ماء العينين الشريف الإدريسى الشنجيطى ص (ب) - من المقدمة - الطبعة ١ - سلسلة (مكتبة صحراء المغرب) - الكتاب رقم (١) - مطبوعات دار العلم - رباط الفتح - المغرب - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .

(٢) المائدة : ٣ - وراجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦/١، ٥٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٨/١ .

٢ - الأمير خالد السّديرىّ :

وكان أمير منطقة (تبوك) آنذاك ، وقد التقى به الشنقيطى مع أخيه الأمير تركى السالف ذكره ، وذلك أثناء حجه الأول عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وقد كان سبب ذلك اللقاء مذاكرة أدبية حول بيت شِعْرٍ لجرير يهجو فيه الأخطل وقومه بنى تغلب ، ولم يسعف الأميرين فى ذلك سوى الشنقيطى الذى وجداه ساحلاً لا بحر له .

وعن هذا اللقاء يحدثنا الشنقيطىّ نفسه قائلاً : وفى يوم عرفة بقرب مسجد (نَمِرَة) مررنا مصادفة من غير قصد على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان اللذان هما أخوان وهما : الأمير السامى تركى أمير (أَبْهَا) السديرىّ ، والأمير السامى أخوه خالد السّديرىّ أمير (تَبُوك) .

فجلسنا قليلاً فى ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا ، فآوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ، وسألنا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره :

هَلْ تتركنَّ إلى القِسِّينَ هِجْرَتَكُمْ ومَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

وعن إعراب (قربانا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه ، ويعيرهم بدين النصرانية ، وذكرنا له القصيدة ومعنى البيت وإعراب الكلمة[1] .

٣ - الأمير عبد الله بن عبد الرحمن :

وهو شقيق الملك عبد العزيز السالف ذكره، وكان من أشد الناس حبًا وتقديرًا للشنقيطى ؛ إلى الحد الذى جعله الشيخ عطية من أحق الناس تعزية فى شخص شيخه الشنقيطى[2] .

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

والبيت المذكور من قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتًا ، وقد ذكرها الشنقيطى من حفظه على الفور بَدْءًا بمطلعها الذى يقول فيه جرير :

بَانَ الخليطُ ولو طُوِّعتُ مَا بَانَا وقَطَّعُوا مِنْ حبال الوَصْلِ أَقْرَانَا

حَيِّ المنازلَ إذْ لا نبتغى بَدَلا بالدارِ دَاراً ولا الجيرانِ جِيرَانَا

إلى أن يختمها بقوله :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إلى القسِّينَ هجْرَتَكُمْ ومَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

لَنْ تدركوا المجدَ أو تشروا عباءَتَكُمْ بالخَزِّ أو تجعلوا التَّنُّومَ ضُمْرَانَا

(٢) حِلْية طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد (وكيل وزارة العدل السعودية) - ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

ومما يذكر أن الأمير عبد الله قد أهدى الشنقيطى بيتًا فى الطائف ، كما أذن للبنك الأهلى بالمدينة المنورة أن يعطيه ما يطلب من المال ، غير أن الشنقيطى رَدَّ هذا وذاك ، ولم يقبل شيئًا منهما ؛ وذلك لما عُرِفَ عنه من زهده فى الدنيا ، وعدم حاجته إليها[1] .

المطلب الثالث

الأدبَـــــــاء

ونكتفى منهم بذكر أبرزهم من حيث شدة قربه من الشنقيطى ، وطول ملازمته له ، ألا وهو :

• **الأديبُ العَبُّودِىّ :**

وهو الأديب الأريب محمد ناصر العبودى الذى كان يشغل منصب الأمين العام للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك ؛ ولطول صحبته للشنقيطى ، وكثرة اجتماعهما معًا ؛ نراه يستعيد ذكرى تلك الجلسات العديدة التى كانت تضمهما فى مجلس الجامعة قائلاً :

وكُنَّا كنُدْمَانَى جذيمة حقبةً ... مِنَ الدهرِ ؛ حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا

فلما تفرقنا ؛ كأنى ومالكًا ... لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا[2]

* * *

وهكذا يجتمع أقران الشنقيطى وأنداده مِمَّنْ يماثلونه فى العلم والفضل ، مع معاصريه من الملوك والأمراء والأدباء ممن اقتربوا منه وتعاملوا معه ؛ حيث يجتمع هؤلاء وأولئك من راحلين وباقين فضلاً عن غيرهم ، فى إنزال الشنقيطى منزلته ، وقدرهم إياه حَقَّ قدره ؛ ولا غرو ؛ فتلكم مكانة العلماء العاملين ، وذلكم تقدير الأمة لهم ، على مَرِّ العصور ، وتعاقب الدهور .

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٩٨ .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٢ .

الفصل الثالث

تلامــــذتـــه

من أقرانه ومن الشناقطة ومن غير الشناقطة

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : تلامذته مـــن أقرانـــه .

٢ - المبحث الثانى : تلامذته مـــن الشناقطة .

٣ - المبحث الثالث : تلامذته من غير الشناقطة .

جلس الشنقيطى لتدريس فنون العلم وفروعه المختلفة قرابة أربعين عامًا ، منها حوالى ثمانية أعوام فى بلاده شنقيط منذ أن أتم مرحلة الطلب فى الثلاثين من عمره تقريبًا ، وحتى خروجه من بلاده لحجة الإسلام وهو ابن ثمانية وثلاثين عامًا فى أول رحلة له إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وعقب فراغه من الحج استقر به المقام ببلاد الحجاز ، حيث أخذ فى مواصلة عطائه على مدار ثمانية وعشرين عامًا بدأها بالتدريس فى كل من دار العلوم والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ؛ ثم فى المعهد العلمى وكليتىْ الشريعة واللغة بالرياض ، ثم مرة أخرى فى كل من الجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) والحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة ، حيث ظل يدرس بهما حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م).

ومن ثم ؛ فقد تتلمذ عليه خلق كثيرون ، نهلوا من علمه ، وعَبُّوا من مَعِينه ، سواء فى بلاده التى كان يمثل فيها مدرسة متنقلة ، بل جامعة سيارة لما لا يعد ولا يحصى من طلابه النابهين فى سائر العلوم ، وشتى الفنون ، بالإضافة إلى تخريجه خمسَ عشرةَ دفعة من طلاب دار العلوم بالمدينة المنورة ، والمعهد العلمى وكليتىْ الشريعة واللغة بالرياض ، وكذا تخريجه ثلاثَ عشرةَ دفعة من طلاب الجامعة الإسلامية وحدها بالمدينة المنورة .

فضلاً عن تلامذته الذين درسوا عليه فى غير المدارس النظامية سواء فى بيته من خاصة طلابه بالرياض والمدينة المنورة ، أو من غيرهم فى الحرم النبوى الشريف من زائرىْ رسول الله ﷺ أثناء العمرة والحج ، أو من المقيمين فى المدينة المنورة مِنْ مجاورىْ رسول الله ﷺ .

وقد بلغ من حب الشنقيطى للتعليم والتدريس أن آثرهما على التفرغ للتأليف والتصنيف ، وهذا ما يشير إليه عبد الرحمن السديس بقوله : عرض الشيخ عطية وفقه الله على شيخه الشنقيطى رحمه الله التفرغ للتأليف وترك التدريس بالجامعة الإسلامية ؛ فأجابه الشيخ قائلاً : (إن هؤلاء التلاميذ فيران قمرة ، يأخذون العلم منا ، ثم ينشرونه فى الآفاق) فقد شبههم بالفئران فى الليلة المقمرة ؛ حيث يتجهون إلى نواحٍ كثيرة ، وأماكن متعددة .

وهذا من بعد نظره رحمه الله ؛ فقد كانت الجامعة الإسلامية تضم طلابًا من جميع دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى ، أخذوا العلم وانتشروا فى سائر بلاد المعمورة ،

حتى إن الشـيخ عطية يحـدثنى أنه لقى عددًا غـير قليل منهم فى بعـض دول جنوب شرق آسيا[1] .

وبهذا تتضح لنا تلك الكثرة الهائلة ، وذلك العدد الضخم، من طلاب العلم وباحثيه ، ممَّنْ تتلمذوا على الشنقيطى ، وأخذوا عنه ؛ بما لا يحصيهم قلم مستوعب ، ولا يجمعهم كِتـاب حافظ ؛ لذا فـسوف نكتفى إزاءهـم بذكر أشهـرهم تنبيـهًا بهم على غـيرهم ، بَدْءً بتلامذته من أقرانه ، ثم تلامذته من الشناقطة ، وأخـيرًا تلامذته من غير الشناقطة ، وذلك من خلال المباحث الثلاث التالية :

---

(١) راجع فى ذلك (ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقـيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحـمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

المبحث الأول

تلامذته من أقرانه

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - **المطلب الأول** : الشيخ حمّاد الأنصاري .

٢ - **المطلب الثاني** : الشيخ عبد العزيز بن باز .

٣ - **المطلب الثالث** : الشيخ عبد العزيز آل صالح .

٤ - **المطلب الرابع** : الشيخ عبد الله الزاحم .

٥ - **المطلب الخامس** : الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

وكلهم مــن جِلّةِ العلمــاء وأكابرهم ؛ ومع ذلك فـقد أخذوا عن الشنقـيطى ودرســوا عليه جـمــلة مــن العلوم الرئيسة ، والتـــى تمثلت فى كل من : (التفسيـر - الأصول - اللغة - المنطق - آداب الـبحث والمناظرة) وذلك لما لمسوه من تضلـعه وعلو كعـبه فى تلك العلوم وغيرها التى قلمـا تجتمع لغيره ؛ ومن ثم لم يمنعهم مـا عُرِفَ عنهم من علم وفضل مـن أن يحـرصـوا أشد الحرص على مـلازمة الشنقـيطى والاستفـادة منه ، على الرغم من كونهم جميعًا أقرانــه وأنداده فى شـرف حـمل العلم ، وأمانه تدريسه لطلابه وباحثيه على السواء .

ونكتـفى منهم بذكر أبرزهم مِـمَّنْ تتلمذوا عليـه بحسب تـرتيبهـم الهجائـى من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
الشيخ حمّاد الأنصارىّ

حيث التقى بالشنقيطى قبيل الحج عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) بمكة المكرمة ، ثم بعد الحج بالمدينة المنورة حيث لازم درسه فى التفسير فى دار العلوم والحرم النبوى الشريف عامىْ (٦٩/ ١٣٧٠ هـ = ٥٠/ ١٩٥١ م) ثم جاوره فى الرياض من عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م) إلى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث نُقِلَ إلـى الجامعة الإسلاميـة بالمدينة المنورة ، وقد لحق به الشيـخ حمّاد الأنصـارى عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وظل ملازمًـا له فيـها وفى الحرم النبوى الشريف حتى وفاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)[1] .

ومما أخذه الشيخ حماد على الشنقيطى علما التفسير والمنطق ، وهو إذ ذاك أستاذ يُدَرِّسُ معه للطلاب ، وفى ذات الوقت تلميذ له ، يتلقى عنه ، ويأخذ عليه .

المطلب الثانى
الشيخ عبد العزيز بن باز

حيث أخذ على الشنقيطى (شرح سُلَّم الأخضـرىّ) فى فن المنطق ، كما كان يحضر له حلقة التـفسيـر فى الحرم النبوى الـشريف على مدار خـمسة أعـوام من عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وحتى وفـاة الشنقيطى عام (١٣٩٣ هــ = ١٩٧٤ م) والشيخ ابن باز إذ ذاك من

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى :

- ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢١٣ .

أكابر العلمـاء وأبرزهم ، كما كان نائبًـا لرئيس الجامعة الرسـلامية ، ثم رئيسًـا لها بالمدينة المنورة[1] .

المطلب الثالث
الشيخ عبد العزيز آل صالح

حيث كان إمام الحرم النبوى الشريف، ورئيس محاكم المدينة المنورة، وأحد العَالِمَيْن اللذين أوصى الأمير خالد السديرى أمير (تبوك) آنذاك بضرورة لقاء الشنقيطى بهما فى المدينة المنورة .

ومما درسه الشيخ آل صالح على الشنقيطى علما الصـرف والبيان ، فضلاً عن شدة قربه منه وملازمته له فى كل من : معهد القـضاء العالى بالرياض على مدار سبع سنوات دراسية كاملة منذ افتتاحه عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) ، وفى هيئة كبار العلماء بالرياض على مدار اثنين وعشرين عامًا منذ تشكيلها عـام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) فضلاً عن ملازمته له بالمدينة المنورة حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م)[2] .

المطلب الرابع
الشيخ عبد الله الزاحم

وكان إمام الحـرم النبوى الشريف ، ورئيس محاكم المدينة المـنورة ، والعالم الثانى الذى أوصى الأمير خالد السديرى بضرورة لقاء الشنقـيطى به مع صاحبه الأول الشيخ عبد العزيز آل صالح[3] .

وقد شـارك الشيخ الزاحم صاحبـه الشيخ ابن صالح فى دراسـتهمـا على الشنقيطى ، فضلاً عن كونهما أقرب الناس إليه ، وأكثرهـم مجالسة معه ، وأدومهم ملازمة له[4] وهما إذ ذاك من أكابر العـلماء وجلتهم ، بالإضـافة إلى توليـهما قـضاء المدينة المنورة ، فـضلاً عن إمامتهـما فى الحرم النبوى الشريف على صاحبه أفـضل الصلاة وأتم التسليم ، وفى هذا من الفضل ما فيه ، مما لا يدانيه غيره ، ولا يرقى إليه سواه .

---

(١) ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢١٣ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٦ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٦ - ٣٧ (من المقدمة بتصرف) .

(٤) وقد أشـار إلى ذلك الدكتور عـبد الله الشنقيطى فى مـحاضرته المسـجلة عن والده بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

المطلب الخامس

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

حيث كان أحد الأعضاء البارزين فى (هيئة كبارالعلماء) فى المملكة العربية السعودية ، إلى جوار عـمله كأستاذ بكليـة الشريعة بجامـعة الإمام محـمد بـن سـعود الإسلامـية فـرع القصيم .

ومما درسـه على الشنقـيطى علم الأصـول ، وعلم المنطق ، فـضلاً عن آداب البـحث والمناظرة ، وذلك فى كل من المعهـد العلمى وكلية الشريعة أثناء تدريس الشنقـيطى بهما فى الرياض ، وذلك من عـــام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م) وحـتى عـام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى انتـقل فيـه الشنقيطى للتـدريس بالجـامعـة الإسلامـية بالمدينة المنورة منذ الـيوم الأول لافتتاحها من ذلك العام[١] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشـيخ محمد الأمين الشنقيطى : جـمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبـد العزيز السديس ص ٢١٤ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المبحث الثانى

تلامذته من الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى .

٢ - المطلب الثانى : أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطى .

٣ - المطلب الثالث : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى .

٤ - المطلب الرابع : بقية تلامذته من الشناقطة .

ما إن وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) واستقر بها ؛ حتى بدأ طلاب العلم الشناقطة فى التوافد عليه ، وبعضهم كان قد سبقه إلى البلاد ، فى حين جاء معه البعض الآخر أو لحق به فيما بعد .

غير أنه قد تزايد عددهم بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كان الهدف من إنشائها تعليم أبناء المسلمين ، بصرف النظر عن جنسياتهم وأقطارهم ، وكان من حسن حظهم أنهم وجدوا الشيخ الأمين رحمه الله مدرسًا بهذه الجامعة ؛ فلازموا دروسه فى الجامعة ، بل وخارجها أيضًا .

ويحدثنا الشيخ الحسين بن عبد الرحمن أبرز الطلاب الشناقطة القدامى الذين درسوا على الشنقيطى ولازموه منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) عن سلوك شيخه مع طلابه قائلاً : إن شيخنا محمد الأمين رحمه الله كان يُسْكِنُنا فى حجرات بيته ، وينفق علينا من ماله الخاص ، فضلاً عما يقوم به من تعليم وتربية ، وقد ظللنا كذلك حتى تخرجنا مع مَنْ تخرج من طلاب الأقطار الإسلامية الأخرى[1] .

وفيما يلى نُعَرِّفُ ببعض منهم تنبيهًا بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى[2]

ولد فى شنقيط عام (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥م) ثم رحل فيما بعد إلى الحجاز ليأخذ العلم على الشنقيطى الذى أجازه فى كل من التفسير والأصول واللغة العربية .

عمل مدرسًا فى الحرم المكى ثم أحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) فرجع إلى بلاده ليستقر بها ؛ حيث يعد أبرز الدعاة السلفيين المعاصرين هناك ، بل وأكثرهم نشاطًا ، وأشدهم إنكارًا للبدع ، ولا سيما بدع مَنْ يَدَّعُون التصوف وينتسبون إليه .

ومن آثاره العلمية : (إكمال تحفة الألباب شرح الأنساب - ومواهب الجليل على مختصر خليل - وإعداد المنهج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

---

(١) السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٢، ٤١٣ .

(٢) انظر تفصيل ترجمته فى :

- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩٥ .

المطلب الثانى

أحمد بن الطالب الأمين الجكنى الشنقيطى

وعنه يتحدث شيخه الشنقيطى فى معرض استضافة تلميذه له أثناء رحلته إلى الحج فيقول : فنزلنا عند تاجر منا ، طيب الشمائل والأخلاق ، اسمه : أحمد بن الطالب الأمين ، وهو من أخص إخوانى وتلامذتى ؛ فبالغ فى إكرامنا ، وأهدى لنا ثيابًا ، ودفع عنا أجرة السيارة إلى بلد (مبتى) التى بادرنا السفر إليها ، وقد ركب معنا أخونا أحمد المذكور فى السيارة[1] .

المطلب الثالث

أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطى[2]

ولد فى شنقيط أول العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجرى وكان أبوه إذ ذاك رئيس قبيلته ورئيس المحاكم الشرعية ، ولما توفى أبوه بعد المرحلة الابتدائية أخذ يطلب العلم بهمة عالية ، حتى إذا أتم دراسته ؛ سافر آنذاك لأداء فريضة الحج عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) .

وهناك لازم شيخه وابن عمه الشنقيطىّ وصار من أخص تلامذته ، بل ومن أكثرهم

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٩٠ .

والمقصود هنا بقوله : (منا) أى من نفس قبيلة الشنقيطى (بنى جاكان) فهو جكنى مثله ، غير أن أحمد بن الطالب الأمين كان إلى جوار طلبه العلم يعمل بالتجارة فى بلدة تسمى (بمكو أوبماكو) بجمهورية (مالى) حيث نزل عليه شيخه الشنقيطى ومَنْ معه آنذاك ، ولا تبعد تلك البلدة كثيرًا عن بلدة (مبتى) التى سافر إليها الشنقيطى مع صَحْبِه يرافقهم تلميذه المذكور داخل حدود الجمهورية نفسها .

ولمزيد من التعريف بـ (بمكو) و (مبتى) بجمهورية (مالى) انظر :

- الأطلس العربى : ص ٤٧ (خريطة إفريقيا السياسية) - ط ٥ - طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

(٢) انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ .
- نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطىّ - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/ ٢٣ - نشر : محمد محمود محمد الخُضْر القاضى - ط ١ - دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

انتفاعًا بعلمه ؛ حتى إنه طلب من شيخه أن يمليه شرحًا على (مراقى السُّعود لمبتغى الرُّقِىّ والصُّعود) فى أصول المالكية ، وقد أجابه الشنقيطى إلى طلبه بما يسمى (نشر الورود على مراقى السعود) غير أنه ترك ما يقرب من خُمُسِ الكتاب لم يشرحه ؛ لضيق وقته ، وكثرة مشاغله .

وقد ظل أحمد بن محمد الأمين يعمل مدرسًا بالحرم المكى إلى أن أحيل إلى التقاعد عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) **ومن آثاره العلمية** : (مواهب الجليل من أدلة خليل فى أربعة مجلدات - تحقيق وتكملة عمود النسب فى أنساب العرب فى ثلاثة مجلدات - اختصار زهر الأفنان على حديقة ابن الونان فى الأدب - نظم فى علم البلاغة فى ثمانمائة بيت - شرح لمنظومة عمته أم الخيرات فى معجزات النبى ﷺ - نظم له فى أمهات النبى ﷺ - شرح على لامية الأفعال - وأخيرًا تهذيب لشرح محمد الأمين بن أحمد زيدان على المنهج فى قواعد الفقه المالكى) .

المطلب الرابع
بقية تلامذته من الشناقطة

أما بقية تلامذته من الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذى لا يفى به إلا سِفْر ضخم ، وهو ما لا يقصد إليه البحث ، وليس بموضعه ، وفيما يلى قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائى ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالى :

١ - إبراهيم بن عثمان .
٢ - د. بابا بن بابا بن آدّه الجكنى .
٣ - التلميذ بن محمود .
٤ - الحسين بن عبد الرحمن .
٥ - د. سيد محمد ساداتى .
٦ - مأمون محمد أحمد بن أمينوه .
٧ - محفوظ بن سيدات .
٨ - محمد أحمد دادح بن الشيخ .
٩ - محمد أحيد بن عمر .
١٠ - محمد الأمين بن الحسين .
١١ - د. محمد الخضر بن الناجى بن ضيف الله الجكنى .
١٢ - د. محمد ولد سيدى ولد حبيب (ابن عم شيخه الشنقيطى) .
١٣ - محمد عبد الله بن أحمد مزيد .
١٤ - د. محمد عبد الله بن الصديق .
١٥ - د. محمد عبد الله بن عمر .
١٦ - د. محمد بن عمر بن حوية الجكنى .

١٧ - د. محمد بن ماديك .

١٨ - د. محمد بن محمد المختار الجكنى .

١٩ - د. محمد المختار بن سيدى محمد .

٢٠ - د. محمد يعقوب بن طالب عبيدى .

٢١ - د. محمود محمد الأمين باب .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء فى بلادهم شنقيط بعد رجوعهم إليها ، أو فى بلاد الحجاز حيث لا زال أكثرهم يُدَرِّسُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عمل بعضهم بالقضاء الشرعى والإفتاء بدولة الإمارات العربية المتحدة خاصة ، وغيرها من حواضر الإسلام ، ودياره العامرة عامة[١] .

---

(١) راجع تفصيل تراجمهم فى كل من :

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .
- الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .
- نثر الورود على مراقى السعود : شرح الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد الحبيب ١/١٧ - ٢٢ .

المبحث الثالث

تلامذته من غير الشناقطة

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : الدكتور بكر أبي زيد .

٢ - المطلب الثاني : الشيخ عطية محمد سالم .

٣ - المطلب الثالث : الشيخ محمد المجذوب .

٤ - المطلب الرابع : بقية تلامذته من غير الشناقطة .

وهم كأسلافهم من تلامذته من الشناقطة ، من حيث الكثرة والتعدد ، وكذا العلم والفضل ، وفيما يلى نُعَرِّف أيضًا ببعض منهم تنبيهًا بهم على غيرهم ، وذلك بحسب ترتيبهم الهجائى من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول
الدكتور بكر أبى زيد

وهو بكر بن عبد الله أبى زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ، وأخص تلامذة الشنقيطى من أهل الحجاز ، وأكثرهم ملازمة له على مدار عشرة أعوام كاملة ، كما لم يتخلف يومًا واحدًا عن حلقة تفسير شيخه للقرآن الكريم أثناء شهر رمضان المعظم من كل عام فى الحرم النبوى الشريف.

ومن العلوم التى حصلها عليه الأصول وآداب البحث والمناظرة من خلال دروس شيخه الخاصة فى المسجد والمنزل ، أما علم الأنساب فهذا ما تفرد بتحصيله الدكتور بكر دون سائر تلامذة شيخه من خلال كتابىْ ابن عبد البر المعروفين بـ : (القصد والأَمَم ، فى معرفة أنساب العرب والعَجَم، وأول مَنْ تكلم بالعربية مِنَ الأُمَم) و (الإنباه على قبائل الرواة) حيث قَيَّدَ على ذلك بعض التحريرات والتعليقات، من نكات شيخه وضوابطه العلمية .

وإلى هذا التفرد يشير الشنقيطى نفسه فى خطابه إلى تلميذه بكر قائلاً: ما أخذ عنى علم الأنساب فى هذه البلاد غيرك[1] .

ويحدثنا الدكتور عبد الله عن تلمذة الدكتور بكر على والده الشنقيطى قائلاً : ومن أكثر مَنْ لازم الشيخ من طلابه بكر أبى زيد صاحب التصانيف الكثيرة ، ولم يأخذ على الشيخ فى هذا البلد من علم النسب غيره ، وقد كان بكر يقرأ كثيرًا ثم يأتى إلى الشيخ يصحح عليه ويستفيد منه ؛ حتى أنه كان يجلس مرة فى آخر الحرم النبوى الشريف وكنت معه آنذاك صغيرًا ، وقد قال له الشيخ وقتها كلامًا فى حديث : «الطلاق مرتان» ثم قال : البخارى هو الذى فهمَ الحديث ، أما أنا والحافظ ابن حجر فلسنا فاهِمَيْنِ للحديث !!

فذهبت إلى بكر أبى زيد وقلت له : ماذا كان يقول لك الشيخ من أنه هو والحافظ ابن حجر لم يفهما الحديث ، والذى فهمه تمامًا هو البخارى ؟! فقال بكر : نعم أتذكر ، ولكننى نسيت !! فبحثنا معًا عن شيء يكون مسجلاً بهذا الصدد عند أحد من طلاب الشيخ

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٥ - ويقصد بقوله : (هذه البلاد) أى بلاد الحجاز عامة ، والمدينة المنورة خاصة .

هنا أو هناك ؛ لكن مع الأسف لم نجد شيئًا من هذا ؛ لذا كان بكر أبى زيد كثير الاستفادة من الشيخ[1] .

ومن ثم ؛ فقد دَلَّ هذا البحث من الدكتور بكر مع ابن شيخه على حرصه على تسجيل كل ما يسمعه من شيخه ؛ بحيث لا يفوته منه شىء ، حتى ولو كان يسيرًا أو عابرًا ؛ فإنه بالنسبة إليه يعنى الشىء الكثير .

ومن آثاره العلمية : (كتاب حِلْيَة طالب العلم) الذى ذكر فيه خبر لقائه وتلمذته على شيخه الشنقيطى[2] .

المطلب الثانى
الشيخ عطية محمد سالم[3]

هو عطية محمد سالم عطية سالم الذى كان يعمل قاضيًا بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ثم قاضيًا للتمييز بها ، كما ظل يُدَرِّس بالحرم النبوى الشريف حتى قبيل وفاته يوم الاثنين (٦ - ٤ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٩ - ٧ - ١٩٩٩ م) .

ولد الشيخ عطية بقرية (المَهْدِيَّة) من أعمال (الشرقية) إحدى محافظة الوجه البحرى بمصر عام (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م) غير أنه هاجر إلى المملكة العربية السعودية فى ريعان الشباب ليبدأ هناك على الفور مرحلة التحصيل والطلب ، والتى يمكننا تقسيمها إلى ثلاث مراحل دراسية متعاقبة هى :

١ - الدراسة الخاصَّة :

حيث الحلقات العلمية المختلفة فى الحرم النبوى الشريف ، والتى تكاد تتوارى من حياة

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) راجع فى ذلك :

- حِلْيَة طالب العلم : د. بكر بن عبد الله أبى زيد (وكيل وزارة العدل بالسعودية) ص ١٢ - الطبعة ٢ - دار الحرية للطبع والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(٣) راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٢/ (٢٠١ - ٢٢٦) - الطبعة ٣ - (طبع دار النفائس ببيروت لبنان) - (نشر دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

المسلمين اليوم ، إلا فى بعض حواضـر الإسلام كحلقات الأزهر الشريف بمصـر ، والقائمة على مدار ألف عام ولا تزال حتى اليوم .

٢ – الدراسة النظاميَّة :

حيث معاهد ودور العلم الحكومية ؛ بقصد نيل المؤهلات العلمية المختلفة ، والتى بدأها الشيخ عطية بالـثانية الثانوية بالمعهـد العلمى بالرياض عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ومنه إلى كليتىْ الشريعة واللغة اللتين تخرج فيهما بعد ذلك .

٣ – الدراسة الجامعة :

وهى تلك التى أخذها على شيـخه الشنقيطى ، وتميزت آنذاك بأنها جـمعت الدراستين السابقتين الخاصة والنظامية معًا ؛ ومن ثم طاب لنا وصفها بـ : (الدراسة الجامعة) .

ونترك الحديث للشيخ عطية ليصف لنا هذه الدراسـة على شيخه قائلاً : بَيْدَ أن الدراسة التى جمعت بين الخاصـة والنظامية ، وامتازت على سائر الدراسات المختلفـة فهى ملازمتى فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى علـى مدى اثنين وعشرين عامًا ، لا أكاد أفارقه فى حِلٍّ ولا ترحال ؛ حتى رحلاته إلى الحج ، ورحلته إلى دول إفريقيا .

وكانت تلك الملازمة فرصـة العمر للتحصيل ؛ إذ كنت أستفـيد منه بيان ما أُشْكِلَ علىّ من المقررات النظاميـة ، وأتوسع فى مدارسة سواها ، ومن الدروس التى حضـرتها عليه : التـفسـيـر وأصوله ، وأصـول الفقـه والبـلاغة ، وأدب البـحث والمناظرة ، والفـرائض ، ومقدمات فى المنطق ، وبخاصة مبحث التصور والتصديق .

وأهم مـن هذا كله : الجـانب المسلكـى مـن حيـاته الفـاضلة ، فـإنى وإنْ لم أسـتطع مجاراته ؛ فإنى لم أُحْرَم الإفادة منه ، والحمد لله[1] .

وأما عن آثار الشـيخ عطية العلمية فـهى من الكثرة والتنوع بحيث تكفى الإشـارة إليها على النحو التالى :

أ – آثاره المطبوعة :

وتشمل مراجعاته وتعليقاته على مؤلفات شيخه الشنقيطى مثل : مراجعة تفسير (أضواء البيان) وعـمل فهارسه الفنية المخـتلفة، وكذا مراجعة كـل من : رسالة الناسخ والمنسوخ ، وكتاب دفع إيهام الاضطراب ، وجـمع مذكرة أصول الفقه ، وأخيـراً : تقديمه وتعليقه على كتاب (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ٢/٢٠٢ .

كما تشمل آثاره المطبوعة ما له من المؤلفات الخاصة مثل : ترجمته لشيخه ، و (تتمة تفسير أضواء البيان)[1] والرِّق : معاملته وحقوقه فى الإسلام ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى ، وأخيرًا : سلسلة الرسائل المدنية التى وصلت إلى اثنى عشر كتابًا فى مختلف البحوث الفقهية والعلمية[2] .

ب - آثاره المسموعة :

وتشمل مجالسه القضائية والعلمية ، وحلقات تدريسه المنتظمة فى الحرم النبوى الشريف ، وكذا محاضراته ومؤتمراته العلمية التى يدعى إليها داخل المملكة وخارجها ، وأخيرًا : أحاديثه العديدة فى مختلف وسائل الإعلام السعودية والعربية .

جـ - آثاره الشعريَّة :

ومعظمها فى رثاء شيخه كما أسلفنا ذلك من خلال حديثنا عن وفاة الشنقيطى ورثائه وحسن خاتمته .

المطلب الثالث

الشيخ محمد المجذوب

حيث كان يعمل مدرسًا بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهو صاحب كتاب : (علماء ومفكرون عرفتهم) والذى ترجم فيه لشيخه الشنقيطى ، حيث ذكر أنه صاحب شيخه تلميذًا وزميلاً بالجامعة الإسلامية على مدار أحدَ عشرَ عامًا منذ معرفته به عام (١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

---

(١) كما سيأتى ذكر ذلك مفصلاً من خلال تناولنا لتفسير (أضواء البيان) للشنقيطى ضمن الحديث عن آثاره العلمية فى موضعه من البحث .

(٢) وقد صدرت هذه السلسلة فى طبعتها الأولى عن مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة عام (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م) وجاءت تحت العناوين التالية :

التراويح أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام - مع الرسول ﷺ فى رمضان - تحريم نكاح المتعة لأبى الفتح المقدسى : تحقيق وتخريج - زكاة الحُلى على المذاهب الأربعة - تعريف عام بعموميات الإسلام - منهج الإسلام فى كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين - أصول الخطابة والإنشاء - معالم على طريق الهجرة - تعدد الزوجات وتحديد النسل - رمضانيات من الكتاب والسُّنة - آداب زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله ﷺ - وأخيرًا : مع الرسول ﷺ فى حجة الوداع .

هذا فضلاً عن مواظبته على دروس شيخه فى التفسير بالحرم النبوى الشريف ، وكذا مجالسه العلمية لخاصة طلابه الذين كانوا يدرسون عليه بمنزله بالمدينة المنورة[1] .

وقد ظل الشيخ المجذوب يذكر شيخه الشنقيطى ويثنى عليه خيرًا حتى قُبَيل وفاته يوم الاثنين (١ - ٣ - ١٤٢٠ هـ) الموافق (١٤ - ٦ - ١٩٩٩ م) بعد رحيل شيخه بقرابة سبعة وعشرين عامًا[2] .

المطلب الرابع
بقية تلامذته من غير الشناقطة

أما بقية تلامذة الشنقيطى من غير الشناقطة فهم من الكثرة والتعدد والانتشار ؛ بحيث لا يسعنا هنا سوى أن نشير إلى أسماء البارزين منهم ، دون تناولهم بالتعريف ، والذى لا يفى به إلا سِفر ضخم ، وهو ما لا يقصده البحث ، وليس موضعه ، وفيما يلى قائمة بأسمائهم بحسب ترتيبهم الهجائى ، مع الإحالة على مصادر تراجمهم على النحو التالى :

١ - إحسان إلهى ظهير .
٢ - صالح اللحيدان .
٣ - صالح بن هلابى .
٤ - عبد الحميد أبى زنيد .
٥ - د. عبد العزيز قارى .
٦ - عبد الله بن جبرين .
٧ - عبد الله الزايد .
٨ - عبد الله بن غديان .
٩ - د. عبد الله قادرى .
١٠ - عبد المحسن عبَّاد .
١١ - د. محمد ربيع مدخلى .

وكلهم من أهل العلم والفضل الذين يَشْرُفُون بحمل أمانة العلم وتدريسه لأجيال متلاحقة من الطلاب والباحثين ، سواء فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أو فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فضلاً عن عضوية كثير منهم بـ (هيئة كبار العلماء) وكذا (اللجنة الدائمة للإفتاء) بالمملكة العربية السعودية .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب - (١/ ١٧١ - ١٩١) - حيث استغرقت هذه الترجمة عشرين صحيفة يتصدرها أنموذج خطى بيد الشنقيطى ، وقد جاء ترتيبه العاشر بين ترجمات عشرين عالمًا ضمهم الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) مجلة التوحيد : ص ٥١ - السنة ٢٩ - العدد ١١ - (عدد خاص) - إصدار : جماعة أنصار السُّنة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

هذا بالإضافة إلى عمل الآخرين منهم على مختلف مواقعهم من المسئولية العِلْمِيَّة والدَّعْوِيَّة ببلادهم المختلفة على امتداد حواضر الإسلام ، ودياره العامرة[1] .

* * *

● **ملاحظات حول تلامذة الشنقيطىّ :**

١ - لقد استثنينا من تلامذته كلاً من ابنيْه : الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله الأستاذين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[2] فهما ولداه ، أحب الناس إليه ، وأقربهم إلى قلبه ؛ ومن ثم فلا يفتقر مقام أبوته لهما إلى دليل يبرهن على بداهة تلمذتهما عليه .

وإلى خصوصية تلك التلمذة ، وبعض ملامحها ، يشير الدكتور عبد الله قائلاً : وأكثر ما استفدت من الوالد رحمة الله عليه أنى درست عليه فى صيف أحد الأعوام حوالى ثلاثين آية لمدة ثلاثة أشهر ، حيث كان يعطينى كل يوم كلمة واحدة يشرحها لى لغة وإعرابًا وحكمًا ؛ حتى إننى جلست آنذاك تسعين يومًا من : «الٓمٓ» فى أول البقرة حتى قول الله تعالى فيها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ بما يعادل ربع جزء تقريبًا[3] .

وفى الحقيقة كانت هذه هى أنفع قراءة قرأتها على الشيخ ؛ فبالرغم من قلة مدتها ؛ إلا أنها كانت تمثل منهجًا كاملاً من حيث كونها دراسة مُعَمَّقَة وجَرْدِيَّة[4] .

٢ - إن تلامذة الشنقيطى من أقرانه السالف ذكرهم لَيُعَدُّون من جِلَّة العلماء وأكابرهم ، وهم مع تصريحهم بتلمذتهم عليه كقولهم: (شيخنا العالم القرآنى الشيخ محمد الأمين الشنقيطى عليه رحمة الله) ومع ما يبدو ما فى ذلك القول من بالغ تواضعهم وجَمِّ أدبهم ؛ إلا أن الأمر لا يخلو من الاستفادة المتبادلة بينه وبينهم .

---

(١) راجع تفصيل تراجمهم فى كل من :

● ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢١٢ - ٢٢٠ .

● الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

● السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٩١ - ٤٤٤ .

● منسك الإمام الشنقيطى : (د. عبد الله الطيار) مع (د. عبد العزيز الحجيلان) ٢٨/١ - ٣٠ .

(٢) راجع التعريف بهما ص   من هذا البحث .

(٣) البقرة : ٣٠ - وبهذه الآية يصير ربع الجزء الأول بحاجة إلى ثلاثَ عشرةَ آية حتى يتم بنهاية نصف الحزب الأول عند قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة: ٤٣ .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

ومن ثم ؛ فقد كانت هذه التلمذة مزدوجة بينه وبينهم ، فكما استفادوا منه بعض العلوم، فقد أفاد منهم أخرى ؛ حتى غدا كل منهما للآخر أستاذًا تلميذًا ، وتلميذًا أستاذًا ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : وهنا كلمة يجب أن تقال للحقيقة ولطلبة العلم خاصة ، ونضعها فى ميزان العدالة وقانون الإنصاف : لقد كان لجلوس الشيخ رحمه الله فائدة مزدوجة ؛ حيث استفاد وأفاد ، واستفادته فى هذا أمر حتمى ، ومنطقه علمى[1] .

٣ - يعد الشيخ عطية محمد سالم أخص تلامذة شيخه الشنقيطى ، بل أقربهم إلى قلبه ، وأخلصهم إلى نفسه ؛ حيث حظى من شيخه بما لم يَحْظَ به غيره ؛ وهذا ما يحدثنا عنه الشيخ عطية نفسه قائلاً : لقد أكرمنى الله بصحبته ، وطول ملازمته ليل نهار ، وكثرة مرافقته فى الظعن والأسفار ، داخل المملكة وخارجها ، وسمعت منه رحمه الله الشىء الكثير والكثير جدًا ، إنه لشيخى ، وأعز علىّ من والدى ، إنه حقًا والدى حساً ومعنىً ؛ فقد وجدت منه العناية والرعاية كأشد ما يرعى الوالد ولده ، مما يطول ذكره ، ولا يُنسى فضله[2] .

ومن ثم؛ فقد كان أن خَصَصْنَا الشيخ عطية دون سائر تلامذة الشنقيطى بشىء من بسط القول إزاء ترجمته والتعريف به ؛ وذلك لما له من خصوصية هذه الحُظْوة ، وعُمْق تلك العلاقة ، التى ربطته بشيخه على مدار سِنِىْ حياته .

وفى الجملة : فإن الشيخ عطية يشير إلى وفرة تلامذة شيخه ، وانتشارهم فى الآفاق ، على مختلف مواقعهم من المسئولية ، سواء فى المملكة العربية السعودية أو خارجها ؛ الأمر الذى لا يمكن معه حصرهم ، ومن ثم استقصاؤهم وجمعهم .

وفى هذا يقول الشيخ عطية ما نصه : لقد كان لتدريس فضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله ، سواء رسميًا فى المعهد العلمى بالرياض ، أو كليتىْ الشريعة واللغة بها ، وكذلك تدريسه فى مسجد الشيخ بالرياض[3] أو المسجد النبوى الشريف بالمدينة

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٧ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣ (من المقدمة) .

(١) ويقصد به : (مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ) مفتى الديار السعودية آنذاك ، وإليه مرجع الهيئات الإسلامية الكبرى بها ، كما كان يعرف بـ (المفتى الحفيد) لكونه حفيد الشيخ محمد ابن عبد الوهَّاب ، وقد كان مسجده الواقع بمنطقة (دُخْنَه) بالرياض يمثل جامعة إسلامية عالمية يلتقى فيها كل من العلماء والطلاب على السواء من شتى أنحاء المعمورة لتدريس مختلف فنون العلم وفروعه ، وكان الشنقيطى من أبرز هؤلاء العلماء آنذاك . =

المنورة ، وكـذا تدريسه فى منزله بالريـاض ومكة والمدينة ؛ فقـد كان لهـذا كله أثر طيب ، ونتائج حسنة ؛ بحـيث لا يسع متحدثًا أن يتحـدث عنها بقدر ما تحدثتْ هى عن نفـسها ، وذلك فى أعمال كافـة المتخرجين المنتشرين فى أنحاء المملكة من المُبَـرّزين فى أعمالهم ، بل وفى أعلى المناصب فى كافة الوزارات المختلفة .

ومن ثـم ؛ فلا يستطيع إنسـان أن يحصر تلامذة الشيخ رحمـه الله ؛ لوفرة مَنْ أخذوا عنه ، وبخاصة فى كل من جـامعة الإمام محمـد بن سعود بالرياض ، والجامعة الإسـلامية بالمدينة المنـورة ، وكـذلك المسجـد النبوى الشـريف ؛ إلا أن هناك الخصـوصيـات من بنى عمومتـه ، فضلاً عن الأشخاص الذين لازموه الزمن الطويل فى حِلّه وترحـاله ، واستفادوا من تلك المرافقة والرحلات .

ولذا ؛ لا يغالى مَنْ يقول : إن كل مَنْ تَخَرَّج أو يَتَّخَرَّج ، فـهو إما تلميذ للشيخ ، أو تلميذ لتلاميذه ؛ فهم بمثابة أبنائه وأحفاده ، وكفى[1] .

= راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٢ - ٤٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٥ .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

(١) انظر فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ - ٤٦ (من المقدمة) .
- ضمن رد الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

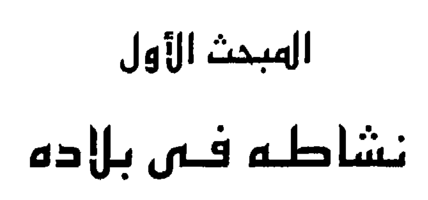
الفصل الرابع

نشاطه
فى بلاده وخارج بلاده

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : نشاطه فى بلاده .

٢ - المبحث الثانى : نشاطه خارج بلاده .



وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : الدرس والفُتيا .

٢ - المطلب الثانى : القضـــــاء .

يُعَدُّ نشـاط الشنقيطى ببلاده يسيـرًا محدودًا إذا ما قـيس بما كان منه بعد خروجـه منها وعزمه على البقاء بأرض الحجاز ، والتى بلغ بها ذروته ، ووصل فيها إلى غايته ومداه .

وقد تمثل نشاطه ببلاده فيما كان يقـوم به من أعمال تميزه عن سائر علمائها ، وذلك من خلال اضطلاعه بالدرس والفتيا والقضاء[1] وهذا ما يتبين لنا من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
الـــدرس والفتيا

كان عمل الشنقيطى بالتدريس والإفتاء يمثل مـرجع الكافة ببلاده فى سائر الشئون ؛ فقد كان بمثابة المعلـم والمفتى ، والواعظ والمرشد ، بل المُوَجِّه والمُصْلِح لكل مَنْ قـصده ، أو لجأ إليه ، من خلال علوم الشرع واللغة بفروعهما المختلفة .

المطلب الثانى
القضـــــاء

وبالرغم من اشتغال الشنقيطى بالدرس والفتيا ، إلا أنه قـد اشتهر بالقضاء خاصة ، بل وعُرِفَ بالفِرَاسَة فيه ، وهذا ما يتضح من خلال ما يلى :

- **الشيخ القاضى :**

كان الشناقطة عظيمى الثقة فى شيخهم وقاضيهم الشنقيطى على الرغم من وجود الحاكم الفرنسى فى البلاد آنذاك[2] الأمر الذى دفع مواطنيـه ليفدوا إليه من مخـتلف أنحاء البلاد ،

---

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٤ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٦ .

(٢) حيث كـانت بلاد شنقيط ترزح آنذاك تحت نِّير التـبعية الفـرنسية ، وقد ظلت على تلك الحـال حتى نالت استـقلالهـا التام عن فرنسـا عام (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) غيـر أنها ظلت ضـمن دول الاتحاد الفرنسى الأفـريقى المعروف بـ (الكومنولث) وفى (١٨ من جماد الأول ١٣٨١ هـ = ٢٧ مـن أكتوبر ١٩٦١م) انضمت موريتانيا رسميًا إلى (الأمم المتـحدة) ثم إلى (جامعة الدول العربية) فى (٢ من ذى القعدة ١٣٩٣ هـ= ٢٦ من نوفـمبر ١٩٧٣م) ثم كان أن انفصلت عن (الكومنولث) لتصيـر عضواً فـى (اتحاد المغـرب العربى) الذى يضم كـلاً من (ليبـيا والجزائر والمغـرب) وذلك فـى (جمـاد الثانى ١٤٠٩ هـ = فبراير ١٩٨٩ م) برعاية ملك المغرب الراحل الحسن الثانى .

راجع المزيد عن مسيرة موريتانيا السياسية منذ الحرب العالمية الثانية عام (١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م) وحتى تم لها ما أرادت ، وذلك فى كل من :

فيذهبون إليه حيث يكون نازلاً مهما كلّفهم ذلك من النفقة والمشقة والوقت ، ويهون عليهم هذا كله فى سبيل قضائه بينهم ، وفصله فى خصوماتهم .

• طريقته فى القضاء :

كان إذا أتاه الطرفان المختصمان ليقضى بينهما ؛ يعمد إلى استكتابهما برغبتهما فى التقاضى إليه أولاً ، ثم قَبولهما حكومته وما يقضى به بينهما ثانيًا ، وبعد ذلك يقوم بإثبات الدعوى ، ثم إثبات اعترافات كل خَصمٍ على حدة ، وبإزائها ردود الغريم؛ وبهذا يكون قد جمع بين أركان القضية الثلاثة والتى تشمل نص الدعوى ، ثم اعتراف المدَّعِى ، وأخيراً ردّ المدَّعَى عليه .

وعقب ذلك يصدر الشنقيطى حكمه فى هذه الخصومة أو تلك مُعَلَّلاً ومُؤَيَّدًا بالأدلة الشرعية التى يستقيها غالبًا من مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى السائد فى بلاده شنقيط خاصة ، وبلاد الغرب الأفريقى عامة[1] وحالما يفرغ الشنقيطى من ذلك ؛ يدفع بالدعوى ومعها الردود والحكم إلى الطرفين المتنازعين قائلاً لهما : اذهبا بها إلى مَنْ شئتما من المشايخ أو الحكام .

• ثقة المشايخ والحكام فى قضائه :

أما المشايخ فلا يكاد يأتى أحدَهم حكمُ الشنقيطى فى قضية قضاها إلا صدّقوا عليها فى التو والحال، وأما الحكام فلا تكاد أيضًا تصلهم قضية حكَمَ فيها إلاّ نفذوا حكمه فور وصوله إليهم دون أدنى شك أو تردد .

هكذا كان قضاء الشنقيطى فى كل قضية تُعْرَضُ عليه ، إلاّ قضاء الدماء حيث كان لذلك قضاء خاص.

= • موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض فى القارة السوداء) : محمد يوسف مقلد ص ١٧٣ - ط ١ - دار الكتاب اللبنانى - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

• العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ - ط ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد ٣٧٩ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

• جريدة (الشعب) الموريتانية الحكومية التى تصدر فى العاصمة (نواكشوط) - ثمان صفحات - العدد ٢٥٠٢ - السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ آبًا - السبت ٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ= ٧ من مايو ١٩٨٨ م .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٦/١ .

• قضاء الدِّماء :

والمقصود به القِصَاصُ أو حكمُ الإعدام الذى كان له قضاء خاص به فى أنظمة السلطات الفرنسية التى كانت تهيمن على البلاد آنذاك ، حيث يتمثل هذا القضاء الخاص بالدماء فى نظر المحاكم الفرنسية فى كل ما له صلة بالقِصَاص أو الإعدام ، وبعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق ، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة ؛ يقضى الحاكم الفرنسى بالقصاص أو الإعدام ، ثم يُعْرَضُ هذا الحكم على لجنة خاصة تعرف بـ : (لجنة الدماء) .

• لجنة الدِّماء :

وتتألف من عَالِمين جليلين من كبار علماء الشريعة بالبلاد ، ولا يتم إنفاذ حكم القصَاص أو الإعدام إلا بموافقة هذه اللجنة وتصديقها عليه ، وقد كان الشنقيطى أَحَدَ هذين العَالِمين المعتمدين فى هذه اللجنة على مدار أعوام عديدة .

* * *

• أهم ما يتميز به نشاطه فى بلاده :

وبعد : فإنه يتبين لنا مما سبق أنّ أهم ما يميز نشاط الشنقيطى فى بلاده هو فِرَاسَتُه فى القضاء ، تلك الصفة التى يجب توافرها فِيمَنْ يضطلع بهذا العبء الثقيل ، والذى يستلزم بالضرورة قدرةً خاصة على تمحيص أقوال المتقاضين ، وتفنيد حِيَلهم ، وكشف ما قد يكون من خداعهم ؛ وذلك بهدف نَصَفَةِ المظلوم ، والضرب على يدى الظالم بما يستحق من الجزاء .

هذا فضلاً عن الثقة العظمى التى كان يتمتع بها الشنقيطى من قِبَل المواطنين والمشايخ والحكام على السواء ؛ وليس ذلك إلاّ لما جرّبوه عليه من قوة حجته ، ثم عدله ونزاهته .

المبحث الثانى

نشاطه خارج بلاده

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : حجــه وعزمــه علـــى البقاء بالمملكة .

٢ - **المطلب الثانى** : بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة .

ونقصد به ذلك النشاط العلمى الواسع الذى قام به الشنقيطى منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز وإلى أن توفى بها ، والذى امتد على مدار ستة وعشرين عامًا من عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وحتى عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) قضاها فى سائر أرجاء المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفى كل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة[1] .

وفيما يلى ذكر نشاطه بأرض الحجاز منذ أن حَلَّ بها وإلى أن توفى فيها ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
حجه وعزمه على البقاء بالمملكة

ويشمل وصوله المملكة ، وأداءه حجة الإسلام ، ثم سبب عزمه على البقاء بأرض الحجاز :

١ - وصوله المملكة :

وصل الشنقيطى بلاد الحجاز عن طريق البحر ، حيث دخل مدينة (جدَّة) فى العشر الأواسط من ذى القعدة من عام ١٣٦٧ هـ الموافق للعشر الأواسط من سبتمبر من عام ١٩٤٨ م[2] .

وقد نزل الشنقيطى ومَنْ معه آنذاك فى بيت عمومى خَصَّصَهُ (آل جمجوم) لنزول أهل القطر من الشناقطة ، وبعد أن مكث بـ (جِدَّة) ليلتين من غير أن يجتمع بأحد من أهلها ، إلا برجل سودانى موظف ببعض الشركات هناك اسمه أحمد البكرى ، حيث أحسن إليهم وحملهم إلى (مكة المكرمة) بواسطة رجل طيب من موظفى إدارة الحج اسمه سامى كتبى .

٢ - أداؤه حجة الإسلام :

ركب الشنقيطى من (جِدَّة) بعد صلاة المغرب هو ومَنْ معه ، محرمين ملبين قاصدين

---

(١) راجع فى ذلك بتصرف واسع كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ - ٥١ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ - ٢٨٤ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٧ - ١٨٥ .

(٢) انظر مقابلة التقويم الهجرى بالميلادى فى كل من :
- برنامج (تقويم أم القرى) : إصدار (هـ - م ١) .
- برنامج (المؤذن العربى) : إصدار (١٠١) .

البيت الحرام بالبلد الحرام ، ولم يكن نُسُك الشنقيطى تمتعًا ولا قِرانًا ، وإنما كان إفرادًا بالحج كما هو الأفضل فى مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذى كان عليه الشنقيطى حتى ذلك الحين .

وإلى هذا يشير بقوله : وكان إحرامنا بالحج مفردًا ، وإنما أحرمنا إفرادًا من غير تمتع ولا قِرَان ؛ لأن الإفراد فى مذهبنا أفضل من التمتع والقِرَان ؛ وأفضلية الإفراد التى هى مذهبنا معاشر المالكية قال بها مالك وأصحابه ، وذلك هو الصحيح من مذهب الشافعى[1] .

٣ - سبب عزمه على البقاء بالمملكة :

خرج الشنقيطى من بلاده لأداء حجة الإسلام على نية العودة إليها ثانية ؛ غير أن الله تعالى شاء غير مشيئته ؛ حيث بدأت مرحلة جديدة من حياته عندما تجددت نيته على البقاء بالمملكة عامة ، ومدينة رسول الله ﷺ خاصة ؛ وذلك بسبب مدارسة أدبية دارت بينه وبين الأمير خالد السديرى أمير تبوك آنذاك حول بيت من الشعر قاله جرير ضمن قصيدته التى يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه من النصارى ، حيث وجد الأمير خالد من الشنقيطى بحرًا لا ساحل له .

وعن تلك المدارسة الأدبية يحدثنا الشنقيطى قائلاً : وبعد أن تمت مناسك حجنا جعله الله حجًا مبرورًا ، وسعيًا مشكورًا ، آمين آمين ، كان أن مررنا فى يوم عرفة بقرب مسجد (نَمِرَة) مصادفة من غير قصد[2] على خيمة من خيام الحجيج فيها الأميران الساميان ، اللذان هما أخوان ، وهما الأمير السامى تركى أمير (أبْها) السديرى ، والأمير السامى أخوه خالد السديرى أمير (تبوك) .

فجلسنا قليلاً فى ظل الضحى من خيمتهم ننتظر رفقتنا، فآوونا وأكرمونا غاية الإكرام ، وأظهروا لنا السرور بالمعارفة معنا ، وتذاكرنا معهم مذاكرة أدبية ؛ حيث سألَنَا الأمير خالد المذكور عن معنى قول جرير فى شعره : (وَمَسَّحَهُمْ صُلْبُهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا) وعن إعراب :

---

(١) وقد توسع الشنقيطى فى حشد الأدلة على أفضلية الإفراد بالحج عند المالكية ، مقارنًا ذلك بأقوال المذاهب الأخرى ومُفَنِّدًا لها - انظر تفصيل ذلك فى كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : ص ٢٥٥ - ٢٦٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الشنقيطى قد عدل عن المذهب المالكى بعد إقامته بالمملكة واستقراره بها ؛ حيث صار إلى اتباع الدليل دون تعصب إلى أىٍّ من المذاهب الأربعة ، وسوف نورد ذلك مفصلاً فى موضعه من البحث من خلال حديثنا عن منهجه فى عرض الأحكام الفقهية .

(٢) قوله : (مُصَادَفَةً) فيه نظر ؛ حيث لا يُفَضَّلُ التعبير بهذه الكلمة فى مجال الدراسات الشرعية لما قد تُلْقِى به من ظلال حول إلغاء القَدَر ، أو الوقوع فى صفات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا ما لا يجوز =

(قُرْبَانَا) فقلنا له : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبى وقومه ، ويُعَيِّرُهُم بدين (النصرانية) ثم ذكرنا له القصيدة ، ومعنى البيت ، وإعراب الكلمة[1] .

ويعقب الشيخ المجذوب على ذلك قائلاً : وهكذا تعمل المقادير الحكيمة عملها فى تحركات الشيخ والإعداد لمصيره الجديد ؛ فإذا بخيمة الشيخ بجوار خيمة الأمير خالد السديرى دون علم من أىٍّ منهما ، ودون أن يعرف أحدهما الآخر ، وإذا بالحديث يتدرج بالأمير خالد وجلسائه إلى بعض الشعر ، فلما أُشْكِلَ هذا البيت[2] على المتحدثين رأوا أن يسألوا جارهم عنه ، وربما دفعهم إلى هذا كلامٌ سبق أن سمعوه من الشيخ يسامر به مَنْ معه ؛ فتوسموا فيه العلم ، وكان هذا مقدمة لمسيرة ظلت حتى وفاته[3] .

كما يرصد الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى سبب عزم شيخه على البقاء بالمملكة قائلاً : وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتًا فى الأدب[4] وهو ذواقة أديب ، وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركهم ؛ فوجدوا بحرًا لا ساحل له ، ومن تلك الجلسة وذاك المنزل تَعَدَّلَت الفكرة[5] بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة .

= بحال ؛ لأنه لا يقع فى كون الله تعالى إلاّ ما يريده الله تعالى ، ألا ترى قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان : ٣٠ - فإن لم يكن هناك قصد بشرىّ ، إلاّ أن هناك دائمًا قصدًا إلهيًا؛ ومن ثم فلا مجال للمصادفة بحال من الأحوال ، وعليه فالأنسب أن يقال : (قَدَرًا) بدلاً من (صُدْفَةً أو مُصَادَفَةً) .

(١) وتمام هذا البيت :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إلى القسَّيْنَ هِجْرَتَكُمْ ... وَمَسْحَكُمْ صُلْبَهُمْ رَحْمَنَ قُرْبَانَا

وهو البيت قبل الأخير من قصيدة طويلة لجرير تبلغ ثلاثة وسبعين بيتًا ، قال فى مطلعها :

بَانَ الخَلِيـطُ وَلَوْ طُوِّعْـتُ مَا بَانَا ... وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أَقْرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- ديوان جرير: شرح محمد بن حبيب (١/ ١٦٠ - ١٨٧)- تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

(٢) ويقصد به بيت جرير المتقدم .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٧٨/١ (بتصرف) .

(٤) ويقصد به بيت جرير المتقدم كذلك .

(٥) وقصد الشيخ عطية بهذه الفكرة : أى ما كان عليه شيخه الشنقيطى كسائر علماء بلاده من الشناقطة ، حيث كانوا يسمعون الكثير من الدعاية ضد بلاد الحجاز ، والتى تعرف عندهم باسم : (الوَهَابِيَّة) نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب (على غير قياس) . غير أنه سرعان ما تعدّلت فكرة الشنقيطى إلى الصواب منذ أن حَلَّ بأرض الحجاز عامة ، وبالمدينة المنورة خاصة ، كما سيأتى بيانه بعد قليل .

ولقد أوصاه الأمـير خالد إنْ هو قدم المدينة أن يلتـقى بالشيخين عبـد الله الزاحم رحمه الله ، وعبد العزيز آل صالح حفظه الله[1] وفى المدينة بهما رحمه الله ؛ ومن ثم تجددت نيته فى البقاء بهذه البلاد بعد وصوله إليها[2] .

المطلب الثانى
بداية نشاطه بعد حجه واستقراره بالمملكة

ويشمل نشاطه العلمى الموسع الذى بدأه فى المدينة المـنورة ، ومنها إلى الرياض حاضرة البلاد ، وأخيرًا مكة المكرمة ، وفيما يلى نعرض لنشاطه فى كل منهما على النحو التالى :

• أولاً : المدينة المنورة :

بعد أن فرغ الشنقيطى من مناسك حجـة الإسلام ، كان أن قضى عدة أيام بمكة المكرمة قبل أن يتـوجه إلى المدينة المنورة قـاصدًا زيارة مسـجد رسول الله ﷺ وفى طـيبة الطيـبة حرص الشنقيطى أن يلتقى أول ما يلتقى بكل من الشيخين : عبد الله الزاحم ، وعبد العزيز آل صالح رحمهـما الله تعالى ؛ وذلك إنفاذًا لما أوصاه به الأمير خالد السـديرى أمير (تبوك) آنذاك من ضرورة البدء بلقائهما عند مَقْدمه مدينة رسول الله ﷺ .

وقـد جاء لقـاء الشنقيطى صريحًـا مع الشيخين الزاحم وآل صـالح فـيما كان يسـمعه عـن مذهب أهل الحجاز فى الفقه ، ومنهجهم فى العقيدة ؛ ومن ثم كان الشيخان حكيمين معـه فـى كل ما يعرضانه عليـه بهذا الصدد ؛ إلاّ أن الشـيخ آل صالح كان أكثر الشـيخين مباحـثة مـع الشنقيطى ، وأثراهمـا مناقشة معـه ؛ حيث قَدَّم له كتاب (المغـنى) لابن قدامة كأصل للمذهب الحنبلى ، بالإضـافة إلى بعض كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيـمية كمنهج للعقيدة .

وبعـد فـراغ الشنقـيطى من قـراءة تلك الكتب عن آخرها ، كـان أن تعددت اللـقاءات وطالت الجلسات ؛ ليـجد بهذا مـذهبًا معلومًا لإمـام أهل السُّنة أحمد بن حنبل ، ومنهـجًا سليمًا لعقيدة سلف الأمة كما بَيَّنَهَا شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

ومن ثم ؛ فقـد تبددت الغيـوم ، وتَكَشَّفَت الأمور ، بعـد أن ذهب زَيْفُ الدعايات ، وظهر مَعْدنُ الحقيقـة ؛ والتى على أثرها توطدت العَلاقة بين الشنقيطى والشيخ آل صالح ،

---

(١) كان الشيخ عبد العـزيز آل صالح لا يزال حيًا آنذاك ، وقد عُمِّرَ بعد الشنقـيطى قرابة اثنين وعشرين عامًا حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٥ - ٣٦ (من المقدمة) .

بل كان أن تُـوِّجَتْ فى النهاية بأن تجـدَّدت الرغبـة المتبـادلة بين الطرفين فى بقاء الشنقـيطى بالمدينة المنورة لإفادة المسلمين[1] .

وبهـذا يبـدأ الشنقيطى سـلسلة نشاطه فى بلاد الحـجاز انطلاقـًا من مدينـة رسول الله ﷺ فى كل من :

١ - الحرم النبوىّ الشريف :

رغب الشنقـيطى فى هذا الجوار الكريم بالقـرب من رسول الله ﷺ وتفـسيـر القرآن الكريم بمسجده الشريف ، مـعبرًا عن ذلك بقوله : (ليس من عمل أعظم من تفسـير كتاب الله تعالى فى مسجد رسول الله ﷺ)[2] وبالفعل فقد تم للشنقيطى ما أراد بأمر من الملك عبد العزيز آل سـعود ملك البلاد آنذاك ، والذى على أثره بدأ درسه فى التفسيـر حيث فَسَّرَ القرآن الكريم ثلاث مرات منذ ذلك الحين وحتى وفاته .

وهـذا ما يخبـر به تلميذه الشيخ عطية بقــوله : فَسَّر الشيـخ رحمـه الله تعالـى القرآن فـى المسـجد النبـوى وحـده ثلاث مرات تـقريبًـا ، وقد سـمعـته يقـول : (مـا من آية فى المصحف إلا وعنـدى عنها مــا قـيل فيها) وقد ظهر ذلك جليًا فى (أضواء البـيان) بحمد الله تعالى[3] .

ولم يكن جلوس الشنقيطى لتـفسير كتـاب الله فى مسجد رسـول الله ﷺ إلاّ امتدادًا للشيخ الطيب[4] وتلامذته من بعده من أولئلك العلماء الذين اضطلعوا بشرف التدريس آنذاك بمسجد رسول الله ﷺ الذى يُعَدُّ جامعة الإسلام الأولى .

ونَدَع المقام للشيخ عطية ليحدثنا عن طبيـعة التدريس بالحرم النبوى الشريف ، وليصف لنا درس شيخه الشنقيطى به قائلاً : يعتـبر التدريس فى المسجد النبوى من أهم التدريس فى كبريات جامعات العالم فى نشر العلم ، فهـو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامى ، منذ عهد النبوة وحين كان جبريل عليه السلام يأتى لتعليم الإسلام فى مجالس رسول الله ﷺ ومنذ كانت مـجالس الخلفاء الراشـدين ، وعلماء الصـحابة رضى الله عنهم أجمـعين ؛ إذ كانت

---

(١) راجع ذلك بتصرف فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٦/١ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٨ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية) .

(٤) توفـى الشيخ الطيب عام (١٣٦٣ هـ = ١٩٤٣ م) بعد أن نفع الله تعالى بدرسـه فى التفسير بالحرم النبوى الشـريف ، وذلك قبل أربع سنوات من جلوس الشنقيطى لذات الغـرض عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

المدينة العاصمة العلمية ، بل ظلت محافظة على مركزها العلمى ، حيث لم تخل فى زمن من الأزمان من عالم يقوم بحق الله فيها .

ومن هؤلاء العلماء شيخنا الشنقيطى رحمه الله ، حيث كان درسه فى التفسير أشبه ما يكون بحديقة غَنَّاء ، احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار ، فى تنسيق الغرس وجمال الجداول ، تشرح الصدر ، وتَشْفِى القلب ، وتروق للعين ؛ فيستفيد منه جميع الناس ، ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه ، وفى الجملة ، فقد كان نفعه رحمه الله فى المسجد النبوى للمقيم والقادم ، للقاصى والدانى ، نفعًا عظيمًا[1] .

٢ - الجامعة الإسلامية :

منذ أن فَتَحَتْ الجامعة الإسلامية أبوابها للدراسة بالمدينة المنورة عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) والشنقيطى فى طليعة الفوج الأول من العلماء الذين تولوا التدريس بها ، بل ظل أحد أعمدتها الأساسية ، وأبرز أعضاء مجلسها المعتبرين على مدار اثنى عشرَ عامًا حتى توفى وهو على ذلك[2] .

وعن نشأة هذه الجامعة ودور الشنقيطى فيها يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : إن مَنْ يعرف نشأة الجامعة الإسلامية ، وقد عرف الحركة العلمية الحديثة بالرياض ؛ ليقول : إن افتتاح الجامعة قد جاء امتدادًا لهذه الحركة ، كما أن المتتبع للحركات العلمية فى العالم الإسلامى ليقول : إن افتتاح الجامعة الإسلامية فى ذلك التاريخ عناية من الله تعالى ، وتدارك للتعليم الإسلامى حينما أصيبت بعض دور العلم الكبرى بهزات فى برامجها ؛ ولعل افتتاح هذه الجامعة بالمدينة المنورة جزء من تحقيق حديث رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحيّة إلى حُجْرِها » الحديث[3] .

ومعلوم أن الإيمان عقيدة وعمل ، وأن العلم قبله ؛ ومن هنا نجدد القول بأهمية الجامعة الإسلامية ومدى وجودها بالمدينة المنورة ، وبالتالى مجئ أبناء العالم الإسلامى إليها بهدف

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤١ - ٤٢ (من المقدمة) .

(٢) حيث كانت وفاة الشنقيطى أثناء رئاسة صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز بن باز للجامعة عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الحج (باب) الإيمان يأرز إلى المدينة (ضمن أحاديث فضائل المدينة) - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٨/ ٢٢٣ - حديث رقم (١٨٧٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين - (طبع بيروت) .

الدراسة والتربية فى هذا الجو الروحى ؛ وبهذا تبرز لنا قيمة العمل فى هذه الجامعة برسالتها التربوية بجانب رسالتها العلمية ؛ والتى على أثرها منعت الانتساب إليها دون الحضور بها .

وقد كان لوالدنا الشنقيطى رحمه الله فى هذه المجالات اليد الطولى ، والمجهود الأكبر ؛ فلم يدخر وُسْعاً فى تعليم ، ولم يَتَوَانَ فى توجيه ، سواء فى دروسه أو أحاديثه أو محاضراته ، وسواء مع الطلاب أو المدرسين ؛ فكان للجميع كالأب الرحيم ، والداعية الناصح الأمين[1] .

بل إنه ترك بصْمَاته بـارزةً على كل مَنْ أخذ عنه وتلقى عليه من خريجىْ هذه الجامعة المباركة مِمَّنْ لا يُحْصَوْنَ عدداً من تلك الأجيال المتلاحقة من طلاب العلم وباحثيه فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى[2] .

٣ - دار الحديث :

وبالإضافة إلى محاضرات الشنقيطى بالجامعة الإسلامية ، وكذا دروسه العامة بالحرم النبوى الشريف ، فقد كان يُدْعَى لإلقاء العديد من المحاضرات العلمية النافعة ضمن المواسم الثقافية التى تقيمها الجامعة الإسلامية فى نهاية كل عام دراسى فى دار الحديث التابعة لها بالمدينة المنورة ، والتى تدعو إليها كبار العلماء من المملكة خاصة ، ومن شتى حواضر الإسلام وأمصاره المختلفة عامة[3] .

---

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٦ - ٤٨ (من المقدمة بتصرف) .

ولمزيد من التفصيل حول الجامعة الإسلامية ووصف رسالتها التربوية والعلمية ؛ راجع (علماء ومفكرون عرفتهم) : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ .

(٣) كانت تضم الجامعة الإسلامية آنذاك طلابًا من تسعين جنسية وهى الآن تضم ما يربو على مائة وإحدى عشرةَ جنسية ، وهذا ما تنطق به سجلات المقبولين بعمادة شئون الطلاب بالجامعة .

(١) انظر من هذه المحاضرات على سبيل التمثيل لا الحصر كتاب (محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى موسمها الثقافى للعام الدراسى ٩٣ / ١٣٩٤ هـ = ٧٣/ ١٩٧٤ م) حيث جاء هذا الكتاب فى ثلاثمائة وثمانين صحيفة ، وضم بين دفتيه خمسَ عشرةَ محاضرة فى مقدمتها محاضرة الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى والقاضى بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة آنذاك ، والتى تحمل عنوان : (مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله) وقد ألقيت ليلة الجمعة (٩ من المحرم ١٣٩٤هـ= ١ من فراير ١٩٧٤م) بعد واحد وعشرين يومًا من وفاة الشنقيطى ، واستغرقت إحدى وثلاثين صحيفة كاملة من صفحات الكتاب المذكور.

٤ - بيتـه[1] :

كان بيت الشنقيطى بالمدينة المنورة بمثابة (المدرسة الخاصـة) التى تقتصر فيها دروسه على خواص طلابه من أهل العلم وباحـثيه من مـختلف أقطار العالم عـامة ، والإسلاميـة منها خاصة ، وقد جـعل مواعيد هذه الدروس الخاصة بعـد العصر من كل يوم إلاّ أن تحول دون ذلك ضرورة قاهرة تلجئه إلى تأجيلها أو التغـيير المؤقت فى مواعيدها لترجع بعد زوال تلك الضرورة إلى سيرتها الأولى .

وتتجلى أهمية هذه الدروس المنزلية ويبرز نفـعها فى تلك الشروح والمؤلفات التى أملاها الشنقيطى عـلى بعض طلابه ، والتى أفاد منها جـمهور الـناس ، عوامّهم وخـواصّهم على اختلاف مواقعهم ومستوياتهم[2] .

ثانيا : الرياض :

يعد نشاط الشنقـيطى بالرياض مرحلة وسيطة امتدت على مدار عـشر سنوات كاملة منذ مَقْـدمِه إليها من المدينة المنورة عـام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعـه ثانية إلى المدينة المنورة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث كُلِّفَ بالتدريس فى الجامعة الإسلامية منذ أول يوم لافتتاحـها من ذلك العام ، وقد ظل يُدَرِّسُ بهذه الجامعـة إلى جانب تدريسه بكل من الحرم النبوىّ الشريف ، ودار الحديث التـابعة للجامعة ، فضـلاً عن دروسه المنزلية لخواصّ طلابه حتى وفاته المنية وهو على ذلك .

غيـر أنه لحنينه الدائم لرسول الله ﷺ فـقد كان يـحرص على قضـاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة طيلة السنوات العـشر التى قـضاها بالرياض ؛ ومن ثم فلم يكن تحـول نشاط الشنقيطى من المدينة المنورة إلى الرياض فى تلك الفـترة إلا بناءً على اختياره للمـساهمة فى الحركة العلمية الجديدة الحادثة فى الرياض آنذاك ، والتى يمكن إيجازها فيما يلى :

• الحالة العلمية بالرياض :

كانت الرياض عـاصمة نَجْد علميًـا وسياسيًـا ؛ حيث كان يفد إليهـا الطلاب من شتى

---

(١) ويحمل هذا البـيت رقم ٣ بحارة المغاربة بباب الكُومَـة على مقربة من الحرم النبـوىّ الشريف ، ولا يزال يقطنه حتى الآن الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى .

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ (بتصرف) .

ومـن هـذه الشروح التى أملاها الشنقيطى فـى بيته علـى خواصّ طلابه ذلك الشرح المسمى : (نشر البنود على مراقى السُّعُود) فى أصول المالكية ، والذى أمـلاه على تلميذه : أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

أنحاء نَجْـد لأخذ العلم وتلقيـه على آل الشيخ[1] وذلك من خلال المساجـد التى كانت تعد مـراكـز الدراسة والتـدريس آنذاك ، إلا الخـواصّ من طلاب سمـاحـة المفتى الذين كـانوا يدرسون عليه فى بيته ضحىً ، حيث كان عـماد هذه الدراسة يقوم فى الأصل على التوحيد والفقه والحديث ، إلى جانب السيرة والنحو، وقد تخرج عليها جُلُّ علماء نجد آنذاك[2] .

الحركة العلمية الجديدة :

تطورت حلقات التـدريس بالمساجد لتـأخذ شكلاً أكثر تـوسعًا وتنظيمًـا لما عُرِفَ آنذاك بالحركة العلمـية الجديدة ، والتى صارت فيما بعـد النواة الأساسية للنهضة العلـمية الشاملة التى عمت سـائر أرجاء الحـجاز، حيث ترعـاها العناية الملكية ، وتشـرف عليهـا الكفاءات العلمية.

وعن نشأة هذه الحـركة والأهداف المرجوة منهـا يحدثنا الشيخ عطيـة على لسان شيـخه الشنقيطى قائلاً: كـانت نشأتها كما سمعت منه رحـمه الله استجابة لرغبـة جلالة الملك عبد العزيز رحـمه الله ؛ حيث قال لجـماعة من العلمـاء وهم فى مجلسه الخاص : لقـد كانت الرياض مليئـة بالعلماء ، عامرة بالدروس ، وقـد انتقل الكثير منهم إلـى رحمة الله ، ولم يخلفهم مَنْ يماثلهم ؛ وقد أردت تعـاونكم مع سماحة المفتى فى تربيـة جيل من طلبة العلم على العلوم الصحيحة والعقيدة السليمة ؛ فنحن وأنتم مشتركون فى هذه المسئولية .

ومن ثم ؛ فقـد كانت هذه النهضة العلمـية ترعاها عناية ملكيـة ، وتقوم عليها كـفاءة علمـية ؛ حيـث تولى إدارة معـاهدها الشيخ عـبد اللطيف بن إبراهيم ، فى حـين صارت رئاستها لأخيه سماحة المفتى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله[3] .

ولكن ماذا عساه يكون نصيب الشنقيطى من الإسهام فى نشاط هذه الحركة آنذاك ؟

والإجـابة علـى هـذا السـؤال تكمن فى تقـرير ذلك الـنشاط المكـثف الذى اضطلع به الشنقيطى منذ قيام هـذه الحركة عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه إلى المدينة المنورة ثانيـة عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) حيث توزع نـشاطه على مـدار عشر سنوات كـاملة بين جهات ستٍ شملت كلاً من :

---

(١) والمقصود بهم آل الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الذين منهم حفيده سماحة مفتى الحجاز الشيخ محمد إبراهيم بن محمد بن عبد الوهَّاب ، وكذا أخوه سماحة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الذى كان من كبار علماء البلاد آنذاك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٢ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٣ (من المقدمة بتصرف) .

١- فى المعهد العلمى[(١)] :

افتتحت الإدارة العامة للتعليم بالرياض هذا المعهد العلمىّ فى غضون عام (١٣٧١ هـ = ١٩٤٩ م) وكان يقوم نظام التدريس فيه على اختيار نخبة من كبار العلماء من داخل المملكة وخارجها لتولى مسئوليته والإشراف عليه ، وكان الشنقيطى فى طليعة هؤلاء العلماء ، حيث ظل يُدَرِّسُ مادتىْ التفسير والأصول على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٢ - فى كليتىْ الشريعة واللغة[(٢)] :

افتتحت هاتان الكليتان عقب افتتاح المعهد العلمى فى نفس العام (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) وكانتا تمثلان آنذاك النواة الأولى للجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض ، وكان الشنقيطى على رأس العلماء الذين اختيروا آنذاك لتدريس مادتىْ التفسير والأصول فى هاتين الكليتين على مدار عشر سنوات دراسية كاملة .

٣ - فى معهد القضاء العالى[(٣)] :

استحدث هذا المعهد بالرياض فى عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفى ، إلا أن الشنقيطى كان قد رجع آنذاك إلى المدينة المنورة منذ عام (١٣٨١ هـ= ١٩٦١ م) ليتولى التدريس بالجامعة الإسلامية التى افتتحت أبوابها هناك فى ذلك العام .

ومع ذلك ؛ فقد كان يُدْعَى بين الحين والآخر لإلقاء جملة المحاضرات المطلوبة فى مادتىْ التفسير والأصول اللتين ظل يدرسهما بهذا المعهد حتى وفاته المنية بعد سبع سنوات

---

(١) صُنِّفَت الدراسة تبعًا للحركة العلمية الجديدة الحادثة بالرياض آنذاك على أربع مراحل دراسية متتالية تمثل فى :

- القسم التمهيدى : ويبدأ من الرابعة الابتدائية ، ويستمر حتى السادسة الابتدائية .
- القسم الثانوى : ويبدأ بعد السادسة الابتدائية ، ويستمر على مدار ثلاث سنوات كاملة .
- المعهد العلمى : ويعد المرحلة الوسيطة التالية للثانوى والسابقة على الجامعة .
- كليتا الشريعة واللغة : وتعدان آنذاك بمثابة النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الحالية بالرياض .

راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٣/١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٢/١ (من المقدمة) .

(٣) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٣/١ .

دراسية كاملة رافقه خلالها كل من صديقيه وقرينيه الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح اللذين كانا يُدْعَيَانِ أيضًا إلى ذات المعهد لنفس الغرض .

٤ - فى هيئة كبار العلماء[١] :

شُكِّلت هذه الهيئة بالرياض من سبعة عشر عالمًا بتاريخ (٨ من رجب الفرد الحرام ١٣٩١ هـ = ٢٩ من أغسطس آب ١٩٧١ م) بموجب الأمرين الملكيين رقمىْ (أ/ ١٣٧ - أ/ ١٣٨) وذلك عقب وفاة شيخ البلاد الحجازية وصاحب فتواها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المعروف بـ : (المفتى الحفيد)[٢] ومنذ تشكيل هذه الهيئة وحتى اليوم وهى تمثل أكبر هيئة علمية ببلاد الحجاز خاصة ، بل وتعد من كبريات الهيئات الإسلامية فى العالم عامة .

وقد كان الشنقيطى أبرز الأعضاء السبعةَ عشرةَ بهذه الهيئة منذ تشكيلها وحتى وفاته على مدار عامين كاملين رافقه خلالهما الكثير من أصدقائه وأقرانه العلماء من أعضاء تلك الهيئة ، وعلى رأسهم كل من : الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل صالح ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين .

ومما اتسمت به عضوية الشنقيطى فى تلك الهيئة سياسته الرشيدة ، وإدارته الحكيمة ؛ مما كان له أكبر الأثر وأعظمه فى تحقيق النتائج الحميدة ، والانتهاء إلى العواقب الحسنة ؛ وهذا ما تجلّى واضحًا وشهد له به الجميع أثناء ترأسه إحدى دورات الهيئة ، حيث يشير تلميذه الشيخ عطية إلى ذلك بقوله : لقد سمعت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح آل صالح حفظه الله[٣] وهو عضو فيها ، يقول : ما رأيت قبله أحسن إدارة منه ، مع بُعْد نظر فى الأمور ، وحُسْن تدبر للعواقب[٤] .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩ (من المقدمة بتصرف) .
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٣ (بتصرف) .

(٢) أى حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب .

(٣) كان الشيخ عبد العزيز آل صالح لا يزال حيًا آنذاك ، وقد عُمِّرَ بعد الشنقيطى قرابة اثنين وعشرين عامًا حتى كانت وفاته عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٠ (من المقدمة) .

٥ - فى مسجد الشيخ[١] :

والمقصود به مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتى الحفيد ، وهو مسجد كبير مشهور يقع بمنطقة (دُخْنَه) فى الرياض ، وكان سماحة المفتى يُدَرِّسُ فيه بنفسه مع مَنْ كان يدعوهم من كبار العلماء الذين كانوا يُدَرِّسُون بالرياض آنذاك؛ حيث كانوا يلقون دروسهم فى مختلف الفنون بهدف إفادة طلبة العلم والعامة على السواء[٢] .

وقد كان الشنقيطى فى مقدمة هؤلاء العلماء ، حيث بدأ درسه فى قواعد الأصول لكبار الطلاب وخاصتهم ، غير أنه ما لبث أن حضره العوام الذين كانوا يحرصون على ذلك ، ويتوافدون إليه من سائر أطراف الرياض .

الأمر الذى صار معه هذا الدرس الأصولى بمثابة فتح جديد فى هذا الفن الذى أفاد منه الخواصُّ والعوامُّ على السواء على مدار عشر سنوات كاملة قضاها الشنقيطى بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى رجع فيه إلى المدينة المنورة للتدريس فى الجامعة الإسلامية التى افتتحت هناك فى ذلك العام .

٦ - فى بيته :

كان بيت الشنقيطى بالرياض أشبه ما يكون بالمدرسة الخاصة التى اقتصرت فيها الدراسة على خواصٍّ طلابه الذين رافقوه للدراسة عليه على مدار عشر سنوات كاملة قضاها بالرياض من عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى رجوعه ثانية إلى المدينة المنورة للتدريس بالجامعة الإسلامية التى افتتحت هناك عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) .

ويعد نشاط الشنقيطى فى بيته امتدادًا لنشاطه العِّلْمىّ بمسجد الشيخ بالرياض ، حيث كانت دروسه بالمسجد تتصف بالعمومية فى حين تتصف دروسه فى بيته بالخصوصية ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الشيخ عطية بقوله : ولما كان درس الأصول فى المسجد عامًا ، ومن الطلبة خواصٌّ رغبوا آنذاك فى درس خاص فى بيته رحمه الله ؛ لذا فقد جعل لهم درسًا خاصًا بهم بعد العصر ، وبهذا كان بيته رحمه الله كمدرسةٍ سواءٍ ينال فيها هؤلاء ما كان يناله أبناؤه الآخرون الذين رافقوه للدراسة عليه[٣] .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة بتصرف) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) .
- ضمن رَدّ الشيخ عطية المسجل على رسالتنا إليه .

(٢) من هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحمن الإفريقى الذى كان يُدَرِّسُ الحديث بهذا المسجد آنذاك .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة بتصرف) .

ثالثا : مكة المكرمة :

يعد نشاط الشنقيطى بمكة المكرمة نشاطًا موسميًا حيث تمثل فى كل من : رابطة العالم الإسلامىّ التى كان ينتقل إليها ليشارك فى اجتماعاتها كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، ثم مشاركته فى أعمال مؤتمر الحج السنوىّ الذى كان يعقد فى موسم الحج من كل عام ، هذا بالإضافة إلى بيته الذى كان يقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التى يقوم أثناءها بنشاطه المعتاد فى كل من مجلس الرابطة ومؤتمر الحج ، وذلك على النحو التالى :

١ - فى رابطة العالم الإسلامى :

تعد هذه الرابطة من كبريات الهيئات الإسلامية العالمية التى تُعْنَى بشئون المسلمين وتسعى لحل مشكلاتهم فى سائر أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، ولا يحكم نشاط هذه الرابطة ولا يُبيِّنُ فلسفة مبادئها التى قامت عليها سوى ما تدعو إليه هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى ، أما أولاهما فقول الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية[١] وأما ثانيتهما فقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية[٢] .

وفى ضوء هذا التوجيه القرآنى السديد باشر الشنقيطى دوره فى هذه الرابطة من خلال عضويته فى مجلسها التأسيسى ؛ حيث تَجَلَّتْ حكمته وسَطَعَتْ حُجَّته فى العديد من المواقف الحَرِجَة التى كادت تعصف بالرابطة وتهوى بها فى هُوَّة الخلاف والفُرْقة .

وعن طبيعة هذا الدور الذى قام به الشنقيطى منذ تأسيس هذه الرابطة وحتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وفى رابطة العالم الإسلامى كان والدنا الشيخ محمد الأمين رحمة الله تعالى علينا وعليه عضو المجلس التأسيسى ، حيث لم تَقِلّ خدماته فيه عن خدماته فى غيره ، وإنى لأذكر له موقفًا حدثنى به جَنَّبَ الرابطة مأزقًا كاد أن يُدْخِل عليها شقاقًا وانثلامًا ؛ وذلك حينما قَدَّمَ مندوب إيران فى الرابطة طلبًا يريد فيه اعتراف الرابطة بالمذهب الجعفرىّ ، ومرفقًا معه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير التى تؤيده على دعواه وتجيبه إلى طلبه[٣] ومن ثم ؛ فإنْ هم قبلوا طلبه دخلوا مأزقًا ، وإنْ هم رفضوه واجهوا حرجًا ؛ وعندئذ اقترحوا أن يتولى الأمر فضيلته فى جِلسة خاصة .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .   (٢) المائدة : ٢ .

(٣) لم يفصح الشيخ عطية عن تلك الجهات التى أيدت طلب هذا المندوب الإيرانى آنذاك .

وقد أجاب طلبهم حيث قال فى ذلك المجلس ما نصه : لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ، ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة فى أصولٍ تتمثل فى : (الإسلام دين الجميع ، والرسول محمد ﷺ رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله تعالى ، والكعبة قِبلة الجميع ، والصلوات الخمس ، والصوم ، وحج بيت الله الحرام) كما أننا مجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك ؛ وهذا القدر كافٍ للاجتماع والترابط .

غير أن هناك أموراً نعلم جميعًا أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها ، فإن رغب العضو الإيرانى بحثها واتباع الحق فيها ؛ فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ، فيبحثون ما اختلفنا فيه ، ويُعْلَن الحقُّ ويُلْتزم به ، أو يسحب طلبه الآن .

فما كان من الجميع إلاّ أنْ أقر قوله ، وما كان من العضو الإيرانى إلاّ أنْ سحب طلبه[1] .

٢ - فى مؤتمر الحج السنوى:

ليس من شك فى أن هذا المؤتمر السنوىّ يُعَدُّ بمثابة الاجتماع العالمىّ الذى يعقد فى موسم الحج من كل عام بالبلد الحرام ، والذى تُبحَث فيه شئون المسلمين ، ويُنْظَر من خلاله فيما يطرأ على مجتمعاتهم من أمور جديدة وقضايا معاصرة ؛ الأمر الذى يستلزم اجتماع علماء الأمة ، والتنسيق بين جهودهم ؛ لإنتاج الحلول المناسبة والاتفاق على كلمة سواء ؛ بما يعود فى النهاية على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم ، وهو بعض ما عناه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الآيتان[2] .

ويأتى الشنقيطى على رأس هؤلاء العلماء الذين يشاركون فى أعمال مؤتمر الحج السنوى ؛ حيث كانت تتوافد إليه جموع الحجاج من قاصدى البيت الحرام لحضور مجالسه وسماع محاضراته ، بل والأخص من ذلك ما يذكره الشيخ المجذوب بقوله : وهناك وفود الحجّاج الذين يتدفقون على المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ وبينهم رجال العلم والفكر الذين لا يرون مندوحة عن الإلمام بالجامعة الإسلامية وزيارة بعض فصولها الدراسية للاطلاع على نشاط هذه المؤسسة العالمية الحديثة ، وقلما يحضر وفد من هؤلاء

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٠ - ٥١ (من المقدمة بتصرف) .

(٢) الحج : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) .

الزوّار إلى الجامعة ثم لا يشهد محاضرات الشيخ بها ، فضلاً عن دروسه بالحرم النبوىّ الشريف[1] .

٣ - فى بيته [2] :

اتخذ الشنقيطى هذا البيت ليقيم فيه بصفة مؤقتة على مدار الأيام القلائل التى كان يقوم خلالها بنشاطه المعتاد وأعماله الدورية فى كل من المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى ، ومؤتمر الحج السنوىّ العالمىّ الذى كان يُعْقَد فى موسم الحج من كل عام .

وعلى الرغم من تواجد الشنقيطى المؤقت فى بيته آنذاك ؛ إلاّ أن هذا البيت ما كان ليفرغ بحال من الأحوال من جيرانه وزائريه من طلاب العلم خاصة ، وجموع المسلمين عامة ؛ والذين كانوا يحرصون على ملازمة الشنقيطىّ والإفادة من علمه أثناء فترات إقامته القصيرة ما بين الحين والحين بالبلد الحرام .

بل وقد بلغت ملازمتهم له إلى حد مرافقته فى سيارته الخاصة ذهابًا لأداء الصلاة فى البيت الحرام وإيابًا منه إلى بيته ، كما بلغ حياؤه منهم وكرمه لهم الحد الذى جعل ابنه الدكتور عبد الله يترجل ماشيًا فى أغلب الأحيان من وإلى الحرم لعدم وجود مكان له فى سيارة والده الذى كان دائمًا ما يقول له : يا ولدى من العيب أن تُنْزِل أحدًا من السيارة ؛ لأن السيارة لِمَنْ سَبَقَ إليها[3] .

* * *

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) - وجدير بالذكر أن محاضرات الفصل الدراسى الجديد كانت تبدأ بالجامعة الإسلامية بعد الحج مباشرة ، ولا تزال كذلك حتى اليوم .

(٢) ويقع هذا البيت بجبل (بُومْطَشّ) بحى (العزيزيَّة) بمكة المكرمة ، وقد اضطر الشنقيطى إلى شراء هذا البيت بعد أن واجه موقفًا حرجًا بخصوص البيت الذى كان يؤجره من قبل ؛ حيث طالبه صاحب البيت آنذاك بالخروج من بيته لأنه يعتزم الانتفاع به وعدم تأجيره بعد ذلك اليوم ، غير أن الوقت كان ليلاً ولم يهمله صاحب البيت حتى الصباح ؛ الأمر الذى اضطر الشنقيطى لئن يبيت تلك الليلة فى الشارع لعدم وجود أماكن فارغة بأىٍّ من الفنادق المزدحمة عن آخرها آنذاك ، ومن تلك الليلة رأى الشنقيطى أن هذا لا يليق بأهل المروءة فقرر شراء قطعتىْ أرض بمكة والمدينة وبنى عليهما بيتين قائلاً : هذا يعيننى على العمرة والحج وهذا يعيننى على المدينة ، وغير هذا لا أريده .

- راجع فى ذلك (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٣) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

ملاحظات حول نشاط الشنقيطى ببلاده وخارجها :

مما سبق تتبين لنا جملة من الملاحظات التى ترد على نشاط الشنقيطى العلمى الذى بدأه ببلاده شنقيط ثم واصل عطاءه فيه بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز وحتى وفاته بها ، حيث يمكننا إيجاز تلك الملاحظات فيما يلى :

١ - بدأ الشنقيطى نشاطه ببلاده وهو فى الثلاثين من عمره تقريبًا عندما بلغ نصاب العلم وأتم مرحلة الطلب عام (١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) وقد ظل يواصل العطاء ببلاده على مدار اثنى عشرَ عامًا حان خروجه منها وهو فى الثانية والأربعين من عمره فى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

وفى بلاد الحجاز استقر به المقام حيث بلغ نشاطه ذروته وأخذ مداه على مدار ستة وعشرين عامًا انتهت بوفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن نشاط الشنقيطى ببلاده يعد يسيرًا محدودًا من حيث طبيعته ومدته إذا ما قيس بما كان منه بعد خروجه منها واستقراره ببلاد الحجاز .

٢ - تمثل المدينة المنورة المنطلق الأول ، والمركز الرئيس لنشاط الشنقيطى ببلاد الحجاز ؛ حيث قضى بها ستةَ عشرَ عامًا منها أربعة أعوام فى البداية منذ وصوله البلاد عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) وحتى مغادرته إلى الرياض عام (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) ثم اثنا عشر عامًا متصلة بعد عودته من الرياض عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) وحتى وفاته عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) .

على أنه كان يحرص طيلة الأعوام العشرة التى قضاها بالرياض على قضاء العطلة السنوية بالمدينة المنورة لحنينه الدائم لرسول الله ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نخلص إلى أن المدينة المنورة كانت بمثابة المقر الدائم لنشاط الشنقيطى بها خاصة وببلاد الحجاز عامة أما الرياض فكانت تمثل المرحلة الوسيطة أو البينية من هذا النشاط ، فى حين كانت تمثل مكة المكرمة المرحلة الانتقالية أو الموسمية منه .

٣ - بالرغم من نشاط الشنقيطى المكثف فى كل من المدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة من خلال دور العلم ومعاهده الكبرى فضلاً عن الحرمين الشريفن ؛ إلا أنه كان يحرص دائمًا على أن يكون فى بيته فى تلك المدن الثلاث بمثابة المدرسة الخاصة التى تقتصر فيها الدراسة على خواصّ طلابه الراغبين فى الاستزادة والتحصيل .

وقد عَمَّ نفعُ هذه الدروس المنزلية الخاصة وتَجَلَّتْ فائدها فى بعض الشروح التى أملاها

الشنقيطىّ على أحد خواصٍّ طلابه آنذاك[1] ؛ ومن ثم فإننا نخلص إلى أن (البيت) كان يمثل حجر الزاوية فى فكر الشنقيطى من حيث موقـعه وأهميته فى طلب العلم وتحصيله ؛ وليس هذا بمستغرب على عالمٍ كالشنقـيطى دَرَجَ منذ نعومة أظفاره على هذا النهج الذى فتح عليه عينيه فى بيـوت أخواله والتى كانت تمثل له آنذاك (المدرسَة الأولى الأهليَّة) حـيث شيوخه الأقربون ومعلموه الأوائل من أهله وذويه .

(١) وهو تلميـذه أحمد بن محـمد الأمين بن أحمد بن المخـتار الجكنى الشنقيطى الذى طلب من شـيخه الشنقيطى أن يمليه شرحًا على (مراقى السعود) فى أصول المالكية ، وقد أجابه إلى طلبه بما سُمِّىَ (نشر الورود على مراقى السعود) .

الفصل الخامس

رحــلاته
للحَجّ والدّعوة والعِلاج

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : رحلة الحــج .

٢ - المبحث الثانى : رحلة الدعـوة .

٣ - المبحث الثالث : رحلة العـلاج .

تنازعت رحلات الشنقيطى ثلاثةُ مقاصد ارتـبط كل قصد منها برحلة من رحلاته الثلاث التى قام بها على امتداد سِنِىْ حياته ، أما أولى هذه الرحلات فكانت من مسقط رأسه ببلاده شنقيط إلى بيت الله الحرام بقصد الحج ، وأما رحلته الثانية فكانت من مُهَاجَرِه بالمدينة المنورة إلى عشـرة من الأقطار الإسلامـية بقـارة إفريقيـا بقصـد الدعوة ، ثم كـانت رحلته الثـالثة والأخيرة من المدينة المنورة أيضًا إلى كل من مصر وأوروبا بقصد العلاج .

وفيما يلى إيجاز الحديث عن هذه الرحلات الثـلاث وطبيعة كل منها من خلال المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول

رحلة الحَجِّ

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .

٢ - المطلب الثانى : زمن هذه الرحلة ومدتها .

٣ - المطلب الثالث : وسائل الانتقال فى هذه الرحلة .

٤ - المطلب الرابع : الأقطار التى شملتها هذه الرحلة .

٥ - المطلب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمىّ والأدبىّ .

تختلف رحلة الشنقيطى هذه اختلافًا بيِّنًا عن غيرها من سائر الرحلات الأخرى التى يقوم بها غيره من الرَّحَّالة والعلماء إلى شتى بقاع الأرض ومختلف جنباتها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السبب الباعث على هذه الرحلة فظاهرٌ جَلِيّ حيث يتمثل فى عزم الشنقيطى آنذاك على أداء حجة الإسلام المكتوبة ؛ وذلك امتثالا لأمر الله عز وجلّ واتباعًا لسُنَّة رسوله ﷺ وهذا ما يشير إليه الشنقيطى ذاته بقوله : كان مما أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ الآية[1] فقد بلغنا هذا وآمنا بكل ما فيه ، وائتمرنا بأوامره وانتهينا بنواهيه ؛ فهو النور المبين والحبل المتين[2] وقد جعلناه فى أمور ديننا دليلاً ؛ فتحركنا من مسقط الرأس بقول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ الآية[3] .

جعلنا الله مِمَّنْ يأتمر بالأوامر ، وينزجر بالزواجر ، فامتثال هذه الآية الكريمة جَشَّمَنَا هذا السفر المبارك السعيد ، حتى أتينا من مكان بعيد ؛ فبها نهضنا هذه النهضة السريعة ، لا بقول عمر بن أبى ربيعة :

إنْ كنتَ حاولتَ دنيا أو أقمتَ لها ... ماذا أخذتَ بتركِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ ؟![4]

---

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) وَوَصْفُ القرآن بحبل الله المتين جاء على لسان رسول الله ﷺ فى جزء من حديث طويل قال فيه : « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم » وفى رواية أخرى يصفه رسول الله ﷺ بقوله : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض » - وقد سبق تخريج الروايتين ص ٥ هـ ٢ من هذا البحث .

(٣) آل عمران : ٩٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ .
ورد هذا البيت فى الأصل بلفظ : (أو نَعِمْتَ لها - فما أخذتَ) بدلاً من : (أو أقمتَ لها - ماذا أخذت) - انظر (شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة): لمحمد محيى الدين عبد الحميد ص ٢٨٤ - الطبعة ٢ - (مطبعة السعادة) مع (المكتبة التجارية الكبرى) - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها

خرج الشنقيطى من مسقط رأسه ببلاده شنقيط بعد فجر يوم السبت الثامن من جمادى الآخرة من عام سبعة وستين وثلاثمائة وألف للهجرة (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) قاصداً بلاد الحجاز التى دخلها آنذاك عن طريق ميناء جدة السعودى ضحى يوم الاثنين السابعَ عشرَ من ذى القعدة من العام نفسه (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) وهذا ما يشير إليه من خلال حديثه عن يوم خروجه من بلاده ، ثم يوم وصوله الحجاز عن طريق (ميناء جدة السعودى) قادمًا من (ميناء سواكن السودان المصرى)[1] .

---

(١) يجرى على لسان الشنقيطىّ قوله : (السودان المصرى) تعبيرًا به عن (السودان الشرقى) أو (جمهورية السودان الديمقراطية) المتاخمة لمصر من الناحية الجنوبية بشرق أفريقيا ؛ وذلك اتباعًا منه للمصادر الأفريقية التى درجت على هذا الوصف تمييزًا له عن (السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السودان من الزنوج وغيرهم فى غرب القارة الأفريقية والتى يطلق عليها (أفريقيا الغربية) أو (القارة السوداء) أو (عالم الملونين) .

ومن الجدير بالذكر أن (السُّود أو السُّودان) ينتشرون بكثرة فى شنقيط أو موريتانيا ويشملون (اللُّحْمَة) وهم العبيد والحِرَفِيُّون من الزنوج السُّود ، بالإضافة إلى (الحَرَاطِنَة) وهم المعتقون من الرِّقّ من البيضان ذوى الأصل الأسود أو السودان ذوى الأصل الأبيض نتيجة للتزاوج بينهما .

وفى مقابل هؤلاء يأتى (البِيضُ أو البِيضَان) الذين تسكن قلة منهم فى وسط وجنوبى موريتانيا على ضفاف نهر السنغال فى الحدود الفاصلة بين البلدين ، ويشملون (بنى حَسَّان) وهم العرب البيض من المحاربين ، بالإضافة إلى (الزَّوَايَا) وهم العلماء البيض من السادة الذين منهم الشنقيطىّ وقومه (بنوجَاكان) .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- الجأش الربيط : محمد الإمام بن ماء العينين ص ٢٧ .
- جمهورية موريتانيا الإسلامية : عبد البارى النجم ص ٦٥ .
- العالم بين يديك (موريتانيا) : إسماعيل شوقى ص ١٤٩ .
- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ١١٢٣/٣ .
- من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة : الدليشى الخالدى ص ٢٣ .
- موريتانيا الحديثة : محمد يوسف مقلد ص ٤١ - ٧٩ .
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٤٧٥ .
- موريتانيا: عبد الله عنان ص٢٤ - مجلة العربى - العدد ٢٥ - السنة ٢ - الكويت - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م .
- مظاهر الوعى القومى عند مثقفىْ شنقيط : أحمد ولد الحسن ص ١١٢ - مجلة المستقبل العربى - العدد ٧٢ - السنة ٢ - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

أما يوم خروجه من بلاده فيذكره بقوله: كـان يوم الخروج لهذه القاعدة الكبيرة[1] لسبع مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، أمننا الله من الأمام والخلف[2] .

وأما يوم وصوله (ميناء جدة) بعد قضاء ما جملته ستة أيام منذ تحركه من (ميناء سواكن) فى بداية العشر الأواسط من ذى القعدة من العام نفسه فيذكره بقوله : سافرنا من تلك الليلة فى العشر الأواسط من ذى القـعدة من سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف ، فسـرنا متوجهين تلقـاء (سواكن) فـبتـنا دونها ، وجـئناها من الغـد فى المقيل ، ثم بـعد لأْيٍ تحـصلنا على الجوازات والـتذاكر بعـد أن سلمنا الرسـوم المقررة ، ثم مكثنا فى مـحل النظر فى (صـحة الحجاج) ثلاثة أيـام ، ثم ركبنا فى السفينة مـتوجهين إلى (جِدَّة) فـمكثت بنا يومًا وليلة فى البحر ، ثم نزلنا من الغد فى جِدَّة[3] .

وبهذا يتبين لنا أن هذه الرحلة قد استغرقت مـا يقرب من مائة وستين يومًا هجريًا أو ما يعادل مـائة وأربعة وخـمسين يومًـا ميـلاديًا منذ خروج الشنقـيطى من بلاده فى (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧-٤- ١٩٤٨ م) وحـتى وصـوله الحجـاز فى (١٧-١١-١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨م) .

المطلب الثالث

وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة بَرِّيَّةً فى أغلب مراحلها حيث شملت منذ بدايتها سائر وسائل الانتقال المعروفة مـن إبـل وسيارات وقطـارات بالإضافـة إلـى التَّرَجُّل أو السير علـى الأقدام كمـا لا يخفى ؛ حتى إذا ما وصل الشنقيطى ميناء سواكن[4] ركب البحر فى طريقه إلى جدة التى وصلها بعد يوم وليلة هو ومَنْ معه من مرافقيه آنذاك .

---

(١) ويقصد بها حـجة الإسلام المتمثلة فى الحج الأكبر (الركن الخامس من أركـان الإسلام ، أو القاعدة الخامسة من قواعده) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٤ (بتصرف) .

(٤) يقع (ميناء سواكن) بجـوار نظيره (ميناء بورسودان) على السـاحل الـغربى للبحر الأحمر بجـمهورية السودان الديمقـراطية ، وفى مقابله تقـريبًا يقع (ميناء جدة) على السـاحل الشرقى للبحـر الأحمر بالمملكة العربية السعودية - انظر موقع الميناءين بالسـودان والسعودية على الترتيب فى كل من :

- أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ٩٦ - ص ٧ .
- الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٢٥ - ص٣٥ .
- الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٢٣ - ص٣٠ .

وعن سبب إيثار الشنقيطى لأن تكون رحلته إلى الحج رحلة بَرِيَّة يرجع الشيخ المجذوب ذلك إلى أمرين اثنين يذكرهما بقوله : لعل ذلك عائد إلى أمرين : أحدهما أُلْفَتُهُ ظهورَ الإبل التى قضى معها العشرات من سِنِيِّه حتى خالطت آثارها كِيَانه ؛ بل بعد استقراره فى مدينة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه واستعماله السيارة فى تنقلاته ؛ فإنه لا يبارحه الحنين إلى ذلك العهد ، وما أدرى كم من حجة أدّاها على متن البعير ، ضاحِيَ الرأسِ للشمس التى طالما ألفها فى صحراء شنقيط . أما ثانى التعليلين : فلا أستبعد أن يكون مرده رغبة الشيخ الأمين فى لقاء العلماء ، وتعرف معالم الديار الإسلامية التى تقتضيه الرحلة الطويلة أن يتخذها ممرّاً[1] .

غير أننا نرجّح ثانىَ التعليلين الذى لم يستبعده الشيخ المجذوب ؛ وذلك لأنه يتفق والطابع العلمى لهذه الرحلة[2] والتى تهدف فى المقام الأول إلى التعرف الشنقيطى على طبيعة وأحوال تلك الأقطار الأفريقية التى يمر عليها فى طريق رحلته لإمكان نشر الدعوة بين شعوبها وإفادتهم علميًا ، وذلك فضلاً عن إثراء لغة الحوار والمناظرات العلمية بين الشنقيطى من جانب وعلماء تلك الأقطار من جانب آخر ، ولا يخفى ما فى ذلك من منافع سامية ، وفوائد جمة .

المطلب الرابع
الأقطار التى شملتها هذه الرحلة[3]

بلغ عدد هذه الأقطار ستة أقطار أفريقية بدأت بدولة السنغال ، ثم مالى ، والنيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية ، وأخيراً السودان المصرى ، وذلك باستثناء بلاده شنقيط التى خرج منها بقارة أفريقيا ، وكذا المملكة العربية السعودية التى وصلها بقارة آسيا .

وقد آثرنا تسمية هذه الأقطار الستة بذات أسمائها التى أوردها الشنقيطى حيث ذكر بعضها مقروناً بجنسية مستعمريها آنذاك قبل أن يتم تحريرها واستقلالها مثل قوله : (النيجر الفرنسى ، ونيجيريا الإنجليزية ، وتشاد الفرنسية) فى حين ذكر آخرها بدلالة القطر المجاور له مثل قوله : (السودان المصرى) وليس ذلك إلاّ لتمييز هذه الأقطار والدلالة عليها بما

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ .
(٢) كما سيأتى بيان ذلك بعد قليل من خلال حديثنا عن فقه هذه الرحلة وطابعها العلمىّ .
(٣) قد تتبعنا هذه الأقطار فى مواضعها المتفرقة على مدار خمسين صفحة من كتاب الشنقيطى المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والبالغ مائتين وأربعًا وثمانين صفحة .

يزيل اللبس ويرفع الخلط بينها وبين غيرها مما يشابهها من الأقطار الأفريقية الأخرى[1] .

المطلب الخامس
طابع هذه الرحلة العلميّ والأدبيّ

تضمنت هذه الرحلة مباحث عديدة ومسائل جليلة فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية التى أجاب بها الشنقيطـى إثر ما كان يُوَجَّهُ إليه من أسئلة أو يُجْرَى مـعه من محاورات على امتداد رحلته هذه من بدايتها وحتى نهايتها .

الأمـر الذى ميَّـزَ هذه الرحلة عن غـيرها من الرحـلات الأخرى بـذلك الطابع العلمىّ والأدبىّ الذى تجلّى من خـلاله فقـه الشنقيطىّ ، والذى سنعـرض له من خلال حـديثنا عن كتابه المسمى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) ضمن آثاره العلمية ومؤلفاته .

---

(١) ومن ذلك اللبس مـا قد يحدث بين كـلمتىْ (نيجـر) و (نيجـيريا) بل وأشـهر من ذلك مـا يُفَرِّقُ به الجغرافيون بين ثلاث حالات تتعلق بدولة غينيا حيث يقـولون : (غينيا) ثم (غينيا بيسَاوْ أو البرتغالية) وأخيرًا (غينيا الاستوائية) – وانظر فى ذلك خارطة (أفريقيا السياسية) فى كل من :

- أطلس العالم الإسلامى : دة . دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٧ .
- الأطلس العربى : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .
- الأطلس المدرسى : د. محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ص ٤١ .

ومن ذلك أيضًا تفريق الشنقـيطى على عادة المصادر الأفريقيـة بين (السودان المصرى) الذى يعنى (السودان الشرقى) أو (جـمهورية السودان الديمقـراطية) المتاخمـة لجنوب مصر بشرق أفـريقيا ، وبين (السودان الغربى) الذى تسكنه الشعوب السوداء من الزنوج وغيرهم فى دول غرب أفريقيا .

المبحث الثانى

رحلــــة الدعــــوة

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هذه الرحلة .

٢ - المطلب الثانى : زمـن هـذه الرحـلة ومـدتها .

٣ - المطلب الثالث : وسائل الانتقال فى هذه الرحـلة .

٤ - المطلب الرابع : الأقطار التى شملتها هذه الرحـلة .

٥ - المطلب الخامس : طابع هذه الرحلة العلمىّ والأدبىّ .

تأتى هذه الرحلة فى إطار قيام الشنقيطى بواجبه المنوط به تجاه خدمة هذا الدين، والذى يحتم عليه تبيانه لما أُشْكِلَ منه على أبنائه ، بل ودفـاعه عما اتُّهِمَ به من أعدائه ، وذلك من خلال تلك البراهين الساطعة ، والأدلة الناصعة ، التى يستدعيها من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ وهذا ما نحاول أن نعرض لـه مـن خـلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول

السبب الباعث على هذه الرحلة

أما السـبب الباعث على هذه الرحلة فيـأتى فى إطار سياسة الجـامعة الإسلامـية بالمدينة المنورة التى ترمى إلى نشر الدعوة وتدعيمها بين شعـوب الدول الإسلامية عامة ، والأفريقية منها خـاصـة ، وهذا هدفها الخـاص الذى يبلوره (شعـارها الرسمى) المتمـثل فى قول الله تعالى : ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية[1] حيث تربى من خلال هذا المنهج أجيـال متلاحقة من طلاب العلم الذين يضطلعون بنشر الـدعوة فى بلادهم عند عودتهم إليها إثر انتهـاء دراستهم وتمام إعدادهم .

وأما الهدف العام لهذه الجامعة فيتمثل فى تدعيمها هؤلاء الدعاة ومساندتها لهم فى إطار سياسة الجامعة التى تقوم على إيفاد بعثات سنوية دائمة من كبار علمائها لمتابعة هؤلاء الدعاة وحل المشكلات التى تعتـرض الدعوة فـى بلادهم ؛ وذلك انطلاقـًا من قول الله تعـالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[2] .

وعليه ؛ فقد كـان الشنقيطى على رأس بعثة الجامعة الموفدة إلى قـارة أفريقيا للاضطلاع بهذه المهمـة الجليلة ، وإلى هذه البعثة يشير تلميـذه الشيخ عطية قائلاً : إذا كـانت الجامعة الإسلامية قد فتحت للبلاد[3] نوافذ تطل منها على العالم الإسلامى كله ، وجعلت من حق أولئك الأبناء مـا يجب لهم من رعايتـهم ، ومن حق تلك الأقطار مـا يلزم لها من تقـوية أواصر الروابط مـعهـا ؛ لذا فقد كـانت فكرة إرسال بعـثات إلى الأقطار الإسلامـية عـامة والأفريقيـة منها خاصة ، على رأس أولويات الجـامعة التى تهدف إليهـا سياستهـا الثابتة ، وترمى إليها خطتها الدائمة[4] .

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) ويقصد بها المملكة العربية السعودية .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة بتصرف) .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها[1]

خرج الشنقيطى من المدينة المنورة فى بداية العطلة السنوية للجامعة الإسلامية من عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) على رأس بعثة الجامعة آنذاك إلى قارة أفريقيا ، وقد استغرقت هذه الرحلة أكثر من شهرين عاد بعدها الشنقيطى ومرافقوه إلى المدينة المنورة مرة ثانية فى نفس العام .

المطلب الثالث
وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت هذه الرحلة جويَّة فى أغلب مراحلها إلاّ فى بعض المراحل البريّة التى كان يتنقل فيها الشنقيطى ومرافقوه بالسيارة داخل الأقطار التى شملتها هذه الرحلة بصحبة ولاة الأمر وكبار المسئولين فيها .

ويشهد لهذا ما أَصَرَّ عليه أحدُ الحكام الأفارقة فى هذه الأقطار من مرافقة الشنقيطىّ وعدم مفارقته فى حلّه وترحاله إلى درجة أنه كان يحمله فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه إلى الأماكن المُعَدَّة للزيارة ، بل ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطى حدود بلاده ؛ وذلك حتى يُخْفِى عنه حقيقة الحكم الجائر الذى كان يمارسه فى بلاده ، وفى هذا ما فيه من هيبة الشنقيطى لدى هؤلاء الحكام ، فضلاً عن اهتمامهم به ، وتقديرهم له .

المطلب الرابع
الأقطار التى شملتها هذه الرحلة

بلغ عدد هذه الأقطار تسعة أقطار أفريقية بدأت بجمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، وداهومى[2] ومالى ، وساحل العاج[3] وغينيا[4] والسنغال ، ثم

(١) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٧٤ .

(٢) وهى ما تعرف الآن بدولة (بِنِين) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (أطلس العالم الإسلامى) : د. دولت أحمد صادق وآخرون ص ١١٦ .

(٣) وهى ما تعرف الآن بدلة (كوت دى ڤوار) بالغرب الأفريقى كما هو مبين بـ (الأطلس العربى) : المساحة العسكرية بالقاهرة ص ٤٧ .

(٤) وهى غير (غينيا بِيسَاوْ أو البرتغالية) وكذا (غينيا الاستوائية) كما سبق تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

انتهت بجمهورية موريتانيا الإسلامية حيث مسقط رأس الشنقيطى، وذلك باستثناء مُهَاجَره بالمملكة العربية السعودية التى بدأ منها الشنقيطى رحلته ، وكذا جمهورية السودان الديمقراطية التى مر بها ثانية حسبما كان يتطلبه طريق عودته آنذاك إلى المملكة .

إلاّ أن الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى قد ذكر أن هذه الرحلة قد شملت عشرة أقطار بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا الموطن الأول لشيخه ، وقد وافقه فى ذلك الشيخ محمد المجذوب[1] .

ولما اكتفيا بالإشارة إلى عدد هذه الأقطار دون تسميتها[2] فقد دفعنى هذا إلى استيضاح الأمر من الشيخ عطية الذى أجابنى بما نصه : وأما عن تسمية هذه الدول العشر التى مَرَّ بها فضيلته رحمة الله تعالى علينا وعليه فى رحلة أفريقيا ، فالواقع أنها بدأت بالسودان ، ثم نيجيريا ، والنيجر ، ومالى ، والسينجال[3] وموريتانيا ، ثم داهومى ، وساحل العاج ، وغينيا ، ثم العودة إلى السودان ، فالمملكة مرة أخرى[4] .

- غير أنه يلاحظ على هذه الإجابة أمران :

١ - أن عدد هذه الأقطار تسعة أقطار كما قررنا من قبل ، وليست عشرة كما ذكر الشيخ عطية ؛ إلاّ أن يكون قد عَدّ المملكة ضمن هذه الأقطار ، أو عَدّ السودان مرتين ذهابًا وإيابًا .

وكلا الأمرين لا يتفق مع ما ذكره من قبل أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا ؛ مما يفهم منه أن المملكة ليست داخلة عنده فى حساب هذه الأقطار ، كما أنه عَدَّ السودان مرة واحدة لا مرتين ؛ وبهذا يتأكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الرحلة قد شملت تسعة أقطار لا عشرة .

---

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ٤٨/١ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١٨٤/١ .

(٢) بل ولم ترد تسمية هذه الأقطار عند غيرهما كذلك .

(٣) وتكتب أيضًا (السنغال) و (السينغال) و (السينكال) و (السانكال) كما تعرف كذلك بـ (بلاد إِنْدَر) - راجع فى ذلك كلا من :
- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٣٦٦ - ص ٤٢٢ .
- ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة المورتانية : يحيى بن البَرَّا ص ٥ .

(٤) ضمن رده المسجل على رسالتنا إليه .

٢ - أن ترتيب الأقطار الذى ذكره الشيخ عطية يقتضى توسط موريتانيا بينها ، وهذا ما يخالف قوله بوقوع موريتانيا فى نهاية هذه الرحلة لا منتصفها .

كما أن الترتيب الذى ذكره لا يتفق مع الترتيب الجغرافى لمواقع هذه الأقطار وتجاور بعضها من بعض كما بيَّنَّا ذلك من واقع الخارطة السياسية لقارة أفريقيا ؛ بل إن الترتيب الذى ذكرناه يقتضى البَدْءَ بالسودان والانتهاء بموريتانيا ، وهذا ما يتفق مع قول الشيخ عطية من أن هذه الرحلة قد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانيا .

المطلب الخامس
طابع هذه الرحلة العلميّ والأدبيّ

أشار الشيخ عطية إلى ذلك على وجه الإجمال ، حيث نَوَّهَ بما حوته رحلة شيخه هذه من مباحث علمية عديدة ، وقضايا أدبية مفيدة .

وهذا ما يحدثنا عنه قائلاً : كان لهذه البعثة فى تلك البلاد أعظم الأثر ، وأذكر فى مجلس من أفاضل البلاد بموريتانيا فى حفل تكريم للبعثة وَكَلَ إلىّ رحمه الله كلمة الجواب[1] فكان منها : (إن الذكريات لتتحدث ، وإنها لساعة عجيبة أدارت عجلة الزمان ؛ حيث نشأ الشيخ فى بلادكم ثم هاجر إلى الحجاز ، ثم ها هو يعود إليكم على رأس وفد ورئاسة بعثة ، فبعد أن نبتت غرسة علمه هنا عندكم ، ذهب إلى الحجاز فنمت وترعرعت ، وامتدت أغصانها حتى شملت بوارف ظلها بلاد الإسلام شرقًا وغربًا ؛ وها نحن فى موطنه نجنى ثمار غرسها ، ونستظل بوارف ظلها) حقًا ؛ لقد كانت هذه الرحلة حَلْقَةَ اتصالٍ ، وتجديدَ عهدٍ ، وإحياءً لمعالم الإسلام[2] .

كما أشار الشيخ محمد المجذوب إلى شىءٍ من هذا بقوله : لقد حفلت هذه البعثة بالكثير من نشاط الشيخ رحمه الله ، حيث كان موضع الحفاوة البالغة من حكام تلك الأقطار وعلمائها ، ولم يَدَعْ بلدًا من تلك الدول إلاّ بذل فيها من علمه ما أخذ بالألباب[3].

ويشهد لهذا رد الفعل الذى أحدثته إجابات الشنقيطى المفصلة ، وروده المستفيضة ،

---

(١) ويقصد بكلمة الجواب : أى كلمة الرد على ترحيب أفاضل موريتانيا وعلمائها ، بل وشكرهم على حفاوتهم البالغة بشيخه الشنقيطى ومرافقيه .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩ (من المقدمة بتصرف) .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف) .

على جملة المسائل العلمية التى وجهت إليه ، وخاصة ما كان منها فى مسقط رأسه بقرية (قَرْو) ببلاده موريتانيا ؛ حيث عَلَّقَ قاضى القرية على ذلك بقوله : لم يَبْقَ لأحد هنا كلام فقد ظهر الحق ، ولا سؤال فقد زال اللبس ، وإن الحضور بين أحد رجلين : عالم فقد عرف الحق فلم يَبْقَ له سؤال ، وجاهلٍ فلا يحق له أن يَسْأل[1] .

ولأهمية هذه الإجابات ، وفائدة تلك المحاضرات ؛ فقد أكد الشيخ عطية احتفاظه بها وعزمه على إخراجها ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : وكان له رحمه الله العديد من المحاضرات والمحادثات التى سُجِّلَتْ كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة عندى ، وإنى لآمل أن أوفق لنقلها وطبعها إتمامًا للفائدة إن شاء الله تعالى[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤١ (من المقدمة) .

وجدير بالإيضاح أن المقصود بقول قاضى قرية قَرْو : (وجاهلٍ فلا يحاق له أن يَسْأل) أى لن يحتاج الجاهل للسؤال؛ لأنه تم له ما أراده من المعرفة بدون سؤال ؛ وإلاَّ فالأصل أن من حق الجاهل أن يسأل أهل العلم عمَّا يجهله ؛ امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ النحل : ٤٣ - الأنبياء : ٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤٩ (من المقدمة) .

ونحن بدورنا نأمل أن يُوَفَّقَ الشيخُ عطية لذلك ، حيث لم تَرَ هذه الآثار النور حتى الآن ، وعساه أن يكون قريبًا .

المبحث الثالث

رحلـــة العـــلاج

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : السبب الباعث على هـذه الرحلة .

٢ - المطلب الثانـي : زمن هــذه الرحــلة ومــدتها .

٣ - المطلب الثالـث : وسائل الانتقال فى هذه الرحـلة .

٤ - المطلب الرابـع : الأقطار التى شملتها هذه الرحلة .

٥ - المطلب الخامس : موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها .

تختلف هـذه الرحلة عن سَابِقَتَيْهَـا من حيث الشكل والمضمـون ، فضـلاً عن موقف الشنقيطى منها ورأيه فيها ، وهذا ما نحاول أن نعرض له من خلال المطالب الخمسة التالية :

المطلب الأول
السبب الباعث على هذه الرحلة

لا يخفى أن هذا السـبب ظاهر جلىّ حيث تمثل فى سفـر الشنقيطى بقصد عـلاجه من جملة الأمراض التى كانت تعتريه، بل وصار يعانى آلامها الشديدة فى أخريات حياته ، غير أنه لم ترد أية إشارة عن طبـيعة هذه الأمراض أو أسمـائها ، اللهم إلا (حساسيـة الشنقيطى ضد البنسلين) كما سيأتى تفصيل ذلك من خلال حديثنا عن وفاته ورثائه وحُسْنِ خاتمته .

المطلب الثانى
زمن هذه الرحلة ومدتها

بدأت سلسلة أسفـار الشنقيطى للعلاج فى غضـون عام ثمانية وثمـانين وثلاثمائة وألف للهجـرة بعد الحج (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) وذلك على وجه التـقريب ، ثم تكررت تلك الرحلات العلاجية أكثر من مرة على فترات مختلفة .

وهذا ما يفهم من الإشـارة الضمنية لتلميذه وابن عـمه الدكتور محمـد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى فى قوله : وكان مِنْ مَنِّ الله علىّ أنى ذهبت إلى الحجاز سنة ثمان وثمانين وثلاثمـائة وألف ، وبعـد انتـهائى من فـريضة الحج بَـدَاَ لـى أنى لابـد أن أقرأ (مـراقى السُّعود) ولما هممت بقـراءته على الشيخ ، فإذا به مشغول جـداً فى تأليف (أضواء البيان) والتدريس فى (الجامعة الإسلامية) والتـدريس فى (الحرم النبوىّ) مع ما يعتريه من الأمراض التى ألجأته إلى السفر للعلاج أكثر من مرة[1] .

ومع أنه لم يرد أى تحديد لعدد هذه الرحلات أو مددها إلاّ أن الشنقيطى كان يُقْدِمُ على ذلك كلما دعت الضرورة ، كما كان يرجع إلى المدينة المنورة على الفور عندما كانت تسمح حالته الصحية بذلك.

أما آخر أسـفار هذا العلاج فقـد كان قُبَيْلَ الحج من عام ثلاثة وتسـعين وثلاثمائة وألف للهجـرة (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) وفور رجوعـه من سفره هذا قـام بأداء مناسك الحج من العام نفسه ، ثم كان أن اخترمته المنية ووافاه الأجل بعد الحج بأيام قلائل .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعـود : الشنقيطى - تحقيـق وإكمـال تلميذه : د. مـحمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى ١/١١ .

المطلب الثالث
وسائل الانتقال فى هذه الرحلة

كانت رحلات الشنقيطى للعلاج جوية فى جميع مراحلها إلاّ من بعض التنقلات البرية الداخلية التى كانت تقتضيها طبيعة العلاج تحت الإشراف الطبى الكامل ، وفى ظل الرعاية الصحية اللازمة .

المطلب الرابع
الاقطار التى شملتها هذه الرحلة

شملت رحلة علاج الشنقيطى كلاً من مصر وأوروبا اللتين سافر إليهما أكثر من مرة لهذا الغرض، وهذا ما أشار إليه تلميذه وابن عمه الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى بقوله : لقد ألجأته الأمراض التى كانت تعتريه إلى الذهاب إلى مصر وأوروبا أكثر من مرة[١] .

أما رحلاته العلاجية إلى مصر فقد كان فيها نزيل حاضرتها حيث القاهرة بالتحديد ، وقد صحبه فى بعضها تلميذه وابن قبيلته الدكتور بابا بن بابا بن آدّهْ الجكنى الشنقيطى[٢] .

فى حين كانت رحلاته العلاجية إلى أوروبا تنحصر فى بريطانيا التى كان فيها نزيل حاضرتها حيث لندن بالتحديد ، غير أنه لم يرد أىٌّ ذكر بشأن مرافقيه آنذاك[٣] .

المطلب الخامس
موقفه من هذه الرحلة ورأيه فيها

ليس من شك فى أن الذى حمل الشنقيطى بصفة عامة على السفر للعلاج بكل من القاهرة ولندن هو تلك الضرورة الملحة التى ألجأته إلى ذلك رغمًا عنه .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعود : الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطى ١/١١ .

(٢) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٠ .

(٣) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ٢٠٢ .

فإذا جئنا إلى موقـفه من سفره إلى لندن ورأيه فى ذلك بصفة خاصـة ؛ فإننا نجد حالة مـن عدم الرضـا عـن سفره إلـى تلك البلاد لكونهـا ليست مـن ديار الإسلام؛ بل قـد دفعه ورعه إلى جـعل هذا السفر بمنزلة الإثم الذى يلزمــه التكفير عنه ، لا بطاعـة عادية ، وإنما بحج أكبر ، وهذا ما يحدثنا به تلميذه وابن قبيـلته أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى قائلاً ما نـصه: راجعت الشيخ رحـمه الله فى ترك الحج فى السَّنَة التى توفى فيهـا نظرًا لسوء صحته؛ فقال: دَعْ عنك المحاولة ! فإن سـفرى إلى لندن أريد الشفاء بها ؛ لابد أن أكفر عنه بحجٍ[1] .

لكن الأمر يختلف تمامًـا بالنسبة لقناعته الكاملة ورضاه التام عـن سفره إلى القاهرة بلد الأزهر الشريف الجامع والجـامعة ، كعـبة العلم والعلماء العاملين ، وحـاضرة ديار الإسلام والمسلمين .

* * *

ملاحظات حول رحلات الشنقيطى :

تتشابه رحـلات الشنقيطى فى بعض الخصـائص وتختلف فى بعضهـا الآخر ، وهذا ما نحاول رصده من خلال جملة الملاحظات التالية :

١ - *الطابع العلمىّ*:

بالرغم من إقدام كثير من الأدباء على تسجيل وقائع رحلاتهم من خلال ذلك الأسلوب الأدبىّ الذى يتوزع بـين القَصَص تارة والخيـال تارة أخرى ، والذى يعـمدون من ورائه إلى الحديث عن أحـوال البلاد والعـباد من حيثُ وصفُ عـاداتها وتقاليـدها ، ورصدُ طرائفـها وغرائبها .

وبالرغـم من إحجـام كثيـر من العلماء عـن تسـجيل وقائـع رحـلاتهم إلاّ مـن الشىء اليسيـر الذى لا يكاد يُبْيِنُ ، ومن خلال ذلك الأسلوب العلمىّ الذى يعـبِّرون به عن بعض الذكريات التـى تحملها خواطرهم، والتى قد يعـدو جُلَّها طَىُّ النسيان؛ مما يجعل من الصعوبة على البـاحثين بمكان أن يتناولوها بالبـحث والتحليـل، ويُجَلُّوا ما بهـا من مسائـل عديدة، وقضايا مفيدة .

إلاّ أنه باستثناء رحلة العـلاج ؛ فقد جمعت رحلتا الشنـقيطى للحج والدعوة بين العلم

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطـى : جـمع وتصنيف عبـد الرحمن بـن عبد العزيز السديـس ص ٢٠٢ .

والأدب ، وذلك من خلال الأسلوب العلميّ المتأدب الذى يسوق المسألة العلمية فى حُلة أدبيّة ، كما يعرض للقضية الأدبية معتمدةً على حقيقة علميّة ؛ وهذا ما جعل رحلات الشنقيطى بما حوته من علم وأدب مغايرةً لما عداها من الرحلات الأخرى التى تنضوى تحت أحدهما دون الآخر فتكون علمية تارة ، وأدبية تارة أخرى .

ومن ثم يحدد لنا الشيخ عطية موقع رحلات شيخه من ذلك قائلاً : يغلب على أساليب الرحلات وموضوعاتها أن يكون مبناها عرضَ خطِّ السير من منطلق صاحبها إلى منتهاه ، وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير ، وما جرى لصاحبها من أحداث تسر أو تحزن ، وتضحك أو تبكى ، وقلما تشتمل على مجالس أدبية أو مباحث علمية .

وبين أيدينا من أشهر الرحلات رحلة (ابن بطوطة) ورحلة (ابن جبير) وكلاهما رحل من المغرب إلى الحجاز وعاد إلى بلده فلم أجد فيهما من المجالات العلمية أكثر من عرض لمشاعر الحج .

ولم أقف على رحلة عُنِيَتْ بمسائل علمية ، أو مجالس العلماء ، ومباحث دقيقة وجليلة ، اللهمَّ إلا رحلة (النابلسى) إلى المدينة ؛ فقد بسط فيها مباحث فقهية ، وأحاديث نبوية ، وإن كانت لم تتعرض لشيء من المعقول كالمنطق والأصول ، كما كانت مباحثها كلها فى المدينة المنورة ، وكذا رحلة (أبى على القالى) .

ولأن أدب الرحلات فن متميز ؛ لذا فإنه يتطلب قدرة على التعبير ، ودقة فى التصوير ، حيث يصف المواقع والمواقف وما يمر له مما يستحق التسجيل بوضوح العبارة ؛ حتى يجعله كالمحسوس المدرك بالإشارة ، مع حسن الاختيار وذوق فيما يختار ، ويبرز ما شاهد من مرئيات بأدق وأصدق العبارات ؛ مما يتطلب ذوقًا حسَّاسًا ، وحسًا ذوّاقًا ، ولا يقوى على ذلك إلاّ عالم أريب ، أو مثقف أديب .

وقد اجتمع كل ذلك لصاحب هذه الرحلة رحمه الله تعالى؛ فجاءت سَلِسَةَ الأسلوب ، شيقة الحديث ، عذبة الألفاظ ، كما جمعت من الطُّرفِ أطيبها ، ومن الحقائق العلمية أدقها ، ومن المؤانسات الشعرية أعذبها ، بل ربما اشتملت على ليالٍ نابغية[1] وساعاتٍ

(١) ويقصد بها لياليَ النابغة الذبيانى فى محنته المشهورة التى قاسى ويلاتها ، وتجرّع آلامها ؛ من جراء غضب النعمان بن المنذر أمير الحيرة عليه ؛ حيث لم يكن أمام النابغة آنذاك من سبيل لإبداء الندم ، وطلب الصفح ؛ سوى أن ينشئ قصيدته المعروفة التى يسترضى بها النعمان ، والتى يقول فيها :

أَتَانِي – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – أَنَّكَ لُمْتَنِي ... وتلك التى أَهْتَمُّ منها وأُنْصَبُ

ذهبية ، شأن كل رَحَّالة عظيم الشأن ، يلقى المخاطر ، ويجازف ويغامر ، ويقابل كل ظرف وحال ، بما يناسبه من صبر وتحمل ، واستئناس وتجمل .

فهى بحق كحديقة غَنَّاء بها غروس مورقة ، وزهور ناعمة ، وثمار يانعة ، وقد تجد فيها أشواكًا بارزة ، وأحجارًا صلدة ، وجداول باسمة ، ورمالاً جاثمة ؛ فتكتمل الصورة الطبيعية التى تمتع النظر ، وتثير الفِكَر ، وتورث العِبَر ، ويجد كلٌّ ذى طبعٍ ما يلائمه ، وكلٌّ ذى رغبةٍ ما يوافقه ، وهى بحق ممتعة كل قارئ ، مهما اختلفت العادات ، أو تنوعت الاتجاهات، أو تعددت الاختصاصات من : (تفسير وأصول وفقه وعقائد ونحو وأدب ومنطق وتاريخ وبيئة وطبيعة) مما يراه القارئ بنفسه ، ويدركه بحسه[1] .

٢ - تباعد الأزمنة واختلاف المُدَد:

اختلفت رحلات الشنقيطى الثلاث فيما بينها من حيث تاريخ كل منها والفترة التى استغرقتها ، أما رحلته الأولى للحج فقد بدأت فى (٨ - ٦ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (١٧ - ٤ - ١٩٤٨ م) من بلاده شنقيط فى طريقه إلى بلاد الحجاز التى وصلها بعد قرابة مائة وستين يومًا هجريًا أو ما يعادل مائة وأربعة وخمسين يومًا ميلاديًا فى (١٧ - ١١ - ١٣٦٧ هـ) الموافق (٢٠ - ٩ - ١٩٤٨ م) .

وبعد ثمانية عشر عامًا هجريًا كاملاً جاءت رحلته الثانية للدعوة بقارة أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى بدأت مع العطلة السنوية للجامعة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) واستغرقت أكثر من شهرين بقليل .

ولم تمر إلا ثلاثة أعوام على وجه التقريب حتى بدأ رحلته الثالثة والأخيرة للعلاج فى غضون عام (١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م) والذى اضطره للسفر إلى القاهرة ولندن أكثر من مرة

= فَبِتُّ كأنّ العائدات فَرَشْنَنى ... هراسًا به يُعْلَى فراشى ويُقْشَبُ
حَلَفْتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً ... وليس وراءَ الله للمَرْءِ مَذْهَبُ

• انظر تلك الأبيات بترتيبها المذكور فى (ديوان النابغة الذبيانى) = ص ٧٢ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

وقد شبه الشيخ عطية بعض ليالى رحلة شيخه الشنقيطى إلى الحج بليالى النابغة الذبيانى لجامع النَّصَب والتعب ، مع اختلاف الهدف والسبب .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ (من المقدمة) .

على مدار خمس سنوات حتى قبيل الحج الذى توفى بعد أن أدى مناسكه بأيام قلائل من عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

٣ - موقع موريتانيا من رحلاته :

ونقصد به موقع بلاد الشنقيطى الذى احتلته ، وحيزها الذى شغلته من رحلاته ، ونصيبها من نشاطه فيها ، فهى وإن جاءت فى مقدمة رحلته الأولى بحكم خروجه منها إلى بلاد الحجاز للحج ؛ إلا أنه حرص كل الحرص على أن يعود إليها ثانية بعد ثمانية عشر عامًا ليختم بها رحلته للدعوة فى أفريقيا على رأس بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وفى هذا ما فيه من الآصالة والوفاء لموطنه الأول عامة ، ولمسقط رأسه بقرية (قَرْو) خاصة ؛ والتى كان لزيارته لها ، واجتماعه بأهلها ، عوامّهم وخواصّهم ، علمائهم وفضلائهم ، أكبر الأثر وأعظمه فى جلاء عقولهم ، وصفاء قلوبهم ؛ إلى الحد الذى لخصه قاضيهم بلسانه ، وترجمه بإحساسه ، من خلال تعقيبه على محاضرة الشنقيطى ، ورد فعله إزاءها .

٤ - تسعة أقطار لا عشرة :

على الرغم من أن كل الذين أشاروا إلى رحلة الشنقيطى للدعوة قد وافقوا تلميذه الشيخ عطية فى أنها شملت عشرة أقطار دون تسميتها[1] إلاّ أننا نعود فنؤكد أنها تسعة أقطار لا عشرة ، وهذا ما عرضنا لبيانه بالتفصيل قبل قليل .

أما اشتراك بعض هذه الأقطار فى زيارة الشنقيطى لها فى رحلته للدعوة بأفريقيا كما مَرَّ عليها فى رحلته للحج من قبل فتنحصر فى ستةٍ منها هى: (جمهورية السودان الديمقراطية ، والنيجر ، ونيجيريا ، ومالى ، والسنغال ، ثم بلاده موريتانيا) أما الثلاثة الأخرى وهى : داهومى (أو بِنِين) وساحل العاج (أو كوت دى فوار) وغينيا ، فقد شملتها رحلته الثانية دون الأولى .

---

(١) وممن وافقوا الشيخ عطية فى ذلك نذكر كلاً من :

- عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس فى كتابه (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : ص ٧٤ .
- الطيب بن عمر بن الحسين فى كتابه (السلفية وأعلامها فى موريتانيا) : ص ٣٧١ .
- الدكتور عبد الله الطيار مع الدكتور عبد العزيز الحجيلان فى كتابهما (منسك الإمام الشنقيطى) : ١/ ٢٤ .

٥ - المرافقــون :

لم يشر الشنقــيطى إلى مرافقــيه إلا فى رحلته للحج حــيث عَبَّرَ عن ذلك بضمــير (نَا) لجماعة الفاعلين كقوله : (خرجنا وارتحلنا وبتنا وركبنا ونزلنا) دون تسمية أىٍّ منهم[١] .

أما رحلته للدعوة بأفريقيا فقد رافقه فيها كل من تلامذته : الشيخ عطية محمد سالم ، والشيخ محمد أمان من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والشيخ سيد الأمين المامى الجكنى الشنقيطىّ من رابطة العالم الإسلامىّ بمكة المكرمة[٢] .

ثم كان مرافقــه فى رحلة علاجه بالقاهرة تلميذه وابن قبــيلته الدكتور بابا بن بابا بن آدُّه الجكنى الشنقيطى[٣] غير أننا لا نــدرى كم مرة رافق فيها شــيخه ، كمــا لا ندرى خبراً عن علاج الشنقيطى فى لندن ومرافقيه فيها .

٦ - عدد الحَجّات :

يتبين لنا من خــلال سيرة الشنقيطى مــواظبته على أداء مناسك الحج كل عام بما جــملته ست وعشرون حَجَّة على مدار ستة وعشــرين عامًا هجريًا قضاها بأرض الحجاز منذ وصوله إليها قادمًا من بلاده لأداء حــجة الإسلام الأولى عام (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) وإلى أن توفى بها عقب أدائه مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

ويقوم على هذه المواظبة شاهدان :

أولهــما : تكليف الشنقــيطى بالمشاركة فى أعــمال (مؤتمر الحج الســنوىّ العالمىّ) الذى يجتمع من خلاله مع كبار علماء الأمة للبحث فى شئون المسلمين ، والنظر فيما يستجد على مجتمــعاتهم من مسائل ملحة وقضــايا مهمة ؛ الأمر الذى يستلزم اتفاقــهم على كلمةٍ سواءٍ بشأن إنتاج الحلول المناسبة التى تعود فى النهايــة على جموع المسلمين بالخير الوفير ، والنفع العميم .

وثانيهما : إصرار الشنقيطى على أداء مناسك حجه الأخير عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ - ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٢) راجع فى ذلك كلاً من :

- ترجمة الشــيخ محمد الأمين الشنقيطى : جــمع وتصنيف عبد الرحمن السديس بن عــبد العزيز ص ٧٤ .
- السلفية وأعلامها فى موريتانيا : الطيب بن عمر بن الحسين ص ٣٧١ هـ ١ .

(٣) انظر (ترجمــة الشيخ محــمد الأمين الشنقيطــى) : جمع وتصنيف عبــد الرحمن بن عبــد العزيز السديس ص ٢٢٠ .

على الرغم من معاناته الآلام المبرحة الناجمة عن جملة الأمراض التى كانت تعتريه ، والتى كان قد رجع لِتَوِّهِ من (لندن) فى رحلة علاجه الأخيرة منها ؛ حتى إنه رفض مراجعة تلميذه أحمد بن أحمد الشنقيطى التى يرجوه فيها أن يترك الحج من عامه هذا لشدة مرضه وألمه ، إلاّ أنه أنفذ حجه الذى كان يريد .

٧ - *التدوين* :

حظيت رحلة الشنقيطى للحج بتدوينه لها حيث ضَمَّنَها كتابه (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) والذى سنتناوله من خلال عرضنا لآثاره العلمية ومؤلفاته .

أما رحلة الدعوة إلى القارة الأفريقية فلا تزال مسجلة على أشرطة حتى الآن طَرَفَ تلميذه الأول ومرافقه فيها الشيخ عطية محمد سالم الذى كان قد أشار قبل موته إلى أمله فى أن يُوَفَّقَ لإخراجها لتتم بها الفائدة ويَعُمَّ بها النفع[(١)] .

وأما رحلة العلاج فلم يرد أى تفصيل بشأنها اللهمّ إلا على سبيل الإشارة فحسب .

وليس من شك فى أنه يَحْدُونَا ذاتُ الأمل الذى كان يراود الشيخ عطية فى تدوين وإخراج الرحلتين الأخريين للدعوة والعلاج ؛ حتى تكتمل سلسلة رحلات شيخه التى بدأها برحلة الحج ، ولن يعدم طلاب العلم لذلك من فائدة ، ولن يُحْرَمُوا به من نفع ؛ فعساه أن يكون قريبًا .

* * *

وفى *الجملة* : فإن الناظر فى رحلات الشنقيطى يتبين له أنه مُقِلٌّ منها إذا ما قيس بغيره من العلماء والأدباء ، فضلاً عن غيرهم من الرَّحَّالين والجَوَّالين ، مما تمثل لهم كثرة الأسفار همَّهم الأول ، وقد يكون الأخير.

فحياة مديدة ، وسنونَ عديدة ، تستغرقها رحلتان فقط ؛ لحَرِىٌّ بصاحبها أن يُعَدَّ من جملة المقلّين، وذلك باستثناء رحلة العلاج التى اضطر إليها الشنقيطى اضطراراً ، على خلاف رحلتيْه الأخريين للحج والدعوة اختياراً .

---

(١) وجدير بالذكر أن تلميذ الشنقيطى ومرافقه الثانى فى تلك الرحلة الشيخ سيد الأمين المامى الشنقيطى قد أشار إلى بعض وقائعها وآثارها من خلال انطباعاته الذاتية فى كتابه المسمى (لمحات فيصليّة من أعمال الدعوة الإسلامية فى القارة الأفريقية) : ص ٥٣ - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

غير أن ذلك راجع فيما نرى إلى كثرة رحلاته الداخلية ببلاد الحجاز بصفة عامة ، وكل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة ؛ الأمر الذى لم يترك له نشاطه فيها فرصة لكثرة رحلاته وأسفاره بعيدًا عنها ؛ خاصة أن حاجة الحجاز إليه فى الداخل أكثر من حاجة غير الحجاز إليه فى الخارج .

كما أن فى الحج بصفة خاصة ، وفى الجامعة الإسلامية والحرم النبوىّ بصفة عامة ، كانت تتوافد إليه جموع المسلمين من حجاج ومعتمرين ، وباحثين ودارسين ؛ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، من كل حَدَب وصَوْب ، وكل فَجٍّ عميق ؛ ليستمعوا لدرسه ، ويفيدوا من علمه ، وفى هذا ما فيه للشنقيطى من العِوَضِ عن أسفارِه ، والغُنْيَةِ عن رحلاتِه .

الفصل السادس

مؤلفاته

الموجودة والمفقودة والمنسوبة

وينتظم المباحث السبعة التالية :

١ - المبحث الأول : مؤلفاته المخطوطة .

٢ - المبحث الثاني : مؤلفاته المطبوعة .

٣ - المبحث الثالث : مؤلفاته المسجلة .

٤ - المبحث الرابع : مؤلفاته الشعرية .

٥ - المبحث الخامس : مؤلفاته المفقودة .

٦ - المبحث السادس : مؤلفاته المنسوبة .

٧ - المبحث السابع : حصر مؤلفاته وتصنيفها .

تظل مؤلفات العلماء أَدَلَّ آثارهم العلميّة الـتى تُعَرِّفُ بهم ، وتترجم عنهم ، معبرة عن أفكارهم ، وشاهـدة على آرائهم ، من لدن تدوينهم لـها ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ، وتلكم أهميتها لهم ، وخطورة موقعها منهم ؛ وما أصدق الشاعرَ حين قال :

وما مِـنْ كـاتب إلاّ ستَبْقَـى   كتـابتُهُ وإنْ فَنِيَـتْ يَـداهُ
فلا تكتـبْ بِكَفِّكَ غيرَ شىءٍ   يَسُرُّك فـى القيامـةِ أن تَـراهُ[1]

وبالنسبة للأمـة ؛ فإن مؤلفات علمائهـا تعد ذاكرتها المقروءة ، وسجلها الحافل ، الذى يحفظ تراثها ، ويخلّد مآثرها ، ويضع مدوناتها بين أيدى أبنـائها من الأجيال المتلاحقة على مَرِّ العصور وتعاقـب الدهور ؛ فيعمدون إليها بالتصنيف والتـعريف ، والبحث والتحليل ، ليُجَلُّوا ما بها من علم ، ويكشفوا عما بها من فائدة .

ولعل من أهم الشواهد وأقـوى الأدلة على أهمية تدوين تلك المؤلفـات فى حفظ تراث الأمة ، وإبراز آثار السلف للخلف ؛ أن القرآن والسُّنّة ذاتهما قد تم تدوينهما حتى يظلا بين ظهرانَىْ هذه الأمة إلى أن تقـوم الساعة، مع أن لهما ما لهما من فارق الشرف والخصوصية، والتنزيه عن التمثيل والنِّدية ، من حيث تكفُّلُ الله بهما وحفظُهُ لهما فى قوله تعالـى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ الآية [2] وذكر الله قرآنه ، كما أن سُنة نبيه ﷺ بعض وحيه كما فـى قـوله تعالى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤**﴾ الآيتان[3] وكما جاء على لسان نبيه ﷺ : « ألاَ إنـى أوتيت القرآنَ ومثلَهُ معه » الحديث[4] .

ولا يخفى هذا على أعداء الله ورسوله من الحاقدين على هذه الأمة ؛ حيث لا يعمدون فـى بَدْءِ اعـتداءاتهم الغـاشمـة على الإسلام والمسلمين إلاّ إلى تـراثهـا المدون فى مؤلـفات علمائها ، فإما سلبوها ونقلوها إلى ديارهم ، وإما حرقوها وأبادوها ، وما فِعْلُ التتر ببغداد عنا ببعيد !!

ومن هنا ؛ كانت مؤلفات علماء الأمة هى أبقى آثارها العلمية الدالة عليها ، بل وأهمها على الإطلاق ؛ بمالها من الانتشار والاستمرار فى مختلف الأعصار والأمصار .

وهذا ما يبلور أهمية وحتـمية تناولنا لمؤلفات الشنقيطى بالإحصاء والاستـقصاء ، فضلاً عن التصنيف والتعريف من خلال المباحث السبعة التالية :

---

(١) العقْد الفريد : لأبى عمـر أحمد بن محمد بن عبد ربِّه ٢/٢٠٨ - شرحـه وضبطه وصححه وعَنْوَنَ موضوعـاته ورتَّبَ فهارسه: (أحـمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإبيارى) - الـطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٢) الحِجْر : ٩ .

(٣) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

المبحث الأول

مؤلفــاته المخطــوطة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : مخطوطاته ببلاده شنقيط .

٢ - **المطلب الثاني** : مخطوطاتـه ببلاد الحجاز .

ومعظمـها كان ببلاده شنقـيط قل أن يستقر به المقـام بأرض الحجاز ، وقد غلب علـيها (النظم) الذى يسود متون مختلف العلوم التى يحـفظها الشناقطة وَيَدْرُسُون شروحها ، وإلى هذا يشيـر الشيخ المجـذوب بقوله : تمثل هذه المؤلفات عـددًا من الأراجيـز على غرار تلك المنظومات التى شَبَّ شيخنا الشنقيطى على حفظها ودراستها[1].

كما أن هذه المخطوطات قد تنوعت فنونها ، وتعددت علومها ، على النحو الذى يشير إليه الشيخ عطية تلمـيذ الشنقيطى بقوله : لقد وجدت للشيخ رحمـه الله مؤلفات مخطوطة فى الفقه المالكى والمنطق والفرائض وغيرها ، والكل فى محاولة لطبعه إن شاء الله[2] .

وباستقصاء هـذه المخطـوطات وحصرها تبين أنها تشمل سَبْعَ مخطوطات ، منها خمس ببلاده شنقيط ، واثنتان ببلاد الحجاز كما يلى :

المطلب الأول
مخطوطاته ببلاده شنقيط

١ - ألفية المنطق :

وهو نظم فى فن المنطق يربو على ألف بيتٍ بدأه الشنقيطى بقوله :

حَمْـداً لمَـنْ أظهَرَ للعقـولِ حقائـقَ المنقـولِ والمعقـولِ
وكَشَـفَ الرَّيْنَ[3] عـن الأذهانِ بواضـحِ الدليـلِ والبُـرْهَانِ
وفَتَـحَ الأبـوابَ للألبَـابِ حتـى استبانت مَا وراءَ البابِ[3]

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٧ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٦٩٧ (الجزء الثانى من التتمة) .

(٣) الرَّيْن والرُّيُون : الصدأ الذى يعلو كل شىء ويغطيه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين : ١٤ - فإذا اشتد الرين صار (طَبْعًا) ومنه قول الله تعالى : ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة : ٨٧ - وإذا اشتد الطبع صار (إقْفَالاً) ومنه قول الله تعالى : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمد ﷺ : ٢٤ - انظر مادة (رَيَن) فى كل من لسان العرب : ٣/١٧٩٦ - مختار الصحاح : ص ٢٦٦ - المعجم الوسيط : ١/ ٤٠٠ .

وقد عَبَّرَ الشنقيطىُّ بـ (الرَّين) هنا للدلالة على كل ما تعيا العقول عن فهم حقيقته ، وتعجز الأذهان عن إدراك معناه ؛ لغلبته عليها ، واستحكامه بها .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .

٢ - زيادة نظمه على رجز (البَحْر) :

وهو نظم مشهور فى علوم القرآن لمحمد بن بُوجَه المعروف عند الشناقطة بـ (البحر) حيث يتناول فيه كل ما يتعلق بضبط ورسم وتلاوة القرآن ، وذلك من خلال عرضه لكل كلمة متشابهة وردت فى القرآن مرة أو أكثر إلى سبع وعشرين مرة ، حيث يفرد لكل منها فصلاً خاصًا بها .

ومن أمثلة ذلك كلمة (أشياع) التى وردت فى القرآن مرتين ، فنراه ينظم موضعيْها هذين بقوله :

أشياعُ بالعين « فهلْ مِنْ مُدَّكِرْ » فى سبأ « مِنْ قبل إنهم » ذُكِرْ

وكان الشنقيطى قد حفظ هذا النظم ودرسه كاملاً فى طفولته ، ثم كانت له زيادة نظم على بعض أبياته كتلك التى زادها على هذا البيت لتوضيح معناه وبيان المراد منه بقوله :

فى سورة (القمر) خَاطِبْ وانْصِبَا وَجُرَّهُ وغَيِّبَنَّهُ فى (سَبَا)

ويوضح الشنقيطىُّ بقوله هذا مراد الناظم من أن كلمة (أشياع) قد وردت منصوبة لجماعة المخاطبين فى سورة القمر فى قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ الآية[١] فى حين وردت فى سورة سَبَأ مجرورةً لجماعة الغائبين فى قوله تعالى : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ الآية[٢] .

وهكذا كان نهج الشنقيطى إزاء كل ما كان يحفظه أو يدرسه ويرى أنه بحاجة إلى زيادة فائدة أو زيادة إيضاح كهذا النظم وغيره من النظوم الأخرى فى شتى العلوم ومختلف الفنون[٣] .

٣ - شرحه على (سُلَّم الأخضرِى) :

وهو شرح مُفَصَّل على (سُلَّمِ الأخضرِى) فى فن المنطق كان قد أملاه الشنقيطى على مَنْ طَلَبه منه أثناء إقامته بدولة (النيجر) فى طريق رحلته للحج ، وقد أشار إلى هذا بقوله : وفى مدة إقامتنا عند الحاج (الكيدى توره) جاءنا رجل من أهل العلم من قبيلة تسمى (الطَّلابه) اسمه (محمد إبراهيم) وطلب منا أن نبين له معانى (سُلَّم الأخضرى فى فن المنطق) بدرسٍ شافٍ فأجبته، فكان يكتب ما أُملِى عليه من إيضاح معانيه ليلاً ونهاراً ؛

(١) القمر : ٥١ . (٢) سبأ : ٥٤ .
(٣) راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٢٢ (من المقدمة) .

خوفًا من معاجلة السفر قبل الإتمام حتى أتى على آخره ؛ فجاء ذلك الإملاء شرحًا وافيًا ، وعن غيره كافيًا ، والحمد لله رب العالمين[1] .

٤ - نظم فى علم الفرائض :

وهو نظم طويل فى علم المواريث بدأه الشنقيطى بقوله :

تَركَةُ الميتِ بعدَ الخامسْ ... منْ خمسة محصورةٌ عن سادسْ
وحَصْرُهَا فى الخمسةِ استقراءْ ... وانبذْ لحَصْرِ العقلِ بالعَرَاءْ
أولها الحقوقُ بالأعيانِ ... تعلقتْ : كالرَّهْنِ أو كالجَانى
وكزكاة التَّمْرِ والحبوبِ ... إنْ ماتَ بعدَ زمنِ الوجوبِ[2]

٥ - النظم الكبير فى فروع مذهب مالك :

وهو رجز طويل يصل عدد أبياته إلى عدة آلاف ، ويختص بالعقود من بيع ورهن وغيرهما ، وقد بدأه الشنقيطى بقوله :

الحمدُ لله الذى قدْ نَدَبَا ... لأنْ نَميزَ البَيْعَ عن لَبْسِ الرِّبَا
وَمَنَّ بالمؤلِّفينَ كُتُبَا ... تتركُ أطوادَ الجَهَالَةِ هَبًّا
تَكْشِفُ عَنْ عَيْنِ الفؤادِ الحُجُبَا ... إذا حجَابٌ دُونَ علمٍ ضُرِبَا[3]

وقد استشهد الشنقيطى ببعض من هذا الرَّجَز فى سياق إقامته الحجة على أن القول المعتبر المقبول إنما هو بَيِّنَةُ المشترى لا البائع فى كلِّ غائبٍ تَمَّ بيعُهُ بالوصف ، لا بالنظر والمعاينة ، ولا بالرؤية المتقدمة ، وفى ذلك يقول ما نصه : قال مقيد هذه الرحلة عفا الله عنه فى (نظمه الكبير فى فروع الإمام مالك) رحمه الله :

وَالبَيْعُ إنْ بالوصفِ لا بالنَّظَرِ ... فالقولُ فى الصِّفَةِ قولُ المشترى[4]

---

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٩٤ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٢ (من المقدمة) .
(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧١ .

المطلب الثانى
مخطوطاته ببلاد الحجاز

١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة فى الطائرة :

وهو العنوان الذى وضعه الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى لرسالة والده هذه والتى يُبيِّن فيها حكم صلاة المسافر بالطائرة لِمَنْ طَلَبَ منه ذلك ، حيث يقول فى مقدمتها ما نصه : أما بعد : فقد طلب منى بعض فضلاء إخواننا أن أقيد لهم حروفًا تظهر بها صحة صلاة مَنْ صَلّى فى الطائرة ؛ فأجبناهم إلى ذلك .

وقد بَيَّنَ الشنقيطى وجه استنباط صحة هذه الصلاة من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ثم من كلام العلماء على طريقة المناظرة الشرعية الخالية من اللجاج والجدل ، ولا تزال هذه الرسالة فى حوزة ابنه الدكتور عبد الله حتى الآن[١] .

٢ - هل الخلقُ مرزوقٌ من بَرَكَتِهِ ﷺ أو أنَّ للرزق أسبابًا أخرى ؟ :

وقد صدر هذا السؤال من أحد أمراء شنقيط حيث أرسله إلى الشنقيطى يريد منه الجواب ؛ ومن ثم فقد أفاض الشنقيطى فى الجواب مبينًا أن الحكمة التى خُلِقَ من أجلها العالَم ورُزِقَ إنما هى : (إلهيَّة ربانيَّة وليس نبويَّة) وقد جاءت هذه الرسالة فى إحدى عشرة صفحة ، ولا تزال أيضًا فى حوزة الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى حتى الآن[٢] .

---

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٩ .

(٢) راجع فى ذلك (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى) : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٨ .

المبحث الثانى

مؤلفـــاته المطبوعـــة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تفسير (أضـواء البيان) خاصَّة .

٢ - المطلب الثانى : بقية مـؤلفاته المطبوعة عـــامَّة .

وكلها كانت بعد أن استقر به المقام ببلاد الحجاز ، وبلغ عددها خمسةَ عشرَ مؤلفًا شملت كتبه ومحاضراته التى صدرت سواء فى حياته أو بعد رحيله ، ويأتى فى مقدمة هذه المؤلفات تفسيره : (أضواء البيان) وهو المَعْنِىُّ فى هذا البحث ؛ ومن ثم فقد رأينا أن نبدأ بإفراد الحديث عنه ، ثم نتبعه بقية هذه المؤلفات ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول
تفسير (أضواء البيان) خاصة

وتمام اسمه : (أضواء البيَان فى إيضاح القرآن بالقرآن) وهو أَدَلُّ أعمال الشنقيطى الموسوعية ، بل يُعَدُّ أضخمها وأكملها ، وأعمها وأشملها ، وفيما يلى نُعَرِّفُ بهذا التفسير بشىءٍ من التفصيل الذى يناسب موقعه من هذا البحث ، وذلك من خلال تناولنا لكل من :

١ - السبب الباعث على تأليف الأضواء :

جاء تفسير (أضواء البيان) إثر سؤال وَجَّهَه الشيخ عطية إلى شيخه الشنقيطى أثناء قراءته عليه تفسير سورة البقرة الذى أتمه على مدار عامين كاملين فى حلقة الدرس الخاصة التى كانت تعقد يوميًا ما بين المغرب والعشاء ببيت الشيخ فى الرياض .

وفى هذا يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : كانت تلك الدراسة على الشيخ رحمه الله هى رأس مالى فى جُلِّ تحصيلى ، وعليها أساس دراستى الحقيقية سواء فى المقررات أو غيرها ؛ لأن فى سورة البقرة جميع أبواب الفقه ، وعلى مباحثها تنطبق جل قواعد الأصول ، ولا يبعد مَنْ يقول : إن ما بعدها من السور يُعتبر تفسيرًا لها ، أو أن مَنْ أتقن تفسيرها سَهُلَ عليه تفسير ما بعدها ، وقد كانت دراستها سببًا فى تأليف كتابىْ : (دفع إيهام الاضطراب) و (أضواء البيان) وكل منهما إثر سؤال وجواب[1] .

ومع أن الشيخ عطية قد ذكر نص سؤاله الذى أَلَّف شيخه على إثره كتابه الأول[2] إلا أنه لم يذكر نص سؤاله الثانى الذى كان سببًا فى تأليف شيخه للتفسير .

٢ - طبعات الأضواء :

ما لبث أن فرغ الشنقيطى من تأليف الجزء السابع من (أضواء البيان) حتى سارع كثير

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٤ (من المقدمة) .

(٢) وسيأتى ذكر ذلك بعد قليل ضمن حديثنا عن بقية مؤلفات الشنقيطى المطبوعة .

من الأمراء والمحسنين والهيئات الإسلامية فى (المملكة العربية السعودية) إلى طبع هذا التفسير وتوزيعه مجانًا وقفًا لله تعالى على طلاب العلم .

هذا بالإضافة إلى دور النشر الخاصة فى كل من (مصر ولبنان) التى تتولى طبع ونشر وتوزيع هذا التفسير كلما نفذ ؛ نظرًا لما يلقاه من رواج ملحوظ ، وما يحظى به من قَبُول ملموس لدى طلاب العلم وباحثيه على السواء .

وفيما يلى نستعرض طبقات هذا التفسير منذ أن صدر فى طبعته الأولى فى حياة الشنقيطى وحتى طبعته الشرعية السابعة بعد رحيله ، وذلك على النحو التالى :

- ***الطبعة الأولى:***

صدرت هذه الطبعة فى حياة الشنقيطى عام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م) على نفقة صاحب المعالى الشيخ محمد بن عوض بن لاَدن وقفًا لله على طلبة العلم ، وقد تولّت إصدارها مطبعة المدنىّ (المؤسسة السعودية بمصر) بإشراف وتقديم صاحبها ومديرها الأستاذ علىّ صبح المدنىّ .

وقد وقعت هذه الطبعة فى سبعة أجزاء بدأت بتفسير (الفاتحة) وانتهت بتفسير (المجادلة) وقد لوحظ خلوها من ترجمة الشنقيطى وكذا خلوها من تصويب الأخطاء المطبعية ، بالإضافة إلى عدم ذكر الجملة الدُّعَائِية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير[1] .

- ***الطبعة الثانية:***

أصدر السلفيون هذه الطبعة التى تحمل رقم الإصدار الخامسَ عشرَ لهم ، وجاءت كسابقتها من حيث وقوعها فى سبعة أجزاء ، بالإضافة إلى خلوها من كل من : ترجمة الشنقيطى ، وتصويب الأخطاء المطبعة ، والجملة الدُّعَائِية (رحمه الله) ضمن عنوان التفسير .

ومع أن هذه الطبعة قد صدرت بدون تاريخ محدد ؛ إلا أن صدورها فى حياة الشنقيطى يحصرها ما بين عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) وهو (تاريخ الطبعة الأولى) وعام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) وهو (تاريخ وفاة الشنقيطى) .

---

(١) حيث كان الشنقيطى حَيًّا آنذاك ؛ ومن ثم لم تكتب هذه الجملة الدُّعَائِية إلا بعد وفاته ، أما خلو هذه الطبعة من ترجمته فلأنه لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه أو كتابة غيره عنه فى حياته جريًا على ما يشبه أن يكون فهمًا سائدًا أو اتفاقًا ضمنيًا لدى الباحثين من أن (المعاصرة حجاب) .

- **الطبعة الثالثة :**

وهـى الطبعـة الثـانية الـتى أصدرها المـدنىّ عام (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) بـعد وفـاة الشنقـيطى ، وجاءت فى عشـرة أجزاء شـملت الأجزاء السـبعة التـى فسرها الشنـقيطى ، بالإضافة إلى الجزأين الثامـن والتاسع من تتمة تلميذه الشيخ عطية بداية من تفـسير (الحشر) وانتهاءً بتفـسير (الناس) واللذين وُسِمَا بعنـوان : (الأول والثانى من التتمة) واشتملا علـى (رسالة فى النـاسخ والمنسوخ) عبـارة عن شرح للشنقـيطى على عشـرة أبيات للسـيوطى ، بالإضافة إلى (فهرس فقهى لكامل أضواء البيان) من عمل الشيخ عطية .

أما الجزء العاشر والأخـير فقد جاء مشتملاً على مـؤلفين للشنقيطى هما : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعـبد والإعجاز) و(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتـاب) بالإضافة إلى ترجمة الشنقيطى بقلم تلميذه الشيخ عطية .

- **الطبعة الرابعة :**

صـدرت هذه الطبعـة عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) عن الرئاسة العامـة لإدارات البحوث العلمية والإفتـاء والدعوة والإرشاد برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحـمه الله تعالى ، وقد جاءت كسابقتها تمامًا دون أدنى فرق يُذكر ، كما جعلت وقفًا لله على طلبة العلم .

- **الطبعة الخامسة :**

وهى الطبعـة التى اعتمـدها هذا البحث ، والصـادرة عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ، على نفقة صـاحب السمو الملكى الأمير أحمـد بن عبد العزيز ، وقفًا لله تعالى على طلبة العلم .

وقد جاءت هذه الطبـعة فى عشرة أجزاء ، ولم تخـالف سابقتها إلا فى مـوقع ترجمة الشنقـيطى التى جاءت فى أول الأضـواء لا فى آخـره ، ووُسِمَتْ بعنوان : (مع صـاحب الفضيلة والدنـا الشيخ مـحمد الأمين الشنقيطى رحمه الله - بقلم تلميذ الشـيخ عطية محمد سـالم القاضى بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة) واستغرقت أربعًا وستين صفحة .

أما اعـتماد البـحث هـذه الطبعـة فقد جـاء بناءً علـى أنها أوضـح وأحـسـن ، وأنسق وأضبط ، وأدق وأصوب طبـعات الأضواء التى صدرت حتى اليـوم ، وإن لم تكن أحدثها كما سيأتى بيانه بعد قليل .

هذا فضلاً عن أنها أول طبعة يشتـمل عنوانها على تاريخ وفاة الشنقيطى حيث جاء نص

العنوان كالتالى : (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - المتوفى فى ١٧ - ١٢ - ١٣٩٣ هـ رحمه الله) .

● **الطبعة السادسة :**

صدرت هذه الطبعة عن مؤسسة (عالم الكتب) ببيروت بلبنان بدون تاريخ ، إلا أنها جاءت بعد الطبعة الخامسة المعتمدة فى هذا البحث ، وليس ثمة فارق بينها وبين الطبعة الثالثة إلا من حيث اشتمالها على (جداول لتصويب الأخطاء المطبعية) بنهاية كل جزء من أجزاء الأضواء العشرة .

● **الطبعة السابعة :**

وهى الطبعة الشرعية الوحيدة التى أصدرها أخونا وصديقنا الأستاذ عبد الفتاح الزينىّ صاحب مكتبة (ابن تيمية) بالطالبية بالهرم عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) وذلك بموجب حصوله على كافة الحقوق الشرعية من ورثة الشنقيطى ليس فيما يتعلق بـ (أضواء البيان) فحسب ، بل وسائر آثاره العلمية الأخرى[(١)] .

وقد جاءت هذه الطبعة فى تسعة أجزاء فقط ؛ حيث اشتملت على الأجزاء السبعة التى فسرها الشنقيطى ، ثم الجزأين الثامن والتاسع (أو الأول والثانى) من تتمة تلميذه الشيخ عطية ، وتمت طباعتها بمطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، كما اشتملت فى أولها على تقديم موجز استغرق أربع صفحات ممهور فى نهايته باسم : (محمد بن أحمد بن إسماعيل عفا الله عنه)[(٢)] .

ومن الملاحظ على هذا التقديم الموجز أمران :

١ - أنه مُقْتَبَسٌ جُلُّه ما لم يكن كله من مجموع ما كتبه كل من : الشيخ عطية فى ترجمته لشيخه الشنقيطى ، والشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك[(٣)] .

٢ - أنه يفتقد إلى موضوعية الباحث ، ومنهجية المتخصص ؛ وهذا ما يشهد له استعمال بعض المصطلحات فى غير موضعها ، من حيث اضطرابها فى الدلالة على المعنى

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ قبل أ (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ أ - د (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

● أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣ - ٦٤ (طبعة الرياض) .

● علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧١ - ١٩١ .

المقصود بها فى مجال البحوث الشرعية ، ومن أمثلة هذه المصطلحات : وصف الشنقيطى بأنه (من فقهاء المفسرين)(١) ثم وصف التفسير بأنه (التفسير السلفى الأثرى الفقهى)(٢) .

وهكذا يبدو ضم هذه المصطلحات بعضها إلى بعض لِتُكَوِّنَ عبارات عديمة الدلالة على المعنى الذى وُضِعَتْ له فى الاصطلاح ؛ الأمر الذى طبعها بالاضطراب وعدم الدقة ؛ لما يعوزها من التخصص والمنهجية .

٣ - عمل الشنقيطى فى الأضواء :

فسَّر الشنقيطى ثمانى وخمسين سورة بدأت بـ (الفاتحة) وانتهت بـ (المجادلة) حوتها سبعة أجزاء من (أضواء البيان) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسًا وأربعين صفحة (٤٩٤٥ ص) وذلك باستثناء الجزء العاشر الأخير الذى يُعْنَى بعلوم القرآن ويشتمل على كتابىْ : (منع جواز المجاز) و (دفع إيهام الاضطراب) حيث إنهما ليسا من صلب التفسير ، وإن كانا يتعلقان بموضوعه .

٤ - عمل التلميذ فى الأضواء :

أتم الشيخ عطية محمد سالم تفسير (أضواء البيان) بعد رحيل شيخه الشنقيطىّ ؛ وذلك استجابة لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، والذى حثه على وجوب إتمام هذا التفسير من حيث انتهى شيخه(٣) .

وبناءً على هذا التكليف قام الشيخ عطية بتفسير ستٍ وخمسين سورة بدأت بـ (الحشر) وانتهت بـ (الناس) فى الجزأين الثامن والتاسع من (الأضواء) أو الأول والثانى من (التتمة) واللذين استغرقا ألفًا وأربعمائة واثنتين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) .

هذا بالإضافة إلى تلك المراجعة المستوعبة لسائر التفسير ، مع شرح بعض المفردات ، وكذا تحقيق بعض المواضع ، أو التعقيب على أخرى ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ب (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ج (طبعة ابن تيمية بالقاهرة) .

(٣) راجع هذا التكليف فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٣ (طبعة الرياض) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٤٤ (طبعة عالم الكتب ببيروت) .

- **فمثال شرح المفردات :**

ذكره معنى (التُّبَّان) بضم وتشديد التاء ثم فتح وتشديد الباء أى (السراويل الصغير بمقدار الشِّبْرِ الذى يستر العورة)[1] .

- **ومثال تحقيق بعض المواضع :**

تخريجه بيت طرفة بن العبد فى معلقته ، حيث قال : والذى فى معلقته (لِهَجْسٍ خَفِىٍّ) بدلاً من (لِرِكْزٍ خَفِىٍّ)[2] .

- **وأما مثال تعقيبه على بعض المواضع الأخرى :**

فتعليقه على ما ذهب إليه شيخه من وجوب اللؤلؤ والمَرْجَان فى كلٍ من الماء الملْح والعَذْبِ على السواء وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ الآية[3] حيث علَّقَ على ذلك بقوله : يعتبر ذلك فتحًا من الله ؛ لأنه توصل إليه استنتاجًا ؛ فجاء الواقع يشهد بذلك ، وإنْ لم يطّلع عليه رحمه الله[4] .

هذا بالإضافة إلى قيام الشيخ عطية بعمل الفهارس الفنية لكامل أضواء البيان (الأصل والتتمة) كما توضحه النقطة التالية .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦٣ (طبعة الرياض) فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**﴾ يوسف : ٢٤ .

وقد قصر صاحب اللسان (التُّبَّان) على السراويل الصغير الذى يستعمله المَلاَّحُون ، حيث يكون بمقدار الشِّبْرِ الذى يستر عورتهم المغلَّظة فقط ، وذكر فى ذلك حديث عمر بن الخطاب ﷺ : « صَلَّى رجلٌ فى تُبَّانٍ وقميصٍ » والعرب تستعمله مُذَكَّرًا وتجمعه على (تَبَابِين) – انظر مادة (تَبَن) فى لسان العرب :١/ ٤٢٠ .

(٢) وفى هذا البيت يصف طرفة قوةَ سَمْعِ ناقته بقوله :

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى ... لِهَجْسٍ خَفِىٍّ أو لصَوْتٍ مُنَدَّدِ

أى لها أذنان شديدتا الاستماع أثناء سيرها فى الليل بحيث يمكنها سماع الصوت الخفى فضلاً عن سماعها الصوت المرتفع – انظر معلقة طرفة بن العبد فى (شرح المعلقات السَّبع) : الزَّوْزَنِىّ ص ٤٥ – دار بيروت للطباعة والنشر – لبنان – بروت – ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

وفى رواية أخرى : (لِجَرْسٍ خفِىٍّ) – انظر (شرح القصائد السَّبع الطوال الجاهليات) : لأبى بكر محمد بن قاسم الأنبارى ص ١٧٧ – تحقيق وتعليق : عبد السلام هارون – سلسلة (ذخائر العرب) – الكتاب رقم (٣٥) – ط ٤ – دار المعارف – القاهرة – ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٣) الرحمن ٢٢ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٤٨ هـ ١ .

٥ - فهارس الأضواء :

وكلها من عمل الشيخ عطية تلميذ الشنقيطى ، وتشمل الفهارس الثلاثة التالية :

- **فهارس الأصل :**

ونقصد بها فهارس الأجزاء السبعة التى فَسَّرَهَا الشنقيطى من (أضواء البيان) وشملت ثمانى وخمسين سورة بداية بـ (الفاتحة) وانتهاءً بـ (المجادلة) واستغرقت أربعة آلاف وتسعمائة وخمسًا وأربعين صفحة (٤٩٤٥ص) وجاء توزيعها كالتالى :

١ - الجزء الأول : ويشمل أربع سور من (الفاتحة) حتى (النساء)[1] .

٢ - الجزء الثانى : ويشمل ست سور من (المائدة) حتى (يونس).

٣ - الجزء الثالث : ويشمل سبع سور من (هود) حتى (بنى إسرائيل أو الإسراء) .

٤ - الجزء الرابع : ويشمل أربع سور من (الكهف) حتى (الأنبياء) .

٥ - الجزء الخامس : ويشمل سورتين هما (الحج) و (المؤمنون) .

٦ - الجزء السادس : ويشمل أربعَ عشرةَ سورة من (النور) حتى (الصّافّات) .

٧ - الجزء السابع : ويشمل إحدى وعشرين سورة من (ص) حتى (المجادلة) .

- **فهارس التتمة :**

وتشمل فهرسُ الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (تتمة الأضواء) التى فَسَّرَ فيها الشيخ عطية ستًا وخمسين سورة بداية بـ (الحشر) وانتهاءً بـ (الناس) واستغرقت ألفًا وأربعمائة واثنتين وتسعين صفحة (١٤٩٢ ص) وجاء توزيعها كالتالى :

٨ - الجزء الثامن من الأضواء (الأول من التتمة) : ويشمل تسعَ عشرةَ سورة من (الحشر) حتى (المرسلات) .

٩ - الجزء التاسع من الأضواء (الثانى من التتمة) : ويشمل سبعًا وثلاثين سورة من (النبأ) حتى (الناس) .

وبهذا يكتمل أضواء البيان (الأصل والتتمة) بأجزائه التسعة التى شملت جميع سور

(١) مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الجزء الأول قد حوى فى أوله (ترجمة الشنقيطى) بقلم تلميذه الشيخ عطية ، بالإضافة إلى مقدمة فى (أنواع البيان) وذلك على مدار مائة صفحة كاملة .

القرآن الكريم البالغ عددها مـائة وأربع عشرة سورة (١١٤) واستغرقت سـتة آلاف وأربعمائة وسبعًا وثلاثـين صفحة (٦٤٣٧ص) على وجه التحـديد ، أو ستة آلاف وخمسمـائة صفحة (٦٥٠٠ص) على وجه التقريب .

- **الفهرس الفقهى الكامل الأضواء :**

وعن هذا الفهـرس الفقهى واطلاع شـيخه الشنقـيطى على بعضٍ منه فى حيـاته يحدثنا الشيخ عطية قائلاً : ومن فهارس الكتاب فهـرس فقهى) لمواضيع الفقه الموجودة فى مواضع متفرقة فى جـميع أجزائه ، وقد جُمِعَتْ مرتبة على أبواب الفقه ، ومُبَيَّنٌ مرجع كل مسألة بعنوانها فى البـحث ، مع ذكر السورة والآية ، ثم رقم الجزء والصـحيفة ؛ لِيَسْـهُلَ تناولها والاستفادة منها ، وذلك تيسيرًا على الدارس ، وتوفيرًا للوقت ، وكان شيخنا رحمه الله قد اطلع على هذا الفهرس إلى الجزء السادس فاستحسنه ، ولم يمانع فى طبعه مع الجزء الأخير من الكتاب[1] .

وبالفعل فقد ألحق هذا الفـهرس الفقهى بآخر الجزء التاسع الأخـير من الأضواء (الثانى من التتمـة) واستغرق خمس عشـرة صفحة ، حيث تضمن تسـعةَ عشرَ بابًا فقهـيًا بالترتيب التالى : (الطهـارة والنجاسة - الصلاة - الجـنائز - المساجد - الزكاة - الصـيام - الحج - البيوع والرِّبا - الإجارة - النكاح - الخُلْع - اللِّبـاس والزينة - الأطعمة - الميراث - الوقف - الأيمان والنذور - الرِّقّ - الجهاد - وأخيرًا : القضاء)[2] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٦٩٦ - ٩/٧٤١ (الجزء الثانى من التتمة بتصرف يسير) .

(٢) راجع تفصيل هذا الفهرس الفقهى فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٧٧٤ - ٧٥٦ (طبعة الرياض) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٧٤٥ - ٧٦٠ (طبعة المدنى) .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٧٤٥ - ٧٦٠ (طبعة عالم الكتب ببيروت) .

ومما يجدر الالتفات إليه أن هذا الفهرس الفقهى يتفق فى أرقام صفحاته مع سائر طبعات (أضواء البيان) التى تأتى ترجمة الشنقيطى بآخرها كطبعة المدنىّ بالقاهرة ، وطبعة عالم الكتب ببيروت ، فى حين لا يتفق مع تلك الطبعات التى تأتى ترجـمة الشنقيطى بأولها وتستغرق أربعًـا وستين صفحة فى بداية الجزء الأول مثل طبعة الرياض ، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

ولذا ؛ فإنه يلزم إضافة أربع وستين صفحة إلى كل رقم من صفحات الفهرس الفقهى فى طبعتى (المدنى وعالم الكتب) وما شابههما؛ حتى تتفق مـع ترقيم الطبعات الأخرى (كطبعة الرياض، وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) وما شابههما؛ الأمـر الذى ينبنى عليه توحيد صفحات هذا الفهرس الفقهى فى سائر الطبعات ؛ تيسيرًا للفائدة ، وتوفيرًا للوقت .

المطلب الثانى
بقية مؤلفاته المطبوعة عامة

وعددها أربعةَ عشرَ مؤلفًا نورد التعريف بها بحسب ترتيبها الهجائى التالى :

١ - آدابُ البحث والمناظرة :

يقع هذا الكتاب فى جزأين ، ويختص موضوعه بـ (فن المنطق) وقد اقتصر الجزء الأول على (المقدمات المنطقية) فى حين تضمن الجزء الثانى (مسائل هذا الفن وقضاياه) ثم ختمه الشنقيطى تحت عنوان (خاتمة حسنة) ذكر فيها ما نصه : وفى الختام نوصى أنفسنا وإخواننا المسلمين بتقوى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحى الصحيح فى المعتقد وغيره ؛ لأن السلامة متحققة فى اتباع الوحى ، وليست متحققة فى غيره :

وَنَهْجُ سَبِيلى وَاضحٌ لِمَنْ اهتدى ‏ ‏ ولكنها الأهواءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ

وبهذا الذى ذكرنا تعلم أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : (مذهب السلف أسلم) إقرار منهم بذلك ؛ لأن لفظ (أسلم) صيغة تفضيل من (السلامة) وما كان يَفْضُلُ غيره ويفوقه فى السلامة فهو أحكم منه وأعلم ؛ وبه يظهر أن قولهم : (ومذهب الخَلَف أحكم وأعلم) ليس بصحيح ، بل الأحكم والأعلم هو الأسلم كما لا يخفى[١] .

وقد فرغ منه الشنقيطى بالمدينة المنورة يوم الخميس (١٤ - ٥ - ١٣٨٨هـ) الموافق (٨ - ٨ - ١٩٦٨م) ثم أشرف على طبعه ووَضَعَ عناوينَه تلميذه الشيخ عطية المشرف آنذاك على مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى تولت على الفور طبع هذا الكتاب للمرة الأولى ، بل وقررته على طلابها بالفرقتين الأولى والثانية بكلية الدعوة وأصول الدين .

ثم توالت بعد ذلك طبعات هذا الكتاب بجزأيه والبالغ مجموع صفحاتهما مائتين وسبعًا وثلاثين صفحة ، منها ثمان وتسعون فى الجزء الأول ، ومائة وتسع وثلاثون فى الجزء الثانى[٢] .

٢ - الإسلامُ دينٌ كاملٌ :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى بالحرم النبوىّ الشريف بحضرة ملك المغرب

(١) آداب البحث والمناظرة : الشنقيطى ٢/١٣٦ - طبع مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة - ومكتبة العلم بجدة بالمملكة العربية السعودية - (د. ت) .
(٢) راجع نفس الطبعة السابقة .

الراحل محمد الخامس عند زيارته المدينة المنورة ، وقد دار موضوعها حول تفسير قول الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ الآية[1] .

وكان الشنقيطى قد ألقى هذه المحاضرة نزولاً على رغبة ملك المغرب الذى استأذن فى صحبة الشنقيطى فى طريقه من الرياض إلى المدينة المنورة؛ فرافقه تقديراً وإكرامًا، وإلى هذا يشير بقوله : (وبعد فهذه محاضرة ألقيتها فى المسجد النبوىّ بطلب من ملك المغرب)[2] .

وقد ضَمَّنَ الشنقيطى تفسير هذه الآية عشرَ مسائل مهمة جعل عليها مدار الدنيا وخير الآخرة ، حيث قال ما نصه : وهذه الآية الكريمة نص صريح فى أن دين الإسلام لم يترك شيئًا يحتاج إليه الخَلْق فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا أوضحه وبَيَّنَه كائنًا ما كان ، وسنضرب لذلك المثل ببيان عشر مسائل عظام عليها مدار الدنيا من المسائل التى تهم العَالَم فى الدارين ، وفى البعض تنبيه لطيف على الكل :

(الأولى : التوحيد - الثانية : الوعظ - الثالثة : الفرق بين العمل الصالح وغيره - الرابعة : تحكيم غير الشرع الكريم - الخامسة : أحوال الاجتماع بين المجتمع - السادسة : الاقتصاد - السابعة : السياسة - الثامنة : تسليط الكفار على المسلمين - التاسعة : مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار فى العَدَدِ والعُدَدِ - العاشرة : مشكلة اختلاف القلوب بين المجتمع) وسنوضح علاج تلك المشاكل من القرآن الكريم[3] .

ونزولاً على الرغبة الملحة لطلاب العلم ؛ فقد قام الشنقيطى بتقييد هذه المحاضرة مشيراً إلى ذلك بقوله : وقد طلب منى بعض إخوانى تقييدها لنشرها ؛ فلبيت طلبه، راجيًا من الله تعالى أن ينفع بها[4].

وقد طبعت هذه المحاضرة مراراً فى حياة الشنقيطى وبعد رحيله، وكان آخرها طبعة (دار الحديث الخيرية) بالمدينة المنورة تحت عنوان: (محاضرة كبيرة الفائدة للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطىّ) وجاءت فى كتيب من القَطْع الصغير بلغ عدد صفحاته اثنتين وثلاثين صفحة .

ولما كان حق طبع هذا الكتيب مكفولاً لكل مسلم كما ورد ذلك مدونًا على صفحته الداخلية ؛ لذا فقد قامت (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) بإصداره مصوراً على طبعة (دار الحديث

(١) المائدة : ٣ .

(٢) الإسلام دين كامل : للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطى ص ٥ - (محاضرة ألقاها فى المسجد النبوىّ الشريف) - طبعة مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٣) الإسلام دين كامل : الشنقيطى ص ٦ - ٧ .

(٤) الإسلام دين كامل : الشنقيطى ص ٥ .

الخيرية) غير أنها استبدلت بعنوانه عنوانًا آخر استوحته من فحوى الآية ألا وهو : (الإسلام دين كامل) وهو ذات العنوان الذى اعتمده البحث وعَوَّل عليه .

٣ - بيان الناسخ والمنسوخ :

وتمام اسمه : (بيان الناسخ والمنسوخ مِنْ آى الذكر الحكيم) وهو عبارة عن رسالة بالغة الإيجاز تقع فى ست صفحات شرح فيها الشنقيطى عشرة أبيات للسيوطى من كتابه: (الإتقان فى علوم القرآن) .

وكان الشنقيطى قد أملاها على تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى (ذى الحجة ١٣٧٣ هـ = يوليو ١٩٥٤ م) والذى يشير إلى هذا بقوله: كنت قد درستها عليه ، وأعطانيها بخطه ، فبيضتها وصححتها عليه ، ثم ألحقتها فيما بعد بالتفسير لقوة ارتباطها به[١] .

وفيما يلى نص هذه الأبيات العشرة كما نقلها الشيخ عطية عن خط شيخه الشنقيطى ، وكما قرأها عليه :

قَدْ أكثرَ الناسُ فى[٢] المنسوخ مِنْ عدد ... وأدخلوا فيه آيًا[٣] ليسَ تَنْحَصِرُ
وهاكَ تحرير آي[٤] لا مزيد لها ... عشرين حَرَّرَهَا الحُذّاقُ والكُبَرُ
أيُّ التوجه حيث المرء كان وأنْ ... يوصِى لأهليه عندَ الموت مُحْتَضِرُ
وحرمةُ الأكلِ بعدَ النوم مَعْ رَفَثٍ ... وفدية لمطيق الصوم مُشْتَهِرُ
وحقّ تقواه فيما صَحَّ مِنْ أثرٍ ... وفى الحرامِ قتالٌ للأُولَى كفروا
والاعتدادُ بحَوْلٍ مع وصيتها ... وأن يُدَانَ حديثُ النفس والفِكَرُ
والحَلِفُ والحبسُ للزانى وتركُ أُولِى ... كُفْرٍ وإشهادهم والصّبرُ والنّفرُ
ومنعُ عَقْد لزان أو لزانية ... وما على المصطفى فى العَقْد محتظرُ
ودفعُ مَهْرٍ لمَنْ جاءتْ وآية نَجْ ... وَاهُ كذاكَ[٥] قيامُ الليلِ مستطرُ
وزيدَ آيةُ الاستئذان مِنْ مَلَكَتْ ... وآية القِسْمَةِ الفُضْلَى لمَنْ حَضَروا

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٤ و ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .
(٢) وردت فى الأضواء (مِنْ) وصوابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .
(٣) وردت فى الأضواء (أبا) وصوابها (آيًا) جمع (آية) .
(٤) وردت فى الأضواء (أى) وصوابها (آى) جمع (آية) .
(٥) وردت فى الأضواء (كذلك) وصوابها (كذاك) حتى يستقيم الوزن المذكور .

ويختتم الشيخ عطية شرح شيخه على هذه الأبيات معقبًا بقوله : تمت بحول الله رسالة فضيلة الشيخ محمد الأمين المختصرة فى بيان أبيات السيوطى الرمزية تقريبًا فى هذا الفن ، وهى على إيجازها واختصارها كافية شافية للطالب الدارس ، أما المدرس والباحث المدقق والمناقش للأقوال ؛ فإن هناك المطولات لتتمة البحث لبيان إثبات النسخ على منكريه ، وبيان حكمته وأقسامه ، وبيان قوة الناسخ من كتاب أو سُنة ، ومراتبه من شدة إلى ضعف والعكس ، إلى غير ذلك[1] .

• **ملحوظة حول هذه الرسالة :**

على الرغم من أن السيوطى قد ذكر عشرين موضعًا للنسخ تضمنتها أبياته ؛ إلا أن الشنقيطى قد زادها إلى واحد وعشرين موضعًا أثبت النسخ فى ثمانيةَ عشرَ موضعًا ، ونفاه فى موضعين ، ثم ذكر الخلاف فيه فى موضع واحد ، كما أنه لم يشرح البيتين الأول والثانى لخلوهما من الآيات محل النسخ الذى تضمنته الأبيات الثمانية الأخرى .

وقد صدرت هذه الرسالة فى أولى طبعاتها بآخر الجزء التاسع من (الأضواء) والثانى (من التتمة) فى (آخر رمضان المعظم ١٣٩٦هـ = آخر سبتمبر ١٩٧٦ م) بعد رحيل مؤلفها .

٤ - دفعُ إيهام الاضطراب :

وتمام اسمه : (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ويختص موضوعه بـ (علوم القرآن) ويقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد صدر لأول مرة مع رسالة أخرى للشنقيطى بعنوان : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) حيث ضمهما الجزء العاشر من (أضواء البيان) من طبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) وهى ذات الطبعة التى اعتمدها البحث وعوّل عليها .

وعن السبب الباعث على تأليف الشنقيطى مثل هذا الكتاب فى علوم القرآن ، يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : كان سببه سؤالاً عند الدرس عن مدى التوفيق بين قول الله

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٦٩٩ - ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .

• وراجع نص هذه الأبيات فى (الإتقان فى علوم القرآن) : للحافظ جلال الدين السيوطى ٣/٧٧ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ الآيتان[١] مع قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ الآية[٢] ؟ فأجاب رحمه الله باستفاضة ، وذكر لها أمثلة عديدة قائلاً : إن السؤال متنوع ، والمواقف متعددة ؛ فسألته عن تأليف فيها ؟ فقال : لا أعلمه .

فكان رجائى منه أن يؤلف فيه لنفع المسلمين ؛ فوعد خيرًا ثم فعل ، وقد تتبع هذا النوع فى القرآن من أوله إلى آخره ، وهو تجربة أولى موفقة ، ولو أعيدت كتابته فإن فى القرآن بعض مواطن من موضوع الكتاب[٣] .

ثم يبين الشيخ عطية ما لموضوع هذا الكتاب من خصوصية فى بابه فيقول : وهذا الكتاب من أخص ما كُتِبَ فى علوم القرآن ، وموضوعه الجواب عن كل ما يوهم تعارضًا أو اضطرابًا بين بعض آيات القرآن مع بعض ، وهذا وإن كان موضوعه من حيث هو موجود كمفردات تَرِدُ فى مجالها من التفسير ؛ إلا أنها لم يوجد فيها كتاب قد تتبعها فى القرآن كله ، وجَمَعَهَا فى مَحَلٍّ واحد يَسْهُل تناوله ، بل ولا يوجد التنبيه على كل ما جاء فيه فى عمومات التفسير[٤] .

ويوضح الشيخ محمد المجذوب الهدف من هذا الكتاب قائلاً : ويريد شيخنا الشنقيطى رحمه الله بهذا الكتاب إيضاح ما قد يُشْكِل على الغافلين ، وما يثيره بعض المشككين ، من توهم التعارض بين بعضٍ وبعضٍ من آيات الله تعالى[٥] .

ثم يحدثنا الشنقيطى ذاته عن المنهج الذى توخاه فى هذا الكتاب ، والذى ضَمَّنَه المقدمة فيقول: أما بعد : فإن مقيد هذه الحروف عفا الله عنه أراد أن يبين فى هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التى يُظن بها التعارض فى القرآن العظيم ، مرتبًا لها بحسب ترتيب السور ، فيذكر الجمع بين الآيتين غالبًا فى محل الأولى منهما ، وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة ، وربما يكتفى بذكر الجمع عند الأولى ، وربما يحيل عند محل الأخيرة ؛ ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يُظَنُّ تعارضه إلاّ تلك الآية ؛ فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم[٦] .

---

(١) الصافَّات : ٢٤ - ٢٥ (آيتان) .

(٢) الرحمن : ٣٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٣ - ٩/ ٦٩٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٥ (تحت عنوان : شكر وتقدير) .

(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٧٧ (بتصرف) .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ١٠/ ٣ .

- **ملاحظات حول هذا الكتاب:**

وبعد أن عرضنا لسبب تأليف هذا الكتاب ، وعَرَّفْنَا بموضوعه ، ثم بَيَّنَّا الهدف منه ، وأوضحنا منهج مؤلفه فيه ؛ فإننا نأتى إلى جملة تلك الملاحظات التى ترد على هذا الكتاب ، والتى نرصدها فيما يلى :

١ - أورد الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى ، وتابعه فى ذلك الشيخ محمد المجذوب من حيث ذكرهما هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشنقيطى تحت عنوان : (دفع إيهام الاضطراب عن آى الكتاب) بذكر (آى) بدلاً من (آيات) التى نَصَّ عليها الشنقيطى نفسه[1] .

ومع أن معنى (آى) لا يختلف عن معنى (آيات) من حيث كونهما جمعًا لـ (آية) إلاّ أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما اختاره غيره ؛ ومن ثم لزم هذا التنويه من باب ضبط اسم الكتاب وتحريره كما وضعه مؤلفه ، واختاره له .

٢ - تتبع الشنقيطى فى هذا الكتاب كل ما يوهم التعارض فى جميع سور القرآن بحسب ترتيبها فى المصحف عدا اثنتى عشرة سورة هى : (الفاتحة فى أول القرآن) ثم إحدى عشرة سورة بعد المجادلة شملت كلاً من : (الشرح - البينة - التكاثر - الهمزة - الفيل - قريش - الكوثر - المسد - النصر - الإخلاص - الفلق) .

٣ - لم يورد الشنقيطى بعض الآيات التى يوهم ظاهرها التعارض فى مواضعها من سور القرآن ، سواء فى كتابه (دفع إيهام الاضطراب) أو تفسيره (أضواء البيان) بل نراه يورد بعض الإشكال على بعض الآيات فى (الدفع) ولا يورده فى (الأضواء) .

ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض من بين قول الله تعالى : ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ** ﴾ الآية[2] وبين كل من قوله تعالى : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ** ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** ﴾ الآية[4] .

---

(١) راجع فى ذلك كلا من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٣ - ٩/ ٦٩٥ .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٧ .

(٢) النور : ٢٦ . (٣) التحريم : ١٠ .

(٤) التحريم : ١١ - وانظر هذا الإشكال وجوابه فى (سورة النور) فى (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) المطبوع بآخر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٠/ ٢١٧ - ٢١٩ .

وأمـا بعض ما أورده من إشكـال فى (الأضواء) ولم يورده فى مـوضـعه المفـروض فى (الدفع) فمـثاله ما أجـاب به على ما قد يـوهم التعارض بين قـول الله تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ الآية[2] .

وأما دون ذلك من الإشكالات فـقد كررها الشنقـيطى فى كل من (الدفع) و (الأضواء) فى مواضعها من سور القرآن ، ومن أمثلة ذلك ما أجاب به على ما قد يوهم التعارض بين قول الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الآيتان[4] .

٤ - صدر هذا الكتـاب فى طبعات أخرى منفـصلة عن الجزء العاشر من (أضـواء البيان) بطبعـة الرياض، ومن هذه الطبعـات المنفصلة (طبعـة مؤسسـة قرطبة للنشـر والتوزيع بالقاهرة) والتى أصدرها عام (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م)[5] .

٥ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :

صدر هذا الكتـاب بعد وفاة الشنقـيطى فى طبعتـه الأولى عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) عن دار الشروق بجـدة بالمملكة العربيـة السعـودية تحت عنوان : (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى[6] .

ويقع هذا الكتاب فى مائتين وسبع وثمانين صفحة ، استغرقت منها أحداث هذه الرحلة

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٣٥ .

(٢) الأنفال : ٦١ - وانظـر فى ذلك (أضواء البيـان): الشنقيطى ٥٩٦/٧ - ٥٩٩ (من تفـسيـر سورة محمد ﷺ) .

(٣) مريم : ٧١ .

(٤) الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢ (آيتان) - وانظر فى ذلك كلا من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ٣٤٨/٤ (تفسير سورة مريم) .
- دفع إيهام الاضطراب (ضمن أضواء البيان) : الشنقيطى ١٩٢/١٠ - ١٩٣ (سورة مريم) .

(٥) انظر كتـاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتـاب) : لصاحب الفضـيلة العلامـة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٥) انظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : بقلم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى الجكنى - ط ١ - دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ= ١٩٨٣م .

- والجدير بالملاحظة أن يقـال : (الجكنى الشنقيطى) وليس : (الشنقـيطى الجكنى) لأن الأصوب تقديم النسب إلى القبيلة (بنى جاكان) على النسب إلى القطر (شنقيط) .

تسعًا وأربعين صـفحة ، فى حين استغرقت المباحث الـعلمية جُلَّ الصفحات البـاقية والبالغ عددها مائتين وثمانىَ وثلاثين صفحة ؛ مما يؤكد غلبة الطبيعة العلمية على هذه الرحلة .

وقد قَدَّم الشيخ عطية لكتاب شيخه هذا بمقدمة شاملة نافعة ، ضمنها موقع هذه الرحلة من أدب الرحلات ، فضلاً عن مغايرتها لأغلب الرحلات المعـروفة ، مبينًا ما اشتملت عليه من المباحث العلميـة سواء الشرعية منها أو اللغوية ، ومـشيرًا إلى براعة شيخـه فى عرضها واقتداره فى تناولها[1] .

كما قام الدكـتور محمد المختار الابن الأكبـر للشنقيطى بمقابلة هذه الرحلة على أصليْنِ لها ، مشيرًا إلى ذلك فى نهـايتها بقوله : هذا آخر ما كتبـه المؤلف رحمه الله تعالى ، وقد فرغنا من مقابلتها على أصليْها فى (٢٥ رجب عام ١٣٩٩ هـ) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[2] .

وعن الهدف الذى حمل الشنقيطى عـلى تقييد رحلته هذه فيوضحـه فى المقدمة بقوله : أما بعد : فليكن فى علم ناظره أنا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام ، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ لـيستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام ، وأخبار البـلاد والرجال ، وما تجوّل فـيه الأدباء من المجال ، والغرض الأكـبر من ذلك هو تقييد ما أجبنا به عن كل سؤال علميّ سُئلنا عنه فى جميع رحلتنا[3].

وأما منهج الشنقيطى فى هذا الكتاب فيوضح لنا معـالمه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : لقد تميزت هذه الرحلة عن جمـيع الرحلات بما زخرت به من مبـاحث غاية فى الدقة ، وآية فى الروعة ، واشتمـلت صنوفًا وفنونًا كالرَّوْضِ ، أزاهير وأفانين ؛ فنرى الشـيخ رحمه الله قد بدأ رحلته بمقـدمة رائعـة الخيال فى براعـة الاستهـلال ، حيث بيَّنَ الدوافع على السـفر ، واقتحام العقـبات ، وركوب الخطر ، ومفارقة الأوطان ، وفراق الإخـوان ، وهو امتثال أمر الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ الآية[4] ثم أخذ يسجل ما ألقى عليه من الأسـئلة، وما قدَّم عـليها من الأجـوبة ، بأحسن ما يقـال ، فى دروس تُشَدُّ إليها الرِّحال[5] .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٥ - ١١ (المقدمـة بعنوان : رحلة صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين رحمه الله) .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٨٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٤٠ (تحت عنوان : فائدة تقييد رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) .

(٤) آل عمران : ٩٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧ (بتصرف) .

وفيما يلى نعرض لبعض أمثلة تلك المباحث العديدة ، والمسائل المفيدة ، من جملة العلوم الشرعية واللغوية التى احتواها هذا الكتاب ، وذلك على النحو التالى :

• **العلوم الشرعية :**

وشملت ثمانية فنون تمثلت فى كل من :

١ - التفسير :

مثل تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية[١] وقد عرض الشنقيطى من خلال تفسيره هذه الآية لموضعها المتعلق بقصة الغرانيق[٢] ثم أزال الإشكال المتوهم بين رسالة النبى ورسالة الرسول[٣] .

٢ - علوم القرآن :

وتشمل أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والإسرائيليات ، ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطى من سبب نزول قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الآية[٤] .

٣ - الحديث :

ومثاله ما شرحه الشنقيطى من قول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود؛ حتى يقول الحجر وراءه اليهوديّ : يا مسلم هذا يهوديّ ورائى فاقتلْهُ » الحديث[٥] .

---

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الغرَانيق والغرَانقَة : الذكور من طيور الماء البيضاء من ذوات الأعناق والقوائم الطويلة ، مثل طيور (الكرْكىّ أو الكرَاكىّ) وواحدها : (غُرْنُوق وغرنَوق، وغُرْنَيْق وغرنَيْق وغرْنِيق ، وغِرْنَاق، وغُرَانق ، وغَرَوْنَق) كما يُعَبّر به عن كل أبيض شاب ناعم جميل ، ومنه قول الشاعر :

أَلاَ إِنَّ تَطْلاَبَ الصِّبَا مِنْكَ ضِلَّةٌ ... وَقَدْ فَاتَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ الغُرَانِقِ

• انظر مادة (غَرْنَق) فى لسان العَرب : ٣٢٤٨/٤ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٤) الرعد : ٣١ - وانظر (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطى ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الفتن (باب) لا تقوم الساعة حتى يُغْبَطَ أهلُ القبور - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ٦٢/١٢ - حديث =

٥ - الأصـــول :

ومـثال ذلك مـا ذكره الشـنقيطى من الفـروق بين كل من (دلالة الاقـتضـاء ، ودلالة الإشارة ، ثم دلالة الإيماء والتنبـيه) ومع أنها تندرج جـميعهـا تحت دلالة الالتزام ؛ إلا أن الشنقيطى قد عـرض لاختلاف الأصوليين بشأن : هل هى من المنطوق غـير الصريح أو من المفهوم؟[١]

٥ - الفقــه :

ومن ذلك ما فَـصَّلَ فيه الشنقيطى القـول بشأن أنساك الحج ، حيث حـشد الأدلة على تفضـيل الإفراد على كل من التمتع والقِـرَان ؛ وذلك كما يقتـضيه مذهب الإمـام مالك ، والذى كان عليه آنذاك قبل أن يستقر به المقام ببلاد الحجاز بعد حجه هذا[٢] .

٦ - العقيــدة :

ومن ذلك ما أورده الشنقيطى بشأن مذهب أهل السُّنة فى آيات الصفات ، حيث بَيَّنَ أنه المذهب الذى يُسَلِّمُ صاحـبه مِنْ ورطتىْ التعطيل والتشـبيه ، وهو ما كان عـليه سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين[٣] .

٧ - علم الكلام :

ومن ذلك حديث الشنقـيطى عن الصفة النـفسية عند المنـاطقة ، والتى بَيَّنَ أنه لا يُدْرَك بدونها المـوصوف ، وكـذا حديثـه عـن تلك العـداوة والبغضـاء الناشبـة بين فِرَق اليـهود والنصارى ، وإقامته الدليل على ذلك كله[٤] .

٨ - التاريخ والسِّيَر :

ومثال ذلك ما أشـار إليه الشنقيطى من قتال المسلمين والتُّـرْك ، وأن الأدلة تقتضى كونه من أشراط الساعة[٥] .

= رقم (٢٩٢٦) - (طبع الأزهرية) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الفتن وأشراط الساعة (باب) لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ؛ فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - (طبع بيروت) .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٣) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٧٣ - ٨٧ .

(٤) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٦ - ٢٥٤ .

• العلوم اللغويّة :

وشملت أربعة فنون تمثلت فى كل من :

١ - النحــو :

ومن ذلك تبيــان الشنقيطى أن اجتــماع الواو والياء فى كلمــة واحدة ، وكانت الســابقة منهما ساكنة سكونًا أصليًا ليس عارضًا ؛ فإنه يجب قلب الواو ياءً وإدغامها فى الياء ، ومن أمثلته : سيِّد وأصله (سَيْوِد) وميِّت وأصله (مَيْوِت) وصيِّب وأصله (صَيْوِب) .

وهذا ما بَيَّنَهُ الشنقيطى من خلال تحقيقه البيتين التاليين من ألفية ابن مالك :

إنْ يَسْكُــنِ السَّابِقُ مِــنْ وَاوٍ وَيَــا ... وَاتَّصَلاَ ، ومِـــنْ عُرُوضٍ عَرِيَا

فَيَاءً الـــواوَ اقْلِبَـــنَّ مُدْغَـــمَا ... وَشَذَّ مُعْـطًاً غَـيْرَ مَا قَـدْ رُسِمَا[١]

٢ - الأدب :

ومن ذلك قصــيدة جرير التى يهجـو بها الأخطل التغلبى وقومــه من النصارى ، والتى بدأها بقوله :

بَانَ الخَلِيطُ ولو طُوِّعْــتُ مَا بَانَا ... وقَطَّعُوا مِـنْ حِبَالِ الوَصْـلِ أقْرَانَا

حَــيِّ المنازلَ إذْ لا نَبْتَغِــى بَدَلاً ... بالـــدارِ دَارًا ولا الجِيرَانِ جِـيرَانَا

وقد ذكر الــشنقيطى تلك القصيــدة بكاملها ، ثم شرح البـيت الذى سُئل عنه ، والذى يُعَيِّرُ جريرٌ به الأخطلَ وقومه بدين النصرانية وبـتقربهم وتمسحهم بصُلْبَان النصارى ؛ مُدَّعِين أن فعلهم هذا يقربهم إلى الله ، حيث يقول :

هَلْ تَتْرُكُنَّ إلـى القِسِّينَ هِجْرَتَكُمْ ... ومَسْحَهُمْ صُلْبَهُم رَحْمَنَ قُرْبَانَا[٢]

---

(١) راجع شرح هذين البيتين فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ١٣٧ - ١٤٢ .
- شرح ابن عقيل عـلى ألفية ابن مالك : تحقيق مـحمد محيى الدين عبـد الحميد ٢٢٧/٤ (باب الإبدال) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) ويقع هذا البيت قبل الأخير من تلك القصيدة البالغ عدد أبياتها اثنين وسبعين بيتًا والتى ختمها جرير بقوله :

لَنْ تُدْرِكُوا المَجْدَ أو تَشْرُوا عَبَاءَتَكُمْ ... بالخَـزِّ أو تَجْعَلُــوا التَّنُّومَ ضُمْـرَانَا

انظر هذه القصيدة بتمامها فى كل من :

- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٧٠ - ٢٧٦ . =

٣ - البلاغـــة :

ومن ذلك مبحثنا الاستعارة والمجاز اللذان تناولهما الشنقيطى بالتحليل والتفصيل[١] .

٤ - المعاجم :

ومن أمثلتهــا تأصيل الشنقيطى لكلمة (المُطْرَقَة) واشـتقاقها فى اللغـة، والتى حشد على فصاحـتها أدلته مـن القرآن كمـا فى قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ الآية [٢] ومن السنَّة كما فى قـول رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حـتى تقاتلوا التُّرْكَ صِغارَ الأعينُ حُـمْرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوف كأنَّ وجـوههم المِجَانُّ المُطْرَقَة ، ولا تقـومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا قومًا نِعَالُهُم الشَّعْر » الحديث[٣] ومن كلام العرب كقول زهير بن أبى سُلْمَى :

أَهْـوَى لها أَسْفَـــعُ الخَـدَّيْنِ مُطَرِّقٌ ريشَ القَوَادِمَ لم تُنْصَبْ له الشَّبَكُ[٤]

- **ملاحظات حول هذا الكتاب :**

بالرغم من عناية كل من الدكتور مـحمد المختار الابن الأكبر للشنـقيطى ، وكذا الشيخ عطية تلمـيذ الشنقيطى بهـذا الكتاب ؛ إلا أنه تَرِدُ عليه جمـلة من الملاحظات التى نرصدها فيما يلى :

= • ديوان جرير : شرح محمد بن حبيـب ١/ (١٦٠ - ١٦٧) - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٦٩ م .

و (التَّنُّوم) : نوع من الشجر ينبت فى الصـحراء ، أوراقه تميل إلى السواد ، وله حبـوب دَسِمَة تدقها النساء فى البادية ويأخذن من عـصيرها دُهنًا أزرق اللون فيـه لزوجة فَيِدهِنَّ به إذا امْـتَشَطْنَ - انظر مادة (تَنَم) فى لسان العرب : ١/ ٤٥١ .

(١) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٣٨ - ص ٢٨١ .

(٢) المؤمنون : ١٧ .

(٣) أخرجه البخـارى فى صحيحه (كتاب) الجـهاد والسِّيَر (باب) قتال التُّرْكِ - وانـظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٢/ ٦٣ - حديث رقم (٢٩٢٨) - (طبع بيروت) .

(٤) راجع فى ذلك كلا من :

- مادة (طَرَق) فى لسان العرب : ٤/ ٢٦٦٤
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطى ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
- شرح ديوان زهير بن أبـى سُلْمَى : صَنْعَة الإمام أبى العبـاس أحمد بن يحيى بن زيد الشـيبانى المعروف بـ (ثعـلب) - ص١٧٢ - نسخة مـصورة عن طبعـة دار الكتب المصرية ضـمـن سلسلة (المكتبة العربية) من إصدار : وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة (١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م) - الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

١ - بُعْدُ الفارق الزمنى بين الفراغ من مقابلة الدكتور محمد المختار لهذا الكتاب على أصليْه عـام (١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م) وبين صدور أول طبـعة له عـام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) حيث مَـرَّ على ذلك ما يقرب من أربـعة أعوام دونما سـبب ظاهر لهذا التأخـير ؛ رغم الحاجة الماسة إلى الكتاب لدى طلاب العلم وباحثيه .

٢ - أورد الشيخ عطية بعـد تقديمه هذا الكتاب ترجمة موجـزة لشيخه الشنقيطى بعنـوان : (ترجمة حياة موجزة للمؤلف رحمه الله) إلا أن إيجاز هذه الترجمة واختصارها جعلها دون الترجمة الضافية الوافية التى أوردها الشيخ عطية فى أول (أضواء البيان)[١] .

٣ - مع أن الشنقيـطى قد أشار بنفـسه إلى رحلته هذه فى كـتابه : (منع جـواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبـد والإعجاز)[٢] ومـع أن تلميـذه الشيخ عطيــة قـد أشــار إلى ذلك أيضًا فــى ترجمتــه لشيخه فى أول (أضـواء البيان)[٣] إلاّ أن الشيخ عطية لم يورد (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفـات شيخه الشنقيطى ، لا فى ترجمتـه التامة بـ (أول أضـواء البيان) ولا فى مختصرها بـ (أول كتاب رحلة الحج) .

وإذا كان هذا راجعًـا إلى مجئ هذه الترجمة عـام (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م) قبل صدور كل من الكتاب والتفسير ؛ إلاّ أن الشيخ عطية لم يستدرك ذلك بعد صدورهما عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

بل إن الشيخ محـمد المجذوب قـد تابع الشيخ عطية فــى ذلك ؛ حيث لـم يشر إلـى (كتاب رحلة الحج) ضمن مؤلفات الشنقيطى فى ترجمته له للمرة الثالثة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م) أى بعد صدور هذا الكتاب بثلاثة أعوام[٤] .

وذلك على الرغم من إشـارته إلــى أخبـار هذه الرحلة فى ترجمـته الأولى للشنقـيطى بقوله : والمؤسف أننا لا نعـرف الكثير عن انطبـاعات شيخنا الشـنقيطىّ أثناء هذه الرحلة ، ويفهم من محاضرةٍ لتلميـذه الشيخ عطية أنه كتب فيها أوراقًا ضَـمَّنَها مباحث جليلـة ، وقد

(١) قارن بين ترجمة الشنقيطى فى أول (أضواء البيان) على مدار اثنتين وستين صفحة من القطع الكبير (١/٣ - ٦٤) وبين مختصر هـذه الترجمة فى أول (كـتاب رحلة الحج) بعد المقدمة على مدار سبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط (ص ١٢ - ٣٨) .

(٢) منع جواز المجاز فى المنزل للتعـبد والإعجاز (ضمــن الجزء العاشر من أضـواء البيان) : الشنقيطى ١٠/٥٢ (طبعة الرياض) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٥ (من المقدمة) .

(٤) علماء ومفكرون عرفـتهم : محمد المجذوب ١/١٧٨ - ط ٣ - طبع دار النفـائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

رَكَّز فيها على مشكلات أثارها معه بعض علماء أم درمان فى المعهد العلمى بالسودان حول مبحث (القضايا المُوَجَّهَة فى المنطق) وقد سمعنا بعض أخبار هذا الحوار منه رحمه الله ، وخلاصته أن بعض الإشكالات فى هذا الأمر كانت تعترى أولئك الفضلاء ؛ فكان لحواره معهم يومئذ أثره الطيب فى جلائها[1] .

٤ - صدر كتاب تحت عنوان : (مَنْسَك الإمام الشنقيطى) فى ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها ألفًا ومائة وإحدى وتسعين صفحة من القطع الكبير ، وقد تَضَمَّن هذا الكتاب مسائل الحج والعمرة كما فَصَّلَها الشنقيطى فى تفسيره (أضواء البيان) والتى قام بجمعها والتعريف بها وترتيبها وتحقيقها والتعليق عليها وَوَضْع عناوينها وفهارسها ، بالإضافة إلى التعريف الموجز بمؤلفها كل من : الدكتور عبد الله الطَّيَّار ، والدكتور عبد العزيز الحجيلان ، الأستاذين بقسم الفقه بكلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بالمملكة العربية السعودية[2] .

وقد نَبَّهنَا إلى هذا الكتاب لئلا يُتَوَهَّم أنه يختص برحلة الشنقيطى إلى حج بيت الله الحرام ؛ خاصة وأن عنوانه قد جاء مَوْسُومًا بـ : (مَنْسَك الإمام الشنقيطى) وهو ما قد يُفْهَم منه تعلقه بالرحلة ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٦ - الرِّقُّ : أصله ومشروعيته فى الإسلام :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى ضمن محاضراته بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى عُنِيَتْ بإصدار هذه المحاضرة فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها[3] وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٧٨ - ط ١ - طبع دار النفائس ببيروت - نشر : دار الاعتصام بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

- مَنْسَك الإمام الشنقيطى : للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى المتوفى فى (١٧/ ١٢/ ١٣٩٣ هـ) وهو مجموع من تفسيره (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) - جَمَعَه ورتَّبَه وحَقَّقه وعَلَّق عليه ووضعَ عناوينه وفهارسه وقام بالتعريف به وبمؤلفه كل من : الدكتور عبد الله بن محمد أحمد الطَّيَّار الأستاذ بقسم الفقه، والدكتور عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان الأستاذ المشارك بقسم الفقه - كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم - ٣ أجزاء - ط ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

(٣) الرِّقُّ (أصلُه ومشروعيته فى الإسلام) : لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى - من مطبوعات وإهداء وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (د.ت) .

الذى تناول فيه شبهة الرقيق ، ورفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار[1] .

وجدير بالذكر أن الشيخ عطية قد سلك سبيل شيخه إزاء نفس الموضوع الذى دارت عليه محاضرته بالجامعة الإسلامية ، والتى جاءت بعنوان : (الرِّق : معاملته وحقوقه فى الإسلام ، ومقارنة بينه وبين النظم والقوانين الأخرى فى معاملته) ضمن محاضرات الموسم الثقافى السنوى للجامعة الإسلامية[2] .

٧ - المَثَلُ العُليا :

وهو عنوان محاضرة ألقاها الشنقيطى فى افتتاحية الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م) وقد أصدرتها فى كتيب صغير ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه الذى بَيَّنَ فيها المثالية فى العقيدة والتشريع والأخلاق[3] .

٨ - مذكرة أصول الفقه :

وهى شرح على كتاب : (رَوْضَـة الناظِر ، وجُنَّة المُنَاظِر) لابن قدامة الحنبلى[4] جمع

(١) راجع فى ذلك كلاً من :
- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .
- تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ محمد عطية محمد سالم ص ١٤ - من المقدمة التى جاءت بعنوان : (الجامعة الإسلامية ورسالتها) - المحاضرة رقم (٨) - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - ط ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) تعدد الزوجات وتحديد النسل : الشيخ عطية محمد سالم ص ١٤ - المحاضرة رقم (٩) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .

(٤) **ابن قدامة ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) :**

هو شيخ الإسلام الإمام المجتهد القدوة العلاّمة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المَقْدسىّ الجَمَّاعِيلىّ ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى ، و(الجَمَّاعِيلىّ) نسبة إلى مولده بقرية (جَمَّاعيل) بجبل (نَابُلُس) .

كان إمامًا فى التفسير والحديث والأصول وعلم الخلاف والنحو والحساب ، كما كان أوحد زمانه فى الفقه والفرائض ، وقد تَفَـقَّهَ ببغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فبرع فيه وأفتى به ، وله مُصَنَّفَات عديدة مثلها : (المُغْنى فى شرح مختصر الخِرَقى - الكافى - المُقْنع - جزء فى مسألة العُلُو - جزء فى الاعتقاد - جزء فى ذَمِّ التأويل - جزء فى فضل العَشْر) كما يُعَدُّ كتابه (رَوْضَة النَاظِر وجُنَّة المُنَاظِر) من أشهر المصادر وأكثرها عناية بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل خاصة ، مع بيانه لأصول المذاهب الأخرى فى مواطن الخلاف عامة .

وقد عُرِفَ عنه زلهده ووَرَعُه وجُودُه وحياؤه وتواضعه ، مع حُسْن أخلاقه وجمال سَمْته ونوره وبَهَاه ، ثم كثرة عبادته وقوة اتِّبَاعِه ، وكانت وفاته بمنزله بدمشق يوم عيد الفطر حيث صلَّى عليه من =

فيـه الشنقيـطى بين أصول المذاهب الثـلاثة : الحنبلى والمالكى والشـافعى ، بالإضـافة إلى المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف[1] .

ويوضح لنا الشيخ عطـية السبب الباعـث على تأليف شيخـه هذه المذكرة فى هذا الفن قائلاً : فى عـام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) افتتحت الكليـات فى الرياض ، وقد بدأت آنذاك بكلية الشريعة ، وقُرِّرَ فيها كتاب (رَوْضَة النَاظِرِ) للعلامة ابن قُدَامَة من أشهر أئمة الحنابلة ، وقد اختير هذا الكتاب لسعته وملاءمتـه وعنايته بقواعد مذهب الإمام أحمد رحمه الله ، مع بيانه لأصول بقية المذاهب فيما فيه الخلاف .

ولما كانت دراسة هذا الفن جديدة آنذاك ؛ لذا فقد كان الطلاب يجدونه غريبًا وصعبًا ، ولا سيـما أن الكتاب المقـرر بأسلوبه المتقدم ، وتفـريعاته الواسعـة ، كان لابد للطلاب من مذكرة عليه تحل إشكاله، وتكشف غموضه ، وتجمع شتاته ، وتفصّل مجمله .

وكان الذى تولى تدريسه هو فـضيلة المؤلف حفظه الله[2] ومن ثم فقد أملى هذه المذكرة فى السنوات الأولى من تدريسـه فى الرياض ، غير أن الطلاب ظلوا يتنـاقلونها فيـما بينهم دون أن تطبع لهم إلى أن تخرجتْ الدفعات الأربع الأُوَل .

وعندما افـتتحت الجـامعة الإسـلامية بالمدينة المنورة عـام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) انتقل فضيلة المؤلف إلى الجامعة منذ عامها الأول ، وقـد تولى تدريـس المادة فـى نفس الكتاب (رَوْضَة النَاظِرِ) وتناقل الطلاب أيضًا نفس المذكرة[3] .

ولا يخفى الهـدف المقصـود مـن تأليف هذه المذكـرة، والذى يوضحه الشـيخ عطية فى

= الغد ودُفِنَ بِسَفْح جبل (قاسيون) من عامة المذكور .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٢٢/١٦٥ - ١٧٣ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٧/١١٦ - ١٢٠ .
- التكملة لوفيات النَّقَلَة : زكى الدين المنذرى ٥/١٥٨ - ١٥٩ .
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : للحافظ زين الدين أبى الـفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البـغدادى الدمشقى المعروف بابن رجب الحنبلى - (٢/١٣٣ - ١٤٩) - صـححه ووقف على طبعه : محمد حامد الفقى - مطبعة السُّنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

(١) مذكـرة أصول الفـقه : تأليف صـاحب الفضـيلة الشيخ مـحمـد الأمين بن محـمد المختـار الجكنى الشنقيطى (على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة) ص ٤ - ٥ (بتصرف ويسير) - الطبعة ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

(٢) حيث كان الشنقيطى حيًا آنذاك ؛ ومن ثم قال : (حفظه الله) ولم يقل : (رحمه الله) .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٤ - ٥ (بتصرف) .

تقديمه لها بقـوله: تحل هذه المذكرة للطلاب إشكال هذا الفن ، وتكشف غمـوضه ، وتجمع شتاته ، وتُفَصِّلُ مجـمله ؛ ومن ثم يجدون فيها أكثر ما تصبـو إليه نفوسهم ، وتتطلع إليه أفكارهم فى فن الأصول ؛ مما يمكن أن تغنيهم عن غيـرها ولا يكاد يغنى غيرها عنها ، ولا سيمـا فى مواطن الترجيح والمباحث العـقلية ؛ حيث يجدونهـا بعيدة عن تعقيـد الفلسفة ، وخالصة من شوائب السفسطة ، وناصعة بنور الحق على هَدْى الكتاب والسُّنة وعقيدة سلف الأمة[1] .

وليس من شك فى أن هذه المذكرة قـد تركت أثرها الواضح على الأجيال المتـلاحقة من طلاب العلم فى بلاد الحجاز خاصة ، والعالم الإسلامى عامة ، وهذا ما يقرره الشيخ عطية بقوله : كانت هذه المـذكرة المباركة هى الأساس لجـميع المتخرجين فى كليـات الإدارة العامة للمعاهد والكليات لآل الشيخ[2] بل وقد عَمَّ نفعها ولله الحمد حتى أصبح لطلابها المتخرجين عليها مؤلفات فى هذا الفن ضمن مقررات المعـاهد العلمية التى درسوا فيها ، بالإضافة إلى معهد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومعاهد أخرى ثانوية خارج بلاد الحجاز[3] .

شرح الشنقيطى فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَة النَّاظِر) لابن قدامة من خلال أربعة أقسام موزعة على مقررات أربع سنوات دراسية جاء بيانها على النحو التالى :

١ - مقـرر السنة الأولى : ويشمل حقـيقة الحكـم وأقسامه ، ثـم باب أدلة الأحكام وأولها القرآن الكريم.

٢ - مقرر السنة الثانية : ويشمل السُّنَّة وهى ثانى الأدلة ، ثم الإجماع وهو ثالث الأدلة مع تعريفه لغةً وشرعًا ، وتقسيمه إلى قَطْعِىٍّ وظَنِّىٍّ .

٣ - مقرر السنة الثـالثة : ويشمل اللغة من حـيث تقسيم الكلام ، ثم مسألة الأمـر يقتضى الفور ، وأخيرًا باب الفحوى والإشارة .

٤ - مقرر السنة الرابعة : ويشـمل القياس ، ثم الاجتهاد والتقليد ، وأخـيرًا تختتم المذكرة بملحق يتعلق بمبحث القياس .

ولشدة حاجة طـلاب العلم إلى هذه المذكرة ، وما تحويه من المسائل الأصوليـة المهمة ؛ فقد قام الشيخ عطية بجمـعها قائلاً : لما كانت هذه المذكرة متناثرة الأطراف لدى الطلاب ،

---

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ - ٦ .

(٢) ويقصد به سمـاحة مفتى الحجاز الأسبق الشـيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، حفـيد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب رحمهما الله تعالى .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

بحيث لا تكاد توجد مجتمعة عند أحدهم ؛ لذا فقد لَمَسْتُ فيها من مهام هذا الفن وتوجيهات قضاياه ما حَمَلَنِى على جمعها كلها والعناية بها[1] .

ويعود الشيخ عطية إلى مراجعة هذه المذكرة تمهيداً لطبعها مِنْ قِبَلِ الجامعة الإسلامية التى رغبت فى هذا ؛ حيث يقول ما نصه : وقد رغبت الجامعة الإسلامية فى جمعها مكتملة بعد تحقيقها وتدقيقها وتصحيحها على فضيلة المؤلف حفظه الله[2] لتكون أثراً من آثارها المجيدة ، فكان ذلك نعمة متجددة لِى بدراستها وإتقانها، وها هى بين يدىْ الطلاب[3] .

وبالفعل فقد صدرت هذه المذكرة فى طبعتها الأولى عام (١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م) فى حياة مؤلفها الشنقيطى ضمن مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجاءت فى ثلاثمائة وثمان وستين صفحة بتقديم جامعها الشيخ عطية تلميذ المؤلف ، وهى ذات الطبعة التى اعتمدها البحث وعوّل عليها .

ملاحظات حول هذه المذكرة :

وبعد التعريف بهذه المذكرة ومحتواها ، وبيان السبب الباعث للشنقيطى على تأليفها ، وكذا هدفها الذى توخّاه منها ؛ فإنه تَرِدُ عليها جملة من الملاحظات التى نرصدها من خلال :

١ - على الرغم من أن كتاب (رَوْضَة النَاظِر وجُنَّة المُنَاظِر) لابن قدامة يُعْنَى بأصول المذهب الحنبلى ، إلا أنه قد تأثر بأصول المذهب الشافعى ، ثم جاءت المذكرة متأثرة بدورها بأصول المذهب المالكى ، ومقارنة بأصول المذهب الحنفى فى مواطن الخلاف .

وجمع المذكرة لأصول هذه المذاهب الأربعة هو ذات ما يشير إليه الشيخ عطية بقوله : والجدير بالذكر أن الكتاب المقرر (رَوْضَة النَاظِر) متأثر كثيراً بكتاب (المُسْتَصْفَى) للغزالى[4]

---

(١) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٢) حيث كان الشنقيطى حَيّاً آنذاك كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٤) **أبو حامد الغزالى ت (٥٠٥ هـ = ١١١٢ م) :**

هو الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسىّ الشافعىّ الغزالىّ ، تفقه على إمام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وفنون عديدة ؛ حتى إنه ساد فى شبيبته ، فدرّس فى (النظاميَّة) ببغداد ، وكان يحضر له رؤوس العلماء فى وقته آنذاك كابن عقيل وأبى الخطّاب من أئمة الحنابلة ، وقد تعجبوا من فصاحته وذكائه واطلاعه . =

فى أصول الشافعية ، وهذه المذكرة متأثرة أيضًا بـ (مَرَاقِى السُّعُود) فى أصول المالكية[1] وبهذا التأثر المزدوج تكون تلك المذكرة مفيدةً أصالةً فى المذاهب الثلاثة : الحنبلىّ والشافعىّ والمالكىّ ، وأيضًا فى المذهب الحنفىّ فى مواطن الخلاف حينما تتعرض له[2] .

وهذا خلاف ما قد يفهم من أن هذا الكتاب (رَوْضَة النَاظِر) لابن قدامة ، وشرح الشنقيطى عليه فى (مذكرة أصول الفقه) إنما يختصان فقط بأصول المذهب الحنبلى ؛ ومن ثم لزم التنبيه .

٢ - شَرَحَ الشنقيطى فى هذه المذكرة كتاب (رَوْضَة النَاظِر) كاملاً إلاّ مقدمة مؤلفه ابن قدامة ، وهذا ما يُبيِّنه الشيخ عطية بقوله : شملت هذه المذكرة (روضة الناظر) كلها ما عدا المقدمة المنطقية التى افتتح بها المؤلف كتابه ، والمتضمنة ما لابد منه من اصطلاحات المتكلمين المتداخلة لهذا الفن ؛ وذلك تسهيلاً لفهمها ، ومسايرة لمنهج دراستها ، وقد شملت مباحث : (الحد والبرهان ، وأنواع الدلالة ، ثم أقسام القضايا) ونحو ذلك مما لم تتعرض له هذه المذكرة[3] .

٣ - اختتم ابن قدامة كتابه (روضة الناظر) وتابعه الشنقيطى فى شرحه عليه فى (مذكرة أصول الفقه) بمبحث القياس، غير أن الشيخ عطية قد أثبت بنهاية المذكرة (مُلْحَقًا) بهذا المبحث كان قد سَجَّلَه ونقله عن شيخه الشنقيطى ، وهذا ما يوضحه بقوله : مُلْحَق

= خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على أعمال الآخرة ، فكان يرتزق من النَّسْخ ، وقد رحل إلى الشام فأقام بدمشق حينًا ، ثم رحل إلى بيت المقدس مدة صنَّف خلالها كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) ومن مصنفاته الأخرى العديدة : (البسيط - الوسيط - الوجيز - الخلاصة - المستصفَى - المنخول - اللُّباب - المنتحل فى الجدل - تهافت الفلاسفة - مَحَكّ النظر - شرح الأسماء الحسنى - المنقذ من الضلال) وغيرها .

وقد ابتنى رباطًا له فى داره ببلده (طوس) وغرس فيها بستانًا أنيقًا ، ثم أقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، وقد ظل على حاله تلك حتى كانت وفاته الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلِّكان ٤/٢١٦ - ٢١٩ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبىّ ١٩/٣٢٢ - ٣٤٦ .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكى ٦/١٩١ - ٣٨٩ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٦/٢١٣ - ٢١٥ .

(١) سيأتى التعريف به ضمن حديثنا عن شرح الشنقيطى عليه المسمى : (نثر الورود على مراقى السعود) فى أصول فقه المالكية ص من هذا البحث .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٥ (بتصرف يسير) .

لمبحث القياس كنت قـد سَجَّلْتُه من دروس فضيلة الوالد الشيخ محمّد الأمين الشنقيطيّ فى المسجد النبويّ فى (رمضان عام ١٣٨٩ هـ = نوفمبر عام ١٩٦٩ م) فى التفسير عند قول الله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ الآية[١] .

وقد ناقش فيه فضيلته إثبات القياس على منكريه ، وأورد أقسامه وأمثلته العديدة ؛ مما لا يتسع له محلّه من الكتاب المقرر ، ولا يستغنى عنه طالب لإيضاحه وشموله ، وقد دَوَّنْتُهُ وصححتُهُ على فضيلته ، ثم عُرِضَ بعد ذلك على سماحة رئيس الجامعة[٢] فارتأى طبعه مع هذه المذكرة تعميمًا للفائدة[٣] .

٤ - صدرت هــذه المذكرة فى عدة طبعات أخرى بعد ذلك نذكر منها هاتين الطبعتين **الأولى** : وهى طبعة المدرسة السلفية ، وقد كتب عليها (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) وهذا ما لم نعهده على مؤلفات الشنقيطى ألبتة !! بل ويخالف المبدأ الذى التزمه فى عدم التكسب بتلك المؤلفات التى جعلها لوجه الله الكريم ؛ خدمة لطلاب العلم وباحثيه ، **والثانية** : وهى طبعة المكتبة السلفية ، والتى قام بنشرها صاحبها محمّد عبد المحسن الكتبيّ بالمدينة المنورة ، وقد لوحظ صدور هاتين الطبعتين بدون تاريخ ، فضلاً عن عدم ذكر موطن الأولى منهما .

٩ - المصالحُ المرْسلَة :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشيخ عطية نيابةً عن شيخه الشنقيطيّ ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م)[٤] والتى أشار إليها ضمن مؤلفات شيخه بقوله : لقد بَيَّنَ رحمه الله فى هذه المحاضرة ضابط استعمال المصالح المرسلة بين الإفراط والتفريط[٥] .

وقد قامت الجامعة الإسلامية بطبع هذه المحاضرة فى كتيب صغير بلغ عدد صفحاته

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) والمقصود به الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، الذى كان رئيسًا للجامعة الإسلامية آنذاك .

(٣) مذكرة أصول الفقه : الشنقيطى ص ٣٤١ (بتصرف يسير) .

(٤) ترجمة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى : جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ص ١٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .

سبعَ عشرةَ صفحة ضمن مطبوعاتها التى تقوم بإهدائها وتوزيعها[1] .

١٠ - المنظوم وشرحه فى فن المنطق :

جاء ذكر هذا الكتاب على لسان الشنقيطى عقب ذكره مبحث (السَّبْر والتقسيم) عند المناطقة بقوله :

والسَّبْر والتقسيم عند المناطقة هو الشرطىّ المنفصل ، وهو ثلاثة أقسام ؛ لأن الشرطية المنفصلة التى يتركب منها الشرطىّ المنفصل ثلاثة أقسام ، وقد حررنا هذه المباحث فى كتابنا : (المنظوم وشرحه فى فن المنطق)[2] .

- **ملاحظات حول هذا الكتاب :**

١ - بالرغم من إشارة الشنقيطى السابقة إلى كتابه هذا ؛ إلاّ أن تلميذه الشيخ عطية لم يورده ضمن مؤلفات شيخه عند ترجمته ، بل وقد تابعه الشيخ محمد المجذوب فى ترجمته للشنقيطى كذلك[3].

٢ - طُبِعَ هذا الكتاب طبعة تعليمية فى حياة مؤلفه اقتصرت على طلاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والذين دَرَّسَ لهم أستاذنا الدكتور الحسينى أبى فرحه هذا الكتاب من خلال مادتىْ : (المنطق) و (الرد على المناطقة) عام (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م)[4] . ومنذ ذلك الحين لم يطبع هذا الكتاب طبعة تجارية يمكن من خلالها نشره خارج بلاد الحجاز بعيدًا عن هذا الغرض التعليمىّ .

٣ - لعل أصل هذا الكتاب مأخوذ عن (ألفية المنطق) التى أسلفنا ذكرها ضمن مؤلفات الشنقيطى المخطوطة .

---

(١) المصالح المرسلة : محاضرة لفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنىّ الشنقيطىّ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطىّ ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) راجع فى ذلك كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٥٣ - ٥٥ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/١٨٦ - ١٨٨ .

(٤) كما أخبرنى بذلك أثناء زيارتى العلمية لفضيلته بمنزله بالقاهرة عصر الجمعة (٢٨ - ٥ - ١٤٠٦ هـ) الموافق (٧ - ٢ - ١٩٨٦ م) فجزاه الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء .

١١ - منع جواز المجاز :

وتمام اسمه : (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) وهو ما يُعَرِّفُه الشيخ عطية بقوله : هو عبارة عن رسالة موضوعها إبطال إجراء المجاز فى آيات الأسماء والصفات ، وإيفاؤها على الحقيقة[١].

والسبب الباعث على تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فى علوم القرآن ، يوضحه تلميذه الشيخ عطية كذلك قائلاً : كان رحمه الله قد كتبها رداً على مناقشات أثيرت حول آيات الصفات ، وما يدور فيها من نقاش بين مذهبىْ السَّلف والخلف ، وإتيانها على حقائقها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

وقد بَيَّنَ صرفها عن حقائقها بنوع تأويل على أسلوب المجاز فى اللغة العربية على ما هو متعارف؛ فكان القول بالمجاز فى اللغة أقوى موجب للتأويل فى آيات الصفات ؛ ومن ثم كانت هذه الرسالة لهذا الموضوع[٢] .

أما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى بتأليف هذه الرسالة فهو ما جاء على لسانه فى قوله : والمقصود من هذه الرسالة نصيحة المسلمين وتحذيرهم من نفى صفات الكمال والجلال ، التى أثبتها الله تعالى لنفسه فى كتابه العزيز ؛ بادعاء أنها مجاز وأن المجاز يجوز نفيه ؛ لأن ذلك من أعظم وسائل التعطيل[٣] .

ويزيد هذا الهدف توضيحًا تلميذه الشيخ عطية بقوله : وكان الغرض من هذه الرسالة هو الحفاظ على آيات الصفات من إدخال المجاز ، وعمدة ما فيها : أن المجاز وإن كان أسلوبًا لغةً ؛ فليس كلُّ ما جاز لغةً جاز قرآنًا[٤] .

كما يضيف الشيخ المجذوب بُعْداً آخر للهدف من تأليف الشنقيطى هذه الرسالة فيقول : وغرض شيخنا الشنقيطى من رسالته هذه هو نفى ادّعاء المجاز فى أسماء الله وصفاته ، وإجراؤها على طريقة السَّلف ، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ، كما يفعل بعض المتكلمين الذين يكادون يبطلون كلَّ ما أثبته الله لذاته فى الكتاب ، وكلَّ ما أثبته له رسوله ﷺ فى الحديث الصحيح[٥] .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٣ (من المقدمة) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٤ (الجزء الثانى من التتمة) .
(٣) منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن الجزء العاشر من أضواء البيان) : الشنقيطى ١٠/ ٤ (طبعة الرياض) .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٥ (الجزء الثانى من التتمة) .
(٥) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٧ .

وقد تضمنت مقدمة هذه الرسالة منهج الشنقيطى فيها ، والذى يبيّنه قائلاً : وسمّيته (منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) ورتَّبتُه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلى :

المقدمة : فى ذكر الخلاف فى وقوع المجاز فى أصل اللغة ، وأنه لا يجوز فى القرآن على كلا القولين .

الفصل الأول : فى بيان أنه لا يلزم من جواز الشىء فى اللغة جوازه فى القرآن ، وذكر أمثلة لذلك .

الفصل الثانى : فى الجواب عن آياتٍ زعموا أنها من المجاز نحو قول الله تعالى : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الآية[1] .

الفصل الثالث : فى الأجوبة عن إشكالات تتعلق بنفى المجاز ونفى بعض الحقائق ، ويشتمل على أمور تتعلق بالموضوع .

الفصل الرابع : فى تحقيق المقام فى آيات الصفات ، مع نفى المجاز عنها .

الخاتمة : فى وجه مناظرة النافى لبعض الصفات بالطرق الجدلية[2] .

وقد وقع هذا الكتاب فى اثنتين وستين صفحة ، وصدر فى أولى طبعاته مضمومًا إلى كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ضمن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

وكان الشنقيطى قد أشار إلى فراغه من جمعه أثناء إقامته بمدينة الرياض ، حيث ذكر ذلك فى الخاتمة بقوله :

والحَقُّ أَبْلَجُ لاَ تَزِيغُ سَبِيلُهُ   والحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوو الألبابِ

وهنا انتهى ما أردنا جمعه بمدينة الرياض المحروسة ، جعلها الله آمنة مطمئنة ، ونرجو الله أن يرزقنا الإخلاص فى العمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل[3] .

---

(١) الكهف : ٧٧ .

(٢) منع جواز المجاز الشنقيطى ١٠/ ٤ - ٥ (طبعة الرياض) .

(٣) منع جواز المجاز : الشنقيطى ١٠/ ٤ - ٥ (طبعة الرياض) .

وجدير بالذكر أن إقامة الشنقيطى بمدينة الرياض قد امتدت على مدار عشر سنوات منذ عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) وحتى عام (١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م) الذى افتتحت فيه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والتى انتقل إليها الشنقيطى للتدريس بها فى أول أيامها واستمر على ذلك حتى وفاته عام (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) .

• **ملاحظتان حول هذا الكتاب :**

١ - ذكر الشيخ عطية فى نهاية الجزء التاسع من (أضواء البيان) أو (الثانى من التتمة) أن من مؤلفات شيخه رسالة : (منع جواز المجاز عن المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) حيث ذكر (عن) بدلاً من (فى) خلافًا لاختيار المؤلف الذى ذكر (فى) ولم يذكر (عن)[١] .

ومع أن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض فى اللغة ؛ إلاّ أنه لا يخفى أن إثبات ما اختاره المؤلف مقدم على إثبات ما يختاره سواه ؛ ومن ثم لزم هذا التنبيه .

بل إن الشيخ عطية نفسه قد أثبت اسم الكتاب فى مواضع أخرى بذكر (فى) بدلاً من (عن) كاختيار شيخه فى ذلك[٢] .

٢ - صدر هذا الكتاب فى طبعات أخرى منفصلة عن الجزء العاشر من (أضواء البيان) بطبعة الرياض ، ومن هذه الطبعات : طبعة مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالهرم بالقاهرة عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م)[٣] .

١٢ - منهجٌ ودراساتٌ لآياتِ الأسماءِ والصفاتِ[٤] :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطى ضمن محاضراته العديدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وذلك فى (رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م) حيث أصدرتها الجامعة لأول مرة آنذاك ضمن مطبوعاتها ، وجاءت فى ست وعشرين صفحة متوسطة ، وقد أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه بقوله : ومن المحاضرات العديدة ذات المواضيع المستقلة التى طبعت كلها ونفذت محاضرة : (آيات الصفات) التى أوضح فيها رحمه الله تحقيق إثبات صفات الله تعالى[٥] .

وقد أعيد طبع هذه الرسالة فى ست وعشرين صفحة من قِبَلِ دار الاعتصام للطبع

---

(١) منع جواز المجاز : الشنقيطى ١٠/ ٤ (طبعة الرياض) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥٣/١١ (من المقدمة) .
(٣) منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز : لصاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى رحمه الله - مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع - الهرم - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطى - ط ١ - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - رمضان المعظم ١٣٨٢ هـ = فبراير ١٩٦٣ م .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .

والنشر والتوزيع بالقاهرة التى تولت إصدارها عدة مرات[١] .

وأما الهدف الذى قصد إليه الشنقيطى فى هذه الرسالة العقائدية فيتمثل فى إبانته عن منهج السَّلف فى الاعتقاد من حيث فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، وهذا ما يوضحه فى مقدمة الرسالة بقوله : أما بعد : فإنا نريد أن نوضح لكم معتقد السَّلف ، والطريق المنجى نحو آيات الصفات ، واعلموا أن كثرة الخوض والتعمق فى البحث فى آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة فى ذلك الأمر ؛ كل هذا من البدع التى يكرهها السَّلف[٢] .

كما يحدد الشنقيطى الأسس الثلاثة التى ارتكز عليها منهجه فى هذه الرسالة فيقول : اعلموا أن مبحث آيات الصفات دَلَّ القرآن العظيم على أنه يتركز على ثلاثة أسس ، مَنْ جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبىّ ﷺ وأصحابه والسَّلف الصالح ﷺ ومَنْ أخَلَّ بواحدٍ مِنْ تلك الأسس الثلاثة فقد ضَلَّ ، وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم كما يلى :

● أما أول هذه الأسس: فهو تنزيه الله جلَّ وعلا عن أن يشبه شىء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الآية[٤] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[٥] .

● وأما ثانى هذه الأسس : فهو الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله مِن الله : ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية[٦] والإيمان بما وصفه به رسول ﷺ لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال فى حقه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ الآيتان[٧] .

● وأما ثالث هذه الأسس : فهو قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص الله عليه فى قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الآية[٨] .

(١) انظر تلك الطبعة بنص العنوان التالى :

● منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: للشيخ محمد الأمين الشنقيطىّ المتوفى عام ١٣٩٣هـ رحمه الله وغفر له ، وأجزل له الأجر والثواب - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - نشر دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطىّ ص ٣ .

(٣) الشورى : ١١ . (٤) الإخلاص : ٤ . (٥) النحل : ٧٤ .

(٦) البقرة : ١٤٠ . (٧) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

(٨) طه : ١١٠ - وانظر (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) : الشنقيطى ص ٣ - ص ٢٤ (بتصرف) .

وفى النهاية يختم الشنقيطبى رسالته هذه بنصيحة المسلمين قائلاً : وختامًا يا إخوانى : نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله ، وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث ، ثم أورد ذات الأسس الثلاثة التى سلف ذكرها[1] .

١٣ - منهج التشريع الإسلامىّ وحكمته :

وهو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشنقيطىّ فى افتتاح الموسم الثقافى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) حيث طبعها مركز شئون الدعوة الإسلامية بالجامعة لأول مرة آنذاك تحت رقم (٦٧) وجاءت فى خمس وعشرين صفحة[2] .

وقد بيَّن الشيخ عطية مضمون محاضرة شيخه، موضحًا نضج وشمول ، وكمال وعموم منهج التشريع الإسلامى ؛ بما جعله منهجًا فريدًا متميزًا عما سواه ، خاصة وأن حكمة هذا المنهج تتمثل فى فوز مَنْ يلتزمه ويتمسك به بنعيم الدارين فى الدنيا والآخرة ، وبهذا يقدّم لهذه المحاضرة قائلاً : وهذه المحاضرة مرآة ونِبْرَاس يعتز به كل مسلم يعمل لإعزاز دينه ؛ فهى تكشف له جانبًا هامًا[3] من جوانب عظمة هذا الدين القويم فى منهجه وحكمته ؛ كما سيجد الداعى إلى الله حجة وسلطانًا للمناضلة أمام تيارات الغرب الجارفة ؛ تُسْكِتُ أبواق الدعاية الغربية ، وعُدَّةً لإحباط الحملات المنظمة للنيل من عزة الإسلام وحضارته .

بل هى كالصخرة التى تتحطم عليها تيجان عزة القوانين الوضعية[4] التى هى غاية منتهى صنع البشر ونهاية إنتاج عقولهم ، فتجعلها تتهاوى على أطرافها أشلاءً وألوانًا تعبِّر عن حقيقة نشأتها من تلون الفكر الإنسانى وتغيره أمام المشاكل والأهداف ؛ فَتَخِرّ صاغرة أمام عظمة هذا المنهج الإسلامى القويم الذى جاء من لدن حكيم عليم لا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وسع كل شىء رحمة وعلمًا ، فهو سبحانه العالم بكل شىء ، والقادر على كل شىء ، ورحمته وَسِعَتْ كل شىء .

فبمقتضى علمه لا يطرأ على منهجه خَلَل، لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه ،

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : الشنقيطى ص ٢٦ .

(٢) منهج التشريع الإسلامى وحكمته : لفضيلة الشيخ محمّد الأمين الجكنىّ الشنقيطىّ - الطبعة ١ - الكتاب رقم (٦٧) - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) وصوابه (مُهِمًا) من قولهم : (أَمْرٌ مُهِمٌّ) أى يدعو إلى اليقظة والتدبير - انظر مادة (هَمَم) فى المعجم الوسيط : ١٠٣٦/٢ .

(٤) لا وجه هنا لإثبات العزة وتيجانها للقوانين الوضعية ؛ فهذا ما يؤدى إلى نقيض قصد المؤلف الذى يتمثل فى إبرازه تمام وكمال المنهج الإلهىّ الذى لا تدانيه عزة ولا تسمو فوقه تيجان !! ومن ثم فلا مسوغ لهذا التعبير سوى تخريجه على (تيجان العزة المزعومة) على حَدِّ ادّعاءات واضعى هذه القوانين ، ووفقًا لافتراءاتهم .

وبمقتضى قدرته لا يلحقه عجز عن شىء ، وبمقتضى رحمته يخلو منهجه عن كل ضُرٍّ ويجلب لنا كل خير ؛ وبمقتضى الجميع يكون منهج شريعته شاملاً لكل خير ، مُبرّأً من كلّ ضُرٍّ ، كما روى عن رسول الله ﷺ : «ما تركتُ خيراً إلاّ بيّنتُه لكم وأمرتُكم به ، ولا تركتُ شرًا إلاّ بيّنتُه لكم وحذرتُكم منه » الحديث[1] .

وسيرى قارئ هذه المحاضرة كيف سايرت الحكمة والرحمة هذا المنهج من مبدئه إلى اكتماله ؛ حتى أصبح شاملاً وافيًا مستغرقًا لجميع نواحى الفرد والجماعة والأمة ، عباداتهم ومعاملاتهم ، حركاتهم وسكناتهم ، لدنياهم وآخرتهم ؛ مما يكفل للسائرين عليه الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة[2] .

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وما وجدته من روايات قريبة منه فبيانها كالتالى :

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن عمران عن صاحب له قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما تركت شيئًا يقرّبكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلاّ قد بينته لكم» - انظر (المُصنَّف): للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعانى ت (٢١١ هـ = ٨٢٧ م) - (كتاب) الجامع (باب) القَدَر - ١٢٥/١١ - حديث رقم (٢٠١٠٠) - ومعه كتاب (الجامع) للإمام مَعْمَر بن راشد الأزدى برواية عبد الرزاق الصنعانى - الجزء الحادى عشر - عُنِىَ بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدّث حبيب الرحمن الأعظمى - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى - عمّان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

وأخرج الطبرانى من طريق فطر عن أبى الطفيل عن أبى ذر قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه فى الهواء إلاّ وهو يذكرنا منه علمًا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ما بقى شىء يقرّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بيِّن لكم » - انظر (المعجم الكبير) : للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ت (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م) - ١٦٦/٢ - حديث رقم (١٦٤٧) - حققه وخرّج أحاديثه : حمدى عبد المجيد السلفى - الطبعة ١ - (الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع (لجنة إحياء التراث الإسلامى بوزارة الأوقاف) - العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

وأخرج البيهقى من طريق عبد العزيز الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال : « ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلاّ وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلاّ وقد نهيتكم عنه » - انظر (السُّنن الكبرى) : للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٧٦/٧ - وفى ذيله (الجوهر النقى) : للعلامة علاء الدين على بن عثمان الماردينى الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) - الطبعة ١ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

وأخيرًا فقد أورد الألبانى قول رسول الله ﷺ : « ما بقى شىء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بيِّن لكم » - انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشىء من فقهها وفوائدها) : للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - ١١٦/٤ - حديث رقم (١٨٠٣) - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) منهج التشريع الإسلامىّ وحكمته : الشنقيطىّ ص ١٥ - ١٧ .

• **ملاحظتان حول هذه المحاضرة :**

١ - طبعت هذه المحاضرة بعد طبعتها الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدة طبعات كان آخرها طبعة دار التراث بالمدينة المنورة ، وذلك ضمن الكتاب التاسع من سلسلة (الرسائل المدينة) والذى ضم هذه المحاضرة مع محاضرة الشيخ عطية فى (تعدد الزوجات وتحديد النسل) وقد بلغ عدد صفحات هذا الكتاب مائة وثلاثًا وخمسين صفحة ، استغرقت محاضرة الشنقيطى أربعين منها من القطع المتوسط ، وذلك عام (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م)[1] .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذه المحاضرة ضمن مؤلفات شيخه فى ترجمته له تحت عنوان : (حكمة التشريع) وليس : (منهج التشريع الإسلامى وحكمته) وقد تابعه فى ذلك الشيخ المجذوب فى ترجمته للشنقيطى[2] ومن ثم فقد لزم التنبيه .

١٤ - نَثْرُ الوُرُود على مَرَاقِى السُّعُود :

وهو شرح للشنقيطى على كتاب : (مَرَاقِى السُّعُود لِمُبْتَغِى الرُّقِىّ والصُّعُود) للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوىّ الشنقيطىّ الذى نظم فيه كتاب تاج الدين السُّبكى الْمُسَمَّى : (جمع الجوامع) فى علم الأصول، مع زيادات كثيرة عليه بلغت به نحو ألف بيتٍ وبيتٍ .

وكان الشنقيطى قد أَمْلَى هذا الشرح على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنىّ الشنقيطىّ عام (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م) فى بيت الشنقيطى بالرياض بناءً على طلبه الذى قصد إليه عند أدائه حجة الإسلام آنذاك .

وقد أجابه الشنقيطى إلى ما طلب غير أنه ترك ما يقرب من خُمْسِ هذا النظم دون شرح بما يعادل مائة وخمسة وثمانين بيتًا ، منها واحد وعشرون بيتًا من أول النظم حتى قول الناظم :

كَـــلامُ رَبِّـــى إنْ تَعَـــلَّقَ بِمَا ... يَصِـــحُّ فِعْـــلاً لِلْمُكَلَّـــفِ اعْلَمَا

ثم مائة وأربعة وستون بيتًا من بقية مبحث (المجاز) حيث قول الناظم :

---

(١) انظر (منهج التشريع الإسلامى وحكمته) : لفضيلة الشيخ محمّد الأمين الشنقيطى رحمه الله - ومعه (تعدد الزوجات وتحديد النسل) : لفضيلة الشيخ عطية محمّد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٢) راجع فى ذلك كلا من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٥٤ (من المقدمة) .
- علماء ومفكرون عرفتهم : محمّد المجذوب ١/ ١٨٨ .

وَإنْ يَجِــى الدليـــلُ للخِـــلاَفِ فَقَدِّمَنْــهُ بِـــلاَ اخْتِـــــلافِ

وانتهاءً بمبحث (العَامّ) حيث قول الناظم :

خِــطَابُ وَاحِــدٍ لغَيــرِ الحنبلـىّ مِـنْ غيرِ رَعْـى النَّصِّ والقَيْسِ الجَلِىّ

وقد أكمل الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطى تلميذ الشنقيطى وابن عمه هذا الشرح الذى جاء فى جزأين بلغ عدد صفحاتهمـا سبعمائة وإحدى وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وصدر فى طبعته الأولى عام (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م)[١] .

ويتضح وصف هذا الشرح ومنهج الشنقيطىّ فيه من خلال الافتـتاحية التى جاء تحتها ما نصه : لقد شرح الشـيخ رحمة الله عليه هذا النظم شرحًا لا مـثيل له ، يُغنى عن غيره ولا يُغنى عنه غيره؛ حيث امـتاز عن غيره مِنْ كتب أصول الفقه بـكثرة الأمثلة التى لم يَعْتَنِ بها الأصوليون غالبًا ، كما جمع فيه ثمرة الكثير من كتب الأصول ، واستطرد كثيرًا من المسائل الفقهية ، وأبدى اعتراضات على بعض الأصوليين موضحًا وجه الصواب فيها .

فصار هذا الشــرح دُرَّةً ثمينة وجوهرة غالية ، اسـتعمل فيه شـيخنا الأسلوب السَّلس ، وتحاشى فيه الغمـوض الذى ملأ كتب أصول الفقه ؛ فهو لا غنى عنه للمـبتدئ ولا للمنتهى ، بل يستطيع غير المتـخصص فى فن الأصول أن يتابع دراسته فيـه دون مشقة ولا إرهاق ، فى حين يستفـيد منه المتخصص استـفادة لا تحصى ولا ترام ؛ خاصة وأن الشـيخ رحمة الله عليه قـد جَنَّبَ هذا الشرح الكثيـر من كلام المنطقيـين والجدليين والمتكلمين ؛ فجـاء الكتاب صفوة الكتب السابقة ، وغِنًى عن الكتب اللاحقة[٢] .

- **ملاحظات حول هذا الشرح :**

١ - ظل هذا الشرح مخطوطًا لمدة أربعين عامًا تقريبًـا منذ أن كان الشنقيطىّ ببلاده شنقيط ، وحتى إملائه على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد بن المختار الجكنى الشنقيطىّ عام (١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م) ببيت الشنقيطىّ بالرياض، ثم إكماله على يد تلميذه

---

(١) انظر هذا الشرح بنص عنوانه التالى :

- نثر الورود على مـراقى السُّعود : شـرح الشيخ محـمد الأمين بن محـمد المختـار الشنقيطى (صاحب أضواء البيان) - تحقيق وإكمال تلميذه : الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - النـاشــر : محمـــد محمـــود محمـــد الخُضْر القاضى - جزآن - الطبعة ١ - توزيع دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

(٢) نثر الورود على مـراقى السعود : د. مـحمد ولد سـيدى ولد حبيب الجـكنىّ الشنقيطىّ ١/ ٦ - ٧ (بتصرف يسير) .

وابن عمه أيضًا الدكتور محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنى الشنقيطىّ الذى فرغ منه يوم الخميس (٣-١١-١٤١٣هـ) الموافق (٣-٧-١٩٩٢م) ببلد الله الحرام مكة المكرمة، وقد أعقب ذلك صدور الكتاب فى أول طبعة له عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)[١] .

٢ - أشار الشيخ عطية إلى هذا الشرح ضمن مؤلفات شيخه الشنقيطى بقوله : وقد أملى رحمه الله شرحًا على (مَرَاقِى السُّعُود) فى بيته بمدينة الرياض على أخينا أحمد الأحمد الشنقيطى[٢] .

٣ - صدرت عدة شروح على (مَرَاقِى السُّعُود) غير شرح الشنقيطى المُسَمَّى (نثر الورود) نذكر منها :

- نشر البنود على مراقى السعود : لصاحب النظم عبد الله بن إبراهيم العلوىّ الشنقيطىّ الذى جاء شرحه هذا وافيًا على نظمه[٣] .
- فتح الودود على مراقى السُّعُود : للشيخ محمّد يحيى الولاتىّ الشنقيطىّ ، وهو على شرح مختصر على هذا النظم[٤] .
- مَرَاقِى السُّعُود إلى مَرَاقِى السُّعُود : للشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنىّ الشنقيطىّ ، وهو شرح مختصر أيضًا على هذا النظم[٥] .

وقد حقق هذا الشرح الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشنقيطى ، ونال به درجة الماجستير بتقدير ممتاز من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى (رجب ١٤٠١ هـ = مايو ١٩٨١ م) .

---

(١) نثر الورود على مراقى السعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ١/ ٧ ، ١١ - ٢/ ٦٦١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٥ (من المقدمة) .

(٣) صدر هذا الشرح على وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية بالتعاون مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وجاء فى جزأين بلغ عدد صفحات الأول منهما ثلاثمائة وست صفحات بتقديم الداى ولد سيدى بابا وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ، فى حين بلغ عدد صفحات الجزء الثانى ثلاثمائة وستًا وخمسين صفحة بتقديم الدكتور أحمد رمزى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب .

وقد صدر هذا الكتاب بجزأيه فى طبعته الأولى عن المطبعة الحجرية بفاس بالمملكة المغربية ، ورغم صدوره بدون تاريخ إلا أن اختلاف وزيرىْ الأوقاف فى تقديم الجزأين يدل على وجود الفارق الزمنى بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثانى آنذاك .

(٤) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠ .

(٥) نثر الورود على مراقى السُّعود : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الجكنىّ الشنقيطىّ ص ١٠ .



المبحث الثالث

مؤلفاته المُسَجَّلة

وتشمل أحاديث الشنقيطى العديدة التى جرت على لسانه من خلال دروسه ومحاضراته العامة ، أو فى جلساته ومناظراته الخاصة ، والتى لا تزال مسجلة على أشرطة محفوظة سواء عند ولديه الدكتور محمد المختار الابن الأكبر ، أو الدكتور عبد الله الابن الأصغر ، أو عند أوّل وأخصّ تلامذته الشيخ عطية محمد سالم والذى أشار إلى ذلك قائلاً : وكان له رحمه الله تعالى العديد من الدروس والأحاديث والمحاضرات التى لم يَدَّخِرْ مِنْ خلالها وُسْعًا فى تعليمٍ ، ولم يَتَوَانَ فى توجيهٍ ، سواء مع الطلاب والمدرسين ، أو الحكام والعوام؛ مما يرسم الطريق الصحيح للدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد سُجِّلَت كلها فى أشرطة لا تزال محفوظة ، وإنى لآمل أن أُوَفَّقَ لنقلها وطبعها إتمامًا للفائدة إن شاء الله تعالى[1] .

وعندما سئل الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى عن كيفية الحصول على آثار والده المسجلة وسبل الاستفادة منها ، والتى تبلغ ما يقرب من ألف شريط فى كل من مكتبة الحرم المكى ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحدهما ؛ فأجاب عن ذلك قائلاً : كانت تلك الأشرطة عندى ، غير أننى أعطيتها لعمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عقب وفاة الشيخ رحمة الله عليه ؛ لأن الإنسان فى الحقيقة ضعيف ؛ ومن ثم كنت أتأثر تأثرًا بالغًا إذا سمعت صوت الوالد فى السنوات الأولى التى أعقبت وفاته ، خاصة أننى كنت أستحضر ساعتها جلوسى فى الحلقة بالمسجد النبوىّ ، وصوته المباشر الذى يختلف تمامًا عن الخط أو الكتابة ؛ ولهذا فقد كان أن أخذت هذه الأشرطة كلها ودفعتها إلى عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية كما ذكرت .

غير أن أغلب أشرطة الوالد موجودة عند الشيخ سيد حبيب[2] الذى كان يسجل منذ عشرات السنين ؛ بما كوّن عنده الآلاف من تلك الأشرطة ، وسوف أحاول لقاءه بالمدينة المنورة لأبحث معه أمر هذه الأشرطة ، ولنجعل الواضح منها فى طريق ويعمم بإذن الله تعالى[3] .

ومن الجدير بالذكر أن تفسير الشنقيطى للقرآن الكريم قد سُجِّلَ كاملاً فى أشرطة من خلال حلقات التفسير بالحرم النبوىّ الشريف ، وهذا ما يُنَوِّهُ إليه ابنه الدكتور عبد الله

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤٧ - ٤٩ (من المقدمة بتصرف يسير) .

(٢) وهو صاحب (مدرسة العلوم الشرعية) المعروفة ، والتى تقع خلف (البقيع) بمنطقة الحرم النبوىّ الشريف بالمدينة المنورة .

(٣) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة بعنوان (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) : د. عبد الله الشنقيطىّ .

بقوله : أخبرنى بعض الناس أن تفسير القرآن الكريم كله مسجل بصوت الشيخ فى أشرطة لدى الشيخ سيد حبيب الذى دأب على ذلك بالحرم النبوىّ منذ زمن بعيد ؛ وتلك الأشرطة هى التى تُنْبِئُ عن علم الشيخ الحقيقى ؛ لأن كل كتب الشيخ لها منهج ، وليست مفتوحة كحلقات تفسيره ودروسه آنذاك[١] .

وفى الجملة يصوّر لنا الشيخ المجذوب كثرة ما خَلَّفَهُ الشنقيطى من الآثار المسجلة ، فضلاً عن تنوعها وعظيم نفعها للقاصى والدانى فيقول : إنّ ما سُجِّلَ وحُفِظَ من كلام الشيخ رحمة الله عليه لو نُقِلَ إلى الطُّرُوس[٢] لألَّفَ قائمة طويلة من المؤلفات العظيمة ؛ فهناك دروسه القيّمة فى فصول الجامعة الإسلاميّة ، ثم دروسه العامة فى المسجد النبوىّ ، ثم محاضراته التى كان يُدْعَى لإلقائها فى دار الحديث الخيرية التابعة للجامعة أثناء المواسم الثقافية الخاصة بهذه المحاضرات ، فضلاً عن وفود الحجيج الذين كانوا يحضرون إلى الجامعة ليشهدوا محاضراته ، بالإضافة إلى دروسه الأخرى التى كان يختصٌّ بها بعضَ أهل العلم فى بيته[٣] .

(١) راجع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عبد الله الشنقيطى بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

وقد يَسَّرَ لى الله تعالى الحصول على شريط من تفسير الشنقيطىّ لقول الله سبحانه : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف : ٣١ - مما يظهرُ معه علمُ الشنقيطىّ ، ويقومُ شاهدًا على تمكنه من أدواته فى التفسير .

(٢) الطُّرُوسُ والأَطْرَاسُ : أى (الكتب والصحف) ، ومفردها الطِّرْسُ أو الطِّلْسُ : أى (الصحيفة أو الكتاب الذى مُحِىَ ثم كُتِبَ) - انظر مادة (طَرَسَ) فى لسان العرب : ٤/ ٢٦٥٥ .

(٣) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٨٤ (بتصرف يسير) .

المبحث الرابع

مؤلفاته الشِّعْرِيَّة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - **المطلب الأول** : قَرْضُه الشِّعْرَ ثم انصرافُه عنه .

٢ - **المطلب الثاني** : نظمُه العلميّ وشعره المتنوّع .

قَرَضَ الشنقيطى الشعرَ فى فتوته وشبابه أثناء مرحلة الطلب ببلاده ، ثم انصرف عنه مع قدرته عليه قبيل خروجه من بلاده لأداء حجة الإسلام والمقام ببلاد الحجاز ، وفيما يلى نعرض لسبب هاتين الحالتين مع ذكر إنتاج الشنقيطى من النظم العلمىّ ثم من الشعر المتنوع ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

قَرْضُهُ الشِّعْرَ ثم انصرافه عنه

١ - سبب قرض الشنقيطىّ الشعر :

حملَ الشنقيطىَّ على قرضِ الشعرِ ذلك المخزونُ الوافرُ الذى كان يحفظه ويتذوقه من شعر العرب ، وهذا ما يشير إليه الشيخ المجذوب بقوله : إن الغزارة فى محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه ؛ ولابد للحافظ المتذوق أن تواتيه الموهبة على صياغته ، وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه ، فهو رهيف الحسِّ ، سريع التأثر بالكلمة البليغة ، وقد طالعنا ببعض محاولاته الأولى ؛ فلمحنا ما وراءها من استعداد طيب آنذاك للتقدم والاستمرار[1] .

٢ - سبب انصرافه عن الشعر مع قدرته عليه :

وعلى الرغم من علو كعب الشنقيطىّ فى الشعر وتمكنه منه ؛ إلاّ أنه تركه ترفعًا واستحياءً ، لأنه لا يراه من صفات العلماء الأفاضل ، وهذا ما يسوقه عنه تلميذه الشيخ عطية قائلاً : وبالرغم من الشاعرية الرقراقة ، والمعانى العِذَاب الفياضة ، والأسلوب السهل الجَزْل ؛ فقد كان يتباعد رحمه الله عن قول الشعر مع وفرة حفظه إياه .

وقد سألته رحمه الله عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فيه ؛ فقال : لم أره من صفات الأفاضل ، وخشيت أن أشتهر به ، وتذكرت قول الشافعى فيما يُنْسَبُ إليه :

ولولا الشعرُ بالعلماءِ يزرى　　لكنتُ اليومَ أشعرَ مِنْ لبيدِ

ولأن الشاعر يقول فى كل مجال ، والشعر أكذبه أعذبه ؛ فلم أكثر منه لذلك[2] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢ (من المقدمة) .

وانظر البيت المذكور فى (ديوان الإمام الشافعى) : لأبى عبد الله محمّد بن إدريس الشافعى ت (٢٠٤ هـ=٨٢٠ م) – ص٣٩ (تحت عنوان : الوقار وخشية الله) – جمعه وعلّق عليه : محمد عفيف الزعبىّ – الطبعة ٣ – نشر دار الجيل مع (مؤسسة الزعبى) – بيروت – لبنان – ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م .

غير أن الشيخ المجذوب يُوَجِّه قول الشنقيطيّ : (لم أره من صفات الأفاضل) قائلاً : وإنما يريد بنفيه عن الأفاضل ما يرى لبعض المتعاطين لـه من زلات يربأ بنفسه أن يتعرض لها ، لا كما فهمها بعض الجاهلين للشعر ، إذا اعتبروه منافيًا لكرامة العلم ، وهم الذين لا يحسنون إقامة البيت إذا حاولوا قراءته ؛ فليس لمثلهم حق فى الحكم عليه[١] .

والحق أننا نتفق مع الشيخ المجذوب فيما ذهب إليه من توجيه ؛ حيث يشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى ويؤكده فى سياق تناوله قضية (الشعر والشعراء) من المنظور الشرعىّ ؛ فعلى الرغم من ذم الله تعالى الشعراء العابثين الذى يخوضون فى كل مجال ، ويتخبطون فى كل وادٍ ، دون قيد أو ضابط ؛ إلاّ أنه استثنى سبحانه منهم تلك الطائفة الفاضلة التى تدعو من خلال شعرها إلى تأصيل الفضائل ، وترسيخ الأخلاق .

وهذا ما يقوم شاهدًا عليه قول الله تعالى : ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)**﴾ الآيات[٢] .

وقد حفظ لنا تاريخنا الإسلامىّ المجيدُ نماذجَ عديدة لهؤلاء الشعراء الفضلاء الذين نمثل لهم بالشاعر المخضرم والصحابى الجليل حسَّان بن ثابت الأنصارىّ رضي الله عنه حيث كان شاعر رسول الله ﷺ وشاعر الإسلام الأول الذى دافع عنه ونَافَحَ ؛ فأفحم خصومه ودَحَرَ أعداءه[٣] .

ويؤكد الدكتور عبد الله الابن الأصغر للشنقيطى انصراف والده عن الشعر تورعًا وخشية مع قدرته عليه وتمكنه فيه فيقول : والوالد كان شاعرًا مُفْلِقًا ، وعنده أحاسيس جيَّاشة ؛ ومع ذلك فقد كان يستاء أن يقال عنه : (شاعر) ولأن أغلب شعره كان فى الغزل والنسيب ؛ لذا كنت إذا ذكرت له شعره يغضب غضبًا شديدًا ، وينهرنى قائلاً : (استحِ يا ولدى !! هذا الشعر أعوذ بالله منه ؛ فلا أنا أريده ، ولا أريد أن أشتهر به)[٤] .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ١/ ١٩٠ .

(٢) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧ (أربع آيات) .

(٣) انظر فى ذلك (ديوان حسَّان بن ثابت الأنصارى) : صحّحه وشرحه د. محمد عزت نصر الله - من منشورات دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٤) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

المطلب الثانى

نظمُه العلميّ وشعرُه المتنوِّع

للشنقيطى الكثير من النظم العلميّ فى فنون متعددة ، فضلاً عن أشعاره المتنوعة بأغراضها المختلفة، والتى جاءت مبثوثة فى مؤلفاته العلمية ، بالإضافة إلى ما ذكره عنه تلميذه الشيخ عطية فى ترجمته له .

- **نظمُه العلميّ:**

للشنقيطىّ خمسة نظوم علميّة بلغت أبياتها عدة آلاف ، وقد سبق أن فَصَّلْنَا القول فى أربعةٍ منها ضمن مؤلفاته المخطوطة بالإضافة إلى النظم الخامس الذى سيأتى ذكره ضمن مؤلفاته المفقودة بعد قليل .

- **شعره المتنوع :**

اختلف شعر الشنقيطى باختلاف أغراضه ؛ بحيث واكبَ كلَّ غرضٍ من الأغراض ما يناسبُهُ من الشعر الذى يترجم عنه ويدل عليه ، وهذا ما يتضح من خلال النماذج التالية :

١ - فى الغزَل أيامَ صباه :

ومما قاله الشنقيطى متغزلاً فى أيام صباه الأولى تسعة أبيات ، نورد منها ما يلى :

بِشَفَى الأُحَيْمِرِ[1] قد عَرَفْتُ لِرَادِ ... داراً ، مُرَادى أنْ تكونَ مُرَادى

عَهْدِى بهَا ، وبِهَا فتاةٌ هَمُّهَا ... أَعْذَبُ بها تعذيبَ كلِّ فؤادِ

والله لا أنسى مبيتى عندها ... بِشَفَى الأُحَيْمِرِ عن جنوب الوادِ

إذ بِتُّ أشفى من رُضَابٍ[2] باردٍ ... داءَ تقادمَ حَرُّهُ بفؤادِ

وَيْلَ أُمِّهَا ! ما كان أطيبَ رِيقَهَا ... يا بردَ رِيقَتِهَا على الأكبادِ[3]

٢ - فى إيثاره طلب العلم على الزواج :

لما طال اشتغال الشنقيطى بطلب العلم وتحصيله عما سواه ؛ أَيِسَتْ منه مَنْ كانت ترغب فى الزواج منه وتطمح إليه ، ومن ثم تزوجت ببعض الأغنياء ؛ وعندئذ نصحه أصدقاؤه

---

(١) وهو اسم موضع معروف عندهم يقع جنوب (وادى شنقيط) وهذا ما أوضحه فى آخر البيت الثالث .

(٢) الرُّضَابُ: الرِّيقُ عامّةً ، أو المرشوفُ منه خاصّةً - انظر مادة (رَضَبَ) فى المعجم الوسيط: ١/ ٣٦٢ .

(٣) انظر تمام هذه الأبيات فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطىّ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

بتعجيل الزواج خشية ألاّ يجد مَنْ تصلح له مِنْ ذوات الحسَبَ والنَّسَب والجمال إن هو تأخر أكثر من ذلك .

غير أن الشنقيطى أجابهم بما يفيد إيثاره العلم على ذلك كله ، بل وحَثَّهم على تحصيله والانشغال به عما سواه ؛ ليسلكوا ذات سبيله ويترسموا نفس خطاه ، ومما قاله فى ذلك أحدَ عشرَ بيتاً ، نورد منها ما يلى :

دَعَانى الناصحونَ إلى النكاحِ ... غداةَ تَزَوَّجَتْ بيضُ الملاَحِ
فقالوا لى : تَزَوَّجْ ذاتَ دَلٍّ ... خَلُوبَ اللَّحْظ جائلةَ الوشَاحِ[1]
فقلتُ لهم : دَعُونى إنّ قلبى ... من العىِّ الصُّرَاحِ[2] اليومَ صَاحِى
ولِى شُغْلٌ بأبكارٍ عَذارَى[3] ... كأنّ وجوهَهَا ضوءُ الصَّبَاحِ
أَبيتُ مفكرًا فيها فتضحى ... لفَهْمِ الفَدْمِ[4] خافضَةَ الجناحِ
أَبَحْتُ حَرِيمَهَا جَبْرًا عليها ... وما كان الحريمُ بِمُسْتَبَاحِ[5]

٣ - فى عرْض حاجته إلى علم الصرْف :

قَدمَ الشنقيطىُّ على بعض المشايخ ببلاده شنقيط ليدرس عليه ، ولم يكن الشيخ يعرفه ؛ فسأله مَنْ يكون ؟! وعلى الفور أجابه الشنقيطى بخمسة أبياتٍ ارتجلها فى مَلإٍ من تلامذة الشيخ قائلاً :

---

(١) الدَّلُّ : الدلال - الخَلُوبُ : الفاتنة - اللَّحْظُ : النظر بطرف العين - جَائلَةُ الوشَاحِ : وشاحها مرفوع ظاهر - الوشَاح : نسيج عريض مُرَصَّع بالجوهر تشده المرأة على صدرها ما بين كتفها وخصرها - وانظر مواد (جَوَلَ - خَلَبَ - دَلَلَ - لَحَظَ - وَشَحَ) على الترتيب فى كل من :

- لسان العرب : ١/ ٧٣٠ - ٢/ ١٢٢٠ - ٢/١٤١٣ - ٥/٤٠٠٧ - ٦/٤٨٤١ .
- المعجم الوسيط : ١/١٥٣ - ١/٢٥٧ - ١/٣٠٤ - ٢/٨٥١ - ٢/١٠٧٥ .

والمعنى : تَزَوَّجْ ذاتَ دلال تفتنُ مَنْ تنظرُ إليه بطرفِ عينها ؛ فتأخذ لُبَّه ، وتملكُ قلبَه ، خاصة وأنها لا تخطئها أعينُ الناظرين لطول قَدِّهَا وتميز هيئتها .

(٢) العىُّ : الجهل بالشىء أو العجز عن بيان المراد منه - الصُّرَاحُ : الخالص مما يشوبه ويكَدِّرُهُ - انظر مادتَىْ (صَرَحَ - عَيِى) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/٥٣١ - ٢/٦٦٥ .

(٣) ويقصد به معضلات العلم ومسائله البكر العذراء التى لم يسبقه غيره إليها بالبحث من قبل لحل مشكلها وبيان مجملها .

(٤) الفَدْمُ : ثقيل الفهم - انظر مادة (فَدَم) فى المعجم الوسيط : ٢/٧٠٢ .

(٥) انظر تمام هذه الأبيات فى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطى ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

هَذَا فتى منْ (بنى جاكانَ) قد نَزَلاَ ... به الصِّبَا ، عن لسان العرب قد عَدَلاَ

رَمَتْ بـه همَّـةٌ عَلْيَـاءُ نحـوكمُ ... إذْ شَامَ بَرْقَ علومٍ نوره اشْتَعَلاَ

فجاءَ يرجو رُكاماً منْ سَحَائبه ... تكسُو لسَانَ الفتى أزهارُهُ حُلَلاَ

إذْ ضَاقَ ذَرْعًا بجهلِ النحو ثم أبَى ... ألاَّ يَميزَ شكلَ العين منْ فَعَلاَ

قَدْ أتَى اليومَ صَبًّا مُولَعًا كَلِفًا ... بـ (الحمدُ لله) لا أبغى به بَدَلاَ

ويقصد بذلك عرض حاجته لدراسة علم الصَّرْف الذى حصره فى (لاَمِيَّة الأفعال) المبدوءة بـ (الحمد لله)[1] .

٤ - فى رده دعوى من اتهمه بأنه هجاء :

وقعت شَحْنَاء بين رجلين من أهل العلم من قبيلة الشنقيطىّ (بنى جَاكَان) هما : (السالم) و (محمد محمود) وذلك بسبب رفض الأول إجازة الثانى وتزكيته لقادحٍ دينى يعتقده فيه ؛ ومن ثم فقد غضب الثانى وهَجَا الأول بعدة أبيات لاذعة .

غير أن الهاجى قد ادّعى على الشنقيطىّ أنه دَسَّ بعض الأبيات للمهجو لينتقم بها منه ؛ فغضب الشنقيطى ورد هذه الدعوى التى لا تليق به على صاحبها محمد محمود (الهاجى) وذلك من خلال قصيدة طويلة عَارَضَهُ بها ، وبلغت ثلاثين بيتًا نورد منها ما يلى :

أرَى الرَّبْعَ منْ أسمائه وسُعَاده ... وسُعْدَاهُ قَفْراً غيرَ بَاقى رَمَاده

إذا فَجَعَتْنى الحادثاتُ بنَكْبَة ... وربُّكَ حَسْبى فى الأمور البَوَادِه

مقالةُ أنْ قد قلتُ : إنى أجبتُ ... عَنْ (إلى السَّالم حَبْرِ بلاَده)[2]

وتَمْنَعُنى منْ ذاك نَفْسٌ عزيزةٌ ... غَلاَ سعرُهَا فى السُّوق يومَ كَسَاده

وإنى لم أنطقْ بشىء عَلمْتُهُ ... سوَى مجده قِدَماً وطُول نجَاده

وإنى لأكْسُو الخلَّ حُلَّةَ سُنْدُس ... إذا ما كَسَانى منْ ثياب حدَاده

صَلاَةُ إلـه العَرْش ما ذَرَا شَارِقٌ ... على خير خَلْق الله هَادى عبَاده[3]

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٩ - ٣٠ (من المقدمة) .

(٢) يشير الشنقيطىّ بذلك إلى قصيدة محمد محمود التى هَجَا بهَا السالم ، والتى يقول فى مطلعها :

إلى السَّالم الفقيه حَبْرِ بلاَده ... أخى الفضل والإفتاء طبق مدَاده

(٣) ذَرَا : طلع - الشَّارِقُ والشَّارِقَةُ وَالشَّرْقُ : الشمس - انظر مادتىْ (ذَرَا - شَرَقَ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/٣٢٣ - ١/٤٩٩ .

وعليه فقوله (ما ذَرَا شَارِقٌ) : أى كلما طلعت الشمس ؛ وذلك لإفادة دوام الصلاة على=

٥ - فى تأسفه لعدم ملاقاته ابن عمه :

قَدِمَ محمد البيضاوىّ باشا ابن عم الشنقيطى من مسافة جدٍّ بعيدة بقصد زيارة الشنقيطىّ وأهله من (بنى جاكان) غير أن الشنقيطىّ لم يدرك لقاءه والاجتماع به ؛ فأنشأ فى ذلك عدة أبيات يتأسف بها على فوات هذه الفرصة ، إلاّ أنه لم يورد منها سوى البيتين التاليين :

بَلْ إنما اهتـاجَ الفـؤادُ لشَـأْنه ... أنْ فـاتَهُ مَـرْأَى حُلَى الأفـواجِ
رَاضَتْ به (جَـاكَـانُ) أثْباجَ العُـلاَ ... مِنْ بعـدِ زلزلـةٍ عن الأثبـاجِ[1]

٦ - فى خروجه للصيد :

كان الشنقـيطى يداوم على الخروج للصيـد كل جمعة فى ضـواحى المدينة المنورة خارج الحرم ، فلا يصيد فيه ، ولا يأخذ السواك منه ، كما كان راميًا من الطراز الأول ؛ فلا يكاد يخطئ إذا رمى ، وقد توفـى وعنده بندقيتـان إحداهما من نوع (شُـوزَن) والأخرى من نوع (سَاكَتُون) .

ومما أنشأه وكان دائمًا ما يكرره إذا خرج للصـيد مع أبنائه وتلاميذه تلك الأبيات الأربعة التى تتسم بخفة الرُّوح ، وطرافة الموضوع حيث يقول :

قالتْ قُتَـيْبَةُ : ما تَبْـقَى دَرَاهِمُنَا يَوماً ... ومـا بـنا سَـرَفٌ فـيـهـا ولا خَـرَقُ
إنا إذا اجـتـمـعـتْ يومًـا دراهـمُنَا ... ولَّتْ إلى طُرُقِ الخـيـرات تَسْـتَبِقُ
لا يألفُ الدرهم المضـروبُ صُـرَّتَنَا ... لكنْ يَـمُـرُّ عليـهـا وَهْوَ مُنْطَلِقُ
حـتى يصـيـرَ إلى نَذْلٍ يُخَـلِّدُهُ ... يكـادُ مِنْ صَـرِّهِ إيَّـاهُ يَنْمَـزِقُ[2]

٧ - فى عزمه على ترك الشعر :

ولما عقد الشنقيطىُّ العـزمَ على هجر الشعر سبَّبَ ذلك بعدة أبيات بَيَّنَ فيـها أن مقاصد

= رسول الله ﷺ - وانظر تمام هذه الأبيات الثلاثين للشنقيطىّ ، وكذا الأحدَ عشرَ بيتًا التى رَدَّ عليها فـى (رحلة الحج إلى بيت الله الحرام) : الشنقيطىّ ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(١) رَاضَتْ : ذَلَّلَتْ ومَلَكَتْ - أَثْبَاج : جمع ثَبَج وهو وسط كل شىء عندما يصير بارزًا متميزًا - انظر مادتىْ (ثَبَجَ - رَوَضَ) على الترتيب فى المعجم الوسيط : ١/٩٧ - ١/٣٩٥ .
والمعنى : أن قبيلة الشنقيطىّ من (بنى جاكان) قد حـازت بزيارة المذكور لها قمة العزة والمجد ، بعد أن كانت تفتقد ذلك فى حالة بُعْده عنها .

(٢) راجـع فى ذلك المحاضرة المسجلة للدكتور عـبد الله الابن الأصغر للشنقيطىّ بعنوان : (الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين) .

الشعراء ليست له بمقاصد ، من حيث توصلهم بشعرهم إلى أغراضهم ، فضلاً عن تكسبهم وأكلهم به عند ذوى السلطان من الملوك والأمراء ، ومما أنشأه فى ذلك أربعةَ عشرَ بيتًا نورد منها ما يلى :

أُنقذْتُ منْ دَاء الهَوَى بعلاَجِ ... شَيْب يَزِينُ مَفَارقِى كالتَّاجِ

قَدْ صَدَّنِى حُلْمُ الأكَابِرِ عَنْ لَمَى ... شَفَةِ الفتاة الطَّفْلَة المغْنَاجِ[1]

مَاءُ الشَّبِيبَةِ زارعٌ فى صَدْرِهَا ... رُمَّانَتَىْ رَوْض كَحُقِّ العَاجِ

وكأنها قد أُدْرِجَتْ فى بُرْقُعٍ ... يَا وَيْلَتَاهُ بها شُعَاعُ سِرَاجِ

وكأنما شمسُ الأصيل مذابةٌ ... تنسَابُ فوقَ جَبِينهَا الوَهَّاجِ[2]

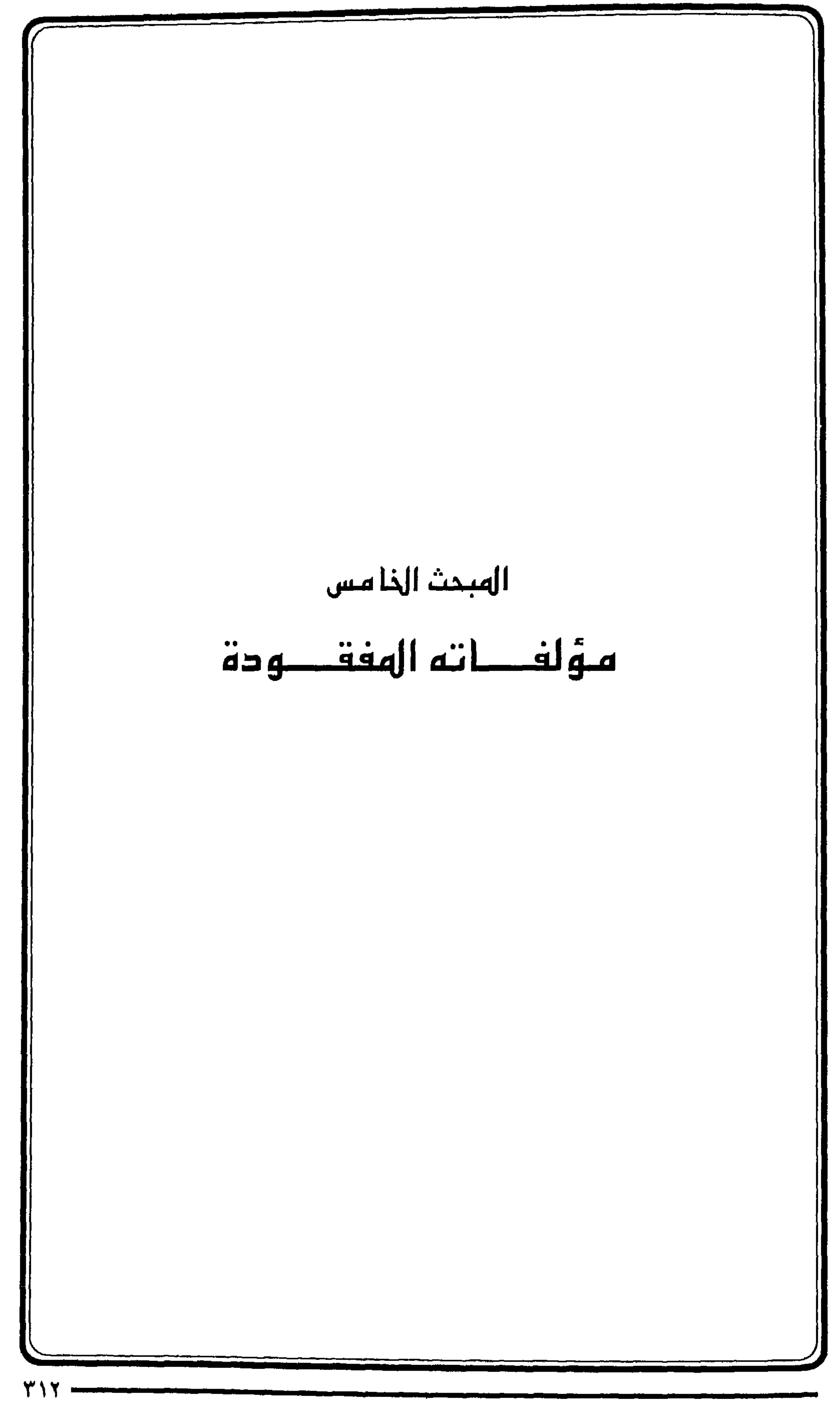
وهذه الأبيات وإن كانت قد قيلت فى ترك الشنقيطى الشعر ، إلاّ أنها تَحْمِلُ الطابع الغزلى مما يجعلها صالحة لأن تكون نموذجًا من شعره فى الغزل الوصفىّ .

---

(١) **المغْنَاجُ والغَنِجَةُ** : المرأة التى تتدلل على زوجها بشتى العبارات والحركات التى تزيدها مَلاحَةً عنده – انظر مادة (غَنِجَ) فى المعجم الوسيط : ٢/٦٨٨ .

(٢) انظر تمام هذه الأبيات فى كل من :

- أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/ ٣٢ – ٣٣ (من المقدمة) .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطىّ ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .



المبحث الخامس

مؤلفاته المفقودة

ويمثلها مؤلف واحد فقط كان الشنقـيطى قد نظمه قبل البلوغ فى بلاده شنقيط ، ثم عَنَّ له بعد ذلك أن يتخلص منه التـماسًا لتصحيح نيـته التى كانت مُوَجَّهَة بهـذا النظم للتفوق على أقرانه آنذاك .

وعن هذا النظم يحدثنا تلميذه الشيخ عطية قائلاً : ومـن مؤلفاته رحمه الله ما كان منها فـى بلاده مثـل : (نظمه فى أنـساب العرب) وكان قد أَلَّفَهُ قـبل البلوغ ، حيث يقول فى أوله :

سَمَّيْتُهُ بـ (خَالِصِ الجُمَان)[1] فى ذِكْرِ أنسَابِ بنى عدنان

وبعد البلوغ دَفَنَهُ ؛ مسببًا ذلك بقولـه : (لأنه كان على نية التفوق على الأقران) وقد لامَهُ مشايخه على دفنه ، وقالوا له : (كان من الممكن تحويل النية وتحسينها)[2] .

(١) الجُمَان : اللؤلؤ ، وواحدته (جُمَانَة) - انظر مادة (جَمَنَ) فى المعجم الوسيط : ١٤٢/١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥١/١ - ٥٢ (من المقدمة) .

المبحث السادس

مؤلفـــاته المنســـوبة

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : نمـط مُوهِمٌ من هذه المؤلفات .

٢ - المطلب الثانى : نمط صحيح من هذه المؤلفات .

تظهر ما بين حين وآخر مؤلفات مستقلة يجتزؤها أصحابها من تفسير (أضواء البيان) للشنقيطى، ثم يقومون بوضع عناوين خاصة لها مقرونة باسم الشنقيطى .

ومع أنهم يشيرون بداخلها إلى طبيعة عملهم فيها من حيث التقديم والتحقيق ، أو الترتيب والتعليق ، أو الفهرسة والتصنيف ، أو غير ذلك من ألوان التصرف المختلفة ؛ إلا أن الناظر إلى هذه المؤلفات يتوهَّم للوهلة الأولى أنها (مؤلفات جديدة) للشنقيطى قد أخذت طريقها إلى النور مؤخراً ، والحق أنها ليست من وضعه ولا صنيعه على هذا النحو الذى صدرت به .

وإزاء هذا فإنه يمكننا أن نعرض لبعضٍ من هذه المؤلفات تنبيهًا بها على غيرها من خلال نمطيْن اثنين أولهما : (نمط مُوهِم من هذه المؤلفات) وثانيهما : (نمط صحيح من هذه المؤلفات) وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

نمطٌ مُوهِمٌ من هذه المؤلفات

ونكتفى منها بذكر ثلاثة نُسِبَتْ عناوينها إلى الشنقيطى مما يُوهِم بأنها من مؤلفاته ، وذلك وَفْقَ ترتيبها الهجائى التالى :

١ - الإقليد فى الأسماء والصفات . والاجتهاد والتقليد :

وهو نقل لنص المسألة الثالثة من تفسير سورة محمّد ﷺ فى (أضواء البيان) والتى أوردها الشنقيطى من جملة المسائل الثلاث حول تفسير قول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[1] وقد عقد الشنقيطى هذه المسألة بعنوان : (المسألة الثالثة : فى التقليد وبيان معناه لغةً واصطلاحًا ، وأقسامه ، وبيان ما يصح منها وما لا يصح)[2] .

كما جاء هذا الكتاب فى حوالى مائة وعشرِ صفحات ، وتم تحقيقه فى (عَمَّان بالأردن) وقد شملَ عملُ محققهِ وضعَ العنوان ، ثم المقدمة التى عرض من خلالها لموضوع الكتاب ومسائله والتنبيهات الواردة عليه ، ثم أتبع ذلك بتعريف موجز للغاية بالشنقيطى المؤلف استقاه من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً

---

(١) سورة محمّد ﷺ : ٢٤ .

(٢) انظر نص هذه المسألة على مدار تسع وتسعين صفحة فى (أضواء البيان): الشنقيطى ٧/ ٤٨٥-٥٨٣ .

عـن ذكـر إحالات الـشنقيطى مـن (أضواء البـيـان) مع التعليـق على بعض المواضع فى الكتاب[1] .

٢ - القول السَّديد فى كشف حقيقة التقليد :

وهو نفس موضوع ومـادة الكتاب السابق مع اختلاف العنوان واسم المحـقق ، وقد جاء هذا الكتاب فى مائة وعشرِ صفحات ، وانحصر عمل ناشـره فى وضع العنوان والتقديم له تحت عنوان : (كلمة الناشر) .

ويلاحظ أن الناشر قـد ذكر الشنقيطىّ فـى عنوان هذا الكتاب باسم : (محـمد أمين) خلافًا للصواب وهو : (محمد الأمين) بالألف واللام[2] .

٣ - مَحاسِنُ الإسلام والرَّدُّ على أباطيل خُصُومِهِ :

وهـو نقـل لنص تفـسـير قـول الله تعـالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[3] من (أضواء البيان) للشنقيطى[4] .

وقد جـاء هذا الكتاب فى مائة وخـمس صفحات ، وتلخـص عمل محقـقه فى وضع عنوان الكتاب ومقدمته ، ثم إيراده ترجمة موجزة للشنقيطى اقتبسها من ترجمته الواردة بأول (أضواء البيان) بقلم تلمـيذه الشيخ عطية محمد سـالم ، هذا بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث ، فضلاً عن نقل إحالات الشنقيطىّ من (أضـواء البيان) مع جملة من التعليقات المشفوعة بذكر بعض المصادر التى رجع إليها فى ذلك[5] .

---

(١) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

● الإقليد فى الأسمـاء والصفات ، والاجتهاد والتقلـيد : تأليف محمد الأمين بن محـمد المختار الجكنىّ الشنقيطىّ - تحقيق : شريف بن محمد فـؤاد بن هَزَّاع - الطبعة ١ - نشر مكتبة ابن تيميّة - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٢) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

● القول السَّديد فى كشف حقيقة التقليد : العـلامة محمد أمين الشنقيطى - نشره : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) الإسراء : ٩ .

(٤) انظر نص تفسير هذه الآية على مدار تسع وأربعين صفحة فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٣/٤٠٩ - ٤٥٧ .

(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :

● محـاسن الإسلام والرّدّ على أباطيل خصـومه : تأليف العلاّمة الشـيخ محمـد الأمين الشنقيطى رحمه الله - تحقيق وتعليق : الأستاذ ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - نشر المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

المطلب الثانى
نمطٌ صحيح من هذه المؤلفات

وعلى الرغم من وجود أنماط من تلك المؤلفات المنسوبة السابق ذكرها ، والتى تُوهِم بأنها من مؤلفات الشنقيطىّ ؛ إلاّ أن هناك نمطًا صحيحًا من هذه المؤلفات التى اجتزأها أصحابها من (أضواء البيان) غير أنهم قرنوا عنوان الكتاب باسم التفسير ؛ مما يُبيِّنُ أنه اجتزاءٌ منه ، ولا يُوهِم بأنه مؤلف جديد من مؤلفات الشنقيطى .

ومن أمثلة تلك المؤلفات كتاب (الحاكمية فى تفسير أضواء البيان) والذى يدور موضوعه حول مسألة (الحُكْم بما أنزل الله) بأدلتها وشواهدها من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وهذا ما استعرضه جامع هذا الكتاب فى المقدمة بقوله : وقد قمت باستخراج كلام شيخنا الشنقيطى رحمه الله على هذه المسألة من ثلاثة مواضع فى (أضواء البيان) هى :

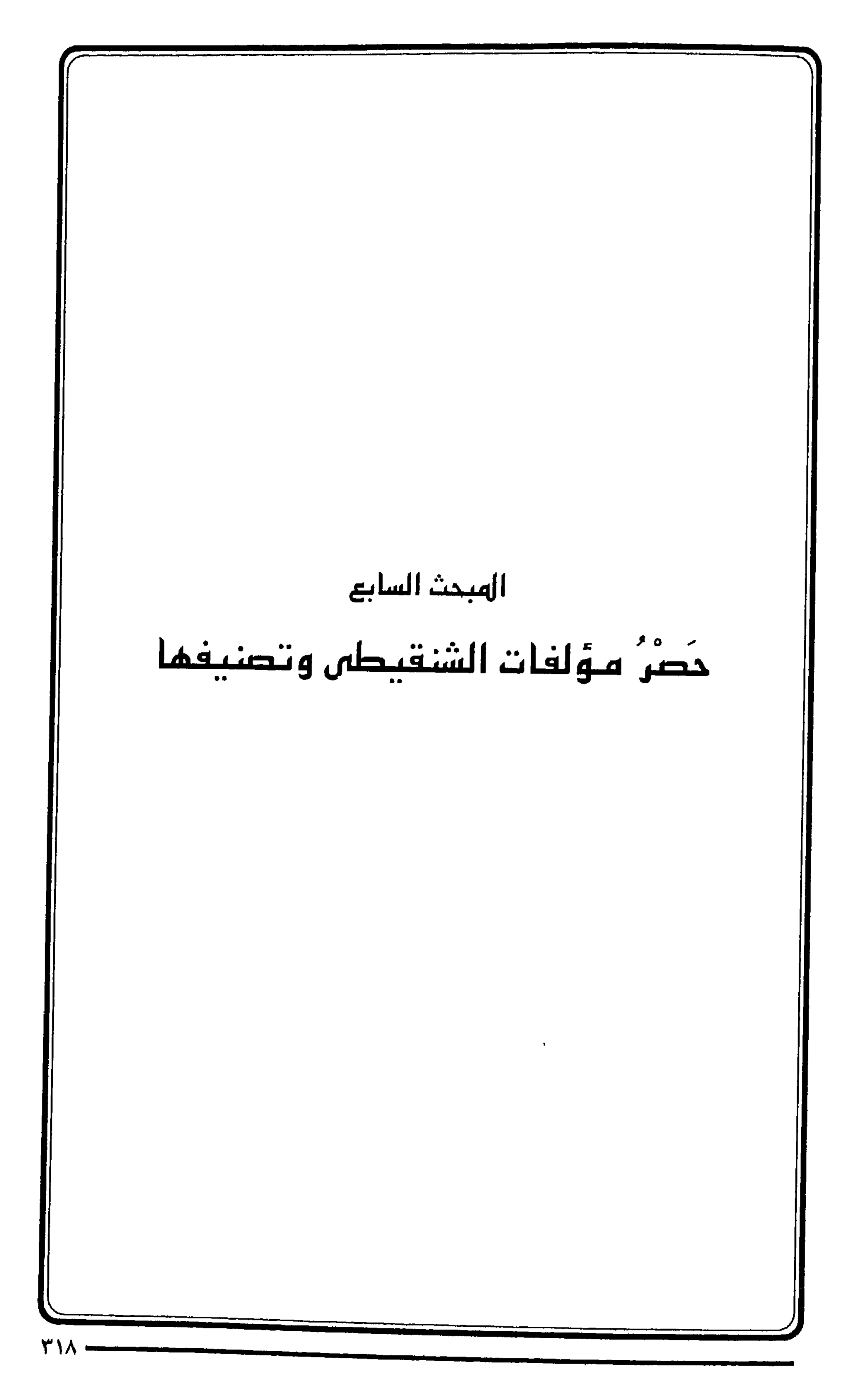
الأول : عند قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] والثانى : عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية[2] والثالث : عند قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[3] .

وهناك موضع رابع ليس من كلامه فى (الأضواء) وإنما قام بعض الإخوة بتفريغه من كلامه المسجل بصوته ضمن دروسه فى المسجد النبوىّ حول تفسير قول الله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية[4] .

وقد جاء هذا الكتاب فى أربع وستين صفحة من القطع الصغير شملت المقدمة والمواضع الأربعة المذكورة[5] .

---

(١) الإسراء : ٩ .
(٢) الكهف : ٢٦ .
(٣) الشورى : ١٠ .
(٤) التوبة : ٣١ .
(٥) انظر هذا الكتاب بنص عنوانه التالى :
- الحاكميَّة فى تفسير أضواء البيان: جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .



المبحث السابع

حَصْرُ مؤلفات الشنقيطي وتصنيفها

وباستثناء مؤلفاته (المسجلة والشعرية والمنسوبة) فقد بلغت مؤلفاته (المخطوطة والمطبوعة والمفقودة) ثلاثة وعشرين (٢٣) مؤلفًا فى مختلف فنون العلم وفروعه ، وجاء تصنيفها على النحو التالى[1] :

- **أولاً: التفسير :**

وله فى ذلك تفسيره المشهور بـ (أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) وهو موضوع هذا البحث .

- **ثانياً: علوم القرآن :**

وله فى ذلك أربعة مؤلفات هى :

١ - بيان الناسخ والمنسوخ مِنْ آى الذكر الحكيم .

٢ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

٣ - زيادة نظمه على رجز البحر (مخطوط) .

٤ - منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز .

- **ثالثاً: العقيدة :**

وله فى ذلك كتابه المعروف بـ (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) .

- **رابعاً: علم الأصول :**

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - مذكرة أصول الفقه .

٢ - نثر الورود على مَرَاقِى السُّعُود .

- **خامساً: الفقه :**

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - النظم الكبير فى فروع مذهب مالك (مخطوط) .

٢ - نظم فى علم الفرائض (مخطوط) .

- **سادساً: فن المنطق :**

وله فى ذلك أربعة مؤلفات هى :

---

(١) ميَّزنَا المخطوط من هذه المؤلفات بوضع لفظ (مخطوط) بين قوسين أمامها ، أما سِوَى ذلك فقد ميَّزْناه بلفظ (مطبوع) باستثناء مؤلف واحد مفقود وضعنا أمامه لفظ (مفقود) .

١ - آداب البحث والمناظرة .

٢ - ألفية المنطق (نظم مخطوط) .

٣ - شرحه على سُلَّم الأخْضَرِىّ (مخطوط) .

٤ - المنظوم وشرحه فى فنِ المنطق (طبعة جامعيّة تعليميّة) .

• **سابعًا : التاريخ والسِّيَر :**

وله فى ذلك مؤلفان هما :

١ - خالص الجُمَان فى أنساب بنى عدنان (نظم مفقود) .

٢ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام .

• **ثامنًا : موضوعات عامة :**

وله فى ذلك سبعة مؤلفات هى :

١ - الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة فى الطائرة (مخطوط) .

٢ - الإسلام دينٌ كاملٌ .

٣ - الرِّقُّ : أصله ومشروعيته فى الإسلام .

٤ - المُثُلُ العُلْيَا .

٥ - المصالح المُرْسَلَة .

٦ - منهج التشريع الإسلامىّ وحِكْمَتُه .

٧ - هل الخَلْقُ مرزُوقٌ مِنْ بركته ﷺ أو أنَّ للرزقِ أسبابًا أخرى ؟

* * *

•• **وفى الجُملة :**

فقــد كان الشنقيطى مُقِــلاً فى التأليف إذا ما قِـيسَ بما كان منه فى دروسه ومحـاضراته العامّة ، فضلاً عن جلساته ومناظراته الخـاصة ؛ وهذا ما التهمَ جُلَّ وقته ، ولم يترك له إلاَّ النزر اليسير ، والذى استوعبته بدورها مؤلفاته المذكورة.

وإلى انشغال الشنقيطى بالمشافهة ، وضـيق وقته بها عن التأليف ، ينوه الشيخ المجذوب بقوله : إن مـشاغله العلميـة رحمه الله فى الدروس والمحـاضرات ، وكذا المجالس العـامّة والخاصّة ؛ قد ضَيَّقَتْ عليه نطاق التأليف ، فلم يتيسر له الانقطاع إليه إلاَّ قليلاً[1] .

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : محمّد المجذوب ١/١٨٤ - ١٨٦ (بتصرف يسير) .

بل إن تلميذه الشيخ عطيـة يؤكد أن مشافهة شيخه كـانت أوسع مدى من تدوينه ، كما كانت دروسه أكثـر رحابة من كتبه ، مع تمكنه واقتداره فى كـلا الأمرين ، وفى هذا يحدثنا قائلاً : فى الواقع أن دروسه الشفـوية كانت أوسع مدى وأكثر انطلاقًا ، وقد سمـعته رحمة الله عليه يقـول: الارتجال أوسع مجال ؛ لأنه يترك الإنـسان يتجاوب مع شعـوره وما يخطر بباله ، أما التقيد بالكتابة فهو أدق ؛ لأنه لا يُفَوِّتُ على الإنسان شيئًا مما يقتضيه المقام .

غير أنه رحمة الله عليه كان إذا شافه استوفى واستغرق ، وإذا كتب وحَرَّرَ دَقَّق وحَقَّق ، وكلا الجانبين قَلَّ أن يستكملا لإنسان ؛ ولكنه فضل الله تعالى يؤتيه مَنْ يشاء مِنْ عباده[1] .

(٢) ضمن رَدّه المُسَجَّل على رسالتنا إليه .

تعقيبٌ
حـــول هـــذه الترجـــمة

وبعد هذا التطواف فى حـياة الشنقيـطىّ بمراحلها المتعـاقبة ، وأطوارها المخـتلفة ، منذ مولده وحـتى وفاته ، بما حَـوَتْهُ من نشاط علمىٍّ ورحـلات ، وما خَلَّفَـتْهُ من آثار علمـيّة ومؤلفات ؛ فإنه يطيب لنا أن نشير فى الختام إلى الأمرين التاليين :

أولاً : علمية هذه الترجمة ومنهجيتها :

تُعَدُّ هذه الترجمةُ هِىَ أوّلُ ترجـمةٍ علميّةٍ منهجيّةٍ مسئولةٍ ؛ فلم تكن كـغيرها من السِّير الذاتيـة ، أو التراجم التـاريخـية ، والتى يـغلبُ عليهـا طابع السَّـرد والحكاية ، أو القصّ والرواية ؛ فقـد جاءت مصبـوغة بالطابع العلمى ، ومتَّـسِمَةً بالتناول المنهـجىّ ؛ من حيث توخى الموسوعية والتفصيل ، والمناقشة والتحليل .

لذا ؛ فقد كان مما قَصَـدْتُ إليه أن تكون هذه الترجمة مختلفة علمـياً ومنهجياً عن نوع تلك التراجم السطحيّـة التى يَعْمَدُ فيها أصـحابها إلى الاكتفاء بذكر اسم المُتَـرْجَمِ له مقرونًا بتاريخ وموطن مـيلاده ، ثم إيرادهم أثرًا أو اثنين من مُصَنَفاته ومؤلفاته ، وأخـيرًا إشارتهم إلى حيثية نهايته ووفاته .

ناسين فى ذلك أو متجاهلين حَقّ هذه الترجمة وأهميتها ، غير مدركين أو مقدِّرين خطر إغفالهـا وسطحيتها ؛ الأمـر الذى أدّى ببعض الباحثين أن ساد لديهم تصـورٌ دائم مفاده أن الترجمة ليست على هذه الدرجة من الأهمية ، بل بالغ بعـضهم حينما اعتقد وجَزَمَ بأنها لا تَمُتُّ إلى العِلْم بصلَةٍ .

والحقُّ أن هذا المذهبَ على جانب عظيم من الخـطر ؛ لأنه مما ينبغى أن يُعْلم أن تراجم الرجال مـدارس الأجيـال ، ولا يُعْرَف العلماء الأعلام إلا باسـتيعاب تراجمـهم عـلى مَرّ الأيام .

ثانياً : صعوبة هذه الترجمة ومشقتها :

تمثلت تلك الصعوبة التى اعترضتنى إزاء هذه الترجمة فى ندرة المصادر التى تحدثت عن الشنقيطى أو تناولته بالذكر ، سـواء من معاصريه أو لاحقيه ، مـمَّنْ يُعْنَوْنَ بتراجم المفسرين وتصنيف مناهجهم؛ خاصة وأن الشنقيطى لم يكن يرضى بالكتابة عن نفسه فى حياته ، كما لم يكن يرضى بأن يكتب عنه غيره سواء من أبنائه أو حتى أخص تلامذته .

هذا فضلاً عن مشقة تصنيف حياته على امتدادها وثرائها إلى عدة مراحل متعاقبة ، ثم وَضْع كل مرحلة تحت العنوان الذى يناسِبُهَا ويُعَرِّفُ بها ، بل يترجِمُ ويَدُلُّ على مضمونها .

وحياةٌ بهذا الامتداد ، وذلك الشمول ، كحياة الشنقيطى التى حفلت بما لا يُحْصَى من الأخلاقيات والطرائف ، والسلوكيات والمواقف ، والتى تجلّت فيها أسمى صور البذل ، وتحققت من خلالها أعلى درجات العطاء ، فضلاً عما حفلت به مما لا يُعَدُّ من الأشخاص الذين التقى بهم الشنقيطى ، أو مِمَّنْ سَعَوْا ، بل وحرصوا على القرب منه ، على اختلاف مواقعهم من المسئولية ، وتباين مستوياتهم الفكرية والاجتماعية .

فمما لا شك فيه أن تناول مثل هذه الحياة بالدراسة والتصنيف ؛ لا يفى به إلا سِفْرٌ ضخمٌ يستوعب مراحلها المتعاقبة ، ويحتوى أطوارها المختلفة ، وهو أمر شاق كطبيعة الحياة ذاتها ؛ ولكن حسبنا أن هذا هو شأن البحث ومتعته ، وهو مما لا يخفى بحال ، ولا يُنْكَرُ فى هذا المجال .

لكل ما سبق كانت حتمِيّةُ هذه الترجمة وأهميتها ، وكذا عِلْمِيَّتُهَا ومنهجيتُها ، بكل دقائقها وتفاصيلها، ومناقشتها وتحليلها؛ ولاسيما أنها تدور فى فَلَكِ الدراسات المتخصصة ، وتندرج تحت جملة الأبحاث المسئولة ؛ وهى تهدف فى المقام الأول إلى تسليط الضوء على حياة الشنقيطى ، بما يكشف عن خصوصيتها وثرائها ، وبما يُبين عن مدى فائدتها ونفعها ؛ أملاً فى أنْ تُسْهِمَ بوجهٍ أو بآخر فى إفادة مَنْ يرجع إليها ، أو يُعَوِّلُ عليها .

* * *

•• وأخيراً :

فإنه لا يسعنا إلا أن نقول : رَحِمَ الله تعالى الشنقيطىَّ ، وجعل حياته فى ميزان حسناته يوم اللقاء ، وجزاه كفاءَ ما قدّم لدينه خيرَ الجزاء ، وصدق سبحانه فيما وَعَدَ به عبادَه ، إذ يقول تعالى : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ الآية[1] .

بل وأكثر من هذا حينما يَعِدُهُم سبحانه بأن يُوَفِّىَ لهم الجزاء ، ويُجْزِلَ لهم العطاء ، بأَزْيَدَ مما قَدَّمُوا ، وأَحْسَنَ مما عَملوا ، إذ يقول تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية[2] ويقول تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ الآية[3] .

---

(١) الرحمن : ٦٠ . (٢) يونس : ٢٦ . (٣) المزمل : ٢٠ .



القسم الثانى

المنهج

السِّمَات العامة

لمنهج الشنقيطى فى التفسير

وتنتظم تمهيدًا وثلاثة أبواب وتعقيبًا :

• تمهيد : بين المنهج ومَسْلك البحث .

الباب الأول : الجمع بين المأثـــور والمعقـــول .

الباب الثانى : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية .

الباب الثالث : التحليل لسائر ما يَعْرِض لـــه .

• تعقيـب : حول هذا المنهج .

تمهيد

بين المنهج ومَسْلك البحث

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : المنهج :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولى : ماهية المنهج .

ب - المسألة الثانية : أهمية المنهج .

٢ - المطلب الثاني : مَسْلك البحث :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : مقدمة التفسير .

ب - المسألة الثانية : متن التفسير .

جـ - المسألة الثالثة : تَتِمَّة التفسير .

القسم الثانى : المنهج

المطلب الأول

المنهـــــج

ونعرض للحديث عنه من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

ماهية المنهـــج

تتمثل ماهية المنهج فى تلك الركائز الأساسية ، والدعائم الرئيسة ، التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى يشكل كل منها مَعْلَمًا بارزًا ، ويرسم ملمحًا واضحًا ، من معـالم هذا المنهج ومـلامحه ؛ الأمـر الذى يمكننا مـعه أن نعتـبر هذه الركـائز ، وتلك الدعائم ، بمثابة (السِّمَات العامة لمنهج الشنقيطى فى التفسير) والتى تمثلت فى كل من :

١ - السمة الأولى : الجمع بين المأثور والمعقول :

حيث يبدأ الـشنقيطى إزاء ما يَعْرِض له من الآيات بالتـفسير بجـمع ورصد كل ما ورد بشأنها من المأثور ، والذى يشمل تفسير النبىّ ﷺ وكذا تفـسير صحابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم يُثَنِّى بعد ذلك بجمع ورصـد كل ما ورد بشأنها من المعقول والذى يشمل رأى كل مَنْ سبقه من عامة المفسِّرين وخاصّتهم ، من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

٢ - السمة الثانية : التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وبعد الجمع يعمد الشنقيطى إلى ذلك الرصيـد المجموع من المأثور والمعقول ؛ فَيُنْعِمُ فيه النظر ، ويُجِيلُ فـيه الفِكْر ؛ لِيُـؤَصِّلَه فى النهاية من خلال إدراجـه تحت موضوعـات أحد العلوم السبعة المتمـثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

٣ - السمة الثالثة : التحليل السائر ما يَعْرِض له :

وبعد الجـمع والتأصـيل يعمد الشنقـيطى إلى تحليل ما جـمعه وأصَّلـه من خلال ثلاثة محاور تمثلت فى كل من :

المحور الأول المتمثل فى (الانتقاد) والذى يشمل نقد الشنقيطى كلاً من: (الإسرائيليات- المفسِّرين- المحدّثين- الأصوليين- الفقهاء- الفِرَق الإسلامية - اللغويين- المؤرخين) .

ثم يأتى المحور الثانى المتمثل فى (الاستنباط) والذى يلجأ إليه الشنقيطى عندما لا ينتهى من خلال الانتقاد إلى رأى راجح ؛ ومن ثم يعمد إلى ذات النص ليرفع خَفَاءَه ، ويُزِيلَ إِشْكَالَه ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفقَ ضوابطه المعتبرة .

وأما المحور الثالث والأخير والمتمثل فى (الاجتهاد) فيلجأ إليه الشنقيطى عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ؛ ومن ثم يعمد إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به ، ليصل من خلاله إلى نظرته الذاتية ، ويُنْتِجَ على هَدْيِه رأيه الخاص ، وذلك فى إطار أدلته الشرعية ، ووفق ضوابطه المعتبرة كذلك.

المسألة الثانية

أهمية المنهج

تتبلور أهمية المنهج من خلال أهمية سماته الثلاث المذكورة ، والتى تتبلور بدورها فى الخاصتين التاليتين :

١ - المنهجيّة :

ونعنى بها تلك العلاقة المتوالية المتنامية ، بل ذلك الارتباط المتدرج المُحْكَم ، والذى تنتظم فى سِلْكِه هذه السِّمات الثلاث ؛ بحيث تعتمد كل سِمَة منها على سابقتها ، وتُسْلِمُ فى ذات الوقتَ إلى لاحقتها ، وذلك إضافة إلى دلالة مسميات هذه السِّمات على مضامينها، حيث تبدأ بالجمع ، ثم تمر بالتأصيل ، وتنتهى أخيرًا بالتحليل .

أما الجمع فَيُعَدُّ البداية المنطقية ، والخطوة الأساسية ، والتى يتم من خلالها استحضار ورصد كل ما ورد من المأثور والرأى بشأن ما يتناوله الشنقيطى من آيات ، أو يَعْرِض له من تفسير .

وهذا الجمع يُسْلِم بطبيعة الحال إلى التأصيل ، والذى يتم من خلاله إدراج وتصنيف ذلك الرصيد المجموع تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية العديدة ، وما يتصل بها من مسائلهما وفنونهما المختلفة .

ثم إنّ هذا التأصيل يُسْلِمُ بدوره إلى التحليل ، والذى يتم من خلاله البحث والتفنيد والمناقشة والتوجيه والترجيح ، أو رفع خَفَاء النص وإزالة إشكاله ، أو إنتاج رأى جديد غير منصوص عليه قياسًا على ما هو منصوص عليه ، وهى ما نعبّر عنها جميعًا بـ (الانتقاد) ثم (الاستنباط) وأخيرًا (الاجتهاد) .

وهكذا تتضح بجلاء منهجية هذه السِّمَات الثلاث التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير جمعًا وتأصيلاً وتحليلاً .

٢ - الشمولية :

وبالنظر إلى جملة هذه السِّمَات الثلاث ؛ فإنه يتبين لنا مدى ما تتميّز به من الشمول ، ومدى ما يتحقق فيها من الاستيعاب ؛ والذى يتأدّى عنه بالضرورة شمول منهج الشنقيطى واستيعابه .

لأن المنهج عندما يكون قائمًا على جمع المادة ، ثم النظر فيها لتأصيلها ، وأخيرًا تحليلها نقدًا واستنباطًا واجتهادًا ، من خلال هذا التسلسل المنطقىّ ، وذلك التتابع المنهجىّ ؛ فلابد وأن يتصف بالشموليّة ، ويَتَّسِمَ بالاستيعاب .

وهذا هو الشأن بالنسبة لمنهج الشنقيطى فى التفسير ، والذى يستطيع من خلال شموله واستيعابه أن يمتلك زمام المسألة التى يتناولها ، ويسيطر على حدود القضية التى يَعْرِض لها .

المطلب الثانى

مَسْلك البحث

وإزاء تحديد السِّمَات العامة التى يقوم عليها بناء منهج الشنقيطى فى التفسير ، والتى تمثلت فى (الجمع) و (التأصيل) و (التحليل) فقد كان أن اعْتَمَدْتُ على دراسة واستقراء كل من (مقدمة التفسير) ثم (مَتْن التفسير) وأخيرًا (تَتِمَّة التفسير) والتى اسْتَخْلَصْتُ من مجموعها ملامح منهج الشنقيطى ومعالمه ، ثم كان أن صُغْتُهَا فى السِّمَات الثلاث المذكورة بعد أن بَيَّنْتُ ما ورد فى (المقدمة والمَتْن والتَّتِمَّة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

مقدمة التفسير

حيث يُضَمِّنُهَا الشنقيطىُّ السببَ الذى بعثه على تأليف تفسيره ، مشيرًا من خلال ذلك إلى بعض الخطوات المنهجية التى سلكها إزاء ما فسَّره من آيات القرآن العظيم ، قائلاً ما نصه : أما بعد فإنا لما عرفنا إعراض أكثر المُتَسَمِّيْنَ باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ، ونبذهم له وراء ظهورهم ، وعدم رغبتهم فى وعده ، وعدم خوفهم من وعيده ؛ علمنا أن ذلك مما يُعَيِّنُ على مَنْ أعطاه الله علمًا بكتابه أن يجعل همته فى خدمته ، من بيان

معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة الإشكال عما أُشْكِلَ منه ، وبيان أحكامه ، والدعوة إلى العمل به ، وترك كل ما يخالفه .

واعلم أن السُّنّة كلها تندرج فى آية واحدة من بحره الزاخر وهى قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] ومن أهم المقاصد فى ذلك هو هذا الكتاب المبارك الذى هذه ترجمته[2] .

ثم اعلم أن أهم المقصود بتأليفه أمران أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ، والثانى : بيان الأحكام الفقهية فى جميع الآيات المُبَيَّنَة فى هذا الكتاب ، والذى تَضَمَّنَ أموراً زائدة على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتَاج إليه من صرف وإعراب ، والاستشهاد بشعر العرب ، وتحقيق ما يُحتَاج إليه فيه من المسائل الأصولية ، والكلام على أسانيد الأحاديث .

وبعد ذلك نذكر مقدمة فى تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحتَاج إليه من مسائلهما من غير تطويل ، ثم نشرع إن شاء الله تعالى فى المقصود مرتبًا على ترتيب سور القرآن العظيم ، ونرجو من الله الكريم على ما فينا أن نكون داخلين فى قول رسول الله ﷺ الثابت فى (صحيح البخارى) من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : « خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه » وفى رواية له : « إنّ أفضلكم مَنْ تعلم القرآن وعَلّمه » الحديث [3] .

كما نرجوه تعالى أن يوفقنا للعمل بما علمنا من كتابه ، والتَّخَلُّق بما فيه من المكارم ، والتأديب بآدابه، وأن يُعَلِّمَنَا ما جَهِلْنَا ، ويذكرنا ما نُسِّينَا منه، وأن يرزقنا إخلاص النية فى جميع الأعمال، وأن يحفظنا بفضله ورحمته من فساد القصد فى الأعمال إنه رحيم كريم[4] .

المسألة الثانية

متن التفسير

ويشتمل على تفسير ثمان وخمسين سورة بدأها الشنقيطى بـ (الفاتحة) وختمها بـ (المجادَلة) واستغرقت سبعة أجزاء من تفسيره (أضواء البيان) وقد ضمنها جُلَّ ما أشار إليه فى (المقدمة) من حيث التزامه بها ، وتطبيقه لها .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) ويقصد بقوله : (هذا الكتاب المبارك) أى تفسيره (أضواء البيان) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه بروايتيه (كتاب) فضائل القرآن (باب) خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه - (طبع بيروت) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى ١٩/٨٩ - حديث رقم (٥٠٢٧) وحديث رقم (٥٠٢٨) - (طبع الأزهرية) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٧ - ٦٩ (من المقدمة) .

وإلــى نهايــة مــا فسَّره الشنقيطى يشير تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فى آخر الجزء السابع قائلاً: قد انتهى ما كتبه فضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، وأَجْزَلَ له المثوبة ، وأَعْلَى له المنزلة ، ونَفَعَه بعد موته بما وَرَّثَ من علمه ، ونفع بعلمه طلابه ، وضاعف له بنفعهم ثوابه ، إنه سميع مجيب .

ولقد كان رحمه الله تعالى حريصًا كل الحرص على إنجاز هذا الجزء المبارك وتقديمه لطلاب العلم ، كما كان حريصًا على إتمام الكتاب لإكمال منهجه فيه والاستفادة منه ، ولكن إرادة الله نافذة ، وقدرته غالبة ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، وجوار ربه سبحانه ؛ ومن ثم فقد قام أبناؤه وخاصة طلابه بالعمل على إنجاز هذا الجزء المبارك ، وتقديمه لطلاب العلم على النحو الذى كانوا يعملونه معه رحمه الله ، وهم جَادُّون فى إكمال الكتاب على ما ييسره الله لهم .

فَرَحِمَ الله المؤلفَ بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وشكر الله لأبنائه وطلابه وكل مَنْ ساهم فى هذا العمل من بعده، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى الله وسَلَّم وبَارَكَ على عبده ورسوله محمد ﷺ (١) .

المسألة الثالثة

تتِمَّة التفسير

وهى من عمل الشيخ عطية محمد سالم أوّل وأخصّ تلاميذ الشنقيطى ، بل أقربهم إليه ، وأكثرهم ملازمة له ، وقد اشتملت على تفسير ست وخمسين سورة بدأها الشيخ عطية بـ (الحشر) وختمها بـ (الناس) واستغرقت الجزأين الثامن والتاسع من (أضواء البيان) أو الأول والثانى من (التَّتِمَّة) .

وفى بداية هذه التتمة يشير الشيخ عطية إلى محاولة التزامه منهج شيخه والسير عليه ، مع اعتذاره سلفًا عما قد يشوب ذلك من تقصير فيقول : وبعد فإن لكل كتاب مقدمة تنبئ عن موضوعه ، وتُوَجِّه القارئ إلى ما اشتملت عليه مباحثه، وتُبَيِّنُ منهج مؤلفه، لِيَسْتَهْدِى القارئ بها فى دراسته، ويَتَعَرَّفَ منها على مقاصده ؛ فيسير معه ، ولا يخرج عنه ، وتتمة

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٨٠ .

القسم الثانى : المنهج

الأضواء هذه التى نقدم لها ليست بكتاب مستقل يتطلب مقدمة مستقلة ، ولا هى جزء مما تَقَدَّمَهَا فَيُكْتَفَى لها بمقدمة الكتاب المتقدِّم ، بل إنها بمنزلة البعض التابع للكل ؛ فلا هى بمستقلة عنه ، ولا هى جزء منه .

وقد عمل الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه لكتاب (الأضواء) مقدمة واسعة شاملة، أودعها منهجه فى كتابه ، وبيَّن فيها مقاصده من تأليفه ، ثم بيَّن أن المسلك الذى سلكه واجب ومتحتم على كل مَنْ أعطاه الله علمًا بكتابه ، ثم دعا لانصراف الهِمَّة لخدمته فى بيان معانيه ، وإظهار محاسنه ، وإزالة كل إشكال عما يشكل منه ، وبيان أحكامه وطريقة استنباطها، ثم الدعوة القوية إلى تحكيمه والعمل به، وتَرْكِ كل ما يخالفه ؛ لأنه الذى ضَمِنَ الله للمتمسكين به الهداية فى الدنيا والسعادة فى الآخرة كما قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ الآية[1] كما بيّن علاقته بالسُّنة، وعلاقة السُّنة به .

وقد كان رحمه الله حريصًا كل الحرص على إتمامه ؛ ولكن وافته المنية قبل ذلك بعد أن أنجز مَهَامَّه وأتم مقاصده، وذَلَّلَ صِعَابَه وفتح أبوابه، إلا اليسير اليسير منه، وهو ما بعد سورة (قد سمع) ومن ثم ؛ فقد كان على أكابر العلماء الذين أعطاهم الله حظًا من علم الكتاب والسُّنة أن ينهجوا نهجه ، ويتمّوا عمله ؛ وقد رَجَوْتُ ورغّبتُ الكثيرين فى ذلك مِمَّنْ هم أحق وأَوْلَى بهذا من غيرهم ، فاعتذروا بأعمالهم وكثرة تَبِعَاتِهِم ، لا قصورًا فيهم ، ولا تقصيرًا منهم .

وبمواجهة الأمر الواقع من شدة الحاجة لإتمام الكتاب ، ومن اعتذار أصحاب الفضيلة عن ذلك ، ولما كان حقًا للشيخ على طلابه - وخاصة الذين لازموه وعملوا معه فيه ، ثم علموا مسلكه ومنهجه - أن يتموه ؛ لذا فقد استخرنا الله تعالى فى القيام بما أمكن ، مستعينين الله تعالى ، معترفين بالقصور ، مؤمّلين العذر فى التقصير .

غير أنه لما كان معلومًا عُرْفًا ، وموجودًا فعلاً ، فى فن التأليف ، أنه لا يتأتى من أى شخص أن يُكْمِلَ كتابًا لغيره ، ويكون على نفس المنهج الذى ابتدى به ، مهما كان ذلك الشخص ، من حيث القدرة العلمية ، ومهما كان بينهما من تقارب فى الفهم ، اللهم إلا النادر الفذ كتفسير (الجلالين) مثلاً ، وقد ساعد على تناسقهما إيجازه الذى لا يظهر معه

(١) طه : ١٢٣ .

الفَرْقُ عادة[1] لأنه من المعلوم أن لكل شخص منهجَه الخاص ، ومَشْرَبَه الذاتى ، ومَسْلَكَه العلمى ، وهذا واضح فى التفاسير المستقلة .

وقد سمعت الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه يؤكد هذا المعنى بقوله : (لو أن الإنسان يكتب مِنْ تلقاء نفسه ؛ لكان أيسر مِنْ التزامه بكتابٍ لغيره ، له وجهة نظره ، ولا يتأتى الخروج عليه) لذا ؛ فقد كان من العسير جدًا ، أو المتعذر فعلاً ، أن يأتى أحد بمنهج الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، ولا سيما مع ما أعطاه الله من سَعَة العلوم فى عدة فنون ، كالمتخصص فى كل فن .

ولعل فى ذلك العذر الشافى ، والاعتذار الكافى ، إزاء ما قمتُ به وأتممتُه ؛ فإن وجد القارئ الكريم فيه غَنَاءً ولو يسيرًا ، فبفضل من الله وإمداده ، ثم بتوجيه من الشيخ رحمه الله وحسن إعداده ، واستفادة من منهجه وإرشاده ؛ فلله الحمد والشكر والثناء الجميل ، وللشيخ الرحمة والثواب الجزيل ، وإن كان صحيفةً ومِداداً ؛ فإلى الله المشتكى مِنْ جُهْدٍ قليل ، وقِلَّةِ التحصيل ، وعلى أهل الفضل الإصلاح والتعديل .

ونرجو الله تعالى أن يجعل من أبناء الشيخ خير خَلَفٍ لخير سَلَفٍ ، إنه سميع مجيب ، وأن يرزقنا جميعًا إخلاص النيّة ، وحُسْنَ الطويّة ، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه ، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه ، وصَلَّى الله وسَلَّمَ وبَارَكَ على صَفِيِّهِ من خلقه ، وخاتم رسله ، وعلى آله وصحبه أجمعين[2] .

كما ختم الشيخ عطية محمد سالم الجزء الثانى من هذه التَّتِمَّة بما يشبه ذلك من (الاعتذار) فضلاً عن (الشكر والتقدير) لكل مَنْ عمل معه فى (أضواء البيان) فساهم فى إنجازه ، وعاون على إتمامه[3] .

* * *

---

(١) انظر (تفسير الجلالين) : للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلّىّ ت (٨٦٤ هـ = ١٤٥٠م) وجلال الدين عبد الرحمن السّيوطىّ ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - طبعة دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

(٢) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨/٣ - ٨ (بتصرف من الجزء الأول من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

(٣) انظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٩/٦٩١ - ٦٩٤ (الجزء الثانى والأخير من التتمة بقلم الشيخ عطية محمد سالم) .

•• وبعـــد :

فإنّ هذه السِّمات الثلاث (الجمع والتأصيل والتحليل) بماهيتها وأهميتها ، لتتضافر جميعها ، وتتكاتف فيما بينها ؛ بهدف تجلية منهج الشنقيطى ، وإبرازه للعيان ؛ ومن ثم فإنها تثمر ثمرها ، وتؤْتِى أُكُلَهَا ، من حيث تحديدها خط السَّيْر الذى يلتزمه الناظِر فى تفسير الشنقيطى ، مستهديًا بحدود هذا المنهج ، ومستضيئًا بمعالمه .

وليأخذ بيديْه فى النهاية إلى تحقيق الهدف الكلىّ المنشود ، والذى يتمثل فى (إحداث عملية الفهم الشامل للنص القرآنى سواء على مستوى الإفراد أو على مستوى التركيب) ودون أن يُكَلِّفَه ذلك مُؤْنَةَ البحث ومشقته ، أو يُجَشِّمَه إهدار الوقت وإضاعته .

وبدون تحديد هذه السمات الثلاث لا يتم تحديد منهج الشنقيطى ؛ ومن ثم نظل نفتقد الوسيلة الفعلية ، والأداة العملية ، لتحقيق الهدف المنشود من تفسيره .

الباب الأول

السِّمَة الأولى

الجمـــع بيـن المأثـور والمعقـول

وينتظم تمهيدًا وفصلين :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

١ - الفصل الأول : تفسير القرآن بالمأثـور .

٢ - الفصل الثانى : تفسير القرآن بالمعقول .

تمهيـــد

بين يدىْ هذا الباب

وقـبل أن نشرع فى تناول السِّـمَـة الأولى من سِمَـات منهج الشنقـيطى الثلاث ؛ فـإن الضرورة المنهجيّة تقتضينا أن نقدّم بين يدىْ ذلك بهذا التمهيد الذى يشمل الأمرين التاليين :

١ - التفسير عند الشنقيطىّ:

يأتى التفـسير عند الشنقـيطى مرادفًا لـ (المعنى) ومـساويًا له ، وهذا ما يتـبين لنا بجلاء ووضوح مِن خلال التقعيد النظرىّ الذى ضَمَّنه مـقدمة تفسيره ، ثم أكدّه من خلال التطبيق العملى الذى أورده فى ثناياه المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

أ - التقعيد النظرىّ:

حيث جاء (التـفسير) مرادفًا لـ (المعنى) كـقاعدة نظرية ينطلق منها الشنقيطى فـى فهمه لهذا المصطلح، والذى يُضَمِّنَه مقدمة تفسيره قـائلاً ما نصُّه : إنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسـير كتاب الله بكتـاب الله؛ إذ لا أحد أعلم بـ (معنى) كـلام الله جلّ وعَلاَ مِنْ الله جلّ وعَلاَ[١] .

فهو يذكر هنا (التفسير) مرادفًا لـ (المعنى) ومساويًا له ، وهذا ما يتفق بدوره مع تعريف التفسير فى كل من اللغة والاصطلاح ، وهو ما تبلوره خلاصة ما انتهى إليه البحث إزاء رأيه فى مصطلـح التفسـير ، والذى مـفاده : (أن التفـسير عـبارة عن عـملية الفـهم الشامل ، والاستيعاب الكلىّ ، للـنصّ القرآنىّ ، على مستوى لفظه المفرد ، ومستـوى جملته المركبّة) وذلك بهدف استنطاق معناهمـا الظاهر القريب ، أو حملهما استنبـاطًا أو اجتهادًا إلى المعنى المؤول البعيد ، فى إطار الضـوابط المعتبرة من اللغة والأصول ، ومن خـلال الاستعانة بكل عِلْمٍ يؤدى إلى تحصيل تلك الغاية المرجوة ، وإدراك ذلك الهدف المنشود .

ب - التطبيق العملىّ:

ويؤكد الشنقيطى تقعيده النظرىّ لمفهوم التـفسير كمرادفٍ للمعنى ومُسَاوٍ له ، وذلك من خلال تطبيقه العملى على هذا ، والذى نكتفى هنا بذكر بعض شواهده تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى تتمثل فيما يلى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦٧/١ (مِن المقدمة) .

- **الشاهد الأول :**

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ الآية(1) نراه يَشْرَع فى ذلك قائلاً : قال بعض العلماء : (يعنى) إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت فتابوا حينئذ ، وهذا التفسير يشهد له قول الله تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الآية(2) .

ثم يستطرد قائلاً : وقال بعض العلماء : (معنى) « لن تقبل توبتهم » أى لن يُوَفَّقُوا للتوبة حتى تُقْبَلَ منهم ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ الآية(3) .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه(4) .

- **الشاهد الثانى :**

وفى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ الآية(5) نراه يَشْرَع فى ذلك قائلاً : (يعنى) ليزعموا أن النبى ﷺ إنما تَعَلَّمَ هذا القرآن بالدرس والتعليم عن غيره من أهل الكتاب ، كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من (جَبْر ويَسَار) وكانا غلامين نصرانيين بمكة ، وقد أوضح الله بطلان افترائهم هذا فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية(6) وكقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26)﴾ الآيات(7) و(معنى) يؤثر : أى يرويه محمد ﷺ عن غيره فى زعمهم الباطل .

ثم يستطرد الشنقيطى حتى ينتهى إلى أنّ تفسير كل من قول الله تعالى : ﴿ وكذلك نُصَرِّفُ الآيات ﴾ وقوله تعالى فى ذات الآية : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ إنما يرجع إلى (معنى واحد) وهو ما يُصَرِّح به فى قوله : قال مقيده عفا الله عنه : (ومعناهما) آيلٌ إلى شىء واحد ، ويشهد له القرآن فى آيات كثيرة دالة على أنه يُبيِّن الحق واضحًا فى هذا الكتاب لِيَهْدِىَ به قومًا ، ويجعله حُجَّةً على آخرين ، كقول الله تعالى : ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

(1) آل عمران : 90 .
(2) النساء : 18 .
(3) النساء : 137 .
(4) أضواء البيان : الشنقيطىّ 1/343 .
(5) الأنعام : 105 .
(6) النحل : 103 .
(7) المدثر : 24 - 26 (ثلاث آيات) .

به قَوْمًا لُدًّا﴾ الآية[1] .

ويستمر الشنقيطى فى حشد جملة الآيات التى تشهد لهذا (المعنى) الذى ذهب إليه[2] .

- **الشواهد الأخرى:**

وما صنعه الشنقيطى فى الشاهدين السابقين من استعماله (التفسير) كمرادف لـ (المعنى) هو ذات ما صنعه أيضًا فى معرض تفسيره لجملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية[3] وفى قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ الآية[4] وفى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الآية[5] الذى يبيّن (معناه) قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية[6] وفى قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الآية[7] وأخيرًا فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾[8] .

هذا إلى غير ذلك من الآيات العديدة التى يَعْرِض الشنقيطى لـ (تفسيرها) على أنه مرادف لـ (معناها) وقد حرصنا على أن تشمل هذه الشواهد هنا أجزاء التفسير السبعة بمعدل شاهد من كل جزء ، وفى جملتها هذه تنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا التفسير المختلفة .

٢ - الجمع عند الشنقيطى :

ونعنى به جمع الشنقيطى بين المأثور والرأى فى تفسير ما يتناوله من الآيات ، حيث نقصد بالمأثور عنده كلاً من تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنة ، وأخيرًا تفسير القرآن بالآثار التى تشمل بدورها آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أما الرأى عنده فيأتى فى المرتبة الثانية ، ونقصد به تفسير القرآن بآراء العلماء السالفين من المفسرين المعتبرين من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصر الشنقيطىّ الذى كان فيه .

---

(١) مريم : ٩٧ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢٠٦/٢ .

(٣) الإسراء : ٦٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٠٣/٣ .

(٤) مريم : ٣٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢٧٥/٤ .

(٥) الحج : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤٨٩/٥ .

(٦) البقرة : ١٩٨ .

(٧) الشعراء : ٢٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٣/٦ - ٣٩٤ .

(٨) الأحقاف : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٧٧/٧ .

أما رأيه هــو والذى يتمثل فــى قوله الخاص ، ونظرتـه الذاتية ، إزاء ما يَعْـرِض له من قضايا ، أو يذهب إليه من آراء ؛ فـذلكم ما تَتَضَمَّنُه السِّمَة الثالثة من سِـمَات منهجه ونعنى بها (التحليل) والذى يشمل بدوره كلاً من (الانتقاد) و (الاستنباط) و (الاجتهاد) .

* * *

وفيمـا يلى نعرض لتفسير الـشنقيطى بكل من المأثور والرأى ، حيث نبدأ ذلك بتقـعيده النظرىّ لكل منهما ، ثم نُثَنِّى بعده بتطبيقه العملىّ عليهما .

الفصل الأول

تفسير القرآن بالمأثور

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسُّنة .

٣ - المبحث الثالث : تفسير القرآن بالآثار .

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظريّ .

٢ - المطلب الثاني : التطبيق العمليّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول

التقعيد النظري

وينتظم المسائل الخمس التالية :

١ - المسألة الأولى : إجماع العلماء .

٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطى .

٣ - المسألة الثالثة : تأكيده لموقفه .

٤ - المسألة الرابعة : احتجاجه بكلام السُّيُوطِيّ .

٥ - المسألة الخامسة : استحفاظه القرآن واستظهاره له .

ونعنى به موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بالقرآن كقاعدة نظرية ، وركيزة أساسية ، ينطلق منها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسير ، وفيما يلى نبيّن ذلك من خلال المسائل الخمس التالية :

المسألة الأولى

إجماع العلماء

يُجْمِعُ المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، على أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّرُ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ؛ ومن ثم فقد نصّوا على أنّ تفسير القرآنب القرآن إنما يُعَدُّ المصدر الأول للتفسير ، بل وينقل السيوطى إجماعهم على هذا قائلاً : قال العلماء : مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز ؛ فإنه يطلبه أولاً من القرآن ؛ فما أُجْمِلَ منه فى مكان فقد فُسِّرَ فى مكان آخر ، وما اختُصِرَ منه فى موضع فقد بُسِطَ فى موضع آخر[1] .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطى

وبعد : فماذا عَسَاه يكون موقف الشنقيطىّ من ذلك ؟

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقفًا واضحًا ليوافق به إجماع العلماء على أنّ أوّل ما يجب أنْ يُفَسَّرَ به القرآن إنما هو القرآن ذاته ، بل ويعلل ذلك بأنه لا أحد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ مِن الله عزّ وجلّ ، وهذا ما ينصٌ عليه فى أحد الأمرين اللذين قصد بهما تأليف تفسيره ، وقد ضَمَّنَهُمَا مقدمته قائلاً : واعلم أنّ أهم المقصود بتأليفه أمران ، أحدهما : بيان القرآن بالقرآن ؛ لإجماع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله ؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا مِنْ الله جلّ وعلا[2] .

المسألة الثالثة

تأكيده لموقفه

حيث نرى الشنقيطىّ يؤكد تقعيده النظرىّ هنا من خلال تفسيره لقول الله تعالى :

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن : السيوطىّ ٤/ ١٧٤ (بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٧ (من المقدمة) .

﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[1] حيث يقول فى ذلك ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة أنه نَزَّلَ على رسوله هذا الكتاب العظيم تبيانًا لكل شىء ، وبَيّن ذلك فى غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[2] على القول بأن المراد بالكتاب فيها (القرآن) أما على القول بأنه (اللَّوْح المحفوظ) فلا بيان بالآية .

وعلى كل حال ؛ فلا شك أنّ القرآن فيه بيان كل شىء ، بل والسُّنة كُلُّهَا تدخل فى آية واحدة منه وهى قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[3] .

المسألة الرابعة

احتجاجه بكلام السيُوطِيّ

وحالما يفرغ من ذلك نراه يفيض فى ذكر تفسير السيوطىّ لهذه الآية ، والتى يُبيِّن من خلالها شمول القرآن وعمومه لكافة ما يتعلق بأمور الخلائق فى دنياهم وأخراهم ؛ وإزاء هذا ينقل نصّ كلام السيوطىّ بطوله وتمامه من كتابه المَوْسُوم بـ : (الإكليل فى استنباط التنزيل) والذى يمكننا معه أن نوجز فحواه فيما يلى :

يبدأ السيوطى كلامه فى كتابه المذكور بقوله :

قال الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[4] وقال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[5] وقال ﷺ : « ستكون فِتَنٌ ، قيل : وما المخرج منها ؟! قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكْم ما بينكم » الحديث[6] وعن ابن مسعود قال : (مَنْ أراد العلم فعليه بالقرآن ؛ فإنّ فيه خبر الأولين والآخرين)[7] قال البيهقى : أراد به أصول العلم .

---

(1) النحل : ٨٩ . (2) الأنعام : ٣٨ .

(3) الحشر : ٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/ ٣٣٥ .

(4) النحل : ٨٩ . (5) الأنعام : ٣٨ .

(6) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(7) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ - راجعه وصححه : أبو الفضل عبد الله محمد الصدّيق الغمارىّ الحسنى - طبع على نفقة السيد : أسعد الدرابزونى - دار العهد الجديد للطباعة - الخرنفش - القاهرة - (د.ت) .

وهذا القول أخرجه سعيد بن منصور عن خُدَيْج بن معاوية عن أبى إسحاق بن مُرَّة عن ابن مسعود رضي الله عنه - انظر (سُنن سعيد بن منصور) ت (٢٢٧هـ = ٨٤٢ م) : ١/ ٧ - حديث رقم (١) - (قسم التفسير) - دراسة وتحقيق : د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حُمَيِّد - الطبعة ١ - دار =

وعن الحسن البصرى قال : (أنزل الله تعالى مـائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة : التـوراة والزبـور والإنجيل والفـرقان ، ثــم أودع الثلاثة الفـرقان ، ثم أودع علوم القـرآن المفصّل ، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب ؛ فمَنْ عَلِمَ تفـسيرها كمَنْ عَلِمَ تفسير الكتب المُنَزَّلَة)[1] .

وعـن الإمام الشافعـىّ قال : (جميع ما تقول الأمة شرح للسُّنَّة ، وجميع شرح السُّنَّة شرح للقرآن)[2] وعن بعض السلف قال : (ما سمعت حديثًا إلاّ التمست له آيةً من كتاب الله)[3] وعن سعيد بن جبير قـال : (ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه ؛ إلاّ وجدت مِـصْدَاقَه فى كـتاب الله)[4] وعن ابن مسـعود قال : (إذا حـدثتكم بحديث ؛ أنبأتكم بتصـديقه من كتاب الله)[5] وعنه أيضًا قال : (أُنزِلَ فى القرآن كُلُّ عِلْمٍ ، وبُيِّنَ لنا فيه كُلُّ شىء ، ولكن عِلْمَنَا يَقْصُرُ عمّا بُيِّنَ لنا فيه)[6] .

= الصميعى للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .

كما أخرجه البيهقى من طـريق سعيد بن منصور عن حُدَيْج به - انظر (شُعَب الإيمان) : لأبى بكر أحمـد بن الحسين البـيهقـى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - ٢/ ٣٣٢ - حديث رقم (١٩٦٠) - تحقيق : أبى هاجر محـمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعـة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م - وقد أشـار المحقق إلى أن هذا القول سنده ضعـيف إلا أنه صحيح لغيره .

وقد لاحظـت أنه وقع فى (شُعَب الإيمان) اسم (خـديج) بالخاء المعـجمة وهو خطـأ ، وصوابه (حُدَيْج) تصغير (حَدَج) بالحاء المهـملة ، وقد ترجمه الحافظ المِزِّىّ على الصـواب باسـم (حُدَيْج بن معـاوية بن حُدَيْج بن الرُّحَيْل بن زُهَيـر ابن خيثمـة الجُعْفىّ الكوفىّ) - انظر (تهـذيب الكمال فى أسماء الرجال) : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجاج يوسف المِزِّىّ ت (٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) = (٥/ ٤٨٨ - ٤٩٠) - حققـه وضبط نصه وعلّق عليه : د. بشّار عوّاد معروف - الـطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(١) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ - كـما أخرجه البيهقى فى (شُعَب الإيمان) : ٢/ ٤٥٠ - حديث رقم (٢٣٧١) .

(٢) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٣) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٤) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٥) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

(٦) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخـرجـه الطبرى فـى معـرض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل : ٨٩ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - ١٤/ ١٦٢ - الطبعـة ٢ - شركة مـكتبة ومطبـعة مصطفى الـبابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لو أغفل شيئًا لأغفل الذَّرَّةَ والخَرْدَلَة والبَعُوضَة » الحديث[1] وعن الشافعى قال : (جميع ما حكَمَ به النبىّ ﷺ فهو مما فهمه من القرآن) ويؤيد هذا قوله ﷺ : « إنى لا أُحِلُّ إلاّ ما أَحَلَّ الله فى كتابه ، ولا أُحَرِّمُ إلاّ ما حَرَّمَ الله فى كتابه » الحديث[2] .

وعن الشافعى أيضًا قال : (ليست تنزل بأحد نازلة إلاّ فى كتاب الله الدليل على سبيل الهُدَى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسُّنّة ؟! قلنا : إنّ ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ؛ لأنّ كتاب الله ﷺ أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفَرَضَ علينا الأخذ بقوله ، وذات مرة كان الشافعى بمكة فقال : سَلُونى عمّا شئتم ؛أخبركم عنه من كتاب الله ، فقيل له : ما تقول فى المُحْرِم يقتل الزُّنْبُور ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) ذكره السيوطى فى كتابه (الإكليل فى استنباط التنزيل) : ص ٥ .

كما أخرجه السيوطى فى كتابه (الحاوى للفتاوى) : ٢٨٧/٢ - مطبعة السعادة - القاهرة - (د. ت) - وانظر تخريجه أيضًا فى (موسوعة أطراف الحديث النبوىّ) : إعداد خادم السُّنّة المطهرة أبى هاجر محمد السعيد ابن بسيونى زغلول - ١٨٦/٣ - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - محرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

● ويقصد بـ (الذَّرَّة) هنا ما جاء من ذكرها بمواضعها السِّتة فى جملة الآيات التالية :

فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء : ٤٠ - وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ يونس : ٦١ - وقوله تعالى : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ سبأ : ٣ - وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ سبأ : ٢٢ - وقوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ الزلزلة : ٧ - وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة : ٨ .

● كما يقصد بـ (الخَرْدَلَة) ما جاء من ذكرها فى موضعيها من الآيتين التاليتين :

فى قول الله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء : ٤٧ - وقوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان : ١٦ .

● وأخيرًا فإنه يقصد بـ (البَعُوضَة) ذكرها فى موضعها الوحيد فى القرآن فى قول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة : ٢٦ .

(٢) ذكر السيوطى تخريج الطبرانى له فى (معجمه الأوسط) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - انظر (الإكليل فى استنباط التنزيل) ص ٥ .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] وقال النبىّ ﷺ : « اقتدوا باللَّذَيْنِ مِنْ بعدى أبى بكر وعمر » الحديث[2] وأنّ عمر بن الخطاب ﷺ : (أمر بقتل المُحرِمِ الزُّنْبُورَ)[3] .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده : ٥/ ٣٨٢ حديث رقم (٢٣٢٩٣) - ٥/ ٣٨٥ حديث رقم (٢٣٣٢٤) - ٥/ ٣٩٩ حديث رقم (٢٣٤٣٤) - ٥/ ٤٠٢ حديث رقم (٢٣٤٦٧) - (طبع قرطبة) .

كما أخرجه الترمذى فى سننه (كتاب ٥٠) المناقب عن رسول الله ﷺ (باب ١٦) فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما - ٥/ ٥٦٩ حديث رقم (٣٦٦٢) - ٥/ ٥٧٠ حديث رقم (٣٦٦٣) - (طبع العلمية) .

وأخرجه ابن حِبّان فى صحيحه (كتاب ٦١) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين (باب) ذكر أمْر المصطفى ﷺ المسلمين بالاقتداء بأبى بكر وعمر بعده - قال المحقق : هذا حديث صحيح إسناده حسن - انظر (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حِبّان) : تأليف الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسىّ ت (٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م) - ١٥/ ٣٢٧ - حديث رقم (٦٩٠٢) - حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

أما ما أورده الشنقيطى من رواية السيوطى التى ذكرها عن الشافعى عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير بن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ فقد أخرجها البيهقىّ عن الشافعىّ بإسناده إلى حذيفة ﷺ - انظر (معرفة السُّنن والآثار ، عن الإمام أبى عبد الله محمد ابن إدريس الشافعىّ ، مُخَرَّجٌ على ترتيب مختصر أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنىّ) : تصنيف الإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن علىّ البيهقى - ٤/ ٢٣٣ - حديث رقم (٣٢٣٦) - تحقيق : سيد كسروى حسن - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

(٣) أخرجه البيهقى بسنده عن الشافعى من رواية سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » - كما أخرج البيهقى بسنده عن الشافعى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب ﷺ : (أنه أمر بقتل الزنبور) - انظر (معرفة السُّنن والآثار) : البيهقى (كتاب ١٢) المناسك (باب ٦٨٢) أصل ما يَحِلُّ قتله من الوحش وما يَحْرُمُ عليه - ٤/ ٢٣٣ - حديث رقم (٣٢٣٦) .

● وقد لاحظت أنه وقع فى (معرفة السُّنن والآثار) اسم (طاووس بن شهاب) وهو خطأ ، وصوابه (طارق بن شهاب) وقد ترجمه ابن أبى حاتم الرازى على الصواب باسم (طارق بن شهاب البجلى الأحمسى) - انظر (كتاب الجرح والتعديل) : للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - ٤/ ٤٨٥ - الطبعة ١ - (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند) بالتعاون مع (دار الكتب العلمية ببيروت بلبنان) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

كما ترجمه الحافظ المِزّىّ على الصواب كذلك باسم (طارق بن شهاب) فى كتابه (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) : ٢١/ ٣١٨ .

وعن ابن مسعود قال : (لَعَنَ الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحُسْن ، المغيِّرات لخَلْق الله) فقالت له امرأة فى ذلك ! فقال : (وما لى لا ألعن مَنْ لَعَنَ رسولُ الله ﷺ وهو فى كتاب الله ؟!) فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ؟! قال : لئن قرأتيه فلقد وجدتيه ! أمَا قرأت قول الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الآية[1] قالت : بَلَى ؛ قال : فإنه قد نهى عنه[2] .

وعن ابن بَرَّجَان[3] قال : (ما قال النبىّ ﷺ مِن شىءٍ فهو فى القرآن ، أو فيه

---

(1) الحشر : ٧ .

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب ٦٥) تفسير القرآن (باب ٤) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الحشر : ٧ - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٨/ ٦٣٠ - حديث رقم (٤٨٨٦) - رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، واستقصى أطرافه ونبَّه على أرقامها فى كل حديث : محمد فؤاد عبد الباقى - كما قام بإخراجه وتصحيح تجاربه ، وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - (د.ت) .

وقد أخرجه البخارى مختصراً فى أربعة مواضع أخرى من (كتاب اللباس) فى الجزء العاشر من (صحيحه) على النحو التالى :

(كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٢) المتفلجات للحسن - ١٠/ ٣٧٢ حديث رقم (٥٩٣١) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٤) المتنمصات - ١٠/ ٣٧٧ حديث رقم (٥٩٣٩) - ثم (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٥) الموصولة - ١٠/ ٣٧٨ حديث رقم (٥٩٤٣) - وأخيراً (كتاب ٧٧) اللباس (باب ٨٧) المستوشمة - ١٠/ ٣٨٠ حديث رقم (٥٩٤٨) .

كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٣٧) اللباس والزينة (باب ٣٣) تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجات والمغيرات خَلْقَ الله - انظر (صحيح مسلم) : ٣/ ١٦٧٨ - حديث رقم (٢١٢٥) - وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه ، وعَدَّ كتبَه وأبوابه وأحاديثه ، وعلّق عليه مُلَخِّصُ شرح الإمام النووى مع زيادات عن أئمة اللغة ، خادم الكتاب والسُّنة : محمد فؤاد عبد الباقى - طبع دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبى - القاهرة - (د. ت) .

(3) ابن بَرَّجَان ت (٥٣٦ هـ = ١١٤٢ م) :

هو الإمام القدوة أبو الحَكَم عبد السلام بن أبى الرجال محمد بن عبد الرحمن اللَّخْمِىّ المَغْرِبِىّ الإفريقى ثم الأندلسىّ الإشْبِيلِىّ ، وضبط (بَرَّجَان) بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدهما جيم مفتوحة ثم ألف ونون .

كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام ، كما عُرِفَ بالتصوف والزهد وكثرة العبادة فأطلق عليه (شيخ الصوفية) ومن تصانيفه المفيدة : (كتاب شرح أسماء الله الحُسْنَى) وغيره ، وقد توفى مُغَرَّبًا عن وطنه بـ (مَرَّاكُش) ودُفِنَ بجوار قبر الزاهد الكبير (أبى العباس العريف) من العام المذكور .

أصله قَرُبَ أو بَعُدَ ، فهـمه مَنْ فهمه ، أو عَمِهَ عنه مَنْ عَمِـهَ ، وكذا كلُّ ما حكَمَ أو قَضَى به) وقال غيره : مـا من شىء إلاّ يمكن استخراجه من القرآن لِمَنْ فَهَّـمَه الله تعالى ؛ حتى إن بعضهم قد استنبط عُـمْرَ النبىّ ﷺ ثلاثًا وستين سَنَةً من قول الله تعالى : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ الآية[1] فإنـها رأس ثلاث وسـتين سورة ، وقـد عَقَّـبَهَا بـسورة (التغابُن) ليظهر التغابن فى فَقْدِه .

ثم ينقل السـيوطى بعـد ذلك كلامًا طويلاً عـن الإمام المُرْسِى[2] بشـأن شمول الـقرآن وإحاطته ، وهو ما يمكننا أن نوجز منه قوله التالى :

جمع القرآن علوم الأولين والآخِرين ؛ بحيث لم يُحِطْ بهمـا عِلْمًا حقيقةً إلا المتكلم به

= راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٢٠/ ٧٢ - ٧٤ .
- طبقات المفسِّرين : للحافظ شمس الدين الداودى ١/ ٣٠٠ - ٣٠١ .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : لحاجى خليفة ١/ ٦٩ - ٧٠ .

(١) المنافقون : ١١ .

(٢) الإمام المُرْسِىّ ت (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م) :

هو العلاّمة المفسِّر المحدِّث الأديب النحوى الفقيه ذو الفنون شرف الدين أبو عبـد الله محمد بن عبد الله بن محـمد ابن أبى الفضل السُّلَمِىّ المرسى الأندلسى نسبة إلى مولده بمدينة (مُـرْسِيَة) ببلاد الأندلس ، وقد كان نبيلاً ضريرًا يحدِّث بكتاب (السُّنن الكبـرى) للبيهقىّ ، وكتاب (غرائب الحديث) للخطَّابىّ ، ومن مصنفـاته العديدة : (الضوابط النحـوية فى علم العربية - الإمـلاء على المُفَصَّل - كتاب فى أصـول الفقه والدين - كتاب فى البلاغـة والبديع - مختصر صـحيح مسلم - الكافى فى النحو - تعليق على موطأ مالك) وغيرها - كما كان كثير الشيوخ والسماع ، وقد حدَّث بالكثير فى كل من : (مصـر والشام والعراق والحـجاز) ثم كانت وفـاته (بين العريش والزَّعْقَـة فى طريقه إلى دمشق) فَدُفِنَ بتل الزعقة من العام المذكور .

انظر تفصيل ترجمته فى كل من :

- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م) - (١٨/ ٢٠٩ - ٢١٣) .
- سير أعلام النبـلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨ هـ = ١٣٧٤ م) - (٢٣/ ٣١٢ - ٣١٨) .
- طبقات الشافعـية الكبرى: لتاج الدين السبكى ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - (٨/ ٦٩ - ٧٠) - تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحى) .
- بغيـة الوعاة فـى طبقات اللُّغويين والنحـاة : للحافظ جلال الديـن عبـد الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - (١/ ١٤٤ - ١٤٦) - تحـقـيق : محـمـد أبى الفـضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

سبحانه ، ثم رسوله ﷺ خلاَ مـا استأثر الله تعالى به ، ثم وَرِثَ عنه معظمَ ذلك ساداتُ الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس الذى قـال : (لوضاع لى عِقَـالُ بعير لوجـدتُه فى كـتاب الله) ثم ورث عنهم التـابعون لهم بإحسـان رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم تقاصَرَتْ الـهِمَم ، وفَتَرَتْ العزائم ، وتـضاءل أهل العلم ، وضعفـوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون مِن علومه وسـائر فنونه ؛ ومن ثم فقد نوّعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى (القُرَّاء) بضبط لغاته وتحرير كلماته ، واعتنى (النُحَاة) بالمعرب منه والمبنى وجميع ما يتعلق بهما ، واعتـنى (الأصُوليّون) بما فيه من الأدلة العقليّة والشواهد النظريّة ، وأحكم (الفقهاء) صـحيح النظر وصادق الفكر فيما فيـه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، وتَلَمّح (المؤرّخـون) ما فيـه من قصص القـرون السابقـة والأمم الخاليـة ، وتنبّه (الخطبـاء والوعاظ) لما فـيه من الحِـكَم والمواعظ والأمثـال التى تقلقل قلوب الرجـال وتكاد تُدَكْدكُ الجبال ، واستنبط (المعبِّرون) ما فيه من أصول التعبير فى الرؤيا والعُرْف ، وأخذ منه (أهلِ الفرائض) سهَام المواريث وأربابها ، ونظر (الفلكيون) إلى آياته الدالة على المواقيت وما يتعلق بها ، ونظر (الكُتّاب والشعراء) إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم .

وإلى جانب هذه الفنون التى أخذتها الملّة الإسلامية من هذا القرآن العظيم ، فقد احتوى على علوم أُخَرَ من علوم الأوائـل مثل : (الجَدَل - الهيـئة - الطب - الهندسة - الجـبر - المقابلة - النجامة) وغـيرها ، كما حَوَى من أصول الصنائع التى تدعو الضـرورة إليها كلاً من : (البناء - الغزل - النسج - الصيد - الرمى - الغوص - الخَبْز - الطحن - الطبخ - الغَسْل - الحـدادة - الخياطة - الصـباغة - الصـياغة - الزِّجَاجَـة - الفخارة - القـصَارَة - الفلاحـة - الملاحة - الجزارة - الحِجَارَة - النجارة - التجارة)[1] فضلاً عما فيه من أسماء الآلات ، وما اشتمل عليه من ضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع وتقع فيه الكائنات .

---

(١) الزِّجَاجَة : أى صناعة الزُّجَـاج ، وهى مهنة (الزَّجَّاج) - انظر مادة (زَجَج) فى المعـجم الوسيط : ٤٠٣/١ .

● القصَارَة : أى تقصير الشَّعْر ، وهى مهنة (القَصَّار) وهو المعروف لدينا اليوم بـ (الحَلاَّق) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الفتح : ٢٧ - وانظر مادة (قَصَرَ) فى لسان العرب : ٣٦٤٤/٥ .

● الحِجَارَة : أى العمل فى الأحجار بالنَّحْت أو القَطْع أو التكسير أو ما شابه ذلك ، وهى مهنة (الحَجَّار) الذى يقوم بهذا فى (المَحْجَر) أى فى المكان الذى تقطع منه الأحجار فى الجبال - انظر مادة (حَجَرَ) فى المعجم الوسيط : ١٦٣/١ .

ثم يضيف السيوطى إلى كلام المُرْسِى السابق قوله : وقد اشتمل كتاب الله على كل شىء ، فأنواع العلوم ليس منها باب ولا مسألة هى أصل ؛ إلاّ وفى القرآن ما يدل عليها ، كما أن فيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والأرض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ، وبَدْء الخَلْق ، ومشاهير الرسل والملائكة ، وأخبار الأمم السالفة ، كما أن فيه شأن النبىّ ﷺ وسيرته ، وبَدْء خَلْق الإنسان إلى موته وكيفيته ، وعذاب القبر وسؤاله ، ومقر الأرواح ومصيرها ، وأشراط الساعة الكبرى وعلامتها ، وأحوال البعث وشئون الحساب بدرجاته ودركاته[1] .

وأخيراً فقد اشتمل القرآن على جميع أسماء الله الحسنى إلى جانب ألف اسم من أسمائه المطلقة سبحانه ، فضلاً عن اشتماله على جملة من أسماء النبىّ ﷺ ثم شُعَب الإيمان البِضْع والسبعين ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسَ عشرةَ ، وكذا أنواع الكبائر وكثير من الصغائر ، ثم ختام ذلك كله باشتماله على تصديق كل حديث ورد عن النبىّ ﷺ .

وحالما يفرغ الشنقيطى من نقله نصّ كلام السيوطىّ هذا ؛ ؛ فإنه يَعْمَد عندئذ إلى التعقيب على هذا النقل مُعَلّلاً طوله وتمامه بقوله : وإنما أوردناه بِرُمَّتِهِ مع طوله ؛ لما فيه من إيضاح أنّ (القرآن فيه بيان كل شىء) وإنْ كانت فى الكلام المذكور أشياء جديرة بالانتقاد ، غير أننا تركنا مناقشتها خوف الإطالة المملّة ، مع كثرة الفائدة فى جملة الكلام المذكور[2] .

المسألة الخامسة

استحفاظه القرآن واستظهاره له

أتم الشنقيطى الحِفظ عندما أتم العاشرةَ من عُمره ، حتى إذا استوى عوده ، ونَضِجَتْ مداركه ؛ عَمَد عندئذ إلى معايشة القرآن لفظًا ومعنى ، وظل يدأب على هذا حتى استقر كتاب الله فى جَنَانَيْه : (قلبه وعقله) وقد ساعده ذلك على استقراء القرآن والإحاطة به ، فضلاً عن استيعاب دقائقه وتفاصيله ، وكذا الإلمام بجملة علومه المختلفة .

(١) الدَّرَجَات عكس الدَّرَكَات : فالأولى بمعنى الارتقاء والصُّعود ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف : ٧٦ – وأما الثانية فبمعنى الانحطاط والهبوط ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ النساء : ١٤٥ – والله تعالى أعلى أعلم .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٣٣٦ – ٣٤٥ (بتصرف واسع) .

حتى إذا ما قصد الشنقيطى إلى التفسير وتوجّـه إليه ؛ تَجَلَّى وقتئذ أثَرُ استحفاظه القرآن واستحضاره جميع الآيات المتماثلة فى موضع الشاهد الذى يريده ويَعْرِض له ، وكأنّ القرآن بهذا منشور أمامه ، وموضوع نصب عينيه ، يقع فـيه على ما يشاء وقتما يشاء ، من أقرب السبل وأيسـرها ؛ وصدق الحق سبحانه فى تيـسيره هذا القرآن العظيم ، لـمَنْ رغب فيه ، وأقبل عليه ؛ إذ يقـول فى محكم التنزيل : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ الآية[1] .

والشنقـيطى دون أى شـك وبلا أدنى ريب أحـد هـؤلاء العـلماء الذين أتمّ الله عليـهم النعمـة ، وأسبغ لهم المِنّة ؛ فنالوا بذلك حظًا وافـرًا ، وغنموا قسطًا عظيـمًا ، من تيسـير القرآن لهم ، وجمعه واستحفاظه فى صدورهم .

* * *

•• وبعــد :

فقد رأينا كيف أن الشنقيطى يفيض فى الاحتجـاج لموقفه ، بل والتأكيد عليه من خلال ما يحشده من الأدلة الشرعية ، وما يسوقه من الشـواهد المعتبرة ، والتى تُطْبِقُ جميعها على حقيقة موقفه الذى يمكننا ذكر خلاصته بقولنا :

إن تفسيـر القرآن بالقرآن إنما يُعَدُّ عند الشنقـيطى بمثابة تلك القاعدة النـظرية ، والركيزة الأساسية ، التى ينطلق منها ، بل ويعتـمد عليها ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يعرض له من تفسـير ، وقد ساعـده على ذلك كله استحفـاظه القرآن واستظهاره له ، وهذا مـا يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) القمر : ٤٠ .

المطلب الثانى

التطبيـــق العملـــىّ

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - **المسألة الأولى** : الأشكال الأربعة :

وذلك من خلال كـل من : (جزء الآية - كل الآية - أجـــزاء الآيات - جـــملة الآيات) .

٢ - **المسألة الثانيــة** : الطرائق الأربعة :

وذلك من خـلال كل من : (التـمـاثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بالقرآن ، والذى يُجَسِّد من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلىّ فى أشكال أربعة تنازعتها بدورها طرائق أربعة ، وفيما يلى نَعْرِض لتفصيل شواهدها من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

الأشكـــال الأربعـــة

لم يلتزم الشنقيطى نمطًا واحدًا إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، وإنما اختلف تناوله من آية إلى آية ، ومن سورة إلى سورة ؛ الأمر الذى أنتج بدوره الأشكال الأربعة التاليّة :

١ - جـــزء الآيـــة :

حيث يلجأ الشنقيطىّ أحيانًا إلى تفسير جزء أو أكثر من الآية الواحدة ، تاركًا بذلك أجزاءها الأخرى دون تفسير ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

أ - مثال الجزء من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الآية[١] نراه لا يفسّر من هذه الآية سوى قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ حيث يقول ما نصه:

الاستعانة بالصبر على أمور الدنيا والآخرة لا إشكال فيها، وأما نتيجة الاستعانة بالصلاة فقد أشار الله تعالى لها فى آيات من كتابه ؛ فذكر أنّ من نتائج الاستعانة بها : النهى عما لا يليق وذلك فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ الآية[٢] وأنها تجلب الرزق وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ الآية[٣] ولذا كان ﷺ إذا حَزَبَه أَمْرٌ بَادَرَ إلى الصلاة[٤] .

ب - مثال الجزأين من الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ الآية[٥] نراه لا يفسّر من هذه الآية

(١) البقرة : ٤٥ .
(٢) العنكبوت : ٤٥ .
(٣) طه : ١٣٢ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٧ .
(٥) البقرة : ٤٠ .

سوى قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ حيث يقول ما نصه :

قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لم يبيّن هنا ما النعمة التى أنعمها عليهم ، ولكنه بيّنها فى آيات أخر كقوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ الآيتان[3] إلى غير ذلك من الآيات[4] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ لم يبيّن هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بيّن ذلك فى مواضع أخرى كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية[5] فعهدهم هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضًا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية[6] إلى غير ذلك من الآيات[7] .

٢ - كل الآية :

حيث يلجأ الشنقيطى أحيانًا إلى تفسير الآية كلها ، إمّا بتناولها دفعة واحدة ، وإمّا بتناولها على عدة دفعات ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

أ - مثال الدفعة الواحدة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية[8] نراه يعرض لتفسير هذه الآية بتمامها دفعة واحدة ، حيث يقول ما نصه :

---

(١) البقرة : ٥٧ .
(٢) البقرة : ٤٩ .
(٣) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦
(٥) المائدة : ١٢ .
(٦) آل عمران : ١٨٧ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ١/١٣٦.
(٨) الكهف : ٦٥ .

هذا العبد المذكور فى هذه الآية الكريمة هو (الخضر) عليه السلام بإجماع العلماء ، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبىّ ﷺ وهذه الرحمة والعلم اللّدنىّ اللذان ذكر الله امتنانه عليه بهما، لم يبيّن هنا : هل هما رحمة النبوّة وعلْمُها ، أو رحمة الولاية وعلمها ؟ كما أن العلماء مختلفون فى الخضر : هل هو نبىّ أو رسول أو ولّى ؟! وفى ذلك يقول الراجز :

واختلفتْ فى (خَضْر) أهل العُقول   قيل : نبىٌّ أو ولّىٌّ أو رسُول

وقيل : إنه مَلَك ، ولكنه يُفْهَمُ من بعض الآيات أنّ هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوّة ، وأنّ هذا العِلم اللّدنىّ عِلم وَحْى ، مع العِلم بأنّ فى الاستدلال بهما على ذلك مناقشات معروفة عند العلماء .

وقد استطرد الشنقيطى فى ذكر تلك المناقشات وتحليلها ، مع الإدلاء برأيه فيها ، والرّدّ على مخالفيها ، على مدار اثنتين وعشرين صفحة كاملة[1] .

ب - مثال العدة دفعات :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية[2] نراه يعرض لتفسير جُلِّ هذه الآية على أربع دفعات جاءت على النحو التالى :

قوله تعالى : ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ ثم قوله تعالى : ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ .

وقد استغرق تفسيره لهذه المقاطع الأربعة من خلال تلك الدفعات الأربع قرابة ست صفحات كاملة[3] .

٣ - أجزاء الآيات :

حيث يلجأ الشنقيطى أحيانًا إلى تفسير الجزء الأخير من نهاية آية مع الجزء الأول من بداية الآية التى تليها ، أو الجزء الأخير من نهاية آية مع كامل الآية التى تليها ؛ وضابط الشنقيطى فى ذلك إنما يرجع إلى (تمام المعنى) لذلك يجمع بين تلك الأجزاء ، على ما يذهب إليه ويراه ، وقد تَجَلَّى ذلك واضحًا فيما يلى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/١٥٧ - ١٧٩ .   (٢) الكهف : ٢٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٨٠ - ٨٥ .

أ - مثال آخر الآية مع أول التى تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ الآيتان[1] نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى التى حيث قول الله تعالى : ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ الآية[2] مع المقطع الأول من الآية الثانية حيث قول الله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ الآية[3] .

ب - مثال آخر الآية مع كامل التى تليها :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨)﴾ الآيتان[4] نراه يتناول المقطع الأخير من الآية الأولى حيث قول الله تعالى : ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ مع كامل الآية التى تليها[5] .

٤ - جملة الآيات :

حيث كثيراً ما يلجأ الشنقيطى إلى الجمع بين تفسير جملة من الآيات داخل السورة الواحدة ، وأغلب ما يقع منه ذلك فى السور ذوات الآيات القصيرة ، وقد تراوحت جملة هذه الآيات التى يجمع بين تفسيرها فى آن واحدة ما بين آيتين وخمس وتسع وأربعَ عشرةَ آيةً ؛ حيث لم تقل جملة هذه الآيات المجموعة عن آيتين ، ولم تزد على أربعَ عشرةَ آيةً على مدار تفسيره كله ، ومن ذلك ما يلى :

أ - الجمع بين آيتين :

وذلك فى معرض جمعه بينهما فى قول الله تعالى : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ وقوله تعالى : ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ الآيتان[6] .

---

(١) طه : ٨٦ - ٨٧ (آيتان) .
(٢) طه : آخر الآية ٨٦ .
(٣) طه : أول الآية ٨٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩١ - ٤٩٦ .
(٤) طه : ٨٧ - ٨٨ (آيتان) .
(٥) طه : آخر الآية ٨٧ مع كامل الآية ٨٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٦) طه : ٢٧ - ٢٨ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٤٠٥ .

وأيضًا فى معرض جمعه بين قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الآيتان(1) .

ب - الجمع بين خمس آيات :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ الآيات(2) .

جـ - الجمع بين تسع آيات :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ الآيات(3) .

د - الجمع بين أربعَ عشرةَ آيةً :

وذلك فى معرض جمعه بين جملة هذه الآيات فى قول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ الآيات(4) .

---

(1) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٥٦٠ - ٥٦١ .

(2) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٦٠٥ .

(3) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧١١ .

(4) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربعَ عشرةَ آية) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٦٦٨ .

المسألة الثانية

الطرائق الأربعة

لم يلتزم الشنقيطى طريقة واحدة ، ولم يَسِرْ على درب واحد ، إزاء تفسيره تلك الأشكال الأربعة من الآيات ، وإنما سلك فى سبيل تحقيق ذلك أربع طرائق تفسيرية ، وقد استمرت هذه الطرائق الأربعة واطَّرَدَتْ من مَبْدأ تفسيره حتى منتهاه ، وتتمثل فيما نَعْرِض له بالتفصيل من خلال شواهدها التالية :

١ - التماثل :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى ذكر الآيات المماثلة لها فى المعنى ؛ حتى يوشك بذلك أن يَحْصُرَ جميع ما يناظرها فى معناها فى مختلف مواضعها من سُوَر القرآن الكريم وآياته ؛ الأمر الذى يبدو وكأنه (**قاموس قرآنى شامل**) أو (**معجم مفهرس جامع**) من حيث حصره جميع الآيات التى تماثل الآية المفسَّرة فى المعنى ؛ والذى يتأدّى عنه فى النهاية تحقيق معنى هذه الآية المقصودة ، عن طريق المعانى المماثلة لتلك الآيات المحصورة .

غير أنّ هذا الحصر قد يكون ناقصًا وهو ما نسميه بـ (التماثل بالقلَّة) وقد يكون كاملاً تقريبًا وهو ما نسميه بـ (التماثل بالكثرة) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالى :

أ - التماثل بالقلة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾ الآية[1] نراه يورد جملةً من الآيات القليلة التى لا تمثل حصرًا كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه : قوله تعالى فى هذه الآية عن إبليس : ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾ يدل فيه إنكار إبليس للسجود بهمزة الإنكار على إبائه واستكباره عن السجود لمخلوق من طين .

وقد صرّح بهذا الإباء والاستكبار فى مواضع أُخَر ، فصرح بهما معًا فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ الآية[2] وصرّح بإبائه فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ الآية[3] وصرّح باستكباره فى قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ الآية[4] كما بَيَّن سبب استكباره فى قوله تعالى : ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ**

(١) الإسراء : ٦١ . (٢) البقرة : ٣٤ . (٣) الحِجْر : ٣١ .
(٤) ص : ٧٤ .

مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الآية فى موضعين[1] .

فتلكم ست آيات مماثلة لمعنى الآية المذكورة ، وهو عدد قليل بالنسبة لجملة الآيات الأخرى المماثلة، والتى عرضت لقضية إباء إبليس واستكباره على السجود لآدم ؛ حيث بلغ مجموع هذه الآيات اثنتى عشرةَ آيةً ، وباستثناء الآيات السِّت المذكورة هنا ؛ يصير الباقى منها ست آيات لم يذكرها الشنقيطى .

وفيما يلى نورد نص هذه الآيات السّت بحسب ترتيب سورها فى القرآن على النحو التالى :

فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[2] وفى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣)﴾ الآيتان[3] وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ الآية[4] وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ الآية[5] وأخيرًا فى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ الآية[6] .

ب - التماثل بالكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية[7] نراه يعرض لقضية الرِّقِّ فى الإسلام ، فيفسِّر من خلالها (مِلْك الرقيق) على أنه (مِلْك اليمين) موردًا فى ذلك جملة من الآيات الكثيرة التى توشك أن تمثل حصرًا كاملاً للآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة ، حيث يقول ما نصه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : لم يختلف المسلمون فى جواز الملك بالرّق ، ومعلوم أنّ سببه أَسْرُ المسلمين الكفارَ فى الجهاد ، والله تبارك وتعالى يعبِّر فى كتابه عن المِلْك بالرّق بعبارة هى أبلغ العبارات فى توكيد ثبوت مِلْك الرقيق وهى مِلْك اليمين ؛ لأن ما ملكته يمين

(١) الأعراف : ١٢ مع صٓ : ٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/ ٦٠٤ .
(٢) الأعراف : ١١ . (٣) الحجْر : ٣٢ - ٣٣ (آيتان). (٤) الكهف : ٥٠ .
(٥) طه : ١١٦ . (٦) صٓ : ٧٥ . (٧) سورة محمد ﷺ : ٤ .

الإنسان فهو ملْك له تمامًا ، وتحت تصرّفه تمامًا ؛ وذلك كقول الله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[1] وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الآية[6] وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ الآية[7] وقوله تعالى : ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[9] وقوله تعالى : ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية[10] وقوله تعالى : ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ﴾ الآية[11] .

فالمراد بملْك اليمين في جميع هذه الآيات هو الملْك بالرِّقِّ ، ثم إنّ الأحاديث والآيات التى بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهى معلومة ؛ فلا ينكر الرق فى الإسلام إلاّ مكابر أو ملحد أو مَنْ لا يؤمن بكتاب الله ولا بسُنّة رسوله ﷺ[12] .

فهذه اثنتا عشرة آية ساقها الشنقيطى نظرًا لتماثل معناها مع معنى الآية المذكورة ، وهذا ما يشبه أن يكون حصرًا كاملاً لجميع هذه الآيات المماثلة ؛ ومن ثم فإننا نرى أن قول الشنقيطى : (والآيات التى بمثل ذلك يتعذر حصرها ، وهى معلومة) هو قول غير دقيق من حيث دلالته على مقصوده ؛ لأنّ هذه الآيات التى لم يذكرها لا تتجاوز ثلاث آيات فقط هى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[13] وقوله تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية[14] وقوله تعالى : ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الآية[15] .

---

(١) النساء : ٣ .
(٢) المؤمنون: ٦ - المعارج : ٣٠ .
(٣) النساء : ٢٤ .
(٤) النور : ٣٣ .
(٥) النساء : ٣٦ .
(٦) الأحزاب : ٥٢ .
(٧) الأحزاب : ٥٠ .
(٨) النور : ٣١ .
(٩) النساء : ٢٥ .
(١٠) النحل : ٧١ .
(١١) الروم : ٢٨ .
(١٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤١٩ - ٤٢٠ .
(١٣) النور : ٥٨ .
(١٤) الأحزاب : ٥٠ .
(١٥) الأحزاب : ٥٥ .

وبهذا تصل جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية المذكورة خمسَ عشرةَ آية تمثل الحصر الكامل لجميع هذه الآيات فى القرآن ؛ ومن ثم فأين تَعَذُّرُ هذا الحصر الذى يصرّح به الشنقيطى ؟! خاصة وأنه أورد اثنتى عشرةَ آية من المجموع الكلىّ لهذه الآيات والبالغ خمسَ عشرةَ آية !! فهذه الآيات الثلاث لا ترقى لئن تكون مُسَوِّغاً لحكم الشنقيطى عليها بتعذر الحصر ، كما لا يشفع له فى ذلك العلمُ بها !!

ونظراً لكثرة ما دأب عليه الشنقيطى من ذكره جملة الآيات المماثلة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك فى (الفهرس الشامل) الذى وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة فى حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدها تنبيهًا بها على غيرها مما ورد فى فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ والآيات المُفْهِمَة معنى ذلك[1] وقوله تعالى : ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ والآيات المشيرة لمعنى ذلك[2] وقوله تعالى : ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ وصف القلوب بالكَظْم الذى هو صفة أصحابها، ونظير ذلك من القرآن[3] وقوله تعالى : ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ**﴾ والآيات التى بمعناها[4] وقوله تعالى : ﴿**قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ**﴾ والآيات المشابهة لها فى المعنى[5] .

٢ - الإيضاح :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى ذكر الآيات المُوَضِّحَة لمعناها غير المنصوص عليه فيها ، وذلك بخلاف طريقة التماثل السابقة التى تختص بالآيات التى يدور معناها حول قضية رئيسة منصوص عليها تماثل ذات القضية التى يدور حولها معنى الآية المقصودة بالتفسير مثل قضية (عدم سجود إبليس لآدم) وقضية (مِلْك الرقيق بمعنى مِلْك اليمين) كما سبق ذكرهما قبل قليل .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يَعْمَد إلى إيراد الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية المقصودة ، إمّا عن

(١) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥١٢ (من الفهرس) .
(٢) الأنعام : ١٠٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥١٢ (من الفهرس) .
(٣) غافر : ١٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٢ (من الفهرس) .
(٤) الأعراف : ١٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٥٢٠ (من الفهرس) .
(٥) سبأ : ٢٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢٧ (من الفهرس) .

طريق ذكر القليل من هذه الآيات وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالقلة) أو عن طريق ذكر الكثير من هذه الآيات بما يشبه أن يكون حصرًا لها وهو ما نسميه بـ (الإيضاح بالكثرة) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالي:

١- الإيضاح بالقلة :

١ - ففي معرض تفسير الشنقيطي لقوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ الآية[1] نراه يورد آية واحدة توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما هذه الكلمات ، ولكنه بيّنها في قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية[2] .

٢ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الآية[3] نراه يورد آيتين توضحان معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما عهده وما عهدهم ، ولكنه بيّن ذلك في مواضع أُخَر كقوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية[4] .

فعهدهم هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وعهده هو المذكور في قوله تعالى : ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كما أشار إلى عهدهم أيضًا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية[5] إلى غير ذلك من الآيات[6] .

٣ - وفي معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[7] نراه يورد ثلاث آيات توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : لم يبيّن هنا ما هذه النعمة التي أنعمها عليهم ، ولكنه بيّنها في آيات أُخَر كقوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية[9] وقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ

---

(١) البقرة : ٣٧ .

(٢) الأعراف : ٢٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطي ١/١٣٦ .

(٣) البقرة : ٤٠ . (٤) المائدة : ١٢ . (٥) آل عمران : ١٨٧ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطي ١/١٣٦ . (٧) البقرة : ٤٧ . (٨) البقرة : ٥٧ .

(٩) البقرة : ٤٩ .

﴿فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ⑥﴾ الآيتان[1] إلى غير ذلك من الآيات[2] .

وهكذا يتراوح عدد الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية المقصودة ما بين آية إلى اثنتين إلى ثلاث آيات ، وهذا مما يعد قليلاً قياسًا إلى جملة الآيات الكثيرة التى يَعْمَد إليها الشنقيطى لتوضيح معانى بعض الآيات الأخرى .

ب - الإيضاح بالكثرة :

لا يكتفى الشنقيطى بإيراد جملة الآيات الكثيرة التى تُوَضِّح معنى الآية المقصودة ، وإنما يلجأ إلى إيراد المزيد من تلك الآيات المُوَضِّحَة ؛ الأمر الذى يمكننا معه أن نعرض لهذا الإيضاح هنا من خلال نوعيه التاليين :

١ - الكثرة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ⑩⑦ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ⑩⑧﴾ الآيتان[3] نراه يورد جملة من الآيات الكثيرة التى توضح معنى هذه الآية فيقول ما نصه : ذكر جلّ وعلا فى هذه الآية أن أهل النار يَدْعُون ربهم فيها فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إلى ما لا يرضيك بعد إخراجنا منها فإنا ظالمون ، وأن الله يجيبهم بقوله تعالى : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أى امكثوا فيها خاسئين أى أذلاء صاغرين حقيرين ، لأن لفظة (اخْسَأْ) إنما تقال للحقير الذليل كالكلب ونحوه ، فقوله تعالى : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أى ذلوا فيها ماكثين فى الصَّغار والهوان .

وهذا الخروج من النار الذى طلبوه قد بيّن الله تعالى أنهم لا ينالونه ، وذلك فى عدة آيات أُخَر كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية[6] وقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية[7] إلى غير ذلك من الآيات .

---

(١) القصص : ٥ - ٦ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ١٣٦ .

(٣) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٤) المائدة : ٣٧ .

(٥) البقرة : ١٦٧ .

(٦) الحج : ٢٢ .

(٧) السجدة : ٢٠ .

وقد جاء فى القرآن أجوبة متعددة لطلب أهل النار ، فهنا قالوا : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فأجيبوا ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ الآيتان[1] وفى موضع آخر قالوا : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فأجيبوا : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الآيتان[2] وفى موضع آخر : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فأجيبوا : ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ الآيتان[3] وفى موضع آخر : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فأجيبوا : ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ الآية[4] وفى موضع آخر : ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون : ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ الآية[5] وفى موضع آخر : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجابون : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ الآية[6] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مثل هذه الأجوبة[7] .

وهكذا يصل مجموع تلك الآيات التى ساقها الشنقيطى لإيضاح معنى الآية المقصودة وما يتفرع عليها إلى عشر آيات ، وهذا مما يُعَدُّ كثيرًا إذا قيس بما اتبعه سابقًا فى (الإيضاح بالقلّة) .

ونظرًا لكثرة ما دأب عليه الشنقيطى من ذكره جملة الآيات الموضحة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم لا يفتأ أن يشير إلى ذلك فى (الفهرس الشامل) الذى وضعه لـ (أضواء البيان) بأجزائه السبعة فى حياة شيخه وبعلمه ، ومن تلك الإشارات نذكر بعض شواهدها تنبيهًا بها على غيرها مما ورد فى فهرس التفسير ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآيات المُوَضِّحَة لها[8] وقوله تعالى : ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ والآيات المُوَضِّحَة لمعناها[9] وقوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ والآيات المُوَضِّحَة لذلك[10] وقوله تعالى : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والآيات

(1) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .
(2) السجدة : ١٢ - ١٣ (آيتان) .
(3) غافر : ١١ - ١٢ (آيتان) .
(4) الزخرف : ٧٧ .
(5) إبراهيم : ٤٤ .
(6) فاطر : ٣٧ .
(7) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٨٢٦ - ٨٢٧ .
(8) البقرة : ٢٥٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .
(9) البقرة : ٢٧٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .
(10) البقرة : ٢٧٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٥١١ (من الفهرس) .

المُوَضِّحَة لمعنى غِنَاه عن خلقه[1] وقوله تعالى : ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ والآيات المُوَضِّحَة لمعنى ذلك[2] وقوله تعالى : ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ والآيات المُوَضِّحَة لهذا الاعتذار الذى اعتذر به هارون[3] وقوله تعالى : ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وما يُوَضِّح ذلك من الآيات[4] .

٢ - الزيادة :

ونظرًا لكثرة ما يلجأ إليه الشنقيطى من ذكره المزيد من الآيات المُوَضِّحَة لمعنى الآية التى يَعْرِض لها بالتفسير ؛ لذا فإننا نجد تلميذه الأول الشيخ عطية لا يفتأ أيضًا أن يشير إلى ذلك فى فهرس التفسير فيقول ما نصه :

قول الله تعالى : ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[5] وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[6] وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ والآيات التى فيها زيادة إيضاح لذلك[7] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وما يَزِيد ذلك إيضاحًا من القرآن[8] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وما يَزِيد ذلك إيضاحًا[9] .

٣ - الإحالة :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى الإحالة على الآيات المماثلة لها فى المعنى ، وسواء كانت هذه الآيات قد سبق أن فسّرها فى مواضع أخرى من قبل ، أو تلك التى ينتوى أن يفسرها فى مواضع أخرى من بعد .

---

(١) آل عمران : ٩٧ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٣/١ (من الفهرس) .
(٢) آل عمران : ١٩٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥١٥/١ (من الفهرس) .
(٣) الأعراف : ١٥٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥٢٠/٢ (من الفهرس) .
(٤) الحج : ٧٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٨/٥ (من الفهرس) .
(٥) يوسف : ٣١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤١/٣ (من الفهرس) .
(٦) الرعد : ١٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٤٢/٣ (من الفهرس) .
(٧) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦٥٨/٣ (من الفهرس) .
(٨) المؤمنون : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .
(٩) المؤمنون : ٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٨٦٩/٥ (من الفهرس) .

وقد تنازعت هاتيين الإحالتين السابقة واللاحقة ثلاثة أنواع شملت الإحالة بالنص ، ثم الإحالة بالمعنى ، وأخيرًا الإحالة العامة ، وفيما يلى نَعْرِض لقسميْ الإحالة الاثنين مع أنواعها الثلاثة على النحو التالى :

• قِسمَا الإحالة :

أ - إحالة سابقة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآيات[1] يقول ما نصه : قد قدمنا ما يُوَضِّح هذه الآيات إلى آخر القصة من القرآن فى سورة (مريم) فأغنى ذلك عن إعادته هنا[2] .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا فى تفسير هذه السبعَ عشرةَ آية المتعلقة بقصة نبى الله إبراهيم بالإحالة على تفسيره للآيات العشر المتعلقة بالقصة ذاتها ، والتى سبق له أن تناولها فى سورة (مريم) بَدْءًا من قول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآيات[3] .

وهذه الإحالة تعد طويلة نسبيًا من حيث كثرة عدد هذه الآيات التى قامت مقام تفسيرها ؛ ومن ثم جعلناها هنا بمثابة الشاهد البارز على (الإحالة السابقة) تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة.

ب - إحالة لاحقة :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الآية[4] يقول ما نصه : واعلم أن مسألة الحجاب وإيضاح كون الرجل لا يجوز له النظر إلى شىء من بدن الأجنبية ، سواء كان الوجه والكفين أو غيرهما ، فقد وعدنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك وغيرها من المواضع بأننا سنوضح ذلك فى سورة (الأحزاب) فى الكلام على آية الحجاب ، وسنفى إن شاء الله تعالى بالوعد فى ذلك بما يظهر به للمنصف ما ذكرنا[5] .

---

(١) الأنبياء : ٥١ - ٦٧ (سبعَ عشرةَ آية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٥٨٧ .

(٣) مريم : ٤١ - ٥٠ (عشر آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/٢٨٢ - ٢٩٠ .

(٤) النور : ٣١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٢٠٠ .

والمقصود بهذا الوعد الذى قطعه الشنقيطى على نفسه هو ما ذكره فى مقدمة تفسيره حيث قال ما نصه : ومن أنواع البيان الذى تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء فى الآية قولاً ، ويكون فى نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول ، ومن أمثلته : قول كثير من الناس : إن آية الحجاب وأعنى بها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية[1] خاصّة بأزواج النبىّ ﷺ .

غير أن تعليل الله تعالى لهذا الحكم الذى هو (إيجاب الحجاب) بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الرِّيبة فى قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الآية[2] هو قرينة واضحة على قصد تعميم هذا الحكم ، وسنرى إن شاء الله تحقيق مسألة (الحجاب) فى سورة (الأحزاب)[3] .

وهكذا يقيم الشنقيطى الإحالة اللاحقة فيما بعد من سورة (الأحزاب) مقام تفسير هذه الآيات هنا من سورة (النور) وفيما ذكرناه تنبيه به على غيره .

• أنواع الإحالة :

أ - الإحالة بالنّصّ :

وفيها يُسَمِّى الشنقيطى موضع النَّصِّ الذى يُحيل عليه ، ويشمل ذلك كلاً من الآية، أو السورة ، أو الآية والسورة معًا ، وذلك كما يلى :

١ - نص الآية :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الآية[5] يقول ما نصه : قد قدمنا الآيات المُوَضِّحَة لهما فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ الآية[6] وقوله تعالى: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ الآية[7] .

---

(١) الأحزاب : ٥٣ . (٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٧٥ - ٧٧ (من المقدمة) - وانظر تفسير الآية المذكورة من سورة (الأحزاب) فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٥٨٤ - ٦٠٣ .

(٤) القمر : ٢٤ . (٥) القمر : ٢٥ . (٦) صٓ : ٤ .

(٧) صٓ : ٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢١ .

٢ - نص السورة :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ﴾ الآية[١] يقول ما نصه : تقدم إيضاحه فى سورة (الحجّ) وغيرها[٢] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ الآية[٣] يقول ما نصه : قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية فى أول سورة الأعراف وأول سورة الكهف[٤] .

٣ - نص الآية والسورة معاً :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا﴾ الآيات[٥] يقول ما نصه : إلى آخر القصة ، قد قدمنا إيضاحه فى سورة (الحِجْر) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الآيات[٦] وفى سورة (هود) فى القصة المذكورة ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا[٧] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية[٨] يقول ما نصه: قد قدمنا الآيات المُوَضِّحَة له فى سورة (قٓ) فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ الآية[٩] .

وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية[١٠] يقول ما نصه : قد قدمنا الكلام عليه فى سورة (الزخرف) فى بعض المناقشات التى ذكرناها فى الكلام على قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآية[١١] .

ب - الإحالة بالمعنى :

وفيها يُسَمِّى الشنقيطى موضع المعنى الذى يُحِيل عليه فى السورة القرآنية التى تتحدث عنه وتشير إليه ، ونكتفى من ذلك بالشاهد التالى :

---

(١) الفرقان : ٥٥ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٤٢ .
(٣) الفرقان : ٥٦ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٤٤ .
(٥) الذاريات : ٢٤ - ٣٧ (أربعَ عشرةَ آية) .
(٦) الحِجْر : ٥١ - ٦٠ (عشر آيات) .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٦٨ .
(٨) الذاريات : ٤٧ .
(٩) قٓ : ٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٢٩ .
(١٠) القمر : ٤٩ .
(١١) الزخرف : ٨١ - وانظر (أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٦٩ .

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١)﴾ الآيات[١] نراه يُحِيل على المعنى المماثل لمعنى هذه الآيات مُسَمِّيًا موضعه فى سورة (الإسراء) فيقول ما نصه : وقد قدمنا تفسيره مُوَضَّحاً فى سورة (بنى إسرائيل) وأن الإنسان لا يملك ولا يستحق إلا سعى نفسه ، وقد اتضح بذلك أنه لا يمكن أن يتحمل إنسان ذنوب غيره ، وقد دلَّتْ على ذلك آيات كثيرة معلومة[٢] .

ويقصد بذلك تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الآية[٣] والذى سبق له تناوله من خلال تفسيره لسورة (الإسراء)[٤] .

جـ - الإحالة العامة :

وفيها يُعْرِضُ الشنقيطى عن تَسْمِيَة الموضع الذى يُحيل عليه سواء كان آية أو سورة أو هما معًا ، مكتفيًا فى ذلك بمجرد الإشارة العامة المُبْهَمَة إلى ما سبق أن تناوله من الآيات المماثلة فى مواضع متقدمة من تفسيره ، ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ حتى قوله تعالى : ﴿لَعْنًا كَبِيراً﴾ الآيات[٥] نراه يكتفى فى تفسيرها هنا بالإحالة على تفسير مثيلاتها من الآيات التى فسّرها مِن قبل ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : تقدّمت الآيات المُوَضِّحَة له مرارًا[٦] .

٢ - وفى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ الآية[٧] نراه يكتفى فى ذلك أيضًا بالإحالة العامة المُبْهَمَة ، والتى يشير إليها فيقول ما نصه : قد قدّمنا الآيات المُوَضِّحَة له ، وأَحَلْنَا عليها مِرارًا[٨] .

٤ - التكرار :

حيث يلجأ الشنقيطى فى تفسيره للآية التى هو بصددها إلى تكرار تفسير ما يماثلها من

---

(١) النجم : ٣٣ - ٤١ (تسع آيات) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١١ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) أضواء البيان: الشنقيطى ٣/ ٤٦٩ - ٤٧٠ .
(٥) الأحزاب : ٦٤ - ٦٨ (خمس آيات) .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٦٠٥ .
(٦) النجم : ٤٧ .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

الآيات الأخرى التى سبق له أن تناولها من قبل ، وهو لا يفتأ أن يشير إلى تكراره هذا بين الحين والآخر فى موضعه من التفسير ، ومن أمثلة هذا التكرار نذكر ما يلى :

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : واعلم أن الله جلّ وعلا بيّن فى آيات كثيرة صفات مَنْ يستحق أن يكون له الحُكْم ؛ فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة ، ويقابلها مع صفات البشر المُشَرِّعين للقوانين الوضعية ، فينظر هل تنطبق عليهم صفات مَنْ له التشريع ؟ سبحان الله وتعالى عن ذلك ، فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون ؛ فليتبع تشريعهم ، وإن ظهر يقينا أنهم أحقر وأخسّ ، وأذلّ وأصغر من ذلك ؛ فليقف بهم عند حَدِّهم ، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية، سبحانه وتعالى أن يكون له شريك فى عبادته، أو حُكْمِه ، أو مُلْكِه[2] .

ثم يسوق الشنقيطى بعد ذلك ثمانىَ عشرةَ آيةً تتضمن صفات مَنْ له الحُكْم والتشريع ، نذكر منها قول الله تعالى : ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الآية[6] وقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الآية[7] .

وعلى الرغم من هذه الطائفة الكثيرة من الآيات التى ساقها هنا ليفسِّر بها الآية المقصودة ، وفضلاً عما تناوله من آيات أخرى مماثلة لهذه الآية فى مواضع سابقة من التفسير ؛ إلاّ أنه يقرر إعادة وتكرار ما يراه كافيًا فى هذا الموضع من تلك الآيات التى سبق أن فسّرها من قبل ، وفى ذلك يقول ما نصه : والآيات الدالة على هذا كثيرة ، وقد قدمناها مِرَاراً ، وسنعيد منها ما فيه كفاية[8] .

وعندئذ يَشْرَع الشنقيطى فى إعادة وتكرار ما سبق أن تناوله من آيات مماثلة ، والتى من أبرزها عنده آيتان فى سورة (الأنعام) وآيتان فى سورة (النحل) حيث عَمَدَ إلى تكرارهما على النحو التالى :

---

(1) الشورى : ١٠ .

(2) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٣/٧ .

(3) القصص : ٨٨ .

(4) القصص : ٧٠ .

(5) يوسف : ٤٠ .

(6) يوسف : ٦٧ .

(7) الأنعام : ٥٧ .

(8) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ .

أ - آيتا الأنعام :

وهما قول الله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآيـة[2] .

وقد مَهّدَ الشنقيطى لتكرار تفسيرهما هنا بقوله: وَقَعَتْ مناظرة فى زمن النبىّ ﷺ بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، فى حكم من أحكام التحريم والتحليل ، وحزب الرحمن يتبعون تشريع الرحمن فى تحريمه ، وحـزب الشيطان يتبعون الشيطان فى تحليله ، وقد حكَمَ الله تعالى بينهما ، وأفتى فيما تنازعوا فيه ، فتوى سماوية قرآنية تُتْلَى فى سورة الأنعام[3] .

وهذا على الرغم من أنه سبق له تفسير هاتين الآيتين فى موضعيهما من سورة (الأنعام) خاصة الآية الثانية التى استغرقت وحدها ما يقرب من ثنتين وثلاثين صفحة[4] .

ب - آيتا النحل :

وهمـا قول الله تعـالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَـوَكَّلُونَ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الآية[6] .

وقد مَهَّد الشنقيطى أيضاً لتكرار تفسـيرهما هنا بقوله : ومن الآيات الدالة على نحو ما دَلَّتْ عليه آيتا الأنعـام المذكورتان قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ حيث صَرّح بتوليهم للشيطان أى باتباع ما يزيّن لهم من الكفر والمعاصى ؛ مـخالفًـا لما جاءت به الرسـل ، ثم صرّح بأنّ ذلك إشـراك به سبـحـانه فى قوله تعـالى : ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ كما صرّح أن الطاعة فـى ذلك الذى يُشَرِّعُه الشيطان ويُزَيِّنُه لهم إنما هى عبادة منهم لهذا الشيطان[7] .

وهذا على الرغم من أنه سبـق له أيضًا تفسيـر هاتين الآيتين فى موضـعيهمـا من سورة (النحل)[8] .

---

(1) الأنعام : ١١٩ .
(2) الأنعام : ١٤٥ .
(3) أضواء البيان : الشنقيطى ١٦٩/٧ .
(4) راجع تفسير آيتىْ (الأنعام) المشار إليهما بتـرتيبهما فى (أضواء البيان): الشنقيطى (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) - (٢٤٦/٢ - ٢٧٧) .
(5) النحل : ٩٩ .
(6) النحل : ١٠٠ .
(7) أضواء البيان : الشنقيطى ١٧١/٧ .
(8) راجع تفسير آيتىْ (النحل) المشار إليهما بترتيبهما فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٥٧/٣ - ٣٥٩ .

المطلب الثالث

التعقيـــــب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولـى : مـا يفسره مـن الآيـات .

٢ - الملاحظة الثانيـة : ما لم يفسره مـن الآيـات .

٣ - الملاحظة الثالثـة : ما يتوقف عن تفسيره من الآيات .

٤ - الملاحظة الرابعـة : ظاهـرة الإحـالة .

٥ - الملاحظة الخامسة : الجمـع بين الطرائـق .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسيره للقرآن بالقرآن ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

ما يفسره من الآيات

وإزاء ما يَعْرِض له الشنقيطى من الآيات بالتفسير فإنّ هناك ثلاث ملاحظات تتعلق بكل من :

أ - ترقيم الآيات :

حيث من الملاحظ على الشنقيطى أنه لم يلتزم بذكر أرقام الآيات فى سورها حال عرضه لها بالتفسير ، وهذا ما سار عليه فى ثنايا تفسيره المختلفة بأجزائه السبعة ، ولا يُستثنَى من ذلك سوى الجزء الرابع منه ، والذى يضم بدوره تفسير أربع سور تمثلت فى : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) والتى التزم بترقيم جميع ما فسّره من آياتها ، وذلك على النحو التالى :

١ - ذكره رقم آية واحدة :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ حيث يقول : آية (١١)[١] .

٢ - ذكره رقمىْ آيتين معاً :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ حيث يقول : آية (٢٥ و ٢٦)[٢] .

٣ - ذكره أرقام جملة من الآيات :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ

(١) مريم : ١١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٢٠ .

(٢) مريم : ٢٥ مع ٢٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٤٩ .

فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ حيث يقول بعد ذكره جملة هذه الآيات : آية (٤١ - ٤٥)[1]

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطى منهم خاصّة ، بترقيم ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يُعَدُّ أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أن القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن ترك المفسِّر ترقيم ما يفسّره من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يُعَدُّ من جملة (المآخذ الشكلية) التى تُحْسَب عليه فى منهجه التفسيرىّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطىّ .

ب - تخريج الآيات :

لا يلتزم الشنقيطى غالبًا بتخريج الآيات التى يسوقها فى معرض تفسيره للآية المقصودة ، فى حين يَعْمَد أحيانًا إلى تخريج تلك الآيات ، وذلك كما يلى :

- **امثلة تخريجه :**

١ - تخريجه لآيتين :

وذلك فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الآية[2] حيث يسوق الشنقيطى اثنتىْ عشرةَ آية مماثلة لهذه الآية فى المعنى .

ومع ذلك نراه لم يُخَرِّجْ من جملة هذه الآيات سوى آيتين اثنتين نظرًا لتكرارهما فى سورتين معًا ، وهما قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ (الآيتان) حيث يعقب إيراده لها بقوله : فى سورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة (سأل سائل)[3].

ومن ثم ؛ فقد كان لزامًا على الشنقيطى أن يُخَرِّج هاتين الآيتين نظرًا لتكرارهما فى هاتين السورتين معًا.

---

(١) مريم : ٤١ - ٤٥ (خمس آيات) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٢٨٢ .

(٢) سورة محمّد ﷺ : ٤ .

(٣) المؤمنون : ٥ - ٦ (آيتان) مع المعارج : ٢٩ - ٣٠ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٤٢٠ .

٢ - تخريجه لجملة من الآيات :

فى معـرض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ الآيتان[1] حيث يسوق الشنقيطى جملة من الآيات المُوَضِّحَة لهاتين الآيتين ، مع تخريجه إياها فى سـورة الأربع التى شملت كلاً من : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) بتـرتيب ذكره لها، ثم يسوق جملة أخرى من الآيات المـوضحة لجواب الملائكة عـلى أهل النار ، مع تخريجه إياها أيضًا فـى سورها السِّت التى شملت كلاً من : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) بترتيب ذكره لها .

وهكذا يصل عدد السور التى خـرّج الشنقيطى آياتها هنا إلى عشر سُـوَر لم يلتزم بمثلها سوى فى مواضع قليلة من تفسيره[2] .

- **امثلة عدم تخريجه :**

١ - عدم تخريجه للآية الواحدة :

وذلك فى معـرض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ الآية[3] حيث يـفسر هـذه الآية بآية أخـرى مماثلة لها فى المعنـى وهى قول الله تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية[4] ومع أن هذه الآية هى الوحـيدة المـماثلة للآية المقصـودة فى القرآن كـله ؛ إلاّ أنّ الشنقيطى لم يخـرّجهـا فى موضعها من القرآن[5] .

٢ - عدم تخريجه لجملة من الآيات :

وذلك فى معـرض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ الآيات[6] حيث يسوق خمس آيات مماثلة فى المعنى لهذه الآيات المعنية هنا بالتفسير ، ومع ذلك لم يعمد الشنقيطى إلى تخريج أىٍّ من هذه الآيات الخمس ، وهـذا ما يتـبعه غـالبًا فى تفسـيره سـوى بعـض المواضع القليلة التى يُخَـرِّج فيهـا مثل هذه الآيات .

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٨٢٦ .
(٣) الأنعام : ١٢٥ .
(٤) الزمر : ٢٢ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٢١٠ .
(٦) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦١١ .

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطى منهم خاصة بتخريج ما يعرضون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أنّ القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم تخريج المفسّر لما يتناوله من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ إنما يعد من جملة (المآخذ الشكلية) التى تحسب عليه فى منهجه التفسيرىّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطىّ.

جـ - ترتيب الآيـات :

لا يلتزم الشنقيطى بالترتيب المصحفىّ للآيات التى يسوقها فى مَعْرِض تفسيره للآية المقصودة ، وسواء فى ذلك ما كان مُخَرَّجًا من هذه الآيات أو ما كان غير مُخَرَّجَ منها ، وذلك كما يلى :

١ - فى حالة تخريجه للآيات :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ الآيتان[1] حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطى قد أورد فى معرض تفسيره لهذه الآية عشر آيات مع تخريجه لها فى سورها ، أما الآيات الأربع الأولى التى وضّح بها معنى الآية المقصودة فقد أوردها على غير ترتيبها المصحفىّ وهى : (المائدة - البقرة - الحج - السجدة) مع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (البقرة - المائدة - الحج - السجدة) .

وأما الآيات الست الأخرى التى وضّح بها جواب الملائكة على أهل النار فقد أوردها على غير ترتيبها المصحفىّ كذلك وهى : (المؤمنون - السجدة - غافر - الزخرف - إبراهيم - فاطر) مع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (إبراهيم - المؤمنون - السجدة - فاطر - غافر - الزخرف)[2] .

٢ - فى حالة عدم تخريجه للآيات :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾حتى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ الآيتان[3] حيث سبق أن ذكرنا أن الشنقيطى قد

---

(١) المؤمنون : ١٠٧ - ١٠٨ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٦١١ .

(٣) الإسراء : ٦٧ - ٦٩ (ثلاث آيات) .

أورد فى مَعْرِض تفسيره لهذه الآية خمس آيات مع عدم تخريجه لها فى سورها، حيث أورد هذه الآيات على غير ترتيبها المصحفىّ وهى : (يونس - الأنعام - العنكبوت - لقمان - الزمر) مع أن ترتيبها المصحفىّ هو : (الأنعام - يونس - العنكبوت - لقمان - الزمر)(1) .

والحق أن التزام المفسرين عامّة ، والشنقيطى منهم خاصّة ، بالترتيب المصحفىّ لِمَا يَعْرِضُون له من الآيات بالتفسير إنما يعد أمرًا منهجيًا محمودًا ؛ وذلك لما فيه من التيسير على الباحث فى الوصول إلى ما ينشده من أقرب سبيل وأيسره ، فضلاً عن أنّ القارئ العادى سينال حظه أيضًا من هذا التيسير حالما يطالع ذلك التفسير أو ينظر فيه ؛ ومن ثم فإن عدم التزام المفسِّر بالترتيب المصحفىّ لما يتناوله من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة؛ إنما يعد من جملة (المآخذ الشكليّة) التى تُحْسَبُ عليه فى منهجه التفسيرىّ ، وهو ذات ما وقع فيه صاحبنا الشنقيطى .

الملاحظة الثانية

ما لم يفسِّره من الآيات

إن الناظر فى تفسير الشنقيطى يلحظ من الوهلة الأولى أنه لا يتناول جميع ما يَمُرُّ به من الآيات بالتفسير ؛ ويشهد لذلك ما قمنا به من إحصاء فعلىّ للآيات التى فَسَّرَها فى الجزء الرابع من التفسير ، والذى يضم بدوره أربع سور هى : (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) وذلك بقصد تحديد نسبة ما فَسَّره الشنقيطى إلى ما لم يفسره من آيات هذه السور .

وقبل أن نشرع فى إجراء هذا الإحصاء فإنه يجدر بنا أن نشير إلى أن اختيارنا قد وقع على هذا الجزء الرابع من التفسير نظرًا لأنه الجزء الوحيد من أجزاء التفسير السبعة الذى فسّر الشنقيطى آياته مقرونة بأرقامها فى سورها ؛ الأمر الذى كان سببًا فى تيسير عملية الإحصاء المنشودة ، والتى تتضح من خلال الجدول التالى :

السورة	عدد آياتها	عدد ما فَسَّرَه	النسبة ٪
الكهف	١١٠	٦٤	٥٨ ٪
مريم	٩٨	٧٥	٧٧ ٪
طه	١٣٥	٦٦	٤٩ ٪
الأنبياء	١١٢	٦٤	٥٧ ٪

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٦١١ .

وبالنظر إلى هذا الجدول الإحصائى فإنه يتبيّن لنا أن الشنقيطىّ قد فسَّر من آيات هذه السور ما تتراوح نسبته التقريبية ما بين النصف إلى الثلاثة أرباع ؛ وهو ما يؤكد أنه لا يفسّر جميع ما يَمُرُّ به من آيات السورة ، وهذا ما يشير إليه تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم بقوله : وعليه ؛ فإنه ينبغى أنْ يُعْلَمَ أن (أضواء البيان) ليس تفسيرًا شاملاً لجميع آى القرآن كما يظنه البعض ويتطلب فيه تفسير كلٍّ ما أُشْكِلَ عليه[1] .

الملاحظة الثالثة

ما يتوقف عن تفسيره من الآيات

يمتنع الشنقيطى أحيانًا عن تفسير بعض الآيات مُعَلِّلاً لذلك بأنه لم يجد ما يماثلها فى المعنى أو ما يُوَضِّحُها من آيات القرآن الأخرى ؛ ويشهد لذلك ما صنعه فى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية[2] حيث نراه يسوق قولين للعلماء فى وصف السماء وحالتها يوم القيامة ، أما أولهما : فوصفها بحُمْرَةِ لَوْنِهَا الذى يشبه لون الجِلْد الأحمر ، وأما ثانيهما : فوصفها بحالة الذوبان والميوعة التى تشبه الدُّهن الذائب المائع .

وهنا يَرُدُّ الشنقيطى القول الأول مُعَلِّلاً ذلك بأنه لا يَعْلَمُ من آيات القرآن ما يشهد لهذا الوصف حيث يقول ما نصه : أما على القول الأول فلا نعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن هذه الآية على أن السماء ستحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْد الأحمر[3] .

وحَرِىّ بالذكر أنَّ تَوَقُّفَ الشنقيطى عن تفسير بعض الآيات لذات العلِّة أو لغيرها ، لم يقع منه فى تفسيره إلاّ نادرًا ، وأن ما استشهدنا به هنا هو من قبيل النادر الذى نقصده ، والذى نبَّه إليه ، ونصَّ عليه ، أما تلك الآيات التى تركها دون تفسير ؛ فهى مما يجرى على طريقته التى تقضى بعدم تعرضه للآيات التى لا تحتاج إلى تفسير ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها .

ومن ثم ؛ فإنه لا يَعْرِض لتفسير مثل هذه الآيات دون أن يُنَبِّهَ إلى ذلك أو يَنُصَّ عليه ، مثل صنيعه فى الآية المذكورة هنا حيث نبَّه إلى عدم تفسيره لها ونصّ عليه ، مُعَلِّلاً ذلك بأنه لا يعلم آية من كتاب الله تعالى تبيّن أن السماء ستحمرّ يوم القيامة حتى تكون كلون الجِلْد الأحمر .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٨/ ٥ (الجزء الأول من التتمة) .

(٢) الرحمن : ٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٥١ .

ومن تلك الآيات التى تركها الشنقيطى دون أن يَعْرِض لتفسيرها ؛ لظهور معناها ، ووضوح دلالتها ، نذكر جملة الآيات التالية تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى تشمل كلا من :

١ - قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ الآية[١] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية[٣] .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ الآيات[٤] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآية[٥] وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[٦] .

٣ - قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الآية[٧] حيث ترك الشنقيطى تفسير ذلك بين قوله تعالى : ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية[٨] وقوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية[٩] .

الملاحظة الرابعة

ظاهرة الإحالة

توشك الإحالة أن تشكل (ظاهرة بارزة) فى منهج الشنقيطى فى تفسيره لـ (القرآن بالقرآن) وقد بَدَا هذا واضحًا من خلال كثرة هذه الإحالات التى وقعت منه فى تفسيره ، ثم أثر هذه الإحالات التى انعكس على ثنايا تفسيره المختلفة ، وهذا ما نَعرِض له فيمايلى :

(١) البقرة : ٣ . (٢) البقرة : ٢ .
(٣) البقرة : ٣ - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٠٧ .
(٤) البقرة : ٤ - ٦ (ثلاث آيات) . (٥) البقرة : ٣ .
(٦) البقرة : ٧ - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/١٠٧ - ١٠٩ .
(٧) المجادلة : ١٨ . (٨) المجادلة : ١٧ .
(٩) المجادلة : ١- وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٢٢ - ٨٢٧ .

أ - كثرة هذه الإحالات :

أكثر الشنقيطى من الإحالات فى تفسيره للقرآن بالقرآن ، وذلك فى تفسيره عامة ، وفى الجزأين الأخيرين السادس والسابع منه خاصة[1] .

وقد تنازعت هذه الإحالاتِ الكثيرةَ حالتان أمّا أولاهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير بعض الآيات ، وأمّا ثانيتهما : فتقوم فيها الإحالات مقام تفسير معظم الآيات ، وذلك على النحو التالى :

١ - إحالات بمنزلة بعض الآيات :

ومن الأمثلة التى تقوم شاهدًا على ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لأربع آيات متتالية من سورة (الفرقان) حيث تَمَثَّلَ تفسيره لها فى إحالاته فقط والتى استغرقت صفحة كاملة من تفسيره على النحو التالى :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية[2] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لأول سورتىْ الأعراف والكهف ، ويقصد بذلك كلاً من قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ الآيات[4] .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ الآية[5] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية[6] .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ الآية[7] نراه يُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآية[8] ثم يكمل بقيّة

---

(١) حيث يبلغ مجموع السور التى يشتمل عليها هذان الجزآن خمسًا وثلاثين سورة ، موزعة بين أربعَ عشرةَ سورة يضمها الجزء السادس تبدأ بـ (النور) وتنتهى بـ (الصافَّات) وإحدى وعشرين سورة يضمها الجزء السابع تبدأ بـ (صٓ) وتنتهى بـ (المجادَلة) - وانظر فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى (الجزء السادس) من (١) إلى (٧٣٢) - و(الجزء السابع) : من (١) إلى (٨٨٠) .

(٢) الفرقان : ٥٦ .

(٣) الأعراف : ٢ .

(٤) الكهف : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

(٥) الفرقان : ٥٧ .

(٦) هود : ٢٩ .

(٧) الفرقان : ٥٨ .

(٨) الفاتحة : ٧ .

الآية فى قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ فيُحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[1] .

وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية[2] نره يحيل تفسيرها على تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية[3] .

٢ - إحالات بمنزلة معظم الآيات :

وأحيانًا تستغرق إحالات الشنقيطى معظم آيات السورة التى يتناولها بالتفسير ؛ إلى الحد الذى توشك أن تقوم معه تلك الإحالات مقام تفسيره للسورة كلها ، ومن الأمثلة التى تقوم شاهدًا على ذلك نذكر ما يلى تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

- ففى سورة (صٓ) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير ثمانىَ وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ست عشرة إحالةً ، أى ما يزيد على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة[4] .

- وفى سورة (الزمر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير إحدى وعشرين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها أربعَ عشرةَ إحالة ، أى ما يزيد كذلك على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة[5] .

- وفى سورة (غافر) :

بلغ عدد ما تناوله من آياتها بالتفسير أربعًا وأربعين آية ، وقد كان نصيب إحالاته فيها ثمانىَ وعشرين إحالة ، أى ما يزيد أيضًا على نصف ما تناوله من آيات هذه السورة[6] .

وهكذا يبدو تفسير هذه السور الثلاث (صٓ - الزمر - غافر) وكأنه إحالة كله أو معظمه ، خاصّة وأن ما تبقى من آياتها إنما يسلك فيه الشنقيطى سبيل التماثل أو الإيضاح السابق ذكرهما .

---

(١) الإسراء : ١٧ .　　　(٢) الفرقان : ٥٩ .

(٣) الأعراف : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٤٤/٦ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٧ - ٣٨ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤١/٧ - ٦٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩/٧ - ١٠١ .

ب - أثر هذه الإحالات :

انعكس أثر الإحالات الكثيرة بصورة واضحة جليّـة على تفسير الشنقيطى عامّة ، وعلى الجزأين الأخـيرين السادس والسـابع منه خاصّة ؛ وقـد تمثل أثر هذه الظاهرة فى (اقتـصادِ واختصارِ) الشنقيطى لِسُوَر هذين الجزأين اللذين يَضُمَّان خمسًا وثلاثين سورة ، وذلك على النحو التالى :

● ففى الجزء السادس :

بلغ عدد السور التى يضمها أربعَ عشرةَ سورة ، غيـر أن الشنقيطى قد اقتصد فى تفسير عشر سور منهـا شملت كلاً من : (الشعراء - القصص - العنـكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يسٓ - الصافّات)[1].

● وفى الجزء السابع :

بلغ عدد السور التى يضمـها إحدى وعشرين سورة ، غير أن الشنقـيطى قد اقتصد فى تفسير سبع سور منها شملت كلاً من : (صٓ - الدخان - الفتح - قٓ - الطور - القمر - الحديد)[2] .

وهكذا يصل مجموع السور التى اقتصد الشنقـيطى فى تفسيرها إلى سبعَ عشرةَ سورة ، وهو ما يعادل تقريبًا نصف السور التى يضمها هذان الجزآن معًا .

● وفى فهرس الجزء السابع :

لا يخفى على النـاظر فى فهرس هذا الجـزء الأخير من التـفسيـر أثر ظاهرة الإحالات الكثيرة التى يـشير إليها وينص عليـها الشيخ عطية مـحمد سالم تلميـذ الشنقيطى الأول ، وواضع فهارس التفسير فى حياة شيخه وبعلمه .

ومن آثار هذه الإحالات الكثيرة نذكـر بعض الأمثلة التالية تنبيهًـا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يقول الشيخ عطية ما نصه :

١ - قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونه أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الآية[3] والآيات المُوَضِّحَـة لذلك ، وقد تقدّم البحث فـى سورة المائدة عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ الآية[4] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/١ - ٧٣٢ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/١ - ٨٨٠ .

(٣) الزمر : ٣ .

(٤) المائدة : ٣٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٨٣٠ (من الفهرس) .

٢ - قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية[١] والإيضاح على ما يماثل ذلك فى سورة (يسٓ)[٢] .

٣ - قول الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ الآية[٣] مع بيان الإنذار ، والإحالة على بيانه السابق وأنواعه فى (الأعراف)[٤] .

٤ - قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ الآية[٥] إعرابه وبيان معناه ، وبيان قُرْب قيام الساعة ، وأدلة ذلك من القرآن ، والتحويل عليه فى أول سورة (النحل)[٦] .

٥ - قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ حتى قوله تعالى : ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ الآية[٧] والآيات الموضحة لها ، والإحالة على أمثالها مراراً[٨] .

٦ - قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ الآيتان[٩] والآيات المُوَضِّحة لهما ، مع الإحالة على مثلهما كثيراً[١٠] .

٧ - قول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية[١١] مع الإحالة على إيضاح ذلك فى سورة (الروم) وغيرها[١٢] .

الملاحظة الخامسة

الجمع بين الطرائق

تَنَازَعَتْ منهجَ الشنقيطيِّ فى تفسير القرآن بالقرآن طرائقُ أربعة تمثلت فى كل من : (التماثل - الإيضاح - الإحالة - التكرار) وقد سبق لنا تفصيل القول فى كل منها على

---

(١) غافر : ٦ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٣ (من الفهرس) .
(٣) غافر : ١٨ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٥) غافر : ١٨ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٧) غافر : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٤ (من الفهرس) .
(٩) غافر : ٤٧ - ٤٨ (آيتان) .
(١٠) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٦ (من الفهرس) .
(١١) غافر : ٨٢ .
(١٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٨٣٧ (من الفهرس) .

حِدَة ، وذلك من حيث استخدام الشنقيطى لها ، وشواهده عليها ؛ ومع ذلك فقد يلجأ الشنقيطى أحيانًا إلى الجمع بين هذه الطرق فى مَعْرِض تفسيره للقرآن بالقرآن، غير أنّ أبرز هذه الطرق من حيث جمعه بينها فإنه يتمثل فى كل من : (التماثل مع الإحالة) ثم (الإيضاح مع الإحالة) وذلك كما يلى :

أ - الجمع بين التماثل والإحالة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الآيتان[1] .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ (التماثل) من خلال ذكره الآيات المماثلة لمعنى هذه الآية فيقول : وما ذكره الله تعالى هنا من الأمر بالتقوى ، ذكره فى مواضع كثيرة جدًا من كتابه كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ الآية[2] والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا[3] .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (التماثل) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قَبْل فى مواضع أخرى من تفسيره فيما يتعلق بمعنى تقوى الله تعالى حيث يقول ما نصه : وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ قد أوضحنا فيما مضى معنى التقوى بشواهده العربية ؛ فأغنى ذلك عن إعادته هنا[4] .

ب - الجمع بين الإيضاح والإحالة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦﴾ الآيتان[5] .

حيث يبدأ الشنقيطى أولاً بـ (الإيضاح) من خلال ذكره الآيات التى تُوَضِّح أن خَلْق النوعين الذكر والأنثى إنما يُستدل به على قدرة الله سبحانه على بَعْث خَلْقه ، كما يُستدل به على أنّ الله سبحانه لم يخلق الإنسان إلاّ للتكليف والجزاء ؛ ومن ثم يقول الشنقيطى ما نصه : وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الاستدلال بخَلْق النوعين أعنى الذكر والأنثى من النطفة ، قد جاء مُوَضَّحاً فى غير هذا الموضع ، وأنه يُستدل به على أمرين هما : قدرة الله على البعث ، وأنه ما خلق الإنسان إلاّ ليكلفه ويجازيه .

---

(1) الحج : ١ - ٢ (ايتان) .

(2) النساء : ١ .

(3) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٥ .

(4) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥ .

(5) النجم : ٤٥ - ٤٦ (آيتان) .

وقد جمع كلا الأمرين قول الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾ الآيات[1] فذكر دلالة ذلك على البَعْث فى قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ وذكر أنه ما خلقه ليهمله من التكليف والجزاء ، مُنْكِرًا على مَنْ ظَنَّ ذلك بقوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ أى مُهْمَلاً من التكليف والجزاء[2] .

ثم يتبع الشنقيطى هذا (الإيضاح) بـ (الإحالة) على ما سبق أن تناوله من قبل فى مواضع أخرى من تفسيره حيث يقول ما نصه : وقد قدّمنا بعض الكلام على هذا فى سورة (الفرقان) عند الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الآية[3] .

* * *

•• وبعد :

فإنه يتضح لنا مما سبق أن تفسير (القرآن بالقرآن) إنما يُعَدُّ الأساسَ الأول الذى يقوم عليه بناء منهج الشنقيطىّ فى التفسير ، من حيث اعتماده عليه ، ورجوعه إليه ، إزاء ما يتناوله من آيات ، أو يَعْرِضُ له من تفسير ؛ ومن ثم فقد اقتضتنا الضرورة المنهجيّة أن نفصّل القول فى هذا الصدد نظرًا لما فى ذلك ما فيه من (الأولويّة والأهميَّة) .

(١) القيامة : ٣٦ - ٤٠ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

(٣) الفرقان : ٥٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧١٢ .

المبحث الثانى

تفسـير القـرآن بالسُّنة

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظـرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العـملىّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيـب .

المطلب الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : اتفاق أغلـب العلماء .

٢ - المسألة الثانيـة : موقـف الشنقيطى .

ونعنى بـه موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بالسُّنَّة من حيث كونهـا الخطوة الثانية ، والمرحلة التـالية، بعد تفسير القـرآن بالقرآن ، وهذا مـا نَعْرِض له مـن خـلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

اتفاق أغلب العلماء

يذهب أغلب المفسرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، على أن أعظم وأجلّ ما يُفَسَّرُ به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو سُنة رسول الله ﷺ ومن ثم فقد نصّوا على أن تفسير القرآن بالسُّنَّة إنما يعد المصـدر الثانى للتفسـير ؛ ولذا فقد كـان (من القواعد المتفق عليـها بين أهل العلم أن يفسّر القرآن بكل من القرآن والسُّنة)[1] .

- **موقف الشنقيطىّ:**

والحق أن الشنقيطى يقف من ذلك موقـفًا واضحًا ليوافق به إجـماع أغلب العلماء على أن ثانى ما يجب أن يفسَّر به القرآن بعد القرآن ذاته إنما هو السُّنة المطهرة ؛ وذلك لما يراه من منزلة السنة ، وأهميـة موقعهـا من القرآن ؛ من حيث كـونها شارحة لما خـفى من معناه ، ومُوَضِّحة لما أُشْكِلَ من فهمه .

الأمر الذى لا يمكن معه الاستغنـاءُ عن السُّنة بالقرآن ؛ بل ويبيّن فى الوقت ذاته سقوطَ دعوى مَنْ يقولون به ، فَيُـبْطِلُ مذهبهم ، ويَدْحَضُ افتراءهم ، من أمثـال طائفة (القرآنيين) ومَنْ شَايَعَهُم[2] ولقد دَلّل الشنقيطى على مـوقفه هذا واحتج له فى مقدمة تفسـيره ، فضلاً عن تصريحه به فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

١ - فى مقدمة التفسير :

حيث يقول الشنقيطى ما نصـه : واعلم أن مما التزمنا فى هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مُبيِّنٌ من القرآن غـير وافٍ بالمقصود من تمام البيان ؛ فإننا نتـمم البيان من السُّنة مـن حيث إنها تفسير للمُـبيَّن ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ الآيـة[3] فقـد أشـار سبـحانه إلى أوقـاتها فى قولـه تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ

(١) منزلة السُّنة فى الإسلام : محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٢ .

(٢) انظـر رَدَّنَا على هذه الطائفـة بأدلتنا مـن القرآن والسُّنة تحت عنـوان : (ضـلال طائفـة القرآنيين) ص من هذا البحث .

(٣) النساء : ١٠٣ .

الشَّمْسِ ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الآية[3] على ما ذكره جَمْعٌ من العلماء من أنها أوقات الصلاة .

وكقول الله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ الآية[4] على القول بأنها فى الزكاة وأنها غير منسوخة ؛ فإنها تشير لها آيات الزكاة كقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾ الآية[6] .

وكقوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية[7] فإن القرآن قد زيد فيه على هذا الحصر تحريم الخمر ؛ ومن ثم فإنا نبيّن ما زاده ﷺ بالسُّنَّة الصحيحة .

فمثل هذه المسائل بنيّنها بيانًا تامًا بالسُّنَّة تبعًا للبيان القرآنّ[8] .

٢ - فى ثنايا التفسير :

لا يفتأ الشنقيطى أن يكرر إشارته إلى ما ضَمَّنَه مقدمة تفسيره ، حيث يؤكد ذلك فى غير موضع من ثنايا تفسيره المختلفة قائلاً ما نصه :

أ - وقد قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنّ الآية إنْ كان لها بيان فى كتاب الله غير وافٍ بالمقصود ؛ فإننا نتمم ذلك البيان من السُّنَّة ، فَنُبيِّن الكتاب بالسُّنَّة من حيث إنها بيانٌ للقرآن المبيّن[9] .

ب - اعلم أن الآية قد يكون لها بيان من الكتاب قد أوضحته السُّنَّة ؛ فصار بضميمة السُّنَّة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[10] .

---

(١) الإسراء : ٧٨ .
(٢) هود : ١١٤ .
(٣) الروم : ١٧ .
(٤) الأنعام : ١٤١ .
(٥) البقرة : الآيات (٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-٢٧٧) - وقد تكررت هذه الآية بلفظ (آتى) ومشتقاته ثنتين وثلاثين مرة من خلال تسعَ عشرةَ سورة بما فى ذلك المواضع الخمسة المشار إليها هنا فى سورة البقرة .
(٦) البقرة : ٢٦٧ .
(٧) الأنعام : ١٤٥ .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٩١ (من المقدمة) .
(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ١٩٤ .
(١٠) النحل : ٤٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ١٨١ .

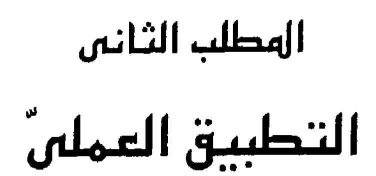
جـ - وأخيراً يؤكد الشنقيطى هذا الأصل بهذه الجملة الصريحة الموجزة فيقول : وخير ما يُفَسَّرُ به القرآن هو كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ[1] .

* * *

•• وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بالسُّنة يأتى فى المرتبة الثانية عند الشنقيطى بعد تفسير القرآن بالقرآن ذاته ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليه رأى أغلب المحققين من العلماء المعتبرين ؛ وهذا ما يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظريّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٦٥-٥/٤٩٢ (موضعان) .



المطلب الثانى

التطبيق العملىّ

وينتظم الطريقتين التاليتين :

١ - الطريقة الأولى : الجمع بين القرآن والسُّنّة .

٢ - الطريقة الثانية : الاكتفاء بالسُّنّة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والذى يُجَسِّدُ من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ؛ وقد تمثل هذا السلوك الفعلىّ فى جملةٍ من الشواهد التى نَعْرِض لها بالتفصيل من خلال الطريقتين التاليتين :

الطريقة الأولى

الجمع بين القرآن والسنّة

ولا يلجأ الشنقيطى إلى هذا الجمع بين القرآن والسُّنة فى تفسير الآية التى هو بصددها إلا فى حالتين اثنتين :

١ - لإكمال الدلالة :

وذلك حينما يرى أن القرآن غير وافٍ بالمقصود من تفسير الآية التى هو بصددها ؛ وعندئذ يَعْمَد إلى تفسيرها بالسُّنة بجوار تفسيرها بالقرآن ، بقصد إكمال دلالتها ، وإيفاء معناها ، على النحو الذى يريده، والوجه الذى يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تنبيهًا به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطى فى جمعه بين القرآن والسُّنة لتفسير الآية التى هو بصددها ؛ وقد اكتفينا بهذا المثال دون غيره نظرًا لأنه من أوضح الأمثلة وأتمها إزاء ما نحن بصدده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورده به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى :

ففى مَعْرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان[١] نراه يقول ما نصه : اعلم أولاً أنا قد قدّمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفى بإيضاح المقصود ، وقد بيّنه النبىّ ﷺ فإنا نُتَمِّم بيانه بذكر السُّنة المبيِّنة له ، فإذا عَلِمْتَ ذلك ؛ فاعلم أن هاتين الآيتين الكريمتين لهما بيان من الكتاب أوضحته السُّنة ؛ فصار بضميمة السُّنة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود ، والله جلّ وعلا قد قال فى كتابه لنبيه ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[٢] .

(١) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) .
(٢) النحل : ٤٤ .

فإذا علمت ذلك ؛ فاعلم أن هذه الآية الكريمة[1] وآية الأنبياء[2] قد دلّتا فى الجملة على أنّ السَّدّ الذى بناه (ذو القرنين) دون (يأجوج ومأجوج) إنما يجعله الله دكّاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه ؛ وقد دلّتا على أنه بقُرْب يوم القيامة ؛ لأنه قال تعالى هنا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ الآيتان[3] .

وأظهر الأقوال فى الجملة المُقَدَّرَة التى عَوَّضَ عنها التنوين فى «يَوْمَئِذٍ» من قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ أنه (يوم إذا) جاء وعد ربى بخروجهم وانتشارهم فى الأرض ، ولا ينبغى العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم .

وآية الأنبياء المشار إليها هى قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيتان[4] لأن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ وإتباعه ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يدل فى الجملة على ما ذكرنا فى تفسير آية الكهف التى نحن بصددها ، وذلك يدل على بطلان قول مَنْ قال : إنها (روسيّة) وإنّ السَّدّ فُتِحَ منذ زمان طويل .

فإذا قيل : إنما تدل الآيات المذكورة فى (الكهف) و (الأنبياء) على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السَّدّ واقترابه من يوم القيامة ، لا ينافى كونه قد وقع بالفعل كما قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الآية[5] وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ الآية[6] كما قال النبىّ ﷺ : «ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ فُتِحَ اليومَ من رَدْم يأجوج ومأجوج مِثْلُ هذه ، وحَلّقَ بأصبعيه : الإبهام والتى تليها» الحديث[7] وقد

---

(١) ويقصد بذلك آيتىّ الكهف السابقتين .

(٢) ويقصد بذلك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٣) الكهف : ٩٨-٩٩ (آيتان) . (٤) الأنبياء : ٩٦-٩٧ (آيتان) .

(٥) الأنبياء : ١ . (٦) القمر : ١ .

(٧) أخرجه البخارى فى أربعة مواضع من صحيحه - انظر فى ذلك (فتح البارى) على النحو التالى :
(كتاب ٦٠) الأنبياء (باب ٧) قصة يأجوج ومأجوج - ٦/٣٨١ حديث رقم (٣٣٤٦) - ثم (كتاب ٦١) المناقب (باب ٢٥) علامات النبوة فى الإسلام - ٦/٦١١ حديث رقم (٣٥٩٨) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٤) قول النبى ﷺ : «ويل للعرب من شر قد اقترب»- ١٣/١١ حديث رقم (٧٠٥٩) - ثم (كتاب ٩٢) الفتن (باب ٢٨) يأجوج ومأجوج - ١٣/١٠٦ حديث رقم (٧١٣٥) - (طبع السلفية) .
=

قدَّمناه فى سورة المائدة[1] .

فقد دَلّ القرآن والسُّنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذُكِرَ لا يستلزم اقترانه به ، بل يصحّ اقترابه مع مُهْلَة ؛ وإذًا فلا ينافى دَكّ السَّدِّ الماضى المزعوم الاقتراب من يوم القيامة ؛ ومن ثم فلا يكون فى الآيات المذكورة دليل على أنه لم يُدَكّ السَّدُّ حتى الآن ، فالجواب هو ما قدمنا من أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيًا بتمام الإيضاح إلاّ بضميمة السُّنة له ؛ ولذلك فقد ذكرنا أننا نتمم مثله من السُّنة لأنها مبيِّنة للقرآن .

قال مسلم بن الحجّاج رحمه الله فى (صحيحه) : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا الوليد ابن مسلم ، حدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنى يحيى بن جابر الطائى (قاضى حِمْص) حدثنى عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمىّ : أنه سمع النواس بن سمعان الكلابىّ (ح) .

وحدثنى محمد بن مهران الرازى (واللفظ له) حدثنى الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائىّ ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير ، عن النَّوَّاس بن سَمْعَان قال :

«ذكر رسول الله ﷺ الدَّجال ذاتَ غداة ، فَخَفَضَ فيه ورَفَعَ حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فينا ؛ فقال : ما شأنكم ؟! قلنا : يا رسول الله ذكرتَ الدّجال غداة فخفضتَ فيه ورفعتَ حتى ظنناه فى طائفة النخل ! فقال : غير الدّجال أَخْوَفُنى عليكم ! إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم .

= وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشراط الساعة (باب ١) اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج - ٢٢٠٧/٤ حديث رقم (٢٨٨٠) - (طبع الحلبى) - كما أخرجه أحمد فى مسنده : ٤٢٨/٦ حديث رقم (٢٧٤٥٣) - ٤٢٨/٦ حديث رقم (٢٧٤٥٤) - ٤٢٩/٦ حديث رقم (٢٧٤٥٦) - (طبع قرطبة) .

● ويلاحظ أن كل مواضع التخريج المذكورة هنا تبدأ بـ : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب» ما عدا الحديث رقم (٢٧٤٥٦) فى (مسند أحمد) فيبدأ بـ : «ويل للعرب» .

(١) حيث أورد الحديث المذكور فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة : ١٠٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٦٩/٢ .

إنه شاب قَطَطٌ[1] عينه طَافِئَةٌ[2] كأنى أشبهه بـ (عبد العُزّى بن قطن) فمَنْ أدركه منكم فليقرأ عليه (فواتح سورة الكهف) إنه خارجٌ خُلَّةً[3] بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا وعاث شمالاً ، يا عبادَ الله فاثبتوا .

قلنا : يا رسول الله ، وما لُبثُه فى الأرض ؟ قال : أربعون يومًا ، يوم كَسَنَة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم[4] قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كَسَنَة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما إسرَاعُه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استَدْبَرَتْه الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ؛ فيأمر السماءَ فَتُمْطِر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرًا ، وأسبغه ضروعًا ، وأمدّه خَوَاصِر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحلين[5] ليس بأيديهم شىء من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخَرِبَة[6] فيقول لها : أخرجى كنوزَكِ ، فتتبعه كنوزها كيَعَاسِيب النَّحْل[7] ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمِيَّةَ الغَرَض[8] ثم يدعوه فيقبل ويتهلل ووجهه يضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق

---

(١) قَطَطٌ : أى ذو شَعْر جَعْد متموِّج قصير بما يشبه شَعْر الزنوج ، ومنه قولهم : (رَجُلٌ قَطٌّ وقَطَطٌ والجمع أقْطَاطٌ وقِطَاطٌ وقَطُّونَ وقَطَطُونَ) وكذا قولهم : (امرأة قَطَّةٌ وقَطَطٌ والجمع قَطَطَاتٌ) - انظر مادة (قَطَط) فى كل من لسان العرب : ٥/ ٣٥٧١ - المعجم الوسيط : ٢/ ٧٧٣ .

(٢) طَافِئة : أى خامدة لا بريق لها ، وناتئة بارزة فوق وجهه بما يشبه الشىءَ الطافى فوق سطح الماء - انظر مادة (طَفَا) فى كل من لسان العرب : ٤/ ٢٦٨٤ - المعجم الوسيط : ٢/ ٥٨٠ .

(٣) خُلَّة : أى الأرض المملوءة بـ (الشَّوْك) وهى مَرْعَى للإبل التى يقال لها : (إبِلُ الخُلَّة) حتى إذا ما مَلَّتْ هذا الطعام من الشوك ؛ تم تحويلها إلى أرضٍ أخرى ذات نبات وشجرٍ لترعى فيها - انظر مادة (خَلَل) فى كل من لسان العرب : ٢/ ١٢٤٨ - المعجم الوسيط : ١/ ٢٦١ .

(٤) ويُسْتَنْبطُ من هذا الحديث أنّ مدة مُكْث الدّجال فى الأرض تصل فى جملتها إلى ما يقرب من أربعمائة وأربعين يومًا بحساب أيامنا الآن .

(٥) مُمْحلين من المَحْل : وهو القَحْطُ والشِّدَّة والجوع الشديد ، والجمع : (أمْحَال ومُحُول) - انظر مادة (مَحَلَ) فى لسان العرب) : ٥/ ٤١٤٧ .

(٦) الخَرِبَة : موضع الهَدْم والخَرَاب وهو ضد البناء والعمران ، والجمع : (خَرِبَاتٌ) رانظر مادة (خَرِب) فى لسان العرب : ٢/ ١١٢١ .

(٧) يَعَاسِيب النَّحْل : جمع (يَعْسُوب) وهو ذَكَرُ النحل وأميرها الذى تجتمع حوله إناث النحل وغيرها - انظر مادة (عَسَب) فى لسان العرب : ٤/ ٢٩٣٥ .

(٨) رَمِيَّة الغَرَض : أى كرمية الصياد التى يصيب بها هدفه - انظر مادة (رَمى) فى لسان العرب : ٣/ ١٧٣٩ .

بين مَهْرُودَتَيْنِ[1] واضعًا كفيّه على أجنحة مَلَكَين ، إذا طأطأ رأسه قَطَر ، وإذا رفعه تحدّر منه جُمَان كاللؤلؤ[2] فلا يَحِلُّ لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهى حيث ينتهى طَرْفُه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[3] فيقتله ، ثم يأتى عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه ؛ فيمسح عن وجوههم ، ويحدّثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إنى قد أخرجت عبادًا لايَدَانِ لأحدٍ بقتالهم ؛ فَحَرِّزْ عبادى إلى الطُّور .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حَدَبٍ ينسلون ، فيمرّ أوائلهم على بُحَيْرَة (طَبَرِيَّة) فيشربون ما فيها ، ويمرّ آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مَرَّةً ماء ، ويُحْصَرُ نبىُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم .

فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله عليهم النَّغَفَ[4] فى رقابهم ؛ فيصبحون فَرْسَى[5] كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُمْ[6] ونَتَنُهُم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْتِ[7] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يكون منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ[8] فيغسل الأرض حتى يتركها

---

(١) مَهْرُودَتَيْن : أى فى ثوبين مصبوغين باللون الأصفر كلون الزعفران وما شابهه - انظر مادة (هَرَدَ) فى لسان العرب : ٦/٤٦٤٨ .

(٢) جُمَان : جمع (جُمَانة) وهى الحَبَّة التى تصنع من الفضة على شكل اللؤلؤ ، وقد شُبِّهَتْ بها حَبَّاتُ عَرَق النبى ﷺ - انظر مادة (جَمَنَ) فى لسان العرب : ١/٦٨٩ .

(٣) (لُدٌّ) و (اللُّدُّ) : اسم رَمْلَة بالشام، وقيل بفلسطين - انظر مادة (لَدَدَ) فى لسان العرب: ٥/٤٠١٩ .

(٤) النَّغَف : الدُّود الذى يكونُ فى أنوف الإبل والغنم ، وهى جمع (نَغَفَة) - انظر مادة (نَغَفَ) فى لسان العرب : ٦/٤٤٨٩ .

(٥) فَرْسَى : أى قَتْلَى ، وهى جمع (فَرِيس) كـقتيل ، ومنه قولهم : (فَرَسَ الذئبُ الشاةَ وافترسها) إذا قتلها ، والأصل فيه قولهم : (فَرَسَ الذبيحةَ يَفْرِسُها فَرْسًا) إذا قطع نخاعها وفَصَلَ عُنُقَها ، و (الفَرْس) دَقُّ العنُق ، ثم كَثُرَ حتى جُعِلَ كُلُّ قتلٍ فَرْسًا - انظر مادة (فَرَس) فى لسان العرب : ٥/٣٣٧٨ .

(٦) زَهَمُهُمْ: من (الزُّهُومَة) وهى رائحة اللحم السَّمين المنتن ، والمعنى : أن الأرض سوف تُنْتِنُ من رائحة جِيَفِهم الكريهة المتغيِّرة - انظر مادة (زَهِم) فى لسان العرب : ٣/١٨٨١ .

(٧) البُخْت والبُخْتِيَّة : هى الإبل الخراسانية ، وقيل : إنها عربية ، وهى إبل طوال الأعناق ، الجَمَلُ الواحد منها (بُخْتِىّ) والناقة منها (بُخْتِيَّة) والجمع (بُخْتٌ وبَخَاتٍ) وقيل : (بَخَاتِىّ وبَخَاتِى وبَخَاتَى) - انظر مادة (بَخَت) فى لسان العرب : ١/٢١٩ .

(٨) مَدَر : أى قِطَعُ الطين اليابس ، وقيل : الطين العَلِك أى اللَيِّن الذى لا رمل فيه ، وواحداته (مَدَرَة) - انظر مادة (مَدَر) فى لسان العرب : ٥/٤١٥٩ .

وبَر : أى صوف الإبل والأرانب ونحوها ، وواحدته (وَبَرَة) والجمع (أَوْبَار) - انظر مادة (وَبَر) =

كالزَّلَفَة[1] ثم يقال للأرض: انبتى ثَمَـرتَك ، وردِّى بَرَكَتَك ؛ فيومئـذ تأكل العِصَابَة مـن الرُّمَّانَة[2] ويستظلـون بقحْـفِهَا[3] ويُبَارَكُ فى الرِّسَلِ[4] حتى إنّ اللِّقْـحَةَ[5] من الإبل لتكفى الفِئَام[6] من الناس، واللِّقْحَة من البقر لتكفى القَبِيلَة[7] من الناس ، واللِّقْحَة من الغنم لتكفى الفَخِذَ[8] من الناس .

فبـينما هم كذلك إذ بعث الله ريحـاً طيبة فتـأخذهم تحت آباطهم ، فتـقبض رُوحَ كل

= فى لسان العرب : ٦/ ٤٧٥٢ .

والمعنى : أى جميع البُـيُوت ، سواء ما كان منها مـبنيًا من الطين اللَّيِّن والطوب اللَّبِن النَّيِّء فى الحَضَر والحَـضراء ، أو ما كان مصنوعًا منهـا من الصوف ونحوه على هيئة خـيام فى البادية والصحراء .

(١) الزَّلَفَة : أى أن المطر ينزل على الأرض فيجعل منها أغادير وممرات مملوءة بالماء ؛ فتصير الأرض كأنها مَصْنَعَةٌ من مصانع الماء ، فضلاً عن استوائها ونظافتـها كالمرآة ، وكذا نُضْرَتُهَا وخُضْرَتُهَا كالرَّوضة – انظر مادة (زَلَف) فى لسان العرب : ٣/ ١٨٥٣ .

(٢) العِصَابَة والعُصْبَة : الجماعة من الناس من عشرة إلى أربعين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ يوسف: ١٤ – انظر مادة (عَصَب) فى لسان العرب : ٤/ ٢٩٦٣ .

الرُّمَّانَة : واحـدة (الرُّمَّـان) وهو حَمْلُ أو ثَمَـرُ شجرة معـروفة من الفواكـه ، ومـن ذلك قـول الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ الرحمن : ٦٨ – انظر مادة (رَمَـن) فى لسان العرب : ٣/ ١٧٣٩ .

والمعنى : أن البركة ستعم آنذاك إلى الحد الذى تكفى فيه الرّمّانة الواحدة العِصَابةَ الكثيرة من الناس .

(٣) بقحْفها : أى بقشر شجـرة الرّمّان الذى يستظلون بظلّه ، وذلك تشبيهًـا له بِقِحْفِ الرأس الذى فوق الدِّمَاغ – انظر مادة (قَحَف) فى لسان العرب : ٥/ ٣٥٣٧ .

(٤) الرِّسَلُ : القطيع من كل شىء فى حدود عشرة من أفراده ، والجمع (أَرْسَال) – انظر مادة (رَسَل) فى لسان العرب : ٣/ ١٦٤٣ .

(٥) اللَّقْـحَةُ واللِّقْـحَةُ : الأنثى التى توشك أن تلد من النوق أو البـقر أو الغنم ، ثم الغـزيرة اللبن بعد الولادة ، ولا يزال ذلك اسمها حتى ينفصل عنها وليدها ، والجمع (لِقَحٌ ولِقَاح) – انظر مادة (لَقِح) فى لسان العرب : ٥/ ٤٠٥٧ .

(٦) الفِئَام : أى الجماعـة من الناس ، ولا واحد له من لفظه ، والعوام ينطقونه (فِـيَام) بلا همز – انظر مادة (فَأَم) فى لسان العرب : ٤/ ٣٣٣٦ .

(٧) القَبِيلة : هى الجماعة من أب واحد ، أو الجماعـة من قبائل العرب وغيرهم من سائر الناس – انظر مادة (قَبِل) فى لسان العرب : ٥/ ٣٥١٦ .

(٨) الفَخِذ: هم نَفَرُ الرجل من حيِّـه الذين هم أقرب عشيرته إليه، والجمع (أَفْـخَاذ) والترتيب من الأقل إلى الأكثر هو: (الفَخِذ – البَطْن – العِمَارَة – الفَصِـيلَة – القَبِيلَة – الشَّعْب) – انظر مادة (فَخِذ) فى لسان العرب : ٥/ ٣٣٦٠ .

مؤمن وكـل مـسلم، ويبقى شِرَارُ الناسِ يَتَـهَارَجُونَ فيـها[١] تَهَارُجَ الحُمُرِ[٢] فعليـهم تقوم الساعة » انتهى بلفظه من (صحيح مسلم) رحمه الله تعالى .

وهذا الحديث الصحيح قد رأيتَ فـيه تصريحَ النبى ﷺ بأن الله يوحى إلى عيسى بن مريم خروج يأجـوج ومأجوج بعد قـتله الدّجال ؛ فمَنْ يدّعى أنهم (رُوسِيَّـة) وأنّ السَّدّ قد اندكّ منذ زمان ؛ فـهو مخالف لما أخـبر به النبىّ ﷺ مخـالفة صريحة لاوجـه لها ؛ ولا شك أن كل خبر نَاقَضَ خبر الصادق المصـدوق ﷺ فهو باطل ؛ لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كـما هو معلوم ، كمـا أنه لم يثبت فى كتاب الله ولا سُنة نـبيه ﷺ شىء يعارض هذا الحديث الذى رأيتَ صحةَ سَنَدِهِ ، ووضوحَ دلالته على المقصود[٣] .

ب - لإيضاح الدلالة :

وذلك حينما يرى الشنقيطى اشتراك كُلٍّ من القرآن والسُّنة فى ذات الدلالة على المقصود من الآية التى هو بصددهـا ؛ وعندئذ يَعْمَد إلى تفـسيرها بالسُّنَّة بجـوار تفسيـرها بالقرآن ، بقصد إيضاح دلالتها ، وإيفـاء معناها ، على النحو الذى يريده ، ووَفْقَ الوجه الذى يذهب إليه ، على أنه لا يفـتأ يشيـر من خلال ذلك إلى جـمعه بين القـرآن والسُّنة الصحيـحة فى تفسـيره للآية التى هو بصددها ، ومُـعَلِّلاً لذلك بأن كلاً من القرآن والسُّنَّة يَدُلَّان مـعًا على المقصود منها فى مَحَل تفسيره لها.

وفيما يلى نكتفى بذكر المثال التالى تنبيهًا به على غيره كشاهدٍ على منهج الشنقيطى فى جمعـه بين القرآن والسُّنة لإيضاح دلالة الآية التى يَعْـرِض لها بالتفسير ، وقد اكتفـينا بهذا المثال دون غيـره نظرًا لأنه من أوضح الأمثلة وأتَمِّها إزاء ما نحن بصـدده ؛ ومن ثم فسوف نورده بطوله وتمامه على النحو الذى أورده به الشنقيطى فى موضعه من التفسير كما يلى:

---

(٧) يَتَهَارَجُون : أى يكثُرُون ويتخالطون ويُفْتَنُون فيتقاتلون ويتناكحون أو يَتَسَافَدُون كتَنَاكُحِ وتَسَافُدِ البهائم - انظر مادة (هَرَجَ) فى لسان العرب : ٦/٤٦٤٧ .

(٨) الحُمْر : هى خيـر الإبل ، ومنه قولهم : (حُمْرُ النَّـعَم) - و (تَهَارُج الحُمْر) أى كـثرتها واختـلاطها وتقاتلهـا وتناكحها أو تسافـدها - و (الحُمْر) جمع (أَحْـمَر) - انظر مادة (حَمِر) فـى لسان العرب : ٢/٩٨٩ .

(٩) أضواء البيان : الشنقـيطى ٤/١٨١-١٨٥ (خمس صفحات) - والحديث المذكـور أخرجه مسلم فى صحيـحه (كتاب ٥٢) الفتن وأشـراط الساعة (باب ٢٠) ذكر الدّجّـال وصفته ومـا معه - ٤/ ٢٢٥٠ حـديث رقم (٢٩٣٧) - (طبع الحلبى) - وقد أخـرجـه احمـد فى مسنده : ٤/١٨١ حـديث رقم (١٧٦٦٦) - (طبع قرطبة) - كما أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب ٣٤) الفتن (باب ٥٨) ما جاء فى فتنة الدّجّال - ٤/ ٤٤٢ حديث رقم (٢٢٤٠) - (طبع العلمية) .

ففى معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : واعلم أن للعلماء كلاماً كثيراً فى هذه الآية قائلين : إنها تدل على أنه ينبغى التقشف والإقلال من التمتع بالمآكل والمشارب والملابس ونحو ذلك ، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك خوفاً منه أن يدخل فى عموم مَنْ يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ والمفسرون يذكرون هنا آثاراً كثيرة فى ذلك ، كما يذكرون أحوال (أهل الصُّفَّة) وما لاَقَوْهُ من شدة العيش .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله تعالى فى معنى هذه الآية هو أنها فى الكفار ، وليست فى المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التى أباحها الله لهم ؛ لأنه تعالى ما أباحها لهم لِيُذْهِبَ بها حسناتهم ، وإنما قلنا : إن هذا هو التحقيق ؛ لأن الكتاب والسُّنة الصحيحة دَالاَّنِ عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية[2] .

أما كون الآية فى الكفار فقد صرّح الله تعالى به فى قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[3] والقرآن والسُّنة الصحيحة قد دَلاَّ على أن الكافر إن عمل عملاً صالحًا مطابقًا للشرع ، مخلصًا فيه لله كالكافر الذى يَبَرُّ والديْه ، ويَصِلُ الرَّحِم ، ويُقْرِى الضيف ، ويُنَفِّسُ عن المكروب ، ويُعِين المظلوم ، يبتغى بذلك وجه الله ؛ يثاب بعمله فى دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية ، ونحو ذلك ، ولا نصيب له فى الآخرة .

ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ⁽١٥⁾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآيتان[4] وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الآية[5] وقد قيَّد الله تعالى هذا الثواب الدنيوى المذكور فى الآيات بمشيئته وإرادته فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ الآية[6] .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : «إن الله لا

(١) الأحقاف : ٢٠ .
(٢) النساء : ٥٩ .
(٣) الأحقاف : ٢٠ .
(٤) هود : ١٥-١٦ (آيتان) .
(٥) الشورى : ٢٠ .
(٦) الإسراء : ١٨ .

يظلم مؤمنًا حسنة يُعْطَى بها فى الدنيا ويُجْزَى بها فى الآخرة ، وأما الكافر فَيُطْعَمُ بحسناته ما عمل بها لله فى الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها» هذا لفظ مسلم فى (صحيحه) الحديث[1] وفى لفظ له عن رسول الله ﷺ : «إن الكافر إذا عمل حسنة أُطْعِمَ طُعْمَةً بها فى الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله يدّخر له حسناته فى الآخرة ، ويَعْقُبُه رزقًا فى الدنيا على طاعته» الحديث[2] . فهذا الحديث الثابت عن النبى ﷺ فيه التصريح بأن الكافر يُجَازَى بحسناته فى الدنيا فقط ، وأن المؤمن يُجَازَى بحسناته فى الدنيا والآخرة معًا .

وبمقتضى ذلك يتعيَّن تعيينًا لا مَحيصَ عنه أن الذى أذهب طيباته واستمتع بها هو الكافر ؛ لأنه لا يُجْزَى بحسناته إلاّ فى الدنيا خاصة ، وأما المؤمن الذى يُجْزَى بحسناته فى الدنيا والآخرة معًا ؛ فلم يُذْهِبْ طيباته في دنياه ، لأن حسناته مُدَّخَرَة له فى الآخرة مع أن الله يثيبه عليها فى الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ الآيتان[3] فجعل المخرج من الضيق له ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ثوابًا فى الدنيا ، وليس يَنْقُصُ أجر تقواه فى الآخرة .

والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة ، وعلى كل حال فالله جلّ وعلا قد أباح لعباده على لسان نبيه ﷺ الطيبات فى الحياة الدنيا ، وأجاز لهم التمتع بها ، ومع ذلك جعلها خاصة بهم فى الآخرة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية[4] .

فدَلّ هذا النص القرآنى على أن تمتع المؤمنين بالزينة والطيبات من الرزق فى الحياة الدنيا لم يمنعهم من اختصاصهم بالتنعم بذلك يوم القيامة ، وهو صريح فى أنهم لم يُذْهِبُوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا ؛ ولا ينافى هذا أن مَنْ كان يعانى شدة الفقر فى الدنيا كـ : (أصحاب الصُّفَّة) يكون لهم أجر زائد على ذلك ؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيبهم فى الدنيا من المصائب والشدائد كما هو معلوم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار (باب ١٣) جزاء المؤمن بحسناته فى الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر فى الدنيا - ٤/ ٢١٦٢ حديث رقم (٢٨٠٨) - (طبع الحلبى) - كما أخرجه أحمد فى مسنده : ٣/ ١٢٣ حديث رقم (١٢٢٥٩) - ٣/ ١٢٥ حديث رقم (١٢٢٨٦) - ٣/ ٢٨٣ حديث رقم (١٤٠٥٠) - (طبع قرطبة) .

(٢) نفس تخريج مسلم فى الحديث السابق .

(٣) الطلاق : ٢-٣ (آيتان) .

(٤) الأعراف : ٣٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٩٣-٢٩٥ (ثلاث صفحات) .

الطريقة الثانية

الاكتفــــاء بالسنّة

ولا يلجأ الشنقـيطى إلى الاكتفاء بالسُّنة فى تفسير الآية التى هو بصـددها إلاّ عندما لا يكون لها مُبَيِّن من القرآن ذاته ؛ ومن ثم يَـعْمَد إلى السُّنة لبيان المراد من الآية ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين أولهما : تمهيده بين يدىْ الآية بالإشارة إلى تفسيرها بالسُّنة ، وأما ثانيهما : فعــدم تمهيـده لذلك ، بل شروعه مباشرة فى تفسير الآية بالسُّنة ، وذلك على النحو التالى :

أ - تمهيده للتفسير بالسنّة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الآية[1] نراه يشير إلى أنه سَيُفَسِّر هذه الآية بما وردت به السُّنة فيقول ما نصه : ذكر الله جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمـة أنه آتى نبيه ﷺ سـبعًا من المثـانى والقرآن العظيم ، ولم يبيِّن هنا ما المـراد بذلك ؟ وقد قدّمنا فى ترجمة هذا الكتـاب المبارك أن الآية الكريمة إن كان لهـا بيان من كتاب الله غـير واف بالمقصود ؛ فـإننا نُتَمِّم ذلك البيـان من السُّنة ، فَنُبَيِّن الكتاب بالسُّنة من حيث إنها بيان للمُبَيَّن .

وإذا علمت ذلك ؛ فـاعلم أن النبىّ ﷺ قـد بَيَّنَ فى الحـديث الصحـيح أن المراد بـ (السَّبع المثـانى والقرآن العظيم) فى هذه الآية الكريمة هـو : (فاتحة الكتـاب) ففاتحـة الكتاب ليست مـبينة للمـراد بالسبع المثـانى والقرآن العظيم ؛ وإنما بينت ذلك بإيـضاح النبىّ ﷺ لذلك فى الحديث الصحيح :

قال البخـارىّ فى (صحيحه) فى تفـسير هذه الآية الكريمة : حدثنى محـمد بن بشار ، حدثنـا غندر ، حدثنا شـعبة عن حبيب بن عبد الرحـمن ، عن حفص بن عاصــم ، عن أبى سـعـيد بن المعلــى قال : مَـرَّ بى النبيُّ ﷺ وأنا أصلى ، فـدعانى فلم آتِهِ حـتى صلّيــت ، ثم أتيت ؛ فـقال : «مـا منعك أن تأتينى ؟» فقلت : كنت أصلى ، فــقال : «ألم يقل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية[2] ثم قال : «ألا أعلمك أعظم سـورة فى القرآن قبل أن أخـرج من المسجـد ؟» فذهب النبى ﷺ ليـخرج فَذَكَّرْتُه ؛ فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية[3] هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى

(١) الحِجْر : ٨٧ . (٢) الأنفال : ٢٤ . (٣) الفاتحة : ٢ .

أوتيته» الحديث[1] .

وحدثنا آدم ، حدثنا ابن أبى ذئب ، حدثنا سعيد المقبرىّ ، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمُّ القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم» الحديث[2] فهذا نص صحيح من النبى ﷺ فى أن المراد بـ (السبع المثانى والقرآن العظيم) : فاتحة الكتاب؛ وبه تعلم أن قول مَنْ قال : إنها (السبع الطوال) غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه ﷺ .

ومما يدلّ على عدم صحة ذلك القول أن آية (الحِجْر) هذه مكية ، وأن (السبع الطوال ما أُنْزِلَتْ إلاّ بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى .

وقيل لها : (مثانى) لأنها تُثَنَّى قراءتها فى الصلاة ، وقيل لها : (سبع) لأنها سبع آيات ، وقيل لها : (القرآن العظيم) لأنها هى أعظم سورة فى القرآن ؛ كما ثبت ذلك عن النبىّ ﷺ فى الحديث الصحيح المذكور آنفًا .

وإنما عُطِفَ (القرآن العظيم) على (السبع المثانى) مع أن المراد بهما واحد وهو (الفاتحة) لِمَا عُلِمَ فى اللغة العربية من أن الشئ الواحد إذا ذُكِرَ بصفتين مختلفتين ؛ جاز عطف إحداهما على الأخرى ، وذلك (تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) ومنه قول الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ الآيات[3] ومنه أيضاً قول الشاعر :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابن الهُمَام ... ولَيْثِ الكَتيبَةِ فى المُزْدَحَم[4]

---

(1) أخرجه البخارى فى أربعة مواضع من صحيحه – انظر فى ذلك (فتح البارى) على النحو التالى : (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١) ما جاء في فاتحة الكتاب – ٨/١٥٦ حديث رقم (٤٤٧٤) – ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال : ٢٤ (استجيبوا : أجيبوا – لما يحييكم : لما يصلحكم) – ٨/٣٠٧ حديث رقم (٤٦٤٧) – ثم (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحِجْر : ٨٧ – ٨/٣٨١ حديث رقم (٤٧٠٣) – ثم (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٩) فضل فاتحة الكتاب -٩/٥٤ حديث رقم (٥٠٠٦) – (طبع السلفية) .

(2) أخرجه البخارى في صحيحه – انظر في ذلك فتح البارى (كتاب ٦٥) التفسير (باب) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحِجْر : ٨٧-٨/٣٨١ حديث رقم (٤٧٠٤) – (طبع السلفية) .

(3) الأعلى : ١ – ٤ (اربع آيات) .

(4) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/١٩٤ – ١٩٥ (صفحتان) .

القَرْم: هو السيد والرئيس المعظم، ذو الرأى المقدَّم بين الرجال ؛ وذلك لِعِظَم شانه وعُلو منزلته، تشبيهاً له بمنزلة الفَحْل بين الإبل، والجمع (قُرُوم) – انظر مادة (قَرِم) فى لسان العرب: ٥/٣٦٠٤ . =

ب - عدم تمهيده للتفسير بالسنة :

وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ﴾ الآية[1] نراه يشرع مباشرة فى تفسير الآية بما يُوَضِّح معناها من السُّنة فيقول ما نصه : جاء عن النبى ﷺ : أنه سئل عن هذه الآية الكريمة فقيل : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟! فقال ﷺ : «نور يقذف فيه ؛ فينشرح له وينفسح» قالوا : فهل لذلك أمارة يُعْرَف بها ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قَبْل لقاء الموت» الحديث[2] . ويدلّ لهذا قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ

= الهُمَام : اسم من أسماء المَلك ، وقد سُمِّىَ به لعظَم همَّته ؛ لأنه إذا هَمَّ بأمر أمضاه وأنفذه كما أراد ، فلا يُرَدُّ عنه ، ولا يتحول إلى سِواه - انظر مادة (هَمَمَ) فى (لسان العرب) : ٦/٤٧٠٢ .

لَيْثٌ : أى الأسد ، ويطلق على كل شديد قوىٍّ من الرجال ، تشبيهاً لشدته وقوته بـ (لُيُوثَة الأسد) أى شدته وقوته ، والجمع (لُيُوث) - انظر مادة (لَيَث) فى لسان العرب : ٥/٤١١٢ .

الكَتِيبَة : هى الجيش أو القطعة العظيمة منه ، وقيل : هى جماعة الخيل المجهزة بفرسانها والتى يتراوح تعدادها بين مائة وألف إذا أغارت فى الحروب ، والجمع (كَتَائِب) - انظر مادة (كَتَب) فى لسان العرب : ٥/٣٨١٦.

المُزْدَحَم : أى مكان ازدحام الجنود واجتماعهم تمهيداً لِبَدْءِ القتال ، والأصل فيه من (الزَّحْمَة والزِّحَام) وهو اجتماع القوم فى مكان واحد يضيق بهم إلى حد مُدَافَعَة ومضايقة بعضهم بعضاً - انظر مادة (زَحَم) فى لسان العرب : ٣/١٨١٩ .

والشاهد : أن الشاعر قد لجأ هنا إلى العطف بحرف الواو بين هذه الصفات الثلاث مع أنه يصف بها شخصاً واحداً هو (المَلك) وذلك إنزالاً لكل صفة منها منزلة مستقلة بها لشخص خاص بها غير الملك ، فكأنه بذلك يصف ثلاثة أشخاص مختلفين بهذه الصفات الثلاث المختلفة ، وهذا ما يعنيه الشنقيطى بقوله : (وذلك تنزيلاً لمغايرة الصفات منزلة تغاير الذوات) والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) الأنعام : ١٢٥ .

(٢) أخرجة الحاكم فى مستدركه على الصحيحين من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ - انظر (المستدرك على الصحيحين في الحديث) : للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى ت(٤٥٨هـ = ١٠٦٦م) -٤/٣١١ - وبذيله (تلخيص المستدرك) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت(٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د.ت) .

كما أخرجه الطبرى فى عدة مواضع من تفسيره بطبعتىْ (دار المعارف) و(الحلبى) على النحو التالى :

أولاً : مواضع طبعة (دار المعارف) بتحقيق (الأخوين شاكر) : ١٢/٩٨ حديث رقم (١٣٨٥٢) - ١٢/٩٩ حديث رقم (١٣٨٥٣) - ١٢/ ١٠٠ حديث رقم (١٣٨٥٤) وكلها من طرق عن عمرو بن مُرّة عن أبى جعفر المدائنى مُرْسَلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٢/ ١٠٠ حديث رقم (١٣٨٥٥) من طريق أبى عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ ثم ١٢/ ١٠١ حديث رقم =

فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الآية[1] .

= (١٣٨٥٦) من طريق خالد بن أبى كـريمة عن عبد الله بن المسور مـرسلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٠٢/١٢ حديث رقم (١٣٨٥٧) من طريق عبـد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عـن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ .

ثانيًا : مواضع طبعة (الحلبى) غير المحققـة : ٢٦/٨-٢٧ من طرق عن عمرو بن مُرّة عن أبى جعفر المدائنى مرسلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق أبى عبيـدة عن أبيه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق عبد الرحمن بن عبـد الله بن عتبة عن ابن مسعود عن رسـول الله ﷺ - ثم ٢٧/٨ عن طريق خالد بن أبى كـريمة عن عـبد الله بن المسـور مرسـلاً عن رسول الله ﷺ - انظر (جامع البيان عن تأويل آى القرآن): لأبى جعـفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٣هـ= ١٩٥٤هـ .

كما أخرجه ابن أبى حاتم فى موضعين من تفسيره هما : ١٣٨٤/٤ من طرق عن عمرو بن مُرّة عن أبى جعـفر المدائنى مرسـلاً عن رسول الله ﷺ - ثم ١٣٨٤/٤ من طريق عمـرو بن مُرّة عن عبـدالله المسور مـرسلاً عن رسول الله ﷺ - انظر (تفـسيـر القرآن العظيم مـسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين) : للإمام الحافظ عبـد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى المعروف بابن أبى حاتم ت (٣٢٧هـ = ٩٣٩م) - تحقـيق : أسعد محمـد الطيب - الطبعة ٢- المكتبـة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ملاحظات حول هذا الحديث والحكم عليه :

أولاً : ترجم الحافظ الذهبىّ لعبد الله بن المسور ذاكراً أنه هو نفسه أبو جعفر المدائنى قائلاً : عبد الله ابن المسور بن جـعفر بن أبى طالب ، هو أبو جـعفر الهاشـمى المدائنى ، ليس بثقة - انظر (مـيزان الاعتدال فى نقد الرجال) : للحافظ أبى عبـد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ت (٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) - (٥٠٤/٢ - ٥١١/٤) - تحقيق: على محمد البجاوى - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م.

ثانيًا : حَكَمَ الشيخ محمود شاكر على الأحاديث أرقام (١٣٨٥٢ - ١٣٨٥٣ - ١٣٨٥٤) بأنها أخبار معلولة ضِعَاف واهية ، وبعد أن ضَعَّفَ أيضًا الحديثين رقمىْ (١٣٨٥٥-١٣٨٥٧) قال ما نصه : فكل ما قاله الحَافظ ابن كثيـر (من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مُرْسَلَة ومتصلة يشـد بعضها بعضًا) هو قول ينفيه شرح هذه الأسانيد كما رأيتَ ، والله الموفق للصواب - انظر (تفسير الطبرى) : ٩٩/١٢-١٠٢ (بتحقيق الأخوين شاكر - طبع دار المعارف) .

ثالثًا : ضَعَّفَ الألبانىّ هذا الحديث قائلاً : وجملة القول أن هذا الحديث ضعيف ، لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذى فى جميع طرقـه ، وبعضها أشد ضعفًا من بعض ، فليس فيها ما ضَـعْفُهُ يسير يمكن أن يَنْجَبِر ، وذلك خلافًا لما ذهب إليه ابن كـثير ، وإن كان قد قلّده فى ذلك جماعة مِّمْنْ ألفوا فى التـفسير ، كالشوكانى فى (فتح القـدير) وصدِّيق حسن خان فى (فتح البيان) كمـا جزم الآلوسى فى (روح المعانى) بنسبته إلى رسـول الله ﷺ ومن قبله ابن القيّم الذى عزاه فى (الفوائد) للترمذى فجاء بوهم آخر - انظر (سـلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السيء فى الأمة) : للشيخ محمد ناصـر الدين الألبانىّ - ٣٨٣/٢ حيث رقم (٩٦٥) - الطبعة ٤ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

(١) الزمر : ٢٢ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢١٠/٢ .

المطلب الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولى : الرواية بالنص .

٢ - الملاحظة الثانية : الرواية بالمعنى .

٣ - الملاحظة الثالثة : التخريج .

٤ - الملاحظة الرابعة : بعض الميزات .

٥ - الملاحظة الخامسة : بعض المآخذ .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسيره للقرآن بالسُّنة ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

الروايـــة بالنّـصّ

حيث يورد الشنقيطى معظم الأحاديث بنصها وتمامها فى مَعْرِض تفسيره للآية التى هو بصددها ؛ وخير شاهد على ذلك (حديث الدّجال) الذى سبق أن ذكرناه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾ الآيتان[١] ذلك الحديث الذى أورده الشنقيطى بطوله وتمامه من (صحيح مسلم) مفسرًّا به الآيتين المذكورتين .

الملاحظة الثانية

الروايـــة بالمعنى

حيث يكتفى الشنقيطى أحيانًا بإيراد معنى الحديث دون ذكر نَصِّه فى مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات ، ومن ذلك ما صنعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾ الآيات[٢] حيث يقول ما نصه: وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أى نذكّر الناسَ بها فى دار الدنيا - إذا أحسوا شدة حرارتها - نارَ الآخرة التى هى أشد منها حراً ؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار .

وقد صَحَّ عنه ﷺ : أن حرارة نار الآخرة مضاعفة على حرارة نار الدنيا سبعين مرة ، فهى تفوقها بتسع وستين ضِعْفاً ، كل واحد منها مثل حرارة نار الدنيا[٣] .

---

(١) الكهف : ٩٨ - ٩٩ (آيتان) .

(٢) الواقعة : ٧١ - ٧٣ (ثلاث آيات) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٩٦ - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) بَدْء الخلق (باب) صفة النار وأنها مخلوقة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها (باب) فى شدة حَرِّ جهنم - (طبع بيروت) .

وهكذا يكتفى الشنقيطى هنا بإيراد معنى الحديث دون النَّصِّ عليه إزاء بعض ما يعرض له من الآيات بالتفسير .

الملاحظة الثالثة

التخـــريــــــج

وإزاء ما يورده الشنقيطى من الأحاديث التى يفسِّر بها ما يَعْرِض له من الآيات ، فإننا نجده يَعْـمَد أحيانًا إلى تخريج هذه الأحاديث برواياتها المختلفة ، كما نراه يُعرِض أحيانًا أخرى عن ذلك مكتفيًا بذكر الحديث دون تخريجه ، وذلك دونما سبب واضح ، أو مبرر مقبول ، وفيما يلى نَعْرِض لكلتا الحالتين على النحو التالى :

١- فى حالة التخريج :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ الآيتان[١] حيث نراه يشير من خلال تفسيره لهذه الآية إلى خلاف العلماء بشأن وقت وقوع الزلزلة : هل ستكون بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عَرَصَاتِ القيامة[٢] أم ستكون عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور فى آخر الدنيا ؟

وهنا يذهب الشنقيطى إلى ترجيح القول الأول مؤيدًا ذلك بالثابت من حديث رسول الله ﷺ فيقول ما نصه : وأما حُجَّة أهل القول الآخر القائلين بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من القبور ، فهى ما ثبت فى الصحيح عن النبىّ ﷺ من تصريحه بذلك ؛ وبه تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى .

قال البخارى رحمه الله فى (صحيحه) فى (التفسير) فى (باب) قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ الآية[٣] : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا

---

(١) الحج : ١ - ٢ (آيتان) .

(٢) عَرَصَات : جمع (عَرَصَة) وهى كل موضع واسع لا بناء فيه ، ينشط فيه القوم ويتقافزون ، أو يلعب فيه الصبيان فُيقبِلون ويُدْبِرُون - انظر ماده (عَرِص) فى لسان العرب : ٤/٢٨٨٣ .

والمعنى : أنها أرض الحَشْر التى يُحْضَرُ إليها الناسُ بعد بعثهم من أجداثهم مفزوعين مضطربين ، فيتدافعون مُقْبِلين مُدْبِرين ؛ تمهيدًا لِبَدْء حسابهم يوم القيامة .

(٣) الحج : ١ .

الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبى سعيد الخدرىّ قال : قال النبىّ ﷺ : « يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لَبَّيْكَ ربنا وسَعْدَيْكَ ، فيُنَادَى بصوت : إن الله يأمرك أن تُخْرِجَ من ذريتك بَعْثًا إلى النار ؛ قال : يا رب ، وما بَعْثُ النار ؟ قال : من كل أَلْفٍ أراه ، قال : تسعمائة وتسعة وتسعين ؛ فحينئذ تضع الحامل حَمْلَها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكنّ عذاب الله شديد ؛ فَشَقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم؛ فقال النبيُّ ﷺ : من (يأجوج ومأجوج) تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد ، وأنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا (رُبُع) أهل الجنة ؛ فكبّرنا ، ثم قال : (ثُلُث) أهل الجنة ؛ فكبّرنا ، ثم قال (شَطْر) أهل الجنة ؛ فكبّرنا » الحديث[1] وفيه تصريح النبى ﷺ بأن الوقت الذى تضع فيه الحامل حَمْلَها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، هو يوم القيامة لا آخر الدنيا[2] .

وبعد ذلك يتعقب الشنقيطى الروايات المختلفة لهذا الحديث فيخرّجها فى (صحيحىْ البخارى ومسلم) قائلاً :

١ - قال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : الرِّقَاق ، فى (باب) : زلزلة الساعة شىء عظيم[3] .

٢ - وقال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : بَدْء الخَلْق ، فى: (أحاديث) الأنبياء فى (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[4] .

٣ - وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) : الإيمان (بكسر

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وترى النَّاسَ سُكَارَى﴾ الحج : ٢ - ١٨/٤٤ حديث رقم (٤٧٤١) - (طبع الأزهرية) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/١١ - ١٢ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى: لابن حجر العسقلانى (كتاب) الرِّقَاق (باب) قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج : ١ - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ القمر : ١ - ٢٤/١٩٥ حديث رقم (٦٥٣٠) - (طبع الأزهرية) .

(٤) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) - وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ الكهف : ٩٤ - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الكهف : ٨٣- ٨٤ (آيتان) - ١٣/١٢١ حديث رقم (٣٣٤٨) .

الهمزة) فى (باب) : كون هذه الأمة نصف أهل الجنة[1] .

وهكذا نرى الشنقيطى يُخَرِّج هذا الحديث برواياته الأربع ، ثلاث منها عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، موردًا كل رواية منها بطولها وتمامها سندًا ومتنًا كما أوردها الشيخان[2] .

ب - فى حالة عدم التخريج :

ويشمل عدم تخريج الشنقيطى هنا نوعين من الأحاديث ، أما أولهما : فتلك الأحاديث التى اشتهرت وذاعت صحتها عند الناس ، وأما ثانيهما : فتلك الأحاديث الأخرى التى لم يُكْتَبْ لها مِثْلُ هذا الحظ من الشهرة والذيوع ، وفيما يلى نَعْرِض لكلا النوعين على النحو التالى :

١ - عدم تخريجه للأحاديث الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ الآية[3] حيث نراه يتناول إطلاق (الفتنة) فى القرآن على أربعة مَعَانٍ[4] ذاكرًا فى المعنى الثالث منها أنها تُطْلَق على

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من رواية هَنَّاد بن السَّرِىّ عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - يعنى ابن مسعود - قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « أمَا تَرْضَوْنَ أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة ؟ قال : فكبّرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة ؟ قال : فكبّرنا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك : ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود ، أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض» - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٩٥) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة - ١/ ٢٠٠ حديث رقم (٢٢١) - (طبع الحلبى) .

(٢) راجع نص الروايات الأربع سندًا ومتنًا فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/ ١١ - ١٣ (ثلاث صفحات) .

(٣) النمل : ٤٧ .

(٤) وعن هذه المعانى الأربعة للفتنة فى القرآن يقول الشنقيطى ما نصه : أطلقت الفتنة فى القرآن على أربعة مَعَانٍ هى :

- الأولُ : إطلاقها على (الإحراق بالنار) كقول الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات : ١٣ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ البروج : ١٠ - أى حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين ، وقد اختاره بعض المحققين .
- الثانى : إطلاق الفتنة على (الاختبار) وهذا هو أكثرها استعمالاً كقول الله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء : ٣٥ - وقوله تعالى : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ الجن : ١٧ - ١٨ (آيتان) والآيات بمثل ذلك كثيرة . =

(نتيجة الاختبار) إن كانت سيئة كإطلاقها على الكفر والضلال ، وفى ذلك يقول ما نصه :

المعنى الثالث : إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصّة ، ومن هنا أُطْلِقَتْ على الكفر والضلال كقول الله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآيه[1] أى حتى لا يَبْقَى شِرْكٌ ، وهذا التفسير الصحيح دَلّ عليه الكتاب والسُّنّة :

• أما الكتاب : فقد دلّ عليه فى قوله تعالى بعده فى البقرة : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ الآية[2] وفى الأنفال قوله تعالى : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الآية[3] فإنه يُوَضِّح أن معنى : «لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أى لا يَبْقَى شِرْكٌ ؛ لأن الدين لا يكون كله لله ما دام فى الأرض شِرْك كما ترى .

• وأما السُّنّة : ففى قوله ﷺ : « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألاّ إله إلاّ الله » الحديث[4] فقد جعل ﷺ الغاية التى ينتهى إليها قتاله للناس هى شهادة (ألاّ إله إلاّ الله

= • الثالث : إطلاق الفتنة على (نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصّة) ومن هنا أطلقت الفتنة على (الكفر والضلال) وهذا موضع الشاهد الذى نَعْرِض له هنا بالتفصيل .

• الرابع : إطلاق الفتنة على (الحُجَّة) كقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام : ٢٣ - كما قاله غير واحد ، والعلم عند الله تعالى .

راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٤٠٦ - ٤٠٩ .

(١) البقرة : ١٩٣ . (٢) البقرة : ١٩٣ . (٣) الأنفال : ٣٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمر ﷺ - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٢) الإيمان (باب ١٧) ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ التوبة : ٥ - ١/٧٥ حديث رقم (٢٥) - (طبع السلفية) - ويلاحظ أن الأجزاء الثلاثة الأولى فقط من هذه الطبعة قد صدرت بتاريخ (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠م) وجاء مكتوبًا على غلافها الداخلى ما نصه : (قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا، وأشرف على مقابلة نُسَخه المطبوعة والمخطوطة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض) .

وقد أخرج مسلم الحديث المذكور فى صحيحه من رواية أبى هريرة ﷺ - انظر صحيح مسلم (كتاب ١) الإيمان (باب ٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبى ﷺ وأنّ مَنْ فعل ذلك عَصَمَ نفسه وماله إلاّ بحقها ، ووُكِلَتْ سريرته إلى الله تعالى ، وقتال مَنْ منع الزكاة وغيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام - ١/٥٢ حديث رقم (٢١) - وأيضًا من رواية عبد الله ابن عمر ﷺ - نفس الكتاب والباب - ١/٥٣ حديث رقم (٢٢) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية أبى هريرة ﷺ - ٢/٣٤٥ حديث رقم (٨٥٢٥) - ومن رواية أنس بن مالك ﷺ - ٣/١٩٩ حديث رقم (١٣٠٧٨) - ٣/٢٢٤ حديث رقم (١٣٣٧٢) - ومن رواية أوس بن أبى أوس الثقفى ﷺ - ٤/٨ حديث رقم ١٦٢٠٨) - (طبع قرطبة) .

وأنّ محمدًا رسولُ الله ﷺ) وهو واضح فى أن معنى : «لا تكُونَ فِتْنَةٌ» أى لا يَبْقى شِرْكٌ .

فالآية والحديث كلاهما دالّ على أن الغاية التى ينتهى إليها قتال الكفار هى ألاّ يَبْقَى فى الأرض شِرْك ، إلاّ أن الله تعالى قد عبّر عن هذا المعنى بقوله سبحانه : ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وقد عبرّ رسوله ﷺ عنه بقوله : « حتى يشهدوا ألاّ إله إلاّ الله » فالغاية فى الآية والحديث واحدة فى المعنى كما ترى[1] .

٢ - عدم تخريجه للأحاديث غير الذائعة :

ومن ذلك ما صنعه الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الآية[٢] حيث يقول ما نصه : صَرَّح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بأن الأختين ترثان الثلثين ، والمراد بهما الأختان لغيـر أُمٍّ كأن تكونا شقيقتين أو لأَبٍ بإجماع العلماء ، ولم يُبَيِّن هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعدًا ، ولكنه أشار تعالى فى موضع آخر إلى أن الأخوات لا تزدن على الثلثين ولو بلغ عددهن ما بلغ ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الآية[٣] ومعلوم أن البنات أَمَسُّ رَحِمًا ، وأقوى سببًا ، فى الميراث من الأخوات ، فإذا كن لا تزدن على الثلثين ولو كثرن ؛ فكذلك الأخوات من باب أَوْلَى .

وأكثر علماء الأصول على أن (فحوى الخطاب) أعنى مفهوم الموافقة الذى المسكوت فيه أَوْلَى بالحكم من المنطوق ، وذلك من قبيل اللفظ ، لا من قبيل القياس ؛ خلافًا للشافعىّ وقوم آخرين ، وكذلك المُسَاوِى على التحقيق ، فقول الله تعالى : ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ الآية[٤] يفهم منه من باب أَوْلَى حرمة ضربهما[٥] .

وهنا يسوق الشنقيطى أمثلة تطبيقية على هذه القاعدة الأصوليّة من أحاديث رسول الله ﷺ فى إطار تفسيره لآية الميراث المذكورة فيقول ما نصه : وقوله ﷺ : « مَنْ أعتق شِرْكًا له فى عَبْد » الحديث[٦] يفهم منه أنّ الأَمَةَ كذلك ، ولا نزاع فى هذا عند جماهير

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٤٠٨ . (٢) النساء : ١٧٦ .

(٣) النساء ١١ . (٤) الإسراء : ٢٣ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية نافع عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ أعتق شِرْكًا له فى عبد، فكان له مال يبلغ ثمن العبد؛ قُوِّمَ العبد عليه قيمةَ عَدْلٍ، فأَعطَى شُرَكَاءَه حصصهم ، وعَتَقَ عليه العبد، وإلاّ فقد عَتَقَ منه ما عَتَقَ » - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤٩) العتق (باب ٤) إذا أعتق عبدًا بين اثنين ، أو أَمَةً بين=

العلماء ، وإنْ كان قد خالف فيه بعض الظاهريّة[1] .

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطى قد أعرض عن تخريج هذا الحديث غير الذائع عند الناس هنا ، كصنيعه أيضًا من قبل إزاء عدم تخريجه للحديث الذائع هناك .

الملاحظة الرابعة

بعض الميزات

وبالنظر إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض الميزات التى تُحْسَبُ لمنهجه فى تفسير القرآن بالسُّنة ، والتى تتمثل فى كل من :

أ - غلبة النصّ على المعنى :

ومع أن الشنقيطى يجمع فى تفسيره للقرآن بالسُّنة بين رواية الأحاديث بنصها ، وبين روايتها بمعناها ؛ إلاّ أن روايته لتلك الأحاديث بنصها سندًا ومتنًا يغلب على روايته لها بمعناها وفحواها ، وهذا ما يتضح لنا من خلال بعض الشواهد التى سقناها لكل من (الرواية بالنص) أو (الرواية بالمعنى).

ب - كثرة الروايات :

يلجأ الشنقيطى إلى حشد ما يستطيعه من رواياتٍ للحديث الواحد من مختلف كتب السُّنة الصحيحة ، وذلك فى مَعْرِض استشهاده به إزاء تفسير ما يتناوله من الآيات ؛ وهو

= الشركاء - ٥/ ١٥١ حديث رقم (٢٥٢٢) - طبع (السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من نفس رواية نافع المذكورة ، إلا أنه أثبت فى لفظه (قيمةَ العَدْلِ) بدلاً من (قيمةَ عدْلٍ) - انظر صحيح مسلم (كتاب ٢٨) الأيمان (باب ١٢) مَنْ أعتق شِرْكًا له فى عبد - ٣/ ١٢٨٦ حديثٌ رقم (٤٧/ ١٥٠١) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه البيهقى فى سُننه من رواية نافعٍ عن ابن عمر ﷺ لكن بلفظٍ آخر عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أعتق شركًا فى عبد ؛ فقد عتَق كله إنْ كان للذى عتَق نصيبه من المال ما يبلغ ثمنه ، يقيّمه عليه قيمةَ العَدْلِ ، فيدفع إلى شركائه أنصباءَهم ، ويُخْلِى سبيله » - انظر السُّنن الكبرى : للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقىّ ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (الجوهر النقى) : للعلامة علاء الدين على بن عثمان الماردينى الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م) - ١٠/ ٢٧٧ - الطبعة ١ - دار المعرفة للطباعة والنشر - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٤٩٦ .

يهدف من وراء هذا إلى تعضيد حُجَّته ، ودعم أدلته ، لتأييد رأيه ، وتأكيد ما يذهب إليه ، من خلال إيراده أكثر من رواية للحديث الواحد ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة تنبيهًا بها على غيرها مما يقوم شاهدًا على ذلك فى ثنايا تفسيره المختلفة .

١ - ما أورده من روايات حديث (السبع المثانى) فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالي: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الآية[١] حيث ذكر روايتىْ هذا الحديث فى (صحيح البخارىّ) الأولى: عن أبى سعيد بن المعلى، والثانية: عن أبى هريرة ﷺ[٢] .

٢ - ما أورده من روايات حديث (الرَّجُل السَّمين) فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الآية[٣] حيث ذكر أن السُّنّة الصحيحة قد دلت على أن معنى هذه الآية يشمل الكافر السمين العظيم البدن الذى لا يزن عند الله جناح بعوضة يوم القيامة .

وإزاء ذلك يورد الشنقيطى ذلك الحديث برواياته الثلاث ، منها اثنتان عند البخارى ، وواحدة عند مسلم ، فيقول :

١- جاء فى البخارى عن أبى هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا » الحديث .

٢- كما جاء فى البخارى أيضًا رواية ثانية لهذا الحديث عن أبى الزناد ﷺ وهى مماثلة لروايته الأولى[٤] .

٣ كما جاء فى مسلم رواية ثالثة لهذا الحديث تماثل روايتيْه السابقتين عند البخارى[٥] .

---

(١) الحجر : ٨٧ . (٢) راجع ذلك ص من هذا البحث .

(٣) الكهف : ١٠٥ - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية المغيرة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ﷺ - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٥) التفسير (باب ٦) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الكهف : ١٠٥ . ٤٢٦/٨ حديث رقم (٤٧٢٩) - (طبع السلفية) .

(٤) أخرجه البخارى أيضًا فى صحيحه مُعَلَّقًا بقوله : وعن يحيى بن بُكَيْر عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ﷺ - انظر فتح البارى (نفس الكتاب والباب) - (طبع السلفية) .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه واصلاً ما عَلَّقَه البخارى بقوله : حدثنى أبو بكر بن إسحاق حدثنا يحيى ابن بُكَيْر إلى آخر إسناد البخارى المذكور - انظر صحيح مسلم (كتاب ٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم (مع كتاب) صفة القيامة والجنة والنار - ٢١٤٧/٤ حديث رقم (٢٧٨٥) - (طبع الحلبى) .

جـ - عدم الخلط :

ونعنى به دقة الشنقيطى وضبطه من حيث تحريه وعدم خلطه بين ما يورده من أحاديث السُّنّة ، وبين ما يورده بجوارها من أقوال أهل العلم المأثورة ، والتى قد يُوهِمُ ظاهرها بأنها من أحاديث السُّنّة ؛ وذلك نظرًا لشيوعها وإِلْفِ الناس لها ، وذلك على النحو التالى :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ الآية[1] يقول ما نصه : ومع أن بعض أهل العلم قال : (إنّ كلّ ذنب كبيرة) إلاّ أنّ قول الله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ الآية[3] يدل على عدم المساواة ، وأنّ بعض المعاصى كبائر ، وبعضها صغائر ، والمعروف عند أهل العلم : أنه (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) والعلم عند الله تعالى[4] .

وهكذا يفرّق الشنقيطى بين ما هو حديث نبوىّ وبين ما هو قول مأثور لأهل العلم ؛ الأمر الذى يؤكد ضبطه ودقته إزاء ما يورده من أحاديث السنة فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ولولا هذا الضبط ، وتلكم الدقة ؛ لوقع الشنقيطى فى الخلط هنا إزاء احتسابه هذين القولين المأثورين: (إنّ كل ذنب كبيرة) و : (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) من أحاديث رسول الله ﷺ خاصّة وأن ظاهرهما قد يُوهِمُ بمثل هذا الخلط المحتمل .

الملاحظة الخامسة

بعض المآخذ

وكما ذكرنا بعض الميزات ؛ فإنه بالنظر كذلك إلى جملة الأحاديث التى أوردها الشنقيطى فى معْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض المآخذ التى تُحْسَبُ على منهجه فى تفسير القرآن بالسُّنّة ، والتى تتمثل فى كل من :

أ - عدم التخريج :

ولقد تمثل ذلك فيما سبق أن أوردناه بشواهده من حيث إعراض الشنقيطى عن تخريج بعض الأحاديث التى يتناولها فى مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات ، سواء كانت هذه الأحاديث من الذائعة المنتشرة على ألسنة الناس ، أو كانت غير ذلك مما ليس ذائعًا ولا منتشرًا بينهم .

(1) الشورى : ٣٧ .
(2) النساء : ٣١ .
(3) النجم : ٣٢ .
(4) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٠٠ .

ب - الخطأ فى التخريج :

حيث يقع الشنقيطى أحيانًا فى الخطأ من حيث تخريجه بعض روايات الحديث الذى يسوقه فى مَعْرِض تفسيره للآية ، ومن ذلك ما وقع فيه إزاء خطئه فى تخريج إحدى روايات حديث النبى ﷺ الذى يُبَشِّر فيه بأن (نصف أمته سيدخلون الجنة) حيث يقول الشنقيطى ما نصه :

وقال البخارى فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) : بَدْء الخَلْق ، فى (أحاديث الأنبياء) فى (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[1] .

وهذا من قبيل الخطأ فى تخريج هذه الرواية ، والتى صواب تخريجها عند البخارى هو (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[2] - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[3] .

جـ - النقص فى التخريج :

يُخَرِّجُ الشنقيطى أحيانًا بعض روايات الحديث تخريجًا ناقصًا عن تخريجها الوارد بكتب السُّنَّة المختلفة ، ومن ذلك تخريجه الناقص لإحدى روايات حديث (دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث يقول الشنقيطىّ ما نصه : قال البخارىّ فى (صحيحه) أيضًا فى (كتاب) الرِّقاق ، فى (باب) إن زلزلة الساعة شىء عظيم .

وذلك تخريج ناقص لهذه الرواية ، والتى تمام تخريجها عند البخارىّ هو (كتاب) الرِّقاق (باب) قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[4] - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ الآية[5] - وقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[6] .

د - عدم ترتيب الروايات :

لا يلتزم الشنقيطى فى كثير من الأحيان بترتيب الروايات التى يخرِّجها للحديث الواحد وفق ترتيب كتبها وأبوابها التى وردت تحتها فى مصادرها من كتب السُّنَّة المختلفة ؛ وخير شاهد على ذلك تلك الروايات غير المرتبة التى أوردها الشنقيطى لحديث :

---

(١) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٢) الكهف : ٩٤ .
(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٤) الحج : ١ .
(٥) النجم : ٥٧ .
(٦) القمر : ١ .

(دخول نصف أمة رسول الله ﷺ الجنة) حيث ذكر رواياته على النحو التالى :

١ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ الآية[١] .

٢ - (كتاب) الرِّقاق (باب) قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[٢] .

٣ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ حتى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾ الآيتان[٣] .

٤ - قال مسلم بن الحجاج رحمه الله فى (صحيحه) فى آخر (كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) فى (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

وكان الأوْلَى أنْ يورد الشنقيطى روايات هذا الحديث مرتبة وَفْقَ ترتيب كتبها وأبوابها فى صحيحىْ البخارىّ ومسلم اللذين أورداها على النحو التالى :

- **روايات البخارىّ الثلاث :**

١ - (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قصة يأجوج ومأجوج - وقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[٤] - وقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿سَبَبًا﴾[٥] .

٢ - (كتاب) التفسير (باب) قول الله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ الآية[٦] .

٣ - (كتاب) الرِّقاق (باب) قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الآية[٧] - وقوله تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ الآية[٨] - وقوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ الآية[٩] .

- **رواية مُسلم الوحيدة :**

(آخر كتاب) الإيمان (بكسر الهمزة) فى (باب) كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

---

(١) الحج : ٢ .
(٢) الحج : ١ .
(٣) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (آيتان) .
(٤) الكهف : ٩٤ .
(٥) الكهف : ٨٣ - ٨٤ (ايتان) .
(٦) الحج : ٢ .
(٧) الحج : ١ .
(٨) النجم : ٥٧ .
(٩) القمر : ١ .

هـ - غريبُ الحديث :

يُعْرِضُ الشنقيطى فى كثير من الأحيان عن شرح الألفاظ الغريبة التى تشتمل عليها مفردات ما يورده من الأحاديث فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ وخير شاهد على ذلك حديث (الدَّجال) الذى اشتمل على (سبعة وعشرين لفظًا لم يتناول الشنقيطى أيًّا منها بشرح معناه فى اللغة ، أو حتى الإشارة الموجزة إلى مدلوله فى هذا الحديث ؛ الأمر الذى اقتضانا أن نَعْرِض لجملة هذه الألفاظ بشرح معناها فى اللغة ؛ ومن ثم توضيح دلالتها فى الحديث .

ولقد تمثلت هذه الألفاظ فى كل من : (قَطَط - طافئَة - خُلَّة - مُمْحلين - الخَرِبَة - يَعَاسيب النحل - رَمية الغَرَض - مَهْرُودَتَيْن - جُمَان - بَاب لُدٍّ - النَّغَف - فَرْسَى - زَهَمُهُم - البُخْت - مَدَر - وبَر - الزَّلَفة - العِصَابَة - الرُّمَّانَة - بِقحفها - الرِّسْل - اللَّقْحة - الفِئَام - القَبِيْلَة - الفَخِذ - يَتَهَارَجُون - الحُمُر)[1] .

---

(١) راجع تفصيل هذه الألفاظ من حيث معناها فى اللغة ، ودلالتها فى الحديث ، وذلك ص من هذا البحث

المبحث الثالث

تفسير القرآن بالآثار

ويتنظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظريّ .

٢ - المطلب الثاني : التطبيق العمليّ .

٣ - المطلب الثالث : التعقيب .

المطلب الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولـى : موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بآثار الصحابة .

٢ - المسألة الثانيـة : موقف الشنقيطى من تفسير القرآن بآثار التابعين .

٣ - المسألة الثالثـة : موقف الشنقيطى مما يخالـف الكتاب والسُّنة .

ونعنى به موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ؛ من حيث كونه الخطوة الثالثة التى تلى تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسُّنة ، وهذا ما نَعْرِض له من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار الصّحابة

يتفق الشنقيطىّ مع ما يُطبِقُ عليه المفسرون المعتبرون ، والعلماء المحققون ، فيما يذهبون إليه من أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة إنما هو تفسيره بآثار الصحابة ؛ وذلك لأنهم يثبتون لتفسير الصحافة حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ على الشرطين التاليين[1] :

١ - أن يكون تفسيرهم متعلقًا بما لا مجال للرأى فيه مثل أسباب النزول، وأحوال القيامة، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

٢ - ألاّ يكون الصّحابىّ معروفًا برواية الإسرائيليات ، ومشتهرًا بأخذها عمَّنْ أسلموا من أهل الكتاب الذين هم مُنْشِئوهَا ومُرَوِّجُوهَا .

ومن ثم؛ فإننا نرى الشنقيطى يذهب بدوره مذهب مَنْ سبقه من العلماء إزاء إثبات حكم رفع تفسير الصحابة إلى رسول الله ﷺ بل إنه يرى أن حكم الرفع هذا إنما هو زيادة فى وصف الصّحابة ﷺ بالعَدْل والقَبُول ، وفى ذلك يقول ما نصه : والرفع من زيادات العُدُول ، وهى مقبولة ، وفى ذلك يقول صاحب (مراقى السُّعود) :

والرَّفْعُ والوَصْلُ وزِيْدَ اللَّفْظ مقبولةٌ عندَ إمـامِ الحِفْظ[2]

ويشرح الناظم بيتيْهِ هذين فى كتابه أيضًا المسَمى : (نشر البنود على مراقى السُّعود)

---

(١) راجع فحوى هذين الشرطين فى كل من :

- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : د. محمد محمد أبى شهبية ص ٧٩ - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة البحوث الإسلامية) - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م .
- نزهة النظر شرح نخبة الفِكَر فى مصطلح أهل الأثر : للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨م) - ص ٤٣ - مذيلاً بتعليقات نافعة تكمل فوائده للأستاذ : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفَلاَح بمكة المكرمة) - الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٤١ .

فيقـول : يعنى أنّ الرفع مُقَدَّم عند إمام الحـفظ (الذى هو الإمام مالك)[1] على الوقف عند التعـارض بينهما؛ بأن رواه بعض الـثقات مرفـوعًا إلى النبىّ ﷺ فى حين رواه بعـضهم موقوفًا على الصّحابىّ ﷺ وذلك لأن تقديم الرفع والوصل هو الراجح فى الفقه وأصوله ؛ لأنه من زيادة العدل ، وهذه الزيادة مقبولة عند مالك والجمهور[2] .

- **لها حكم الرفع ولكن :**

والشنقيطى وإنْ كان يذهب مذهب جمهور العلماء فى إثبات حكم رفع تفسير الصحابىّ إلى رسول الله ﷺ مُقراً بأن ذلك من وصفه بزيادة العَدْل ، إلاّ أنه يشترط فى الوقت ذاته نفس الشرطين اللذين اشترطـهما المحققون من العلماء المعتـبرين من أن حكم الرفع لا يثبت للصحابة ﷺ إلاّ فـيما يتعلق بالأمـور التوقيفيـة التى لا مجال للرأى فيـها ، والتى تشمل أسباب النزول ، وأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، ونحوها من الأمور المماثلة .

- **رأى البحث :**

وأيّاً ما كـان الأمر ؛ فـإننا نرى إثبات حكم الرفـع لآثار الصّحابـة ﷺ إلى رسول الله ﷺ بشرط ألاّ يكون الصّـحابىّ معروفًـا برواية الإسرائيليات ، أو مـشتهراً بأخـذها عمّنْ أسلموا من أهل الكتاب ، وهذا هو الشرط الأول الذى نوافق فيه الشنقيطىّ .

غير أننا نختلف معه فى الشرط الثانى الذى يُخَصِّص من خلاله قول الصحابىّ ، فيقيده بحصره فى الأمور التوقـيفية دون غيرها ، والحق أن هذا التخصـيص ، أو ذاك التقييد ، لا وجه له ، بل ومردود عليه بأن الصحابىّ متى مـا كان سالمًا من رواية مثل هذه الإسرائيليات التى هى مظنة الكذب ؛ فليس بعد صِـدْقه المتيقن من شىء ، ولا على مـا يرويه بعد ذلك من سبيل ؛ وإلاّ لَرُدَّتْ أقوال الصـحابة ﷺ بِرُمَّتِهَا أو بِجِلَّتِهَـا ، وهذا ما لا يُقْبَل بحال ، ولا يسوغ تحت أىّ مقال .

وأنَّى يكون ذلك ؟ ! وهم الذين لهم ما لهم مما سـبق بيانه من شرف صحبـتهم لرسول الله ﷺ وسَبْق تلقيهم عنه ، فضلاً عمّا لهم من نفوس صالحة ، وعقول راجحة ؛ قادتهم

---

(١) ومن المعلوم كما سبق أن ذكـرنا أن مذهب الإمام مالك هو المذهب الفقهىّ السائد فى غـرب إفريقيا عامّـة ، وفـى شنقيط خـاصّة ؛ ومن ثم ك فـقد كان صـاحبنا الشنقـيطى مالكىَّ المذهب فـى نشأته العلميـة ، غير أنه عَـدَلَ عن تلك المذهبية حـالما استقر به المقـام فى بلاد الحجاز ، حـيث صار إلى اللامذهبـية التى تقـتضى طلب الدليل ك وهذا ما يؤكـد أن مذهبيـته كانـت مذهبيّـة نشأة وطلب ، لامذهبية فِكْر ومنهج .

(٢) نشر البنودِ على مراقى السُّعود : عبد الله العلوىّ الشنقيطىّ ٢/ ٤٢ .

إلى مطابقة القول للفعل ، وملازمة العلم للعمل ، بعد أن بذلوا أقصى طاقتهم ، واستفرغوا غاية جهدهم ، فى التأكد من صحة ما يأخذون ، بل وتوثيق ما يُطَبِّقون ؛ وهو ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حُجيَّة أقوال الصحابة ﷺ التى تناولت كلاً من : (السَّبْق والفضل - التأكد والتوثيق - العلم والعمل) وذلك من خلال شواهدها المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اختلافنا مع الشنقيطى فى شرطه الثانى الذى ذهب إليه ، وذلك من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصّلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور) بصفة عامّة ، و (آثار الصّحابة ﷺ) بصفة خاصة[1] .

المسألة الثانية

موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بآثار التابعين

يتفق الشنقيطىّ كذلك مع ما يذهب إليه أغلب المفسِّرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ، من أنّ أعظم وأجلّ ما يُفَسَّر به القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصّحابة إنما هو تفسيره بآثار التابعين ﷺ .

- مُسْتند الشنقيطىّ :

ومما يتعين ذكره أن الشنقيطى إنما يَصْدُرُ فى موقفه هذا من تلك الحقيقة المقررة فى كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ والتى تُثْبِتُ ما لهؤلاء التابعين من الخيريّة والفضل ، والسَّبْق والرضوان ؛ من حيث إلحاقهم بالصحابة وإتباعهم ، إضافة إلى أنهم خير الناس بعدهم ﷺ ومن ثم ؛ فإننا نراه يُلْحق التابعين بالصحابة فى دخولهم جميعًا فى رضوان الله تعالى، بل يحكم على كل مَنْ يَسُبُّهُم أو يُبْغِضُهُم بأنه ضالٌّ مُخَالفٌ لله عزّ وجلّ ثم لرسوله ﷺ .

وهذا مفاد كلامه الذى ساقه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصه : صرّح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة بأنّ الذين اتبعوا السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار بإحسان ؛ أنهم داخلون معهم فى رضوان الله تعالى ، وكذا فى الوعد بالخلود فى الجنّات والفوز العظيم.

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٢/٨٨-٩٣ من هذا البحث .
(٢) التوبة : ١٠٠ .

ويبيّن سبحانه فى مواضع أخرى أنّ الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم فى الخير ، ومن ذلك قوله جلّ وعلا : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ ﴾ الآية[3] .

ولا يَخْفَى أن الله تعالى قد صرّح فى هذه الآية الكريمة بأنه قد رَضِيَ سبحانه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ وهو دليل قرآنى صريح فى أنّ كُلَّ مَنْ يَسُبُّهُم أو يُبْغِضهُم أنه ضالّ مُخَالِفٌ لله جلّ وعلا ؛ حيث أَبْغَضَ مَنْ رَضِيَ الله عنهم ، ولا شك أنّ بُغْضَ مَنْ رَضِيَ الله عنه مضادة لله جلّ وعلا ، وتمرد وطغيان[4] .

وليس ثمة شك فى أن منزلة كهذه للتابعين لَتَجْعَلُ الشنقيطى يقف من أقوالهم فى التفسير ذلك الموقف الذى يقضى بحُجيَّة رجوعه إليها فى تفسير القرآن بعد تفسيره بكل من القرآن والسُّنة وآثار الصحابة ﷺ وهو لا يخرج فى ذلك عمّا أجمع عليه غالب علماء الأمة من الأئمة المعتبرين الذين عَدُّوا أقوال التابعين فى جملة التفسير بالمأثور ؛ ومن ثم (فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم ؛ لأن غالبها قد تلقوها عن الصحابة وهو ما عليه عمل المفسرين)[5] .

وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنة ، ولا وجدتَه عن الصحابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية فى التفسير ؛ ولهذا كان سفيان الثورى يقول : (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فَحَسْبُكَ به) وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبى العالية ، والربيع ، وابن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين[6] .

---

(١) الجمعة : ٣ . (٢) الحشر : ١٠ . (٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢/ ٤٧٤ .

(٥) البرهان فى علوم القرآن : الزركشىّ ٢/ ١٧٩ (بتصرف يسير) .

(٦) مقدمة فى أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية ت (٧٢٨هـ = ١٣٢٨م) - ص ٤٧ - تحقيق : محب الدين الخطيب - الطبعة ٢ - عُنِيَتْ بنشره : المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م - وانظر طبعة ثانية بتحقيق : د. عدنان زرزور - ص ٦٨ - (دار القرآن الكريم بالكويت) مع (مؤسسة الرسالة ببيروت) ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م - وانظر كذلك طبعة ثالثة بعناية : أبى حذيفة إبراهيم بن محمد - ص ٩٧ - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

بل يذهب ابن تيمية إلى ما هو أبعد من ذلك حينما يشير إلى تابعى التابعين ومَنْ بعدهم مؤكدًا رجوع كثير من علماء الأمة وأئمتها إلى أقوالهم فى التفسير بعد أقوال أسلافهم من التابعين ، فهو بعد أن يُسَمِّى بعض هؤلاء التابعين نراه يُرْدِفُ ذلك بقوله : (وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومَنْ بعدهم)[1] .

ولئن كان قد حكى عقب ذلك عن شعبة بن الحجاج وغيره قولهم : (إنّ أقوال التابعين فى الفروع ليست حجّة فكيف تكون حُجَّة فى التفسير ؟!) إلاّ أنه عَمَدَ إلى توجيه هذا الرأى بقوله : (يعنى أن أقوال التابعين لا تكون حُجَّة على غيرهم مِمَّنْ خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا اجتمعوا على الشىء فلا يرتاب فى كونه حُجَّة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حُجَّة على بعض ، ولا على مَنْ بعدهم)[2] .

وفى إطار هذا يمكننا توجيه ما قد يذهب إليه بعض العلماء مِمَّنْ يَرَوْنَ أنه لا ضرورة للرجوع إلى أقوال التابعين ومَنْ بعدهم فى التفسير .

- **رأى البحث :**

وأيًّا ما كان الأمر ؛ فإننا نرى أنّ أقوال التابعين هى جُزْءٌ لا يَتَجزّأُ من (التفسير بالمأثور) الذى يتحتم على علماء الأمة وجوبُ رجوعهم إليه ، وضرورة اعتمادهم عليه ، إزاء تفسيرهم للقرآن بعد رجوعهم واعتمادهم على تفسيره بالقرآن والسُّنّة وآثار الصحابة رضي الله عنهم .

وأنَّى لا يكون ذلك ؟! وهم الذين لهم ما لهم من الخيريّة وعِظَمِ الفضل ، ومن الصلاح وشَرَف الرُّتْبَة ؛ ما جعلهم مَحلاً صالحًا لنَيْلِ رضا الله تعالى فى الدنيا ، والفوز بجنته فى الآخرة ، هذا فضلاً عن أن آثار التابعين إنما تَسْتَمدُّ مصدقيتها ، وتُتَابع اتصالها ، بآثار الصحابة قبلها ، وهم الذين بدورهم تَسْتَمدُّ آثارهم مصدقيتها بلا أدنى شك ، وتُتَابِع اتصالها دون أى ارتياب ، برسول الله ﷺ .

وعبادٌ هذا شأنهم ، وتلك خصَالهم ؛ أجدر بأن تدعو الحاجة إلى رجوع الأمة إلى أقوالهم فى التفسير ، من حيث الأخذ بها ، والاعتماد عليها ، إزاء ما أُشْكِلَ فهمُه ، أو خَفِيَ معناه ؛ وهذا ما سبق احتجاجنا له ، وتدليلنا عليه ، بشأن حُجيَّة أقوال التابعين رضي الله عنهم التى تناولت كلا من : (فضل التابعين ورتبتهم - الحاجة إلى تدوينهم - توجيه خلاف

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيمية ص (٤٩ - ٥٠) - (طبع السلفية) .
(٢) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيمية ص (٥٠) - (طبع السلفية) .

العلمـاء - منزلة الصلة والتكميل - مـا عليه عـمل المفسـرين) وذلك من خلال شـواهدها المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ .

ومن ثم ؛ فإنه يظهر اتفاقنا مع الشنقيطى فيما ذهب إليه بشأن موقفه من آثار التابعين ، وذلك من خلال احتكامنا إلى مـا سبق أنْ فصّلنا فيه القـول بشأن رأينا فى (مصطلح المأثور) بصفة عامة ، و (آثار التابعين ﷺ) بصفة خاصة[1] .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطىّ مما يخالف الكتاب والسنّة

والحـق أن الشنقـيطى يقف موقـفًا واضـحًا إزاء ردِّه لكل ما يـخالف نصوص الـكتاب والسُّنة ، وسـواء كانت هذه المخـالفة تتـعلق بأثر من آثار الصـحابة أو تتـعلق بأثر من آثار التابعين ﷺ لأن نصوص الكتاب والسُّنة لا تُرَدُّ بما يخالفها مـن تلك الآثار ولا من غيرها .

وفى هذا يصـرّح الشنقيطى قـائلاً ما نصـه : وتأويل الصحـابة والتابعين ﷺ لبـعض الآيات على مـعنى يخالف القـرآن والسُّنة ؛ لا يجب الرجوع إلـيه[2] لأن غيـره فى معنى الآيات أولَى بالصواب منه ؛ ولأن المقرر عنـد جمهور العلماء أن نصوص كـتاب الله تعالى وسنّة رسـوله ﷺ لا تُرَدُّ بـما يخالفـهـا من تأويل بعـض الصـحابة أو التـابعين لبـعض الآيات[3] .

* * *

●● وبعد :

فقد رأينا كيف أن تفسير القرآن بـآثار الصحابة والتابعين ﷺ يأتى فى المرتبة الثالثة عند الشنقيطى بعد تفـسير القرآن بكل من القـرآن والسُّنة ؛ وليوافق بذلك ما انعقد عليـه إجماع أغلب المفسِّرين المعتبرين ، والعلماء المحققين ؛ وهذا ما يبدو مترجمًا بصورة فعليّة من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) راجع تفصيل ذلك ٢/٩٣-٩٩ من هذا البحث .

(٢) يوهم قوله هنا : (لا يجب) باحتمال (الجـواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول : (لا يصح) بدلاً من : (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتمل .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٤٢١ .

المطلب الثانى

التطبيق العملى

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : تفسير القرآن بآثار الصحابة .

٢ - المسألة الثانية : تفسير القرآن بآثار التابعين .

٣ - المسألة الثالثة : تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين معًا .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار الصحابة والتابعين ﷺ والذى يجسِّد من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وقد تمثل هذا السلوك الفعلىّ فى ثلاث طرقٍ نعرض لتفصيل شواهدها من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تفسير القرآن بآثار الصّحابة

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطىّ أكثر من غيرها أسماء كل من : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبَىٍّ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأم المؤمنين عائشة ﷺ وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطىّ بآثار هؤلاء الصحابة تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الآية[١] نراه يأخذ بقول ابن عباس فى أن القرون التى كانت بين آدم ونوح عليهما السلام ، إنما كانت على الإسلام ، كما كانت عدتها عشرة قرون ، وفى ذلك يقول ما نصه: قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ يدل على أنّ القرون التى كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام كما قال ابن عباس : كانت بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، نقله عنه ابن كثير فى تفسير هذه الآية ، وهذا المعنى تدل عليه آيات أُخَر[٢] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الآية[٣] نراه يأخذ بقول ابن مسعود فى زينة المرأة مُعَلِّلاً ذلك بأنه أظهر الأقوال وأحوطها ، كما أنه أبعد هذه الأقوال عن أسباب الريبة والفتنة ، وفى ذلك يقول ما نصه : إن المراد بالزينة هو كل ما تتزين به المرأة خارجًا عن أصل خِلْقَتِهَا ، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شىء من بَدَنِها كقول ابن مسعود ومَنْ وافقه من أنها ظاهر الثياب ؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خِلْقَتِها ، وهى ظاهرة بحكم الاضطرار كما ترى ، وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها ، وأبعدها من الريبة وأسباب الفتنة[٤] .

---

(١) الإسراء : ١٧ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٤٩١ .

(٣) النور : ٣١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/١٩٧-٦/ ٢٠٠ .

المسألة الثانية

تفسير القرآن بآثار التابعين

ترددت فى ثنايا تفسير الشنقيطى أكثر من غيرها أسماء كل من : مجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمه مولى ابن عباس[1] وعطاء بن أبى رباح ، والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة السدوسىّ ﷺ وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة لتفسير الشنقيطى بآثار هؤلاء التابعين تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية[2] نراه يأخذ بقول مجاهد بن جبر فى وجوب زكاة عُرُوض التجارة ، وفى ذلك يقول ما نصه : وما فسرها به مجاهد ، وإجماع عامة أهل العلم ، إلاّ مَنْ شَذَّ عن السواد الأعظم ؛ يكفى فى الدلالة على وجوب الزكاة فى عُرُوض التجارة ، والعلم عند الله تعالى[3] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره قول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان[4] نراه يأخذ بقول الحسن البصرىّ فى دلالة هذه الآية على مشروعية

---

(١) ولدفع توهم الخلط المحتمل بين عكرمة المذكور وعكرمة بن أبى جهل نقول : إن عكرمة مولى ابن عباس هو أبو عبد الله عكرمة بن البربرىّ ، تعهده عبد الله بن عباس ﷺ بالتربية والتعليم منذ صغره حتى صار أحد الأئمة الأعلام ، وكان ابن عباس ﷺ يقسو عليه فى ذلك ؛ حتى إنه يقول : (كان ابن عباس يجعل فى رِجْلَىَّ الكَبْل ؛ ويعلمنى القرآن والسُّنن) - والكَبْل : هو القَيْد من كل شىء ، والجمع (كُبُولٌ) - انظر مادة (كَبَلَ) فى المعجم الوجيز: ص ٥٢٦ - الطبعة ١ - إصدار مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

ويقول عكرمة أيضًا : (كل شىء أحدثكم فى القرآن فهو عن ابن عباس) كما كان يقول كذلك : (لقد فسرت ما بين اللوحين) أى ما بين دَفَّتَىْ المصحف ، أما من حيث منزلة عكرمة من الجرح والتعديل : فقد اختلف العلماء فى ذلك ما بين مُجَرِّحٍ له وهم القلّة ، وبين مُعَدِّلٍ مُوَثِّقٍ له وهم الكثره وحسبه توثيقًا رواية أمير المحدِّثين وإمامهم البخارىّ عنه فى صحيحه ، فضلاً عن شهادة بعض كبار الأئمة له كشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر فى (مقدمة فتح البارى) وكذا الإمام الشَّعْبِىّ الذى قال عنه : (ما بَقِىَ أحدٌ أعلمُ بكتاب الله من عكرمة) وقد كانت وفاته فى مستهل القرن الثانى الهجرىّ الثامن الميلادىّ عام (١٠٥هـ = ٧٢٤م) .

- راجع فى ذلك (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير) : د. محمد محمد أبى شهبة ص ٩٦ (بتصرف) .

(٢) البقرة : ٢٦٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢/٤٦٢ .

(٤) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

الاجتهاد، وأنّ كلاً من سليمان وداود عليهما السلام قد اجتهدا فى حكمهما، فأصاب سليمان فَحُمِدَ له ذلك، ولم يُصِبْ داود فَعُذِرَ فى ذلك، وفى هذا يقول الشنقيطىّ ما نصه :

ومِمَّنْ فسرها بذلك الحسن البصرى رحمه الله كما ذكره البخارىّ وغيره عنه ، قال البخارىّ رحمه الله فى (صحيحه) باب (متى يستوجب الرجل القضاء) وقال الحسن : أخذ الله على الحكام ألاّ يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا الناس ، ولا تشتروا بآياتى ثمنًا قليلاً ، إلى أن قال : وقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾ الآيتان[1] فَحَمِدَ سليمان ، ولم يَلُمْ داود .

ولولا ما ذكره الله تعالى من أمر هذين ؛ لرأيتَ أنّ القضاة هلكوا ، فإنه تعالى أثنى على هذا بعلمه، وعذر هذا باجتهاده ، انتهى محل الغرض منه ؛ وبه تعلم أن الحسن البصرى رحمه الله يرى أن معنى الآية الكريمة كما ذكرنا[2] .

المسألة الثالثة

تفسير القرآن بآثار الصّحابة والتابعين معًا

يجمع الشنقيطى فى كثير من الأحيان بين أقوال الصحابة والتابعين فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات؛ الأمر الذى يمثل معه هذا الجمعُ السِّمةَ الغالبة على منهجه من حيث تفسيره للقرآن بالآثار ، وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة الشاهدة على ذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ الآية[3] نراه يأخذ فى معنى : ﴿ **تَؤُزُّهُمْ** ﴾ بقول كل من : عبد الله بن عباس من الصحابة ، ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة السدوسىّ من التابعين ﷺ فيقول ما نصه : وقوله تعالى ﴿ **تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ أى تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصى ، وأقوال أهل العلم فى الآية راجعة إلى ما ذكرنا .

ومن ذلك قول ابن عباس : ﴿ **تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ أى تغويهم إغواء ،

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٥٩٩ .
(٣) مريم : ٨٣ .

وقول مجاهد : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تُشْلِيهِم إشْلاَءً[1] وقول قتادة : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ أى تزعجهم إزعاجًا[2] .

٢ - وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ الآيــة[3] نراه يأخذ فى معنى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ بقول عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر من الصحابة ، ومجاهد بن جبر ، وقتادة بن دعامة السدوسىّ ، وسعيد بن زيد ، وأبى العالية ، والشَّعبىّ ، والضحاك بن مزاحم من التابعين ﷺ فيقول ما نصه :

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن زيد : هو نفخ الرُّوح فيه بعد أن كان جَمَادًا ، وعن ابن عباس : خروجه إلى الدنيا ، وقال قتادة : عن فرقة نبات شَعْرِه ، وقال الضحاك : خروج الأسنان ، ونبات الشَّعْر ، وقال مجاهد : كمال شبابه ، وروى عن ابن عمر : أن الصحيح عمومه فى هذا وفى غيره من النطق والإدراك ، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت .

والظاهر أنَّ جميع أقوال أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ أنه صار بَشَرًا سَوِيًّا ، بعد أن كان نطفة ، ثم مُضْغَة ، ثم عَلَقَة ، ثم عظامًا ، كما هو واضح[4] .

---

(١) تُشْلِيهم إشْلاءً : أى تغريهم إغراءً ، من (الإشْلاء) وهو الإغراء بالشىء والدعوة إليه ، ومنه قولهم : (أَشْلَيْتُ الكلبَ) أى دعوتُهُ إلى الصيد وأغريتُهُ به ، وفى ذلك يقول زياد الأعجم :

أَتَيْنَا أبا عَمْرو فَأَشْلَى كلابَهُ ... علينا فكدْنا بين بَيْتَيْه نُؤْكَلُ

كما يقال : (أَشْلَيْتُ الشَّاةَ والناقةَ) أى دعوتُهمَا بأسمائهما لأَحْلُبَهُمَا ، وفى ذلك يدعو الراعى ناقتيْه (عِفَاس وبَرْوَع) قائلاً :

وإنْ بَرَكَتْ منها عَجَاسَاءُ جِلَّةٌ ... بِمَحْنِيَّةٍ أَشْلـى العِفَاسَ وبَرْوَعَا

• انظر مادة (شَلا) فى لسان العرب : ٢٣١٨/٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٨٩/٤ .

(٣) المؤمنون : ١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٧٨٠ .

المطلب الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الثلاث التالية :

١ - الملاحظة الأولى : الجمع بين آثار الصحابة والتابعين .

٢ - الملاحظة الثانية : عدم عَزْو بعض الآثار .

٣ - الملاحظة الثالثة : رَدّ بعض الآثار .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطى فى تفسير القرآن بآثار كل من الصحابة والتابعين ﷺ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الثلاث التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

الجمع بين آثار الصحابة والتابعين

حيث يجمع الشنقيطى أحيانًا بين آثار كلٍّ من الصحابة والتابعين ﷺ فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات ، وهذا ما سبق أن استشهدنا له ، ودللّنا عليه ؛ تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة[1] .

الملاحظة الثانية

عدم عزّو بعض الآثار

يورد الشنقيطى أحيانًا بعض الآثار على وجه الإجمال دون أن يعزو أيًّا منها إلى أىٍّ من الصحابة أو التابعين ﷺ وفيما يلى نكتفى بمثال واحد تنبيهًا به على غيره من الشواهد القليلة التى وقعت فى ثنايا تفسيره المختلفة :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ الآية[2] نراه يورد اسم مَلَكِ الموت المُوَكَّل بقبض أرواح الخلائق مِن قِبَلِ الله تعالى على أنه : (عزرائيل) مشيراً بذلك إلى أن هذا هو ما أثبتته بعض الآثار دون أن يعزو أيًّا منها إلى قائليها من الصحابة أو التابعين ﷺ حيث يقول ما نصه : وظاهر هذه الآية الكريمة أن الذى يقبض أرواح الناس مَلَكٌ واحدٌ معينٌ ، وهذا هو المشهور؛ فقد جاء فى (بعض الآثار) أنّ اسمه : (عزرائيل)[3] .

الملاحظة الثالثة

رَدُّ بعض الآثار

يقف الشنقيطى موقفًا جليّاً واضحًا إزاء تلك الآثار التى تخالف نصوص الكتاب والسُّنَّة ، سواء كانت هذه الآثار تُعْزَى إلى الصحابة أو تُعزَى إلى التابعين ﷺ وهذا ما

(١) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .
(٢) السجدة : ١١ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥٠٤ .

يُحْسَبُ لمنهجه فى تفسير القرآن بهذه الآثار ؛ لأن المجمع عليه عند جمهور العلماء أن نصوص الكتاب والسُّنة لا تُرَدُّ بما يخالفها من تلك الآثار ولا من غيرها[1] .

ولذا ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية[2] نراه يرد تأويل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمخالفته ما ثبت فى السُّنة الصحيحة دون مُعَارِض له من كتاب أو سُنة ، حيث يقول ما نصه: إن النصوص الصحيحة عن رسول الله ﷺ فى سماع الموتى لم يثبت فى الكتاب ولا فى السُّنة شىءٌ يخالفها ، وتأويل عائشة رضي الله عنها بعضَ الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة (لايجب) الرجوع إليه[3] لأن غيره فى معنى الآيات أَوْلَى بالصواب منه ؛ فلا تُرَدُّ النصوص الصحيحة عن النبىّ ﷺ بتأويل الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم بعضَ الآيات[4] .

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

(٢) النمل : ٨٠ .

(٣) انظر ملاحظتنا على قوله : (لا يجب) ص   من هذا البحث .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٤٢١ .

ختام هذا الفصل

تعقيب حول التفسير بالمأثور عند الشنقيطى

وفى ختام عرضنا لمنهج الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بالمأثور والذى يشمل كلاً من القرآن والسُّنة والآثار؛ فإنه يمكننا أن نرصد هاتين الملاحظتين اللتين تَرِدَانِ على ذلك فيما يلى :

١ - الجمع بين القرآن والسنة والآثار :

حيث يَعْمَد الشنقيطى فى كثير من الأحيان إلى الجمع بين محاور المأثور الثلاثة المتمثلة فى كل من (القرآن والسُّنة والآثار) فى تفسير ما يَعْرِض له من الآيات ؛ وحسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى بعض الآيات التى جمع الشنقيطى فى تفسيره لها بين هذه المحاور ؛ وذلك من باب التنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

أ - الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ الآية[1] .

ب - الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الآية[2] .

جـ - الآية الثالثة :

وهى قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الآية[3] .

٢ - أصالة تفسير الشنقيطىّ بالمأثور :

وبالنظر إلى مَسْلَك الشنقيطىّ إزاء منهجه فى تفسير القرآن بالمأثور على مستوى تقعيده النظرىّ ، ثم على مستوى تطبيقه العملىّ ؛ فإننا نتبيّن مدى أصالة هذا المنهج من حيث اتفاقه مع ما ذهب إليه المحققون بين العلماء من العلماء المعتبرين من أنّ أعظم وأجلّ طرق التفسير أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن ، ثم بالسُّنة ، ثم بآثار الصحابة والتابعين ﷺ وهى المحاور الثلاثة التى يتنازعها التفسير بالمأثور .

---

(١) النساء : ١١٩ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٤٧٨-٤٨١ .

(٢) النحل : ٦١ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/ ٢٨٨-٢٩١ .

(٣) الأحقاف : ٢٠ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٣٩٢-٣٩٥ .

وهذا المَسْلَك هو ذات مـا نصَّ عليـه شيخ الإسـلام أحمـد بن تيـميّـة واصفًـا إياه فى (مقدمـته) بأنه (أحسن طرق التفـسير) حيث يقـول ما نصُّه : **فإن قال قائل : فـما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب** : إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن ؛ فما أُجْمِلَ فى مكان فإنه قد فُسِّر فى موضع آخر ، وما اخْتُصِرَ فى مكان فقد بُسِطَ فى موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنة فـإنها شارحة للقرآن ومُوَضِّحَة له ؛ فإن لـم نجـد التفسير فى القرآن لا فى السُّنة ، رجعنا حينئذ فـى ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شـاهـدوه من القـرآن والأحوال التى اخـتـصوا بهـا ، ولما لهم من الفـهم التـام ، والعلم الصحـيح ، لا سيما علمـاؤهم وكبراؤهم ، كـالأئمة الأربعة الخلفاء الراشـدين ، والأئمة المهديين .

فإذا لم تجد التـفسير فى القـرآن ولا فى السُّنة ، ولا وَجَدْتَه عن الصحـابة ؛ فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين ﷺ[1] .

(١) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيميّة ص ٤٢-٤٧ .

الفصل الثانى

تفسـير القـرآن بالرأى

وينتظم المباحث الثلاثة التالية :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

٣ - المبحث الثالث : التعقيب .

المبحث الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المطالب الخمسة التالية :

١ - المطلب الأول : محْوَرَا الــرأى .

٢ - المطلب الثانى : أدلة الـــرأى .

٣ - المطلب الثالث : ضابطا الــرأى .

٤ - المطلب الرابع : شروط الــرأى .

٥ - المطلب الخامس : أنواع الـــرأى .

ونعنى به موقف الشنقيطىّ من تفسير القرآن بالرأى ؛ من حيث كونه المحور الثانى ، والمرحلة التالية لتفسير القرآن بالمأثور .

- **ولكن ما الذى نعنيه بـ (الرأى) ؟**

والحق أننا نعنى به جملة آراء المفسرين المعتبرين مِمَّنْ سلفوا قبل الشنقيطى من لدن عصر تابعىْ التابعين وحتى عصره الذى كان يعيش فيه ، باستثناء رأيه الذاتى الذى يصدر منه ، ويعبِّر عنه[1] .

لأنه غالبًا ما يَرْجِع المفسِّر إلى آراء مَنْ سبقه من العلماء المحققين الذين عَرَضُوا لمثل ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، فما انتهى إليه السابقون ، هو ذات ما يبدأ به اللاحقون ، وبهذا يتأكد تواصل علماء الأمة ، ويستمر عطاؤهم ، عبر الأجيال المتعاقبة ، والأعصر المتتابعة .

وصاحبنا الشنقيطى أحد هؤلاء العلماء الذين ينتظمون فى حلقات سلسلة هذا التواصل ؛ فهو كما يأخذ بآراء مَنْ قبله من العلماء السابقين ، فإن رأيه سيُعَدُّ بمثابة الرأى لِمَنْ بعده من العلماء اللاحقين ، ثم إن آراء هؤلاء اللاحقين ستُعَدُّ آراءً لِمَنْ بعدهم ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

- **الرأى عند الشنقيطىّ :**

تتجلّى حقيقة التفسير بالرأى عند الشنقيطى من خلال محورين أساسيين يمثلان مفهوم الرأى عنده ، ثم من خلال أدلته على ذلك من القرآن والسُّنة والآثار ، فضلاً عن تحديده لكل من ضوابط هذا الرأى ، وشروطه ، وأنواعه .

وفيما يلى نَعْرِض لكلٍ من هذه المسائل على النحو الذى يتأدّى عنه بيان قوله فى الرأى ، وبما تتضح معه خلاصة موقفه منه ، مع رصد رأى البحث فى ختام جملة هذه المسائل ، وذلك من خلال المطالب الخمسة التالية :

---

(١) وذلك لأن مسيرة التفسير تتوزع فى رأى البحث بين حقبتين أولاهما (حقبة التفسير بالمأثور) : وتبدأ من لدن بَدْء نزول الوحى على رسول الله ﷺ وتنتهى بآخر مَنْ يمكن الاستشهاد بقوله ، والرجوع إليه ، من تابعىّ التابعين ، وأما ثانيتهما (فحقبة التفسير بالرأى) : وتبدأ من بعد عصر تابعىّ التابعين وتستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

المطلب الأول

محوَرَا الـــرأى

ويتنازع الرأى عند الشنقيطى محوران رئيسان يتمثلان فى كل من : (التأويل) ثم (الاجتهاد) وهذا ما نَعْرِض له على النحو التالى :

أ - الشنقيطىّ والتأويل :

- **التأويل فى اللغة :**

ينقل الشنقيطى ما قاله الطبرىّ فى ذلك فيقول ما نصه : قال ابن جرير الطبرىّ : وأصل التأويل من (آل الشىء إلى كذا) : إذا صار إليه ورجع ، و (يؤول أَوْلاً ، وأَوَّلْتُهُ أنا) : إذا صيرتُه إليه ، ثم قال الطبرىّ : وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

عَلَى أنها كانت تَأَوُّلُ حُبِّهَا ... تَأَوُّلَ رِبْعِىِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

قال : ويعنى بقوله : (تَأَوُّلُ حُبِّهَا) أى مصير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً فى قلبه ، ثم آل من الصغر إلى العظَم ؛ فلم يزل ينبت حتى أَصْحَبَ فصار قديمًا كالسَّقْبِ الصغير الذى لم يزل يشب حتى أَصْحَب فصار كبيراً مثل أمه[1] .

- **التأويل فى الإصطلاح :**

أشار الشنقيطى إلى أنّ للتأويل ثلاثة مدلولات اصطلاحية منها اثنان فى اصطلاح المفسِّرين ، ومدلول ثالث فى اصطلاح الأصوليين ، وهذا ما عناه بقوله : اعلم أنّ التأويل يُطْلَقُ ثلاثةَ إطلاقات[2] نذكرها كما يلى :

١ - مدلول المفسِّرين :

يذكر الشنقيطى مدلولىْ التأويل عند المفسرين فيقول :

الأول : وهو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التى يؤول إليها الأمر ، وهذا هو معناه فى القرآن .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٨/١ .
و (رِبْعِىُّ السَّقْبِ والسِّقَاب) : هو كل ما وُلِدَ من الإبل فى أول النتاج ، وقيل : هو ما وُلِدَ من الإبل فى الربيع - انظر مادة (رَبَعَ) فى لسان العرب : ١٥٦٥/٣ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٢٩/١ .

الثانى: يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قول رسول الله ﷺ فى ابن عباس : «اللهمّ فقهه فى الدين وعلمْه التأويل» الحديث[1] وقول ابن جرير وغيره من العلماء : (القول فى تأويل قوله تعالى : كذا وكذا) أى : تفسيره وبيانه .

ومنه قول عائشة ﵂ الثابت فى (الصحيح) : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى» الحديث[2] يتأوّل القرآن : تعنى يمتثله ويعمل به ، والله تعالى أعلم[3] .

٢ - مدلول الأصوليين :

يذكر الشنقيطى مدلول التأويل وأنواعه عند الأصوليين فيقول : ومعناه المتعارف فى اصطلاح الأصوليين هو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك[4] .

---

(١) أخرجه البخارى غير تام بلفظ : «اللهمّ فقهه فى الدين» من رواية ابن عباس ﵄ - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٤) الوضوء (باب ١٠) وضع الماء عند الخَلاَء - ١/ ٢٤٤ حديث رقم (١٤٣) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم أكثر اختصاراً بلفظ : «اللهمّ فَقِّهه» - انظر صحيح مسلم (كتاب ٤٤) فضائل الصحابة (باب ٣٠) فضائل عبد الله بن عباس ﵄ - ٤/ ١٩٢٧ حديث رقم (٢٤٧٧) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده بلفظه تاماً - ١/ ٢٦٦ حديث رقم (٢٣٩٧) - ١/ ٣١٤ حديث رقم (٢٨٨١) - ومختصراً بلفظ : «اللهم فَقِّه» - ١/ ٣٢٧ حديث رقم (٣٠٢٣) - ثم تاماً بلفظه : ١/ ٣٢٨ حديث رقم (٣٠٣٣) - ١/ ٣٣٥ حديث رقم (٣١٠٢) - (طبع قرطبة) .

وقد أثبته الشيخ أحمد شاكر تاماً بلفظ «اللهم فقهه فى الدين» مُعَلِّقًا على ذلك بقوله: (فى ح : «اللهم فقه» ولم يُذكر فيها: «فى الدين» وقد صححناه من ك) - انظر المُسْنَد للإمام أحمد بن حنبل: شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر - ٥/ ١٢ حديث رقم (٣٠٢٣) - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م .

(٢) أخرجه البخارى فى موضعين من صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ١٠) الأذان (باب ١٣٩) التسبيح والدعاء - ٢/ ٢٩٩ حديث (٨١٧) - وكذا فى (كتاب ٦٥) التفسير (باب ١١٠) سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ النصر : ١-٨/ ٧٣٣ حديث رقم (٤٩٦٨) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب ٤) الصلاة (باب ٤٢) ما يقال فى الركوع والسجود - ١/ ٣٥٠ حديث رقم (٢١٧/ ٤٨٤) - (طبع الحلبى) - كما أخرجه أحمد فى مسنده - ٦/ ٤٣ حديث رقم (٢٤٢٠٩) - ٦/ ٤٩ حديث رقم (٢٤٢٦٩) - (طبع قرطبة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٩ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٩ .

ب - الشنقيطى والاجتهاد :

يشير الشنقيطى إلى مفـهومه للاجتهاد من خلال قوله بضرورة اجتـهاد العَالِم قدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى حالما يفتقد نصوص القرآن والسُّنة التى تعينه على ذلك ، وفى هذا يقول ما نصه : ومن المعلوم أن المسألة إنْ لم يوجد فيها نص من كتاب الله تعالى أو سُنة نبيه ﷺ فاجتهاد العالم حينئذ بقدر طاقته فى تفهم كتاب الله تعالى ليعرف حكم المسكوت عنه من المنطوق به ؛ فإن ذلك لا وجـه لمنعه ، وقد كـان جاريًا بين أصحـاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين[1] .

المطلب الثانى

أدلـــــة الـــرأى

وتتمـثل أدلة الرأى عند الشنقيطى فـيمـا يسوقه من الأدلة على كـل من : (التأويل) و (الاجتهاد) من القرآن والسُّنة والآثار ، وهو ما نَعْرِض له فيما يلى :

أ - أدلته على التأويل :

- من القرآن :

يســوق الشنقيطى دلـيله القرآنى على التأويل من خـلال تفسيره لقـوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصـه : يحتمل أن يكون المراد بالتأويل فى هذه الآية الكريمة التفـسير وإدراك المعنى ، ويحتـمل أن يكون المراد بـه حقيـقة أمره التى يؤول إليها ، وقد قدّمنا فى مقدمة هذا الكتـاب أنّ من أنواع البيان التى ذكرناها فيه أنّ تكون أحد الاحتمالين هو الغالب فى القرآن يبيّن أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أَوْلَى من الحمل على غيره .

وإذا عرفت ذلك ؛ فاعلم أن الغـالب فى القرآن إطلاق التأويل على حقيـقة الأمر التى يؤول إليها كـقول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ الآية[6] إلى غير ذلك من الآيات[7] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٣٠ - ٣/ ٥٧٧ . (٢) آل عمران : ٧ .
(٣) يوسف ١٠٠ . (٤) الأعراف : ٥٣ . (٥) يونس : ٣٩ .
(٦) النساء : ٥٩ . (٧) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٣٢٨ .

- **من السُّنة :**

ودليل الشنقيطى على التأويل من السُّنة يتمثل فيما سبق أن ذكرناه من دعاء النبىّ ﷺ لابن عباس قائلاً : «اللهّم فقهه فى الدين وعَلِمْه التأويل» الحديث .

- **من الآثار :**

وفى ذلك يسوق الشنقيطى دليله المتمثل فيما سبق أن ذكرناه من قول عائشة ﵂ : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهّم وبحمدك ، اللهّم اغفر لى» يتأول القرآن .

ب - أدلته على الاجتهاد :

- **من القرآن :**

يسوق الشنقيطىّ دليله القرآن على الاجتهاد من خلال تفسيره لثلاث آيات من كتاب الله تعالى نوردها على النحو التالى :

١ - ففى مَعْرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة منع التقليد ، وقالوا : لأنه اتباع غير العلم .

قال مقيده عفا الله عنه : لا شك أن التقليد الأعمى الذى ذَمَّ الله به الكفار فى آيات من كتابه تدل هذه الآية وغيرها من الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، كقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ** ﴾ الآية[2] إلى غير ذلك من الآيات .

أما استدلال بعض الظاهرية كابن حزم ومَنْ تبعه بهذه الآية التى نحن بصددها وأمثالها على منع الاجتهاد فى الشرع مطلقًا ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه ، كما هى حال كثير من الظاهرية .

لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بِفُتْيَاه ؛ أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامىّ يسأل بعض أصحاب النبى ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل فتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين[3] .

---

(١) الإسراء ٣٦   (٢) البقرة : ١٧٠ .

(٣) أضواء البيان للشنقيطى ٣/ ٥٧٧ .

٢ - وفي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[١] نراه يقول ما نصه : وفي الآية قرينة على أن حكمهما كان باجتهاد وليس بوحي ، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته ، وأن داود مع أنه لم يُصِبْ إلا أنه لم يستوجب لومًا ولا ذمّاً بعدم إصابته .

وقد أثنى على سليمان بالإصابة في قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وأثنى عليهما بقوله تعالى: ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فدلّ قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ على أنهما حكَمَا فيها معًا ، كل منهما بُحكْمٍ مخالف لِحُكْمِ الآخر ، ولو كان وَحْياً لما ساغ هذا الخلاف .

كما أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ دَلّ أيضًا على أنه لم يفهمها داود ، ولو كان حُكْمُه فيها بوحي ؛ لكان مفهمًا إياها كما ترى ، فقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ مع قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل كان باجتهاد ، وقد أصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك .

والقرينة الثانية هي أن قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ يدل على أنه فَهَّمَهُ إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع ؛ لا أنه أنزل فيها وحيًا جديدًا ناسخًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ففهَّمْناهَا ﴾ أليق بالأول من الثاني كما ترى[٢] .

٣ - وفي معْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية[٣] نراه يقول ما نصه : (الهمزة) في قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ للإنكار ، والتقدير : أيُعْرِضُون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن ، و (أَمْ) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ منقطعة بمعنى بل؛ فقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبَيَّنَ أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح للخير ، ولا تنفتح لفهم القرآن .

كما أن ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على مَنْ أعْرَض عن تدبر كتاب الله تعالى قد جاء مُوَضَّحًا في آيات كثيرة كقول الله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ الآية[٤] وقد ذَمَّ الله جلّ

---

(١) الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٥٩٦ .

(٣) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٤) النساء : ٨٢ .

وعلا المُعْرِضَ عن هذا القرآن العظيم فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الآية[1] .

ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور فى الآيات، إن كان اللّٰه تعالى قد أعطاه فهمًا يَقْدرُ به على التدبر ، وقد شكا النبىّ ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ الآية[2] .

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لابد منه للمسلمين ؛ وقد بَيَّنَ النبىّ ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ، كما ثبت عنه ﷺ فى (الصحيح) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : «خيركم مَنْ تَعَلَّم القرآن وعَلَّمَه» الحديث[3] وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ الآية[4] .

فإعراض كثير من الأنظار عن النظر فى كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السُّنة الثابتة المبيِّنة له ، لَهُو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدى[5] .

- من السُّنَّة :

استند الشنقيطى فى قوله بمشروعية الاجتهاد إلى حديثين من السُّنة المطهرة يتمثلان فى شكل متن

١ - الحديث الأول :

وهو قول رسول الله ﷺ : «إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» الحديث[6] .

---

(١) الكهف : ٥٧ . (٢) الفرقان : ٣٠ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٦٦) فضائل القرآن (باب ٢١) خيركم مَنْ تعلّم القرآن وعلّمه - ٩/ ٧٤ حديث رقم (٥٠٢٧) (طبع السلفية)

(٤) آل عمران : ٧٩ . (٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٢٨ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه من روايتىْ عمرو بن العاص وأبى هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبىّ ﷺ ثم علقه بعد ذلك معلقًا من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن مُرْسَلاً عن النبىّ ﷺ دون ذكر أبى=

وفى مَعْرِض استدلال الشنقيطىّ بهذا الحديث يقول ما نصه : ومن النصوص الدالة على مشروعية الاجتهاد فى مسائل الشرع ، ما ثبت فى (الصحيح) عن النبىّ ﷺ فى ذلك ، حيث قال مسلم بن الحَجَّاج فى (صحيحه) : عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال : (الحديث) .

وبعد أن أورد الشنقيطى هذا الحديث بطرقه المختلفة فى (صحيح مسلم) قال ما نصه : فهذا نص صحيح من النبىّ ﷺ صريح فى جواز الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وحصول الأجر على ذلك وإن كان المجتهد مخطئًا فى اجتهاده ، وهذا يقطع دعوى الظاهرية المتمثلة فى قولهم بمنع الاجتهاد من أصله ، وتضليل فاعله والقائل به ، قَطْعاً باتًا كما ترى .

ثم يحكى الشنقيطى عن النووى إجماع العلماء واتفاقهم بشأن ما ذهب إليه فى فهم هذا الحديث قائلاً : قال النووى فى شرح هذا الحديث : قال العلماء : أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكمٍ عالمٍ أهلٍ للحُكْم ، فإن أصاب فله أجران : أجر باجتهاده ، وأجر بإصابته ، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده، وفى الحديث محذوف تقديره : (إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد) .

قالوا : فأما مَنْ ليس بأهلٍ للحُكْم فلا يَحِلُّ له الحُكْم ؛ فإنْ حكَم فلا أجر له ، بل هو آثم ، ولا ينعقد حُكْمُه ، سواء وَافَقَ الحُكْمَ أم لا ؛ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعى ، فهو عاص فى جميع أحكامه ، سواء وَافَقَ الصواب أم لا ؛ ومن ثم فهى مردودة كلها ، ولا يُعْذَرُ فى شىء من ذلك .

= هريرة رضي الله عنه - انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب ٩٦) الاعتصام بالكتاب والسُّنة (باب ٢١) أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ٣١٨/١٣ حديث رقم (٧٣٥٢) - (طبع السلفية) .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من رواية عمرو بن العاص رضي الله عنه ثم من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضي الله عنه كلتا الروايتين مرفوعتان إلى رسول الله ﷺ - انظر صحيح مسلم (كتاب ٣٠) الأقضية (باب ٦) بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ - ١٣٤٢/٣ حديث رقم (١٧١٦) - (طبع الحلبى) .

كما أخرجه أحمد فى مسنده من رواية عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ١٩٨/٤ حديث رقم (١٧٨٠٩) - ومن رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ انظر المسند : ٢٠٤/٤ حديث رقم (١٧٨٥٤) - (طبع قرطبة) .

ويلاحظ أن كلا من (البخارى ومسلم وأحمد) قد أخرجوا هذا الحديث بلفظ : «إذا حكم الحاكم» وليس : «إذا حكم أحدكم» .

وقد جاء فى (السُّنن) من حديث رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : قاضٍ فى الجنة ، واثنان فى النار ، قاضٍ عَرَف الحّق فقضى به فهو فى الجنة ، وقاضٍ عَرَفَ الحّق فقضى بخلافه فهو فى النار ، وقاضٍ قضى على جهل فهو فى النار» الحديث[1] انتهى الغرض من كلام النووى .

وإضافة إلى رواية مسلم بطرقه المختلفة لحديث : «إذا حكم أحدكم فاجتهد» يورد الشنقيطى رواية البخارى لذات الحديث من طريقىْ أبى هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم يُعَقِّبُ على ذلك قائلاً : فهذا الحديث المتفق عليه يدل على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله فى الأحكام الشرعية ، ثم إنّ محاولةَ ابن حزم تضعيفَ هذا الحديث المتفق عليه الذى رأيتَ أنه فى أعلى درجات الصحيح لاتفاق الشيخين عليه ؛ لا نحتاج دليلاً إلى إبطالها لظهور سقوطها كما ترى ؛ لأنه حديث متفق عليه مروى بأسانيد صحيحة عن صحابيين جليلين من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبىّ ﷺ[2] .

٢ - *الحديث الثانى* :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن قائلاً له : «فَبِم تَحْكُمُ ؟ قال . بكتاب الله ، قال : فإنْ لم تجد ؟ قال : بسُنّة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ؛ قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال :

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُنه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر سُنن الترمذى المعروفة بالجامع الصحيح . لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذى ت (٢٧٩هـ=٨٩٣م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ١) ما جاء عن رسول الله ﷺ فى القاضى - ٣/ ٦١٣ حديث رقم (١٣٢٢ مكرر) - تحقيق وتخريج وتعليق خادم الكتاب والسُّنة :محمد فؤاد عبد الباقى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت).

وأخرجه أبو داود فى سُنه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر سُنن أبى داود : للإمام الحافظ ، المُصنِّف المتقن ، أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت (٢٧٥هـ = ٨٨٩م) - (كتاب) الأقضية (باب) فى القاضى يخطىء - ٣/ ٢٩٧ حديث رقم (٣٥٧٣) - دار الحديث القاهرة - (د.ت) .

كما أخرجه ابن ماجه فى سُنه من رواية بُرَيْدَة عن رسول الله ﷺ - انظر السُّنن : للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجه ت (٢٧٣هـ = ٨٨٧م) - (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) الحاكم يجتهد فيصيب الحق - ٢/ ٧٧٦ حديث رقم (٢٣١٥) - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) القاهرة - ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م .

(٢) راجع تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : ٣/ ٦١١ ، ٦١٣ ، وقد سبق تخريج الحديث المذكور ص من هذا البحث .

الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرْضِى رسولَ الله ﷺ » الحديث[1] .

(1) ونظرًا لأهمية هذا الحديث ، وكثرة ما ورد عليه من كلام العلماء من قدامى ومحدثين ؛ فإننا نورد تفصيل أقوالهم بشأنه وحكمهم عليه على النحو التالى :

- **أولاً : تخريج الحديث :**

أخرج أصحاب السُّنن والمسانيد هذا الحديث عن شُعْبَة موصولاً مرة ، وعنه مُرْسلاً مرة أخرى ، وذلك على النحو التالى :

١ - تخريجه موصولاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَوْن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدّث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمْص عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ) وممن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من :

الترمذى فى سُننه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٣/ ٦١٦ حديث رقم (١٣٢٨) .

أبو داود فى سننه : ٣/ ٣٠٢ (كتاب) الأقضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء .

أحمد فى مسنده : ٥/ ٢٣٠ حديث رقم (٢٢٠٦٠) - ٥/ ٢٤٢ حديث رقم (٢٢١٥٣) .

الدارمى فى سننه : ١/ ٦٠ (باب) الفتيا وما فيه من الشدة .

الطيالسى فى مسنده : ١/ ٤٥٤ حديث رقم (٥٦٠) - انظر مسند أبى داود الطيالسى سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤هـ= ٨٢٠م) - الطبعة ١ - تحقيق : (د. محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .

ابن سعد فى طبقاته : ٢/ ٣٤٧ - ٣/ ٥٨٤ - انظر الطبقات الكبرى : لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م - وجدير بالذكر أن تمام اسم طبقات ابن سعد هو : (الطبقات الكبرى فى ذكر مَغَازى رسول الله ﷺ وسَرَاياه ، وفى مرض النبى ﷺ ودفنه والمراثى ، وذكر مَنْ كان يفتى بالمدينة ، وجَمْع القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ على عهده وبعده ، وذكرُ مَنْ كان يفتى بالمدينة بعد أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار) كما اختص المجلد الثالث بأن كُتِبَ على غلافه الداخلى عبارة : (فى البدريين من المهاجرين والأنصار) .

الخطيب البغدادى : ١/ ٣٩٧ حديث رقم (٤١٣) - ١/ ٤٧٠ حديث رقم (٥١٢) - ١/ ٤٧١ حديث رقم (٥١٣) - ١/ ٤٧٢ حديث رقم (٥١٥) - انظر الفقيه والمتفقه : للحافظ المؤرخ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ت (٤٦٣هـ = ١٠٧١م) - الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازى - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م .

٢ - تخريجه مُرْسَلاً :

ونص إسناده : (قال شعبة : أخبرنى أبو عَوْن الثقفى قال : سمعت الحارث بن عمرو يحدّث عن أصحاب معاذ بن جبل من أهل حِمْص أن رسول الله ﷺ قال) وممن أخرجه بهذا الإسناد نذكر كلاً من : =

... ...

= الترمذى فى سُنَنه (كتاب ١٣) الأحكام (باب ٣) ما جاء فى القاضى كيف يقضى - ٦١٦/٣ حديث رقم (١٣٢٧) .

أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الأقضية (باب) اجتهاد الرأى فى القضاء - ٣٠٢/٣ حديث رقم (٣٥٩٢) .

أحمد فى مسنده : ٢٣٦/٥ حديث رقم (٢٢١١٤) .

● **ثانياً : درجة الحديث :**

تناول عدد غير قليل من قدامى العلماء ومحدثيهم هذا الحديث ببيان درجته والحكم عليه ، سواء من ناحيه سَنَدِه ورجاله ، أو من ناحية مَتْنِه ومعناه ، ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر كلا من :

ابن حجر العسقلانى عن ابن حزم قوله : لا يصح هذا الحديث ؛ لأن (الحارث) مجهول ، وشيوخه لا يُعْرَفُون ، وقال ابن طاهر فى (تصنيف مفرد له فى الكلام على هذا الحديث) : اعلم أننى فحصت عن هذا الحديث فى المسانيد الكبار والصغار ، وسألت مَنْ لقيته عن أهل العلم بالنقل؛ فلم أجد له غير طريقين وكلاهما لا يصح - انظر (تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير) : للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢هـ = ١٤٤٨م) - ١٨٢/٤ - عُنِىَ بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة - ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (دون ذكر بيانات الطبع) .

وقال ابن الجوزى : هذا حديث لا يصح ، وإنْ كان الفقهاء كلهم يذكرونه فى كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمرى إنْ كان معناه صحيحًا ؛ إنما ثبوته لا يُعْرَف ؛ لأن (الحارث بن عمرو) مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حِمْص لا يُعْرَفُون ؛ وما هذا طريقُه فلا وجه لثبوته - انظر (العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية) : للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) - ٢٧٣/٢ - حققه وعلق عليه : الأستاذ إرشاد الحق الأثرى - نشر إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د.ت).

وقال محقِّق مسند أبى داود الطيالسى : هذا الحديث إسناده ضعيف ؛ لجهالة أصحابه معاذ ، والاختلاف فى وصله وإرساله ، وفى (علل الدارقطنى) يقول الطيالسى : وأكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معاذ أن رسول الله ﷺ ثم يقول المحقق : وفى هذا الحديث كلام كثير ؛ فقد أعلّه البخارى والترمذى والعُقَيلى والدارقطنى وابن حزم وابن الجوزى والذهبى والحافظ ابن حجر ، أعلّوه بما سبق ذكره من الجهالة والإرسال ، كما قوّاه آخرون - انظر (مسند أبى داود الطيالسى) : ٤٥٥/١ بتحقيق : د. محمد بن عبد المحسن التركى - وانظر أيضًا (العِلَل الواردة فى الأحاديث النبويّة) : تأليف الحافظ أبى الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى ت (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) - ٨٩/٦ - الطبعة ١ - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية- ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

وقال الألبانى : وجملة القول أن هذا الحديث لا يصح إسناده لإرساله ، وجهالة راويه (الحارث بن عمرو) فمَنْ كان عنده من المعرفة بهذا العلم الشريف ، وتبيّن له ذلك ؛ فبها ، وإلا فحسبه أن يستحضر أسماء الأئمة الذين صرّحوا بتضعيفه ، فيزول الشك من قلبه ، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام، وهم: (البخارى - الترمذى - العُقَيلى - الدارقطنى - ابن حزم - =

وفى مَعْـرِض استدلال الشنقيطى بهـذا الحديث يقول مـا نصه : ومن الأدلة الدالة على ذلك مـا روى عن مـعاذ بن جـبل ﷺ أن النبـىّ ﷺ حين بعثـه إلى اليـمن قـال له : (الحديث) .

ويحصـر الشنقيطى روايات هذا الحديـث قائلاً : واعلم أن جمـيع روايات هذا الحديث المذكورة فى المسـند والسنن كلها من طريق شـعبة ، عن أبى عَـوْن ، عن الحرث بن عـمرو (وهو ابن أخى المغيرة بن شـعبة) عن أُنَاسٍ من أصحاب معـاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله ﷺ .

= ابن طاهر - ابن الجوزى - الذهبى - السبكى - ابن حجر) فكل هؤلاء وغـيرهم ممن لا نستحضرهم قد ضـعّفوا هذا الحديث ؛ ولن يضـل بإذن الله مَنْ اهتدى بهديهم ، كـيف وهم أَوْلَى الناس بالقول المأثور : (هم القوم لا يشقى جليسهم) هذا ولما أنكر ابن الجـوزى صحته أَتْبَعَ ذلك بقوله : وإن كان معناه صحيحًا كما تقدم ؛ فأقول : هو صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقدان النص ، وهذا مما لا خلاف فيه ، ولكنه ليس صحيح المعنى عندى فـيما يتعلق بتصنيف السُّنّة مع القرآن وإنزاله إياه معـه منزلة الاجتـهاد منهمـا ، فكما أنه لا يجـوز الاجتـهاد مع وجود النص فى الكـتاب والسُّنّة ؛ فكذلك لا يأخذ بالسُّنّة إلا إذا لم يجد فى الكتاب ، وهــذا التفـريق بينهما مما لا يقول به مسلم ، بل الواجب النظر فى الكتاب والسّنة معًـا وعدم التفريق بينهما ؛ لِمَا عُلِمَ مـن أن السُّنّة تُبَيِّن مُجْمَل القرآن ، وتُقَيِّد مطلقه ، وتُخَصِّص عمومه ، كـما هو معلوم - انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة) : ٢/ ٢٧٣ حديث رقم (٨٨١) .

وفى موضع آخر يذكر الألبانى كلامًا قريبًا من كلامه السابق إلا أنه يُصَدِّره بقوله : وحسبى الآن أنْ أذكر أنّ أميـر المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحـمه الله تعالى قال فـيه : (حديث منكر) - انظر (منزلة السُّنّة فى الإسـلام ، وبيان أنه لا يستـغنى عنها بالقرآن) : للشيـخ محمـد ناصر الدين الألبانى ص ١٦ - الطبعة ١ - طبع : المطبـعة الفنية - توزيع : دار المسلم - القاهرة - ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

أما (الحارث بن عمـرو) الذى روى هذا الحديث عن أصحاب معاذ بن جـبل ﷺ فقد قال عنه البخارى ما نصه : والحارث بن عمرو ، ابن أخى المغيرة بن شعبة الثقفى ، عن أصحاب معاذ ، عن معاذ ، قد روى عنه أبو عَوْن ، ولا يصح ، ولا يُعْرَف إلاّ بهذا ، مُرْسل - انظر (التاريخ الكبير) : للحافظ أبى عـبد الله محـمد بن إسمـاعيل البـخارى ت (٢٥٦هـ=٨٧٠م) - ٢/ ٢٧٧ - طبع تحت مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان - (د.ت) .

كما أنّ (الحارث بن عمرو) المذكور هنا قد ترجمه العُقَيلى ضمن الضعفاء - انظر (كتاب الضعفاء الكبير) : للحافظ أبى جعـفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّـاد العقيلىّ المكىّ - ١/ ٢١٥ ترجمة رقم (٢٦٢) - الطبعة ١ - حققه ووثقه: د. عبد المعطى أمين قلعجى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

وبهذا يمكننا أن نلخص مـا انتهت إليه أقوال العـلماء من القدامى والمحدثين بشـأن حكمهم على هذا الحديث فنقول : هذا الحديث وإنْ كان ليس صحيح الإسناد ؛ إلا أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفًا وخلفًا ، وهذا هو وجه شهرته التى تُعَضِّد قَبولَه والأخذَ به ، والله تعالى أعلم .

ثم يورد الشنقيطى بعد ذلك جملة أقوال العلماء فى حُكْمِهِم على هذا الحديث من حيث الصحة والضعف ، وعلى رجاله من حيث الجرح والتعديل ، بادئًا ذلك بَعْرِض أقوال كل من ابن قدامة فى كتابه: (رَوْضَة النَّاظِر) ثم أقوال ابن كثير فى كتابيْه : (تفسير القرآن العظيم) و (تاريخ ابن كثير) فيحلّل هذه الأقوال ويُعلِّق عليها ، وفى النهايه يحتكم إلى ما ذهب إليه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن حُكْمِه على الحديث المذكور بالصحة والقَبُول[1] .

- من الآثار :

استند الشنقيطى إلى جملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ﷺ فى إقامة الحُجَّة على مشروعية الاجتهاد والقول به ، وهذا ما نَعْرِض له على النحو التالى :

أ - من آثار الصحابة :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة ﷺ فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، والتى لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ؛ ومن ثم يبدأ استدلاله بهذا قائلاً : اعلم أنّ الصحابة ﷺ كانوا يجتهدون فى مسائل الفقه فى حياة النبىّ ﷺ ولم ينكر عليهم ، وبعد وفاته من غير نكير ، ومن تلك الاجتهادات ما يلى :

١ - صلاة العَصْر :

حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ أن يُصَلُّوا العصر فى (بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ؛ وقال : لم يُرِدْ منا ﷺ تأخير العصر ، وإنما أراد منا سرعة النهوض ، فنظروا بذلك إلى المعنى ، واجتهد آخرون وأَخَّرُوهَا إلى (بنى قريظة) فصلّوها ليلاً ؛ وقد نظروا بذلك إلى اللفظ ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس[2] .

٢ - غلام اليمن :

حيث كان عَلِىٌّ ﷺ باليمن ؛ فأتاه ثلاثة نَفَرٍ يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم : هو ابنى ! فأقرع عَلِىٌّ ﷺ بينهم ؛ فجعل الولد للقارع ، وجعل عليه للرجلين الآخرين

---

(١) انظر تفصيل استدلال الشنقيطى بهذا الحديث على مشروعية الاجتهاد فى (أضواء البيان) : (٣/٥٨٣ ٥٨٦) - (٤/٦٠٠-٦٢٥) .

(٢) أضواء البيان - الشنقيطى ٤/٦٢٥ .

ثلثىْ الدِّيَة ؛ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فضحك حتى بَدَتْ نواجذه من قضاء عَلِىٍّ رضي الله عنه[1] .

٣ - مَسألة الكَلالَة :

حيث اجتهد أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه فى الكلالة قائلاً : أقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابًا فمن الله تعالى ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان : (أراه ما خلا الوالد والولد) فلما استُخْلِفَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إنى لأستحيى من الله تعالى أنْ أَرُدَّ شيئًا قاله أبو بكر رضي الله عنه[2] .

ب - من آثار التابعين :

يحتج الشنقيطى فى ذلك بِمَسْلَك التابعين وتابعيهم ومَنْ بعدهم إزاء اجتهاداتهم فيما لم يهتدوا فيه بنص يستندون إليه من الكتاب أو السُّنة أو آثار الصحابة قبلهم رضي الله عنهم ومن ثم ؛ نراه ينقل فى ذلك ما أورده ابن القيِّم فى كتابه : (إعلام الموقعين) بشأن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الصحابىّ شريح رضي الله عنه على لسان الشَّعْبِىّ التابعىّ رضي الله عنه حيث يقول ما نصه : قال ابن القيِّم فى كتابه (إعلام الموقعين) :

قال الشعبى عن شريح : قال لى عمر : اقْضِ بما استبان لكَ من كتاب الله ، فإنْ لم تعلم كل كتاب الله ؛ فاقْضِ بما استبان لكَ من قضاء رسول الله ﷺ فإن لم تعلم كل أقضية رسول ﷺ فاقْضِ بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين ؛ فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح[3] .

ومن الجدير بالملاحظة أن الشنقيطى قد استدل بغير ذلك من الآثار الكثيرة الثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فى القول بمشروعية الاجتهاد ، غير أن فيما ذكرناه منها تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

المطلب الثالث

ضابطا الرأى

يحكم الرأى الشنقيطى ضابطان اثنان يتمثلان فى كل من اللغة والأصول ، ونَعْرِض لهما كما يلى :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٥-٦٢٦ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٦ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٢٨ .

أ - الضابط الأول (اللغة) :

ونكتفى فى إشارة الشنقيطى إلى إعمال هـذا الضابط اللغوىّ بما لا يفتأ أن يصرّح به بين الحين والآخر من احتكامه إلى ما تقضى به لغة العـرب ، وما يجرى على قواعدها الثابتة ، ومن ذلك ما يذكره قائلاً : وأظـهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفـصيحة من غير إشكال ولا تقدير(١) .

ب - الضابط الثانى (الأصول) :

ونكتفى فى إشارة الشنقـيطى إلى إعمال هذا الضابط الأصولى بذكر القـاعدتين التاليتين تنبيهًا بهما على غيرهما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

١ - قاعدة (الأخذ بظاهر القرآن) :

حيث يحتكم الشنقيطى فى تفسـير الآية إلى ظاهر القرآن ما لم يَصْرِف عن ذلك الظاهر دليل آخر ؛ جريًا علـى ما يقرره علماء الأصول فى هذا الصـدد ، وهو ذات ما ينقله عنهم الشنقيطـى قائلاً ما نصـه : والقاعدة المقـررة فى علم الأصول : (أن ظاهر القـرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه)(٢) .

٢ - قاعدة (دلالة الإشارة) :

حيث يـحتكـم الشنقـيطى أيضًا فـى تفـسيـر الآية إلى ضمـها إلى غيـرها من الآيات الأخرى ؛ ليـتأدى عن ذلك إكتـمال دلالتـها ، وتمام معناها ، جـريًا على ما يقـرره علماء الأصول فى هذا الصدد ، وهو ذات ما ينقله الشنقـيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلاّ بضمهـا إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم الدلالة هى المعروفة عند علماء الأصول بـ : (دلالة الإشارة)(٣) .

المطلب الرابع

شـــروط الـــرأى

ويتنازع تلك الشروط عند الـشنقيطىّ محوران أولهـما : (شروط المُجْـتَهِد) وثانيهـما : (شروط المُجْتَهَدِ فيه) وهما ما نَعْرِض لهما على النحو التالى :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٣٦٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٥٨٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٣٨٥ .

أ - شروط المجتهد :

يسوق الشنقيطى جملة هذه الشروط من خلال رَدِّهِ على متأخرى الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ على تحصيلها ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : اعلم أنَّ المتأخرين من أهل الأصول الذين يقولون بمنع العمل بالكتاب والسُّنة مطلقاً إلا للمجتهدين يقولون :

إن شروط الإجتهاد هى : كون المجتهد بالغًا - عاقلاً (أى شديد الفهم) - عارفًا بالدليل العقلى (أى استصحاب العدم الأصلى حتى يَرِدَ نقل صارف عنه) - عارفًا باللغة العربية (من نحو وصرف وبلاغة) - وبعضهم يزيد المُحتَاجَ إليه من فن المنطق (حيث شرائط الحدود والرسوم والبرهان) - عارفًا بالأصول (حيث العلم بأدلة الأحكام من الكتاب والسُّنة) - عارفًا بالحديث (حيث العلم بشروط التواتر والآحاد والصحيح والضعيف) - عارفًا بعلوم القرآن (حيث أسباب النزول والناسخ والمنسوخ) - عارفًا بالسيرة والرجال (حيث أحوال الصحابة ورواة الحديث) - عارفًا بمدارك النصوص فى المصحف وكتب الحديث (ولا يشترط عندهم حفظه لها) - عارفًا بالحقائق الشرعيّة والعُرْفِيَّة - عارفًا بمواقع الإجماع والخلاف (مع خلافهم فى شرط عدم إنكاره القياس)[١] .

فتلكم اثنا عشرَ شرطًا أمكننا حصرها وتصنيفها من خلال ذكر الشنقيطى لها على لسان متأخرى الأصوليين ، غير أنه يَعْمَدُ بعد فراغه منها إلى التعقيب عليها بقوله : واعلم أن الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عند متأخرى علماء الأصول لا يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من : كتاب ولا سُنة ولا إجماع ولا قياس جَلِيّ ولا أثر عن الصحابة[٢] .

أما رَدُّ الشنقيطى على متأخرى الأصوليين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بمنع تدبر القرآن والسُّنة وتفهمهما والعمل بهما إلاّ لِمَنْ بلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه الاثنى عشرَ التى أسلفنا ذكرها ، فهو ما يتمثل فى إبطاله دعواهم هذه حيث يقول فى ذلك ما نصه : ولا يخفى أن قولهم هذا لا مستند له من دليل شرعى أصلاً ، بل الحق الذى لا شك فيه أن كل مَنْ له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُّنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعًا ، وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو كانت آية واحدة أو حديثًا واحدًا .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٧٧ (بتصرف) . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٣٠ .

وإيضاح ذلك هو أن كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين كلها دالٌّ على أن العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ لا يشترط له إلا شرط واحد وهو العلم بحُكْم ما يعمل به منهما ؛ فلا يشترط فى العمل بالوحى شرط زائد على العلم بحكمه ألبته ، وهذا مما لا يكاد ينازع فيه أحد ، وإنما مراد متأخرى الأصوليين بجميع هذه الشروط التى اشترطوها (تحقيق المناط) لأن العلم بالوحى لما كان هو مناط العمل به ؛ لذا فقد أرادوا أن يحققوا هذا المناط ، أى يبينوا الطرق التى يتحقق بها حصول العلم الذى هو مناط العمل .

ومن ثم ؛ فقد اشترطوا جميع الشروط المذكورة ظنًا منهم أنه لا يمكن تحقيق حصول العلم بالوحى بدونها ، غير أن ظنهم هذا فيه نظر ؛ لأن كل إنسان له فَهْمٌ ؛ إذا أراد العمل بنص من كتاب أو سُنة ، فلا يمتنع عليه ، ولا يستحيل أن يتعلم معناه ، ويبحث عنه هل هو منسوخ أو مُخَصَّص أو مُقَيَّد ، حتى يعلم ذلك فيعمل به[1] .

ب - شروط المُجتَهَدِ فيه :

ويوجز الشنقيطى تلك الشروط من خلال عبارته المحدَّدَة التى يوجب بها الاتباع ويمنع الاجتهاد فى كل ما نصّتْ عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، حيث يقول فى ذلك ما نصه : والأمور المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ؛ ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلّ عليه نَصٌّ من كتاب أو سُنة سَالِمٌ من المُعَارِض[2] .

- لا اجتهاد مع النَّص :

وليس ثمة شك فى أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى إنما يتفق مع ما يقصده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) والحق أن هذا القول بحاجة فى رأينا إلى توجيهه من خلال الجوانب الثلاثة التالية :

١ - الاجتهاد الباطل :

نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النص) إنما يعنى أنه (لا اجتهاد باطلاً أو معارضًا أو مخالفًا) لما تدلّ عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنة ؛ ومن ثم فإنه يسوغ لنا أن نُوَصِّفَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلا مع النص) أى لا اجتهاد إلا فى ضوء ما تدل عليه النصوص الأخرى ، وفى ظل ما تهدى إليه .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٤٧٨ .   (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٥٤٧ .

٢ - افتقاد النص :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلاّ عند افتقاد وغياب النص مَحَلِّ هذا الاجتهاد وموضعه ؛ ومن ثم فلا يَعْمَد العالم إلى الاجتهاد إلاّ عندما يفتقد النص فى المسألة التى يريد أن يجتهد فيها ، غير أن ذلك لا يكون إلا مع وجود النصوص الأخرى التى يستضىء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

٣ - مَحَلُّ الاستنباط :

أما إعمالُ العالم عقلَه ، وإنعامُ نظرَه ، فيما تحت يديْه من نصوص الكتاب والسُّنة ؛ فهذا ما نُوَصِّفَه بـ : (الاستنباط) وليس بـ : (الاجتهاد) وذلك لما سبق أن فَصَّلْنَا فيه القول بشأن مُستَوَيَىْ التأويل اللذين يتمثلان فى كل من : (الاستنباط) الذى يعمل داخل إطار النص الخَفِى أو المُشْكَل ، فلا يتجاوز حدوده ، بل وينتهى بداخله ، ثم : (الاجتهاد) الذى يعمل عند غياب النص وافتقاده ؛ فلا يُحَدُّ بحدٍّ ، ولا يُقَيَّدُ بإطار ، اللهمّ إلا استضاءته بالنصوص الأخرى واسترشاده بها ؛ وذلك ضمانًا لسلامته من التعارض والتناقض اللذين يتأدّى عنهما بطلانه وعدم قَبُوله[1] .

وهو ذات القيد الذى يشير إليه الشنقيطى بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالف النص ؛ فهو اجتهاد باطل ، لأن نصوص الكتاب والسُّنة حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائنًا مَنْ كان[2] .

المطلب الخامس

أنـــواع الــرأى

وتتمثل أنواع الرأى عند الشنقيطى فى تلك الحالات الثلاث التى ساقها على لسان الأصوليين بشأن تقسيمهم للتأويل على النحو التالى :

١ - التأويل الصحيح :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول : (التأويل القريب) وذلك بأن يكون صَرْفُ اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر يدل على ذلك كقول رسول الله ﷺ

---

(١) راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان - الشنقيطى ٧/٥٤٧ .

الثابت فى (الصحيح) : «الجارُ أَحَقُّ بِصَقَبِه» الحديث[1] فإن ظاهره المتبادر منه هو (ثبوت الشُّفْعَةِ للجار) غير أن حمل الجار فى هذا الحديث على خصوص (الشريك المقاسم) حَمْلٌ له على محتمل مرجوح ، إلاّ أنه دَلّ عليه الحديث المُصَرِّح بأنه : «إذا صُرِفَتْ الطرق ، وضُرِبَتْ الحدود ؛ فلا شُفْعَةَ» الحديث[2] .

ب - التأويل الفاسد :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول بـ : (التأويل البعيد) وذلك بأن يكون صَرْفُ اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً ، غير أنه ليس بدليل فى نفس الأمر ، وقد مَثّلَ له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى المرأة فى قوله ﷺ : «أيما امرأة نُكِحَتْ بغير إذن وَلِيِّهَا ؛ فنكاحها باطل باطل» الحديث[3] على المكاتبة والصغيرة ، ومنه حمله أيضًا رحمه الله تعالى المسكين فى قول الله تعالى : ﴿ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ الآية[4] على (المُدّ) حيث أجاز إعطاء ستين مُداً لمسكين واحد[5] .

جـ - التأويل الباطل :

وهو ما يُسَمَّى أيضًا عند أهل الأصول بـ : (اللَّعِب) وذلك بأن يكون صَرْف اللفظ عن

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيه (كتاب) الحِيَل (باب) احتيال العامل لِيُهْدَى إليه - (طبع بيروت) .

والصَّقْب والصَّقَب : هو الطويل من كل شيء ، وقيل : هو العمود الطويل الذى يُعْمَدُ به البيت ويكون فى وسطه ، وأما قولهم : (مكان صَقَب وصَقِب) أى قريب ، وفى الحديث : «الجارُ أحَقُّ بصَقَبِه» قال ابن الأنبارى : أراد بالصَّقَب الملاصقة والقُرْب ؛ والمراد به : الشُّفْعَة ؛ فكأنه أراد به ما يليه أى ما يجاوره ويقترب منه - انظر مادة (صَقَب) فى لسان العرب : ٤/ ٢٤٦٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) البيوع (باب) بيع الشريك من شريكه - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه الترمذى فى سُننه (كتاب) النكاح (باب) ما جاء لا نكاح إلا بوَلِيّ - (طبع بيروت) - وأخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) النكاح (باب) فى الوَلِيّ - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند الأنصار) - حديث رقم (٢٣٨٥١) - (طبع بيروت) .

(٤) المجادَلة : ٤ .

(٥) المُدُّ : هو نوع من المكاييل يساوى ربع صاع ، وهو مقدار مُدِّ النبيّ ﷺ والصاع خمسة أرطال ؛ وعليه فَيُقَدَّرُ المُدُّ برطلٍ وربع الرَّطْل ، وقيل : الصاع أربعة أرطال ؛ وعليه فيُقَدَّرُ المُدُّ بِرطْلٍ واحد ، كما قيل : إنّ المد رِطْل وثلث عند الشافعى وأهل الحجاز ، ورطْلاَن عند أبى حنيفة وأهل العراق .

وفى حديث فضل الصحابة ﷺ : «ما أدْرَكَ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه» وقيل : إن أصل المد مُقدّر بأن يَمُدَّ الرجل يديْه فيملأ كفيه بالطعام ، وإنما قُدِّرَ بربع الصاع لأنه كان أقل ما يتصدقون به فى العادة ، والمفرد (مُدٌّ) والجمع (أَمْدَادٌ ومِدَدٌ ومِدَدَةٌ ومِدَادٌ كثيرة) انظر مادة (مَدَدَ) فى لسان العرب : ٥/ ٤١٥٦ .

ظاهره لا لدليل أصلاً كقول بعض الشيعة فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآية[1] يعنى أم المؤمنين عائشة ﵂ .

وإلى أنواع التأويل الثلاثة التى أوردها الشنقيطى يشير صاحب (مراقى السُّعود) بقوله :

حَمْلٌ لظاهر على المرجوح ... واقسمْهُ للفاسد والصحيح
صحيحُهُ وهو القريب : ما حُمِل ... مَعَ قوة الدليل عندَ المُستدل
وغيره : الفاسدُ والبعيد ... وما خَلا : فـ (لَعِبًا) يُفيد

إلى أن قال :

فَجَعْلُ مسكين بمعنى (المُدّ) ... عليه لائحٌ سمات البُعْد
كَحَمْلِ مَرْأة عَلَى الصَّغيرَه ... وما يُنَافى الحُرَّةَ الكَبيرَه
وَحَمْلِ ما وَرَدَ فى الصِّيَام ... عَلَى القَضَاءِ مَعَ الالتِزَام[2]

• **خلاصة موقف الشنقيطى:**

وهكذا يتلخص موقف الشنقيطى من التفسير بالأى من خلال قوله بمشروعيته لِمَنْ اتفقت له وسائله وأدواته المعروفة ، وفى إطار ضوابطه وشروطه المعتبرة ، وهو ما يؤكده من خلال رده على دعوى متأخرى الأصوليين من (أن الاجتهاد قد انقرض ، وأنّ بابه قد اسند ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك مجتهد قبل ظهور المهدى المنتظر) وعندئذ ينبرى للرد على هذه الدعوى مبطلاً إياها بقوله :

وهذا صريح فى أنهم حاكمون على الله العلىّ القدير الذى كل يوم هو فى شأن[3] بأنه لا يَخْلُقُ مجتهدًا قبل المهدى من مدة انقراض الاجتهاد المزعوم ؛ ولا شك أنك يا أخى إنْ لم يُعْمِكَ التعصب المذهبىّ فإنك تقطع بأنه لا مستند له ؛ لأن النبىّ ﷺ قد ثبت عنه فى (الصحيحين وغيرهما) أنه قال : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ؛ لا يضرهم

(١) البقرة : ٦٧ .

(٢) راجع فى أنواع التأويل الثلاثة كلاً من :

- أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٢٩-٣٣١ .
- نشر البنود على مراقى السُّعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ١/٢٦٩-٢٧٣ (حيث نص الأبيات وشرحها الذى نقل عنه الشنقيطى) .

(٣) هذا اقتباس من قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن : ٢٩ .

مَنْ خَذَلَهُمْ حتى يأتى أمر الله» الحديث[1] وهو حديث مشهور متفق عليه ، ولا نزاع فى صحته .

ومن ثم ؛ فإن دعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد ألبتة ، وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدى المنتظر ؛ مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتًا لا مطعن فيه عن النبىّ ﷺ ومما لا نزاع فيه أن كل ما يناقض الحق فهو الضلال ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الآية[2] والعلم عند الله تعالى[3] .

- **رأى البحث :**

إنّ الشنقيطى وإنْ كان قد ذهب إلى القول بمشروعية التفسير بالرأى وجوازه ؛ إلاّ أننا نرى القول بوجوبه ولزومه ، وذلك متى اقتضته الضرورة ، وكلما دعتْ إليه الحاجة ؛ لأنّ من أهم مقاصد المفسِّر الكشف عن مراد الله تعالى فى تنزيله الحكيم ؛ بما تنصلح به حياة الأمة، وبما يتقوّم به سلوك العباد ، وبكل ما يعترى ذلك من تغيرات ، وما يَرِدُ عليه من تطوراته ، فى مختلف الأمصار ، وشتى الأعصار .

ومن ثم ؛ فليس ثمة شك فى أن الرأى مطلوب لمواكبة كل تغير ، ومسايرة كل تطور ، بل إن الرأى لابد وأن يكون مستمرًا باقيًا فى هذه الأمة استمرار وبقاء هذه الحياة ذاتها ، وهذا ما يوافقنا فيه المحققون من العلماء المعتبرين بشأن ما ذهبوا إليه من قولهم بوجوب الرأى ولزومه ، ونكتفى فى التمثيل لهم بذكر اثنين من جِلّتهم تنبيهًا بهما على غيرهما ، ألا وهما :

١ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

حيث يقول فى ذلك ما نصه : وهذا هو الواجب على كل أحد ؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علْمَ له به ، فكذلك يجب القول فيما سُئِلَ عنه مما يعلمه ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية[4] ولما جاء فى الحديث المروىّ من طرق :

---

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) فرض الخُمْس (باب) قول الله تعالى : ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال: ٤١ - (طبع بيروت) - وأخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإمارة (باب) قوله ﷺ : «لا تزال طائفة» - واللفظ لمسلم - (طبع بيروت) - كما أورده السيوطى فى جامع الأحاديث من رواية معاوية رضي الله عنه : ٧/١٩٦ - حديث رقم (٢٥١١٣) .

(٢) يونس : ٣٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٥٨١ (بتصرف يسير) .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

«مَنْ سئل عن عِلْمٍ فكتمه ؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار» الحديث[1] والله سبحانه وتعالى أعلم[2] .

٢ - الشيخ محيى الدين الكافيجى :

حيث يقول فى ذلك ما نصه : وأما التفسير بالرأى فيما يحتاج الناس إلى معرفة ما يتضمنه اللفظ من وجوب الاعتقاد والعمل ؛ فأمر ورد الشرع بإيجابه فضلاً عن الجواز[3] .

* * *

•• حصيلة القول :

وهكذا نرى كيف أن تفسير القرآن بالرأى عند الشنقيطى يمثل المحور الثانى ، بل ويأتى فى المرحلة التالية ، لتفسير القرآن بالمأثور ، وهذا ما نتفق معه فيه على وجه العموم من خلال احتكامنا إلى ما سبق أن فصّلنا فيه القول بشأن رأينا فى (مصطلح الرأى) من حيث اقترانه وتلازمه ، بل ترابطه وتكامله ، مع (مصطلح المأثور) واللذين يمثلان طرفىْ (معادلة التفسير) التى يشهد لها واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيدها ما عليه عمل المفسِّرين أنفسهم ، وذلك من لدن عصر تابعىْ التابعين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها[4] وهو ما يتفق فى ذات الوقت أيضاً مع ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين ، بل ويبدو مترجمًا بصورة فعليّة عند الشنقيطى من خلال تطبيقه العملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) سبق تخريج الحديث ص   من هذا البحث .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيميّة ص ٥٥ .

(٣) التيسير فى قواعد علم التفسير : محيى الدين الكافيجى - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) - (تفسير) .

(٤) راجع تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

المبحث الثانى

التطبيق العملى

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - **المطلب الأول** : أخــذه بـــرأى عالـــم واحد .

٢ - **المطلب الثانى** : أخذه بما اتفقتْ عليه آراء العلماء .

٣ - **المطلب الثالث** : أخذه بما تعدَّدتْ فيه آراء العلماء .

ونعنى بـه ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبـعه الشنقيطى فى تفسير القـرآن بآراء العملاء ، والذى يُجَسِّدُ من خلاله تطبيقه العملىّ على ما ذهـب إليه فى تقـعيده النظرىّ ، وقد تمثل هـذا السلوك الفـعلىّ فى طرقٍ ثلاثٍ نَعْرِض لتفـصيل شواهدها من خـلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

أخذه برأى عالمٍ واحدٍ

ومـن ذلك أخذه برأى أبى عبـد الله القرطبىّ فيما ذهب إليه من أن مـعنى (الحُجَّة) فى قول الله تعـالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ الآية[1] إنما يشمل جـميع الاحتجاجـات التى واجه بها نبىُّ الله إبراهيمُ على نبينا وعليه الصـلاة والسلام قومَه ، ذلك الشمول الذي يقول عنه الشنقيطي ما نصه:

وهذه الحُجَّـة هى قول الله تعـالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ الآية[2] وقد صدَّقه الله تعالى وحكَـمَ له بالأمن والهداية فقـال سبـحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الآية[3] .

والظاهـــر : شمول هذه الحُجَّة لجميع احتـجاجاته عليهم كما جاء ذلك على لسانه فى قـول الله تعـالى : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ الآية[4] لأن الأُفُـول الواقع فى كـل من الكوكب والشمس والقمر هو أكبر دليل ، بل وأوضح حُجَّةٌ على انتفاء الربوبيّة عنها ، وقـد استدل إبراهيم على نبينا وعليه الـصلاة والسلام بهذا الأفول على انتفـاء الربوبيّة فـى قوله : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ فعـدم إدخـال هـذه الحُجَّة فـى قـول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ غير ظاهر ؛ وبمـا ذكرنا من شـمول هذه الحُجَّـة لجميع احتـجاجاته المذكورة صَـدَّرَ القرطبىُّ ، والعلم عند الله تعالى[5] .

المطلب الثانى

أخذه بما اتفقتْ عليه آرآء العلماء

ومن ذلك أخـذه بما اتفق عليه العـلماء من رفع الحـرج على الحاج إذا أراد أن يُحَـصِّلَ

(١) الأنعام : ٨٣ .
(٢) الأنعام : ٨١ .
(٣) الأنعام : ٨٢ .
(٤) الأنعام : ٧٦ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٢ .

ربحًا عن طريق تجارة أو نحوها شريطة ألاّ ينشغل بذلك عن أداء المناسك ؛ حيث أخذ الشنقيطىُّ بذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية[1] فيقول ما نصه : وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج إذا ابتغى ربحًا بتجارة فى أيام الحج ؛ إنْ كان ذلك لا يشغله عن شىء من أداء مناسكه[2] .

وإذا كان الشنقيطى قد أخذ فى ذلك بما أجمع عليه علماء التفسير ، إلاّ أنه يأخذ فى أحيان أخرى بما اتفق عليه بعض العلماء ، حيث يعبّر عن ذلك بقوله : (قال بعض العلماء) أو : (قال بعض أهل العلم) ومن ذلك ما صَـرَّحَ به الشنقيطى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ⑧ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ الآيتان[3] حيث يقول ما نصه :

قال بعض أهل العلم : الآية الأولى التى هى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية[4] نازلة فى الأتباع الجَـهَلَة الذين يجادلون بغير علم ؛ اتباعًا لرؤسائهم ، من شياطين الإنس والجن ، وهذه الآية الأخيرة فى الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين فى ذلك ، ويدل لهذا أنه قال فى الأولى : ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ ﴾ وقال فى هذه : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فتبيّن أنه مضل لغيره ، متبوع فى الكفر والضلال .

كما قال بعض العلماء فى قول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى بدون علم ضرورى حاصل لهم بما يجادلون به ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا هُدًى ﴾ أى استدلال ونظر عقلى يهتدى به العقل للصواب ، وقوله تعالى : ﴿ وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ أى وحى نيِّر واضح يَعْلَم به ما يُجَادِل به ، فليس عنده علم ضرورىّ ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلىّ ، ولا علم من وحى ، فهو جاهل مَحْض من جميع الجهات ، وقوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ حال من ضمير الفاعل المُسْتكنّ فى ﴿ يُجَادِلُ ﴾ أى يخاصم بالباطل فى حال كونه ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾ أى لاَوِيَ عنقه عن قَبُول الحق استكبارًا وإعراضًا[5] .

---

(١) البقرة : ١٩٨ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٤٨٩ .
(٣) الحج : ٨-٩ (آيتان) .
(٤) الحج : ٣ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٣٩-٤٠ .

المطلب الثالث

أخذه بما تعدّدتْ فيه آراء العلماء

ومن ذلك أخذه بما تعدّدت فيه آراء العلماء فيـما ذهبوا إليه بشأن معنى (سُرَادِق) من أنه السور أو الدخان أو البـحر المحيط ، حيث يَرُدُّهَا جـميعها فى النهـاية إلى شىء واحد وهو (إحْدَاق النار بالكـفار من كل جانب) وهـذا مـا صَرَّحَ به فـى مَـعْرِض تفسـيره لقـول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الآية[1] حيث يقول ما نصه :

وأما المراد بـ (السُّـرَادِق) فى الآية الكريمة ففيه للعلمـاء أقوال مرجعـها إلى شىءٍ واحد وهو (إحداق النار بهم من كل جانب) فمـن العلماء مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى سورها كما قاله ابن الأعـرابى وغيره ، ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى عنق يخرج من النار فيـحيط بالكفار كالحظيـرة كما قـال الكلبىّ ، ومنهـم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أى دخان يحيط بـهم وهو المذكور فى قـول الله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ الآيتان[2] وفى قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ الآيتان[3] ومنهم مَنْ يقول : ﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ أي البحر الذى يحيط بالدنيا[4] .

---

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) المرسلات : ٣٠-٣١ (آيتان) .

(٣) الواقعة : ٤٣-٤٤ (آيتان) .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٩٤ .

المبحث الثالث

التعقيب

وينتظم الملاحظات الخمس التالية :

١ - الملاحظة الأولى : تخصيص الرأى .

٢ - الملاحظة الثانية : قِسْمَا الرأى .

٣ - الملاحظة الثالثة : الخلط فى الرأى .

٤ - الملاحظة الرابعة : ألفاظ الرأى .

٥ - الملاحظة الخامسة : غياب بعض أدلة الرأى .

وبعد أن عرضنا لمنهج الشنقيطىّ فى تفسير القرآن بآراء غيره من العلماء ؛ فإنه يمكننا أن نرصد من خلال هذا التعقيب الملاحظات الخمس التى تَرِدُ على ذلك فيما يلى :

الملاحظة الأولى

تخصيص الـــــرأى

وجدير بالذكـر أن نشير هنا إلـى أن ما تناولناه من تفسـير الشنقيطـى للقرآن بالرأى إنما يختص بآراء غيـره من العلماء المحققين ، وسالفـيه من المفسرين المعتبـرين ، الذين عَرَضُوا لمثل ما يَعْـرِض له من الآيات بالتفسـير ؛ ومن ثم فقد اعـتمد آراءهم ، وأخـذ بأقوالهم ، بشروط الرأى المعروفـة ، وضوابطه المعتبرة ، وذلك على امتـداد عصور التفسير المـتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المخـتلفة ، بَدْءًا بعصر تابعىّ التابعين ، وإنتهاءً بعـصره الذى كان يعيش فيه .

أما رأيه هو فيـما يَعْرِض له من الآيات بالتفـسير ؛ فذلكم ما سـوف نتناوله من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثانية

قسما الـــــرأى

ومن البدهىّ أن يشتـمل ما يحشده المفـسِّر من الرأى فى تفسيره علـى كل من القسمين التاليين :

١ - آراء السابقين عامة :

وتتمثل فى آراء السالفين ، من العلـماء المعتبرين ، والتى يعتمدها المفـسِّر ، ويأخذ بها فى مَعْرِض مـا يتناوله من الآيات بالتفسـير ، وذلك من لدن عصر تابعى التـابعين ، وحتى عصره الذى يعيش فيه .

لأن آراء أولئك العلماء السابقين ، وإنْ كـانت تُعَدُّ من المأثور (بمعناه اللغوىّ) الذى يدل على (مـجرد النقـل) إلا أنها تخـتلف عن المأثور (بمعناه الاصطلاحـىّ) والذى ينحصـر فى المحاور الثلاثـة المحدَّدَة بكل من (الكتاب) و (السُّنة) و (آثار الصحـابة والتابعين ﷺ) ومن ثم فإنـــه ينبغـى التـفريق بين المأثور (بمعناه الاصطلاحى) والـتفسـير بآراء السـابقين (بمعناه اللغوىّ) .

ب - رأى المفسِّر خاصة :

ويتمثل فيمـا يُنْتِجُه المفسِّر نفسه من جملة الآراء التفسـيرية ، والتى تعبّر فى المقام الأول عن رأيه الخاص ، وتُبَلْوِر نظرته الذاتية ، فيما يتناوله من قضـايا التفسير ، وفيما يَعْرِض له من مسائلـه المختلفة ، لأنه من البداهة بمكان أن يَعْـمَد هذا المفسِّر أو ذاك إلى مـا أنتجه من رأى خاص ، وما بَلْوَرَه من نظرة ذاتية ؛ ليـضيفهما بصورة طبيـعية ، وسلوك تلقائى ، إلى رصيد ما قبله من آراء السابقين الخاصة ، ونظراتهم الذاتية كذلك .

ومن ثم ؛ فإن رأيه هذا سـيُعَدُّ بدوره بمثابة تـفسيراً بالرأى لغـيره من اللاحقين ، فيـما يتعلق بهذه المسألة ، أو تلك القـضية ، وهكذا دواليك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ، وهذا مـا طبَّقه الشنقيطى بصورة عـملية فى تفسيره ، فكمـا أنه أخذ بآراء السالفين عليه من العلماء المعـتبرين من خلال (التفـسير بالرأى) كما سبق أن عَـرَضْنَا له ؛ فإننا نجده يَعْمَد كذلك إلى رأيه الخاص ، ويعتبر نظرته الذاتية ، فيما يتناوله من الآيات ، وما يَعْرِض له بالتفسير ، وذلك من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) كـما سيأتى ذكرهما فى موضعهما من البحث .

الملاحظة الثالثة

الخلـط فـى الـرأى

رأينا فيما سبق كيف أن الرأى عند الشنقيطى يتنازعه محوران رئيسان تمثلا فى موقفه من كل من : (التأويل) و (الاجتـهاد) بأدلتهمـا المعتبرة من الكتاب والـسُّنة والآثار ، فضلاً عن المعروف عنده من ضوابطهما وشروطهما وأنواعهما .

والحق أننا نخـتلف مع الشنقـيطى بشأن هذين المحـوردين اللذين يمثـلان الرأى عنده ؛ وذلك لما نراه من الخلط الحادث عنده بين (التـأويل) كأصل ، و (الاجتهـاد) كفرع ؛ وذلك لأن (التأويل) إنما يمثل فى رأينا الأساس الذى ينطلق منه (التفسير بالرأى) بل ويعتمد عليه ، فيما يتوصل إليه من آراء ، أو يتمخض عنه من نتائج، من خلال محورىْ التأويل التالين :

أ - المحور الأول (الاستنباط) :

ونعنى به حقيقة ما يمكن أن ينتهى إليه معنى كلٍّ من اللفظ القرآنى المفرد ، وكذا الجملة القرآنيـة المركبة، وذلك من خلال أقـصى ما يحتـملانه من مدلول غيـر مباشر ، وأبعـد ما يعطيانه من إيحـاء غير منظور ؛ وعليه فـإن (التأويل) إنما يتوجه من خـلال محوره هذا إلى استنطاق النص بأقصى ما يمكن الوصول إليه من مدلول ، وأبعد ما يعطيه من إيحاء .

ب - المحور الثانى (الاجتهاد) :

وهو أعلى من الاستنباط فى الرتبة ، وتَالٍ له فى الترتيب ؛ لأن الاستنباط وإن كان يتوجه إلى النص الموجود وينحصر فيه ؛ إلا أنّ الاجتهاد يتعدى حدود النص ليقيس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض بذلك عن نتائج غير معروفة .

وبهذا يتأكد علو الاجتهاد على الاستنباط ؛ من حيث إن الاستنباط يبدأ بالنص وينتهى إليه ، أما الاجتهاد فيتجاوز النص ولا ينتهى إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه .

الملاحظة الرابعة

ألفاظ الرأى

تختلف ألفاظ الشنقيطى التى يعبّر بها عن مشروعية الرأى من موطن إلى آخر ، غير أنها تنتهى جميعها إلى قوله بجوازه وعدم منعه ، وفيما يلى نسوق بعض هذه الألفاظ المعبّرة عن ذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة، والتى تشمل كلاً من :

قوله : (واجتهاد العالم حينئذ لا وجه لمنعه) وقوله : (وكان جاريًا بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين) وقوله : (ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، فإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبّر لها ؛ ومن ثم فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إن كان الله تعالى قد أعطاه فهمًا يَقْدِر به على التدبّر) وقوله : (وتدبّر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به ، أمر لابد منه للمسلمين ، وقد بيَّن النبىّ ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس ؛ ولذا فإنّ الإعراض عن ذلك لَهُوَ من أعظم المناكر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدَى) .

وأخيرًا فقد نراه يصرّح بمشروعية الاجتهاد فيقول : (ومن الأدلة الدالة على مشروعية الاجتهاد) أو قد يبطل مَنْ يمنعه بقوله : (وهذا يدلّ على بطلان قول مَنْ منع الاجتهاد من أصله) .

فتلكم هى جملة الألفاظ التى عبّر بها الشنقيطى عن مشروعيّة التفسير بالرأى من خلال دورانها وتكرارها فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية[1] وذلك على مدار مائة وست وخمسين صفحة كاملة[2] .

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/٤٢٨-٥٨٣ .

الملاحظة الخامسة

غيابُ بعض أدلة الرأى

ونعنى بذلك عدم ورود هذه الأدلة على لسان الشنقيطى فى مَعْرِض استشهاده على قوله بمشروعية الرزى وجوازه ، وتتمثل هذه الأدلة فى ثلاث آيات قرآنية أشار الشنقيطى إلى واحدة منها ، فى حين لم يُشِرْ إلى الآيتين الأخريين ، وذلك على النحو التالى :

أ - الآية التى أشار إليها :

حيث أشار الشنقيطى إلى عزمه على تناول آية فى (سورة الحشر) تُوَضِّح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، وفى ذلك يقول ما نصه : وسنوضح غاية الإيضاح إنْ شاء الله تعالى فى سورة (الحشر) مسألة الاجتهاد فى الشرع ، واستنباط حكم المسكوت عنه من المنطوق به بإلحاقه به ، قياسًا كان الإلحاق أو غيره[١] .

غير أن الشنقيطى قد اْختَرَمَتْه المنيّة بتفسير آخر آية من سورة (المجادلة) وقبل تفسير سورة (الحشر) التى بدأ بها تلميذه الشيخ عطية محمد سالم الجزء الأول من (تتمة الأضواء)[٢] .

ولعل الشنقيطى كان يقصد بذلك إحدى آيتين فى سورة (الحشر) أما أولاهما فهى قول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ الآية[٣] وأما الثانية فقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية[٤] وهى أرجح من الآية الأولى .

ومما يقوِّى ما ذهبنا إليه أن الشيخ عطية محمد سالم قد عَرَض لموضوع (الاجتهاد) من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة ، وهو ذات الموضوع الذى عناه الشنقيطى من خلال تناوله لـ : (التفسير بالرأى)[٥] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/٥٧٨-٤/٥٩٩ .

(٢) حيث ينتهى الجزء السابع من (أضواء البيان) بتفسير قوله الله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ - فى حين يبدأ الجزء الأول من (تتمة الأضواء) أو (الثامن من الأضواء) بتفسير قول الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر : ١ .

(٣) الحشر : ٢ .

(٤) الحشر : ٢١ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٨/١٠٦ (الجزء الأول من التتمة) .

ب - الآيتان اللتان لم يُشِرْ إليهما :

١ - الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية[١] حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأي ؛ ومن ثم فقد أسقطها فى تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية[٣] .

٢ - الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ الآية[٤] حيث أغفل الشنقيطى تناول هذه الآية أيضًا من بين أدلته على مشروعية التفسير بالرأى ؛ ومن ثم فقد أسقطها فى تفسيره (أضواء البيان) بين قول الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ الآية[٥] وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية[٦] .

---

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) النساء : ٧٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٩٧ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٩٨ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ .

(٥) آل عمران : ١٨٦ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٦٣ .

(٦) آل عمران : ١٩٠ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٦٤ .

جِماع القول
فـــى هـــــذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصليْه ، حيث الفصل الأول المتعلِّق بتفسير الشنقيطى بالمأثور الذى يشمـل كلاً من : (القرآن - السُّنة - الآثار) ثم الفـصل الثانى المتـعلِّق بتفسـير الشنقيطى بالرأى الذى يعنى (تفسـيره للقرآن بآراء غيره من العلماء المحقـقين ، وسالفيه من المفسِّرين المعتبرين) فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - تمامُ المنهجية :

وهـو ما يتـمثل فى تمام منهـجيّة هـذه السِّمَة الأولى التى جمـع فـيها الـشنقيطى بين (التفـسير بالمأثور) و (الـتفسـير بالرأى) واللذين يمثلان (طرفىْ مـعادلة التـفسيـر) من حيث اقترانهما وتلازمهما ، فضلاً عن ترابطهما وتكاملهما ، على امتداد عصور التفسير المتتابعة ، وعبر مراحل تطوره المختلفة ؛ وهو ما يشهد له واقع التفسير ذاته ، بل ويؤيده ما عليه عمل المفسِّرين أنفسهم .

وليس ثمة شك فى أنّ مَنْ جمع فى تفـسيره للقرآن بين (تفسيـره بالمأثور) و (تفسيره بالرأى) فقد تمت منهجيته ، واكتـملت طريقته ؛ لأنه ليس بعد تفسير القرآن بالمأثور والرأى من شىء ، اللهمّ إلا رأيه الخـاص ، ونظرته الذاتية ، وهو مـا سوف نَعْـرِض له من خلال (استنباطاته) و (اجتهاداته) فى موضعهما من البحث .

٢ - أصالة التفكير :

وهى ما تتـمثل فى امـتداد هذا (الأصل الجـمعى) الذى سـبق أن أجمع عليه الـعلماء والمحققون ، وتَوَاضَعَ عليـه المفسِّرون المعتبرون ، من أن أعظم وأجلّ مـا يُفَسَّر به القرآن إنما هو القـرآن ذاته ، ثم يلى ذلك تفسـير القـرآن بسُنة رسول الله ﷺ ثم يلـى ذلك تفسـير القرآن بآثار السلف الصالح من الصّحابة والتابعين ﷺ وهذه هى المحاور الثلاثة الرئيسة التى يدور عليهـا (التفسـير بالمأثور) ثم يلى ذلك تفـسير القـرآن بـ (الرأى) بشروطه المعـروفة ، وضوابطه المعتبرة .

وهو ذات ما سبق لنا تأصيله على لسان كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة ، والشيخ محـيى الدين الكافيجـى ، من حيث نقلهمـا اتفاقَ العلماء المحـققين ، وتَوَاضُعَ المفـسِّرين المعتبرين ، على تفسير القرآن بالمأثور أولاً ، ثم تفـسيره بالرأى ثانيًا ؛ الأمر الذى تتأكد معه (أصالة تفكير الشنقـيطى) فضلاً عن (تمام منهجيته) من خـلال تناوله لهذا (الجمع بين المأثور والرأى) والذى يُعَدُّ السِّمَةَ الأولى من (سِمَات منهجه التفسيرى) .

وبهذا ينتهى هذا الباب

الباب الثانى

السِّمَة الثانية

التأصيل للعلوم العربية والإسلامية

وينتظم تمهيداً وسبعة فصول :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

• تمهيد : بين يدىْ هذا الباب :

يُعَدُّ هذا التأصيل هو السِّمَة الثانية من السِّمَات العامة لمنهج الشنقيطى بعد السِّمَة الأولى المتمثلة فى (الجمع بين المأثور والرأى) وقبل أن نشرع فى تناول هذه السِّمَة فإنه يجدر بنا أن نشير بين يدىْ ذلك إلى الأمور الأربعة التالية :

١ - المدلول :

حالما يفرغ الشنقيطى من السِّمَة الأولى التى جمع من خلالها بين المأثور والرأى ؛ فإنه يَعْمَد آنذاك إلى تصنيف ذلك الرصيد المجموع ، حيث يُنَعِم فيه النظر ، ويُجِيل فيه الفكر ، لينتهى به المطاف إلى إدراجه تحت أحد موضوعات العلوم العربية والإسلامية الشائعة فى تفسيره ؛ ومن ثم فإنّ ماهية هذه السِّمَة إنما تتمثل فى ذلك التأصيل الموضوعىّ لذلك الرصيد المجموع من المأثور والرأى .

٢ - المجال :

وبهذا المفهوم فإنه يمكننا تحديد مجال هذا التأصيل الموضوعىّ من خلال جملة الموضوعات التى يفرزها ذلك التصنيف ، والتى تشمل بدورها كلاً من الموضوعات السبعة التالية : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

حيث تنضوى هذه الآية أو تلك ، أو هذه المجموعة من الآيات أو تلك ، تحت موضوع هذا العلم أو ذاك ؛ الأمر الذى يحدّد مجالها ؛ ومن ثم يُمَهِّد لفهمها ، ويُعين على إدراك معناها .

٣ - المصطلح :

ويختلف مُسَمَّى هذا التأصيل الموضوعىّ هنا ، عن ذلك المصطلح المعروف عند المفسِّرين بـ :(التفسير الموضوعى) والذى يَعْمَد فيه المفسِّر إلى (تفسير القرآن الكريم على أساس موضوعاته ، حيث يجمع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ، ثم يضعها أمامه كمواد يُحَلِّلها ، ويَفْقَه معانيها ، ويُعَرِّف النسبة بين بعض وبعض ؛ فيتجلّى له حكمُها ، ويتبيّن له مَرْمَاهَا)[١] .

---

(١) محاضرات فى تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) : لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم شريف ص ٢٨٥ (بتصرف يسير) .

أما الشنقيطى فيتناول من خلال هذا التأصيل الموضوعى أحد الموضوعات السبعة المذكورة ، وذلك عند أول موضع يَعْرِض له من الآيات وَفْقَ ترتيبها التوقيفى فى سُوَرها ، وعندئذ يستقصى كل جوانبه ، ويُحَلِّله من شتى زواياه ، مستدعيًا فى ذلك سائر الآيات الأخرى التى تتصل بذات الموضوع .

حتى إذا فرغ من هذا انتقل إلى آية أخرى مما يندرج تحت موضوع علم آخر ، وهكذا دواليك وَفْقَ ما يقضى به الترتيب التوقيفى لآيات القرآن ، وفى حالة إذا ما عَرَضَتْ له إحدى الآيات التى سبق له استدعاؤها مع غيرها فى أول موضع لموضوعها ؛ فحينئذ يَعْمَد إلى إحالة هذه الآية على ذلك الموضع الأول ، تحاشيًا لإعادتها وتفاديًا لتكرارها .

وذلك بخلاف التفسير الموضوعى الذى لا يلتزم فيه المفسِّر بهذا الترتيب التوقيفى ، بل نراه يَعْمَد إلى تسمية جملة الموضوعات التى يحتويها القرآن ، ثم يبدأ فى تناولها موضوعًا تِلْوَ الآخر وَفْقَ الترتيب الذى وضعه هو ، وحسبما يقضى به التسلسل الذى يراه .

وبهذا يَتَّسِمُ التفسير الموضوعى بكونه تفسيرًا يختص بموضوعات مستقلة كالصلاة أو الزكاة أو الحج وغيرها مما يقوم كل منها بذاته ، بعيدًا عن سياق التفسير الكلى لآيات القرآن وسُوَره ، ودون التزام ترتيبها المصحفى الثابت ، أو الانتقال بينها وَفْقَ تتابعها المعروف .

ومن خلال هذا التوصيف يتضح الفارق المنهجىّ بين كل من : (التأصيل الموضوعى عند الشنقيطى) من حيث كونه داخل إطار تفسير القرآن بترتيب سوره وآياته ، و (التفسير الموضوعى عند غير الشنقيطى) من حيث كونه بعيدًا عن إطار تفسير القرآن بترتيب سوره وآياته .

٤ - الملاءمة :

ومما لا شك فيه أنّ التزام الشنقيطى من خلال هذا التأصيل الموضوعىّ بـ (الترتيب التوقيفىّ) للآيات فيه ما فيه من الملاءمة العلميّة ، فضلاً عن الملاءمة العمليّة ، ما يناسب مَنْ يطالع التفسير ، أو ينظر فيه بشىء من الترتيب والموالاة ؛ من حيث إلمامه بكل ما يتصل بهذا الموضوع أو ذاك عند أول موضع له فى القرآن ، متنقلاً من موضع إلى آخر حسب تسلسل الآيات ، ووَفْقَ سياق السُّوَر .

وفيما يلى نَعْرِض لهذا (التأصيل الموضوعىّ) من خلال هذه الفصول السبعة التى يختص كل فصل منها بأحد موضوعات العلوم السبعة الشائعة فى تفسير الشنقيطى .

الفصل الأول

علـــوم القـــرآن

ويتنظم تمهيداً وخمسة مباحث :

- **تمهيد** : الماهيّة والأهميّة .

• تمهيد : الماهية والأهمية :

وقبل أن نَعْرِض لعلوم القرآن عند الشنقيطى فإنه يجدر بنا أن نشير بين يدىْ ذلك إلى ماهية هذه العلوم وأهميتها ؛ وذلك بهدف بيان حقيقتها ، ومِن ثم الوقوف على موقعها من منهج الشنقيطى فى التفسير ، وهو ما نَعْرِض له على النحو التالى :

١ - الماهية :

الحق أنّ علوم القرآن ليست علمًا واحدًا قائمًا بذاته ، أو محددًا فى نفسه ، وإنما تمتد لتشمل طائفة من المعارف المتعددة ، وجملة من فروع العلوم المختلفة ، وليس ذلك إلاّ لأنها تختص بالقرآن العظيم ؛ ومن ثم فإن لها من الشمول والعموم ما للقرآن ذاته ، وهذا ما يتضح جليًا من خلال بعض هذه العلوم التى تتمثل فى كل من : (علم التنزيل - علم أسباب النزول - علم الجمع والترتيب - علم المكىّ والمدنىّ - علم الناسخ والمنسوخ - علم الرسم والقراءات - علم المحكم والمتشابه - علم دفع الشُّبَه وردّ المطاعن) .

إلى غير ذلك من العلوم التى بلغت جملتها سبعة وأربعين نوعًا عند الزركشى[1] ومن ثمانين إلى ثلاثمائة نوعٍ عند السيوطى[2] وأخيرًا سبعة وسبعين ألفًا وأربعمائة وخمسين نوعًا عند القاضى أبى بكر بن العربى[3] .

٢ - الأهمية :

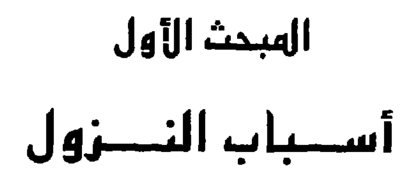
لقد بذل العلماء غاية جهدهم ، ووجّهوا بالغ طاقتهم ، للتوفر على هذه العلوم والعناية بها ؛ مما يعد من أعظم الأدلة وأظهرها على إدراكهم أهمية هذه العلوم ، وتقديرهم لفاعلية موقعها من التفسير .

وأنّى لا يكون ذلك ؟! وهى التى تمثل الوسيلة المهمة ، والأداة الجليلة ؛ لتحقيق غايةٍ أهمّ وأجلّ ، ألا وهى (تفسير القرآن العظيم) وذلك من حيث كونها تمهيدًا لفهم معناه ، ومَدْخَلاً للإلمام بمراده ومحتواه .

* * *

وفيما يلى نَعْرِض لموقف الشنقيطى من أشهر هذه العلوم ، بل وأكثرها دورانًا فى تفاسير غيره من العلماء عامة ، وفى تفسيره منهم خاصة ، وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

(١) البرهان فى علوم القرآن : الزركشىّ ١/ ١٢ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن : السيوطىّ ١/ ١٧ .
(٣) البرهان فى علوم القرآن : الزركشىّ ١/ ١٦ .



ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملىّ .

المطلب الأول

التقعيد النظرى

وينتظم القواعد الأربع التالية :

١ - القاعدة الأولى : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٢ - القاعدة الثانية : سبب النزول يُوَضِّح معنى الآية .

٣ - القاعدة الثالثة : صورة سبب النزول قطعية الدخول فى الحُكْم .

٤ - القاعدة الرابعة : تَعَلُّق الصحابى بسبب النزول له حُكْمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (أسباب النزول) كـقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، من (موضوعات علوم القـرآن) التى يُصنّفُ تحتها بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتـفسير ، وذلك من خلال القواعد الأربع التالية :

القاعدة الأولى

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

حيث يوافق الشنقيطى فى ذلك ما ذهب إليه جمهـور المحققين من العلماء المعتبرين من أنّ الآية وإنْ كانت نازلة فى شخص خاص بعينه ، أو واقعـة خاصة بعينها ؛ إلاّ أنّ حكمها يَعُمُّ سائر المسلمين، ويجرى على سائر الوقائع ، فى مـختلف الأعصار ، وشتى الأمصار ، وذلك بَدْءً بنزول هذه الآية أو تلك وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

وعلى هذا يقـيم الشنقيطى دلـيله من سُنّة رسول الله ﷺ قـائلاً ما نصـه : إن النبىّ ﷺ سئل عما معناه: هـل العبرة بعمـوم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ فأجاب بما معناه : « أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

فقـد قال البخـارى فى (صحيـحه) : حدثنا مـسدد ، حدثنا يـزيد بن زريع ، حدثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : أنّ رجلاً أصاب مـن امرأة قُـبْلَةً ؛ فأتى رسـول الله ﷺ فذكـر ذلك له ؛ فأنزلت عليـه : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ الآية[1] قال الرجل : أَلِى هذه ؟ فقال رسـول الله ﷺ : « لِمَنْ عَمِلَ بها مِن أمتى » وفى رواية فى (الصحيح) : « لجميع أمتى كلهم »[2] .

فهـذا الذى أصاب القُـبْلَةَ من المرأة نزلت فى خصـوصه آية عـامة اللفظ ؛ فقـال للنبى ﷺ : أَلِى هذه ؟ ومـعنى ذلك : هل هذا النص خاص بى لأننى سـبب وروده ؟ أو هو على عموم لفظه ؟ وقول النبى ﷺ له : « لجميع أمتى » معناه : أن العبرة بعموم لفظ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ لا بخصوص السبب ، والعلم عند الله تعالى[3] .

---

(١) هود : ١١٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) مواقيت الصلاة (باب) الصلاة كفّارة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحـه (كتاب) التوبة (باب) قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود : ١١٤ - (طبع بيروت) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٢٥٠ .

القاعدة الثانية

سببُ النزول يوضّح معنى الآية

وهذا ما يصرّح به الشنقيطى قائلاً ما نصه : ومعلوم أن الآية قد يتضح معناها ببيان سببها ؛ ومن ثم فقد علمت مما ذكرنا أنّ قول الله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ الآية[1] إنما بينته الآيات التى ذكرنا ببيان سببه .

فعلى القول الأول : (إنهم ضربوا عيسى مثلاً لأصنامهم فى دخول النار) فإن ذلك يفهم من أن سبب نزول الآية هو نزول قول الله تعالى قبلها : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية[2] لأنها لما نزلت قالوا : إنّ عيسى عُبِدَ من دون الله كآلهتهم ؛ فهم بالنسبة لما دلت عليه سواء ، وقد علمتَ بطلان هذا مما ذكرناه آنفًا .

وعلى القول الثانى : (إنهم ضربوا عيسى مثلاً لمحمد ﷺ فى أن عيسى قد عُبِدَ ، وأنه ﷺ يريد أن يُعبَد كما عُبِدَ عيسى ؛ فكون سبب ذلك سماعهم لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ الآية[3] وسماعهم للآيات المكيّة النازلة فى شأن عيسى يوضح المراد بالمثل .

وأما الآيات التى بينت قول الله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ الآية[4] فبيانها له واضح على كلا القولين ، والعلم عند الله تعالى[5] .

القاعدة الثالثة

صورة أسباب النزول قطعية الدخول فى الحكم

وفى ذلك يوافق الشنقيطى أيضًا ما أجمع عليه جمهور المحققين من العلماء المعتبرين من أنّ الصورة التى نزلت عليها هذه الآية أو تلك إنما داخلة بالقطع والتأكيد فى سبب النزول ، وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصه : واعلم أن جمهور علماء الأصول قد أجمع على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول ؛ ومن ثم فلا يصح إخراجها بمخصص[6] .

ولا يخالف هذا الإجماع سوى الإمام مالك الذى يرى أن صورة سبب النزول ظنّية الدخول وليست قطعية ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطى بقوله : روى عن مالك أن صورة سبب النزول ظنية الدخول ، وإليه أشار فى (مراقى السُّعود) بقوله :

---

(1) الزخرف : ٥٧ .
(2) الأنبياء : ٩٨ .
(3) آل عمران : ٥٩ .
(4) الزخرف : ٥٨ .
(5) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٦٢ .
(6) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٥٧٧ .

واجْـــزِمْ بإدخــــالِ ذواتِ السَّبَـــبْ   وارْوِ عَـــنِ الإمـــامِ ظنًّا تُصِـــبْ(1)

القاعدة الرابعة

تعلّقُ الصّحابىّ بسبب النزول له حكْمُ الرفع إلى الرسول ﴾

وهذا ما يجرى فيه الشنقيطى على ما قرره جـمهور المحققين من العلماء المعتبرين من أن تفسير الصحابة رضوان الله عليـهم أجمعين إذا كان يختص بسبب نزول هذه الآية أو تلك ؛ فإن لتفسيرهم هذا حُكْم رفعه إلى رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول ما نصه : والمقرر فى (علوم الحديث) أن تفسـير الصحابى الذى له تُعَلُّقُ بـ (سبـب النزول) له حكم الرفع ، كما عقده صاحب (طلعة الأنوار) بقوله :

تفســـيرُ صاحـــبٍ لـــه تَعَلُّق   بالسَّبَبِ ؛ الرَّفْعُ له مُحَقَّق(2)

وقد سبق أنْ فَصَّلْنا القـول بأدلته بشأن ما نراه من أنّ جميع أقـوال الصحابة رضوان الله عليهم أجـمعين لهـا حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ سواء مـا تَعَلَّقَ منها بأسـباب النزول ونحـوها مـن الأمور التـوقيفية خـاصـة ، أو ما تَعَلَّقَ منها بغيـر ذلك مـن الأمـور الأخرى عامـة .

* * *

وهكذا نرى كيف أن الشنقيطى يتـخذ من (أسباب النزول) قاعدة نظـرية ، وموضوعًا أساسيًا ، من موضوعات (علوم القـرآن) التى يُصنِّفُ تحتها بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسيـر ، وهو ما يبدو مترجمًا بصورة فـعلية من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التـقعيد النظرىّ .

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٥٧٧ .

ويقصد بقوله : (الإمام) أى مالك رحمـه الله تعالى ، وبقوله : (ظنًا) أى ما ذهب إليه الإمام مالك من قوله بـ (ظنية) دخول صورة النزول ، وعدم قوله بـ (قطعية) دخولها .

(2) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٠٦ .

ويقصد بقوله : (صاحـب) أى الصحابىّ ، وبقوله : (السبب) أى سبب نـزول الآية ، وبقوله : (الرفع) أى حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ وبقوله : (مُحقَّق) أى وجوب حكم الرفع .

المطلب الثانى

التطبيــق العملــىّ

وينتظم تطبيق القواعد الأربع التالية :

١ - القاعدة الأولى : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السـبب .

٢ - القاعدة الثانية : سـبب النـزول يُوَضِّح معنـى الآية .

٣ - القاعدة الثالثة : صورة سبب النزول قطعية الدخول فى الحُكْم .

٤ - القاعدة الرابعة : تَعَلُّق الصحابى بسبب النزول له حُكْمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما لها من (سبب النزول) حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العمليّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نذكر بعض أمثلة هذا السلوك الفعلىّ تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال تطبيق القواعد الأربع التالية :

تطبيق القاعدة الأولى

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ففى مَعْرِض تفسير لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية[1] نراه يوجّه معنى هذه الآية على ضوء عموم سبب نزولها الذى تقضى به قاعدة : (أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فيقول ما نصه : واعلم أن قول مَنْ رَدَّ الاستدلال بهذه الآية قائلاً : إنها نزلت فى الكفار لا فى المسلمين ، فإنّ قوله هذا مردود بأن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والعلم عند الله تعالى[2] .

تطبيق القاعدة الثانية

سبب النزول يوَضح معنى الآية

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الآيتان[3] نراه يعتمد فى إيضاح معنى هذه الآية على ذكر سبب نزولها الذى يثرى المعنى ويُوَضِّحُه ، والذى تقضى به قاعدة : (أن سبب النزول يوضح معنى الآية) فيقول ما نصه : نهى الله نبيه ﷺ فى هذه الآية الكريمة أن يقول : إنه سيفعل شيئًا ف المستقبل إلا مُعَلِّقًا ذلك على مشيئة الله الذى لا يقع شىء فى العالم كائنًا ما كان إلاّ بمشيئته جلّ وعلا .

فقوله تعالى : ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أى لا تقولنّ لأجل شىء تعزم على فعله فى المستقبل : إنى فاعل ذلك الشىء غدًا ، والمراد بـ (الغد) ما يُسْتَقْبَل من الزمان ، لا خصوص الزمان ؛ لأن من أساليب العربية : (إطلاق الغد على المستقبل من الزمان) ومن ذلك قول زهير بن أبى سُلْمَى :

وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ... ولكننى عَنْ عِلْمِ ما فى غَدٍ عَمِ

يعنى أنه لا يعلم ما يكون فى المستقبل ؛ إذ لا وجه لتخصيص الغد المعين بذلك .

(١) الفرقان : ٦٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٨٤ .

(٣) الكهف : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .

وقوله تعالى : ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أى إلاَّ قائلاً فى ذلك : إلاَّ أن يشاء الله (أى معلقًا بمشيئة الله) أو لا تقولنه إلاَّ بأن يشاء الله (أى إلاَّ بمشيئة الله) وهو فى موضع الحال (يعنى إلاَّ متلبسًا بمشيئة الله) قائلاً : (إن شاء الله) وهذا ما قاله الزمخشرى وغيره .

وأما سبب نزول هذه الآية الكريمة فهو أن اليهود قالوا لقريش : سَلُوا محمدًا عن (الرُّوح) وعن (رجل طَوَّافٍ فى الأرض) يعنون (ذا القرنين) وعن فِتيةٍ لهم قصة عجيبة فى الزمان الماضى) يعنون (أصحاب الكهف) .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « سأخبركم غدًا عمّا سألتم » ولم يقل : « إنْ شاء الله » فلبث عنه الوحى مدة (قيل : خمسَ عشرةَ ليلة ، وقيل غير ذلك) فأحزنه تأخر الوحى عنه ، ثم أنزل عليه الجواب عن الأسئلة الثلاثة ؛ حيث قال الله تعالى فى (الرُّوح) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية[1] وقال تعالى فى (الفتية) : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الآية[2] وقال تعالى فى (الرجل الطوّاف) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية[3] إلى آخر قصته[4] .

فإذا عرفتَ معنى هذه الآية الكريمة وسبب نزولها ، وأن الله تعالى قد عاتب نبيه ﷺ على عدم قوله : « إنْ شاء الله » لمّا قال لهم : « سأخبركم غدًا » الحديث[5] فاعلم أنه قد

---

(١) الإسراء : ٨٥ . (٢) الكهف : ١٣ . (٣) الكهف : ٨٣ .

(٤) ويعنى بذلك انتهاء قصة (ذى القرنين) عند قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف : ٨٣ - ٩٨ (ستَ عشرةَ آية) .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، وفى هذا الحديث يقول ابن حجر : وقع فى (سيرة ابن إسحاق) فى سببِ نزول «والضحى» شىء آخر : فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبىَّ ﷺ عن ذى القرنين ، والرُّوح، وغير ذلك ؛ وعدهم بالجواب ، ولم يستثن ؛ فأبطأ عليه جبريل اثنتى عشرةَ ليلة أو أكثر ، فضاق صدره ، وتكلم المشركون ؛ فنزل جبريل بسورة «والضحى» وبجواب ما سألوا وبقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الكهف : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) انتهى .

وذكر (سورة الضحى) هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان فى القصتين متقاربًا ؛ فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن فى ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى): لابن حجر العسقلانى ١٠/ ٧١٠ (كتاب) التفسير (باب) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ٣ - (طبع السلفية) .

كما ذكر ابن الجوزى هذا الحديث فى تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤ (آيتان) وأورده كذلك فى مَعرض تفسيره لسورة الضحى - انظر (زاد المسير): للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد المعروف بابن الجوزى ت (٥٩٧هـ = ١٢٠١م) - (٥/ ١٢٧ - ٩/ ١٥٤) - الطبعة ٣ - المكتب الإسلامى - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

دلت آية أخرى بضميمة بيان السُّنة لها على أن الله تعالى قد عاتب نبيه سليمان على عدم قوله : (إنْ شاء الله)[1] كما عاتب نبيه ﷺ فى هذه الآية على ذلك ، بل إنّ فتنة سليمان بذلك كانت أشد[2] .

تطبيق القاعدة الثالثة

صورة سبب النزول قطعية الدخول فى الحكم

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الآية[3] نراه يُوَجِّه معنى هذه الآية على ضوء ما تقضى به قاعدة : (أن صورة سبب النزول قطعيّة الدخول) فيقول ما نصه : يقول بعض أهل العلم : إنّ أزواج النبىّ ﷺ لا يدخلن فى أهل بيته المذكورين فى هذه الآية ؛ غير أنّ (قرينة السِّياق) هنا صريحة فى دخولهن ؛ لأن الله تعالى : قال : ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ ثم قال تعالى فى نفس خطابه لهنّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال تعالى بعده : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية[4] .

والتحقيق إن شاء الله تعالى : أنهن داخلات فى الآية ، وإنْ كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت ، أما الدليل على دخولهن : فهو ما ذكرناه آنفًا من أن (قرينة السياق) فى الآية صريحة فى أنها نازلة فيهن ؛ ثم لما هو مُجْمَعٌ عليه عند علماء الأصول من : (أنّ صورة سبب النزول قطعية الدخول) . ونظير ذلك من دخول الزوجات فى (اسم أهل البيت) قول الله تعالى فى زوجة نبىّ الله إبراهيم : ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية[5]

---

(١) ويعنى بذلك فتنة نبىّ الله سليمان الواردة فى قول الله تعالى : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ ص: ٣١ - ٣٥ (خمس آيات) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٧٥ - ٧٦ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) الأحزاب : ٣٤ .

(٥) هود : ٧٣ - وانظر : (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/ ٥٧٧ - ٥٧٨ .

تطبيق القاعدة الرابعة

تعلّق الصحابىّ بسبب النزول له حكمُ الرفع إلى رسول الله ﷺ

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية[1] نراه يُوَجِّه معنى هذه الآية على ضوء ما قال به الصحابىّ الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه وذلك عملاً منه بما تقضى به قاعدة : (أن قول الصحابىّ إذا كان له تَعَلُّق بسبب النزول فإنّ له حُكْم الرفع إلى رسول الله ﷺ) فيقول ما نصه :

لم يبيّن هنا هذا المكان المأمور بالإتيان منه ، والمُعَبَّر عنه بلفظة (حيث) ولكنه بيّن أنّ المراد به هو (الإتيان فى القُبُل) وذلك فى آيتين إحداهما : هى قول الله تعالى هنا : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ الآية[2] لأن قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا﴾ هو أمر بالإتيان بمعنى الجِمَاع ، وقوله تعالى : ﴿حَرْثَكُمْ﴾ يبين أن الإتيان المأمور به إنما هو في محل الحرث ، يعنى بذر الولد بالنطفة ، ولا يخفى أن ذلك لا يكون إلا فى (القُبُل) دون (الدُّبُر) لأنّ الدُّبُر ليس محلاً لبذر الأولاد كما هو ضرورىّ .

وأما الآية الثانية : فهى قول الله تعالى : ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية[3] لأن المراد بقوله تعالى : ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى الولد كما قال به الجمهور ، ومعلوم أن ابتغاء الولد لا يكون إلاّ بالجماع فى القُبُل ؛ فالقُبُل إذن هو المأمور بالمباشرة فيه (بمعنى الجِمَاع) وعليه فيكون معنى الآية : فالآن باشروهن ، ولتكن هذه المباشرة فى محل ابتغاء الولد (الذى هو القُبُل دون غيره) بدليل قوله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعنى (الولد) .

وبهذا يتضح لك أن معنى قول الله تعالى : ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يعنى أن يكون الإتيان فى محل الحرث على أى حالة شاء الرجل ، سواء كانت المرأة مُسْتَلْقِيَة أو بَارِكَة أو على جَنْب ، أو غير ذلك ؛ ويؤيد هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كانت اليهود تقول إذا جَامَعَها من ورائها جاء الولد أَحْوَل ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ الآية[4] .

فظهر من هذا أنّ جابراً رضي الله عنه يرى أن معنى الآية : فأتوهن فى (القُبُل على أية حالة

---

(1) البقرة : ٢٢٢ .
(2) البقرة : ٢٢٣ .
(3) البقرة : ١٨٧ .
(4) البقرة : ٢٢٣ .

شئتم ولو كان من وراها) وهو ذات ما نقول بـه ؛ لأن المقرر فى (علوم الحديث) أن تفسير الصحابىّ الذى له تعلق بسبب النزول له حُكْم الرفع إلى رسول الله ﷺ[1] .

* * *

وبعــد : فإنه يتضح لنـا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعـتمد (أسباب النزول) كـموضوع أساسـىّ مـــن موضوعـات (علوم القرآن) التى يُصنَّفُ الآية تحـته ، بل ويُوَجِّهُ مـعناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيد النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٢٠٥ - ٢٠٦ .

المبحث الثانى

الناسـخ والمنسـوخ

وينتظم المطلبين التالين :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرى .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملى .

المطلب الأول

التقعيد النظري

وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : خلاف العلماء .

٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .

ونغنى به موقف الشنقيطى من (الناسِخ والمنسُوخ) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، من (موضوعات علوم القرآن) التى يُصَنَّفُ تحتها بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

خلاف العلماء

ويمكننا حصر خلاف العلماء إزاء قضية (الناسخ والمنسوخ) من خلال عرضنا لجملة أقوالهم التالية :

١- قول السيُوطىّ:

يرى السيوطى أن أمثلة النسخ فى القرآن لا تتجاوزا فى جملتها عشرين موضعاً ، وسنعود إلى تحقيق قوله هذا من خلال عرضنا لموقف الشنقيطى من النسخ بعد قليل ، فضلاً عن إيراد تلك المواضع التى ذهب إليها فى كتابه (الإتقان) ورأى البحث إزاءها[1] .

٢ - قول الخضرىّ:

أما الشيخ محمد الخضرىّ فيبدأ حصر مواضع النسخ فى القرآن بتعريف النسخ أولاً فيقول : (والنسخ هو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعى ، وهو جائز عقلاً وواقع سَمْعاً فى شرائع ينسخ اللاحق منها السابق) وعقب هذا يَعْـمَد إلى حصر مواضع النسخ فى القرآن معقباً على ما ذهب إليه السيوطى فيقول : واختار السيوطى فى كتابه (الإتقان) أنها عشرون آية ، لكننا نرى أنها اثنتان وعشرون آية غير أن السيوطى قد أسقط منها موضعين فصار الباقى عنده عشرين موضعاً .

وهذان الموضعان هما قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ الآيات[2] وقد نُسِخَتْ بآخر السورة نفسها فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الآيه[3] وأما الموضع الثانى فهو قوله الله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ الآيه[4] وقد نُسِخَتْ بآية القِبْلَة فى قوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٣/ ٧٧ - النوع السابع والأربعون فى ناسخه ومنسوخه) - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .

(٢) المزمل : ١-٤ (أربع آيات) . (٣) المزمل : ٢٠ . (٤) البقرة : ١١٥ .

السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ الآيه[1] .

٣ - قول الدكتور مصطفى زيد :

وأما الدكتور زيد فيحصر دعاوى النسخ فى القرآن بما جملته مائتان وتسعون موضعاً غير أنه لم يصح منها عنده إلا تسعة مواضع ، منها أربعة مواضع نسخ للسُّنَّة تتمثل فى كل من : (نسخ القِبْلَة الأولى - نسخ جواز الكلام فى الصلاة - نسخ وجوب صوم عاشوراء - نسخ حرمة الأكل وقربان النساء على مَنْ نام فى رمضان قبل أن يفطر) ثم خمسة مواضع أخرى عبارة عن نسخ للقرآن وتتمثل فى كل من :

١ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية[2] بقوله تعالى : ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية[3] .

٢ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية[4] بقوله تعالى : ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية[5] .

٣ - نسخ قول الله تعالى : ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ الآية[6] بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الآية[7] .

٤ - نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢)﴾ الآيتان[8] بقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ الآية[9] .

٥ - نسخ قول الله تعالى : ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ الآية[10] بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية[11] .

وقد انتهى الدكتور زيد إلى أن دعاوى النسخ الأخرى لم تتوفر لها شروطه ، فضلاً عن أنه لم يقم دليل صحيح على وقوعه فيها ؛ ومن ثم فلم تزد مواضع النسخ عنده فى القرآن

---

(١) البقرة : ١٤٤ - وانظر (أصول الفقه) : للشيخ محمد الخضرى - ص (٢٥٠ - ٢٥٧) - الطبعة ٧ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

(٢) الأنفال : ٦٥ . (٣) الأنفال : ٦٦ . (٤) المجادلة : ١٢ .

(٥) المجادلة : ١٣ . (٦) النساء : ٤٣ . (٧) المائدة : ٩٠ .

(٨) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) . (٩) المزمل : ٢٠ . (١٠) النساء : ١٥ .

(١١) النور : ٢ .

الكريم عن الآيات الخمس المذكورة[1] .

٤- قول الشيخ على حسب الله :

ويتمثل قوله فى تعقبه المواضع الخمسة التى يرى الدكتور مصطفى زيد وقوع النسخ فيها ، حيث ينتهى الشيخ حسب الله إلى القول بأن النسخ لا يكاد يقع إلا فى الموضعين الثالث والخامس منها مع أنهما مختلف فيهما ، أما المواضع الثلاثة الأخرى فيرى بطلان القول بوقوع النسخ فى أىٍّ منها ، وإزاء توضيح ما ذهب إليه بشأن المواضع الخمسة المذكورة نراه يَعْرِض لكل موضع منها على حدة فيقول :

١- لا نسخ بين آيتىْ الأنفال فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية [2] وقوله تعالى : ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية [3] ذلك لآن الآيتين متصلتان ، ولم يقم دليل على أن الثانية منهما تأخر نزولها حتى عُمِلَ بالأولى ، بل نزلت سورة الأنفال بما فيها من أحكام القتال عند انصراف رسول الله ﷺ من غزوة بدر ، وما قبل هاتين الآيتين وما بعدهما متعلق بأحداث هذه الغزوة ، وقد كان أمر الإقدام على الحرب أو الإحجام عنها حتى غزوة بدر موكولاً إلى تقدير رسول الله ﷺ والمسلمين بصرف النظر عن عدد المقاتلين من الفريقين المتحاربين ؛ ولهذا فقد وقع التشاور عند السَّيْر إلى هذه الغزوة .

كما أن أول السورة عبارة عن عرض للسؤال عن الغنيمة قبل تقسيمها ، أما أواخرها فعبارة عن خطاب للأَسْرَى المفادين قبل عودتهم إلى أهليهم وذلك فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾ الآيتان[4] والقائلون بالنسخ هنا يعترفون باتصال الآيتين حين يقررون أن الثانية هى القرينة على أن الأولى خبر فى معنى الأمر .

ولهذا لا نستطيع القول بأن فى الآية الأولى تكليفاً نَسَخَتْه الثانية ؛ فذلك بَدَاء يتنزَّه عنه العليم الحكيم ، بل نقرر أن الآية الأولى سِيقَتْ للتحريض على القتال ؛ ولهذا فقد بُدِئَتْ بقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ ومن ثم فهى كقول المعلم الذى يريد أن يحث تلميذه على المذاكرة ، ويَعُدَّه ليتقبل ما سيكلفه به فيخاطبه قائلاً : (إنك بما أعهده فيك من ذكاء وحب للعلم تستطيع أن تذاكر مائة صفحة من هذا الكتاب كل يوم) ثم يتبع ذلك قائلاً : (ولكنى أخفف عنك فلا أكلفك هذا الذى تقدر عليه لأنى أعلم أن عليك من العلوم الأخرى ما يحتاج إلى المذاكرة ؛ فالآن ذاكر عشرين صفحة فقط كل يوم) .

---

(١) النسخ فى القرآن الكريم : د. مصطفى زيد - ص ٨٠٥ - الفقرات (١٢٠٨ - ١٢٦٤) - الطبعة ١- الناشر : دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م .

(٢) الأنفال : ٦٥ . (٣) الأنفال : ٦٦ . (٤) الأنفال : ٧٠ - ٧١ (آيتان).

وهنا قد يخشى فى أول الكلام أن يكلّفه معلمه بمذاكرة مائة صفحة كل يوم فيشق عليه ذلك، لكنه لم يلبث أن يسمع بقية كلام معلمه بالتخفيف عنه إلى عشرين صفحة فقط كل يوم؛ وعندئذ يطمئن إلى حُسْن تقدير معلمه فيتقبله راضياً، ويحس بما فى تكليفه من يُسْر ورحمة .

٢- لا نسخ بين آيتىْ المجادلة فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية[١] وقوله تعالى : ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية[٢] والقول فيهما قريب من قولنا فى آيتىْ الأنفال السابقتين ؛ ولذا فقد ألحقناهما بهما ، ولو سلمنا النسخ هنا فى آيتىْ المجادلة فإنه لا مجال إذن للكلام فى آن الآية الأولى محكمة أو غير محكمة فى حقنا ؛ لأن التكليف فيهـا متعلق بمناجاة رسول الله ﷺ وهى ما لا يتأتى بعد وفاته .

٣- إن نسخ قـول الله تعالى : ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ الآيـة[٣] بقـوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ الآية[٤] إنما ورد على مفهوم الإشارة ، وهـو غير مقصود بِسَوْق الكلام ، وأما مدلـول العبارة فهو باقٍ على إحكامه باتفاق .

٤- إن نسخ صدر سورة المزمل فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الآيتان[٥] بآخر آية فى السورة نفسها فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ الآية[٦] ليس إلا تكليفاً موجـهاً إلى رسول الله ﷺ وحده ؛ ومن ثم فلا مجال للكلام أنه محكم أو غير محكم فى حقنا .

٥- لم يَبْقَ بعـد هذا إلا نسخ قـول الله تعـالى : ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ الآيتان[٧] بقوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية[٨] ولأبى مسلم الأصفهانى فى الآية الأولى تأويل يخرجها عن أن تكون منسوخة[٩] .

---

(١) المجادلة : ١٢ . (٢) المجادلة : ١٣ . (٣) النساء : ٤٣ .
(٤) المائدة : ٩٠ . (٥) المزمل ١ - ٢ (آيتان) . (٦) المزمل : ٢٠ .
(٧) النساء : ١٥ . (٨) النور : ٢ .
(٩) أصول التشريع الإسلامى : للشيخ على حسب الله - ص (٢١٩- ٢٢٤) - بتصرف يسير - الطبعة ٦ - مطابع : المكتب المصرى الحديث - الناشر : دار المثقف العـربى - إشراف :أسرة مسجد السلام بالهرم - الجيزة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

● أبو مسلم الأصفهانى ت (٣٢٢هـ = ٩٣٤م) :

هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى المعتـزلى ، كان عالماً بالتـفسير وغـيره من فنون العلم وفروعه المختلفة ، كمـا اشتهر بجدله وبلاغته - انظر تفصيل ترجمـته فى (معجم الأدباء) : لياقوت الرومى الحموى ١٨/ ٣٥ .

المسألة الثانية

موقـــف الشنقيطى

والحق أن الشنقيطى يقف من النـاسخ والمنسوخ نفس موقف السيـوطىّ منه ، مع الأخذ فى الاعتبار بعض ما له من استدراكات على السيوطىّ فى ذلك .

فمواضع النسخ وإنْ كانت قد بلغت واحداً وعشرين موضعًا عند السيوطى كما تضمنتها أبياته العشـرة التى نظمها فى ذلك ، إلاّ أن الشنقيطى قـد استدرك عليه فى مـوضعين منها حيث قال بعدم النسخ فيهما ، وذلك من خلال شرحه لهذه الأبيات المذكورة .

هذا فضلاً عـن إيضاح الشنقيطىّ لموضعين وقع فـيهما نسخٌ للناسخ ، فى حـين اكتفى السيوطى فيهما بذكر الناسخ فقط دون ذكر ناسخه للمرة الثانية .

ومن ثم ؛ فإن جملة مواضع النسخ عند الشنقيطى تبلغ واحداً وعشرين موضعًا ، حيث شملت تسعةَ عشرَ موضعًا عند السيوطىّ، إضافة إلى الموضعين اللذين يذكر فيهما الشنقيطىّ (ناسخ الناسخ).

* * *

وما ذهب إليه الشنقـيطى هنا هو ذات ما يبدو مترجـمًا بصورة فعلية من خلال تطبـيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

المطلب الثانى

التطبيـــق العملـىّ

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : تسعةَ عشرَ موضعًا للنسخ .

٢ - المسألة الثانية : موضـــعان لنسخ الناسخ .

٣ - المسألة الثالثة : موضـــــــع تفصيلىّ .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما وقع فيهـا من (النسخ) حيث يُجَسِّدُ من خلال ذلك تطبيقـه العَمَلىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نَعْرِض لأمثلة هذا السلوك الفعلىّ من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تسعة عشر موضعًا للنسخ

وهى تلك المواضع التى أوردها الشنقـيطىّ من خـلال شرحه علـى أبيات السـيوطىّ ، وفيما يلى نسوق نص هذه الأبيات العشرة ، ثم نتبعه بشرح الشنقيطىّ عليها :

يقـول السيـوطىّ فى كتـابه : (الإتقـان فى علوم القرآن) فـيـما يخـتص بـ (الناسخ والمنسوخ) ما نصه:

قَدْ أكثرَ الناسُ[1] فى المنسوخ منْ عَدَدٍ ... وأدخلوا فـيـه آيًا[2] ليس تَنْحَصِرُ

وهَاكَ تَحْـريرَ آىٍ[3] لا مـزيدَ لـهـا ... عـشـرين حـرَّرَهَا الحُـذَّاقُ والكُبَـرُ

أىّ التَّـوَجُّـه حـيْث المَرْءُ كـانَ وأنْ ... يُوصى لأهليـه عـند الموت مُحْتَضِرُ

وحُـرْمَـةُ الأكلِ بـعـدَ النوم مَعْ رَفَثٍ ... وفـدْيَةٌ لمُطيقِ الـصـوم مُـشْـتَـهِـرُ

وحَقّ تقـواه فـيـمـا صَحَّ منْ أثرٍ ... وفى الحَـرامِ قـتـالٌ للأُولَى كـفـروا

والاعـتـدادُ بحَـوْلٍ مَع وَصِيَّـتِـهَـا ... وأنْ يُدَانَ حـديـثُ النفسِ والفكَرُ

والحَلفُ والحَـبْسُ للزانـى وتركُ أُولِى ... كُـفْـرٍ وإشـهـادُهم والصَّبـرُ والنَّفَـرُ

ومَنْـعُ عـقـد لـزَانٍ أو لزانيـة ... ومَا عـلى المصطفَى فى العَقْد مُحْتَظَرُ

ودَفْعُ مَـهْـرٍ لـمَنْ جـاءَتْ وآية نَجْ ... وَاهُ كـذاك[4] قـيـامُ الليلِ مُـسْـتَطَرُ

وَزيدَ آيةُ الاَسْـتـئـذانِ منْ مَلَكَتْ ... وآيةُ القِسْمَةِ الفُضْلَى لِمَنْ حَضَرُوا[5]

ويتناول الشنقيطى هـذه الأبيات بالشـرح موضحًا مواضـع النسخ التى اشتـملت عليها فيقول ما نصه:

---

(١) وردت فى الأضواء (مِنْ) وصوابها (فى) حتى يستقيم الوزن على بحر البسيط : (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) .

(٢) وردت فى الأضواء (أيا) وصوابها (آيًا) جمع (آيَة) .

(٣) وردت فى الأضواء (أى) وصوابها (آى) جمع (آيَة) .

(٤) وردت فى الأضواء (كذلك) وصوابها (كذاك) حتى يستقيم الوزن .

(٥) انظر نص هذه الأبيات العشرة فى كل من :

- الإتقان فى علوم القرآن : السيوطى ٣/ ٧٧ .
- أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٦٩٩ .

١ - قوله : (أىّ التوجّه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ الآية[١] منسوخ على رأى ابن عباس ﷺ بقوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية[٢] .

٢ - قوله : (وأن يُوصِى لأهليه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ الآية[٣] منسوخ كما حكاه ابن العربى بـآية المواريث ، وقيل بحديث : « لا وصية لوارث » وقيل : بالإجماع[٤] .

٣ - قوله : (وحُرْمَة الأكل بعد النوم مع رَفَث) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الآية[٥] المتضمن حرمة الأكل والجماع بعد النوم كما فى صوم مَنْ قبلنا ، منسوخ بقوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ الآية[٦] .

٤ - قوله : (وفِدْيَةٌ لِمُطِيق) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الآية[٧] منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية[٨] وقيل : إنّ هذه الآية مُحْكَمَة ، وإنّ (لا) مقدرة يعنى : (وعلى الذى لا يطيقونه) .

٥ - قوله تعالى : (وحقّ تقواه) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ الآية[٩] منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ الآية[١٠] وقيل : إنّ هذه الآية مُحْكَمَة .

٦ - قوله : (وفى الحرام قتال) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية[١١] وقوله

---

(١) البقرة : ١١٥ . (٢) البقرة : ١٤٤ و ١٤٩ (آيتان) . (٣) البقرة : ١٨٠ .

(٤) ويعنى بآية المواريث قول الله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء : ١١ - والحديث المذكور أخرجه الترمذى فى سُننه (كتاب) الوصايا (باب) ما جاء لا وصية لوارث - وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح - (طبع بيروت) - كما أخرجه أحمد فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٧٢١٣) - (طبع بيروت) .

(٥) البقرة : ١٨٣ . (٦) البقرة : ١٨٧ . (٧) البقرة : ١٨٤ .

(٨) البقرة : ١٨٥ . (٩) آل عمران : ١٠٢ . (١٠) التغابن : ١٦ .

(١١) البقرة : ٢١٧ .

تعالى : ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ الآية[1] منسوخان بقوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ الآية[2] كما أخرجه الطبرىّ عن عطاء بن ميسرة .

٧ - قوله : (والاعتداد بِحَوْل مع وَصِيّتها) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ الآية[3] منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية[4] .

٨ - قوله : (وأنْ يُدَانَ حديثُ النفس والفكرُ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية[5] منسوخ بقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية[6] .

٩ - قوله : (والحَلِفُ أى المُحَالَفَة) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ الآية[7] منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية[8] .

١٠ - قوله : (والحَبْسُ للزانى) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ الآية[9] منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية[10] .

١١ - قوله : (وتركُ أُولِى الكفر) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية[11] منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ الآية[12] .

١٢ - قوله : (وإشْهَادُهُم) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الآية[13] منسوخ بقوله تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الآية[14] .

(١) المائدة : ٢ .
(٢) التوبة : ٣٦ .
(٣) البقرة : ٢٤٠ .
(٤) البقرة : ٢٣٤ .
(٥) البقرة : ٢٨٤ .
(٦) البقرة : ٢٨٦ .
(٨) النساء : ٣٣ .
(٨) الأنفال : ٧٥ .
(٩) النساء : ١٥ .
(١٠) النور : ٢ .
(١١) المائدة : ٤٢ .
(١٢) المائدة : ٤٩ .
(١٣) المائدة : ١٠٦ .
(١٤) الطلاق : ٢ .

١٣ - قوله : (والصَّبْر) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ الآية[١] منسوخ بقوله تعالى : ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الآية[٢] .

١٤ - قوله : (والنَّفْر) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ الآية[٣] منسوخ بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ الآية[٤] أو بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية[٥] أو بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية[٦] .

١٥ - قوله : (ومَنْعُ عَقْدٍ لِزَانٍ أو لِزَانية) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ الآية[٧] منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ الآية[٨] .

١٦ - قوله : (وما علَى المصطفى فى العقدِ مُحْتَظَرُ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ الآية[٩] منسوخ بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية[١٠] .

١٧ - قوله : (ودَفْعُ مَهْرٍ لِمَنْ جاءتْ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ الآية[١١] منسوخ بآية السَّيف[١٢] وقيل : بآية الغنيمة[١٣] .

---

(١) الأنفال : ٦٥ . (٢) الأنفال : ٦٦ . (٣) التوبة : ٤١ .
(٤) التوبة : ٩١ . (٥) النور : ٦١ . (٦) التوبة : ١٢٢ .
(٧) النور : ٣ . (٨) النور : ٣٢ . (٩) الأحزاب : ٥٢ .
(١٠) الأحزاب : ٥٠ . (١١) الممتحنة : ١١ .
(١٢) والمقصود بآية السيف هي قول الله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ التوبة (أو براءة) : ٢٩ - انظر (تفسير القرآن العظيم): للحافظ ابن كثير ٣٤٧/٢ .
(١٣) والمقصود بآية الغنيمة هي قول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال : ٤١ - انظر (تفسير القرآن العظيم) : ابن كثير ٣١٠/٢ .

١٨ - قوله : (كذاك قِيَامُ الليل) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ﴾ الآية[١] منسوخ بقوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ الآية[٣] .

١٩ - قوله : (وآية نَجْوَاهُ) :

يشير إلى أن قول الله تعالى : ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية[٤] منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية[٥] وبقوله تعالى : ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[٦].

- أما قول السيوطىّ : (وزيدَ آيةُ الاستئذان مما مَلَكَتْ) مشيراً به إلى نسخ قول الله تعالى : ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية[٧] ثم قوله : (وآية القِسْمَة) مشيراً به إلى نسخ قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ الآية[٨] فإن الشنقيطى لا يرى وقوع النسخ فيهما قائلاً: والصحيح فيهما عدم النسخ[٩] .

المسألة الثانية

موضعان لنسخ الناسخ

وهما الموضعان اللذان استدركهما الشنقيطىّ على أبيات السيوطىّ ، حيث يقول فى ذلك ما نصه :

١- وقول الله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية[١٠] ناسخ لآية الكَفّ ، منسوخ بآية العذر[١١] ويعنى بآية الكَفّ قول الله تعالى : ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ الآية[١٢] وقوله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية[١٣] وقوله تعالى : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ الآية[١٤] وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية[١٥] .

أما (آية العذر) فيعنى بها قول الله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا

---

(١) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) .
(٢) المزمل : ٢٠ .
(٣) المزمل : ٢٠ .
(٤) المجادلة : ١٢ .
(٥) المجادلة : ١٢ .
(٦) المجادلة : ١٣ .
(٧) النور : ٥٨ .
(٨) النساء : ٨ .
(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٠٠ - ٧٠٤.(الجزء الثانى من التتمة) .
(١٠) التوبة : ٤١ .
(١١) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/ ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) .
(١٢) الأحزاب : ٢٥ .
(١٣) المائدة : ١١ .
(١٤) الفتح : ٢٠ .
(١٥) الفتح : ٢٤ .

عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ الآية[3] .

وبناءً على هذا فإن آية (الكَفّ) تصير منسوخة بـآية (النَّفْر) والتى تصير منسوخة بدورها بآية (العُذْر).

٢- وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الآية[4] منسوخ بكل من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ الآية[5] وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ الآية[6] وهذا الناسخ منسوخ أيضًا بفرض الصلوات الخمس[7] .

ويعنى بفرض الصلوات الخمس أى الأمر بإقـامتهن ، والذى وردت به غير آية من آيات القرآن العظيم ، ومـن ذلك ما هو مُوَجَّـه إلى رسول الله ﷺ كقـول الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ الآية[9] .

ومنه ما هو مُوَجَّه إلى الأُمَّة كقـول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ الآية[10] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الآية[11] وقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ الآية[12] وقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية[13] . إلى غير ذلك من الآيات[14] .

هذا فضلاً عن أمر الله تعالى إلى المسلمين بالحفاظ على أوقات تلك الصلوات ، وأدائها على الوجه اللائق بمنزلتها وفرضـيتها ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الآية[15] وقوله تـعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ الآية[16] .

---

(١) التوبة : ٩١ . (٢) النور : ٦١ . (٣) التوبة : ١٢٢ .

(٤) المزمل : ١ - ٢ (آيتان) . (٥) المزمل : ٢٠ . (٦) المزمل : ٢٠ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٩/٧٠٣ - ٧٠٤ (الجزء الثانى من التتمة) . (٨) هود : ١١٤ .

(٩) الإسراء : ٧٨ . (١٠) البقرة: ٤٣ .

(١١) الأنعام : ٧٢ . (١٢) الحج : ٧٨ . (١٣) المجادلة : ١٣ .

(١٤) حيث ورد الأمـر بإقامة هذه الصلوات المكتـوبة فى (اثنتى عشرةَ آية على مـدار القرآن كله، وذلك بلفظ: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ - انظر (المعجم المفهـرس لألفاظ القرآن الكريم): وضع محمد فـؤاد عبد الباقى ص ٥٧٩ .

(١٥) البقرة : ٢٣٨ . (١٦) النساء : ١٠٣ .

المسألة الثالثة

موضـــع تفصيـلى

ولئن كان الشنقيطى قد جمع فيما سبق سائر مواضع النسخ فى القرآن بقصد حصرها وتحديدها ، فضلاً عن إظهارها وتجليتها ، لتكون مضمومة بعضها إلى بعض فى موطن واحد من تفسيره ؛ إلاّ أن هذا الحصر قد جاء على وجه الإيجاز والإجمال ؛ وذلك نظراً لأن الشنقيطى لا يفتأ أن يَعْرض لهذا النسخ فى مواضعه من التفسير حتى يُفَصِّلَ فيه القول ، ويُوَجِّهَ على أساسه المعنى ، وفيما يلى نكتفى بأحد هذه المواضع التفصيلية تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

ففى مَعْرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ الآية[1] نراه يقول ما نصه : لم يبيّن الله تعالى هنا: هل جعل لهن سبيلاً أم لا ؟ ولكنه بَيَّنَ سبحانه فى مواضع أُخَر أنه جعل لهن السبيل بـ (الحَدّ) وذلك كما فى قوله تعالى فى (البِكْر) : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية[2] وقوله تعالى فى (الثيّب) : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم » لأن هذه الآية باقية الحُكْم كما صَحَّ ذلك فيها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإنْ كانت منسوخة التلاوة .

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن حكم (الرَّجْم) مأخوذ أيضًا من آية أخرى مُحْكَمَة غير منسوخة التلاوة ، وهى قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الآية[3] فإنها نزلت فى اليهودىّ واليهوديّة اللذين زنيا وهما مُحْصَنَان ، وقد رَجَمَهُمَا رسول الله ﷺ .

ومن ثم؛ فإنّ ذم الله تعالى فى هذا الكتاب للمُعْرِض عما فى (التورارة) من رَجْم الزانى المُحْصَن، ليُعَدُّ دليلاً قرآنيًا واضحًا على بقاء حُكْم الرَّجْم، كما أنّ مما يُوَضِّح ما ذكرناه من أنّ الله تعالى قد جعل لهن سبيلاً بـ (الحَدّ) أن رسول الله ﷺ قد صَرَّحَ بهذا فى حديثه الثابت فى (الصحيح) حيث قال : « خذوا عنى : قد جعل الله لهن سبيلاً » الحديث[4] .

* * *

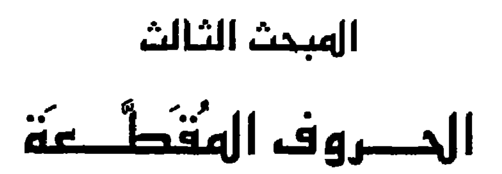
وبعــد: فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (الناسخ والمنسوخ) كموضوع أساسىّ من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنِّفُ الآية تحته ، بل ويُوَجِّه معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

---

(١) النساء : ١٥ . (٢) النور : ٢ . (٣) آل عمران : ٢٣ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣٧٦/١ - والحديث المذكور أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الحدود (باب) حد الزنا - (طبع بيروت) .

المبحث الثالث



ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظريّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العمليّ .

المطلب الأول

التقعيد النظري

وينتظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : ماهيَّة هذه الحروف .

٢ - المسألة الثانية : أقوال العلماء .

٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطي .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (الحروف المُقَطَّعَة فى أوائل السور القرآنية) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنَّفُ تحتها بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

ماهية هـذه الحروف

وتتمثل هذه الماهية فى حديثنا الموجز هنا عن كل من عدد هذه الحروف وتركيبها ومواضعها ، وذلك على النحو التالى :

١ - عددها :

تبلغ جملة هذه الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية أرْبَعَةَ عَشَرَ حرفًا شملت كلاً من : (ا - ح - ر - س - ص - ط - ع - ق - ك - ل - م - ن - هـ - ى) .

ومن الملاحظ عليها أنها تمثل نصف حروف الهجاء فى العربية البالغة ثمانية وعشرين حرفًا ، حيث اقتصرت هذه الحروف هنا على ذكر الحرف دون ذكر نظيره ، ومن ذلك ذكر حرف (ح) إشارة إلى نظائره المتمثلة فى حرفىْ (ج - خ) وكذا ذكر حرف (ر) إشارة إلى نظيره المتمثل فى حرف (ز) وهكذا فى بقية الحروف المذكورة .

٢ - تركيبها :

وردت هذه الحروف الأربعةَ عَشَرَ من خلال خمسة أشكالٍ تركيبية تمثلت فى الهيئات التالية :

١ - على هيئة حرف واحد : ومن ذلك كل من حرف (صٓ) - (قٓ) - (نٓ) .

٢ - على هيئة حرفين : ومن ذلك كل من حرفىْ (حمٓ) - (طسٓ) - (طه) - (يسٓ) .

٣ - على هيئة ثلاثة أحرف : ومن ذلك كل من حروف (الٓمٓ) - (الٓر) - (طسٓمٓ) - (عٓسٓقٓ) .

٤ - على هيئة أربعة أحرف : ومن ذلك كل من (الٓمٓر) - (الٓمٓصٓ) .

٥ - على هيئة خمسة أحرف : ومن ذلك هذا التركيب الوحيد المتمثل فى (كٓهيعٓصٓ) .

٣ - مواضعها :

لقد جاءت هذه الحروف الأربعةَ عشرَ بأشكالها الخمسة المذكورة ، لتتصدر سبعًا وعشرين سورة قرآنية شملت كلاً من : (البقرة - آل عمران - الأعراف - يونس - هود - يوسف - الرعد - إبراهيم - الحِجْر - مريم - طه - الشعراء - النمل - القصص - لقمان - السجدة - يسٓ - صٓ - غافر - فُصِّلَتْ - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف - قٓ - القلم) .

المسألة الثانية

أقــــوال العلمــــاء

يشير الشنقيطى إلى أن جملة أقوال العلماء فى هذه الحروف المقطعة التى وردت فى فواتح السور القرآنية قد بلغت ما يقرب من (ثلاثين) قولاً[١] غير أنه اكتفى من جملة هذه الأقوال بـ (أربعةٍ) من أشهرها نوردها بدورنا على النحو التالى :

١- هى مما استأثر الله تعالى بعلمه :

وقد أشار الشنقيطى إلى أن هذا القول مَرْوِى عن كل من : الخلفاء الأربعة الراشدين (أبى بكر وعمر وعثمان وعلى) ثم عبد الله بن مسعود، وعامر الشَّعْبىّ، وسفيان الثورىّ ، والربيع بن خيثم رضوان الله عليهم أجمعين وهو ذات ما اختاره الحافظ ابن حِبَّان[٢] .

٢ - هى أسماء للسور التى افتتحت بها :

وإلى أصحاب هذا القول وأدلتهم عليه يشير الشنقيطى قائلاً : ومِمَّنْ قال بهذا القول : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما يُرْوَى ما يدلّ لهذا القول عن مجاهد وقتادة وزيد بن أسلم ، وقد قال الزمخشرى فى (تفسيره) : وعليه إطباقُ الأكثر ، كما نقل عن سيبويه أنه نصّ عليه .

ويعتضد هذا القول بما ثبت فى (الصحيح) عن أبى هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (آلٓمٓ السجدة) و (هل أتى على الإنسان) الحديث[٣] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥ .   (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٣ .

(٣) أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب) الجمعة (باب) ما يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجمعة (باب) ما يقرأ فى يوم الجمعة - (طبع بيروت) .

ويدل له أيضًا ما ذكره البخارى فى (صحيحه) من قول شريح بن أبى أوفى العبسىّ عندما قُتِلَ محمد السَّجَّاد بن طلحة بن عبيد الله ﷺ (يوم الجَمَل) حيث قال :

يُذكّرنى (حَاميم) والرُّمْحُ شَاجِرٌ   فَهَلاَّ تلا (حَاميمَ) قبلَ التقدمِ

فقوله : (حاميم) فيه الدلالة على ما ذكرنا من أنه (اسمٌ للسُّورة) وهى سورة (المؤمن) كما ذكرها البخارى[1] .

٣ - هى من أسماء الله تعالى :

وقد أشار الشنقيطى إلى أنّ من القائلين بهذا كلاً من : سالم بن عبد الله ، وعامر الشعبىّ ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّىّ الكبير ، كما رُوِىَ معناه عن ابن عباس ﷺ وعن ابن عباس أيضًا : أنها أَقْسَامٌ أَقْسَمَ الله تعالى بها ، وهى من أسمائه سبحانه ، كما رُوِىَ نحوه عن عكرمة مَوْلَى ابن عباس ﷺ[2] .

٤ - كل حرفٍ منها مِفتاحٌ لاسم من أسماء الله تعالى :

ويوضح الشنقيطى ذلك قائلاً : وقيل هى حروف ، كل واحد منها من أسماء الله جلّ وعلا ؛ فالألف من (الٓمٓ) مِفتاح اسم (الله) واللام مِفتاح اسم (اللطيف) والميم مِفتاح اسم (المجيد) وهكذا فى بقية الحروف، وهذا ما يروى عن ابن عباس وابن مسعود وأبى العالية .

وقد استدل لهذا القول بأنّ العرب قد تطلق الحرف الأول من الكلمة فى حين تريد به جميع الكلمة ، ومنه قول الراجز :

قلتُ لها قفِى فقالتْ لى قافْ   لا تحسبى أنا نسِينا الإيجافْ

فقوله : (قاف) أى (وقفت) .

ومنه قول الآخر :

بالخير خيرات وإنْ شَراً فَا   ولا أريدُ الشَّرَّ إلاّ أنْ تَا

فقوله : (فَا) أى (وإنْ شراً فَشَرّ) وقوله : (تَا) أى (ولا أريد الشَّرَّ إلاّ أنْ تشاء) فاكتفى بـ (الفاء) و (التاء) عن بقية الكلمتين (فَشَرّ) و (تشاء) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٣ - ٤ (بتصرف يسير) - ويعنى بسورة (المؤمن) أى سورة (غافر) والتى تبدأ بقول الله تعالى : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢﴾ الآيتان (١- ٢) - والحديث المذكور أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التفسير (باب) سورة المؤمن - (طبع بيروت) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤ .

قال القرطبىّ : يقول رسول الله ﷺ : « مَنْ أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة » الحديث[1] وفى ذلك يقول سفيان : هو أن يقول فى (اقْتُلْ) : (اقْ)[2] .

المسألة الثالثة

موقف الشنقيطى

يرى الشنقيطى أنّ هذه الحروف إنما وردت فى أوائل السور القرآنية لتقوم شاهدًا على إعجاز القرآن الذى تتركب آياته من تلك الحروف التى يتخاطب بها الخَلْق ؛ ومع هذا فهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، وفى ذلك يقول ما نصه : أما القول الذى يدل استقراء القرآن على رُجْحَانه فهو أن هذه الحروف المقطعة إنما ذكرت فى أوائل السور التى ذكرت فيها ؛ بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخَلْق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها .

وقد حكى الرازىّ هذا القول فى (تفسيره) عن المبرّد وجَمْعٍ من المحققين ، كما حكاه القرطبىّ عن الفرّاء وقطرب، ونصره الزمخشرىّ فى تفسيره (الكشاف) كما قال ابن كثير : وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية ، وكذا شيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجّاج المزىّ ؛ والذى حكاه لى عن ابن تيميّة[3] .

وعقب ذلك يسوق الشنقيطى استدلاله على ما ذهب إليه من خلال استقراء القرآن لهذا فيقول ما نصه : ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول أنّ السور التى افتتحت بالحروف المقطعة يُذْكَر فيها دائمًا عقب هذه الحروف الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذى لا شك فيه ؛ فَذِكْر ذلك بعد هذه الحروف دائمًا هو (دليل استقرائىّ) على أن هذه الحروف المقطعة إنما قُصِدَ بها إظهار إعجاز القرآن وأنه الحق .

قال الله تعالى فى (البقرة) : ﴿الٓمٓ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الآية[4] وقال تعالى فى (آل عمران) : ﴿الٓمٓ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات[5] وقال تعالى فى (الأعراف) : ﴿الٓمٓصٓ﴾ وأتبع ذلك بقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سُنَنه بلفظ : « مَنْ أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله عزّ وجلّ مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله » - انظر سُنَن ابن ماجه (كتاب) الديات (باب) التغليظ فى قتل مسلم ظلمًا - (طبع بيروت) - ويقول ابن ماجه : وفى إسناده يزيد بن زياد وهو متروك .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤ - ٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥ .

(٤) البقرة : ١ - ٢ (آيتان) .

(٥) آل عمران : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .

به وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيتان[1] .

ويستمر الشنقيطى فى ذكر بقية مواضع هذه الحروف على ذات النهج ، غير أنه أغفل موضعين منها ، وهما قول الله تعالى فى سورة (مريم) : ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ الآيتان[2] وقوله تعالى فى سورة (القلم): ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)﴾ الآيتان[3].

وبهذا تصير جملة مواضع هذه الحروف التى ذكرها الشنقيطى خمسة وعشرين موضعًا ، وليست سبعة وعشرين على صوابها الذى ذكرناه[4] .

• رأى البحث :

وبعد أن عرضنا لأقوال العلماء عامة ، وقول الشنقيطى منهم خاصة ، بشأن ما ذهبوا إليه فى هذه الحروف المقطعة التى افتتحت بها تلك السور القرآنية السبعُ والعشرون فإننا نميل إلى القول بأن هذه الحروف إنما وردت فى أوائل السور القرآنية لتقوم شاهدًا على إعجاز هذا القرآن العظيم الذى أُحْكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ من لدن حكيم خبير[5] .

فبالرغم من أنّ آياته تتركب من مثل هذه الحروف العربية التى يَتَأَلَّفُ منها كلام العرب الذين نزل فيهم القرآن ؛ إلاّ أنهم عجزوا مع فصاحتهم وبلاغتهم المشهود لهم بها أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، حتى وإن بلغ بهم الأمر أن يظاهروا الجن ويتعاونوا معهم لبلوغ هذا الأَرَب ؛ وهذا ما يُعَجِّزُهم به الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الآية[6] .

ومبالغة فى هذا التعجيز فقد طالبهم سبحانه بأن يأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن ، ومع هذا فقد بيَّن سبحانه عدم قدرتهم على الإتيان بذلك كما فى قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الآيتان[7] .

بل وأكثر من هذا عندما طالبهم سبحانه بأن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن ،

---

(١) الأعراف : ١ - ٢ (آيتان) .
(٢) مريم : ١ - ٢ (آيتان) .
(٣) القلم : ١ - ٢ (آيتان) .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥ - ٧ .
(٥) هذا اقتباس من وصف الحق سبحانه قرآنه بذلك فى قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود : ١ .
(٦) الإسراء : ٨٨ .
(٧) هود : ١٣ - ١٤ (آيتان) .

ومع هذا فقد حكم سبحانه كذلك بعجزهم عن الإتيان بذلك كما فى قوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ الآيتان[1] .

وعلى الرغم من عجزهم الواضح ، وقصورهم البيِّن ، والذى حكاه القرآن وقطع به ؛ إلا أن بعض المعانديـن المكابرين ، وخاصة مـمَّنْ ادّعوا النبـوّة ، قد صَوَّرَتْ لهم أحـلامهم السقيمة ، وخدعتهم خيالاتهم المريضة ، فتوهموا أن يعارضوا القرآن بشىء مثله[2] .

---

(١) البقرة : ٢٣ - ٢٤ (آيتان) .

(٢) والتنبؤ ظاهرة تدعو للسـخرية من هؤلاء المتنبئين ؛ ذلك لأن العرب قد وجـدوا فى دعوة رسول الله ﷺ آنذاك ما لم يكن يصل إليه خيالهم أو تطمح إليه نفوسهم ألا وهو اتحادهم وتآلفهم على قلب رجل واحد تحت راية الإسلام .

ومن ثم ؛ فقد ظهـر المتنبئون ليتخـذوا من ادعاء النبوة وسيلة لجـمع الناس حولهم ، وقد بدأوا ذلك فى أواخر حياة رسول الله ﷺ عندما بدأت رسالته تنجح ، وأخذت دعوته تؤتى ثمرها ، ثم قوى اتجاههم وعَظُمَ بعد وفاته ﷺ وانتشار الفتن فى شبه الجزيرة العربية .

ومن الذين ادّعوا النبوة آنذاك (عبهلة ذو الخمار المعروف بالأسود العنسىّ والملقب برحمان اليمن) وقد قُتِلَ على فكره فى الليلة التى توفى رسول الله ﷺ فى صبيـحتها ، ومنهم أيضًا (طليحة بن خويلد الأسدىّ) الذى اتبـعه قومه بنو أسد وكـذا طئ وغطفان ، ثم فر أمام جـيش خالد بن الوليد ليخـتفى بالشام وليُـسْلِمَ بعد ذلك فى عهـد أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب رضي الله عنه وقد حَسُنَ إسـلامه وشارك فى الفتوح الإسلامية آنذاك .

أما أشد المتنبئين خطرًا ، وأكثرهم شهرة ، فقد كـان (مُسَيْلِمَةَ الكذّاب) فى بنى حنيفة باليمامة ، والذى قُتِلَ على كفره فى (حديقة الموت) على يد المسلمين الذين كـان فى مقدمتهم (وحشى قاتل حمزة) حيث بدأه رميا بَحـرْبَته ، كما كانت (سَجَاح التميمـيَّة) هى المرأة الوحيدة التى ادّعت النبوة فى قومهـا بنى تميم ، والذين كانت ديارهم على مقـربة من ديار بنى حنيفة قوم مسـيلمة الكذاب ، وقد انضم أتباعها إلى أتباعه بعد أن تم الزواج بينهما ، غير أنها أَسْلَمَتْ بعد مقتل زوجها مسيلمة .

راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

- تاريخ الرسل والملوك: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - ٣/ ٢٣٢ - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م
- فتـوح البلدان: لأحمد بن يحـيى بن جابر المعـروف بالبلاذرى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) - ص ١٠٨ - نشره ووضع ملاحـقه وفهارسه : د. صـلاح الدين المنجد - مكتبة النهـضة المصرية - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
- الكامل فى التاريخ : لعز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محـمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير ت (٦٣٠هـ = ١٢٣٣ م) - ٢/ ١١٤ - (دار صادر للطباعة والنشر) مع (دار بيروت للطباعة والنشر) - بيروت - لبنان - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م . =

وكانت النتيجة الحتمية لهذا التوهم أن (تهاوَوْا وأُغْلِقَ عليهم؛ فقالوا سَخَفًا أقل بكثير من كلامهم الذى تعودوا أن يقولوه فى مناسبات غير مناسبات تحديهم القرآن ومحاولتهم تقليده والإتيان بمثله، ومن الواضح أن محاولة هؤلاء المعاندين أن يأتوا بمثل القرآن تَحْملُ فى طياتها تقديرهم للقرآن الكريم وإعجابهم به ، ولو كان القرآن لم ينَلْ إجلالهم وإعجابهم لما حاولوا تقليده ، ولما بذلوا الجهد لتحقيق ذلك ؛ وليس هذا إلاّ لأنهم ألِفُوا تقديس الفصيح من القول ، حتى إنهم كانوا يُعَلِّقُون خير قصائدهم الجاهلية على أستار الكعبة لتكون فى مكان واحد مع معبوداتهم ، ولِتُوضَعَ فى المكان الذى يحجُّون إليه ويتبرّكون به)[1] .

ويعضد هذا الكلام ما سبق أن رجحناه من أن هذه الحروف المقطعة إنما وردت فى أوائل السور القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز هذا القرآن العظيم الذى أعْيَ أساطين البلاغة ، وأعجز أئمة الفصاحة ، من العرب خاصة ، فضلاً عن غيرهم عامة ، بل وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

وقد جمع الحافظ ابن كثير هذه الحروف الأربعةَ عشرَ بعد أن حذف المكرر منها فى قوله : (نَصٌّ حكيمٌ قَاطِعٌ له سِرٌّ)[2] .

وهكذا يتفق ما نميل إليه مع ما ذهب إليه الشنقيطى بشأن هذه الحروف التى ساقها الحق سبحانه فى أوائل السورة القرآنية لتقوم شاهداً على إعجاز قرآنه العظيم ، وذكره الحكيم .

وما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظريّ .

● موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية : د. أحمد شلبى - (٣٨٣ - ٣٨٥) - الطبعة ٨ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية : د. أحمد شلبى ١/ ٣٧١ - ٣٧٣ .
ومن هذا السُّخْف الذى هَذَىَ به هؤلاء المتنبئون تلك الكلمات التى سَمَّوهَا (سورة الضِّفْدَع) والتى تقول : (يا ضِفْدَعُ ابنةَ ضِفْدَع ، نقِّى مَا تُنقِّين ، أعلاك فى الماء ، وأسفلُك فى الطين ، لا الشاربَ تمنعين ، ولا الماءَ تُكَدِّرين) - انظر فى ذلك (دراسات إسلامية) : عبد المتعال الصعيدى ص ١٠٤ - دار الفكر العربى - القاهرة - (د.ت) .
كما أن من هذا السُّخْف أيضًا تلك الكلمات التى حفظتها قديمًا غير أنه غاب عنى مصدرها آنذاك ، حيث أراد هؤلاء المدّعون المخرّفون أن يعارضوا بها (سورة الكوثر) فَسَمَّوْهَا (سورة التفاح) وتقول : (إنا أعطيناك التفاح ، فَصَلِّ لربك وارتاح ، إنَّ شانئك هو الخروفُ النطّاح) .
فما أسخفَ هذا وما أردأه !! بل وما أَيْسَرَ أن يأتى المخلوقون بالعديد من مثله !! لا نقول من أهل العلم ، بل من صغار الطلاب !! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم !!

(٢) تفسير القرآن العظيم : للحافظ ابن كثير ١/ ٣٧ .

المطلب الثانى

التطبيــق العملــىّ

ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : شاهــد أساســى .

٢ - المسألة الثانية : شاهــد فــرعىّ .

٣ - المسألة الثالثة : إحالة الشواهد الأخرى .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطىّ فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما اشتملت عليه من تلك (الحروف المقطعة) حيث يُجَسِّدُ من خلال ذلك تطبيقه العَمَلىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نكتفى بذكر مثالين لهذا السلوك الفعلىّ مع ذكر إحالة غيرهما عليهما من الشواهد الأخرى مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

شاهد أساسىّ

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الآية[1] نراه يتخذ من هذا الموضع مجالاً أساسيًا لعرض أقوال العلماء عامة ، فضلاً عن قوله خاصة ، بشأن تلك الحروف المقطعة هنا ، وغيرها من الحروف الأخرى فى سائر مواضعها من القرآن ، وذلك على نحو ما فصّلنا فيه القول آنفًا .

وقد استغرق هذا الموضع من الشنقيطى خمس صفحات كاملة أَبَانَ فيها عن منهجه تجاه هذه الحروف فى فواتح السور القرآنية ؛ الأمر الذى جعل من هذا الموضع (شاهدًا أساسيًا) لا يمكن إغفاله أو تجاوزه إزاء استجلاء موقف الشنقيطى من تلك الحروف[1] .

• ملاحظة منهجية :

ومن الملاحظ أن الشنقيطى لم يَعْرِض لتلك الحروف فى أول موضع لها فى سورة (البقرة) بل ولا فى غير ذلك من مواضعها الأخرى التالية فى كل من سور (آل عمران والأعراف ويونس) وإنما تجاوز هذه المواضع الأربعة مُؤَخِّراً ذلك إلى هذا الموضع الخامس الذى نحن بصدده .

وإزاء تعليل الشنقيطى تأخيره فى تناول هذه الحروف إلى هذا الموضع الخامس لها فى أول سورة (هود) نراه يقول ما نصه : وإنما أخَّرْنَا الكلام على الحروف المقطعة مع أنه مَرَّتْ سور مفتتحة بتلك الحروف مثل (البقرة وآل عمران ويونس) لأن الحروف المقطعة توجد فى القرآن المكىّ غالباً ، و(البقرة وآل عمران) مدنيتان ، والغالب له الحكم .

وقد اخترنا لبيان ذلك سورة (هود) لأنّ دلالتها على المعنى المقصود فى غاية الظهور

---

(١) هود : ١ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٣/٣ - ٧ (على مدار خمس صفحات كاملة) .

والإيضاح ؛ حيث إن قول الله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿الر﴾ واضح جداً فيما ذكرنا ، والعلم عند الله تعالى[1] .

- **رأى البحث :**

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى بشأن تعليله لتأخير الكلام على هذه الحروف مردود من وجهين كما يلى:

١ - الوجه الأول :

علّل الشنقيطىّ عدم تناوله هذه الحروف المقطعة عند تفسيره لسورتى (البقرة وآل عمران) لأنهما مدنيتان ؛ ومن ثم فليس لهما الحكم الغالب فى اشتمالهما على هذه الحروف كما هو الحال فى السور المكيّة .

غير أن هذا مردود بأنّ سورتىْ (الأعراف ويونس) مكيتان ؛ ومع ذلك لم يتناول الشنقيطى الحروف المقطعة فى أولهما بالحديث عنهما جريًا على ما يراه فى ذلك ويرتضيه .

٢ - الوجه الثانى :

كان أَحْرَى بالشنقيطى أن يشير فى أول موضع لهذه الحروف فى سورة (البقرة) إلى عزمه على تأخير الكلام عليها إلى سورة (هود) وذلك اتساقًا مع ترتيب القرآن وتتابع آياته ، والذى تقتضيه منهجيّة التفسير من حيث تناول المفسِّر لقضايا التفسير فى أول موضع يَعْرِض له .

ومن ثم ؛ فإنّ صنيع الشنقيطى هنا يُعَدُّ من قبيل (المآخذ المنهجية) التى تُحْسَبُ عليه لا له .

المسألة الثانية

شاهد فرعىّ

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿طه﴾ الآية[2] نراه يوجّه المعنى على أساس ما ذكرناه عنه فى (الشاهد الأساسىّ) فيقول ما نصه : وأظهر الأقوال فيه عندى أنه من الحروف المقطعة فى أوائل السور ، ويدل لذلك أن (الطاء والهاء) المذكورتين فى فاتحة هذه السورة ، قد جاءتا فى مواضع أُخَر لا نزاع فيها فى أنهما من الحروف المقطعة.

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٧ .	(٢) طه : ١ .

أما (الطاء) ففى فاتحة (الشعراء) فى قول الله تعالى : ﴿طسٓمٓ﴾ وفاتحة (النمل) فى قوله تعالى : ﴿طسٓ﴾ وفاتحة (القصص) فى قوله تعالى : ﴿طسٓمٓ﴾ وأما (الهاء) ففى فاتحة (مريم) فى قول الله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وقد قدمنا الكلام مستوفى على الحروف المقطعة فى أول سورة (هود) وخير ما يُفَسَّر به القرآن هو القرآن .

ثم أعقب الشنقيطى ذلك بذكر طائفة من اللغات الواردة عند العرب فى كلمة (طه) والتى يتأدىّ عنها فى النهاية معنيان أولهما بمعنى (يا رَجُل) وثانيهما بمعنى (يا حبيبى) وكلاهما تَرَدَّدَ على لسان شعرائهم الأوائل .

ثم يسوق الشنقيطى بعد ذلك جملة من الأقوال الضعيفة التى تقوم على أن (طه) اسم من أسماء النبى ﷺ ومن ثم يَرُدُّ هذه الأقوال بما نصه : وفى قول الله تعالى : ﴿طه﴾ أقوال أُخَر ضعيفة كالقول بأنه من أسماء النبىّ ﷺ وكذا القول بأن الطاء من (الطهارة) والهاء من (الهداية) فيقول لنبيه ﷺ : (يا طاهراً من العيوب ، يا هادىَ الخَلْق إلى علاّم الغيوب) إلى غير ذلك من الأقوال الضعيفة ، والصواب إن شاء الله فى الآية هو ما صَدَّرْنَا به ، ودَلَّ عليه القرآن فى مواضع أُخَر[1] .

المسألة الثالثة

إحالة الشواهد الأخرى

أما فى غير موضع الشاهدين (الأساسىّ والفرعىّ) فيلتزم الشنقيطى بإحالة غيرهما من الشواهد الأخرى عليهما فى سائر مواضع الحروف المقطعة فى فواتح السور القرآنية اللاحقة ، ونكتفى فى ذلك بذكر الشاهد التالى تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يسٓ﴾ الآية[2] نراه يلتزم الإحالة السابقة فيقول ما نصه : والتحقيق أنه من جملة الحروف المقطعة فى أوائل السور ، و (الياء) المذكورة فيه ذكرت فى فاتحة سورة (مريم) فى قول الله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الآية[3] و (السين) المذكورة فيه ذكرت فى أول سورتىْ (الشعراء والقصص) فى قول الله تعالى : ﴿طسٓمٓ﴾ الآية[4] وفى أول سورة (النمل) فيقوله تعالى : ﴿طسٓ﴾ الآية[5] وفى أول سورة (الشورى) فى قوله تعالى : ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾ الآيتان[6] وقد قدمنا الكلام مستوفى على الحروف

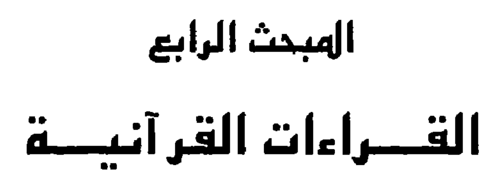
(١) انظر تفصيل هذا الشاهد الفرعىّ فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣٩٩/٤ - ٤٠٠ .
(٢) يسٓ : ١ . (٣) مريم : ١ . (٤) الشعراء : ١ - القصص ١ .
(٥) النمل : ١ . (٦) الشورى : ١-٢ (آيتان) .

المقطعة فى أوائل السور فى أول سورة (هود)[1] .

*   *   *

وبعـــد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (الحـروف المقطعة فى فواتح السور القرآنية) كـموضوع أساسىّ من موضوعات (علوم القـرآن) التى يُصنَّفُ الآية تحته ، بل ويُوَجِّه معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٦٤٩ .

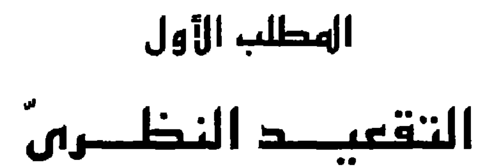


ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملىّ .

المطلب الأول



ويتنظم المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : ماهيَّة هذه القراءات .

٢ - المسألة الثانية : حُجِّيَّتهَا عند العلماء .

٣ - المسألة الثالثة : موقف الشنقيطيّ .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (القراءات القرآنية) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصَنَّفُ تحتها بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

ماهية هــذه القراءات

حصر أئمة القراءة جملة هذه القراءات القرآنية فى أربعَ عشرةَ قراءة جاء تصنيفها على النحو التالى :

١- سبع متواترة :

وتشمل قراءة كل من : (نافع المدنىّ - ابن كثير المكىّ - أبى عمرو البصرىّ - ابن عامر الشامىّ - عاصم الكوفىّ - حمزة الكوفىّ - الكِسَائى الكوفىّ)[1] .

---

(١) وفيما يلى مختصر تراجم هؤلاء القُرَّاء السبعة بترتيب نظم الإمام ابن الجزرىّ لهم على النحو التالى :

- نافع المدنىّ :

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثىّ ، أصله من (أصفهان) ثم صار إمام دار الهجرة حيث (المدينة المنورة) وقد توفى بها عام (١٦٩ هـ = ٧٨٦ م) وراوياه : ورش المصرىّ ، وقالون المدنىّ .

- ابن كثير المكىّ :

هو عبد الله بن كثير المكىّ ، إمام البلد الحرام حيث (مكة المكرّمة) وقد ولد بها عام (٤٥ هـ = ٦٦٦ م) كما توفى بها عام (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) وراوياه : البزىّ وقنبل المكيّان .

- أبو عمرو البصرىّ :

هو زبان بن العلاء بن عمّار بن العريان المازنىّ التميمىّ البصرىّ ، وقيل : اسمه (يحيى) وقيل : اسمه هو نفس كنيته أى (أبو عمرو) وقد ولد بمكة عام (٦٨ هـ = ٦٨٨ م) وقيل : عام (٦٥ هـ = ٦٨٥ م) ثم توفى بالكوفة عام (١٥٤ هـ = ٧٧١ م) وراوياه : الدورى البغدادىّ ، والسوسى التونسىّ .

- ابن عامر الشامىّ :

هو عبد الله بن عامر الشامىّ اليحصبىّ ، قاضى دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، ويكنى (أبا عمرو) وهو من التابعين حيث قال: ولدت عام (٨ هـ = ٦٣٠م) بضيعة يقال لها : (رحاب) وقد قبض رسول الله ﷺ ولى من العمر عامان (٢ هـ = ٦٢٤ م) ثم كانت وفاته بدمشق كذلك عام (١١٨ هـ = ٧٣٦ م) وراوياه : هشام وابن ذكوان الدمشقيّان .

=

٢ - ثلاث مشهورة :

وتشمل قراءة كل من: (أبى جعفر المدنىّ - يعقوب البصرىّ - خلف البزّار البغدادى)[1] .

= ● عاصم الكوفىّ :

هو عاصم بن بهدلة أبى النجود الأسدىّ ، ويكنى (أبا بكر) وهو من التابعين ، كما كان شيخ الإقراء ومن أحسن الناس صوتًا بالقرآن فى زمنه ، وقد توفى بالكوفة عام (١٢٧ هـ = ٧٤٥ م) وراوياه : حفص وشعبة الكوفيّان .

● حمزة الكوفىّ :

هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات ، يكنى (أبا عمارة) وكان تاجرًا عابدًا متورعًا ، ولد عام (٨٠ هـ = ٧٠٠ م) وتوفى بالكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور عام (١٥٦ هـ = ٧٧٣ م) وراوياه : خلاّد الكوفىّ ، وخلف البغدادىّ.

● الكسَائىّ الكوفىّ :

هو علىّ بن حمزة النحوىّ ، ويكنى (أبا الحسن) وقيل له : (الكسائى) لأنه أحرم فى كساء ، وقد انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد (حمزة) ثم توفى ببلدة يقال لها : (رنبويه) عام (١٨٩ هـ = ٨٠٥ م) وراوياه : أبو الحارث وحفص البغداديّان .

● راجع موجز تراجمهم فى (المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر) : د. محمد سالم محيسن - (١/٧ - ١١) - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(١) وفيما يلى موجز تراجم هؤلاء القُرَّاء الثلاثة بترتيب نظم الإمام ابن الجزرىّ لهم على النحو التالى :

● أبو جعفر المدنى :

هو يزيد بن القعقاع المخزومىّ المدنىّ ، توفى بالمدينة المنورة عام (١٢٨ هـ = ٧٤٦ م) وراوياه : ابن جماز وابن وردان المدنيّان .

● يعقوب البصرىّ :

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرىّ ، توفى بالبصرة عام (٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م) وراوياه : روح ورويس البصريّان .

● خَلَف البَزَّار البغدادىّ :

هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزَّار البغدادىّ ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وقد ولد ببغداد عام (١٥٠ هـ = ٧٦٧ م) وتوفى بها عام (٢٢٩ هـ = ٨٤٤ م) وراوياه : إدريس البغدادىّ ، وإسحاق المروزىّ .

● راجع موجز تراجمهم فى (المهذب فى القراءات العشر): د. محمد سالم محيسن ٨/١ - ١٢ .

وقد نظم الإمام ابن الجزرىّ هؤلاء القُرَّاء العشرة مع رواتهم العشرين قائلاً :

ومنهم عَشْرٌ شموس ظَهَرَا ... ضياؤهم وفى الأنام انتشرا
حتى استمدّ نورُ كلِّ بدر ... منهمُ ، وعنهمُ كُلُّ نَجْمٍ دَرَى
وها همُوا يذكرهمُوا بيانىَ ... كلُّ إمامٍ عنه راويان
(فنافعٌ) بطيبةَ قد حظيا ... فعنه (قالونُ) و(ورشٌ) رَوَيَا
(وابنُ كثيرٍ) مكةٌ له بَلَدْ ... (بزّ) و (قنبل) له على سَنَدْ =

٣ - أربع شاذة :

وتشمل قراءة كل من : (الحسن البصرىّ - محمد بن أحمد الشَّنَبُوذِىّ - ابن مُحَيْصِن المكىّ - يحيى اليزيدىّ البصرىّ)[1] .

= ثم (أبو عمرو) فَيُحْيى عَنْهُ ... ونقل (الدّورىُّ) و (سُوسٌ) مِنْهُ
ثم (ابنُ عامر) الدمشقى بسَنَدْ ... عنه (هشامٌ) و (ابنُ ذكوان) وَرَدْ
ثلاثة من كوفة (فعاصمٌ) ... فَعَنْهُ (شعبةُ) و (حَفصٌ) قائمٌ
و (حَمزةُ) عنه سليمٌ (فَخَلَفْ) ... منه و (خَلاّدٌ) كلاهما اغترفْ
ثم (الكسائىُّ) الفتى عَلِىّ ... عنه (أبو الحارث) و (الدُّورىّ)
ثم (أبو جعفر) الحَبْرُ الرِّضَى ... فعنه (عيسى) وابنَ (جماز) مضَى
تاسعُهم (يعقوبٌ) وهو الحَضْرَمىّ ... له (رويسٌ) ثم (روحٌ) يَنْتَمِى
والعَاشرُ (البَزّار فهو خَلَفٌ) ... (إسحاقُ) مع (إدريس) عنه يُعْرَفْ

راجع ترجمة ابن الجزرى مع التعريف بهذه القراءات فى كل من :

- النشر فى القراءات العشر : للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقى الشهير بابن الجزرى ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - قدّم له صاحب الفضيلة الأستاذ : على محمد الضبّاع (شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية) - وخرّج آياته الشيخ : زكريا عميرات - الطبعة ١ - منشورات : محمد على بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .
- متن الجَزَرِيَّة (أو منظومة المقدّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) : من نظم إمام القرّاء وفخر المقرئين العلامة محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف المعروف بابن الجزرى ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - تشرف بتصحيحها ومقابلتها على نسخة خطية مقروءة على الناظم وعليها خطه : خادم القرآن الكريم أيمن رشدى سويد الدمشقى - إصدار جمعية القرآن الكريم بجدة - يطلب من (مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع) مع (مكتبة السوادى للتوزيع) - جدة - المملكة العربية السعودية - شعبان ١٤٠٧ هـ = أبريل ١٩٨٧ م .
- شرح طيبة النشر : لابن الجزرى (الابن) وهو أحمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقى ت (٨٥٩ هـ = ١٤٥٥ م) - طبع القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م .

(١) وفيما يلى : موجز تراجمهم وفق الترتيب الهجائى لأسمائهم على النحو التالى :

- الحسن البصرى :

هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يَسَار البصرى ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة المنورة عام (٢١ هـ = ٦٤٢ م) ثم كانت وفاته بالبصرة بالعراق عام (١١٠ هـ = ٧٢٩ م) كان أبوه (يسار) من سَبْى (مَيْسَان) ثم صار مولى زيد بن ثابت ، وقيل : مولى جابر بن عبد الله ، وقيل : مولى غيرهما ، أما أمه (خَيْرَة) فكانت مولاة أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وقد كان الحسن سيد أهل زمانه علمًا وعملاً، وشيخ البصرة، وقد روى أنه رضع أم سلمة غير مرة، وقال عنه أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصرى والحجاج بن يوسف الثقفى ، =

... ...

= فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .

ومن كلام الحسن : (ما رأيت يقينًا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت) وكذا قوله : (يا ابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُكَ) وقد رَوَى عن عمران بن حصين وأبى موسى وابن عباس وجندب وغيرهم، كما رَوَى عنه ابن عون ويونس وغيرهما، ومن مصنفاته: (التفسير) الذى رواه عنه جماعة ، وكتابه إلى عبد الملك بن مروان (فى الرد على القدريّة) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : للحافظ المِزّى ٦/ ٩٥ - ١٢٧ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٣/ ٥٤ - ٥٦ .
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٢/ ٦٩ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ٤/ ٧٠ - حقق هذا الجزء : مأمون الصاغرجى - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- غاية النهاية فى طبقات القرّاء : لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - ١/ ١٦٧ - عُنِىَ بنشره : ج. برجستراسر - (طبع لأول مرة بنفقة الناشر) مع (مكتبة الخانجى) - القاهرة - ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
- طبقات المفسرين : للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ت (٩٤٥ هـ = ١٥٣٨ م) - ١/ ١٤٧ - تحقيق : على محمد عمر - الطبعة ١ - إصدار : مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية - الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة - ربيع الأول ١٣٩٢هـ = أبريل ١٩٧٢م .
- الشَّنَبُوذى :

هو شيخ المُقرئين أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصَّلْت بن شَنَبُوذ البغدادى ، كان إمامًا صدوقًا أمينًا متصوفًا كبير القَدْر ، غير أنه كان له رأى فى القراءة بالشواذ التى تخالف رسم المصحف العثمانى المعروف بالمصحف الإمام ؛ ولهذا أمر الوزير ابن مُقْلَة بضربه حتى رجع عن كثير من القراءات التى أنكرها عليه أهل عصره ، ويقال : إنه دعا على الوزير ابن مُقْلَة بأن يقطع الله يده ويشتت شمله وقد كان .

قال أبو شامة : كان الرفق بابن شنبوذ أَوْلَى ، وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافيًا ، وهو وإن كان ليس مصيبًا فيما ذهب إليه ؛ إلا أن أخطاءه فى واقعة لا تُسْقط حقه من حرمة أهل القرآن والعلم ، وقد كانت وفاته عام (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) بشَنَبُوذ (بفتح الشين المعجمة والنون ، وضم الباء الموحدة) وهى مَحَلَّة ببغداد .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٤/ ٢٩٩ - ٣٠١ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ١٥/ ٢٦٤ - ٢٦٦ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٥/ ١٢٢ - ١٢٣ .
- غاية النهاية فى طبقات القرّاء : لشمس الدين ابن الجزرى ٢/ ٥٢ - ٥٦ .
- الوافى بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدى ت (٧٦٤ هـ = ١٣٦٣م) - (٦/ ١٠٤ - ١٠٥) - صدر بعناية : س. ديدرينغ - نشر : دار فرانز شتايتر بفيسبادن - طبع بمساعدة =

... ...

= المعهد الألمانى للأبحاث الشرقيـة ببيروت فى مطابع دار صادر بيـروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للحافظ أبى بكر أحـمد بن على الخطيب البغدادى - وضعه فى أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - (١١/ ٣١١ - ٣١٢) - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

- ابن مُحَيْصِن المكىّ :

هو محـمد بـن عبـد الرحمن بـن محـيصن السَّهْـمى ، قارئ أهل مكة مع ابن كثـير وحمـيد الأعرج ، ويسميه البعض (عمرو بن القرائن) أو (مـحمد بن عبد الله بن محيصن) له رواية شاذة فى كتابه (المبهج) وهو فى الحديـث ثقة حيث احتج به مسلم ، وقد قرأ القرآن على سعـيد بن جبير ومجاهد ودرباس مـولى ابن عباس ، وحدّث عن أبيـه وعن صفية بنت شـيبة ومحمـد بن قيس بن مخرمة وعطاء ، كما قرأ عليه شبل بن عبّـاد وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر القارئ ، وحدّث عنه ابـن جريج وهشيم وابن عيينة وعبـد الله بن المؤمل المخـزومى ، وكانت وفاته بمكة المكرمة عام (١٢٣ هـ = ٧٤١ م) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- غاية النهاية فى طبقات القرّاء : لشمس الدين ابن الجزرى ٢/١٦٧ .
- معرفة القـرّاء الكبار على الطبقات والأعصار : للإمام الحـافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبىّ ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - (١/ ٨١ - ٨٢) - حققـه وفهرس له وضبط أعـلامه وعلّق عليه : محـمد سيـد جاد الحق (مـن علمـاء الأزهر الشريف) - وبآخـر الجزء الثانى مـنه (ذيل القرّاء الكبار) : لابن مكتوم ت (٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - الطبعـة ١ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .

- يحيى اليزيدى البصرى :

هو شيخ القرّاء أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغـيرة العدوى البصرى النحوى المقرئ اللغوى ، وقد عرف باليزيدى لاتـصاله بالأمير يزيد بن منصور (خال المهـدى) حيث كان يؤدّب ولده ، وقد كان عالمًا حـجّة فى القراءة ، بصيرًا بلسـان العرب ، يجلس فى المسجد مع الكسّائى للإفـادة ، كما كان نظيرًا له حيث كان يؤدّب المأمون فى حين كان الكسّائى يؤدّب الأمين (وهما ولدا هارون الرشيد) ومن مصنفاته العديدة : (النوادر - المقصور والممدود - الشّكْل - نوادر اللغة - النحو) وكانت وفاته عام (٢٠٢ هـ = ٨١٨ م) فى (مَرْو) وقيل : فى (خراسان) كما قيل أخيرًا : فى (بغداد) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للخطيب البغدادى ١٤/١٤٦ - ١٤٨ .
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٦/١٨٣ - ١٩١ .
- غاية النهاية فى طبقات القرّاء : لشمس الدين ابن الجزرى ٢/٣٧٥ - ٣٧٧ .
- بغية الوعاة فى طبقات اللّغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين السيوطى ٢/ ٣٤٠ .
- سير أعلام النبلاء : للحـافظ شمس الدين الذهبى - (٩/ ٥٦٢ - ٥٦٣) - حقق هذا الجزء : كامل الخرّاط - الطبعة ١ - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

وقد روَى كل قراءة من القراءات العشر الأولى راويان ؛ فصارت جملة رواتها عشرين راويًا ، كما أن كل راوٍ من الرواة العشرين قد نقلت روايته من طريقين ، وكل طريق من طريقين أو أربع طرق عن الراوى نفسه ؛ فصارت جملة طرقها ثمانين طريقًا .

وأخيراً فقد تفرّع عن هذه الطرق الثمانين تسعمائة وثمانون طريقًا فصّلها ابن الجزرىّ فى كتابه (النشر فى القراءات العشر) كما أشار إليها فى كتابه (شرح طيبة النشر) بقوله :

وهــذه الرواةُ عنهــم طُــرُقْ ... أَصَحُّهَا فــى (نشرنا) يُحَقَّــقْ

باثنــينِ فــى اثنينِ وإلاَّ أربَــــعْ ... فَهْــىَ زُهَا أَلْفِ طريقٍ تُجْمَعْ[1]

المسألة الثانية

حُجيّتها عند العلماء

ذهب العلماء إزاء احتجاجهم بهذه القراءات الأربعَ عشرةَ وأخذهم بها المذاهب الثلاثة التالية :

١- وجوب السبع المتواترة :

يُجْمِع أئمة القراءات على وجوب الأخذ بالقراءات السبع الأولى ؛ وذلك لتواتر صحتها عن علماء القراءات ، واتصال سندها بذلك إلى رسول الله ﷺ .

٢ - جواز الثلاث المشهورة :

يجيز أئمة القراءات الأخذ بالقراءات الثلاث التالية للسبع المتواترة ؛ وذلك لشهرة صحتها بين المحققين من علماء القراءات ؛ ومن ثم قولهم بجواز الأخذ بها .

٣ - بطلان الأربع الشاذة :

وأما هذه القراءات الأربع الأخيرة فَيُطْبِقُ علماء القراءات بالإجماع على بطلانها وعدم صحة القراءة بها ؛ وذلك لشذوذها ومخالفتها لما انعقد عليه إجماعهم ؛ ومن ثم فإنّ هذه القراءات الأربع من قبيل الشاذ الذى يُحفظ ولا يُقاسُ عليه .

---

(١) المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر : د. محمد سالم محيسن ١/٦ - ٢٩ .

المسألة الثالثة

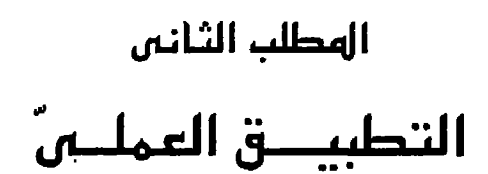
موقف الشنقيطى

ينزل الشنقيطى على إجماع المحققين من أئمة القراءات المعتبرين من حيث أخذه بالقراءات السبع المتواترة ، فضلاً عن القراءات الثلاث المشهورة ، أما القراءات الأربع الشاذة فلا شك فى بطلانها عنده ؛ ومن ثم لا يرجع إليها إلا فى موطن الاستشهاد بها لبيان بطلانها إلى صحة القراءات المتواترة ، فضلاً عن جواز القراءات المشهورة .

وإزاء بيان الشنقيطى لموقفه هذا يقول ما نصه وقد التزمنا أنَّا لا نبيّن القرآن إلاّ بقراءة سبعية ، وقراءة (أبى جعفر ويعقوب وخلف) ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات ؛ ومن ثم فلا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة ، غير أننا ربما نذكر القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية[1] .

وما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعليّة من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٧ - ٦٨ (من المقدمة) .



ويتنظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولــى : شاهـد تفصيلى .

٢ - المسألة الثانيـة : شـاهد موجــز .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما اشتملت عليه من تلك (القراءات القرآنية) حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العمليّ على تقعيده النظريّ ، وفيما يلى نَعْرِض لذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

شاهد تفصيلى

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية[1] نراه يَعْرِض لما ورد فيها من قراءات شاذة باطلة ، وقراءات متواترة صحيحة ، ومستشهداً إزاء ما ذهب إليه بأدلته المعتبرة من القرآن والسنة والآثار ، فضلاً عن لغة العرب وأقوال المحققين من العلماء .

ويمكننا إيجاز ما ذكره الشنقيطى بشأن القراءات الواردة فى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ من خلال كلامه الذى يقول فيه ما نصه : وفى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ثلاث قراءات : واحدة شاذة ، واثنتان متواترتان ، أما الشاذة: فقراءة الرفع وهى قراءة الحسن[2] وأما المتواترتان : فقراءة النصب وقراءة الخفض[3] أما النصب : فهو قراءة (نافع وابن عامر والكِسائى وعاصم فى رواية حفص عنه) من السبعة ، وقراءة (يعقوب) من الثلاثة ، وأما الجر : فهو قراءة (ابن كثير وحمزة وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر عنه) .

وبعد أن يُسَمِّى الشنقيطى تلك القراءات الواردة فى هذه الآية الكريمة ؛ يَعْمَد إلى توجيه كل قراءة منها على نحو تفصيلى حيث يقول ما نصه : أما قراءة النصب : فلا إشكال فيها ؛ لأن الأرجل فيها معطوفة على الوجوه ، وتقرير المعنى عليها هو : فاغسلوا وجوهكم إلى المرافق ، وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برؤسكم ، وإنما أَدْخَلَ (مسح الرأس) بين المغسولات محافظة على الترتيب ؛ لأن الرأس يُمْسَحُ بين المغسولات ؛ ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب فى أعضاء الوضوء حسبما جاء فى الآية الكريمة .

وأما على قراءة الجرّ : ففى الآية الكريمة إجمال ، وهو أنها يُفْهَمُ منها الاكتفاء بمسح الرجلين فى الوضوء عن الغسل كالرأس ، وهو خلاف الواقع للأحاديث الصحيحة الصريحة فى وجوب غَسْل الرجلين فى الوضوء والتوعد بالنار لِمَنْ ترك ذلك كقول رسول الله

(١) المائدة : ٦ .

(٢) ويعنى به : الحسن البصرى أحد أصحاب القراءات الأربع الشاذة السابق ذكرها .

(٣) ويعنى به : الجرّ فى مقابل النصب .

ﷺ : « وَيْلٌ للأعقاب من النار » الحديث(١) .

واعلم أن القراءتين إذا ظهـر تعارضهـما فى آية واحدة فـإنّ لهما حُكْم الآيتين كـما هو معروف عند العلماء ؛ وإذا علمتَ ذلك فاعلم أن قراءة : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب صريح فى وجـوب غَسْل الرجلين فـى الوضــوء ، وهى مُفْـهِمَـة أن قـراءة الخفض إنما هـى لمجـاورة المخفوض ، مع أنها فى الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب .

والعرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض ، مع أنّ إعرابها النصب أو الرفع ؛ ومن ثم فإن ما ذكـره بعضهم من أن الخفض بالمجـاورة معدود من اللَّحْن الذى يُتَـحَمَّلُ لضرورة الشعر خاصة ، وأنه غير مـسموع فى العطف ، وأنه لم يَجُزْ إلاّ عند أَمْن اللَّبْس ؛ فإنّ هذا مـردود بأن أئمـة اللغة العـربية صـرحوا بجـوازه ، ومِمَّنْ صـرح به الأخـفش وأبو البـقاء وغيرهما ، ولم ينكره إلاّ الزَّجَّاج ، وإنكاره له مع ثبوته فى كلام العرب وفى القرآن العظيم إنما يدل على أنه لم يتتبع المسألة تتبعًا كافيًا .

والتحـقيق : أن الخـفض بالمجاورة أسلوب من أسـاليب اللغـة العربية ، وأنـه جاء فى القرآن الكريم لأنه بلسان عربى مبين ، فمنه فى العطف قول امرئ القيس :

فَظَلَّ طُهَاةُ اللحم منْ بينِ مُنْضِجٍ ... صَفِيفَ شِـوَاءٍ أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ(٢)

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) العلم (باب) مَنْ رفع صوته بالعلم - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الطهارة (باب) وجوب غَسْل الرجلين بكمالهما - (طبع بيروت) .

(٢) قَدِير : ورد البيت بهذا اللفظ على لسان امرئ القيس كما هو مثبت فى ديوانه الذى يشتمل على هذه القصيدة .

راجع فى ذلك كلاً من :

- ديوان امرئ القيس : طبعة الهندية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .
- ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨ م .

وقد أثبت ابن الأنبارىّ ت (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) لفظ (قدير) فى شـرحه هذا البيت مع توجيه إعرابه قائلاً ما نصه : (الطهاة) : الطَّبَّـاخون وواحدهم (طاهٍ) ويقال : (قد طَهَا) إذا طبخ ، وقد أنشدنا أبو العباس لأخت يزيد بن الطَّثْرِيَّة :

إذا ما طَهَا للقـــوم كان كأنه ... حَمِيٌّ وكانتْ شِيَمةٌ لا تُزَايلُه

و (الصَّـفيفَ) : المُرَقَّـق، و (القدير) : الطبـيخ ، وأصله المَقـدور الذى طُبِخَ فى القـدور ، فصُرِفَ من مـفعول إلى فعـيل ، ويُسْتَحَبُّ تعجـيلُ كلِّ ما كان من الصيـد يُسْتَطْرَف ، و (ظلَّ) : بمنزلة كان فى العمل ، و (منْ) خبر ظل وهى خافـضة لـ (بَيْن) و (بَيْنِ) خافضة لـ (مُنْضِجٍ) و (الصَّفِيف) : منصوب بـ (مُنْضِجٍ) والقدير نَسَقٌ على الصـفيف فى التقدير ، والتقدير : (من بينِ منضجٍ صفيفَ شواءٍ أو قدير معجَّل) . =

... ...

وقد أجاز الكسائى والفرّاء : (عبدُ الله مكرمٌ أخاك فى الدار وأبيك) و (عبدُ الله مكرمُ أخيك فى الدار وأباك) وأنشد الفرّاء :

فبينـا نحنُ ننظـره أتانـا مُعلّقَ شكوة وزنَادَ راعِ

فنصب (زنادَ) على معنى : (أتانا معلقًا شكوةً) والمُعَجّل يخفض لأنه نعت للقدير ، و (المُعَجّل) : الذى لا يُحْبَسُ .

● راجع فى ذلك (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) : لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ - تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون ص ٩٧ - (البيت رقم ٦٨) - الطبعة ٤ - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

● أما الزَّوْزَنىّ ت (٤٧٦ هـ = ١٠٨٤م) فقد أثبت أيضًا لفظ (قدير) فى شرحه نفس البيت دون توجيه إعرابه قائلاً ما نصه: (الطهو والطهى): الإنضاج ، والفعل (يطهو ويُطهى) و (الطُّهَاة) : جمع طاه كالقضاة جمع قاضٍ ، والكفاة جمع كافٍ ، و (الإنضاج) : يشتمل على طبخ اللحم وشيِّه ، و (الصَّفيف) : المصفوف على الحجارة لينضج ، و(القدير) : اللحم المطبوخ فى القدر .

يقول : ظلّ المنضجون اللحمَ ، وهو صنفان : صنف ينضجون شواءً مصفوفًا على الحجارة فى النار ، وصنف يطبخون اللحم فى القدر ؛ فيقول : كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا واشتووا ، و (منْ) فى قوله : (منْ بينِ منضج) للتفصيل والتفسير كقولهم : (هم من بينِ عالمٍ وزاهدٍ) يريد أنهم لا يَعْدُون هذين الصنفين ؛ كذلك أراد أن يقول : لم يَعْدُ طهاةُ اللحم الشاوين والطابخين .

● راجع فى ذلك (شرح المعلّقات السّبع) : للقاضى أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزّوْزَنىّ ص ٣٦ (البيت رقم ٦٧) - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد يوسف مناسبة أن يُرْوَى هذا البيت بلفظ (قَديد) بدلاً من (قَدير) وذلك لدفع توهم الخلط فضلاً عن التشابه الذى قد يحدث بين (قَدير) التى وردت على لسان امرئ القيس فى ديوانه ، والتى أثبتها كل من ابن الأنبارىّ والزّوْزَنى ، وبين صفة الله سبحانه بأنه (قدير) حيث تكرر ورودها فى القرآن تسعًا وثلاثين مرة كما فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة : ٢٠ - وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحشر : ٦ - وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحديد : ٢- كما وردت صفته سبحانه بلفظه (قديراً) ست مرات فى القرآن كله كما فى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ الفتح : ٢١ - وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الفرقان : ٥٤ .

● راجع فى ذلك (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) : وضع محمد فؤاد عبد الباقى ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

أما (القَديد) : فهو (اللَّحْمُ المُقَدَّد) أى (المُجَفّف) والذى يُقَطَّعُ قطعًا طوَالاً ثم يُمَلّح ويُشَرَّر ، و (التَّشْرير) : هو بَسْط هذه القطع المُمَلَّحَة ونشرها على صفائح بيضاء لتجف فى الشمس والهواء ، حيث تُعْرَف هذه الصفائح بـ (الأشَارير) وواحدتها : (الإشْرَارَة) - انظر مادة (شَرَرَ) فى كل من لسان العرب : ٤/ ٢٢٣١ - المعجم الوسيط : ١/ ٤٩٧ - وكذا مادة (قَدَدَ) فى كل من لسان العرب : ٥/ ٣٥٤٣ - مختار الصحاح : ص ٥٢٣ - المعجم الوسيط : ٢/ ٧٤٥ .

وفى حالة إثبات لفظ (قَديد) بدلاً من لفظ (قَدير) فإن رواية البيت تصير على النحو التالى :

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أو (قَدِيدٍ) مُعَجَّلِ

=

بجر (قَدِير) لمجاورته للمخفوض ، مع أنه عُطِفَ على (صَفِيفَ) المنصوب بأنه مفعول اسم الفاعل (مُنْضِج) و (الصفيف) فعيل بمعنى (مفعول) وهو المصفوف من اللحم على الجمر لينشوى ، و (القدير) كذلك فعيل بمعنى (مفعول) وهو المجعول فى القِدْر من اللحم لينضج بالطبخ ؛ ومن ثم فإن الإنضاج واقع على كل من (الصفيف) و (القدير) كما أن منه قول العرب : (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) بخفض (خَرِبٍ) لمجاورة المخفوض وهو (ضَبٍّ) مع أنّ (خَرِب) نعت للخبر المرفوع وهو (جُحْرُ) .

ومن أمثلة الخفض بالمجاورة فى العطف فى القرآن العظيم قول الله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ الآية[1] على قراءة حمزة والكسائى ورواية المفضل عن عاصم بالجرّ لمجاورته لقوله تعالى : ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ الآيات[2] مع أن قوله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ حُكْمُهُ الرفع .

وبهذا تعلم أنّ دعوى كون الخفض بالمجاورة لَحنًا لا يُتَحَمَّلُ إلا لضرورة الشعر هى دعوى باطلة؛ ولذا جزم البيهقى فى (السُّنن الكبرى) بأن خفض ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ إنما هو

= وعلى هذا فإنه يمكن توجيه معنى (الإنضاج) هنا ليتوزع بين عمليتىْ (الشَّىّ) و(التَّقْديد) أما عملية (الشَّىّ) فيتم من خلالها قيام فريق من الطهاة بتقطيع جزء من اللحم وتصفيفه ثم شَيِّهِ لإنتاج (اللحم المَشْوِىّ) وهو ما يعبر عنه امرؤ القيس : بقوله : (صَفِيفَ شِوَاءٍ) .

وأما عمليّة (التَّقْديد) : فيتم من خلالها قيام فريق آخر من الطهاة بتقطيع جزء آخر من اللحم قطعًا طوالاً وتمليحها ثم تجفيفها على صفائح بيضاءَ نظيفة منصوبة فى الشمس والهواء الطلق لإنتاج (اللحم المُجَفَّف) وهو ما يستعجلهم ويحثهم على الإسراع به امرؤ القيس فى قوله : (أو قَدِيدٍ مُعَجَّلِ) على رواية (قَديد) بدلاً من (قَدِير) .

ويلاحظ أن لفظ (قَدِيد) يساوى لفظ (قَدِير) فى البنية والحركة ؛ وهذا ما لا يؤثر بدوره على الوزن العَرُوضى لهذا البيتَ ولا على قصيدته التى تنضبط جميعها على (بحر الطويل) والذى يتمثل وزنه فيما يلى :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

وهو ما ذكر العلماء المعنيون من أهل الاختصاص ضابطه العَرُوضىّ وأحوال عَرُوضه وقافيته بقولهم :

عَرُوضُ (طويل) ذاتُ قَبْض وضَرْبُها صحيحٌ ومَقْبُوضٌ وقد جاء بالحذف
فعولن مفاعيلُنْ فعولن مَفاعلن وقبضُ فعولن فى الزحاف من الظَّرْفَ

● راجع فى ذلك (فى علمىْ العَرُوض والقافية) : لأستاذنا الدكتور أمين على السيد ص ١٦٢ (الضابط الأول من ضوابط البحور : بحر الطويل) - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢ م .

(١) الواقعة : ٢٢ - ٢٣ (آيتان) .

(٢) الواقعة : ١٨ - ٢١ (أربع آيات) .

لمجاورة المخفوض ، وقد نقل عن الأعمش فى ذلك قوله : كانوا يقرأونها بالخفض ، وكانوا يغسلون .

وهكذا يستعرض الشنقيطى على هذا النحو التفصيلى القراءات الثلاث الواردة فى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ مثبتًا صواب قراءتىْ النصب والجر ، ومبطلاً قراءة الرفع ، وحاشدًا إزاء احتجاجه لهذا ما أمكنه من الأدلة من كلام العرب ، ومن آيات القرآن العظيم ، وذلك على مدار تسع صفحات كاملة من تفسيره[1] .

المسألة الثانية

شاهد موجز

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ الآية[2] نراه يوّجه المعنى على ضوء القراءات الثلاث المتواترة التى وردت فى هذه الآية الكريمة على نحو موجز حيث يقول فى ذلك ما نصه :

وفى قول الله تعالى : ﴿دَرَسْتَ﴾ ثلاث قراءات سبعيات، فقد قرأه ابن كثير وأبو عمرو : (دَارَسْتَ) بألف بعد الدال مع إسكان السين وفتح التاء من المفاعلة بمعنى : (دارستَ أهل الكتاب ودارسوكَ حتى حصّلتَ هذا العلم) وقرأه بقية السبعة غير ابن عامر : (دَرَسْتَ) بإسقاط الألف وإسكان السين وفتح التاء أيضًا بمعنى: (درستَ هذا على أهل الكتاب حتى تعلمته منهم) .

أما ابن عامر فقد قرأه : (دَرَسَتْ) بفتح الدال والراء والسين وإسكان التاء على أنها (تاء التأنيث) والفاعل ضمير عائد إلى الآيات المذكورة فى قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ الآية[3] .

قال القرطبىّ : وأحسن ما قيل فى قراءة ابن عامر أن المعنى : ولئلاً يقولوا انقطعتْ وامحتْ ، وليس يأتى محمد ﷺ بغيرها ، أى بغير هذه الآيات[4] .

وهكذا يبدو الفارق واضحًا بين هذين الشاهدين اللذين آثرنا التنبيه بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ، واللذين يبدو من خلالهما منهجه حَالَ عَرْضِه لتلك

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٢/٧ - ١٥ (تسع صفحات كاملة) .
(٢) الأنعام : ١٠٥ . (٣) الأنعام : ١٠٥ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ (بعض الصفحتين) .

القراءات على نحو تفصيلى كما فى الشاهد الأول ، أو على نحو موجز كما فى الشاهد الثانى .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (القراءات القرآنية) كموضوع أساسىّ من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصنِّفُ الآية تحته ، بل ويُوَجِّه معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

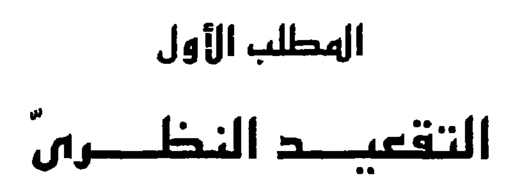
المبحث الخامس

المَجَاز فى القرآن

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المطلب الثانى : التطبيق العملىّ .



وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : خلاف العلماء .

٢ - المسألة الثانية : موقف الشنقيطي .

ونعنى به موقف الشنقيطى من قضية (المَجَاز فى القرآن) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسيّ ، من موضوعات (علوم القرآن) التى يصنّفُ تحتها ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى

خلاف العلماء

ويمكننا أن نوجز خلاف العلماء إزاء قضية (المَجَاز فى القرآن) من خلال جملة أقوالهم التى نقلها عنهم الشنقيطى على النحو التالى :

١- على مستوى اللغة :

اختلف علماء اللغة وأئمتها فى أصل وقوع المجاز على الأقوال التالية :

- **قول أبى علىّ الفارسىّ ت (٣٧٧ هـ = ٩٨٨ م)[(١)] :**

يعزو تاج الدين السبكى فى كتابه (جمع الجوامع) إلى أبى على الفارسى ما ذهب إليه من نفيه وقوع المجاز فى اللغة مطلقًا[(٢)] .

---

(١) هو إمام النحو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أَبَان الفارسى الفَسَوىّ نسبة لمولده بمدينة (فَسَا) اشتغل ببغداد ثم أقام بحلب عند سيف الدولة ، وكانت بينه وبين المتنبى مجالس أدبية عديدة ، وقد انتقل بعد ذلك إلى بلاد فارس وصحب عَضُدَ الدولة ابن بُوَيْه وعلت منزلته عنده حتى قال : (أنا غلام أبى على الفَسَوى فى النحو) ومن تلامذته أيضًا أبو الفتح ابن جنّى وعلى بن عيسى الرَّبَعى ، ومن مصنفاته العديدة : (التذكرة - الحُجَّة فى القراءات - الأَغْفَال فيما أغفله الزَّجَّاجِيّ فى المعانى - المسائل الحَلَبِيَّات - المسائل البصرية - المسائل الكَرْمانية) وغيرها ، وقد تُوُفِّيَ ببغداد من العام المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ٧/ ٢٧٥ - ٢٧٦ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ٧/ ٢٣٢ - ٢٦١ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة : للوزير القفطى ١/ ٢٧٣ - ٢٧٥ .
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٢/ ٨٠ - ٨٢ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٦/ ٣٧٩ - ٣٨٠) - حقق هذا الجزء : أكرم البوشى.

(٢) جمع الجوامع : للإمام تاج الدين عبد الوهّاب السبكى ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - ١/ ٣٠٨ - شرح : الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلى - حاشية : العلامة البنانى - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - (د.ت) .

- **قول أبى الفتح ابن جِنّى ت (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م)[١] :**

حيث يذهب إلى القول بأن المجاز الذى يغلب وقوعه فى اللغة عند القائلين به ليس فى الحقيقة إلاّ أسلوبًا من أساليب اللغة العربية ، فمن تلك الأساليب مثلا : (إطلاق الأسد) على (الحيوان المفترس المعروف) ومنها أيضًا : (إطلاق الأسد) على (الرجل الشجاع) وهكذا[٢] .

- **قول أبى إسحاق الإسفراييني ت (٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م)[٣] :**

ويعزو تاج الدين السبكى أيضًا فى كتابه (جمع الجوامع) إلى أبى إسحاق الإسفرائينى

---

(١) هو إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى ، كان أعور ، كما كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وقد لزم أستاذه أبا على الفارسى دهرًا وسافر معه حتى برع وصنَّف ، وسكن بغداد ، وخدم عَضُدَ الدولة وابنه زمنًا ، كما قرأ على المتنبى ديوانه وشرحه ، كما ألَّف العديد من المصنفات منها : (اللمع - سر الصناعة - المنصف فى شرح كتاب المازنى فى التصريف - الخصائص - التلقين فى النحو - الصبر فى شرح شعر المتنبى) وغيرها ، ثم كانت وفاته ببغداد من العام المذكور .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ١١/ ٣١١ - ٣١٢ .
- معجم الأدباء : لياقوت الرومى الحموى ١٢/ ٨١ - ١١٥ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة : للوزير القفطى ٢/ ٣٣٥ - ٣٤٠ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ١٧/ ١٧ - ١٩ .

(٢) الخصائص: لابن جنى - (٢/ ٤٤٥ - ٤٥٠) - تحقيق: محمد على النجار - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٣) هو الإمام العلاّمة ركن الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائينى أو الإسفراييني الأصولى المتكلم الأشعرى الفقيه الشافعى إمام أهل خراسان والمعروف بـ (الأستاذ) أحد المجتهدين فى عصره ، وصاحب المصنَّفات الباهرة مثل : (جامع الجلىّ والخفىّ فى أصول الدين والرد على الملحدين - تعليقة نافعة فى أصول الفقه) وغير ذلك .
سمع الحديث من أبى بكر الإسماعيلى ودَعْلَج وغيرهما ، كما أخذ عنه البيهقى وأبو الطيب الطبرى والحاكم النيسابورى وغيرهم ، وقد مدحه الحافظ ابن عساكر بقوله : (حكى لى مَنْ أثق به أن الصاحب إسماعيل بن عبَّاد كان إذا انتهى إلى ذكر هؤلاء يقول : ابن الباقلاَّنى بحر مُغْرِق ، وابن فُورَك صِلٌّ مُطْرِق ، والإسفراييني نار تُحْرِق) والصِلُّ : (واحد الأصلال) وهو السيف القاطع أو الرجل الداهية ، وكان الإسفراييني فى آخر حياته لا يفتأ يقول : (إنى أشتهى أن أموت بنيسابور حتى يُصَلِّىَ علىَّ جميعُ أهلها) وقد كان ما تمناه حيث تُوفِّىَ بها يوم عاشوراء من العام المذكور .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ١/ ٢٨ . =

ما ذهب إليه من نفيه وقوع المَجَاز فى اللغة مطلقًا[1] .

- **قول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م)[2] :**

=

- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ١٧/٣٥٣ - ٣٥٦ .
- الوافى بالوفيات : لابن أَيْبَك الصَّفَدى ٦/١٠٤ - ١٠٥ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٥/٦١٩ .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكى ٤/٢٥٦ - ٢٦٢ .
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : لمصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجى خليفة) و (كاتب جلبى)- ١/٥٣٩ - تقديم: العلاَّمة الحُجَّـة آية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفى المرعشى - أعادت طبعه بالأوفست: منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د. ت) .

(١) جمع الجوامع : لتاج الدين السبكى ١/٣٠٨ .

(٢) هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرَّانى الدمشقى، علم الأعلام، القدوة الإمام ، انتقل به أبوه إلى دمشق عام (٦٦٧هـ = ١٢٦٩م) بعد استيلاء التتر عليها وكان عمره آنذاك ست سنوات ، ولما شاهد ما كان عليه المسلمون من الضعف والعجز عن التصدى لأعدائهم أدرك أن السبب فى ذلك هو بعدهم عن كتاب ربهم ، وانحرافهم عن سُنة نبيهم ﷺ ومن ثم عزم على الجهاد وتوسَّع فى تحصيل العلوم النقلية والعقلية حتى بلغ فيها مبلغًا لا يُدرَك شأوه ، كما عكف على قراءة القرآن وتَدَبُّر معانيه حتى أصبح بحراً لا يُدرَك قَعرُه ، ومما يروى عنه فى ذلك قوله: (إنى وقفت على مائة وعشرين تفسيراً، وكنت أستحضر من الجميع الصحيح الذى فيها) .

أفاد الناس بكل ما عَلِمَ وتَعَلَّم ، وأدك وحَصَّل ، وقد أَلَّفَ مُصنَّفَات عديدة ، ووضع رسائل مفيدة منها : (مقدمة فى أصول التفسير - الرسالة التدمرية - الجواب الباهر فى زُوَّار المقابر - كتاب الرد على الإخنائى واستحباب زيارة خير البَرِيَّة الزيارة الشرعيَّة - مجموع الفتاوى - رسائل التفسير) وغيرها ، وقد ظلت علاقته قوية بكتاب الله تعالى حتى آخر عمره الذى قضاه فى سجنه بدمشق وتُوفِّىَ به عام (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م) بسبب وشاية أعدائه به لدى الأمراء والسلاطين ، غير أنه لم يُثْنِه ذلك كله عن عطائه وجهاده طوال سجنه الذى يصفه بقوله : (قد فتح الله علىّ فى هذا الحصن فِى هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم أشياءَ كان كثير من العلماء يتمنَّونها ، كما أنى نَدِمْتُ على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن) .

وأخيراً يصفه الحافظ الذهبى بقوله : (كان قوَّالاً بالحق ، نَهَّاءً عن المنكر ، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة ، وهو أكبر من أن يُنَبِّه على سيرته مثلى ؛ فلو حَلَفْتُ بين الرُّكن والمقام لحلفت أنى ما رأيتُ بعَينى مثلَه ، وأنه ما رأى مثلَ نفسه) كما ينقل عنه تلميذه ابن القَيِّم قوله الشهير : (ما يصنع بى أعدائى؟! أنا جَنَّتى فى صدرى أين رُحْتُ فهى معى لا تفارقنى؛ فحَبْسى خَلْوَةٌ ، وقتلى شهادةٌ ، وإخراجى من بلدى سياحةٌ) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تذكرة الحُفَّاظ : للحافظ شمس الدين الذهبى ٤/١٤٩٦ - طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
- فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبى - (١/٧٤ - ٨٠) - دار صادر - بيروت - لبنان - ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

=

يذهب ابن تيمية فى (فتاويه) إلى نفى وقوع المجاز فى اللغة على الإطلاق[1] .

- **قول ابن قيِّم الجَوْزِيَّة ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م)[2] :**

يُعَضِّدُ ابن القيِّم فى كتابه (الصواعق المُرْسَلَة) ما ذهب إليه أبو الفتح ابن جِنِّى موضحًا

=

- العقود الدُّرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيـمية : لابن عبد الهادى الحنبلى – مطبعة المدنى (المؤسسة السعودية بمصر) – القاهرة – ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
- الأعلام العَلِيَّـة فى مناقب شيخ الإسـلام ابن تيميـة : للحافظ أبى حـفص البَزَّار – (بدون بيانات) .
- الوافى بالوفيات : لابن أَيْبَك الصَّفَدى ٧/ ١٥ – ٣٣ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٤/ ١٣٥ – ١٣٩ .
- ذيل طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلى ٢/ ٣٨٧ – ٤٠٨ .
- تفسير سـورة الإخلاص: لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بـن عبـد الحليم بـن تيمية – ص (١٠ – ١٧) – راجع نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. عبد العَلِىّ عبد الحميد حامد – الطبعة ٢ – (الدار السلفية بومـباى الهند) مع (دار الريَّان للتراث بالقاهرة) – ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧ م .

(١) مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٧/ ٨٩ - جمع : عبد الرحمن بن محمد القاسم – الطبعة ١ – الدار العربية – بيروت – لبنان – ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) هو الإمام شـمس الدين أبو عبـد الله محـمد بن أبى بكر بى أبى أيـوب بن سعد بن حـريز الزرعى الدمشـقى المعروف بـابن قَيِّم الجَوْزِيَّـة ، و (الزُّرْعِىّ) نسبـة إلى قرية (زُرْع) من قـرى (حَرَّان) مسقط رأس أستاذه شـيخ الإسلام ابن تيمية ، وأما (قَيِّم) فـتعنى الناظر ، و (الجَوْزِيَّة) فهى عَلَم على أكبر مدارس الحنابلة بدمشق كغيرها مـن مدارسهم الأخرى مثل (المدرسة الصَّدْرِيَّة) ولقـب (قَيِّم الجَوْزِيَّة) كان يطلق على والد ابن القيم الذى كان ناظرًا لمدرسة الجوزية التى كان لها أكبر الأثر فـى نشـر علـوم الشرع واللغـة ، فـضلاً عن حـفاظهـا على أصول مذهـب الإمام أحمـد بن حنبل وفروعه ، وقد أُسْنِدَ إلى (ابن القَيِّم) التدريس والإفتاء بهذه المدرسة بعد وفاة والده .

ويكاد يُجْمِـع عـلماء السلف على صـلاح ابن القـيم وورعه وحُسْن عـبادته حتى إن ابن حـجر العسـقـلانى يذكره بقوله : كان ابن القَـيِّم رجلاً قوى الخُلُق سليم الضمـير ، ذا عبادة وتَهَجُّـد وكثرة تلاوة ، حتـى إنه إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكـر الله تعالى حـتى يتعـالى النهار قـائلاً : (هذه غدوتى لو لم أقعدها لسقطت قواى) كما كان يقول : (بالصبر واليقين تُنَال الإمامة فى الدين) .

من أشهر شيوخه ابن تيمية وابن قدامة ، ومن أشهر تلامذته ابن كثير وابن رجب الحنبلى ، ومن أشهر مـصنفاته : (التفسيـر القَيِّم – زاد المعاد فى هَدْى خيـر العباد – الرُّوح – الكافية الشـافية فى الانتصار للفرقـة الناجية المعروفة بالقصـيدة النونية – الصواعق المُرْسَلَة على الجهمـية والمعطلة – تحفة المودود بأحكام المولود – الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطيب) وغيرها ، وقـد حُبِسَ ابن القَيِّم مع شيخه ابن تيمـية منفردًا عـنه ولم يفـرج عنه إلا بعد موت شـيخـه ، وقد حَجَّ مرات عـديدة وجاور بمكة المكرمة ، ثم كان أن تُوُفِّىَ بدمشق وقت العشاء الآخـرة الثالثَ عشرَ من رجب الفرد الحرام من العام المذكور ، وقد شيَّعه خَلْق كثيرون حتى كادت شوارع دمشق تضيق بهم . =

ذلك بما معناه: إنّ جميع أنواع المجازات عند القائلين بها فى اللغة ، ليست إلاّ أنواعًا متعددة من الأساليب العربية المعروفة عند أهل العلم بها ، فـ (إطلاق الأسد) مثلاً على (الحيوان المفترس) ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدلّ على أنّ المراد غيره ، وكذلك فإنّ (إطلاق الأسد) على (الرجل الشجاع) ينصرف إليه إذا اقترن بما يدل على ذلك .

كما أنه لا مانع من كون أحد الإطلاقين لا يحتاج إلى قيد فى حين أن الثانى يحتاج إليه ؛ وذلك لأن بعض أساليب العربية يتضح فيه المقصود فلا يحتاج إلى قيد ، فى حين أنّ بعضها الآخر لا يتضح فيه المراد ولا يتعين إلاّ بحاجته إلى قيد يدل عليه ، ومع الاقتران بالدليل فإنه يقوم مقام الظاهر الذى يستغنى عن ذلك الدليل كقولك : (رأيت أسدًا يرمى) فإنه يدل على (الرجل الشجاع) كما يدل لفظ (الأسد) عند الإطلاق على (الحيوان المفترس) .

وبناءً على هذا ؛ فلا يمكن إثبات مجاز فى اللغة العربية ، لأنّ كلاً من تلك المجازات عند القائلين بها ليس عندنا إلاّ حقيقة فى مَحَلّه .

بل يذهب ابن القيِّم إلى ما هو أكثر منه هذا حينما يعقد فصلاً كاملاً من كتابه المذكور وَسَمَه بعنوان : (فصل فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعه الجَهْمِيَّة لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز) حيث يستطرد قائلاً : وهذا الطاغوت قد لهج به

= راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلى ٢/ ٣٩٣د .
- البداية والنهاية : لابن كثير ١٣/ ٢٣٥ .
- رحلة ابن بطوطة : ص ٧٧ - القاهرة - (بدون بيانات) .
- شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذهب : لابن العماد الحنبلى ت (١٠٨٩هـ = ١٧٣٠م) - ٣/ ٧٥١ - نشر : المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - (د. ت) .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : لابن تَغْرى بَرْدى الأتابكىّ ت (٨٧٤ هـ = ١٤٧٠م) - ١٠/ ٢٤٩ - نشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة - (د. ت) .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لابن قيِّم الجَوْزِيَّة ص ٢٧٠ - تحقيق : محمود حسن ربيع - الطبعة ٣ - مكتبة حميدو - الإسكندرية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
- الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) : لابن قيِّم الجَوْزِيَّة ص ٧١٧ - تحقيق : محمد خليل هرَّاس - مطبعة الإمام - القاهرة - (د. ت) .
- منهج أهل السنَّة فى تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيِّم التفسيرية) : د. صبرى المتولى - (ص ١٠ - ١٧) - الناشر: مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

المتأخرون ، والتجأ إليه المعطِّلون ، وجعلوه جُنَّةً يَتَرَّسُون بها من سِهَام الراشقين[1] ويَصُدُّون عن حقائق الوحى المبين .

ثم يسترسل مستشهداً بالإمام الشافعى فيقول : وهذا هو الشافعى مع كثرة مصنفاته ومباحثه إلا أنه لا يوجد فيها ذكر المجاز ألبتة ، وهذه هى رسالته التى هى كأصول الفقه لم ينطق فيها بالمجاز فى موضع واحد[2] .

٢ - على مستوى القرآن :

يشير الشنقيطى إلى الخلاف فى جواز إطلاق المجاز فى القرآن عند كل من القائلين بوقوعه فى اللغة؛ وعند القائلين بمنعه فيها ، وذلك على النحو التالى :

- **عند القائلين بالمجاز فى اللغة :**

فهم وإنْ قالوا بوقوع المجاز فى اللغة ؛ إلا أنهم لا يجيزون وقوعه فى القرآن ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطى بقوله : إن القائلين بالمجاز فى اللغة العربية قد اختلفوا فى جواز إطلاقه فى القرآن ، فقال قوم من المالكية منهم ابن خويز منداد[3] وقوم من الشافعية منهم ابن

---

(١) وقوله : (جُنَّةً يَتَرَّسُونَ بها) أى وقاية يستترون بها لتحميهم من تلك السهام مثل التُّرْس الذى يُتَوَقَّى به فى الحرب - انظر مادتىْ (تَرَسَ) و (جَنَنَ) فى المعجم الوسيط : ١/٨٧ - ١/١٤٦ .

(٢) راجع فى ذلك بتصرف كلاً من :

- مختصر الصواعق المُرْسَلَة على الجَهْمِيَّة والمُعَطِّلَة : لابن قَيِّم الجَوْزِيَّة - (٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥) - اختصره الشيخ الفاضل : محمد بن الموصلى - تصحيح الناشر : زكريا على يوسف - مطبعة دار البيان - القاهرة - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
- الرسالة : للإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى القرشى ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - تحقيق : أحمد محمد شاكر - طبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٥٨هـ = ١٩٣٨م .

(١) هو أبو بكر وقيل : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداد ، تفقّه على الأبهرىّ ، وله عدة مُصَنَّفات منها : (كتاب كبير فى الخلاف - كتاب فى أصول الفقه - كتاب فى أحكام القرآن) كما عنده شَوَاذ عن مالك ، وله اختيارات وتأويلات على المذهب لم يرجع عليها حُذَّاق المذهب أنفسهم ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته غير أنها أشارت إلى أنه كان من الطبقة السابعة من أهل العراق ، وأن وفاته كانت عقب وفاة القاضى أبى بكر الباقلانى الذى تُوفِّى عام (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبى السَّبْتى ت (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) - ٤/٦٠٦ - (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان) مع (منشورات دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا) - (د. ت) . =

القَاص[1] وكذا بعض الظاهرية : (لا يجوز أن يقال فى القرآن مجاز) .

- **عند مانعيْ المجاز فى اللغة :**

فهم وإنْ قـالوا بمنع وقوع المجاز فى اللغة أصـلاً ؛ فقد قالوا بمنعـه فى القرآن من باب أولَى ، وهذا ما يشيـر إليه الشنقيطى بقوله : وبَالَغَ فى إيضاح منع المجـاز فى القرآن الشيخ أبو العباس أحـمد بن تيمية ، وكـذا تلميذه العلامـة ابن قيِّم الجوزيَّة رحمهـما الله تعالى ، وذلك فضلاً عن قولهما بمنعه فى اللغة أصلاً .

المسألة الثانية

موقـــف الشنقيطـــىْ

ويذهب الشنقيطى إلى القطع بمنع وقوع المجاز فى القـرآن ، وذلك فضلاً عن قوله بعدم وقوعه فى اللغة ، وهذا ما يتضح من خلال عرضنا لكل من :

أ - ردّه على المخالفين :

وإزاء ذلك يُصَدِّرُ الشنقيطىُّ كلامه بما يرى لزوم قَبُوله لكل منصف ، ثم يُثَنِّى بردّه على المخالفين قائلاً : والذى نَدينُ الله به ، ويلزم قَبُـوله كل مُنْصِف مُحِقّ ، أنه لا يجوز إطلاق

= - الديباج المُذْهَب فى معرفة أعـيان علماء المَذْهَب : لابن فرحون المالكى ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧م) - ٢/ ٢٢٩ - تحقيق: د. محمد الأحمدى أبو النور - مكتبة دار التراث - القاهرة - (د. ت) .
- شجرة النور الزكـية فى طبقات المالكية : للعلاّمـة الجليل الشيخ محمد بن محـمد مخلوف ص ١٠٣ - طبعة جديدة بالأوفست عن الطبعة الأولى للمطبعة السلفية ومكتبتها عام (١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م) - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(١) هو الإمام الفقيـه شيخ الشافعـية أبو العباس أحمـد بن أبى أحمد الطبرى المعـروف بابن القاصّ وقد ذكره السـمعانى على أنه القـاصّ نفسه لأنه كـان يَعظُ ويقصُّ فى (ديار الدَّيلم) وله عدة مُـصنَّفات صغيرة الحجم كثيرة الفائدة منهـا : (التلخيص - أدب القاضى - المفْتاح - المواقيت) وغيرها ،وقد انتهت به أسفاره إلى (طَرَسُوس) التى قيل إنه تولى قضاءها ، كما عُقِدَ له مجلس وعظ بها فأدركته رِقّة وخشية ورَوْعَة من ذكر الله تعالى فَخَرَّ مغشيًا عليه ليُتَوَفَّى بذلك عامَ (٣٣٥ هـ = ٩٤٧ م) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ١/ ٦٨ - ٦٩ .
- البداية والنهاية : لابن كثير ١٥/ ١٩٢ - ١٩٣ .
- طبقات الشافعية الكبرى : ٣/ ٥٩ - ٦٣ .
- سير أعلام النبلاء : للحـافظ شمس الدين الذهبى - (١٥/ ٣٧١ - ٣٧٢) - حقق هذا الجزء : إبراهيم الزيبق .

المجاز فى القرآن مطلقًا على كلا القولين : سواء قيل بوقوع المجاز فى اللغة ، أو عدم وقوعه فيها .

أما على القول بأنه لا مجاز فى اللغة أصلاً (وهو الحق) فإنّ عدم المجاز فى القرآن واضح ، وأما على القول بوقوع المجاز فى اللغة فلا يجوز القول به فى القرآن .

- **دليلا الشنقيطى:**

وفى احتجاجه لما ذهب إليه فى رَدِّه على المخالفين يسوق الشنقيطى كلاً من الدليلين التاليين :

١ - النفى الذى يقع فى المجاز لا يجوز وقوعه فى القرآن :

وفى هذا يقول الشنقيطى ما نصه : وأوضح دليل على منع وقوع المجاز فى القرآن هو إجماع القائلين بالمجاز على أنّ كل مجاز يجوز نفيه ، ويكون نفيه صادقًا فى نفس الأمر ؛ فتقول لِمَنْ قال : (رأيت أسدًا يرمى) ليس هو بأسد ، وإنما هو : (رجل شجاع) .

ومن ثم ؛ فإنه يلزم على القول بأنه فى القرآن مجاز : أن يكون فى القرآن ما يجوز نفيه ، ولا شك أنه لا يجوز نفى شىء منَ القرآن ، وطريق مناظرة القائل بالمجاز فى القرآن هى أن يقال : لا شىء من القرآن يجوز نفيه ، وكل مجاز يجوز نفيه ؛ فينتج بذلك أنه لا شىء من القرآن بمجاز .

٢ - ليس كل ما جاز فى اللغة جاز فى القرآن :

ويوضح الشنقيطى دليله الثانى هذا قائلاً ما نصه : فإن قيل : كل ما جار فى اللغة العربية جاز فى القران لأنه بلسان عربى مبين ؛ فالجواب : أنّ هذه (قضية كليّة لا تصدق إلاّ جزئيّة) وإيضاح هذا على طريق المناظرة هو أنّ القائل به يقول : إنّ المجار جائز فى اللغة العربية ؛ وكل ما جاز فى اللغة العربية فهو جائز فى القرآن ، فينتج بقوله هذا أنّ المجاز جائز فى القرآن .

وفى الرد على هذا نقول : سلمنا (المقدمة الصغرى) تسليمًا جدليًا ؛ لأن الكلام هنا على فرض صدقها ، وهى قوله : (المجاز جائز فى اللغة العربية) ولكننا لا نسلّم (الكبرى) التى هى قوله : (كل جائز فى اللغة العربية جائز فى القرآن) وقد تقرر عند عامة النظار أنّ (نقيض الكلية الموجبة جزئية سالبة) فهذه المقدمة التى فيها النزاع وهى قوله : (كل جائز فى اللغة جائز فى القرآن) هى كلية موجبة منتقضة بصدق نقضيها الذى هو (جزئية سالبة) وهى قولنا : (بعض ما يجوز فى اللغة ليس بجائز فى القرآن) .

وعليه ؛ فإذا تحقق صدق هذه (الجزئية السالبة) تحقق نفى (الكلية الموجبة) التى هى قوله : (كل جائز فى اللغة جائز فى القرآن) والدليل على صدق (الجزئية السالبة) التى نقضنا بها (كليته الموجبة) هو كثرة وقوع الأشياء المستحسنة فى اللغة عند علماء البلاغة ومنها (أنواع البديع المعنوى) والتى تشمل (الرجوع) و (حُسْن التعليل) وغيرهما ، فهذا (البديع المعنوى بأنواعه المتعددة) وإنْ كان واقعًا ، بل ومستحسنًا عند (أهل اللغة) إلاّ أنه ممنوع بلا نزاع فى (القرآن) .

ب - خلاصة موقفه :

وحالما يفرغ الشنقيطى من عرضه لأقوال العلماء وردِّه على المخالفين منهم ؛ فإنه يَعْمَد عندئذ إلى رصد خلاصة موقفه فى تلك القضية قائلاً ما نصه : والتحقيق الذى لا شك فيه ، بل والحق الذى ندين الله تعالى به ، ويلزم قَبُوله كل مُنْصِف مُحَقِّق ، أنه لا يجوز القول بوقوع المجاز فى القرآن العظيم مطلقًا ، وسواء قيل بمنع المجاز فى اللغة مطلقًا وهو الحق الذى نراه ، أو سواء قيل بجوازه فيه عند القائلين به .

ثم اعلم أن تقسيم اللفظ إلى (حقيقة) و (مجاز) هو أمر لم يُقُلْ به رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأما ما يروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أنه قال فى مثل : (إنا نحن من كلام الله تعالى) إنه من (مجاز اللغة) فاعلم أنه يعنى بذلك (أنه من الشىء الجائز فى اللغة) ولم يقصد (المجاز الاصطلاحىّ) الذى هو عندهم (ضد الحقيقة) وهذا ما أوضحه ابن القيِّم رحمه الله تعالى .

وهكذا يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يجزم بمنع وقوع المجاز فى (القرآن العظيم) فضلاً عن قوله بعدم وقوع المجاز فى (اللغة العربية) على التحقيق ، وهذا ما عَرَض له ، وانتصر فيه على مخالفيه ، من خلال مناقشته التفصيلية لأدلتهم ، ثم بيان خلاصة موقفه على نحو ما ذكرناه آنفًا[1] .

- **رأى البحث :**

والحق أننا نذهب إلى ما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين عامة ، والشنقيطى منهم خاصة ، بشأن القول بعدم وقوع المجاز فى القرآن العظيم ، فضلاً عن عدم وقوعه فى اللغة على التحقيق الذى سبق أن عرضنا له من قبل .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١٠/٣ - ٦٢ (على مدار ستين صفحة من خلال بحثه الموسوم بـ : منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز) .

هذا بالإضافة إلى تواتر إحكام لغة العرب ، وما يمتاز به لسانهم من خصيصة الفصاحة والبيان ، دون سائر الألسن واللغات ، وهو ما نطق به الحق سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ الآية[3] .

وإذا كان هذا هو شأن اللغة فضلاً عن شأن أصحابها ؛ فما بالنا بكلام الله تعالى الذى نطق به الحكيم الخبير ؟! لذا لا يمكن أن يدخل المجاز الذى هو (ضد الحقيقة) فى شىء من كلام الله تعالى ؛ لأن هذا مما يتنافى مع مقتضى (الإحكام) الذى أثبته له سبحانه فى قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ الآية[4] .

ثم إن المجاز اصطلاح حادث لم يظهر فى تاريخ هذه الأمة إلا بعد القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيريَّة ، فلم يُنْقَلْ عن أحد من (الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين) مَنْ قال به أو أشار إليه ، كما لم يتكلّم به أحد من الأئمة الأعلام (كأبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وسفيان الثورى والأوزاعى وإسحاق بن رَاهَوَيْه والليث بن سعد) وغيرهم، بل ولا تكلّم به أحد من أئمة اللغة وأعلامها (كالخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء والكِسَائى والفَرَّاء وأبى زيد الأنصارى والأصمعى وأبى عمرو الشيبانى) وغيرهم .

وأوَّلُ مَنْ تكلّم بلفظ (المجاز) هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التميمى المتوفَّى عام (٢١٠ هـ = ٨٢٦ م) فى كتابه (مجاز القرآن)[5] غير أنه لم يقصد به (مضاد الحقيقة) وإنما عَبَّر بمجاز الآية عن معناها وتفسيرها ، وأما استعمال لفظ (المجاز) الذى ورد على لسان الإمام أحمد بن حنبل المتوفَّى عام (٢٤١ هـ = ٨٥٧ م) فى كتابه (الرَّدّ على الجَهْمِيَّة والزَّنَادقَة)[6] فقد قصد به (الجائز فى اللغة) لا المجاز بمدلوله الاصطلاحى الذى وضعه المتأخرون وتعارفوا عليه على أنه (نقيض الحقيقة) .

وكان المعتزلة والجَهْمِيَّة ومَنْ تبعهم من أهل الكلام هم أول مَنْ تكلّموا بالمجاز بمعناه الاصطلاحى على أنه نقيض الحقيقة ، وقد اشتهر هذا عنهم بعد القرن الرابع الهجرى

---

(١) النحل : ١٠٣ . (٢) الشعراء : ١٩٥ .

(٣) الزمر : ٢٨ . (٤) هود : ١ .

(٥) انظر (مجاز القرآن) : صَنْعَة أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى – تحقيق : محمد فؤاد سزكين – نشر : مكتبة الخانجى – القاهرة – (د. ت) .

(٦) انظر (الرَّدّ على الجَهْمِيَّة والزَّنَادقَة) : للإمام أحمد بن حنبل ص ١٠١ – تحقيق : عبد الرحمن عميرة – دار اللواء – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

العاشر الميلادى ؛ فدلّ ذلك على أن المجاز بدعة اعتزالية محضة ، وصنعة كلامية صِرْفَة ، تقوم على أساس صرف الألفاظ العربية عن منطوقها ، وتحويلها عن دلالاتها المعروفة عند العرب ، هذا بالإضافة إلى كونه يمثل التُّكَأَة التى اعتمدت عليها تلك الفِرَق لتعطيل صفات الله الخالق الأعظم ، وإنكار حقائق أقواله وأفعاله سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُواً كبيراً .

وأخيراً فلو كان فى المجاز أدنى خير ، أو أىُّ بقية من فضل ؛ لكان قال به صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم ومَنْ بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فهم أهل الصلاح والفضل ، بل وأسبق الناس إلى كل صواب وخير[1] .

* * *

وبعد : فإنّ ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) راجع تفصيل مفاسد القول بالمجاز ، وأخطاره العظيمة فى مجالىْ العقيدة والتفسير ، وذلك فى (بطلان المجاز وأثره فى إفساد التصور ، وتعطيل نصوص الكتاب والسُّنَّة) : بقلم مصطفى عيد الصياصنة - طبعة مزيدة ومنقحة عن دار المعراج للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

المطلب الأول

التطبيـــق العملـــيّ

ويتنظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولـى : آيات الصفات خاصّةً .

٢ - المسألة الثانيـة : الآيات الأخرى عامّةً .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما قيل فيها (من المجاز وإبطاله له) حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نعرض لهذين الشاهدين تنبيهًا بهما على غيرهما من الشواهد الأخرى مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

آيات الصفات خاصة

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الآية[1] نراه يفصّل القول فى سائر صفات الله عزّ وجلّ فى مواضعها الأخرى من القرآن ؛ ومما يتحصل معها كلامه هنا فى هذه الآية الكريمة حيث يقول ما نصه : اعلم أن هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقول الله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية[2] ونحو ذلك من الآيات الأخرى المماثلة ؛ قد أشْكَلَتْ على كثير من الناس إشكالاً ضلّ بسببه خَلْق لا يحصى كثرة ؛ فصار قوم إلى التعطيل ، وقوم إلى التشبيه ، سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا عن ذلك كله .

والله جلّ وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح ، ولم يترك فيه أى لبس ولا إشكال ، وحاصل تحرير ذلك أنه جلّ وعلا بيَّنَ أنّ الحق فى آيات الصفات متركب من أمرين :

أحدهما : تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة الحوادث فى صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

وثانيهما : الإيمان بكل ما وَصَفَ الله به نفسه فى كتابه ، أو وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله كما فى قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية[3] ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال فيه سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾ الآيتان[4] .

فمَنْ نفى عن الله تعالى وصفًا أثبته لنفسه فى كتابه العزيز ، أو أثبته له رسول الله ﷺ زاعمًا أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جلّ وعلا ؛ فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جلّ وعلا ، سبحانك هذا بهتان عظيم !!!

ومَنْ اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخَلْق ؛ فهو مُشَبِّه ملحد ضال ، ومَنْ أثبت لله

(١) الأعراف : ٥٤ .
(٢) الفتح : ١٠ .
(٣) البقرة : ١٤٠ .
(٤) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) .

ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة الخَلْق ؛ فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، وبين التنزيه عن مشابهة الخَلْق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل .

والآية التى أوضح الله بها هذا هى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية[1] حيث نفى عن نفسه جَلَّ وعلا مماثلة الحوادث بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فصرح فى هذه الآية الكريمة بنفى المماثلة ، مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال .

والظاهر أنّ السِّرَّ فى تعبيره بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ دون أن يقول مثلاً : (وهو العلى العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة) وذلك لأن (السمع والبصر) إنما يتصف بهما جميع المخلوقات ؛ فبيّن أن الله تعالى متصف بهما ، ولكن وصفه بهما على أساس نفى المماثلة بين وصفه تعالى ، وبين صفات خلقه ؛ ولذا فقد جاء قوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ففى هذه الآية الكريمة إيضاحٌ للحق فى آيات الصفات لا لبس معه ، ولا شبهة ألبتة[2] .

المسألة الثانية

الآيات الأخرى عامة

ونكتفى من تلك الآيات بواحدة من أوضحها تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة .

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ الآية[3] نراه ينفى المجاز فى انقضاض الجدار مثبتًا حقيقته فيقول ما نصه : اعلم أن هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التى يستدل بها القائلون : بأن المجاز واقع فى القرآن ؛ زاعمين أن (إرادةَ الجدارِ الانقضاضَ لا يمكن أن تكون حقيقة ، وإنما هى مجاز) .

وقد دلت آيات من كتاب الله تعالى على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة ؛ لأن الله تعالى يَعْلَمُ للجمادات إراداتٍ وأفعالاً وأقوالاً لا يدركها الخَلْق ، كما صرح تعالى بأنه

---

(1) الشورى : ١١ .

(2) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٣٠٤ - ٣٢١ (على مدار ثمانىَ عشرةَ صفحة كاملة) .

(3) الكهف : ٧٧ .

يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الآية(١) فصرّح بأننا لا نفقه تسبيحهم ؛ لأن تسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جلّ وعلا ، أما نحن فلا نعلمها .

● وأمثال ذلك كثيرة فى القرآن والسُّنة :

فمن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الآية(٢) فتصريحه سبحانه بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله تعالى ، هو دليل واضح فى ذلك ؛ لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله تعالى ، أما نحن فلا نعلمه .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ثبت فى (صحيح مسلم) من أنّ النبىّ ﷺ قال : «إنى لأعلم حجرًا كان يسلّم علىّ بمكة » الحديث(٣) وكذا ما ثبت فى (صحيح البخارى) : « من حنين الجذع الذى كان يَخْطُبُ عليه ﷺ جزَعًا لفراقه » الحديث(٤) فـ (تسليم ذلك الحَجَر) و (حنين ذلك الجذع) كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله تعالى، أما نحن فلا نعلمه .

وزعم مَنْ لا علم عنده من أن (هذه الأمور لا حقيقة لها ، وإنما هى عنده ضرب للأمثال) هو زعم باطل ؛ لأن نصوص الكتاب والسُّنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه ، وأمثال هذا كثيرة جدًا .

وبهذا تعلم أنه لا مانع من إبقاء (إرادة الجدار على حقيقتها) لإمكان أن يكون الله تعالى قد عَلِمَ منه إرادةَ الانقضاض ، وإنْ لم يعلم خَلْقُه تلك الإرادة ، وهذا واضح جدًا كما ترى .

مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على معنى (المقاربة والميل) إلى الشىء ، ومن ذلك قول الشاعر :

(يُرِيدُ الرُّمْحُ) صَدْرَ أبى بَرَاء ... ويَعْدِلُ عن دماءِ بنى عَقِيل

أى (يميل الرُّمْحُ إلى صدر أبى بَرَاء) .

---

(١) الإسراء : ٤٤ . (٢) البقرة : ٧٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الفضائل (باب) فضل نَسَب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة - (طبع بيروت) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) المناقب (باب) علامات النبوة فى الإسلام - (طبع بيروت) .

وبهذا تعلم أن جـميع الآيات التى يزعمـون أنها (مجاز) أنّ ذلك لا يتـعيّن فى شىء منها ، والعلم عند الله تعالى(1) .

* * *

وبعـد : فإنه يتـضح لنا مما سبق كيف أن الشنقـيطى يعتمد (إبطال المجـاز فى القرآن) كموضوع أساسىّ من موضوعات (علوم القرآن) التى يُصَنِّفُ الآية تحته ، بل ويُوَجِّه معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/١٧٨ - ١٧٩ .

ختام هـذا الفصل

وفى ختام حديثنا عن هذا الفـصل بمباحثه الخمسة السالفة ؛ فـإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - التنبيه بالبعض على الكلّ:

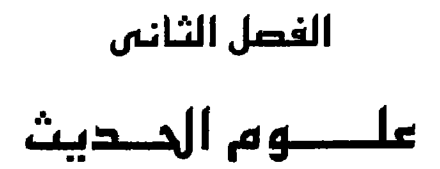
ويتجلّى هذا واضحًا من خلال اختيارنا لأشهر مباحث علوم القرآن والتى تمثلت هنا فى موضوعات المطـالب الخمسة التى شملت كلاً من : (أسـباب النزول - الناسخ والمنسوخ - الحروف المقطعة - القراءات القرآنية - المجاز فى القرآن) .

وقد اكتفينا بها دون جميعها نظرًا لأن حَصْرَ هذه الموضوعات وتفصيلها لا ينهض به إلا مُؤَلَّفٌ مستقل يتم وقـفه عليها ، واختصاصه بها ، وهذا ممـا لا يَقْصِدُ إليه البحث ، وليس موضعه .

٢ - الإيجاز دون التفصيل :

وعلى الرغم مما قد يبدو من تفـصيلٍ فيما عَرَضْنَا له من المطالب الخمـسة السالفة ؛ إلاَّ أننا نؤكد التزامنا بالإيجاز قـياسًا لما عَرَضَ له الشنقيطى إزاء تناوله لهذه الموضوعـات الخمسة ضمن جملة (علوم القرآن) التى وردت فى ثنايا تفسيره المختلفة .

وبهذا ينتهى هذا الفصل .



ويتنظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظري

وينتظم المطالب الأربعة :

١ - المطلب الأول : الاحتجاج بخبر الآحاد .

٢ - المطلب الثاني : الاحتجاج بالحديث المُرْسَل .

٣ - المطلب الثالث : عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف .

٤ - المطلب الرابع : تَتبُّعُ الحديث سَنَداً ومَتْناً .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علوم الحديث) كقـاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، يُصنَّفُ تحتـه بعض ما يَعْـرِض له من الآيات بالتفسـير ، وذلك من خـلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

الاحتجاج بخبر الآحاد[1]

يقف الشنقيطى من أخبار الآحاد موقف الاحتجاج بها حيث يرى صحة بيان المتواتر من الكتاب والسنة بتلك الأخـبار ؛ ومن ثم صحـة أخذها ، والعمل بها ؛ وإزاء هذا يقـول ما نصه : واعلم أن التحقـيق جواز بيان المتواتر من كتاب أو سُنة بأخـبار الآحاد ؛ ومن ثم فلا يخفى سقوط القول برد حديث صحيح دالٌ على بيان نص من غير مُعَارِض ، بدعوى أنه لم يتواتر ؛ بل إنّ منع بيان المتواتر مطلقًا بالآحاد أشد سقوطًا[2] .

• شرطان لهذا الاحتجاج :

غير أن الشنقيطى وإنْ كـان قد أسقط القول بمنع بيان المتواتر مطلقًـا بأخبار الآحاد ؛ إلاّ أنه قد اشترط لصحة هذا الاحتجاج شرطين اثنين :

١- عدم مخالفة الصّحابة :

حيـث يرى الشنقـيطى أن خبر الآحـاد يصير حُجَّـةً ما لم يُجْمِعْ الصحـابة رضوان الله عليهم أجـمعين علـى خلافـه وفى ذلك يقول ما نـصه : لقد رأيتَ ثبـوت أخـذ الزكاة من

---

(١) وخـبر الآحـاد : هو ذلك الخـبر الذى لم يبلغ حَـدَّ التواتر فـيصـير (مـتواترًا) ولا حَـدَّ الشـهرة والاستفاضـة فيصير (مشـهورًا أو مستفيضًـا) أما (المتواتر) : فهو ما رواه جـمع عن جمع بحيث يستحيل تواطؤهم (أى اتفاقهم واجتماعهم) علـى الكذب بسـبب كثرتهم ، وتباعد أماكنهم ، وأمـا (المشهور أو المستفيض) : فهو ما رواه عـدد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بحيث لم يبلغ حَدَّ التواتر ، ثم تواتر بعد ذلك .

ومن حيث طرقه وعدد رواته فإن خبر الآحـاد ينقسم إلى نوعين : (عزيز) : وهو خبر الآحاد الذى لا يقل عدد رواته عن اثنين فى جـميع طبقات السَّند ، و(غريب) : وهو خـبر الآحاد الذى ينفرد بروايته راوٍ واحد فقط .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- فى الحديث النبوىّ (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ٩٧ .
- تيسير مصطلح الحديث : د. محمـود الطحان ص ٢٢ – الطبعة ٧ – مكتبة المعارف – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٩٤ – ٩٥ .

عُرُوض التجارة عن عمر بن الخطاب ﷺ ولم يُعْلَمْ له مخالف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهذا ما يسمى بـ (الإجماع السكوتى) وهو حجة عند أكثر العلماء[1] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٦٠ .

● وأما فيما يتعلق بـ (الإجماع السُكُوتى) من حيث تعريفه وموقف العلماء من الاحتجاج به ، فإننا نوجز ذلك على النحو التالى :

أولاً : تعريفه :

هو أن يقول بعض أهل الاجتهاد قولاً ثم ينتشر هذا القول فى المجتهدين من أهل ذلك العصر فيسكتون عنه بحيث لا يظهرون اعترافهم به ولا إنكارهم له .

ثانياً : موقف العلماء من الاحتجاج به :

وأما فيما يتعلق بمذاهب العلماء من حيث أخذهم بالإجماع السُكوتى واحتجاجهم به ، فقد توزعت بين اثنى عشر مذهبًا نوجزها على النحو التالى :

الأول : ليس بإجماع ولا حُجَّة :

وبه قال داود الظاهرى وابنه المرتضى ، وعزاه القاضى إلى الشافعى واختاره قائلاً : إنه آخر أقوال الشافعى ، وقال الغزالى والرازى والآمدى : إنه نص الشافعى فى (الجديد) كما قال الجوينى : إنه ظاهر مذهبه .

الثانى : هو إجماع وحُجَّة :

وبه قال جماعة من الشافعية ، وجماعة من أهل الأصول ، كما روى نحوه عن الشافعى .

الثالث : هو حُجَّة وليس بإجماع :

وبه قال أبو هاشم ، وهو أحد الوجهين عند الشافعى ، كما قال به الصيرفى ، واختاره الآمدى ، ويقول الصفى الهندى : ولم يَصِرْ أحد إلى عكس هذا القول (يعنى أنه إجماع لا حجة) .

الرابع : هو إجماع بشرط انقراض العصر :

لأنه يبعد عن ذلك أن يكون هذا السكوت لا عن رضا ، وبه قال أبو على الجبائى وأحمد بن حنبل فى رواية عنه ، كما نقله ابن فورك فى كتابه عن أكثر أصحاب الشافعى ، وكذا نقله الأستاذ أبو طاهر البغدادى عن الحُذَّاق منهم ، واختاره ابن القطان والرويانى ، وقال الرافعى : إنه أصح الأوجه عند أصحاب الشافعى ، كما قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى (اللُّمَع) : إنه المذهب ، ثم قال : فأما قبل الانقراض ففيه طريقان ، إحداهما : إنه ليس بحجة قطعًا ، والثانية : على وجهين .

الخامس : هو إجماع إنْ كان فُتْيَا لا حُكْماً :

وبه قال ابن أبى هريرة من كبار فقهاء الشافعية ، كما حكاه عنه الشيخ أبو إسحاق والماوردى والرافعى وابن السمعانى والآمدى وابن الحاجب .

السادس : هو إجماع إنْ كان صادراً عن فُتْيَا :

وبه قال أبو إسحاق المروزى ، وعلل ذلك بأن الأغلب أن الصادر من الحاكم يكون عن مشاورة ، كما حكاه ابن القطان عن الصيرفى .

السابع : هو إجماع بشرط :

أن يقع فى شىء يفوت استدراكه من (إراقة دم ، أو استباحة فرج) وإلا فهو حجة ، وفى كونه=

ب - قطعيته بموافقة الإجماع :

حيث يرى الشنقيطى أن خبر الآحاد يصير قطعيًا مثل المتواتر فى حالة موافقته لإجماع العلماء ، على خلافٍ بينهم فى كونه قطعيًا أو لا ، وهذا ما يشير إليه بقوله : وإجماع المسلمين إذا وافق خبر الآحاد ؛ فبعض العلماء يقول : يصير بموافقة الإجماع له قطعيًا كالمتواتر ، غير أن أكثر الأصوليين يقولون : لا يصير قطعيًا بذلك[1] .

غير أنه يُعَقِّبُ على هذا القول للأصوليين مبينًا أنّ سببه هو اشتراطهم أن يكون خبر الآحاد هو الأصل الذى يعتمد عليه العلماء فى إجماعهم ، وإلى هذا يشير بقوله : وفرّق قوم فقالوا : إنْ صَرّح العلماء بأن معتمدهم فى إجماعهم هو ذلك الخبر فقد أفاد هذا

= إجماعًا وجهان ، هكذا حكاه الزركشى ولم ينسبه إلى قائل .

الثامن : هو إجماع إنْ كان الساكتون أَقَلّ :

وإلاّ فلا ، وبه قال أبو بكر الرازى ، كما حكاه شمس الأئمة السرخسى عن الشافعى ، وقال الزركشى : وهو غريب لا يعرفه أصحابه .

التاسع : هو إجماع بشرط :

أن يكون فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وإلاّ فلا .

العاشر : هو إجماع بشرط :

أن يكون ذلك مما يدوم ويتكرر وقوعه والخوض فيه ؛ فإن السكوت يكون إجماعًا ، وبه قال إمام الحرمين الجوينى.

الحادى عشر : هو إجماع بشرط :

أن تفيد القرائنُ العلمَ بالرضا ؛ وذلك بأن يوجد من قرائن الأحوال ما يدل على رضا الساكتين بذلك القول ، وهذا ما اختاره الغزالىّ فى (المستصفى) كما قال بعض المتأخرين : إنه أحق الأقوال ؛ لأن إفادة القرائنِ العلمَ بالرضا هى كإفادة النطق له فيصير مثل (الإجماع النطقى) .

الثانى عشر : هو حُجّة قبل استقرار المذاهب :

أما بعد استقرار المذاهب فلا ؛ لأنه لا أثر للسكوت لما تقرر عند أهل المذاهب من عدم إنكار بعضهم على بعض إذا أفتى أو حَكَمَ بمذهبه مع مخالفته لمذاهب غيره .

راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: للإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) - ١/١٥٣ - تحقيق : محمد سعيد البدرى - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .
- الإجماع بين النظرية والتطبيق : د. أحمد حمد ص ٨٣ - الطبعة ١ - دار القلم - الكويت - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .
- الأصول من علم الأصول : للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٥٩ - الطبعة ١ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٤١ .

قطعه ؛ وإلا فلا ، وقد أشار صاحب (مراقى السُّعود) إلى ذلك بقوله :

وَلاَ يُفيدُ القَطْعَ ما يُوَافِقْ ... الإجماعَ ، والبعضُ بقطعٍ يَنْطِقْ
وبعضُهُمْ يفيدُ حيثُ عُوِّلاَ ... عليه (وانْفِه إذا ما قد خَلاَ)[1]

ويعنى هذا أن هؤلاء البعض الذين رأوا التفصيل قد قالوا : إن ذلك الإجماع يدل على صدق الخبر (أى القطع بأن رسول الله ﷺ قد قاله) فى حالة إذا ما عُوِّلَ (أى فى حالة إذا ما صرّح هؤلاء المجمعون عليه بأنهم إنما عقدوا إجماعهم على أساس هذا الخبر ، فضلاً عن استناد اتفاقهم إليه)[2] .

وبهذا تتمثل حقيقة موقف الشنقيطى فيما ختم به كلامه إزاء احتجاجه بخبر الآحاد من أن هذا الخبر إنما يقوّيه ، بل ويشهد له ما هو معروف من عمل المسلمين به ، وهذا ما ينصّ عليه قائلاً : وعلى كل حال ؛ فلا يخفى أنّ خبر الآحاد إنما يعتضد بعمل المسلمين به[3] .

• رأى البحث :

والحق أننا نوافق الشنقيطى فيما ذهب إليه من أنه لا يجوز رَدُّ حديث صحيح لا لعلة سوى أنه خبر آحاد ؛ غير أننا نشترط لذلك سلامته من معارضة إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فى حين لا نرى اشتراط أن يكون أصلاً لانعقاد إجماع العلماء عليه ، أو أساسًا لاتفاق استنادهم إليه .

بل إنّ ثبوت صحته ، وتحقق نسبته ، فضلاً عن اتصال سنده ، وسلامته من المُعَارَضَة ، لهى خصائص من شأنها أن تكفل له قوة الاحتجاج به ، وتدعو إلى صحة التعويل عليه ؛ وليس أدلَّ على ذلك من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى صَدَّر به البخاريّ (صحيحه) على الرغم من انفراد عمر رضي الله عنه بروايته عن رسول الله ﷺ والذى يقول فيه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى » الحديث[4] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٤١ - ٣/ ٥٥٥ .

وقد أشار الشنقيطى إلى أنّ هذا القول : (وانْفِه إذا ما قد خَلاَ) إنما يتعلق بمسألة أخرى غير (أخبار الآحاد) وإنما ذكره لارتباط بعض هذه الأبيات ببعض .

(٢) نشر البنود على مراقى السُّعود : عبد الله العلوى الشنقيطى ٢/ ٣١ (بتصرف يسير) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٤٢ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) بَدْء الوحى (باب) بَدْء الوحى - (طبع بيروت) .

وعلى الرغم من ذلك الخلاف الواقع بين العلماء فى حُجِّيَّة خبر الآحاد ، من حيث قَبُوله والعمل به ، إلا أنه ينتهى فى حقيقته إلى قَبُولِ الأمة له ، وعملها به ، وهذا فحوى ما يشير إليه أستاذنا الدكتور أحمد يوسف بقوله :

وأما خبر الآحاد ، وإنْ كان العلماء قد اختلفوا فى قَبُوله والعمل به ، حيث ذهب الخوارج والمعتزلة إلى إهماله وعدم قَبُوله ، كما ذهب داود الظاهرى ، وهو ما يحكى أيضًا عن الإمامين مالك وأحمد وهو رأى المُحَدِّثين ، إلى الاعتداد به ، وأنه يفيد العلم ، فى حين ذهب الحنفية والشافعية والمالكية إلى وجوب العمل به ، وإن كان يفيد عندهم الظن الغالب .

ويهمنا هنا أن نذكر لك أدلة المُحَدِّثين على قَبُول خبر الآحاد ، والعمل به ، حيث استدلوا من القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الآية(1) وقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية(2) وهى تدل على أن نبأ الفاسق يُتَوَقَّفُ فى قَبُوله ؛ وبناءً عليه فإن الواحد إذا كان ثقة فإنه يُقْبَلُ حديثُه .

بل إن من السُّنَّة نفسها أحاديث كثيرة قد بلغت فى جملتها حَدَّ التواتر المعنوى ، وإنْ كان كل حديث منها آحاديًا ، لكن كلها تفيد معنى واحدًا تجرى عليه ، ومنها قوله ﷺ : « نَضَّرَ الله عبدًا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأدّاها كما سمعها » الحديث (3) ثم إنَّ الأمة قد أَجْمَعَتْ فى عهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين على قَبُولِ أخبار النبىِّ ﷺ وإنْ كانت آحاديَّة(4) .

٢ - الاحتجاج بالحديث المُرْسَل (5) :

يذهب الشنقيطى إلى القول بحُجِّيَّة الحديث المُرْسَل ، غير أن احتجاجه بهذا النوع من

---

(1) التوبة : ١٢٢ . (2) الحجرات : ٦ .

(3) أخرجه أبو داود فى سُننه (كتاب) العلم (باب) التوقى فى الفُتيا - ٣/ ٣٢١ - حديث رقم (٣٦٦٠) - (طبع بيروت) - كما أخرجه الترمذى بلفظ : «نضر الله امرأ» - (كتاب) العلم (باب) ما جاء فى الحث على تبليغ السماع - ٥/ ٣٣ - (طبع بيروت) .

(4) فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ٩٨ (بتصرف يسير) .

• وانظر أيضًا فى قَبُول الأمة أخبارَ الآحاد وإجماعها عليه (أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامى) : للأستاذ عبد الوهّاب خلاّف ص ٢٩ - الطبعة ٣ - القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ م .

(5) والحديث المُرْسَل : هو ذلك الحديث الذى يَسْقُطُ منه الصحابىُّ بين التابعىِّ الذى يرويه ، وبين رسول=

الأحاديث مشروط عنده بكثرة رواياته ، وتعدد طرقه ، والتى تشمل رواياته الموصولة إلى جانب رواياته المُرْسَلَة ؛ ومن ثم فإنها يقوّى بعضها بعضًا ، وهو الأمر الذى يتأدّى عنه صحة الاحتجاج بها فى مجموعها ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطى بقوله : وهذه الطرق الموصولة والمُرْسَلَة يَشُدُّ بعضها بعضًا ؛ فيصلح مجموعها للاحتجاج[1] .

• **رأى البحث :**

وعلى الرغم من الخلاف الواقع بين الفقهاء والمُحَدِّثين بشأن صحة الاحتجاج بالحديث المُرْسَل من عدمه ، إلاّ أننا نذهب إلى القول بصحة الاحتجاج به ؛ وذلك لأن هذا الخلاف فى حقيقته ليس إلاّ (خلافًا شكليًا) يقوم على أساس (الجهل بحال ذلك الصحابى الذى سقط من سلسلة السند) .

ولما كان للصحابة ما لهم من الخيرية والفضل ، والثقة والعدل ، بما لا يختلف عليه العلماء المحققون ، ولا ينكره المنصفون المعتبرون ؛ لذا فلا مجال للشك فى حالهم ، أو وقوع اللبس فى أمرهم ؛ الأمر الذى يؤكد (شكلية هذا الخلاف) خاصة وأنه يقوم على علة الجهل بحال الصحابى ، وليس على علة الإرسال ، هذا فضلاً عما ذهب إليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ﷺ من الاحتجاج بالحديث المُرْسَل .

وإلى شكلية هذا الخلاف بين الفقهاء والمحدّثين ، وبيان القول الراجح إزاء الاحتجاج بالحديث المُرْسَل ، يشير أستاذنا الدكتور أحمد يوسف بقوله : إنّ الفقهاء الذين قبلوا المُرْسَل لم يقبلوه مطلقًا بدون قيد أو شرط ، وإنما قبلوه حيث ارتفع لديهم الشك فى الواسطة ، وأما المحدّثون فرفضوه لأن الشك فى الواسطة قائم لديهم ؛ فلو ثبت لهم ما ثبت للأولين من صدق الواسطة لسَلَّمُوا بالعمل به ؛ وإذن فالخلاف فى الحقيقة (شكلىّ) .

= الله ﷺ المروىّ عنه ، حيث يرفعه التابعىُّ مباشرة إلى رسول الله ﷺ مع أنه لم يَرْوِ عنه ، ومثاله ما رواه أبو داود فى كتابه : (المراسيل) عن الحسن البصرىّ أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال : «اللهمّ إنى أعوذ بك من الخبث المخبث ، الرِّجْس النِّجس ، الشيطانِ الرجيم» .

فَبَيْنَ الحسن البصرىّ ورسول الله ﷺ انقطاع ؛ لأنه من التابعين الذين رَوَوْا عن الصحابة ، وليس من الصحابة الذين رَوَوْا عن رسول الله ﷺ .

• انظر فى ذلك بتصرف يسير (فى الحديث النبوّى - بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠٩ .

والحديث المذكور أخرجه أبو داود فى المراسيل (كتاب) الطهارة - ص ٣٥ - حديث رقم (٢) - الطبعة ١ - دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٢١ .

ولذا ؛ فإننا نرى أنّ الإرسال وحده غير كافٍ لِرَدِّ الحديث ، وليس عدم الاحتجاج به هو رأى كل المحدّثين ، بل إن الراجح عن إمام المحدّثين أحمد بن حنبل ﷺ هو الاحتجاج به[1] .

٣ - عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف[2] :

وهذا ما يعتمده الشنقيطى كأساس يعوّل عليه ، ومبدأ يحتكم إليه ، إزاء ما يقبله أو يردّه من الأقوال الواردة فى معنى هذه الآية أو تلك ؛ ومن ثم فإنّ الحديث الضعيف لا تقوم به عنده حُجَّة ، ولا تُنْبَنِى عليه فى التفسير صحة ، وهذا ما يصرّح به قائلاً : والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حُجَّة ؛ وبهذا التحقيق الذى ذكرنا تعلم أنّ القول بهذا فى معنى الآية لا أساس له من الصحة[3] .

- **رأى البحث :**

والحق أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى بشأن عدم احتجاجه بـ (الحديث الضعيف) هو ذات ما يُطَبِّقُ عليه جمهور كبير من أهل الحديث والمعنيين به ؛ غير أنهم اشترطوا لِقَبُوله بعضَ

(١) فى الحديث النبوىّ (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) **والحديث الضعيف** : هو ذلك الحديث الذى فقد شرطًا من شروط الصحة أو شروط الحُسْن ، أو بتعبير آخر هو الذى لم تجتمع فيه صفات الصحة ولا صفات الحُسْن ، ويعني هذا أن يكون رواته بالرغم من صدقهم وعدالتهم إلاّ أنهم لم يتصل إسنادهم ، أو كان فيهم مَنْ يغلب عليه السهو أو الغلط ، أو كان فى أحد الرواة شذوذ بمخالفته مَنْ هو أَوْلَى منه بالحفظ ، أو كان فى سنده أو متنه عيب خفى بحيث إذا ظَهَرَ قَدَحَ فى صحة الحديث أو حُسْنه .

وللحديث الضعيف عشرة أنواع تأتى تبعًا لاختلال أحد الشروط الخمسة التى يتصف بها كل من الحديث الصحيح والحديث الحَسَن ، والتى تتمثل فى كل من : (عدالة الراوى - ضبطه - اتصال السند - خلوه من الشذوذ - خلوه من العلة) .

وبناءً على اختلال أحد هذه الشروط الخمسة يكون أحد أنواع الحديث الضعيف ، وذلك على النحو التالى :

فإن لم يكن متصل الإسناد : فنحن أمام ما يُسَمَّى بالحديث (المُرْسَل - المنقطع - المُعْضَل - المُدَلَّس) وإن لم يكن تام الضبط ولا خفيه بل سيء الضبط : فنحن أمام ما يسمى بالحديث (المضطرب - المقلوب - المُدْرَج) وإنْ كان فيه شذوذ بحيث يخالف الحافظُ مَنْ هو أحفظ منه : فهو الحديث (الشاذ) فإنْ خالف غيرُ الحافظِ مَنْ هو حافظ : فهو الحديث (المنكر) وإنْ كانت فيه علة : فهو الحديث (المعلول) .

- راجع فى ذلك (فى الحديث النبوىّ - بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠٤ (بتصرف يسير) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٦٠٣ .

الشروط الخاصة بهم ، وذلك خلافًا لمن يقبله منهم مطلقًا أو يرفضه مطلقًا ، وقد حدّد أستاذنا الدكتور أحمد يوسف تلك الشروط بقوله : أما شروط قَبُولِ الحديث الضعيف والأخذ به فثلاثة :

١ - أن يكون ضعفه غير شديد ؛ وبذلك يخرج من حديث الكذابين ومَنْ فَحُشَ غَلَطُه .

٢ - أن يكون الحكم الوارد فيه مندرجًا تحت أصل عام .

٣ - ألاّ يُعْتَقَد مع العمل به ثبوته؛ وذلك حتى لا يُنْسَبَ إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله، أو لم يفعله .

وأما مجال الاستدلال به فهو الترغيب والترهيب ، ثم ما له أصل مشروع ، ثم ما تعددت طرق العمل به وكان فى طريق منها حديث ضعيف فإنه يُعْمَلُ به فى جملتها ؛ ولذلك يروى فى هذا المجال عن إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل رضي الله عنه : أنهم إذا كانوا فى مجال الترغيب والترهيب تساهلوا فى الإسناد ، وإذا كانوا فى مجال الحلال والحرام تشدّدوا .

ومن ثم ؛ فإن الاستدلال بالحديث الضعيف فى مجال الحلال والحرام ، وكذا فيما يسمى بفضائل الأعمال أو الأعمال المستحبة ؛ فلا يجوز أن يثبت به حكم شرعى من : (ندب أو كراهية أو فضيلة أو عمل مقدّر فى وقت معين) بحديث لم يُعْلَمْ حاله أنه ثابت ؛ إذ لابد من وجود دليل ثابت يَثْبُتُ به هذا الحكم الشرعى ؛ وإلاّ كان قولاً على الله تعالى بغير علم .

ولذلك فإن الذين قبلوا الاستدلال بالحديث الضعيف على فضائل الأعمال أخطأوا ؛ لأنهم بذلك أفسحوا المجال أمام البدع فكثرت ، علمًا بأنه ما من بدعة تحدث إلاّ وتموت مقابلها سُنة ، وذلك مثل (الصلوات اليوميّة) التى ذكرها كل من ابن مكىّ فى كتابه (قوت القلوب) وتلميذه الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) .

وبهذا يبدو كما لو كان ديننا الإسلامىّ الحنيف يقوم فى جزء أساسىّ منه (وهو الفضائل) على أسس واهية ، وأدلة ضعيفة ، وهذا غير صحيح[1] .

وإعمالاً للاستدلال بالحديث الضعيف فيما له أصل مشروع ، وكذا فيما تعددت طرق العمل به على الرغم من وجود حديث ضعيف فى طريق منها إلاّ أنه يُعْمَلُ به فى جملتها ؛ واتفاقًا من الشنقيطى مع ما ذهب إليه جمهور المحدّثين ؛ فإنه يشير إلى ذلك قائلاً : وهذه الروايات الواردة وإن كانت لا يخلو شىء منها من مقال ؛ إلاّ أنّ بعضها يشد بعضًا كما

---

(١) فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠٥ - ١٠٧ (بتصرف يسير) .

تقرّر فى علوم الحديث من (أنّ الطرق الضعيفة المُعْتَبَر بها يقوّى بعضها بعضًا حتى يَصْلُحَ مجموعها للاحتجاج) وقد جاء فى ذلك قولهم :

لا تخاصِمْ بواحدٍ أهلَ بيتٍ فضعيفانِ يَغْلبَانِ قويّاً

هذا فضلاً عن اعتضاد مثل هذه الروايات بغيرها من الروايات الأخرى الصحيحة والحَسَنَة والموقوفة ، ثم إنّ الأصل فى ذلك هو إعمال الدليلين بالجمع بينهما كلما أمكن كما هو مقرر فى علميْ الأصول والحديث[1] .

٤ - تتبّعُ الحديث سندًا ومتنًا[2] :

لا يألو الشنقيطى جُهْداً ، ولا يدّخر وُسْعاً ، إزاء استقصاء روايات الحديث المتعددة ،

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٧ - ٢/ ٥٠ .

- ولتفصيل القول فى القاعدة الأصولية المعروفة بـ (الجمع بين الدليلين) انظر (الموافقات): لأبى إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الشاطبى ت (٧٩٠ هـ = ١٣٨٨م) - ٤/ ٢٩٤ - الطبعة ١ - تحقيق: (عبد الله دراز) مع (إبراهيم رمضان) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م .

(٢) أما السَّنَد :

ففى (اللغة) : يذكرنا الفيروزآبادى أنه ما يقابلك من الجبل ، أو يعلو من السطح ، وفى (اصطلاح علماء الحديث) : فهو عبارة عن سلسلة الرواة الذين نقلوا إلينا حديث رسول الله ﷺ ولعله سُمّى بذلك لأن المحدِّث يصعد عليه ويرتقى مدارجه حتى يصل إلى قائله وهو رسول الله ﷺ .

راجع فى ذلك كلاً من :

- القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) - ١/ ٣١٤ - الطبعة ٤ - دار المأمون - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٧ م .
- فى الحديث النبوىّ (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٠ .

وأما المَتن :

ففى (اللغة) : يذكر الفيومىّ أنه يَعْنِى كلاً من النكاح أو الحَلف أو الضرب أو الذهاب فى الأرض ، أو هو بمعنى ظهر كل شىء وجمعه (مِتَان) مثل (سَهْم وسِهَام) - كما يورد الفيروزآبادى الفعل الرباعى منه قائلاً : (أَمْتَنَه وأَمْتَن به) أى سار به يومه ، و (أَمْتَنَ بالمكان مُتُونًا) أى أقام به ، وفى (اصطلاح علماء الحديث) : فهو عبارة عن نص الكلام المروى عن رسول الله ﷺ كما يعرّفه ابن جماعة بقوله : (هو ما ينتهى إليه غاية السَّنَد من الكلام) .

راجع فى ذلك كلاً من :

- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد بن على الفيومىّ ت (٧٧٠ هـ = ١٣٦٧ م) - ٢/ ٨١٧ - الطبعة ٢ - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - بولاق - القاهرة - ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩ م .
- القاموس المحيط : الفيروز آبادى ٤/ ٢٧١ - (نفس الطبعة المذكورة) .
- فى الحديث النبوى (بحوث ونصوص) : لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف ص ١٢ .

وتتبع طرقه المختلفة ؛ وذلك فى محاولة منه للوقوف على درجة هذا الحديث أو ذاك عند أهل الاختصاص بهذا الشأن من العلماء المعنيين ؛ ومن خلال ذلك يحدّد موقفه من الحديث الذى بين يديْه ؛ إما بإعماله والأخذ به ، وإما بإهماله وعدم إعماله ، خاصة وأنه يُصَنِّفُ موضوع هذه الآية أو تلك على أساسه ، بل ويُوَجِّهُ معناها على هَدْيٍ منه .

ولهذا نراه لا يفتأ يصرّح بين الحين والآخر باعتضاده لصحة هذا الحديث أو ذاك بما ورد فى شأن سنده ومتنه من أقوال العلماء المعتبرين الذين يثبتون له ذلك ، ومن جملة هذه التصريحات نكتفى بذكر الأقوال التالية : تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة :

- فمن ذلك ما يشير به إلى جودة إسناد الحديث قائلاً : ويؤيد جودة هذا الإسناد المذكور ما قاله أهل العلم فى ذلك [1] .
- ومن ذلك أيضًا قوله : وإسناد هذا الحديث متصل ، ورجاله معروفون بالثقة ؛ وعليه فروايته متصلة صحيحة [2] .
- ومن ذلك قوله أخيراً : ومعلوم أن هذا الحديث المذكور قد تَلَقَّتْهُ الأمة قديمًا وحديثًا بالقَبُول [3] .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العَمَلِىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٠١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥٨٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٥٨٣ - ٤/ ٦٠٢ .

المبحث الثاني

التطبيـــق العملـــيّ

ويتنظم المطالب الأربعة :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعـدة الأولى (الاحتـجاج بخـبر الآحاد) .

٢ - المطلب الثانـــي : تطبيق القاعدة الثانية (الاحتجاج بالحديث المُرْسَل) .

٣ - المطلب الثالــث : تطبيـق القاعدة الثالثة (عـدم الاحتـجاج بالحديث الضعيف) .

٤ - المطلب الرابـــع : تطبيق القاعدة الرابعة (تَتَبُّعُ الحديث سَنَداً ومَتْنًا) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علوم الحديث) حيث يجسِّد من خلال ذلك تطبيقه العمليّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظريّ ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى ، والتى تُعَدُّ تطبيقًا على القواعد الأربعة المذكورة ؛ وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

الاحتجاج بخبر الآحاد

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[1] نراه يأخذ بالخبر الثابت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بشأن وجوب الزكاة فى (عُرُوض التجارة) وفى ذلك يقول ما نصّه : ثبت عن أبى عمرو بن حِمَاس[2] أنّ أباه حِمَاساً قال : مررت على عمر بن الخطاب ﷺ وعلى عُنُقى أَدَمٌ أحملها[3] فقال : ألاَ تؤدى زكاتك يا حِمَاس ؟ فقال : مالى غيرُ هذا ، وأُهُبٌ فى القَرَظ[4] قال : ذلك مالٌ فَضَعْ ، فوضعها بين يَدَيْه فَحَسَبَهَا ؛ فَوُجِدَتْ أنها قد وَجَبَتْ فيها الزكاة ، فأخذ منها الزكاة[5] .

---

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) (حِمَاس) هكذا ضبطها الشنقيطى قائلاً : وهو بكسر الحاء وتخفيف الميم وآخره سين مهملة - راجع فى ذلك (أضواء البيان) : ٢/ ٤٦٠ .

(٣) (العُنُق جمع العَاتق) : وهو ما بين المَنْكِب والعُنُق حيث يضع الإنسان عليه أحماله - (أَدَم جمع أَدَمَة) : وهى باطن الجلد الذى تحت البشرة وفوق اللحم - انظر مادتيْ (عَتَق) و(أَدَم) فى لسان العرب : ٤/٢٧٩٨ - ١/٤٤ .

● والمعنى : أن حِمَاساً ﷺ كان يحمل كمية من الجلود التى فرغ من دباغتها ؛ فصارت صالحة للتجارة .

(٤) (أُهُب جمع إِهَاب) : وهو الجلد غير المدبوغ ، ويشمل جلد البقر والغنم والوحش - (القَرَظ جمع القَرَظَة) : وهى شجرة ضخمة ساقها غليظة تشبه شجرة الجَوْز ، ويؤخذ ورقها وثمرها لتدبغ به الجلود ، وقد قال أبو حنيفة ﷺ : (القَرَظ أجود ما تُدبَغُ به الأُهُبُ فى أرض العرب) - انظر مادتيْ (أَهَب) و (قَرَظ) فى لسان العرب : ١/ ١٦٢ - ٥/ ٣٥٩٣ .

● والمعنى : أن هذه الجلود كانت لا تزال فى مرحلة الدباغة ؛ ومن ثم فليست صالحة بَعْدُ للتجارة ، وذلك بخلاف (الأَدَم) المدبوغ الذى يصلح لذلك .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٦٠ .

وهكذا يوجب أميـر المؤمنين عمر بن الخـطاب ﷺ الزكاة فى الجلود المدبوغة الصـالحة للتجارة والتى كان يحملها حِمَاس بغرض بيـعها والاتجار فيها ؛ ومن ثم فهى (من عُرُوض التجارة) أمـا تلك الجلود الأخرى التى لم يكن حِمَاسٌ قد فـرغ من دباغتها فلا تجب فـيها الزكاة ؛ لأنها ليـسـت صالحـة لبيعهـا والاتجار فيها إلاّ بعـد أن تتـم دباغـتها ؛ ومـن ثـم فهى (ليست من عُرُوض التجارة) .

وعلى الرغم من أن هذا الخبر هو مـن (أخبـار الآحاد) إلاّ أنه لم يخـالفه أحـد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو ما يُعَدُّ (إجماعًا سكوتيًا) يحتج به أكثر العلماء ، وإليه يشير الشنقيطى بقوله : وثبوت أخذ الزكاة من عروض التجارة عن عمر ﷺ لم يُعْلَمْ له مخالف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهذا النوع يسمى (إجماعًا سكوتيًا) وهو حجة عند أكثر العلماء .

ويؤيد هذا ما رواه البيهقى عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : (ليس فى العُرُوض زكاة إلا ما كان للتجارة) قال : وهذا قول عامة أهل العلم ، فالذى روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال : (لا زكاة فى العَرَض) قـال فيه الشافعىّ فى (كتـاب القديم) : إسناد هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف ؛ فكان اتباع حديث ابن عمر لصحته والاحتياط فى الزكاة أَحَبَّ إلىّ ، والله أعلم[1] .

بل إنّ مـا ذهب إليه ، وانفـرد به أميـر المؤمنين عمـر بن الخطاب ﷺ هو ما أخـذ به المسلمون وصاروا عليه مـن بعده ، ومنهم عمر بن عبد العزيز ﷺ والذى يشـير الشنقيطى إلى عمله بهذا الحكم فى مختلف أمصار الخلافة عـامة ، وفى مصر منها خاصة ، فيقول : وكان زُرِيق على جَوَاز مصر[2] فى زمان الوليد وسليمان ابنىْ عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ﷺ فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه :

أن انظر مَنْ يمر بك من المسلمين ؛ فخذ مما ظهر من أموالهم مما يريدون من التجارات ، من كل أربعين ديناراً (ديناراً) فما نقص (فبحـساب ذلك) حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإنْ نَقَصَتْ ثلث دينار (فَدَعْهَا ولا تأخذ منها شيئًا)[3] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) ويعنى بـ (جواز مـصر) أى نقاط عبـور الحدود التى يجتازها مَنْ يريد أن يدخل مـصر ؛ وذلك بإذن زريق المفوض من قِبَل الخليفة بهذا الأمر آنذاك ، وهو ما يعادله الآن دخولُ الحدود بموجب (جوازات السفر) المعروفة .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٦١ .

المطلب الثانى

تطبيـــق القاعــدة الثانية

الاحتجـــاج بالحديـــث المُرْسَـــل

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية[1] نراه يذهب إلى القول بأن ذوى الأرحام هنا هم الذين حُدِّدَتْ أنصبتهم فى آيات المواريث ، ومن ثم فلا يحق لغيرهم من الأقرباء الآخرين من أرحام الأب أو الأم أن يرثوا شيئًا .

وقد استدل فى هذا بحديث مُرْسَل خلافًا لمن لا يحتجون بالمراسيل ، ذاكرًا أنّ لهذا الحديث طرقًا أخرى موصولة ومُرْسَلَة يقوّى بعضها بعضًا ؛ ومن ثم فإن مجموعها يُسَوِّغ الاحتجاج به ، وفى ذلك يقول : لم يعين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة المراد بأولى الأرحام ؛ ومن ثم فقد اختلف العلماء : هل جاء فى القرآن ما يبيّن المراد منها أم لا ؟ .

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أنها بينتها آيات المواريث كما قدمنا نظيره فى قول الله تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ الآية[2] وعليه فقد قالوا : لا إرث لأحد غير مَنْ عَيَّنَتْ لهم حقوقهم فى آيات المواريث ، أما الباقى بعد نصيب الورثة المنصوص على إرثهم فإنما يذهب إلى بيت مال المسلمين ، وقد استدلوا فى ذلك بقول رسول الله ﷺ : « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه ؛ فلا وصية لوارث » الحديث[3] وهذا ما يدل بعمومه على أنه لم يبق فى التركة حق لغير مَنْ عَيَّنَتْ لهم أنصباؤهم فى آيات المواريث .

كما احتج أيضًا مَنْ قال : (لا يرث ذوو الأرحام) بما روى عن عطاء بن يسار : أن رسول الله ﷺ ركب إلى قُبَاء يستخير فى ميراث العمة والخالة فأنزل عليه « لا ميراث لهما » وهذا الحديث أخرجه أبو داود فى (المراسيل) والدارقطنى والبيهقى من طريق زيد ابن أسلم عن عطاء مُرْسَلاً ، كما أخرجه النسائى فى (سُنَنه) وعبد الرزاق وابن أبى شيبة من مُرْسَل زيد بن أسلم ، وليس فيه ذكر عطاء ، وقد رد المخالف على ذلك بأن هذا الحديث (مُرْسَل) وقد أجيب بأن مشهور مذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد هو الاحتجاج بالمُرْسَل .

---

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) النساء : ٧ - ١٢ (ست آيات للمواريث) .

(٣) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

كما رواه البيهقى موصولاً من طريقين إحداهما: من رواية ضرار بن صرد بن أبى نعيم، وثانيتهما : من رواية شريك بن أبى نمر عن الحارث بن عبد الله مرفوعًا ، وقالوا : وصله الطبرانى من حديث أبى هريرة ، ويجاب بأنه ضعفه بمسعدة بن اليسع الباهلىّ ، وقالوا : وصله الحاكم من حديث ابن عمر (وصححه) ويجاب بأن فى إسناده عبد الله بن جعفر المدنى وهو ضعيف ، وقالوا : روى له الحاكم شاهدًا من حديث شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن الحارث بن عبد مرفوعًا ، ويجاب بأن فى إسناده سليمان بن داود الشاذكونى وهو متروك ، وقالوا أخيرًا : أخرجه الدارقطنى من وجه آخر عن شريك ، ويجاب بأنه مُرْسَل .

ونقول : إن هذه الطرق الموصولة والمُرْسَلَة يشد بعضها بعضًا ؛ فيصلح مجموعها للاحتجاج ، ولا سيما أنّ منها ما صححه بعض العلماء ، ومنها الطريق التى صححها الحاكم ، وأما تضعيفها بعبد الله بن جعفر المدنى : ففيه أنه من رجال مسلم ، وقد أخرج له البخارى تعليقًا ، كما قال فيه ابن حجر فى كتابه (التقريب) : ليس به بأس[1] .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الآية[2] نراه لا يُعَوِّل على الحديث الضعيف الوارد فى تفسير الرؤيا بأنّ رسول الله ﷺ قد رأى فى منامه بنى أميّة على منبره ، وأن تفسير الشجرة الملعونة هم بنو أمية كذلك.

وهذا ما قطع الشنقيطى بعدم صحته نظرًا لأنه مبنى على حديث ضعيف لا تقوم به حجة فى التفسير؛ ومن ثم فلا يصح الأخذ به أو التعويل عليه ، وفى ذلك يقول ما نصّه : التحقيق فى معنى هذه الآية الكريمة أنّ الله جلّ وعَلاَ جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس .

لأن عقول بعضهم ضاقت عن قَبُول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقًا، إذ قالوا: كيف يصلى ببيت المَقْدس، ويخترق السبع الطباق ، ويرى ما رأى فى ليلة واحدة ، ويصبح فى محله بمكة؟ هذا مُحَال !! فكان هذا الأمر فتنة لهم لعدم تصديقهم به ، واعتقادهم بأنه لا يمكن .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤١٩/٢ - ٤٢١ .	(٢) الإسراء : ٦٠ .

ثم إنّ الله جلّ وَعَلا قد جعل الشجرة الملعونة فى القرآن التى هى (شجرة الزقوم) فتنة للناس ؛ لأنهم لما سمعوه ﷺ يقرأ قول الله تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ الآية[1] قالوا : ظهر كذبه ؛ لأن الشجر لا ينبت فى الأرض اليابسة ؛ فكيف ينبت فى أصل النار ؟! فصار ذلك فتنة، وقد بيَّنَ الله تعالى أنّ هذا هو المراد من كون الشجرة المذكورة فتنة لهم بقوله سبحانه : ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ الآيات[2] وهو واضح كما ترى .

وفى موضع آخر أشار الله تعالى إلى تلك الرؤيا التى جعلها فتنة لهم ، وهو قوله سبحانه : ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ الآيات[3] .

وبهذا التحقيق الذى ذكرنا تعلم أن قول مَنْ قال : إن الرؤيا التى أراه الله تعالى إياها هى رؤياه فى المنام بنى أمية على منبره ﷺ وإن المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن بنو أمية ، لا يُعَوَّل ؛ إذ لا أساس له من الصحة ، والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حجة[4] .

وإنما وصف الشجرة باللعن لأنها فى أصل النار؛ وأصل النار بعيد من رحمة الله تعالى (واللعن : الإبعاد عن رحمة الله تعالى) أو أنها ملعونة لِخُبْث صفاتها التى وُصِفَتْ بها فى القرآن ، أو هى ملعونة لِلَعْنِ الذين يَطْعَمُونها، والعلم عند الله تعالى[5] .

هذا فيما يتعلق بعدم تعويل الشنقيطى على الحديث الضعيف فى التفسير والذى يُعَدُّ

(١) الصآفات : ٦٤ .

(٢) الصآفات : ٦٢ - ٦٤ (ثلاث آيات) .

(٣) النجم : ١٢ - ١٨ (سبع آيات) .

(٤) أورده ابن الجوزى فى تفسيره منبهًا على عدم صحته بقوله : وأرى عدم صحة مثل هذا برغم ذكر عامة المفسرين له - انظر (زاد المسير) : ٥/٥٤ - (طبع بيروت) .

● ومِمَّنْ أورده من المفسِّرين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج القرطبى ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : ١٠/٢٨٣ - الطبعة ٢ - تحقيق : أحمد عبد العليم البردونى - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

● وبهذا يتضح لنا عدم صحة الحديث المذكور من الأصل ، وليس ضعفه كما ذهب إليه الشنقيطى .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٦٠٣ - ٦٠٤ .

أخطر منازل الحِلِّ والحُرْمَة لتعلقه بكلام الله تعالى ، خاصة إذا كان هذا الحديث لا يندرج تحت أصل مشروع ، أو لم تتعدد طرق العمل به غير طريقه الضعيفة ؛ أما إذا كان كذلك ؛ فإن الشنقيطى يعمل به فى جملة طرقه هذه لأنها يقوّى بعضها بعضًا كما هو مذهب جمهور المحدّثين الذى أشرنا إليه آنفًا ، فضلاً عن أنه يندرج تحت أصل مشروع .

ومن ذلك صنيعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ الآية[1] حيث نراه يستدل على (سُنية مسح اليدين إلى المرفقين فى التيمم) بمجموع طرق الحديث الوارد فى ذلك مع أن فى بعضها ضعفًا ، فيقول ما نصه :

اعلم أن الواجب فى التيمم هو مسح الكفين فقط ، وذلك لما قدمنا من أن الأحاديث الواردة فى صفة التيمم والتى لم يصح منها شىء ثابت الرفع إلاّ حديث عمّار ، وحديث أبى جهيم ، أما (حديث أبى جهيم) فقد ورد بذكر اليدين مجملاً ، وأما (حديث عمّار) فقد ورد بذكر الكفين فى (الصحيحين) وورد فى (غيرهما) بذكر المرفقين ، وفى رواية إلى نصف الذراع ، وفى رواية إلى الآباط.

أما رواية (المرفقين ، ونصف الذراع) ففيهما مقال ، وأمّا رواية (الآباط) فقد قال فيها الشافعى وغيره : إنْ كان ذاك وقع بأمر النبىّ ﷺ فكل تيمم له ﷺ بعده فهو ناسخ له ، أما إنْ كان قد وقع ذلك بغير أمره ؛ فالحُجَّة فيما أمر به ﷺ .

ومما يقوّى رواية الصحيحين فى الاقتصار على الوجه والكفين ، أنّ عمّار بن ياسر كان يفتى بعد النبىّ ﷺ بذلك ، وراوى الحديث أعْرَفُ بالمراد من غيره ، ولا سيما الصحابىّ المجتهد ، كما قاله ابن حجر فى (الفتح) وأما فعل ابن عمر فلم يثبت رفعه إلى النبى ﷺ والموقوف على ابن عمر لا يُعَارَضُ به مرفوع متفق عليه وهو حديث عمّار .

وقد روى أبو داود عن ابن عمر بسند ضعيف أنه قال : « مَرَّ رجل على النبىّ ﷺ فى سكة من السكك ، وقد خرج من غائط أو بول فَسَلَّمَ عليه ؛ فلم يَرُدَّ عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فى السكك ، فضرب بيده على حائط ومسح بها وجهه ، ثم ضرب أخرى فمسح بها ذراعيه » .

ومدار الحديث على محمد بن ثابت ، وقد ضعفه ابن معين وأحمد والبخارى وأبو حاتم ، وقال أحمد : والبخارى ينكر عليه حديث التيمم هذا ، وزاد البخارى : خالفه أيوب وعبيد الله والناس فقالوا : عن نافع عن ابن عمر فعله ، وقال أبو داود : لم يتابع أحد محمد بن ثابت فى هذه القصة على ضربتين عن رسول الله ﷺ ورووه من فعل ابن

(١) المائدة : ٦ .

عمر ، وقال الخطابىّ : لا يصح ؛ لأن محمد بن ثابت ضعيف جدًا ، ومحمد بن ثابت هذا هو العبدىّ أبو عبد الله البصرىّ ، قال فيه فى (التقريب) : صدوق لين الحديث .

وروى الدارقطنى من طريق سالم عن ابن عمر مرفوعًا : « تيممنا مع رسول الله ﷺ ضربنا بأيدينا على الصعيد الطيب ، ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بها وجوهنا ، ثم ضربنا ضربة أخرى فمسحنا من المرافق إلى الأكف » لكن فى إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك .

وروى البزار وابن عَدِىٍّ من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين » تَفَرَّدَ به الحريش بن الخريت عن ابن أبى مليكة عنها ، قال أبو حاتم : حديث منكر ، والحريش شيخ لا يحتج به .

أما حديث أنه ﷺ قال لعمّار بن ياسر : « تكفيك ضربة للوجه ، وضربة للكفين » فقد رواه الطبرانى فى (الأوسط والكبير) وفيه إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى ، وهو ضعيف ، ولكنه حجة عند الشافعىّ .

وأما حديث عمّار: « كنت فى القوم حين نزلت الرُّخْصَة فأمرنا فضربنا واحدة للوجه ، ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين » فقد رواه البزار ، ولا شك أن الرواية المتفق عليها عن عمّار هى أَوْلَى منه .

وأخيرًا يقول ابن عبد البر : إنّ أكثر الآثار المرفوعة عن عمّار هى ضربة واحدة ، وما روى عنه من ضربتين فكلها مضطربة .

وبعد أن يفرغ الشنقيطى من ذكر هذه الروايات وغيرها والتى يبيّن عدم خلو أغلبها من الضعيف والنكارة إزاء ما ترمى إليه من إثبات وجوب ضربتين فى التيمم (واحدة للوجه ، وأخرى للكفين) فإننا نراه يعود للتأكيد على أنه لم يصح فى ذلك كله إلا (حديث عمّار وحديث أبى جهيم) واللذان يعدان بمثابة الأصل فى هذا الباب من حيث إثباتهما أن المشروع فى التيمم إنما هو (ضربة واحدة للوجه والكفّين معًا) .

أما حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه فقد أخرجه الشيخان فى صحيحيهما أنه قال : « أَجْنَبْتُ فلم أُصِبْ الماء ؛ فَتَمَعَّكْتُ فى الصَّعِيد وصَلَّيْتُ[1] فذكرت ذلك للنبىّ ﷺ فقال : إنما

---

(١) تَمَعَّكْتُ : أى تَمَرَّغْتُ وتَدلَّكْتُ وتَقَلَّبْتُ ، من (المَعْك) : أى الدَّلْك ، ومنه قولهم : (مَعكَه فى التراب يَمْعَكُه مَعْكًا) أى دَلَكَه ، و (مَعَّكَه تمعيكًا) : أى مَرَّغَه فيه ، ومنه قولهم أيضًا : (التَّمَعُّكُ فى التراب) أى التَّقَلُّبُ فيه – انظر مادة (مَعَك) فى لسان العرب : ٦/ ٤٢٣٥ .

والصَّعيد : هو كل تراب طيب ، أو كل ما كان له غبار ، أو وجه الأرض المستوية ، وقيل : هو المرتفع من الأرض عامة ، أو الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة خاصة ، كما قيل غير ذلك =

يكفيك هكذا ، وضرب النبىّ ﷺ بكفيه الأرض ، ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه » الحديث[1] .

وأما حديث أبى جهيم بن الحارث بن الصِّمّة الأنصارىّ فقد أخرجه البخارىّ موصولاً ، ومسلم تعليقًا أنه قال : « أقبل رسول الله ﷺ من نحو (بئر جَمَل) فلقيه رجل ، فَسَلَّم عليه ، فلم يَرُدّ عليه النبىّ ﷺ حتى أقبل على الجدار ، فمسح بوجهه ويديْه ، ثم رد عليه السلام » الحديث[2] .

ومن ثم؛ فإنّ ما سبق ذكره من الروايات الضعيفة والمنكرة بشأن الضربتين فى التيمم، إنما تندرج كلها تحت هذا الأصل المشروع والذى يمثله هذان الحديثان الواردان فى (الصحيحين) فضلاً عن أنها يقوّى بعضها بعضًا .

الأمر الذى حدا بالشنقيطى لئن يخلص فى النهاية إلى القول بوجوب مسح الكفين ، وسُنية مسح الذراعين إلى المرفقين ، وفى ذلك يقول ما نصّه : فإذا عرفتَ نصوص السُّنة فى المسألة فاعلم أن الواجب فى المسح هو الكفان فقط، ولا يبعد ما قاله مالك رحمه الله تعالى من وجوب الكفين، وسُنية الذراعين إلى المرفقين؛ لأن الوجوب دلّ عليه الحديث المتفق عليه فى الكفين ، وهذه الروايات الواردة بذكر اليدين إلى المرفقين تدل على السُّنية ، وإن كانت لا يخلو شيء منها من مقال؛ إلاّ أنّ بعضها يشدّ بعضًا، وذلك كما تقرر فى (علوم الحديث) من أنّ (الطرق الضعيفة المُعْتَبَر بها يقوّى بعضها بعضًا حتى يَصْلُحَ مجموعها للاحتجاج)[3] .

المطلب الرابع

تطبيق القاعدة الرابعة

تتبعُ الحديث سندًا ومتنًا

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقوله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

= - انظر مادة (صَعدَ) فى لسان العرب : ٤/ ٢٤٤٤.

● ومعنى قولَه هنا : (تَمَعّكْتُ فى الصَّعيد) أى تَقَلّبْتُ فى التراب الطيِّب المُستَوى ، وإنْ كان المعوَّل عليه فى التيمم هو الضربتان بالكفَيْن عامّة ، وليس التقلُّب فى ذاته خاصّة .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التيمم (باب) المتيمم هل ينفخ فيهما - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الحيض (باب) التيمم - (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التيمم (باب) التيمم فى الحضر - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الحيض (باب) التيمم - (طبع بيروت) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٣ - ٤٨ .

نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[١] نراه يستدل على مشروعية الاجتهاد فى هذه الآية بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن حيث قال له : « فَبِمَ تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال: فإنْ لم تجد ؟ قال : بسُنة رسول الله ﷺ قال : فإنْ لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ، قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال : الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرْضِى رسولَ الله ﷺ » الحديث[٢] .

وبعد أن يورد الشنقيطى نصّ هذا الحديث نراه يشرع فى تتبّع سنده ومتنه ، بطرقه المتعددة ، ورواياته المختلفة ؛ وليخلص فى نهاية مطاف أقوال العلماء فيه إلى الحكم عليه بالصحة والقَبُول قائلاً ما نصه : اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة فى المُسْنَد والسُّنن كلها من طريق شعبة عن أبى عون عن الحارث بن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ ثم إنّ بعض الأحاديث وإنْ كانت لا تثبت من جهة الإسناد ؛ إلاّ أنها لما تلقتها الكافة عن الكافة فقد غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ؛ فكذلك جديث معاذ لما احتجوا به جميعًا فقد غنوا بذلك عن طلب الإسناد له ، ومن ثم فقد تلقته الأمة قديمًا وحديثًا بالقَبُول[٣] .

هذا ، وسوف نعرض لتتبّع الشنقيطى لسند ومتن هذا الحديث ، بطرقه المتعددة ، ورواياته المختلفة، فضلاً عن أقوال العلماء فيه عامة ، وقوله هو فيه خاصة ، وذلك من خلال تناولنا لسِمَةِ (الانتقاد) كإحدى السِّمَات العامة لمنهجه فى التفسير .

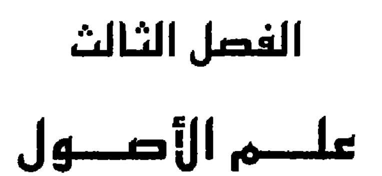
* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (علوم الحديث) كموضوع أساسىّ يُصنِّفُ الآية تحته، بل ويُوَجِّهُ معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٢) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٥٨٣ - ٤/٦٠٠ .



الفصل الثالث

علـــم الأصـــول

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظرى

ويتنظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : المقدمة الأصولية .

٢ - المطلب الثانى : الشواهد الأصولية .

٣ - المطلب الثالث : الأدلة الأصولية .

٤ - المطلب الرابع : المسائل الأصولية .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم الأصول) كقاعدة نظرية، وموضوع أساسىّ، يُصنّفُ تحته بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

المقدمة الأصولية

ونعنى بها تلك المقدمة التفصيلية التى قدّم بها الشنقيطى لتفسيره مُضَمّنًا إياها تعريف البيان وأقسامه وأنواعه وبعض ما يتعلق به من المسائل المختلفة .

وهو فى ذلك كله يتبع ما يورده بالأمثلة التى تقوم شاهدًا على ما يذهب إليه ودليلاً على ما يرجحه ؛ الأمر الذى أبانت معه تلك المقدمة عن ملامح التفكير الأصولىّ عند الشنقيطى ، بل ومَهَّدَت فى ذات الوقت لما ينتوى أن يسلكه فيما بعد إزاء علم الأصول ومباحثه العديدة من خلال ما يَعْرِض له من الآيات فى ثنايا تفسيره المختلفة .

ومن ثم ؛ فقد جاءت هذه المقدّمة الأصوليّة كأحد محاور التقعيد النظرىّ للفكر الأصولىّ عند الشنقيطى ، والذى سنعرض لتطبيقه العَمَلىّ عليه بعد قليل .

وإلى تلك المقدّمة وما تحتويه من القواعد الأصولية المختلفة يشير الشنقيطى فى مقدمة تفسيره قائلاً ما نصّه : وقد تضمن هذا الكتاب تحقيق ما يُحتَاج إليه من المسائل الأصوليّة ، فضلاً عن المقدمة التى نذكرها فى تعريف الإجمال والبيان ، وما يُحتَاج إليه من مسائلهما من غير تطويل فى ذلك[1] .

المطلب الثانى

الشواهد الأصولية

حيث يُولِى الشنقيطى تلك الشواهد عناية واضحة تمثلت فى تفسيره لها ، وتعليقه عليها ، فى مَعْرِض استشهاده بها ، واستناده إليها ، وأكثر ما يقع من ذلك هو شرحه لما يستشهد به من النظم الأصولىّ الذى يستدل به على ما يذهب إليه ، ويعتضد به فيما يرجحه ، من جملة الوجوه والآراء المعتبرة الواردة فى موضوع الآية ومعناها .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أنّ فى بعضها تنبيهًا بها على غيرها وهذا ما سوف نَعْرِض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العملىّ عليه .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٨ - ٦٩ .

المطلب الثالث

الأدلـة الأصوليـة

وتحتل هذه الأدلة من تفسير الشنقيطى حيزًا غير قليل ؛ حيث يحتكم إليها ، ويعتمد عليها ، إزاء توجيه معنى الآية فى ضوء ما تقتضيه ، وعلى هَدْى ما تؤدى إليه .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى أيضاً فى ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أن فى بعضها تنبيهًا بها على غيرها وهذا ما سوف نَعْرِض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العملى عليه .

المطلب الرابع

المسـائل الأصوليـة

أما تلك المسائل التى تتعلق بعلم الأصول ومباحثه المختلفة فهى أيضًا أكثر من أن تحصى فى ثنايا تفسير الشنقيطى الذى يَعْرِض لها لأدنى ملابسة ، ويذكرها لأيسر مناسبة ؛ حيث يُوَجِّهُ معنى الآية على أساسها ، ويُجْرِى التفسير وفقًا لمقتضاها .

وفى بعض هذه المسائل تنبيه بها على غيرها ، وهذا ما سوف نَعْرِض له بعد قليل من خلال تطبيق الشنقيطى العَمَلىّ عليه .

* * *

وبعد : فإنّ ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعلية من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

المبحث الثانى

التطبيــق العملــىّ

وينتظم المطالب الأربعة التالية :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (المقدمة الأصــولية) .

٢ - المطلب الثانـى : تطبيق القاعدة الثانيـة (الشواهد الأصولية) .

٣ - المطلب الثالـث : تطبيق القاعدة الثالثـة (الأدلة الأصـــولية) .

٤ - المطلب الرابـع : تطبيق القاعدة الرابعة (المسائل الأصـولية) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم الأصول) حيث يُجَسِّدُ من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلىّ التى تُعَدُّ تطبيقًا على القواعد الأربعة المذكورة ، وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطالب الأربعة التالية :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

المقدمة الأصولية

تعد هذه المقدمة الأصوليّة بمثابة القاعدة الأساسيّة التى قدّم بها الشنقيطى لتفسيره، والتى جاءت كتمهيد عملىّ لما ينتوى أن يسلكه فيما بعد فى ثنايا تفسيره المختلفة؛ ومن ثم فقد حوت هذه المقدمة سائر ما يتعلق بالإجمال والبيان من حيث التعريف والأقسام والأنواع ، وأخيرًا تلك المسائل التى تتصل بهما ، وتترتب عليهما ، وذلك على النحو التالى :

١- التعريف :

حيث تناول الشنقيطى من خلال تعريف (الإجمال والبيان) فى كل من اللغة والاصطلاح ، مع ذكر شواهده المعتبرة فى ذلك .

٢ - الأقسام :

حيث ذكر الشنقيطى أقسام البيان الأربعة والتى تتمثل فى كل من : (بيان منطوق بمنطوق - بيان مفهوم بمنطوق - بيان منطوق بمفهوم - بيان مفهوم بمفهوم) .

٣ - الأنواع :

حيث ضمّن الشنقيطى مقدمة تفسيره ثمانيةَ عشرَ نوعًا من أنواع البيان البالغ جملتها نحو ثلاثين نوعًا فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وفيما يلى نكتفى بالإشارة إلى ثلاثة منها تنبيهًا بها على غيرها ، والتى تتمثل فى كل من :

- النوع الأول : بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك فى اسم أو فعل أو حرف .
- النوع الثانى : بيان أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوى غير مراد ؛ وذلك لوجود دليل قرآنى آخر يدل على أن المراد غيره .

- النوع الثالث: بيان أن يذكر وقوع شيء فى القرآن ثم يذكر فى مَحَلٍ آخر كيفية وقوعه.

٤ - المسائل :

حيث أورد الشنقيطى أربع مسائل تتطلب بالإجمال والبيان ، وتترتب عليهما ، وهى تلك التى تتمثل فى كل من :

- المسألة الأولى : إذا ورد بعد المجمل قول أو فعل ؛ وعندئذ لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات : (أن يتفق القول والفعل - أن يزيد الفعل على القول - أن يزيد القول على الفعل) .
- المسألة الثانية : عدم جواز تأخير البيان لمجمل أو ظاهر عن وقت العمل به .
- المسألة الثالثة : جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة إلى العمل به .
- المسألة الرابعة : لا يشترط فى البيان أن يعلمه جميع المكلفين الموجودين فى وقته .

وأخيراً فإن الشنقيطى يشفع كل ذلك بأمثلته التطبيقية فى مواضعها المختلفة من كتاب الله تعالى ، كما لا يفتأ يستدعى ما قاله صاحب (مراقى السُّعود) ليستدل به على ما يذهب إليه ، ويعتضد به فيما يرجحه .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

الشواهد الأصولية

يُولِى الشنقيطى تلك الشواهد الأصولية عناية واضحة تمثلت فيما يقوم به من ذلك الشرح المفصّل على ما يستشهد به من النظم الأصولىّ ، والذى نكتفى هنا بذكر مثالٍ واحدٍ له تنبيهًا به على غيره مما فى ثنايا تفسيره المختلفة .

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ الآية[1] نراه يستشهد بأبيات من كتاب (التكميل) للشيخ ميَّارة، ثم يعقبها بشرحه عليها ، وذلك فيما يتعلق بالمسألة الأصولية التى مفادها : (هل إذا تعددت الأسباب واتحد موجبها بصيغة اسم المفعول ؛ فهل يتعدد عندئذ ذلك الموجب نظراً لتعدد أسبابه ، أو لا يتعدد نظراً لاتحاده فى نفسه ؟) حيث يقول ما نصه : وقد أشار الشيخ ميّارة فى (التكميل) إلى هذه المسألة فى

---

(١) الحج : ٢٧ .

الجملة ، حيث نظم ذلك قائلاً :

إنْ يتعـددْ سَبَبٌ والمُوجَـب ... مُتحـد ؛ كَفَى لهـنّ مُوجَـب

كَنَاقضٍ سَهْـوٍ وُلُوغٍ ، والفدَا ... حكـاية ، حـدٌّ تَيَمُّـم بَـدَا

وذا الكثيـرُ ، والتعـددُ وَرَد ... بِخُلْـف أو وُفْقٍ بنصٍّ مُعْتَمَد

ثم يشرع الشنقيطى فى شرح هذه الأبيات الثلاثة قائلاً : فقوله (المُوجَب) فى الموضعين بصيغة اسم المفعول ، وقوله (كناقض) يعنى أن نواقض الوضوء إنْ تعددت (كَمَنْ بال مرات ، أو بال ونام وقَبَّلَ) فإنه يكفى لجميعها وضوء واحد ، وكذلك الجنابة إنْ تعددت أسبابها (بوطءٍ مرات ، وإنزال بلذة ، واحتلام ، وانقطاع حيض) فإنه يكفى لجميع ذلك غسل واحد .

وقوله (سَهْوٍ) يعنى أنّ مَنْ سَهَا فى صلاته مرات متعددة ؛ فإنه يكفيه لجميعها سجودُ سَهْوٍ واحدٌ ، وقوله (وُلُوغٍ) يعنى أنه إذا تعدد ولوغ الكلب فى الإناء بأن وَلَغَ فيه مرات متعددة ، أو ولغت فيه كلاب متعددة ؛ فإنه يكفى لجميع ذلك غسله سبع مرات على نحو ما فى الحديث[1] فلا يتعدد الغسل بتعدد الولوغ .

وقوله (والفدَا) يعنى أنه مَنْ تكرر منه موجب الفدية (كَمَنْ لبس ثوبًا مَخيطاً مطيّبًا) فإنه تكفيه فدية واحدة ، وقوله (حكايةِ) يعنى أنّ مَنْ سمع آذان جماعة من المؤذنين فى وقت واحد فإنه يكفيه حكاية آذان واحد ، ولا تتعدد حكاية الآذان لتعدد المؤذنين .

وقوله (حَدٌّ) يعنى أن مَنْ زنا مرات متعددة قبل أن يقام عليه الحدّ فإنه يكفى حدّه حداً واحدًا ، ولا يتعدد الحدّ بتعدد الزنا ، أما إذا أقيم عليه الحد ثم زنا بعد إقامة الحدّ ؛ فإنه يقام عليه الحدّ لزناه الواقع بعد إقامة الحدّ ، وقوله (تيمّمٍ) يعنى أنّ الجُنُب الذى حكمه التيمم إذا أراد أن يحمل المصحف وقراءة القرآن فيه ؛ فإنه يكفيه تيمم واحد ولا يلزمه أن يتيمم لكل واحد منهما .

وقوله (وذا الكثيرُ) يعنى أن الكثير فى فروع هذه المسألة عدم تعدد الموجب الذى تعددت أسبابه ، وقوله (والتعدد ورد بخُلْفٍ أو وُفْقٍ) يعنى أن تعدد الموجب لتعدد أسبابه وارد فى الشرع ، وتارة يكون مُجْمَعًا على تعدده ، وتارة يكون مُخْتَلَفًا فيه ، فقوله (أو وُفْقٍ) يعنى الاتفاق ومراده به الإجماع.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الوضوء (باب) إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الطهارة (باب) حكم ولوغ الكلب - (طبع بيروت) .

وحالما يفرغ الشنقيطى من ذكر وشرح أبيات الشيخ ميّارة السابقة ؛ يَعْمَد عندئذ إلى ذكر ما نظمه الشيخ عبد الله العلوىّ الشنقيطىّ فى كتابه : (نشر البنود شرح مراقى السُّعود) بشأن (ما يتعدد بتعدد سببه إجماعًا) حيث حصر ذلك فى خمس مسائل ، ثم (ما يتعدد بتعدد سببه خلافًا) حيث حصره فى عشر مسائل .

ثم يُرْدِف ذلك بذكر أقوال المذاهب الأربعة فى تلك المسألة ، متناولاً ما يورده بالشرح والتعليق ، وليخلص بذلك إلى ما يذهب إليه ويرجحه بشأن المسألة المذكورة قائلاً : واعلم أن جميع ما ذكرنا من تعدد الفدية وعدم تعددها إذا تعددت أسبابها ، لا نص فيه من كتاب ولا سُنّة فيما نعلم ، ثم إن اختلاف أهل العلم فيه كما ذكرنا هو من نوع الاختلاف فى تحقيق المناط ، والعلم عند الله تعالى[1] .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

الأدلـــة الأصـــوليـــة

أما هذه الأدلة فهى أكثر من أن تحصى فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ، حيث يحتكم إليها ، ويعوّل عليها ، فى توجيه معنى الآية ، بل وإجراء التفسير على مقتضاها ، وفيما يلى نكتفى بذكر دليل واحد من هذه الأدلة تنبيهًا به على غيره ، ألا وهو :

- **دليل السبْر والتقسيم :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا﴾ الآيتان[2] نراه يعرض لهذا الدليل الأصولىّ ذاكرًا تعريفه ومدلوله عند كل من الأصوليين والجدليين والمنطقيين ، ثم موظفًا إياه ، ومحتكمًا إليه فى الكشف عن معنى هذه الآية الكريمة ، والدلالة على المراد منها ، وفى ذلك يقول ما نصه :

اعلم أن الله جلّ وعلا قد ردّ فى هذه الآية الكريمة على العاص بن وائل السّهمىّ قوله: (إنه يُؤْتَى يوم القيامة مالاً وولدًا) وذلك بالدليل المعروف عند الأصوليين بـ : (السَّبر والتقسيم) وعند الجدليين بـ : (التقسيم والترديد) وعند المنطقيين بـ : (الشَّرْطِىّ المنفصل) .

وضابط هذا الدليل العظيم أنه متركب من أصلين :

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٤٧٧ - ٤٨٩ .

(٢) مريم : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

• **أحدهما :** حصر أوصاف المحل بطريق من طرق الحصر ، وهو المعبَّر عنه بـ : (التقسيم) عند الأصوليين والجدليين ، وبـ : (الشَّرْطِيّ المنفصل) عند المنطقيين .

• **وثانيهما :** اختيار تلك الأوصاف المحصورة ، ثم إبطال ما هو باطل منها ، وإبقاء ما هو صحيح منها ، وهذا الأخير هو المعبَّر عنه عند الأصوليين بـ : (السَّبْر) وعند الجدليين بـ : (الترديد) وعند المنطقيين بـ : (الاستثناء فى الشَّرْطِيّ المنفصل) .

وعليه فإن التقسيم الصحيح فى هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل فى ثلاثة ، والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث ؛ وبذلك يتم إلقام العاص بن وائل الحَجَر فى دعواه : (أنه يُؤْتَى يوم القيامة مالاً وولدًا) (١) .

أما وجه حصر أوصاف المحل فى ثلاثة فهو : أنا نقول : قولك (إنك تُؤْتَى يوم القيامة مالاً وولدًا) لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء :

الأول : أن تكون اطَّلَعْتَ على الغيب ، وعلمتَ أن إيتاءك المال والولد يوم القيامة ، هو مما كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ .

الثانى : أن يكون الله تعالى قد أعطاك عهدًا بذلك ؛ فإنه إن أعطاك عهدًا فلن يخلفه .

الثالث : أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله تعالى من غير عهد ، ولا اطلاع على غيب .

وقد ذكر الله تعالى القسمين الأولين فى قوله سبحانه : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ الآية(٢) مبطلاً لها بأداة الإنكار ، ولا شك أن كلا هذين القسمين باطل ؛ لأن العاص المذكور لم يَطَّلِعْ على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهدًا .

فتعين بذلك القسم الثالث وهو أنه قال ذلك افتراءً على الله تعالى ، وقد أشار سبحانه إلى هذا القسم الذى هو الواقع بحرف الزجر والردع ، وهو قول الله تعالى : ﴿كَلاَّ﴾ الآية(٣) أى لأنه يلزمه (ليس الأمر كذلك ؛ حيث لم يَطَّلِعْ على الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهدًا) بل قال ذلك افتراءً على الله تعالى ، لأنه لو كان أحدهما حاصلاً ؛ لم يستوجب الردع من مقالته كما ترى .

وهذا الدليل الذى أبطل به دعوى ابن وائل هذه، هو الذى أبطل به دعوى اليهود (أنهم

---

(١) ويعنى بذلك قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ مريم : ٧٧ .

(٢) مريم : ٧٨ . (٣) مريم : ٧٩ .

لن تمسسهم النار إلاّ أيامًا معدودة) فى سورة (البقرة) وقد صرّح فى ذلك بالقَسَم الذى هو الحق (وهو أنهم قالوا ذلك كذبًا من غير علم) وحذف فى (البقرة) قَسَمَ اطّلاع الغيب المذكور فى (مريم) لدلالة ذكره فى (مريم) على قصده فى (البقرة) كما أن كذبهم الذى صرّح به فى (البقرة) لم يصرّح به فى (مريم) لأن ما فى (البقرة) يبيّن ما فى (مريم) لأن القرآن العظيم يبين بعضه بعضًا ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ الآية[1] .

فالأوصاف المذكورة هنا هى ذات الأوصاف المذكورة فى (مريم) كما أوضحنا ، وما حُذفَ منها هنا يدل عليه ذكره فى (مريم) فاتخاذ العهد : ذَكَرَه فى (البقرة ومريم معًا) والكذب على الله تعالى : صرّح به فى (البقرة) بقوله تعالى : ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ وأشار إليه فى (مريم) بحرف الزجر الذى هو : «كلا» واطلاع الغيب : صرّح به فى (مريم) وحذفه فى (البقرة) لدلالة ما فى (مريم) على المقصود فى (البقرة) كما أوضحنا[2] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشنقيطى لم يكتفِ فى هذا المقام بالاحتكام إلى هذا الدليل الأصولىّ فى توجيهه لمعنى هذه الآية الكريمة ، وإجراء تفسيرها على مقتضاه ، وإنما قد تعدّى ذلك إلى إيراد ست مسائل أصوليّة تتعلق به ، وتترتب عليه .

ولما لم يكن من مقصود هذا البحث الحصر والإحصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فى ذكر هذه المسائل بمجرد الإشارة إليها ، والتعريف بها ، على النحو التالى :

١ - المسألة الأولى : ذكر المثال الوحيد الذى أورده السّيوطىّ لـ (السَّبْر والتقسيم) فى كتابه : (الإتقان) فى كلامه على (جدل القرآن) وذلك فيما تضمنه قول الله تعالى : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ الآية[3] .

٢ - المسألة الثانية : بيان أن دليل (السَّبْر والتقسيم) أعمّ نفعًا ، وأكثر فائدة ، على طريق الجدليين منه على طريق الأصوليين والمنطقيين .

٣ - المسألة الثالثة : بيان أن دليل (السَّبْر والتقسيم) إنما يستعمل عند الأصوليين فى شىء خاص، وهو استنباط علة الحكم الشرعى بـ : (مَسْلَك السَّبْر والتقسيم) .

---

(١) البقرة : ٨٠ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٣٦٥ - ٣٦٧ .

(٣) الأنعام : ١٤٣ .

٤ - المسألة الرابعة : بيان أن المقصود من دليل (السَّبْـر والتقسيم) عند المنطقيين إنما يخالف المقصود منه عند الأصوليين والجدليين .

٥ - المسألة الخامسة : ذكر بعض الآثار التاريخية لهذا الدليل ومنها : أن هذا الدليل قد جاء فى التـاريخ أنه أول سبب لضـعف المحنة العظمى على المسلمين فى عـقائدهم بالـقول بخَلْق القرآن العظيم .

٦ - المسألــة السادسة : بيـان أن هذا الدليل العظيم يُوَضِّح غـاية الإيضاح مـوقف المسلمين الطبيعىّ من الحضارة الغربية ؛ وبذلك الإيضـاح التام يتميز النافع من الضار ، والحَسَنُ من القبيح ، والحق من الباطل[١] .

المطلب الرابع

تطبيق القاعدة الرابعة

المســـائل الأصـــولية

يثـبت الشنقيطى فـى تـفسـيره العـديد من تلك المسائل الـتى يُوَجِّهُ مـعنـى الآيـة على أساسهـا ، ويجرى التفسيـر على مقتضـاها ؛ ولما لم يكن من مقصود هذا البـحث الحصر والإحصاء ؛ لذا فـسوف نكتفى فى ذكر هذه المسائـل بواحدة من أهمها ، وذلك تنبيـهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، ألا وهى :

- **شرع مَنْ قبلنا :**

ففى مَعْرِض تفسـير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[٢] نراه يَعْرِض لهذه المسـألة الأصولية المهـمة ، وذلك من خـلال ذكر آراء العلمـاء بصددها ، ثـم ليخلص فى نهـاية المطاف إلى حاصل تحرير المقام بشأنها ، والذى مؤداه:

أنه إذا ثبت فـى كتاب الله تعالى ، وسُنة رسوله ﷺ أنّ أمرًا ما من الأمور كان شرعًا لِمَنْ قبلنا؛ فإنه يصير عندئذ شرعًا لنا ما لم نُؤْمَرْ فى الكتاب والسُّنة ذاتهما بعدم الأخذ به ، أو ترك العمل بمقتضاه ، وإزاء هذا يقول الشنقيطى ما نصّه :

صرّح الحق سبـحانه فى هذه الآية الكريمة بأنه كتب على بنى إسرائيل أنه مَنْ قـتل نفسًا

(١) راجع تفصيل هذه المسائل الستِ (فى أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٤/ ٣٦٧ - ٣٨٤ .
(٢) المائدة : ٣٢ .

بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ، غير أنه لم يتعرض سبحانه هنا لحكم مَنْ قتل نفسًا بنفس أو بفساد فى الأرض .

ولكنه بيّن جلّ وعلا ذلك فى مواضعَ أُخَرَ ، حيث بَيَّنَ أنّ قتل النفس بالنفس جائز فى قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[1] وفى قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الآية[2] وفى قوله تعالى : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ الآية[3] .

ثم اعلم أنّ آيات القِصاص فى النفس فيها إجمال قد بيَّنته السُّنّة ، وحاصل تحرير المقام فيها أنّ الذكر الحُرّ المسلم يقتل بالذكر الحرّ المسلم إجماعًا ، وأن المرأة تقتل كذلك بالمرأة إجماعًا، كما أنّ العبد يقتل كذلك بالعبد إجماعًا، وكذا المرأة تقتل بالرجل ؛ لأنها إذا قتلت بالمرأة، فقتلها بالرجل أَوْلَى ، وأخيرًا فإنّ الرجل يقتل بالمرأة عند جمهور العلماء فيهما .

وهنا يذهب الشنقيطى لإقامة الدليلِ على قتل الرجل بالمرأة فيقول ما نصه : ومن أوضح الأدلة فى قتل الرجل بالمرأة قول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[4] وقوله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألاّ إله إلاّ الله وأنى رسول الله ؛ إلاّ بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس » الحديث[5] فعموم هذه الآية الكريمة ، وهذا الحديث الصحيح ؛ يقتضى قتل الرجل بالمرأة ، لأنه نفس بنفس، ولا يخرج من هذا العموم إلاّ ما أخرجه دليل صالح لتخصيص النص به .

---

(١) المائدة : ٤٥ . (٢) البقرة : ١٧٨ .
(٣) الإسراء : ٣٣ . (٤) المائدة : ٤٥ .
(٥) هكذا أورد الشنقيطى هذا الحديث مقتصرًا على ذكر شرطين فقط دون الشرط الثالث المتمم لجملة الشروط التى يحل بها دم المسلم ؛ ولإزالة ما لما قد يقع من لَبْس للناظر فى هذا الحديث ؛ فإننا نورده بتمام لفظه من رواية البخارى له فى صحيحه حيث يقول ما نصه :

حدَّثنا عمر بن حفص ، حدَّثنا أبى ، حدَّثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مُرَّة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ؛ إلاّ بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثَّيِّب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة » .

● انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى (كتاب) الديات (باب) قول الله تعالى : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة: ٤٥ - ٢٦/ ٢٠ حديث رقم (٦٨٧٨) - (طبع الأزهرية) - وعبد الله المذكور هو (ابن مسعود ﷺ) كما أفاد ذلك ابن حجر فى مَعْرِض شرحه لهذا الحديث - كما أخرج مسلم هذا الحديث أيضاً فى صحيحه (كتاب) القسامة والمحاربين والقصاص والديات (باب) ما يباح به دم المسلم - (طبع بيروت) .

وعندئذ ينفذ الشنقيطى إلى بيان تلك المسألة الأصولية التى نحن بصددها ، حيث نراه يعرض لرأيه فى (شرع مَنْ قبلنا) من خلال إجابته على سؤالين له افترضهما على كلامه السابق ، غير أنه يعنينا فى مقامنا هذا أول هذين السؤالين دون ثانيهما[1] وهو ما يفصّل فيه الشنقيطى قوله على النحو التالى :

نعم يتوجه على هذا الاستدلال سؤالان :

الأول : ما وجه الاستدلال بقول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[2] مع أنه حكاية عن قوم موسى ، والله تعالى يقول : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية[3] ؟

والجواب : أن التحقيق الذى عليه الجمهور ، ودلت عليه نصوص الشرع ، أن كل ما ذكر لنا فى كتابنا ، وسنة نبينا ﷺ مما كان شرعًا لِمَنْ قبلنا ؛ فإنه يكون شرعًا لنا ، من حيث إنه وارد فى كتابنا أو فى سُنة نبينا ﷺ لا من حيث إنه كان شرعًا لِمَنْ قبلنا ؛ لأنه لم يُقَصّ علينا فى شرعنا إلاّ لنعتبر به ، ونعمل بما تضمّن ، .والنصوص الدالة على هذا كثيرة جدًا .

ولأجل هذا ؛ أمر الله تعالى فى غير ما آية من قرآنه العظيم بالاعتبار بأحوالهم ، بل ووبّخ سبحانه مَنْ لم يعقل ذلك كما فى قوله تعالى فى قوم لوط : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)﴾ الآيتان[4] ففى قوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ لِمَنْ مرّ بديارهم ولم يعتبر بما وقع لهم ويعقل ذلك ليتجنب الوقوع فى مثله .

وكقول الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية[5] ثم هدّد الكفار بمثل ذلك فقال تعالى : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ الآية[6] .

وكقول الله تعالى فى حجارة قوم لوط التى أُهلكُوا بها ، أو ديارهم التى أُهلكُوا فيها :

---

(١) أما ثانى هذين السؤالين فقد سَمَّاه الشنقيطى قائلاً : السؤال الثانى هو لِمَ لا يُخَصِّصُ عموم قتل النفس بالنفس فى الآية والحديث المذكورين بقول الله تعالى : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ البقرة : ١٧٨ ؟ لأنّ هذه الآية أخص من تلك ؛ لأنها فصّلت ما أُجمل فى الأولى ، ولأن هذه الأمة مخاطبة بها صراحة فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ البقرة : ١٧٨ - انظر أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٦٢ .

(٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

(٤) الصافّات : ١٣٧ - ١٣٨ (آيتان) .

(٥) سورة محمد ﷺ : ١٠ .

(٦) سورة محمد ﷺ : ١٠ .

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الآية[1] وهو تهديد عظيم منه جلّ وعلا لِمَنْ لم يعتبر بحالهم فيجتنب ارتكاب ما هلكوا بسببه ، وأمثال ذلك كثيرة فى القرآن .

وكقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الآية[2] فصرّح سبحانه أنه يقصّ قصصهم فى القرآن للعبرة ، وهو دليل واضح لما ذكرنا .

ولَمَّا ذكر الله تعالى مَنْ ذكر من الأنبياء فى سورة (الأنعام) قال لنبينا ﷺ : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الآية[3] وأمره ﷺ أمر لنا لأنه قدوتنا ؛ ولأن الله تعالى يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية[4] ويقول : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ الآية[5] ويقول : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ الآية[6] ويقول : ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ الآية[7] ومن طاعته ﷺ اتباعه فيما أمر به كله ، إلاّ ما قام دليل على الخصوص به ﷺ .

وكون شرع مَنْ قبلنا الثابت بشرعنا شرعًا لنا إلاّ بدليل على النسخ : فـهذا هو مذهب الجمهور ، ومنهم مالك وأبو حنيفة وأحمد فى أشهر الروايتين ، وقد خالف الشافعى رحمه الله تعالى فى أصح الروايات .

وإزاء تحرير الخلاف فى هـذه المسألة يَعْرِض الشنقيطى لما ورد بشـأنها فى بعض المذاهب الأربعة بأدلتها المعتبرة، حيث يقول فى ذلـك ما نصه: وحاصل تحرير المقام فى مسألة (شرع مَنْ قبلنا) أنّ لها واسطة وطرفين كما يلى :

- **الطرف الأول (يكون فيه شرعًا لنا إجماعًا) :**

وهو ما ثبـت بشرعنا أنه كان شـرعًا لِمَنْ قـبلنا ، ثم بَيَّنَ لنا فى شرعنا أنـه شرع لنا ، وذلك كالقـصَاص مـثلاً فـإنه ثبت بشرعنا أنه كـان شرعًا لِمَـنْ قبلنا فى قـول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[8] وقد بَيَّن الحق سبحانه أنه مشروع لنا فى قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الآية[9] .

- **الطرف الثانى (يكون فيه غير مشروع لنا إجماعًا) :**

وهو أمران :

أحدهما : (ما لم يثبت بشرعنا أصلاً أنه كان شـرعًا لِمَنْ قبلنا) وذلك كالذى نتلقاه من

(1) هود : ٨٣ . (2) يوسف : ١١١ . (3) الأنعام : ٩٠ .
(4) الأحزاب : ٢١ . (5) آل عمران : ٣١ . (6) الحشر : ٧ .
(7) النساء : ٨٠ . (8) المائدة : ٤٥ . (9) البقرة : ١٧٨ .

الإسرائيليات ؛ لأن النبى ﷺ قد نهـانا عن تصديقهم وتكذيبهم فيهـا ، فما نهانا ﷺ عن تصديقه لا يكون مشروعًا لنا إجماعًا .

وثانيهـما : (ما ثبت فى شرعنا أنه كـان شرعًا لِمَنْ قبلنا، ثم بَيَّنَ لنا فى شـرعنا أنه غير مشروع لنا) وذلك كـالآصَار والأغلال[1] التى كانت على مَنْ قـبلنا ؛ لأن الله جلّ وعلا قد وضعـها عنا كما فى قـوله تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية[2] وقد ثبت فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ لما قرأ قول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الآية[3] قال: إن الله تعالى قال: نعم قد فعلت» الحديث[4] .

ومن تلك الآصار التى وضعها عنا الله تعالى على لسان نبينا ﷺ ما وقع لعَبَدَة العجْل حيث لم تُقْبَلْ توبتهم إلاّ بتقديم أنفـسهم للقتل كمـا قال الله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية[5] .

- **والواسطة (وهى محل خلاف بين العلماء) :**

فهى ما ثبت بشرعنا أنه كـان شرعًا لِمَنْ قبلنا ، غير أنه لم يبـيّن لنا فى شرعنا عما إذا كان مشروعًا لنا أو غـير مشروع لنا ، وقد قدمنا أن التحقيـق كونه شرعًا لنا ، وهو مذهب الجمـهور ، وقـد رأيتَ أدلتهم عليـه ؛ وبه تعلم أن آية : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[6] يلزمنا الأخذ بما تضـمنته من الأحكام ، مع أن القرآن قـد صرّح بذلك فى الجملة كما فى قول الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الآية[7] وقوله تعالى : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ الآية[8] .

---

(١) (آصَار جمع إِصْر) : وهو كل أمر ثقيل شاق يمتحن الله تعالى به الإنسان كالعهد والميثاق وغيرهما ، ومن ذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ البقرة : ٢٨٦ – أى : ربنا ولا تحملنا عهـدًا ثقيلاً لا نفى به فتـعذبنا بتركه ونقضـه – انظر مادة (أَصَرَ) فى لسان العرب : ١/ ٨٦ .

و (أغلال جمع غُلّ) : وهو القيد الذى يَجْمَعُ اليدَ إلى العنق فيصـير الإنسان مغلولا أى مقيّدًا ، ومنه قول الله تـعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً﴾ يسٓ: ٨ – أى : قـيودًا تجمع أيديهم إلى أعناقهم – انظر مادة (غَلَلَ) فى لسان العرب : ٤/ ٣٢٨٥ .

(٢) الأعراف : ١٥٧ . (٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) أخرجه مـسلم فى صحيحـه عن ابن عباس رضي الله عنهما (كتـاب) الإيمان (باب) بيان أنه سبحـانه وتعالى لم يكلّف إلا ما يطاق – (طبع بيروت) .

(٥) البقرة : ٥٤ . (٦) المائدة : ٤٥ .

(٧) البقرة : ١٧٨ . (٨) الإسراء : ٣٣ .

وفى حديث ابن مسعود المتفق عليه التصريح بأنّ ما فيها من قتل النفس بالنفس هو مشروع لنا ؛ حيث قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألاّ إله إلاّ الله وأنى رسول الله ؛ إلاّ بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس » الحديث[1] وإلى هذا أشار البخارى فى صحيحه حيث قال : باب قول الله تعالى : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآيات[2] ثم ذكر حديث ابن مسعود المتقدم .

وقال ابن حجر : والغرض من ذكر هذه الآية مطابقتها للفظ الحديث، ولعله أراد أن يبيّن أنها وإن وردت فى أهل الكتاب؛ إلاّ أن الحكم الذى دلت عليه مستمر فى شريعة الإسلام ؛ ومن ثم فهو أصل فى القِصَاص فى قتل العَمْد[3] ويدل لهذا قوله ﷺ : « كتاب الله القصاص » الحديث[4] بناءً على أن المراد بـ (كتاب الله) هو قول الله تعالى : ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ فى هذه الآية التى نحن بصددها[5] أما على بقية الأقوال فلا دليل فى الحديث .

وهنا يَعْمَد الشنقيطى إلى استعراض أقوال المذاهب الأربعة بشأن هذه المسألة الأصولية فيقول ما نصّه: ولم يزل العلماء يأخذون الأحكام من قَصَص الأمم الماضية كما أوضحنا دليله ، ومن ذلك :

- قول المالكية : إن القرينة الجازمة ربما قامت مقام البينة، مستدلين على ذلك بـ (جَعْلِ شاهد يوسفَ شقَّ قميصه من دُبُره قرينةً على صدقه وكذب المرأة) وذلك فى قول الله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ الآيات[6].

---

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) ونص هذه الآية الكريمة هو قول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة : ٤٥ .

(٣) هكذا نص عليه ابن حجر فى ترجمته لهذا الباب الذى أورد تحته هذا الحديث مصدراً كلامه بقوله : (باب قول الله تعالى : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ كذا لأبى ذر والأصيلى ، وعند النسفى بعده الآية إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وساق فى رواية كريمة إلى قوله : ﴿الظَّالِمُونَ﴾ والغرض من ذكر هذه الآية مطابقتها . . .) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى ٢٦/ ٢٠ - (طبع الأزهرية) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الصلح (باب) الصلح فى الدية - (طبع بيروت) .

(٥) المائدة : ٤٥ .

(٦) يوسف : ٢٦ - ٢٨ (ثلاث آيات) .

فذكره لهذا مقرراً له يدل على جواز العمل به ؛ ومن هنا أوجب مالك حدّ الخمر على مَنْ استَنْكَه[1] فَشُمَّ فى فِيهِ ريحُ الخمر ؛ لأن ريحها فى فِيهِ قرينة على شربه إياها .

وكذا الضيف ينزل بساحة القوم فيأتيه الصبى أو الوليدة بالطعام ؛ فإنه يباح له أن يأكل منه من غير بينة تشهد على أن أهل الطعام قد أذنوا له فى الأكل ، وذلك اعتماداً على القرينة[2] .

• كما أخذ المالكية إبطال القرينة بقرينة أقوى منها ، وذلك من أن أولاد يعقوب لما جعلوا يوسف فى غيابة الجُبِّ جعلوا على قميصه دم سَخْلَة[3] ليكون هذا الدم الذى على قميصه قرينة على صدقهم فى أنه أكله الذئب .

غير أن يعقوب قد أبطل قرينتهم هذه بقرينة أقوى منها وهى (عدم شق القميص) قائلاً: سبحان الله !! متى كان الذئب حليمًا كيِّسًا ، يقتل يوسف ولا يشق قميصه ؟! وهذا ما بيّنه الله تعالى بقوله : ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ الآية[4] .

---

(١) نَكَهَ ونَكِهَ واستَنْكَهَ : أى تنفس على أنفه ليشم رائحة فمه ، وفى حديث شارب الخمر : «استَنْكِهُوهُ» أى شموا رائحة فمه لتتبينوا هل شرب الخمر أم لا ، والاسم منه (النَّكْه والنَّكْهَة) : وهى رائحة الفم – انظر مادة (نكه) فى لسان العرب : ٦/ ٤٥٤٤ .

والحديث الوارد فى ذلك جاء عن بُرَيْدَة ﷺ : « أنّ رسول الله ﷺ استَنْكَهَ مَاعِزاً » – أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الحدود (باب) مَنْ اعترف على نفسه بالزنا – (طبع بيروت) – كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الحدود (باب) رجم ماعز بن مالك – (طبع بيروت) – واللفظ لأبى داود .

والاستنكاه الوارد هنا كان فى حد الزنا حتى يعلم رسول الله ﷺ أنّ ماعزًا كان فى تمام عقله حال إقراره ، غير أنى لم أقف على هذا الاستنكاه مرفوعًا فى شرب الخمر ، وإنما ثبت فى ذلك موقوفًا على بعض الصحابة كابن مسعود وعمر ﷺ .

أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود ﷺ (كتاب) فضائل القرآن (باب) القُرَّاء من أصحاب النبىّ ﷺ – (طبع بيروت) – كما أخرجه مالك فى موطئه عن عمر بن الخطاب ﷺ (كتاب) الأشربة (باب) الحدّ فى الخمر – (طبع بيروت) .

(٢) راجع تفصيل هذه المسألة من حيث استدلال المالكية بالقرينة على إثبات الحكم فى (القوانين الفقهية) : لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى المالكى ص ٢٣٧ – (بدون بيانات) .

(٣) السَّخْلَة : هى ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى ، والجمع (سَخْلٌ وسِخَالٌ) أما (سِخَلَة وسُخْلان) فهما من الجمع النادر – انظر مادة (سَخَلَ) فى لسان العرب : ٣/ ١٩٦٤ .

(٤) يوسف : ١٨ – ويُعَقِّبُ ابن فرحون المالكى على قول الله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف: ٢٦ – ٢٧ (آيتان) قائلاً : ما نصه : هذه الآية يحتج بها من العلماء مَنْ يرى =

• كما أخذ الحنابلة (جواز طول مدة الإجارة) من قول الله تعالى فى قصة موسى وصهره شعيب أو غيره: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ الآية[1] وأمثال هذا كثيرة جداً .

= الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البينات ، فإن قيل : إن تلك الشريعة لا تلزمنا ! فالجواب : أن كل ما أنزله الله علينا فإنما أنزله لفائدة فيه ومنفعة لنا ؛ قال الله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام : ٩٠ - فآية يوسف صلوات الله وسلامه عليه يُقْتَدَى بها ويُعَوَّل عليها فى ذلك .

وقد روى أن إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لما أتوا بقميص يوسف إلى أبيهم يعقوب تأمله ؛ فلم يَرَ فيه خرقًا ولا أثر ناب ، فاستدل بذلك على كذبهم ، وقال لهم : متى كان الذئب حليمًا يأكل يوسف ولا يمزق قميصه ؟!

قال القرطبى فى تفسير القرآن العظيم : قال علماؤنا لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة صدقهم قَرَنَ الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهى سلامة القميص من التمزيق ؛ إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص ، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة القميص؛ فاستدل الفقهاء بهذه الآية على إعمال الأمارات فى مسائل كثيرة من الفقه .

• راجع فى ذلك (تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام) : لأبى الوفاء إبراهيم ابن محمد بن فرحون المالكى ٢/ ٩٣ - (باب ٧٠) القضاء بما يظهر من قرائن الأحوال والأمارات - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الشرفية بمصر - ١٣٠١هـ = ١٨٨٤ م .

ومما قاله أبو عبد الله القرطبى فى تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ يوسف : ١٨ - ما نصه : وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت ، فما ترجّح منها قضى بجانب الترجيح، وهى قوة التهمة، ولا خلاف بالحكم بها، قاله ابن العربى .

• راجع فى ذلك (الجامع لأحكام القرآن) : لأبى عبد الله محمد ابن أحمد الأنصارىّ القرطبىّ ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) - الطبعة ٣ - طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتاب المصرية - إصدار وزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة (سلسلة المكتبة العربية - التراث) - نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

(١) القصص : ٢٧ - ويشير الشنقيطى هنا بقوله : (شعيب أو غيره) إلى الخلاف الحاصل فى تحديد صهر موسى ، هل هو شعيب أم واحد آخر غيره ؟ وهذا ما لم يَعْرِض له فى موضعه من خلال تفسيره لسورة (القصص) التى تضمنت هذه الآية - راجع فى ذلك (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٤٤٩ - ٤٥٧ .

وفى مدة الإجارة يقول ابن قدامة الحنبلى ما نصه : ولا تتقدر أكثر مدة الإجارة ، بل تجوز إجارة العين المدة التى تبقى فيها وإنْ كثرت وهذا قول كافة أهل العلم ، إلا أن أصحاب الشافعى اختلفوا فى مذهبه ، فمنهم مَنْ قال : له قولان أحدهما كقول سائر أهل العلم وهو الصحيح ، والثانى لا يجوز أكثر من سَنة ؛ لأن الحاجة لا تدعو إلى أكثر منها، ومنهم مَنْ قال : له قول ثالث وهو أنها لا تجوز أكثر من ثلاثين سَنة ؛ لأن الغالب أن الأعيان لا تبقى أكثر منها ، وتتغير الأسعار والأَجْر .

ولنا قول الله تعالى إخبارًا عن شعيب عليه السلام أنه قال : (عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ =

وعقب ذلك يرصد الشنقيطى خلاصة رأيه فى هذه المسألة الأصولية قائلاً: وبناءً عليه ؛ فإن قول الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية[1] لا يخالف ما ذكرنا؛ لأن المراد به هو أن بعض الشرائع تُنْسَخُ فيها بعض الأحكام التى كانت مشروعة قبل ذلك ، ثم يُجَدَّدُ فيها تشريع وأحكام لم تكن مشروعة قبل ذلك .

وبهذا الاعتبار يكون لكل شرعة منهاج من غير مخالفة لما ذكرنا وهذا ظاهر ؛ وبه يتضح لك الجواب لتعلم أنّ ما تضمنته آية : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[2] هو مشروع لهذه الأمة، وأن الرجل يُقتَل بالمرأة كالعكس تمامًا ، وذلك على التحقيق الذى لا شك فيه ، أما القائل بعدم القصاص بينهما فكأنه يتشبث بمفهوم قول الله تعالى : ﴿وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ﴾ الآية[3].

• رأى البحث:

وهكذا نخلص إلى أن شرعنا قد أقر لنا بعضًا مما كان فى شرع مَنْ قبلنا ؛ فصار بذلك شرعًا لنا لأنه لا يخالف شرعنا ، ومن ذلك مثلاً فريضة الصيام التى ينطق بها قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية[4] .

ومن ناحية أخرى فقد نسخ شرعنا بعضًا مما كان فى شرع مَنْ قبلنا ؛ فصار بذلك غير

= أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ) القصص : ٢٧ - وشرع مَن قبلنا شرع لنا ما لم يقم على نسخه دليل ؛ ولأن ما جاز العقد عليه سنَة جاز أكثر منها مثل البيع والنكاح والمساقاة ، وأما التحكم بسنَة أو بثلاثين تحكم لا دليل عليه ، وليس ذلك أولَى من التقدير بزيادة عليه أو نقصان منه .

وعلى الرغم من ذلك فإن ابن قدامة لم يقدِّم تعريفًا اصطلاحيًا محددًا للإجارة ، وإنما عَمَدَ إلى ذكر بعض أوصافها كقوله مثلاً : (فصل فى اشتقاق الإجارة من الأجر وهو العوَض) وكقوله أيضًا : (فصل فى أنها نوع من البيع لأنها تمليك من كل واحد منهما لصاحبه فهى بيع النافع) وبناءً عليه فإنه يمكننا أن نقدم تعريفًا عامًا للإجارة من كلام ابن قدامة ذاته على أنها : (تمليكُ منفعةٍ بعوَض) .

• راجع فى ذلك (المغنى) : لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلىّ المقدسىّ ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣م) - ٦/٨ - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

• وطبعة أخرى : تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركى) مع (د. عبد الفتاح محمد الحلو) - الطبعة ١ - دار هجر - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

(١) المائدة : ٤٨ . (٢) المائدة : ٤٥ .

(٣) البقرة : ١٧٨ - وانظر تفصيل هذه المسألة الأصولية (شرع مَنْ قبلنا) فى (أضواء البيان) : الشنقيطى (٢/٥٨ - ٧١) وكذا الإشارة إليها والإحالة عليها فى ذات المصدر : ٣/ ٧٠ .

(٤) البقرة : ١٨٣ .

مشروع لنا لأنه يخالف شرعنا ، ومن ذلك مثلاً ما أحله الله لنا مع أنه كان محرمًا على مَنْ قبلنا فى قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية[1] وهذا ما عناه الشافعى فيما ذهب إليه من أن شرع مَنْ قبلنا ليس شرعًا لنا لقول الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية[2] .

* * *

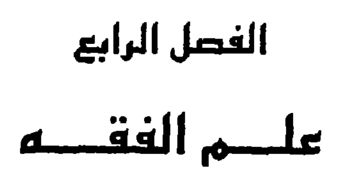
وبعد: فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطىّ يعتمد (علم الأصول) كموضوع أساسىّ يُصَنِّفُ الآية تحته، بل ويُوَجِّهُ معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ.

---

(١) الأنعام : ١٤٦ - وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن الله تعالى كان قد حَرَّم على اليهود قبلنا كلَّ ما له إصبَع أو مخلب من الدواب والطيور بصفة عامة ، أما من الغنم والبقر بصفة خاصة فقد حَرَّمَ عليهم شحومَ الكَرِش والكُلْيتين ، واستثنى سبحانه من ذلك شحومَ الظهر والمصارين والأمعاء ؛ وذلك جزاءً لهم على بغيهم وظلمهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) المائدة : ٤٨ - راجع تفصيل ذلك فى كل من :

- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول : لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ٣٩٨/١ .
- تخريج الفروع على الأصول : لأبى المناقب محمود بن أحمد الزنجانى ٣٦٩/١ - تحقيق : د. محمد أديب صالح - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- التمهيد : لأبى محمد عبد الرحيم بن الحسن الإسنوى ص ٤٤١ - تحقيق : د. محمد حسن هيتو - الطبعة ١ - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- رَوْضَةَ الناظر وجُنَّةُ المُناظر: لأبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسىّ ص١٦٠ - تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد - الطبعة ٢ - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .



وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيـــد النظـــرى

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : المذهبية واللامـــذهبية .

٢ - المطلب الثانـى : تصنيف الأحكام الفقهية .

ونعنى به موقف الشنقطى من (علم الفقه) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، يُصنَّفُ تحته بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

المذهبية واللامذهبية

يترتب تصنيف الشنقيطى لعلم الفقه ومسائله العديدة فى ثنايا تفسيره المختلفة على موقفه من المذهبية واللامذهبية وهو ما يتضح بصورة جليّة من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تأثره سابقا بالمالكية (المذهبية)

من المعلوم أن المذهب المالكىّ كان ولا يزال شائعًا فى سائر دول الغرب الإفريقى ، وذلك منذ أن عرف أهله هذا المذهب من خلال كتاب (المدونة الكبرى) للإمام مالك بن أنس الأصبحىّ ت (١٧٩ هـ = ٧٩٦ م) كما يقال : إن أول مَنْ نقل موطأ الإمام مالك إلى بلاد المغرب هو على بن زياد التونسىّ المتوفى عام (١٨٣ هـ = ٧٩٩ م)[١] .

بل إن أهل الغرب الإفريقى لا يكادون يعرفون من المذاهب الفقهية سوى المذهب المالكىّ ، وذلك على العكس من أهل المشرق الذين لا يكاد يسود عندهم سوى المذهب الحنفىّ ، وهذا ما نقله لنا المقدسىّ فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) بعد تجواله فى بلاد المغرب (فى القرن الرابع الهجرىّ = الحادى عشر الميلادىّ) حيث وصف قوة وثبات فقه المالكية هناك بقوله :

إن أهل المغرب لا يكادون يعرفون إلاّ كتاب الله وموطأ مالك ، وقد كنت يومًا أذاكر بعضهم فى مسألة فذكرت له قول الشافعى ؛ فقال : اسكتْ ! منْ هو الشافعىّ ؟! إنما كان بحران: أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، أفنتركهما ونشتغل بالساقية!![٢] .

---

(١) تاريخ العالم الإسلامىّ : د. إبراهيم العدوىّ ٢/١٨٣ - طبعة جامعة القاهرة - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البنّاء المقدسى المعروف بالبَشّارى ت (٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) - ١/ ٧٠ - مطبعة بريل بمدينة ليدن - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م - (وكتب على غلافه الخارجى : أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد بالعراق) .

وانظر فى ترجمة المؤلف وضبط اسمه كلاً من : =

وهــذا مـا جـعل بعض المؤرخين ينسب حضـارة المغرب إلـى الإمـام مالك رحـمه الله تعالى ، وهو ما يشير إليه الدكتور إبراهيم العـدوى بقوله : ونستطيع أن نقول كما أشار إليه الأستاذ عبد الرحمن الجيلالىّ فى كـتابه (تاريخ الجزائر العام) : إن حضارة المغرب العربى وتهذيبه كانا على يدىْ مالك رحمه الله تعالى[١] .

ولما كان هذا هو شأن المذهب المالكى وسيادته فـى الغرب الإفريقى ، ولما كانت شنقيط أو موريتـانيا (مسقط رأس صـاحبنا الشنقيطى وبيـئته العلميـة الأولى) هى إحدى دول هذا الغرب الإفريقى ؛ لذا فلم يكن من المستغرب أن يتـأثر الشنقيطى فى نشأته العلمية بالمذهب المالكى الذى كان ولا يزال سائدًا فى بلاده حتى اليوم .

وهذا ما ينطق به لسان حال الباحث الموريتانى الأسـتاذ يحيى بن البَرّاً حيث يحدثنا عن ذلك قائلاً: إن أهل البلاد يـتنظمون فى خط مذهبى واحد هو الخط المالكىّ الفـقه ذى المتون المعروفة المتمثلة فى كل من (المختـصر للشيخ خليل) و (الرسالة لابن أبى زيد القيروانى) و (التحـفة لابن عـاصم) فضـلاً عن شروحـها الخاصـة التى تمت على أيدى الفـروعيين المتأخرين[٢] .

ومن ثم ؛ فقد كان الشنقيطى مـالكىّ المذهب بحكم سيادة هذا المذهب فى بلاد الغرب الإفريقى عامة ، وفى بلاده شنقيط منه خاصة ، وقد تجلّى أثر هذه المالكية واضحًا فى نشأته العلميّة الأولى من خـلال المحاضر الشنقيطية التى لا تزال منتـشرة فى بلاده حتى الآن ، ثم من خلال مصادر الفقه المالكىّ التى شبَّ عليها فى مرحلة طلبه آنذاك .

المسألة الثانية

عدوله لاحقا عن المالكية (اللامذهبية)

ظل الشنقيطى على مذهبه المالكى طيلة مكثه ببـلاده حتى رحل عنها قاصدًا بلاد الحجاز فى رحلته الأولى للحج عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) وهناك ، وبمجرد أن حلّ بأرض الحجاز عامـة ، وبمدينة رسول الله ﷺ خاصـة ، بدأ يعدل عندئذ عن المـذهب المالكىّ إلى دراسة بقية المذاهب الأربعة (الحنفىّ والشافعىّ والحنبلىّ) إضافة إلى المذهب (الظاهرى) .

= ● الأعلام : لخير الدين الزركلى ٦/٢٠٣ .
● معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ٨/٢٣٨ .

(١) تاريخ العالم الإسلامىّ : د. إبراهيم العدوىّ ٢/١٨٥ .

(٢) ألفية ابن مـالك وأثرها فى الثقافة المورتانيـة : يحيى بن البَرّاً ص ١٥ (ضمن حديثـه عن خصائص الثقافة فى بلاده شنقيط) - (بتصرف يسير) .

ويصف لنا الشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى الأول عدول شيخه هذا عن المذهبية التى كان عليها فى بلاده ، إلى اللامذهبية التى صار إليها عندما عاينها فى الحرم النبوىّ الشريف بالمدينة المنورة فيقول: إن منهج الدراسة كان منصبًا فى بلاده أكثر ما يكون على الفقه وفى مذهب مالك فقط الذى حظى بما لم تحظَ به بقية الفنون الأخرى ؛ ولما عزم الشيخ على البقاء فى المدينة المنورة ، وبدأ التدريس فى المسجد النبوىّ الشريف ، وخالط العامة والخاصة ؛ فقد وجد حينئذ مَنْ يمثل المذاهب الأربعة ، بل ومَنْ يناقش فيها ؛ ومن ثم فقد رأى أن الدراسة لا تقتصر فى المسجد النبوىّ على مذهب مالك ولا على غيره ؛ فكان لابد إذَنْ من دراسة بقية المذاهب بجوار مذهب مالك رحمه الله تعالى[1] .

ومنذ ذلك الحين بدأ الشنقيطى يطلب الدليل ويدور معه حيث دار فى غير ما تعصب مذهبىّ ، لا إلى المذهب المالكىّ ولا إلى غيره من المذاهب الفقهية الأخرى ؛ بل نراه ينظر فى تلك المذاهب جميعها ؛ فما وجده منها موافقًا لأدلة كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ أخذه وعمل به ، وما خالف ذلك رَدَّه ولم يعمل به ، وهو فى ذلك كله لم يقتصر على مذهب دون مذهب ، أو قول دون قول ، وهذا ما يشير إليه الشنقيطى ذاته قائلاً : ونرجّح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل ، من غير تعصب لمذهب معين ، ولا لقول قائل معين ؛ لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلاّ كلامه ﷺ[2] .

ثم يؤكد الشيخ عطية هذا المسلك عند شيخه قائلاً : وقد ظهر ذلك فى منهجه فى (أضواء البيان) حينما يَعْرِض لمبحث فقهىّ مُختَلَف فيه ؛ فيستوفى عندئذ أقوال العلماء ، ثم يُرَجِّح ما يظهر له بمقتضى الدليل عقلاً كان أو نقلاً[3] .

المطلب الثانى

تصنيف الأحكام الفقهية

يتميز تصنيف الشنقيطى للأحكام الفقهية التى يَعْرِض لها فى ثنايا تفسيره المختلفة بثلاث خصائص ثابتة لا تكاد تتغير سواء فى تناوله لتلك الأحكام المتفق عليها ، أو الأخرى المختلف فيها ، وتتمثل هذه الخصائص التصنيفيّة الثلاث فى المسائل الثلاث التالية :

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٧ - ٣٨ (من المقدمة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٦٨ (من المقدمة) .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٨ (من المقدمة) .

المسألة الأولى

التوطئـــة والتمهيـــد

حيث يُوَطِّىءُ الشنقـيطىُّ بين يدىْ ما يَعْرِض له مـن أحكام فـقهية بذكـر حكمـتها أو علتها ؛ وذلك تمهيدًا لتناولها على نحـو مفصّل ، وهذا مما لا يكاد يتخلف عنه فى سائر ما يَعْرِض له من الأحكام التى يُصنِّفُ من خلالها موضوع هذه الآية أو تلك ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

المسألة الثانية

الاســـتقصاء والتحـــليل

وحالما يفـرغ الشنقيطىّ من توطئتـه للحكم الذى يَعْرِض له تمهـيدًا لتناوله ؛ فإنه يَعْـمَد عندئذ إلى استـقصاء أقوال العلمـاء بشأنه ، وتفصـيل أدلتهم فيه من القـرآن والسُّنة وأقوال السّلف ، هذا فضلاً عن استقصاء أدلة المذاهب المختلفة ، وتفصيل القول فى مناقشتها والرد عليها ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

المسألة الثالثة

الخـلاصــــة والتعقيــب

ثم بعد أن يفـرغ الشنقيطى من استقـصاء ما يَعْرِض له من الأحكام ، وبعـد أن يفصّل القول فـيها ؛ فإنه يَعْـمَد دومًا إلى ذكر خـلاصة ما تحصّل عنده من أقـوال العلماء وآرائهم المختلفة إزاء هذا الحكم أو ذاك ، وفى النهـاية يختم كلامه بذكر تعقـيب على تلك الخلاصة يضمّنه بعض الأمور التى تَزِيدُها شرحًا وإيضاحًا ، كـما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

* * *

وبعـد : فإن مـا ذهب إليه الشنقيطى هنا هو مـا يبدو مترجـمًا بصورة فعليـة من خلال تطبيقه العلمىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

المبحث الثانى

التطبيــق العملــى

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (اللامذهبية) .

٢ - المطلب الثانى : تطبيق القاعدة الثانية (تصنيف الأحكام الفقهية) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطىّ فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم الفقه) حيث يُجَسِّدُ من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلىّ التى تُعَدُّ تطبيقًا على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

(اللامذهبية)

تبدو لا مذهبية الشنقيطى واضحة من خلال ما يذهب إليه فى موافقة جمهور العلماء بشأن الأحكام الفقهية الثابتة عندهم بإجماعهم عليها ؛ ومن ثم فإن أخذه برأى الجمهور إنما يعنى عدم أخذه بمذهب معين ، أو اتباعه قول شخص معين، وهذا ما يؤكد لا مذهبيته وعدم تعصبه للمالكية التى كان عليها فى بلاده قبل عدوله عنها بعد أن حَلَّ بأرض الحجاز .

ومن خلال الشاهد التالى يتضح مدى موافقة الشنقيطى جمهور العلماء فيما ذهبوا إليه من (إثبات حكم المحاربة أو الحرابة فى الأمصار والطرق على السواء) :

• ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية[1] نراه يَعْرِض لمفهوم قول الله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ الآية[2] حيث يقول ما نصّه : اعلم أن مفهوم قول الله تعالى : ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ هو المذكور فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾الآية[3] .

وبعد أن يفرغ الشنقيطى من عرضه المفصّل لمفهوم جزاء المُحَارِب وعقابه بأنواعه الأربعة المذكورة فى الآية الكريمة ، وما ورد بشأنها من أقوال العلماء وآرائهم ، نراه يَعْمَد عندئذ إلى ذكر خمس مسائل تتعلق بأحكام المحاربين منها (المسألة الأولى) التى نحن بصددها، والتى وافق فيها رأى الجمهور خلافًا لما ورد بشأنها من أقوال المذاهب، وفى ذلك يقول ما نصه :

اعلم أن جمهور العلماء يثبتون حكم المحاربة فى الأمصار والطرق على السواء ؛ وذلك

---

(1) المائدة : ٤٥ . (2) المائدة : ٣٢ .

(3) المائدة : ٣٣ - وانظر تفسير هذه الآية فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٨٦ .

لعموم قول الله تعالى : ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية[1] وممن قال بهذا الأوزاعىّ والليث بن سعد ، وهو مذهب الشافعى ومالك ، حتى إن مالكًا قد قال فى الذى يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتًا فيقتله ويأخذ ما معه : إن هذه محاربة ، ودمه إلى السلطان لا إلى وَلِىِّ المقتول ؛ فلا اعتبار لعفوه عنه فى إسقاط القتل .

وقال القاضى ابن العربى المالكى : كنت أيام حكمى بين الناس ، إذا جاءنى أحد بسارق ، وقد دخل الدار بسكين يحبسه على قلب صاحب الدار وهو نائم ، حتى يأخذ أصحابه مال الرجل ؛ فقد حكمتُ فيهم بحكم المحاربين ، أما الإمام أحمد بن حنبل فقد توقف فى ذلك ، وظاهر كلام الخِرَقِى : أنه لا محاربة إلاّ فى الطرق ، فلا يكون محاربًا فى المصر ؛ لأنه يلحقه الغوث ، وقد ذهب كثير من الحنابلة إلى أنه يكون محاربًا فى المصر أيضًا لعموم الدليل .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلاّ فى الطرق ، وأما فى الأمصار فلا ؛ لأنه يلحقه الغوث إذا استغاث ، وذلك بخلاف الطريق لبعده مِمَّنْ يغيثه ويعينه ، وقال ابن كثير من الشافعية : ولا يثبت لهم حكم المحاربة إلاّ إذا كان عندهم سلاح ، ومن جملة السلاح : العِصِىّ والحجارة عند الأكثر ؛ لأنها تُتْلَفُ بها الأنفس والأطراف كالسلاح ، وذلك خلافًا لأبى حنيفة[2] .

---

(١) المائدة : ٣٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٩٠ - ٩١ - وأما المسائل الأربع الأخرى من (الثانية) حتى (الخامسة) والتى تتعلق بأحكام المُحَارِبين فقد سمَّاها الشنقيطى تحت العناوين التالية :

- **المسألة الثانية :**

إذا كان المال الذى أتلفه المحارب أقل من نصاب السرقة الذى يجب فيه القطع ، أو كانت النفس التى قتلها غير مكافئة له كان يقتل عبدًا أو كافراً ، وهو حُرٌّ مسلم ، فهل يُقْطَعُ فى أقل من النصاب ؟ وهل يُقْتَلُ بغير الكفؤ أو لا ؟

- **المسألة الثالثة :**

إذا حمل المحاربون على قافلة مثلاً ، فقتل بعضهم بعض القافلة ، فى حين لم يباشر بعض المحاربين قتل أحد ؛ فهل يقتل الجميع أو لا يقتل إلا مَنْ باشر القتل فقط ؟

- **المسألة الرابعة :**

إذا كان فى المحاربين صبى أو مجنون أو أب المقطوع عليه ؛ فهل يسقط الحد عنهم جميعاً أو لا يسقط عن غير المذكورين ؟

- **المسألة الخامسة :**

إذا تاب المحاربون قبل القدرة عليهم أو بعد القدرة عليهم ؛ فهل يغير ذلك شيئاً من إقامة الحدود المقررة عليهم فى الأنفس والأموال أو لا ؟

انظر تفصيل هذه المسائل والخلاف الوارد بشأنها فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٩١-٩٧ .

- **رأى البحث :**

وفيما يلى نرصـد رأى البحث بشأن مسألة (الحرابة) والذى يشـتمل على (عرض أقوال المذاهب) ثم (حكم الحرابة) وأخيراً (حكم المحاربين) وذلك على النحو التالى :

أولاً : أقوال المذاهب :

أما فيـما يتعلق بأقوال المـذاهب بشأن تعريف الحرابة وشـروطها وأحكامها فـقد جاءت كمايلى :

- **عند الحنفية :**

يقول المرغينانى : ومَنْ قطع الطريق ليلاً أو نهـاراً فى المصر أو بين الكوفة والحيرة فليس بقاطع طريق استحساناً ، وأما فى القياس فيكون قاطع طريق وهو قول الشافعى ، وعن أبى يوسف أنه يجب الحَدُّ إذا كان خارج المصر حتى لو كان بقربه لإنه لا يلحقه الغوث كما أنهم إن قاتلوا نهاراً بالسلاح أو ليلاً به أو بالخشب فهم قُطَّاع طريق لأن السلاح لا يلبث والغوث يبطىء بالليالى ، ونحـن نقول : إن قطع الطريق يقطع المارة ولا يتحـقق ذلك فى المصر ولا بالقرب منه لأن الظاهر لحوق الغوث ، ولأنهم يؤخذون برد المال إيصالاً للحق إلى المستحق ويُؤَدَّبون ويُحبَسُون لارتكابهم الجناية ، ولو قتلوا فإن الأمر فيهم يكون إلى الأولياء[1] .

- **عند المالكية :**

يقول ابن جزى : والمحارب هو الذى شهر السلاح وقصد سلب الناس ، سواء كان فى مصر أو فى قَفْر[2] .

- **عند الشافعية :**

يقول ابن كثير : احتج جمهور العلماء بعموم الآية فى ذهابهم إلى أن حكم المحاربة فى الأمصار وفى السـبلان (أى الطرق جمع سبيل) على السـواء لقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهذا مذهب مـالك والأوزاعى والليث بن سعـد والشافعى وأحـمد بن حنبل ، حتى قال مالك فى الذى يغتال الرجل فيـخدعه حـتى يدخلـه بيتاً فيقـتله ويأخـذ

(١) انظر (الهـداية شرح البـداية) : لأبى الحسـين على بن أبى بكر بن عبـد الجليل المرغـينانى الحنفى - ٢/ ١٣٤ - المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

(٢) انظر (القوانين الفقـهية) : محمد بن أحمـد بن جزى الكلبى الغرناطى المالكى - ص ٢٣٧ - (بدون بيانات) .

مـا معه : إن هذه محـاربة ودمه إلى السلطان لا إلـى وَلِيِّ المقتول ، ولا اعتـبار بعفوه عنـه فـى إسقاط القـتل ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحـاربة إلا فى الطرقات ، وأما فى الأمصـار فـلا ؛ لأنــه يلحقه الـغوث إذا استغـاث بخلاف الطريــق لبـعـده عَمَّنْ يغيـثه ويعينه[1] .

كمـا يقول الخطيب الشربينى : وحـيث يلحق غوث عند الاستـغاثة كقـول الشخص : (ياغوثاه) فليس حينئذ ذو الشوكة ومَنْ معه بـقُطَّاع بل هم منتهبون لإمكان الاستغاثة ، وأما فَقْدُ الغوث فـيكون للبُعْد عن العمران وعساكـر السلطان ، أو يكون للقُرْبِ لكن مع ضعف فى السلطان ، وقد استُحْسِن الضعف لشموله مـا لو دخل جماعة داراً ليلاً وشهروا السلاح ومنعوا أهل الدار من الاستغاثة فهم عندئذ قُطَّاع على الصحيح مع قوة السلطان وحضوره ؛ لأن ذوى الشوكة قد يَـغْلِبُون فى حالة ضعف السلطان وبُعْده أو بُعْد أعـوانه ، أما إذا كانوا فى بلد لم يخرجـوا منها إلى طرفهـا ولا إلى الصحراء فـهم قُطَّاع لوجود الشروط فـيهم ، ولأنهم إذا وجب عليهم الحَدُّ وهـم فى الصحراء وهى موضع الخوف ؛ فـوجوبه عليهم فى البلد وهى موضع الأمن أَوْلَى لعظم جراءتهم[2] .

- **عند الحنابلة :**

يقول الخرقى : والمحاربون هم الذين يَعْرِضُون للقوم بالسـلاح فى الصحراء فيغصبونهم المال مجـاهرة ، كمـا يشرح ابن قدامـة هذا بقوله : وللمـحاربين الذين تثبت لهم أحكام المحاربة شروط ثلاثة أحدها : أن يكون ذلك فى الصحراء ، أما إن كان فى القرى والأمصار فقد توقف أحـمد بن حنبل فيهم ، وظاهر كـلام الخرقى أنهم غير مـحاربين ، وبه قال أبو حنيفة والثورى وإسحـاق ؛ لأن الواجب يسمى حَدّ قطاع الطريق ، وقطع الطريق يكون فى الصحراء، لأن مَنْ فى المصر يـلحق به الغوث غالباً فتذهب بذلك شوكـة المعتدين ويكونون مختلسين والمختلس ليس بقاطع طريق ومن ثم فلاحد علـيه ، وقال كثير من أصحابنا : هو قاطع طريق حيث كان وبه قال الأوزاعى والليث والشافعى وأبو يوسف وأبو ثور لتناول الآية بعمومهـا كل محارب ، وأن ذلك إذا وجد فى المصر كان أعظم خوفـاً وأكثر ضرراً ؛ فكان بذلك أَوْلَى .

وقد ذكـر القاضى أن هذا إنْ كـان فى المصر كأن يكبـسوا داراً ويكون أهلهـا بحيث لو

(١) انظر (تفسير القرآن العظيم) : للحافظ ابن كثير الشافعى - ٢/٥١ - (طبع بيروت) .
(٢) انظر (مغنى المحتاج) : محمـد الخطيب الشربينى الشافعى - ٤/١٨١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

صاحوا أدركهم الغـوث ؛ فليسوا هؤلاء بقُطَّاع طريق لأنهم فى موضع يلحقـهم الغوث فيه عادة ، أما إذا حَـصَرُوا قرية أو بلداً فـفتحوه وغلبـوا على أهله ، أو حصروا مَحَلَّـة مفردة بحيث لا يلحـقهم فيهـا الغوث عادة ؛ فـهم محاربون لأنهم لا يلحـقهم الغوث فأشـبهت حالهم هذه حالة قُطَّاع الطريق فى الصحراء .

وأما الشرطان البـاقيان فيذكـرهما ابن قدامة بقوله : وأمـا الشرط الثانى : أن يكون مع المحاربين سلاح ، ثم الشرط الثالث : أن يأتوا مجاهرة ويأخذوا المال قهراً [١] .

- **عند الظاهرية :**

يرى ابن حزم تعـميم الآية وعدم تخصـيصها بالصـحراء قائلاً : وأما قـول مَنْ قال لا تكون المحـاربة إلا فى الصـحراء ، أو قـول مَنْ قال لا تكـون المحاربة فى المدن إلا ليـلاً : فقـولان فاسدان ، ودعـوتان ساقطتان ، بلا برهان لا من قـرآن ولا من سُنة صحيـحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من قياس ولا من رأى سديد ، وما يبعد أن يكون فيهم مَنْ هان عنده الكذب على الأمة كلها فيقول : مَنْ حارب فى الصحراء فقد صح عليه اسم محارب[٢] .

ثانيا حكم الحـرابـة :

والحق أننا نذهب إلى ما ذهب إليه جـمهور العلماء ووافقهم فيـه الشنقيطى بشأن إثبات حكم الحرابة فى الطرق والديار على السواء ، وذلك من وجهين :

- **الوجه الأول :** لعموم الدليل فى قول الله تعالى : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[٣] ومعلوم أن الأرض تشمل الطرق والديار وغـيرهما من سـائر البقاع فى شـتى أنحاء المعمـورة ، وسواء كانت مصراً مأهولة بالخَلْق ، أو كانت قفراً خاليًا منهم ؛ ومن ثم فإن عموم الدليل فى الآية يشمل الطرق والديار على السواء .

---

(١) انظر (المغنى) : لأبى محـمد عبد الله بن أحمـد بن قدامة المقدسى الحنبلـى - ١٢/٤٧٤ - الطبعة ١- دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

- وانظر طبعـة أخرى بتحـقيق : (د. عبد الله بـن عبد المحسن التـركى) مع (د. عبد الفـتاح الحلو) - الطبعة ١ - دار هجر - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩م .

(٢) انظر (المحلى) : لأبى محمـد على بن أحمد بن سعيـد بن حزم الظاهرى الأندلسى - ١٣/٣١٨ - تحقـيق : أحمـد محمـد شاكر - تـصحيح : زيدان أبى المكارم - مـكتبة الجـمهوريـة - القاهرة - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

(٣) المائدة : ٣٣ .

● **الوجه الثانى** : لقرينة الحال ؛ حيث لا يخفى ما تعانيه الأمة من الفساد الذى آلت إليه الأحوال ، والتغير الذى صارت إليه طبيعة الناس ؛ فكم من آمنٍ مطمئنٍ قُتِل ، وكم من مُعْتَدَىً عليه سُلِب ، وهو فى عقر داره ، بل وبين ذويه وجيرانه ؛ فلا يغيثه مغيث ، ولا يعنيه معين ، وكأنه فى طريق مظلمة موحشة ، أو فى صحراء هاجرة مهلكة ، وكأن الأرض كلها قد خلت من الحياة والأحياء !!

ثالثاً حكم المُحَارِبِين :

والحق أننا نرى إثبات حكم الحرابة على جميع المحاربين ، سواء كانوا فى الطرق بصفة خاصة ، أو فى الأمصار بصفة عامة ؛ وذلك لعموم الدليل الذى عبَّر بصفة الشمول عن جميع المحاربين فى قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ ثم لقرينة الحال التى سلف بيانها .

ومما يجدر ذكره أن السلاح المتطور اليوم لم يَعُدْ كالسلاح التقليدىّ بالأمس ؛ فقد تغيرت طبيعة الأسلحة وتعددت أنواعها بحيث شملت أسلحة مدمرة مهلكة كالمخدرات بأنواعها الطبيعية والتخليقية ، وكغازات الأعصاب الطيارة التى تنتشر حول الإنسان فتفقده الحس والإدراك ، بل وتحيله إلى جثة هامدة أشبه ما تكون حالتها بحالة الموت الحقيقى .

ولعل ما يُعْرَفُ الآن من تعدد أساليب الجريمة المنظمة ، واختلاف هيئات المجرمين المعاصرين ؛ ليؤكد ما ذهبنا إليه من القول بإثبات حكم الحرابة فى الحضر والأسفار ، والطرق والديار ، وبحيث يشمل جميع المحاربين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وتباين أحوالهم وأوطانهم ؛ لأن العبرة بأحوال هؤلاء المحاربين ، من حيث تجرؤهم على حدود الله ، وإقدامهم على انتهاك الحُرُمَات ؛ الأمر الذى يقطع بفساد نواياهم ، ويوقعهم فى دائرة الإضرار بالأمة ، والسعى لإحداق الأذى بها ، وهل هدف الحرابة إلا هذا السعى ، والعمل له ؟!!

وأخيراً فإن هؤلاء الفقهاء العظماء الذين يقصرون حكم الحرابة على الطرق دون الديار ، وعلى المحاربين الذين يملكون سلاحًا دون مَنْ لا يملكون ، نقول : لو كانوا رحمهم الله تعالى أجمعين موجودين بين ظهرانيْنا اليوم ، وقد رأوا ما آلت إليه أحوال الأمصار والأعصار ؛ لكانوا قد ذهبوا بشأن قولهم السابق مذهبًا آخر يتأدى عنه تعميمهم حكم الحرابة بحيث يشمل جميع المحاربين فى الطرق وفى الأمصار على حَدٍّ سواء .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

تصنيـف الأحكـام الفقهيـة

وفى الشاهد التـالى تجتمع الخصـائص التصنيفـية الثلاث التى أشرنا إليـها فى التقعـيد النظرىّ ، والتى تميّز تصنيف الشنقيطى لما يَعْرِض له من حكم فقهىّ تندرج تحته هذه الآية أو تلك ؛ حيث تتجلّى هذه الخصـائص الثلاث هنا من خلال عرضنا للمسألة الفقهـية الخلافية المتمثلة فى : (هل الطلاق الثـلاث فى لفظ واحد يقع أو لا يقع ؟) تنبيهًا بهـا على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

التوطئـــــة والتمهيـــد

حيث يمهّـد الشنقيطى لهذه المسـألة بذكر الحِكْمَة فى كـون الطلاق بيد الرجل بدون إذن المرأة قائلاً ما نصّـه : لقد أشار الله جلّ وعـلا إلى حكْمَة كـون الطلاق بيد الرجـل دون إذن المرأة ، وذلك بقـوله تعـالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآيـة[1] لأن مَنْ عـرف أن حقله غـير مناسب للزراعـة ؛ فـلا ينبغـى أن يُرْغَمَ علـى الازدراع فى حـقل لا يـناسب الزراعة .

ومما يُوَضِّح هذا المعنى أن آلة الازدراع بيـد الرجل ، فلو أنه أُكْرِهَ على مَنْ لا حـاجة له فيها حـتى تَرْضَـى هـى بذلك ؛ فـإن النتيجـة أنها (إنْ أرادت أن يجامعـها مُكْرَهاً فإن ذَكَرَه لن يقوم ولن ينتشر إليها) ومن ثم (فلن تَقْدرَ على تحصيل النسل منه الذى هو أعظم الغَرَض من النكاح ، وذلك بخلاف الرجل فإنه يُوَلِّدُهَا وهى كارهة كما هو ضرورى)[2] .

- **رأى البحث :**

وفيمـايلى نرصد رأى البحث بشأن هاتين المسألتين اللتـين وردتا فى كلام الشنقيطى ألا وهما : (حَمْل الرجل على الجِـمَاع بالإكراه) ثم (تحصيل النسـل الذى جعله أعظم الغرض من النكاح) وذلك على النحو التالى :

---

(١) البقرة : ٢٢٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٢١ .

أولاً : الجِمَاع بالإكراه :

وفيـمايلى نَعْرِض لأقـوال المذاهب بشأن هذا الجِمَـاع قياساً لـه على الزنا بالإكراه ، ثم نخلص إلى ما يراه البحث بهذا الصدد ، وذلك على النحو التالى :

١- أقوال المذاهب :

أما فيـما يتعلق بـ (الإكراه على الزنا) والـذى نقيس عليه (الإكراه على الجِـمَاع) بجامع انتشـار الذَّكَر (الذى هو آلة الرجل) من عـدمه فى كل منهمـا ، فقد جـاءت أقوال المذاهب بشأنه كما يلى :

- **عند الحنفية :**

يقول الكاسانى : وأمـا المُكْرَه على الزنا فقد كان أبو حنيفة رحـمه الله يقول : أولاً إذا أُكْرِهَ الرجل على الزنا فإنه يجب عليه الحدّ وهو القياس ؛ لأن الزنا من الرجل لا يتحقق إلا بانتشار الآلة ، والإكراه لا يؤثر فيـه فكان طائعاً فى الزنا ومن ثم كان عليه الحدّ ، ثم رجع فقـال : وإذا كان الإكراه من السلطان فـإنه لا يجب بناءً على أن الإكراه لا يتـحقق إلا من السلطان عنده ، وعندنا أن الإكراه يتحقق من السلطان وغيره ، فإذا جاء من غير السلطان ما يجيء من السلطان لا يجب ، والفرق لأبى حنيـفة أن المكرَه يلحقه الغـوث إذا كان الإكراه من غير السلطان ، أما إذا كان من السلطان فإنه لا يجد غوثاً .

وأما قـوله : إن الزنا لا يتحقق إلا بانتـشار الآلة فنعم ، لكن ليس كل مَنْ تنتشـر آلته يفعل ؛ فكان فعـله بناءً على إكراهــه فيعمل فيه لضرورته خوفـاً مــن القتل فيمنع وجـوب الحد ، هذا إذا كان إكراه الرجل تاماً ، أما إذا كان إكـراهه ناقصاً بحبس أو قيد أو ضرب لا يخاف منه التَّلَف فـإنه يجب عليه الحدّ ؛ لأن الإكـراه الناقص لا يجعل المكره مدفـوعاً إلى فعل ما أكره فبقى مختاراً مطلقاً ومن ثم فإنه يؤاخذ بحكم فعله[١] .

- **عند المالكية :**

يقول الدردير : الأصح والمخـتار أن الرجل المُكْرَه على الوَطْءِ لا يُحَـدُّ ولا يؤدَّب لعذره بالإكراه كالمرأة ، والأكثر على خلافه وأنه يُحَدُّ وهو المشهور[٢] .

---

(١) انظر (بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع) : لـلإمام علاء الدين أبى بكر بن مسعـود الكاسانى الحنفى الملقب بـ (مَلِك العلماء) ت (٥٨٧هـ = ١١٩١م) - (٧/١٨٠ - ١٨١) - بتصرف يسـير - الطبعة٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٢) الشرح الكبير بحاشية الدسوقى : ٣١٨/٤ (بتصرف يسير) .

وقد عَلَّق الدسوقى على هذا بقوله : وقوله (والمختار) أى عند اللخمى وهو مذهب المحققين كابن العربى وابن رشد كما فى الخرشى ، وقوله : (والأكثر على خلافه وأنه يُحَدُّ) أى مطلقاً سواء انتشر أم لا كما فى ابن عرفة والشامل ، وظاهره أنه يُحَدُّ على قول الأكثر ولو كانت هى المكرِهَة له على الزنا وهو كذلك ، إلا أنه لا صداق لها عليه إذا كانت هى المكرِهَة له على الزنا ، إما أن أكرهه غيرها غرم لها الصداق ورجع به على مكرهه[1] .

● **عند الشافعية :**

وقد ذهبوا إلى القول بعدم حَدِّه لرفع القلم عنه قياساً لذلك على الخطأ والنسيان[2] .

● **عند الحنابلة :**

يقول ابن قدامة : وإن أُكْرِهَ الرجل فزنا ؛ فقال أصحابنا : عليه الحَدُّ وبه قال محمد بن الحسن وأبو ثور ؛ لأن الوطء لا يكون إلا بالانتشار والإكراه ينافى ، فإذا وجد الانتشار انتفى الإكراه فيلزمه الحَدُّ كما لو أُكْرِه على غير الزنا فزنا ، وقال أبو حنيفة : إن أكرهه السلطان فلا حَدَّ عليه وإن أكرهه غيره فإنه يُحَدُّ استحساناً ، وقال الشافعى وابن المنذر : لا حَدَّ عليه لعموم الخبر ، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات والإكراه شبهة فيمنع الحَدَّ كما لو كانت امرأة ، ويحققه أن الإكراه إذا كان بالتخويف أو بمنع ما تفوت حياته بمنعه كان الرجل فيه كالمرأة ؛ فإذا لم يجب عليها الحَدّ لم يجب عليه ، وقولهم : إن التخويف ينافى الانتشار لا يصح ؛ لأن التخويف بترك الفعل ، والفعل لا يخاف منه ؛ فلا يمنع ذلك ، وهذا أصح الأقوال إن شاء الله تعالى[3] .

● **عند الظاهرية :**

يقول ابن حزم : لو أُمْسِكَتْ امرأة حتى زُنِىَ بها ، أو أُمْسِكَ رجل حتى أُدْخِلَ إحْليلُه فى فَرْج امرأة ؛ فلا شىء عليه ولا عليها ، سواء انتشر أو لم ينتشر ، وسواء أَمْنَى أو لم يُمْنِ ، وسواء أَنْزَلَتْ هى أو لم تُنْزِلْ ؛ لأنهما لم يفعلا شيئاً أصلاً ، والانتشار والإمْنَاء فِعْلُ الطبيعة الذى خلقه الله تعالى فى المرء ، أَحَبَّ أم كَرِهَ ؛ فلا اختيار له فى ذلك[4] .

---

(١) حاشية الدسوقى على الشرحج الكبير : ٣١٨/٤ .

(٢) مغنى المحتاج : للخطيب الشربينى ٤/ ١٤٥ .

(٣) المُغْنى : لابن قدامة المقدسىّ الحنبلىّ ٣٤٨/١٢ .

(٤) المُحَلَّى : لابن حزم الأندلسىّ الظاهرىّ ٩/ ٢٦٠ .

٢- جِماع القول :

والحق أننا لا نُسَلِّمُ للشنقيطى فيما ذهب إليــه من أن ذَكَرَ الرجل لا يقوم ولا ينتشر إلى مَنْ لا يريدها أو مَنْ أُكْرِهَ على جِمَاعِها ؛ وذلك للوجوه الثلاثة التالية :

● الوجه الأول :

لأن الذَّكَرَ كما ينتشر طوعاً فإنه ينتـشر طبعاً ، وذلك بغض النظر عن وجود الرغبة من عدمها ، فالذَّكَرُ شأنه فى ذلك شأن آية جارحــة يكون من صفاتها الاستجابة لما يثيرها دونما توفر رغــبة صاحبــها من عدم توفرها ، بل إن الذَّكــر أكثر جوارح الإنســان تأثراً ، وأشدها حساسية ، من حيث استجابته لتلك المثيرات ؛ ومِنْ ثم قيامه بها ، وانتشاره على أثرها .

وتلكم هى الفطرة التى جَبَلَ الله الإنسان عليها ، وصدق ابــن حزم فيما ذهب إليه بهذا الصدد كما ذكرنا عنه قبل قليل قوله : (والانتشار والإمناء فِعْل الطبيعة الذى خلقه الله تعالى فى المرء ، أَحَبَّ أم كَرِهَ ؛ فلا اختيار له فى ذلك) .

وإن كنا نتحفظ على نسبة (الفِعْل) إلى (الطبيعــة) فى قوله : (فِعْل الطبيعة) لئلا يلتبس قــوله هنا بقــول (الطبيــعين) الذين ينسبــون كل شىء فى هذا الكون المنظور إلى (مـا وراء الطبيعة) أو ما يُعْــرَف بـ (الميتافيزيقا) وأمثالهم من الضالّين الهالكين مــن أصحاب المعتقدات الباطلة ، وأتباع المذاهب البائدة .

وإن كان يشفع لابن حزم استدراكه على نفسه بإسناده خَلْق هذا الفِعْل إلى الله تعالى فى قــوله : (الذى خلقــه الله تعالى فى المَرْء) وعليه ؛ فــإنه يمكن توجيــه معنى (الطبيــعة) فى كلامه عــلى أنها (الجِبِلَّة) أو (الفِطْرَة) أو (أصــل الخِلْقَــة) مما لا خــلاف علــيه ، ولا شبهة فيــه .

● الوجه الثانى :

أن الشنقيطى ربما عالج هذه المســألة من الناحية النفسية لدى الرجــل من حيث رفضه أو عدم توفــر رغبته فى جِــمَاع مَنْ يكرهها أو مَنْ لا حاجــة له فيها ؛ غــير أنه كم من (رفض نفسىّ لم يَحُلْ دون عَمَل عــضوى) ومِنْ ثم فلم تكن عدم الرغبة حائلاً أو عــائقاً بحال من الأحوال دون إتمام عــملية الجِــمَاع ؛ لأنه بالرغم من هذا فــإن الأعضاء تلبــى داعى الغريزة الإنسانيــة فى ممارسة عــملها ، والقيــام بدورها ، وإنْ لم تكن على ذات المستــوى فيــما لو توفرت الرغبة ، ودعت الحاجة المألوفة فى الظروف العادية .

● **الوجه الثالث :**

ذهب الشنقيطى إلى أن المرأة خلاف الرجل فهى وإن كانت كارهة إلا أنه يستطيع أن يُوَلِّدُها على حد تعبيره ، وفى قوله هذا دليل على ما سبق أن ذكرناه فى الرد عليه من أن الجماع بالإكراه لا يُعَوَّل فيه على الرغبة أو الحاجة إلى ذلك من عدمها ، إذ لو كان التعويل فى ذلك عليهما ؛ لما وُصِفَ هذا الجِمَاع من الأصل بأنه (جِمَاع بالأكراه) وهل الإكراه يعنى سوى انتفاء الرغبة ، وعدم الحاجة ؟!!

وإذا أخذنا فى الإعتبار أن حساسية المرأة النفسية أشد لهذا الأمر من الرجل ؛ ومع ذلك فإن جوارحها تستجيب بدافع الغريزة الفطرية لهذا الجِمَاع المُكْرَهَة عليه ، أما من حيث إقامة الحَدِّ على الرجل أو المرأة بناء على الإكراه من عدمه ، وسواء كان هذا الإكراه من جانب السلطان أو غيره ؛ فهذا مما لا يقصد إليه البحث وليس موضعه .

ثالثاً: تحصيل النسل :

ذهب الشنقيطى إلى القول بأن تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح ، وقد يقال إن هذا الغرض ربما يبدو فى ظاهره وكأنه هدف محدود من ناحية ، أو ربما يُفَسَّر من ناحية أخرى على أنه يَصْدُرُ فى الأصل من مَعِين الفكر البدوىّ القَبَلِىّ الذى يهدف فى المقام الأول إلى تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ؛ بقصد تقوية روابط العصبية القبلية ، ودعم أواصر العلائق النَّسَبِيَّة ، والتى تُعَوِّل عليها المجتمعات البدوية القبلية لحماية ظهرها ، وتأمين وضعها ؛ بما يكفل لها القوة والمَنَعَة بين ظهرانَىْ غيرها من القبائل الأخرى وأحلافهم ؛ ومِنْ ثم فلا سبيل أمام هذه المجتمعات لإصابة هدفها المنشود ، وإدراك غايتها المرجوة ، سوى تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ، وهما مقياس القوة ، وميزان المَنَعَة .

والحق أننا لا نظن أن الشنقيطى يَصْدُر فى كلامه هذا من فِكْر بَدَوِىّ ، أو ينطلق من نظرة قَبَلِيَّة ، وذلك للوجوه الخمسة التالية :

● **الوجه الأول :**

أن الشنقيطى لم يكن ضيق الأفق ، أو محدود النظر ؛ بحيث ينحصر فكره فى إطار القبيلة ، أو ينحبس عقله فى سياج أعرافها ؛ وذلك بدليل انفتاحه على قضايا الخلائق وأحوالهم سواء من خلال جلوسه للقضاء والفُتيا فى بلاده ، أو من خلال نشاطه العلمى ورحلاته الدعوية إلى العديد من البلدان والمجتمعات الإسلامية الأخرى بعد أن استقر به المقام فى بلاد الحجاز ، وذلك فضلاً عن مشاركته الفاعلة فى مؤتمر الحج السنوى الذى يكفل

له الإلمام بأحوال العالم الإسلامى وحواضره المختلفة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

● **الوجه الثانى :**

أن الشنقيطى تناول ما يُعْرف بـ (رابطة العصبيَّة القَبَلِيَّة) بالانتقاد مبيناً ومُدَلِّلاً على أنه لاخلاف بين العلماء فى منع النداء برابطة غير رابطة الإسلام مثل روابط القوميات والعصبيات النَّسبيَّة التى ترتفع بها أصوات أصحابها والمُرَوِّجين لها هنا وهناك ؛ وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] .

فكيف يَصْدُر الشنقيطى من مَعين هذا الفِكْر البدوىّ القَبَلِىّ الذى تمثل (العصبية القبيلة) سُدَاه ولُحْمَتَه ، والتى تعتمد فى المقام الأول على تحصيل النسل ، وتكثير الذرية ؛ مع أنها ذات الرابطة التى قال بمنعها ، وذهب إلى خلافها ؟!!

● **الوجه الثالث :**

لو كان الشنقيطى يؤمن بأن مجرد تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح وكفى ؛ لما كان اكتفى بإنجاب بنت وولدين فقط ، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة من زوجته الأولى فقط ، والتى كانت ثيباً شأنها فى ذلك شأن زوجاته الثلاث الأخريات ، واللائى مات عن الرابعة منهن ببلاد الحجاز .

إذ لو كان يؤمن بذلك ، ويصدر عنه ؛ لكان تزوج الأبكار طلباً للذرية ، ورغبةً فى كثرة النسل ، وله فى ذلك من الأسباب ما ليس لغيره لتبرير تلك الرغبة ، وانتهاج هذا السبيل ، كالرغبة مثلاً فى كثرة أولاده الذين يرثون علمه ، ويحملون أمانته ؛ بقصد إفادة الأمة ، والقيام بأمر الله فيها ، إلى غير ذلك من الأسباب التى لا يعدم ذكرها ، ولا يعجز عن تعديدها .

● **الوجه الرابع :**

يغلب على الظن أن الشنقيطى جعل تحصيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح نظراً لأنه يُعَدُّ بمثابة الركيزة الأساسية ، بل والمحور الرئيس ، الذى تدور حوله آثار النكاح الأخرى ، وتترتب عليه ، وذلك على النحو التالى :

---

(١) الإسراء : ٩ – وسيأتى ذكر ذلك مفصَّلاً من خلال (نقده للمؤرخين) ضمن الفصل الأول من الباب القادم .

١- الخلافة فى الأرض وإعمار الكون :

وهما المعنيان اللذان نطق بهما قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ الآية[2] .

٢-السكن والمودّة والرّحمة :

وهى ذات المعانى التى نطق بها قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية[3] .

٣- زينة الحياة الدنيا :

وهو ذات المعنى الذى نطق به قول الله تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ الآية[4] .

ولو أننا أنْعَمْنَا النظر ، وأَجَلْنَا الفِكْر ، فى هذه المعانى التى تُعَدُّ من آثار النكاح ونتائجه ، بل من بركاته وفوائده ؛ لوجدناها تدور جميعها حول تحصيل النسل ، وإنتاج الذرية .

فلن تتحقق خلافة الأرض وإعمارها إلا من خلال تلك الذرية التى ستحمل ذلك على كاهلها ، وتضطلع به ، عندما تشبُّ عن الطَّوْق ، وتبلغ التكليف ، كما أنه لن يتحقق شىء من السَّكَن والمَوَدَّة والرَّحْمَة ، إلا من خلال ذلك النكاح الذى لن يتم إلا بين رجل وامرأة كانا صغيرين من جملة تلك الذرية من قبل ، وأخيراً فلن تتحقق زينة الحياة الدنيا إلا برؤية هذه الذرية ، والفرح بها ، والمُعَبَّر عنها فى الآية بـ : ﴿ الْبَنُونَ ﴾ والذين يشملون ذكور الأولاد وإناثهم على حَدٍّ سواء .

- **الوجه الخامس :**

لقرينة الحال التى يشهد لها واقع غالب المتناكحين من مصر إلى مصر ، ومن عصر إلى عصر ؛ إذ لو نكح الرجل مَنْ يرغب فيها من النساء وترغب هى فيه ، ثم سارت حياتهما على ما يرام بحيث لا ينقصهما سوى تحصيل النسل ، وإنتاج الذرية ؛ لكان هذا كفيلاً في حَدِّ ذاته بأن يبعثهما على الخلاف والشقاق، بل وربما حملهما على الفُرْقَة وانتهاء العشرة ،

(١) البقرة : ٣٠ .
(٢) هود : ٦١ .
(٣) الروم : ٢١ .
(٤) الكهف : ٤٦ .

ولا فارق فى هـذا بين أغنياء الناس وفـقرائهم ، أو عظمـائهم وحقـرائهم ؛ اللهمّ إلا تلك النسبة القليلة أو النادرة منهم والتى تستمر حياتهم رغم عدم تحصيل النسل أو إنتاج الذرية ، غير أن مثل تلك النسبة تندرج تحت باب القليل أو النادر الذى يُسْتَشْهَدُ به ولا يقاس عليه .

وهكذا يمكن توجيـه قول الشنقيطى : (إن تحصـيل النسل هو أعظم الغرض من النكاح) فى ضوء الوجـوه الخمسة التى ذكـرناها إزاء حمل هذا القول علي ما تُبَـيِّنه ، وفى إطار ما تَهْدِى إليه .

المسألة الثانية

الاستقصاء والتفصيل

وبعـد أن يمهد الـشنقيطى لـتلك المسألة نـراه يَعْمَـد عندئذ إلى تناولهـا على نحـو من الاستقصـاء والتفصيل من خلال تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية[١] حيث يشرع فى ذلك قـائلاً : ظاهر هذه الآية الكريمة أن الطلاق كله منحـصر فى المرتين ، ولكن الله تعالى قـد بيّن أن المنحصر فى المرتين هو الـطلاق الذى تُمْلَكُ بعده الرجعـة لا مُطْلَقًا ، وذلك بذكره الطلقة الثالثة التى لا تحل بعدها المراجعة إلاّ بعد زوج ، وهى تلك المذكورة فى قوله تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ الآية[٢] وبناءً على هذا فإن قوله تعالى : ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية[٣] يعنى به عدم المراجعة .

وقد قـال بعض العلمـاء : إن الطلقة الثـالثة هى المذكـورة فى قول الله تعـالى : ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية[٤] وروى هذا مـرفوعًا إلـى رسول الله ﷺ[٥] كمـا ذكر بعض العلماء أن هذه الآية الكريمة التى هى قـول الله تعالى : ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية[٦] إنما يؤخذ منها وقـوع الطلاق الثلاث فى لفظ واحـد ، وقد أشار البـخاريّ بقـوله : (باب مَنْ جَوَّزَ الطلاق الثلاث) لقول الله تعالى : ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية[٧] ووجه دلالة هذا الحديث الذى أخرجه البخارى تحت الترجمة المتقدمة عنه : أنه أوقع الثلاث فى كلمة واحدة ، ولم ينكره رسول الله ﷺ[٨] .

---

(١) البقرة : ٢٢٩ . (٢) البقرة : ٢٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٢٩ . (٤) البقرة : ٢٢٩ .

(٥) أخرجـه مالك فـى الموطأ (كتاب) الطلاق (باب) جـامع الطلاق - دار إحياء العلوم - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

(٦) البقرة : ٢٢٩ . (٧) البقرة : ٢٢٩ .

(٨) والطلاق ثلاثًا بلفظ واحد قد أخرجه البخارى فى صـحيحه (كتاب) الطلاق (باب) مَنْ جَوَّز الطلاق الثلاث - (طبع بيروت) - كما أخرج فيه أيضًا بعض الأحاديث الأخرى ، والتى منها حديث عويمر=

ثم يستمر الشنقيطى فى استقصاء أقــوال العلماء فى هذه المسألة الخلافيّة ذاكراً أدلتهم من القرآن والسُّنة والآثار ، ومناقشًا إياها لِيَرُدَّ منهــا ما لا يراه راجحًا عنده بالدليل ، وقد أفاض الشنقيطى فى اســتقصاء وتفــصيل تلك الأقوال الواردة فى هذه المســألة إلى الحد الذى بلغت معه (خمسًا وأربعين صفحة) فى موضعها من التفسير[1] .

ولما كان نَقْلُ نصّ كـلام الشنقيطى بشأن هذه المـسألة أمرًا ليس ممكنًا فى مـقامنا هذا ، فضــلاً عن أنه ليس مما يقصــد إليه البـحث ؛ لذا فقد اكـتفـينا بالإشارة دون العـبارة ، مع الإحالة على ذلك فى موضعه السابق من التفسير .

المسألة الثالثة

الخلاصــة والتعقيب

وحالما يفرغ الشنقيطى من التوطئـة والتمهيد ، ثم الاستقصاء والتفـصيل ، بشأن مسألة (الطلاق الثلاث بلفظ واحد) فإنه يَعْمَد عندئذ إلى ذكر خـلاصة ما تحصل عنده من مجموع ما عَرَضَ له مـن أقوال العلماء بأدلتهم المخـتلفة إزاء هذه المسألة ، حيث يقـول فى ذلك ما نصّه : وحاصل خلاصة هذه المسألة أن البحث فيها من ثلاث جهات :

الأولى : من جهة دلالة النص القولى أو الفعلىّ الصريح .

الثانية : من جهة صناعة علم الحديث والأصول .

الثالثة : من جهة أقوال أهل العلم فيها .

وبعد أن يحصر الشنقيطى خلاصــة هذه المسألة فى هذه الجهات الثلاث يشرع عندئذ فى التعقيب على كل منها بما يوضّح معناها ، ويكشف عن مراده منها ، وذلك على غير ترتيب بينها فيقول :

- أما من جـهة أقوال أهل الـعلم فيهــا فلا يخفى أن الأئمــة الأربعة وأتبــاعهم وجُلَّ الصحابة وأكـثر العلماء على نفوذ الثلاث دفـعة بلفظ واحد ، وقد ادّعى غير واحـد إجماع الصحابة وغيرهم على ذلك .

= فى ملاعنة زوجته ، حيث قال عويمر فى آخره : (كذبتُ عـليها يا رسول الله إنْ أمسكتُها ؛ فَطَلَّقها ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ) - انظر نفس الكتاب والباب المذكورَين .

(١) راجع تفصيل ذلك فـى (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/٢٢١ - ٢٢٦ (علـى مدار خمس وأربعين صفحة كاملة) .

• وأما من جهة نص صريح من قول رسول الله ﷺ أو فعله فلم يثبت من لفظه ﷺ ولا من فعله ما يدل على جعل الثلاث واحدة .

ثم اعلم أن أثبتَ ما روى فى قصة طلاق (رُكَانَة) أنه كان بلفظ (ألبتة) وأن رسول الله ﷺ قد حَلَّفَهُ ما أراد إلاّ واحدة ، ولو كان لا يلزم أكثر من واحدة بلفظ واحد ؛ لما كان لتحليفه معنى[1] .

وقد جاء فى حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الدارقطنى أنه قال : يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثًا ؛ أكان يحلّ لى أن أراجعها ؟ فقال ﷺ : « لا ؛ كانت تُبِينُ منك ، وتكون معصية » الحديث[2] .

وقد قدمنا عن النووى وغيره أن العلماء قد استدلوا على وقوع الثلاث دفعةً واحدةً بقول الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ الآية[3] قالوا : إنّ معناه أن المُطَلِّق قد يَحْدُثُ له نَدَمٌ فلا يمكنه تداركه لوقوع البينونة ، ولو كانت الثلاث لا تقع لكان طلاقه لم يقع إلاّ رجعياً ؛ ومن ثم فلا ندم .

وقد قدمنا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها تلزم مجتمعة ، وأن ذلك داخل فى معنى الآية وهو ظاهر جدًا ؛ وبهذا يتضح أنه ليس فى كتاب الله تعالى ولا فى صريح قول النبىّ ﷺ أو فعله ما يدل على عدم وقوع الثلاث .

• وأما من جهة صناعة علم الحديث والأصول فما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم له حكم الرفع ؛ لأن قول الصحابى : (كان يُفْعَلُ كذا على عهد النبىّ ﷺ) له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ عند جمهور المحدّثين والأصوليين .

وبهذا تكون قد علمتَ أوجه الجواب عن هذه المسألة بإيضاح ، ورأيتَ الروايات المصرّحة بنسخ المراجعة بعد الثلاث[4] .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) الطلاق واللعان (باب) ما جاء فى الرجل يطلق امرأته ألبتة – (طبع بيروت) – كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الطلاق (باب) فى الطلاق ألبتة – (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه الدارقطنى فى سُنَنه (كتاب) الطلاق والخُلع والإيلاء وغيره – ٤/ ٣١ حديث رقم (٨٤) – (طبع بيروت) .

(٣) الطلاق : ١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٢٦٦ – ٢٦٨ .

- **رأى البحث :**

وفيما يلى نرصد رأى البحث بشأن مسألة (وقوع الطلاق الثلاثى المجتمع فى لفظ واحد) والذى يشتمل على (عرض أقوال المذاهب) ثم (جِمَاع القول فى المسألة) وذلك على النحو التالى :

أولاً : أقوال المذاهب :

أما فيما يتعلق بأقوال المذاهب بشأن الطلاق الثلاثى بلفظ واحد فقط جاءت كما يلى :

- **عند الحنفية :**

يقول المرغينانى : وطلاق البدعة أن يطلقها ثلاثاً بكلمة واحدة أو ثلاثاً فى طُهْرٍ واحد ؛ فإذا فعل ذلك وقع الطلاق وكان عاصياً ، وقال الشافعى : كلّ الطلاق مباح لأنه تَصَرُّفٌ مشروع حتى يُسْتفاد به الحكم ، والمشروعية لا تجامع الحظر ، بخلاف الطلاق فى حالة الحيض لأن المُحَرَّم تطويل العِدَّة عليها لا الطلاق .

ولنا أن الأصل فى الطلاق هو الحظر لما فيه من قطع النكاح الذى تعلقت به المصالح الدينية والدنيوية ، والإباحة للحاجة إلى الخلاص ، ولا حاجة إلى الجمع بين الثلاث ، وهى فى المُفَرَّق على الأطهار ثابتة ؛ نظراً إلى دليلها والحاجة فى نفسها باقية فأمكن تصوير الدليل عليها ، والمشروعية فى ذاته من حيث إنه إزالة الرِّقّ لا تنافى الحظر لمعنى فى غيره ، وهو ما ذكرناه ، وكذا إيقاع التثنية فى الطهر الواحد بدعة لما قلنا[1] .

ويقول ابن الهُمَام شارحاً كيف أن الطلاق مشروع فى ذاته محظور لغيره : مشروعيته باعتبار ذاته ، فإنه فى ذاته إزالة الرِّقّ لأن النكاح نوع رِقّ فلا ينافى الحظر لغيره ، وهو ما ذكرنا من أن فيه قطع متعلق المصالح الدينية والدنيوية ؛ فجازت مشروعيته فى ذاته مع حظره لذلك ، فيصح إذا وقع ، ويستعقب أحكامه استعقاب استحقاق العقاب إذا لم يكن مسوغ للحظر الحالى كالصلاة فى الأرض المغصوبة ، والوجه فى تقريره أنه مشروع من حيث هو دافع لحاجة لزوم فساد الدين والدنيا ، ولا ينافيه كونه غير مشروع من حيث إنه إضرار وكفران بلا حاجة[2] .

---

(١) الهداية شرح البداية : لأبى الحسين المرغينانى الحنفى ١/ ٢٢٧ .

(٢) فتح القدير : لمحمد بن عبد الواحد بن الهمام السيواسى الحنفى - ٣/ ٤٧٣ - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

● **عند المالكية :**

يقول ابن جزى : إن قال لها أنتِ طالق ثلاثاً فهذا صريح فى البينونة والعدد ، وإن قال لها أنتِ طالق أنتِ طالق أنتِ طالق ؛ لزمته الثلاث إلا إن نوى التأكيد فتلزمه واحدة[1] .

● **عند الشافعية :**

عقد الخطيب الشربينى فصلاً وَسَمَه بعنوان (فصل فى تعدد الطلاق بنية العدد فيه وغير ذلك) قال فيه ما نصه : لو قال شخص لزوجته ولو نائمة أو مجنونة طلقتكِ أو أنتِ طالق أو نحو ذلك من الصريح وإن لم يخاطبها كقوله هذه طالق ، ونوى عدداً وقع ، سواء المدخول بها وغيرها ؛ لأن اللفظ يحتمل العدد بدليل جواز تفسيره به ، وما احتمل إذا نواه وقع كالطلاق بالكناية ، ثم تناول الشربينى بعد ذلك التصريح بالعدد وأنه يقع ثلاثاً لو لفظ به[2] .

● **عند الحنابلة :**

يقول الخرقى : وإذا طلَّق ثلاثاً وهو ينوى واحدة فهى ثلاث ، ثم يشرح ابن قدامة ذلك قائلاً : وجملة ذلك أن الرجل إذا قال لامرأته أنت طالق ثلاثاً فهى ثلاث وإن نوى واحدة ولا نعلم فيه خلافاً ؛ لأن اللفظ صريح فى الثلاث ، والنية لا تعارض الصريح ؛ لأنها أضعف من اللفظ ولذلك لا تعمل بمجردها ، والصريح قوى يُعْمَل بمجرده من غير نية ؛ فلا يُعَارَض القوى بالضعيف كما لا يُعَارَض النص بالقياس ؛ ولأن النية إنما تعمل فى صرف اللفظ إلى بعض محتملاته ، والثلاث نص فيها فلا تحتمل الواحدة بحال ، فإذا نوى واحدة فقد نوى ما لا يحتمله فلا يصح ، كما لو قال له عَلَيَّ ثلاثة دراهم وقال أردتُ واحداً[3] .

● **عند الظاهرية :**

حيث وافقوا الجمهور فى وقوع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد ، وفى ذلك يقول ابن حزم ما نصه : لو كانت طلاق الثلاث مجتمعة معصية لله تعالى ؛ لما سكت رسول الله ﷺ عن بيان ذلك ؛ ومِنْ ثم فقد صَحَّ يقيناً أنها سُنة مباحة[4] .

---

(١) القوانين الفقهية : لابن جزى الكلبى الغرناطى المالكى ص ١٥٢ .
(٢) مغنى المحتاج : للخطيب الشربينى الشافعى ٣/ ٢٩٤ .
(٣) المُغْنى : لابن قدامة المقدسىّ الحنبلىّ ١٠/ ٤٩٨ - ٤٩٩ .
(٤) المُحَلَّى : لابن حزم الظاهرىّ ١١/ ٤٦٦ .

ثانيا: جماع القول:

والحق أننا نرى أن اللفظ الصريح بالعدد ثلاث هو (نَصٌّ) فى مَحَل النزاع ؛ ومِنْ ثم فلا اعتبار لـ (النية) عند مَنْ قال : (أنا قلتُ لزوجتى أنتِ طالق بالثلاث غير أننى نويتُ أو قصدتُ فى نفسى أن أطلقها طلقة واحدة) فلا عبرة بذلك لأن النية ليست حاكمة على اللفظ الصريح ولا أقوى منه ؛ ومِنْ ثم فهى لا تعارضه ولا تبطله لأن التَّلَفُّظ بهذا العدد الصريح معلوم فى هذا المَحَلّ للعام والخاص ؛ ولذا فهو يُعَدُّ دليلاً على النية وإنْ أنكر صاحبه ذلك ؛ وبناءً عليه فحُكْمُ زوجته هنا أنها طالِقٌ منه طلاقاً ثلاثياً بائناً بينونة كبرى لا رجعة بعدها حتى تنكح زوجاً غيره ، ثم لو كان (الطلاق الثلاثى المجتمع فى لفظ واحد) غير جائز لما كان قد أجراه رسول الله ﷺ ولما كان أنفذه ؛ لأنه ﷺ لا يُقِرُّ باطلاً ولا يسكت عنه ، وسبحان مَنْ قال فيه وقوله الحق : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان[1] وعليه ؛ فإننا نميل إلى ما ذهب إليه الشنقيطى وأكثر أهل العلم من السلف والخلف القائلين بوقوع الطلاق الثلاث فى لفظ واحد ، على أنه طلاق ثلاثى بائن بينونة كبرى لا رجعة بعدها ؛ إلاّ بنكاح جديد ينتهى أيضًا بطلاق بائن بينونة كبرى من الزوج الثانى ؛ ومن ثم فإنه يحل للمرأة أن ترجع بعد ذلك إلى مَنْ كان زوجها الأول بعقد ومَهْر جديدين ، إنْ رغبا كل منهما فى ذلك لقول الله تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الآية[2] .

وفضلاً عن جملة هذه الأدلة المعتبرة ؛ إلاّ أن قرينة الحال التى عليها المسلمون اليوم تدعونا إلى الأخذ به ، بل وتُلِحُّ علينا فى طلبه ، لما فيه من ردع لأولئك الذين كثر جريان ألسنتهم بلفظ الطلاق الثلاث فى غير ما شُرِعَ له ؛ اللهمّ إلاّ استخدامهم له كسلاح يُسْكِتُون به نساءَهم ، ويُنَفِّذُون من خلاله أوامرهم ، وذلك كبديلٍ لعجزهم عن الإفهام والحُجَّة ، وبُعْدِهِم عن المودّة والرّحمة .

وفى هذا ما فيه من الجَوْر والقَهْر . فضلاً عن الهَزْل والفِسْق ؛ ما جعل رسول الله ﷺ يرفض الهزل فى أمر الطلاق ، بل ويحكم على الطلاق الهزل بأنه (جِدٌّ ليس بالهزل) حيث يقول ﷺ فى ذلك : « ثلاث جِدُّهُنّ جِدّ ، وهزلهنّ جِدّ : النكاح والطلاق والرّجْعَة » الحديث[3] هذا بالإضافة إلى حكمه ﷺ بِفِسْقِ مَنْ يتخذ الطلاق يمينًا

---

(١) النجم : ٣-٤ (آيتان) . (٢) البقرة : ٢٣٠ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سُننه (كتاب) الطلاق واللعان (باب) ما جاء فى الجد والهزل فى الطلاق – وقال =

له يستخدمه فى غير ما شُرِعَ له ؛ حيث يقول ﷺ فى ذلك : « الطلاقُ يمينُ الفُسَّاق » الحديث[1] .

* * *

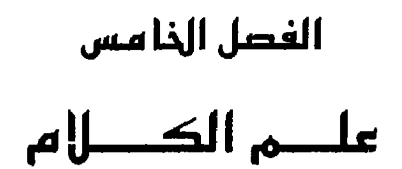
وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يعتمد (علم الفقه) كموضوع أساسىّ يُصنِّفُ الآية تحته ، بل ويُوَجِّه معناها على هَدْيه ، وذلك من خلال تقعيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ .

= الترمذى : هذا حديث حسن غريب - (طبع بيروت) - وأخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب الطلاق (باب) فى الطلاق على الهزل - (طبع بيروت) - كما أورده السيوطى من رواية أبى هريرة رضي الله عنه فى جامع الأحاديث : ٣/ ٦٦٤ حديث رقم (١٠٧٤٣) .

(١) ذكره الحطّاب بلفظ : « الطلاق والعتَاق من أيمان الفُسَّاق » ثم أعقبه بقوله : قال السخاوى فى (المقاصد الحسنة) : لم أقف عليه - انظر (مواهب الجليل من شروح مختصر خليل فى الفقه المالكى) : لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربى المعروف بالحطاب ١٧٦/٦ - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

كما ذكره الدسوقى معقبًا عليه بقوله : لا يُعْرَف فى كتب الحديث المشهورة - انظر (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير فى الفقه المالكى) : لمحمد عرفة الدسوقى ١٨١/٤ - تحقيق : محمد عليش - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

هذا وقد أورد السيوطى فى (جامع الأحاديث) حديثين فى التشديد على الطلاق ، والتحذير من الاستخفاف بوقوعه ؛ الأمر الذى يقترب به معنى هذين الحديثين من معنى الحديث المذكور ، أما أول هذين الحديثين فيورده السيوطى عن ابن عدى فى (الكامل فى الضعفاء) من رواية علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « تزوَّجُوا ولا تطلِّقوا ؛ فإن الطلاق يهتز منه العرش » وأما ثانى الحديثين فيورده السيوطى عن الطبرانى فى (الجامع الكبير) من رواية أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « تزوَّجُوا ولا تطلِّقوا ؛ فإنّ الله لا يحب الذوَّاقين ولا الذوَّاقات » - انظر هذين الحديثين على الترتيب فى (جامع الأحاديث للسيوطى) : ٣/ ٥٨٥ حديث رقم (١٠٣٣٠) - ٣/ ٥٨٥ حديث رقم (١٠٣٣١) .



وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظري

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : القضايا العقائدية .

٢ - المطلب الثاني : الفِرَق الإسلامية .

٣ - المطلب الثالث : المباحث المنطقية .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم الكلام) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، يُصنَّفُ تحته بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

القضايا العقائدية

يُعَدُّ مبحث (الأسماء والصفات) أهم وأشهر قضايا العقيدة الإسلامية ، بل وأكثرها حساسية علمية ؛ نظراً لأنه يختص بذات الله عزّ وجلّ ، ونكتفى من هذه الصفات بأخصها ألا وهى :

- **صفة الاستواء:**

والحق أن صفة (الاستواء على العرش) تحتل موقع الصدارة من مبحث (الأسماء والصفات) وذلك لسببين :

السبب الأول : أنها من أكثر صفات الله تعالى إشكالاً عند العلماء ؛ الأمر الذى ضلّ بسببه خَلْق كثيرون .

السبب الثانى : أنها من أكثر صفات الله تعالى دورانًا فى مجال البحوث الشرعية ؛ نظراً لأن ما ينطبق عليها هو ما ينطبق على سائر صفات الله تعالى .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يذهب إلى تفصيل القول فى هذه الصفة تنبيهًا بها على غيرها من جميع صفات الله عزّ وجلّ ، وهذا ما سنرى تطبيقه العملىّ عليه بعد قليل .

المطلب الثانى

الفِرَق الإسلامية

عَرَضَ الشنقيطىّ للعديد من الفِرَق الإسلامية فى أكثر من موضع فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى شملت ست فرق نذكرها بترتيبها الهجائىّ التالى : (الخوارج - الشيعة - الصوفيّة - الظاهريّة - القدريّة - المرجئة) ونكتفى من هذه الفِرَق بأشهرها ألا وهى :

- **الصوفيّة :**

وتأتى الصوفية فى مقدمة هذه الفِرَق الإسلامية ؛ وذلك لسببين :

السبب الأول : أنها أعدل الفرق الإسلامية وأقربها إلى أهل السُّنَّة والجماعة من حيث التزامها فى الجملة بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ .

السبب الثانى : أنها من أكثر الفِرَق الإسلامية دورانًا فى مجال البحوث الشرعية ؛ نظرًا لما لها من قضايا شديدة الخصوصية تتعلق بصفة العبد بربِّه عزّ وجلّ .

غير أن ما يقع فيه مُدَّعُو التصوف من البدع والضلالات جعل الشنقيطى يذهب إلى تفصيل القول بشأن هذه البدع والضلالات تنبيهًا إلى مخالفتها لكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وتحذيرًا للأمة من الافتتان بها والوقوع فيها ، وهذا ما سنرى تطبيقه العملى عليه بعد قليل .

المطلب الثالث

المباحث المنطقية

تدور المباحث المنطقية فى تفسير الشنقيطى على محورين أساسيين يتمثلان فى :

١- المحور الأول (المسائل الكلامية) :

حيث يَعْرِض الشنقيطى لجملة غير قليلة من تلك المسائل فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى من أبرزها المسائل الخمس التالية : (رؤية الله تعالى - البعث وبراهينه - الإمامة والخلافة - الخلود فى النار - دخول مؤمنىْ الجِنِّ الجَنَّة) ونكتفى من هذه المسائل بأشهرها ألا وهى :

- **رؤية الله تعالى :**

وتأتى مسألة (رؤية الله تعالى) على رأس هذه المسائل الكلامية الخمس بصفة خاصة ، وغيرها من المسائل الأخرى بصفة عامة ؛ وذلك نظرًا لما لها من الأهمية والخصوصية من حيث تعلقها بذات الله عزّ وجلّ ؛ وهذا من شأنه أن يكفل لها التميز والصدارة دون ما سواها من المسائل الكلامية الأخرى .

٢- المحور الثانى (المسائل الجدلية) :

حيث يَعْرِض الشنقيطى كذلك لجملة غير قليلة من تلك المسائل فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى من أبرزها القضايا الخمس التالية : (الشرطيّة - الاستثنائية - الكلية الموجبة - الجزئية السالبة - المقدمتان الكبرى والصغرى) ونكتفى من هذه القضايا بأهمها ألا وهى :

- **القضية الشرطية :**

تعد القضية الشرطية بنوعيْها (اللزوميّة) و (الاتفاقية) من أهم تلك القضايا المنطقية نظرًا لاشتمالها على طرفيْها المتمثليْن فى (الشرط والجزاء) أو ما يطلق عليهما أيضًا (اللازم والملزوم) وعليهما يترتب مفهوم (إرادة الله عزّ وجلّ) وما يتصل بذلك من (أفعال العباد وتكاليفهم) .

ومن ثم ؛ فإن الشنقيطى يذهب إلى تفصيل القول فى كل من هاتين المسألتين المتمثلتين فى (رؤية الله تعالى) ثم (القضيّة الشرطيّة) تنبيهًا بهما على غيرهما من جملة المباحث المنطقية الأخرى فى ثنايا تفسيره المختلفة .

* * *

وبعد : فإن ما ذهب إليه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مترجمًا بصورة فعليّة من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

المبحث الثاني

التطبيـــق العمليّ

ويتتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (العقيدة) .

٢ - المطلب الثاني : تطبيق القاعدة الثانيـــة (الفِرَق) .

٣ - المطلب الثالث : تطبيق القاعدة الثالثة (المنطق) .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علـم الكلام) حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقـه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيمـا يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلىّ التى تُعَدُّ تطبيـقًا على القواعـد الثلاث المذكورة ، وذلك تنبيـهًا بها على غـيرها مما فى ثنايا تفسـيره المختلفة ، من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

العقيدة : (صفة الاستواء)

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الآية[1] نراه يذهب إلى تفصيـل القول فى صفات الله عزّ وجلّ ، حـيث يبدأ بذكر أقسامهـا الستة عند المتكلمين ، ثم يحصر آيات الاستواء السـبع فى القرآن الكريم ، وأخيراً يرصد خلاصة قوله فى مبحث الصفات على وجه العموم ، وذلك على النحو التالى :

- **أقسام الصفات الستة :**

يَعْرِض الشنقـيطى لهذه الأقسـام الستة لـصفات الله عزّ وجَـلّ عند المتكلمين مشفـوعة بشواهدها من القرآن الكريم فيقول : اعلم أولاً أن المتكلمين قد قسموا صفات جلّ وعلا إلى ستة أقسام : (صفة معنى - صفة معنوية - صفة سلبية - صفة نفسية - صفة فعلية - صفة جامعة) .

وسنبين لك أن جميع الصفات على تقسيمهم لها قد جاء فى القرآن وَصْفُ الخالق والمخلوق بها ، وهم يقـرون فى بعضهـا بأن الخالق موصوف بهـا وأنها جاء فى القـرآن أيضًا وَصْفُ المخلوق بها؛ ولكن وصف الخالق منافٍ لوصف المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق ؛ ومن ثم فإنه يلزمهم بالضرورة فيما أنكروا مِثْلُ ما أقروا به لأن الكل من باب واحد ، ولأن جميع صفـات الله جل وعلا من باب واحد ، ولأن المتصف بها جلّ وعـلا لا يشبهه شىء من الحوادث ، وهذه الأقسام الستة لصفاته جل وعَلاَ عند هؤلاء المتكلمين تتمثل فى :

١ - صفات المعانى :

وهى المعروفة عندهم بـ (الصفات السّبع) وهى : (القدرة - الإرادة - العلم - الحياة

(١) الأعراف : ٥٤ .

- السمع - البصر - الكلام) وقد وصف الله تعالى نفسه بالقدرة فقال : ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية[1] كما قال فى وصف الحادث بها : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ الآية[2] .

فأثبت جلّ وعلا لنفسه قدرة حقيقية لائقة بجلاله وكماله ، كما أثبت لبعض الحوادث قدرة مناسبة لحالهم من الضعف والافتقار والحدوث والفناء ، ومعلوم أن بين قدرته وقدرة مخلوقه من المنافاة مثل ما بين ذاته وذات مخلوقه، وهكذا فى سائر الصفات السِّت الباقية .

٢ - *الصفات المعنوية* :

وهى الأوصاف المشتقة من صفات المعانى السبع السابقة وهى كون الله تعالى : (قادراً - مريداً - عالمًا - حياً - سميعًا - بصيراً - متكلمًا) والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعانى ، وقد بيّنا فى اتصاف الخالق والمخلوق بالمعانى السبع السابقة منافاة صفة الخالق للمخلوق .

وبه تعلم مثله فى الاتصاف بالمعنوية المذكورة هنا فى حالة إذا ما فرضنا أنها صفات زائدة على صفات المعانى ، مع أن التحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بها .

٣ - *الصفات السلبية* :

وهى خمس صفات عندهم تتمثل فى : (القِدَم - البقاء - الوحدانية - المخالفة للخلق - الغنى المطلق المعروف عندهم بالقيام بالنفس) وقد وصف الله تعالى نفسه بالقِدَم فقال : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الآية[3] كما قال فى وصف الحادث به : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ الآية[4] .

٤ - *الصفة النفسية* :

وهى صفة واحدة عندهم تتمثل فى الوجود ، ولا يخفى أن الخالق موجود ، وأن المخلوق موجود ، غير أن وجود الخالق ينافى وجود المخلوق على نحو ما بيناه فى غير ذلك من الصفات السابقة.

---

(١) البقرة : ٢٨٤ - آل عمران : ١٨٩ - المائدة : ١٩ ، ٤٠ - وقد تكرر لفظ (قديرٌ) تسعًا وثلاثين مرة فى القرآن ، فى حين تكرر لفظ (قديراً) ست مرات فقط - انظر (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) : وضع محمد فؤاد عبد الباقى ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .

(٢) المائدة : ٣٤ .

(٣) الحديد : ٣ .

(٤) يسٓ : ٣٩ .

٥ - الصفات الفعلية :

إن وصف الخالق والمخلوق بهذه الصفات الفعلية كثير فى القرآن الكريم ، غير أنه من المعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته ، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يرزق خلقه فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الآية[1] كما قال فى وصف الحادث بذلك : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ الآية[2] وهكذا فى سائر الأفعال الأخرى مثل : (العمل - التعليم - الإنباء - الإيتاء) .

٦ - الصفات الجامعة :

وتشمل : (العِظَم - الكِبَر - العُلو - المُلك - التكبر - الجبروت) ونحو ذلك مما يكثر وصف الخالق والمخلوق بها فى القرآن الكريم ، ومعلوم أن ما وُصِفَ به الخالق منها إنما هو مُنَافٍ لما وُصِفَ به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق .

وقد وصف الله تعالى نفسه بالعُلو والعظَم فقال: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الآية[3] كما قال فى وصف الحادث بالعظَم : ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الآية[4] وقال فى وصفه بالعُلو : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الآية[5] وهكذا فى سائر الصفات الأخرى .

- **آيات الاستواء السبع :**

وحالما يفرغ الشنقيطى من ذكر الأقسام الستة لصفات الله عزّ وجلّ عند المتكلمين ؛ يَعْمَد عندئذ إلى حصر آيات الاستواء السبع فى القرآن الكريم فيقول : فإذا حققت كل ذلك علمتَ أن الله جلّ وعلا قد وصف نفسه بالاستواء على العرش ، كما وصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات .

فَتَمَدَّحَ جلّ وعلا فى سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه ، ولم يذكر صفة الاستواء إلاّ مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جلّ وعلا ، وأن الربّ وحده ، والمستحق لأن يُعْبَدَ وحده ، وإليك هذه الآيات السبع بحسب ترتيب المصحف الكريم فى سُوَرِهَا التالية :

١ - سورة الأعراف :

فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ الآية[6] .

---

(١) الذاريات : ٥٨ . (٢) النساء : ٨ . (٣) البقرة : ٢٥٥ .

(٤) الشعراء : ٦٣ . (٥) مريم : ٥٧ . (٦) الأعراف : ٥٤ .

٢ - سورة يونس :

فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ الآية(١) .

٣ - سورة الرعد :

فى قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ الآية(٢) .

٤ - سورة طه :

فى قول الله تـعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦)﴾ الآيتان(٣) .

٥ - سورة الفرقان :

فى قول الله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الآية(٤) .

٦ - سورة السّجدة :

فى قول الله تـعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية(٥) .

٧ - سورة الحديد :

فى قول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الآية(٦) .

وقد وصف الله تعالى الحادث بالاستواء فقال تعالى : ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية(٧) وقال تعالى : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ الآية(٨) وقال تعالى : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ الآية(٩) ونحو ذلك من الآيات الأخرى فى القرآن الكريم .

(١) يونس : ٣ . (٢) الرعد : ٢ . (٣) طه : ٥ - ٦ (آيتان) .
(٤) الفرقان : ٥٩ . (٥) السجدة : ٤ . (٦) الحديد : ٤ .
(٧) الزخرف : ١٣ . (٨) المؤمنون : ٢٨ . (٩) هود : ٤٤ .

ومعلوم أن للخالق جلّ وعلا استواءً لائقًا بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوق استواءً مناسبًا لحاله ، وأن ما بين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة مثل ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية[1] .

• أمور ثلاثة :

وبعد أن يفرغ الشنقيطىّ من حصر آيات الاستواء السبع السابقة ؛ يلفت عندئذ الانتباه إلى ثلاثة أمور يُعَقِّبُ بها على ما ذكره آنفًا فيقول : وينبغى للناظر فى مسألة الاستواء هذه أن يتأمل فى الأمور الثلاثة التالية :

الأمر الأول : أن جميع الصفات من باب واحد ؛ لأن الموصوف بها واحد ، فلا يجوز فى حقه مشابهة الحوادث فى شىءٍ من صفاتهم .

الأمر الثانى : أن الذات والصفات من باب واحد أيضًا ، فكما أن الله جلّ وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخَلْق ؛ فله تعالى صفات مخالفة أيضًا لجميع صفات الخَلْق .

الأمر الثالث : فى تحقيق المقام فى الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلاً ؛ فإن الظاهر المتبادر منه السابق إلى فَهْمِ مَنْ فى قلبه شىء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شىء من صفات الحوادث .

لأنه بمجرد إضافة الصفة إلى الله جلّ وعلا ؛ فلابد أن يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق ، وبين شىء من صفات المخلوقين ، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفَهْم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق فى ذاته وجميع صفاته ؟! لا واللهِ لا ينكر ذلك إلاّ مكابِر !!

• حصيلة القول :

ويختم الشنقيطى حديثه عن صفات الله عزّ وجلّ عامة ، وصفة الاستواء خاصة ، بذكر خلاصة ما تحصل عنده وجماع ما انتهى إليه فيقول : وبعد فقد تحصل من جميع هذا البحث أن جميع هذه الصفات باب واحد ، وأن الحق فيها متركب من أمرين :

الأمر الأول : تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة الخَلْق .

الأمر الثانى : الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ إثباتًا أو نفيًا ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية[2] .

---

(1) الشورى : ١١ .
(2) الشورى : ١١ .

لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله كما فى قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ الآية[1] ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذى قال تعالى فيه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ الآيتان[2] .

والظاهر أن السر فى تعبيره بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية[3] دون أن يقول مثلاً : (وهو العلى العظيم) أو نحو ذلك من الصفات الجامعة هو أن السمع والبصر يتصف بها جميع المخلوقات .

ومن ثم ؛ فقد بيَّنَ الله تعالى أنه متصف بهما ، ولكن وصفه بهما إنما يقوم على أساس نفى المماثلة بين وصفه عزّ وجلّ ، وبين صفات خَلْقه ، ولذا جاء بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعليه فإن فى هذه الآية الكريمة إيضاحًا للحق فى آيات الصفات لا لَبْسَ معه ولا شبهة ألبتة .

والسلف الصالح رضوان الله عليهم ما كانوا يَشكُّون فى ذلك ، ولا كان يشكل عليهم ؛ ألا ترى إلى قول الفرزدق (وهو شاعر فقط ، أما من جهة العلم فهو عامىّ) :

وكيف أخافُ الناسَ والله قابضٌ ... على الناسِ والسَّبْعَيْنِ فى راحةِ اليدِ ؟!

ومراده بـ (السَّبْعَيْنِ) : أى (سَبْع سموات ، وسَبْع أرضين) فمَنْ علم مثل هذا (من كون السموات والأرضين فى يده جلّ وعلا أصغر من حبّة الخردل) فإنه يكون عالمًا بلا شك بعظمة الله وجلاله ؛ ومن ثم فلا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته بصفات الخَلْق ، ومَنْ كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التى أشكلت على كثير من المتأخرين .

ثم إنّ هذا الذى ذكرنا من تنزيه الله جلّ وعلا عما لا يليق به، والإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ هو ذاته معنى قول الإمام مالك رحمه الله تعالى: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة) كما يُرْوَى نحو قول مالك هذا عن شيخه ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وأيضًا عن أم سلمة رضي الله عنها والعلم عند الله تعالى[4] .

- **رأى البحث :**

والحق أنا نذهب إلى مذهب الشنقيطى الذى وافق به جمهور العلماء من السلف

---

(١) البقرة : ١٤٠ . (٢) النجم : ٣ - ٤ (آيتان) . (٣) الشورى : ١١ .

(٤) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/٣٠٤ - ٣٢١ (على مدار سبعَ عشرةَ صفحةً كاملةً) .

والخلف إزاء اتباعه تلك العـقيدة السلفية التى تقـوم على الإيمان أولاً ، ثم التنزيه ثانيًا ، ثم التفويض ثالثًا .

لأنه من البداهة بمكان أن تقطع الفطرة النقية ، وأن تجـزم النفس السّوية ، بنفى المشابهة بين صفـات الخالق وصـفات المخلوق ؛ وذلك لتـمام إدراكهـا ، وكمال إيمـانها ، بأن ذات الخالق ليست كذات المخلوق .

ومن ثم ؛ فإنه يترتب على ذلك اليـقين بأن (الفارق ما بين الصفة والصفـة كالفارق ما بين الذات والذات) وهذا ما يُطْبِقُ عليـه جمهـور علمـاء الأمـة فى كل عصر ومصـر ؛ فلا ينكره إلاّ جَاحِد هَالِك ، ولا يَشِذُّ عنه إلاّ ضَالّ مَارِق .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

الفِـرَق الإسلامية (الصوفية)

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية[1] نراه يرد قول مَنْ وصـفهم بالجهلة من مُـدَّعِى التصوف بشـأن ما ذهبوا إليـه من احتجـاجهم بـ (الإِلهَام) واعتمادهم عليه ، شأنه فى ذلك عندهم كـشأن (الوَحْى) من حيث احتجاج الأمة به ، واعتمادها عليه ؛ ومن ثم يرد عليهم دعواهم هذه قائلاً :

وما يزعـمه بعض المتصـوفة من جواز العـمل بـ (الإلهام) فى حق المُلْهَمِ دون غـيره ، جاعلين الإلهام كـالوحى المسموع ، ومستـدلين فى ذلك بظاهر قول الله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ الآية[2] وبالخبر القائل : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »[3] فكل هذا باطل لا يُعَوَّلُ عليه لعدم اعتضاده بدليل .

---

(1) الكهف : ٦٥ . (٢) الأنعام : ١٢٥ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سُننه (كتاب ٤٨) تفـسير القرآن (باب ١٦) ومن سورة الحِجْر - ٢٧٨/٥ حديث رقم (٣١٢٧) - (طبع بيروت) .

وأخرجـه الطبرانى فى (المعـجم الأوسط) للحافظ أبى القـاسم سليمـان بن أحمد الـطبرانى ت (٣٦٠هـ = ٩٧١م) - ٢٣/٨ حديث رقم (٧٨٤٣) - قسم التحقـيق بدار الحرمين : (أبو معاذ طارق ابن عوض الله بن محمد) مع (أبى الفضل عبـد المحسن بن إبراهيم الحسينى) - الناشر : دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

كما أخرجه العُقَيلىّ فى (كتاب الضعفاء الكبير) : تصنيف الحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّـاد العُقَيلىّ المكى ت (٣٢٢هـ = ٩٣٤م) - ١٢٩/٤ - حققه ووثقـه : د. عبد المعطى أمين قلعجى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت) . =

ثم إن ما يستدل به بعض الجهلة مِمَّنْ يَدَّعِى التصوف على اعتبار الإلهام من ظواهر بعض النصوص كحديث : « استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأَفْتَوْكَ » الحديث[1] فإنه لا دليل فيه ألبتة على اعتبار الإلهام ؛ لأنه لم يقل أحد مِمَّنْ يُعْتَدُّ به : إن المفتى الذى تُتَلَقَّى الأحكامُ الشرعيةُ من قِبَلِهِ هو القلب .

ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح قول الشيخ (أبى القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريرى) رحمه الله تعالى حيث يقول : (مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسُّنَّة) وقد نقل عنه قوله هذا غير واحد مِمَّنْ ترجمه رحمه الله تعالى كابن كثير وابن خَلِّكان وغيرهما ، ولا شك أن كلامه المذكور هو الحق ؛ فلا أمر ولا نهى إلاَّ على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام[2] .

- **رأى البحث :**

والحق أننا نؤيد ما ذهب إليه الشنقيطى فضلاً عن الصالحين المنصفين من علماء الصوفية أنفسهم رحمهم الله تعالى أجمعين ؛ وذلك لأن كل مَنْ يخالف كلام الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ فكلامه مردود عليه كائنًا مَنْ كان ، سواء كان من مُدَّعِى التصوف ، أو كان من غيرهم من جملة أولئك الجهلة الأدعياء الذين تُبْتَلَى بهم الأمة فى كل عصر ومصر .

ولذا نجد الشنقيطى يحمل بالرفض والنكير على هؤلاء الأدعياء من الجهلة الذين يتطفلون على التصوف وأهله ، خارجين بذلك على حدود الله تعالى ، ومخالفين بمسلكهم هذا هَدْىَ رسول الله ﷺ فهم ضالون مضلون ، وجهلة مُدَّعُون ؛ الأمر الذى جعل الشنقيطى لا يفتأ يُنَبِّه إلى خطرهم وفتنتهم بقوله : (ما يزعمه بعض المتصوفة) أو (ما يزعمه بعض الجهلة من مُدَّعِى التصوف) .

فى حين نجد الشنقيطى نفسه يُجِلُّ علماء الصوفية المشهود لهم بالدين والعلم والصلاح على حد قوله ؛ وذلك لما هو معروف عنهم من التزامهم بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وعدم خروجهم عليهما أو حيادهم عنهما ، وليس أدلّ عليهم من الشيخ (الجنيد) ثم

= وقد أورده الألبانى من رواية أبى أمامة الباهلى وأبى هريرة وابن عمرو وثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ وضَعَّفَه – انظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة) : محمد ناصر الدين الألبانى (٤/٢٩٩ – ٣٠٢) – حديث رقم (١٨٢١) .

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (مسند الشاميين) – حديث رقم (١٧٥٤٥) – (طبع بيروت) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى (٤/١٥٩ – ١٦٢) – وستأتى ترجمة الجنيد مفصَّلة فى الباب التالى ضمن نقد الشنقيطى للفِرَق الإسلامية تحت عنوان (نقده الصوفيّة خاصة) ص من هذا البحث .

شيخ الإسلام (ابن تيميَّة) وكذا تلميذه (ابن القيِّم) رحمهم الله تعالى وسائر علماء المسلمين أجمعين[1] .

المطلب الثالث

تطبيق القاعدة الثالثة

المنطـق

وذلك من خلال تناولنا لمسألتين إحداهما من المباحث الكلامية ، والأخرى من المباحث الجدلية ، على النحو التالى :

المسألة الأولى

المباحث الكلاميـة

(رؤيـة الله تعالى)

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيطىّ لقول الله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية[2] نراه يذهب إلى القول برؤية الله تعالى بالأبصار ، ويرى أنها جائزة عقلاً فى الدنيا والآخرة ، كما أنها جائزة شرعًا وواقعة يوم القيامة ، إلاّ أنها ممتنعة شرعًا فى الدنيا ، وفى ذلك يقول ما نصه : إن تحقيق المقام فى رؤية الله تعالى بالأبصار أنها جائزة عقلاً فى الدنيا والآخرة بدليل قول موسى فيما يحكيه القرآن : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية[3] لأنه لا يجهل المستحيل فى حقه جلّ وعلا .

كما أنها جائزة شرعًا وواقعة يوم القيامة ، وممتنعة شرعًا فى الدنيا بدليل قول الله تعالى : ﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الآية[4] .

ومن أصرح الأدلة فى ذلك قول رسول الله ﷺ : «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» الحديث[5] وأما قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ الآيتان[6] فذلك جبريل على التحقيق لا الله جلّ وعلا[7] .

---

(١) سبقت ترجمة كل من شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة وتلميذه ابن قيِّم الجوزية ص ( ) و ( ) من هذا البحث .

(٢) الأعراف : ١٤٣ . (٣) الأعراف : ١٤٣ . (٤) الأعراف : ١٤٣ .

(٥) أخرجه أحمد فى مسنده (باقى مسند الأنصار) – حديث رقم (٢٢٢٥٨) (طبع بيروت) .

(٦) النجم : ٨ – ٩ (آيتان) . (٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٣٣١ – ٣/ ٤٠٠ – ٥/ ٦٣٣ .

• رأى البحث :

وفيمايلى نوجز رأى البحث بشأن أقوال العلماء ومذاهبهم فى مسألة الرؤية ، ثم نتبعها بالرد على الشنقيطى فى بعض ما ذهب إليه وذلك على النحو التالى :

١- أقوال العلماء :

تعددت مذاهب علماء الأمة سَلَفَاً وخَلَفَاً ، وكثرت أقوالهم بشأن (رؤية الله تعالى) سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، وسواء كانت هذه الرؤية بصرية أو قلبية ، وعلى الرغم من اتفاق جُلِّ العلماء على امتناع وقوع تلك الرؤية فى الدنيا ، إلا أنهم اختلفوا بشأن وقوعها بالأبصار من عدمه فى الآخرة ؛ وإزاء ذلك فقد توزعوا بين فريقين لكل منهما أدلته من الكتاب والسُّنة ، والتى يعتضد بها على ما يذهب إليه .

وفيما يلى نكتفى بإيراد أدلة كِلاَ الفريقين دون تناولها بالمناقشة والتنفيد ؛ حيث إن هذا مما لا يقصد إليه البحث وليس موضعه ، وذلك على النحو التالى :

• الفريق الأول (القائلون بوقوع الرؤية بالأبصار) :

وتتمثل أدلتهم فى قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الآيتان[١] وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الآية[٢] على تفسير (الزيادة) هنا بأنها (النظر إلى الله عزّ وجلّ) .

كما احتجوا بما حَدَّث به جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البَدْر فقال : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا ، لا تَضَامُّون فى رؤيته» الحديث[٣] وفى رواية له أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم سترون ربكم عِيَاناً» الحديث[٤] .

---

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٣ (آيتان) . (٢) يونس : ٢٦ .

(٣) وقوله ﷺ : «كما ترون هذا» يعني به (البدر) أو (القمر) - أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التوحيد (باب) قوله الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة : (٢٢-٢٣) - قال ابن حجر : (لا تَضَامُّون فى رؤيته) أى لا تجتمعن لرؤيته فى جهة ، ولا يُضَمّ بعضكم إلى بعض ، ويعنى بهذا : (أنه لا تضمهم جهة واحدة لتحقيق هذه الرؤية) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى): لابن حجر العسقلانى - ٢٨/٢٠٥ - حديث رقم (٧٤٢٦) - (طبع الأزهرية) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التوحيد (باب) قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة : (٢٢-٢٣) - انظر (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : لابن حجر العسقلانى - ٢٠٥٢٨/ - حديث رقم (٧٤٣٥) - (طبع الأزهرية) .

- **الفريق الثانى (القائلون بامتناع الرؤية بالأبصار):**

وتتمثل أدلتهم فى قول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ الآية[2] .

كما حملوا الرؤية التى وردت بها أحاديث رسول الله ﷺ على أنها رؤية قلبية ، بل بالغ بعضهم فقال بأنها رؤية خيالية وهو مذهب الأشاعرة الذين انبرى للرد عليهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية حيث ختم رده عليهم بقوله : وهؤلاء القوم أثبتوا ما لا يمكن رؤيته ، ولما أحبوا نصر مذهب أهل السُّنة والجماعة والحديث جمعوا عندئذ بين أمرين متناقضين : فإن الذى لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه فإنما يمتنع أن يُرَى بالعين إذا كان وجوده فى الخارج ممكناً ، فكيف وهو ممتنع ؟! وعليه فإن الذى يُقَدَّرُ فى الأذهان من غير أن يكون له وجود فى الأعيان إنما هو من باب الوهم والخيال الباطل[3] .

ومقصود ابن تيمية أن الأشاعرة أرادوا أن يثبتوا ما لا يمكن إثباته ويعنى بذلك (الرؤية الخيالية) لأنهم قرنوا فيها بين الرؤية والخيال مع أن الخيال لا يمكن رؤيته ، بل ولا يمكن أن تمتنع العين عن رؤية الشىء إلا إذا كان له وجود حقيقى ؛ ومن ثم فقد وقعوا بقولهم هذا فى التناقض ، فضلاً عن أنه ضَرْبٌ من الوهم الذى لا يَسْلَم لهم بحال !

٢- الرَّدُّ على الشنقيطى:

وعلى الرغم من أن الشنقيطى يذهب إلى جواز رؤية الله تعالى بالأبصار عقلاً فى الدنيا والآخرة وكذا جوازها شرعاً فى الآخرة ؛ إلا أنه يقول بامتناعها شرعاً فى الدنيا ، مستدلاً على ذلك بكل من قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ الآيتان[4] على أنه جبريل وليس الله عز وجلّ ، ثم بقول رسول الله ﷺ : «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» الحديث[5] .

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى بشأن امتناع رؤية الله تعالى بالأبصار شرعاً فى الدنيا

---

(١) الأنعام : ١٠٣ . (٢) الأعراف : ١٤٣ .

(٣) راجع فى ذلك بتصرف يسير كلاً من :

- مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٦/ ٨٢-٨٧ .
- المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات : محمد بن عبد الرحمن المغراوى - (٤/١٢٦ - ١٣٨) - (مسألة إثبات الرؤية ضمن الرد على المفسِّرين الخَلَفيين) - دار المنار للنشر والتوزيع - توزيع مؤسسة الجريسى - الرياض - المملكة العربية السعوية - (د. ت) .

(٤) النجم : ٨-٩ (آيتان) .

(٥) سبق تخريج الحديث ص ٦٣٦ من هذا البحث .

يمكن قَبُوله وموافقتنا عليه بالنسبة لسائر الخلائق ، أما بالنسبة لِرُسُلِ الله صلوات الله وسلامه عليهم عامة ، ثم لرسول الله ﷺ منهم خاصة ، فإن ذلك مردود من وجهين :

- **الوجه الأول (بالنسبة للرُّسُل عامة) :**

ويشهد لذلك ما طلبه موسى من رؤية ربه عزّ وجلّ فيما يحكيه القرآن عنه فى قوله الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية[1] فلو كانت رؤية الرسل لله عزّ وجلّ غير جائزة فى الدنيا لما كان لسؤال موسى وجه ؛ إذ كيف يطلب غير جائز وهو نبى يعلم ما يجوز مما لا يجوز فى حق الله عزّ وجلّ .

أما استجابة الله سبحانه من عدم استجابته لما طلبه نبيه موسى فهذا أمر متروك لإرادته عزّ وجلّ وموكول إليه ؛ إذ لو شاء ذلك لجعل موسى قادراً على تحمل الرؤية وأعانه عليها ، ومِنْ ثم فإن المعول عليه هنا هو ضعف موسى وعدم قدرته على تحمل رؤية ربه سبحانه الذى تَجَلَّى للجبل فجعله دكّاً ، وإذا كانت هذه هي حال الجبل ، فما بالنا بموسى الذى خرَّ صَعِقاً كما يحكيه قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ الآية[2] .

وعليه ؛ فإن رؤية الله تعالى غير ممتنعة بالأبصار فى الدنيا لِمَنْ طلبها من أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ غير أن إنفاذ هذه الرؤية وتحقيقها متروك لإرادة الله عَزّ وجَلَّ إن شاء استجاب لهم ، وإن شاء حجبها عنهم ، سبحانه له الخَلْق والأمر بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

- **الوجه الثانى (بالنسبة لرسول الله ﷺ خاصة) :**

أما إمام النبيين ، وخاتم المرسلين ، أكرم رسل الله على ربه ، وأحبهم إليه ، فمن باب أَوْلَى أن يرى ربه سبحانه فى تلك الرحلة السماوية التى جعلها الله تعالى تسرية عن نبيه ﷺ بل وأهداه إياها ترويحاً له ، وهل توجد تسرية ، أو يكون هناك ترويح ؛ يعدل أو يفوق رؤية الله تعالى ، والفوز بالنظر إلى وجهه الكريم ؟!!

حقاً لقد أراد الله تعالى ذلك ، وطلب نبيه ﷺ له ؛ فأُسْرِيَ به أرضاً ، ثم أُعْرِجَ به سماءً ، ليتجلى له ربه بعد تجهيزه لتحمل رؤية وجهه الكريم مثل تجهيزه لتلك الرحلة المباركة بَدْءً وانتهاءً ، وَفْقاً لإرادته وإنفاذاً لمشيئته ؛ ولئن كان نبى الله موسى قد طلبها ، إلاّ أن رسول الله ﷺ قد طُلِبَ إليها ؛ تكريماً له ، وإعلاءً لمنزلته .

---

(١) الأعراف : ١٤٣ . (٢) الأعراف : ١٤٣ .

ومِنْ ثم ؛ فإن مـا ذهب إليه الشنقيـطى من أن المقصود فى قـول الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ الآيتان[1] هو جبريل على التحقيق لا الله عزّ وجلّ ؛ مردود بما بعده فى قول الله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ الآية[2] فهل يكون محمد ﷺ عبداً لجبريل أم لله عزّ وجلّ ؟! ثم مَنْ الذى يُـوحِى إلى محمد ﷺ جبريل أم ربه عزّ وجلّ ؟!!

ثم لما كان جبـريل يحمل دوماً أمانة السمـاء إلى الأرض ؛ حيث يتلقى الوحى من ربه عزّ وجلّ إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لذا فلم يكن فى رؤيته لربه مسوغ لتكذيبه فى ذلك ، أما رؤية محمد ﷺ لربه فهى مُعَرَّضَة لذلك التكذيب من قِبَل الممترين الضالّين ؛ ومِنْ ثم يدرأ ربـه عنه ذلك بما بعد ذلك من الآيات فى ذات سورة الـنجم بقوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ الآيتان[3] وهل لجبريل فؤاد وهو المَلَك مثل الذى لمحمد ﷺ وهو البـشر ؟!! ثم إن هذه الرؤية لتنتظم فى سائر ما رآه وعاينه ببصره وهو ما يشهده له قول الله تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ الآية[4] .

كما أن إقران الرؤية بالنظر فـى طلب موسى فى قول الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية[5] وكذا إقران الرؤية بآثار النظر وملزومه فى طلب إبراهيم فى قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ الآية[6] ليدلان على أن إقران الرؤية بالبصر فى أمر رسول الله ﷺ إنما كانت رؤيـة بعينيه وليست بغيرهمـا مما دون ذلك كما صرّح به قول الله تعالى : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ الآية[7] .

وأخيراً فقد أورد صاحب كتاب : (المفسِّرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات) أن ابن عباس وابن مسعود وعكرمة والحـسن وأبا هريرة وأحمد بن حنبل قد صرَّحوا بأن رسول الله ﷺ قد رأى ربه عزّ وجلّ بعينيه[8] .

---

(١) النجم : ٨-٩ (آيتان) .
(٢) النجم : ١٠ .
(٣) النجم : ١١ - ١٢ (آيتان) .
(٤) النجم : ١٧ .
(٥) الأعراف : ١٤٣ .
(٦) البقرة : ٢٦٠ .
(٧) النجم : ١٧ .
(٨) راجع تفصيل أقوالهم التى استدل بها المؤلف على الرؤية البصرية فى (المفسِّرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات) : محمد بن عبـد الرحمن المغراوى - (٤/١٢٧ - ١٢٨) - (مسألة إثبات الرؤية ضمن الرد على المفسِّرين الخَلَفِين) .

المسألة الثانية

المباحث الجدلية

القضيــة الشــرطية

ففــى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لــقول الله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية[1] نـراه يتناول القضيــة الشرطية فى هذه الآية الكريمة مبينًا نــوعيْــها المتمثلين فى :

- **الشرطيّة الــلزوميّة** : وهى التى يرتبط فيــها الشرط بالجزاء ؛ حيث يــكون أحدهما سببًا فى الآخر ، أو يكون أحدهما ملزومًا والثانى لازمًا له .

- **الشرطيّة الاتفاقيّة** : وهى التى لا ارتباط أصلاً بين طرفيْها ؛ ومن ثم فليس أحدهما سببًا فى الآخر ، وليس ملزومًا ولا لازمًا له .

وبناءً على هذا يحــدّد الشنقيطــى نوع القضــية الشــرطية فى هذه الآية الكريمة قــائلاً : والقضيــة الشرطية (اتفاقية) هنا ؛ حيــث إنّ قول الله تعالى : ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ سببه الحقيــقى غير مذكور معــه ، فليس هو قوله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ بل سببه هو إرادةُ اللهِ جلّ وعلا انتفاء اهتدائهم على وفق ما ســبق فى علمه أزلاً ؛ وذلك خلافًا لما ذهب إليه كل من الزمخشرى ، وأبى حيان رحمهما الله تعالى[2] .

• قولا الزمخشريّ وأبى حيّان :

وفيما يلى نَعْرِض لما ذهــب إليه الزمخشريّ وأبو حيَّان بشأن تلك القضــية الشرطية على النحو التالى :

١- قول الزمخشريّ ت (٥٣٨هـ = ١١٤٤م) :

ففى مَعْــرِض تفسيره لقــول الله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية[3] يقول ما نصه : (فلن يهتدوا) أى فلا يكون منهم اهتداء ألبتة فكأنه مُحَالٌ منهم لشدة تصميمهم (أبداً) أى مدة التكليف كلها (إذاً) جزاء وجوب ؛ فَدَلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول ﷺ بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجوب الاهتداء سبباً فى انتفائه ،

---

(١) الكهف : ٥٧ . (٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/١٤٨ – ١٤٩ .

(٣) الكهف : ٥٧ .

وعلى أنه جواب للرسول ﷺ على تقدير قوله : «ما لى لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟» فقيل : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا﴾ الآية[1] .

٢- قول أبى حيان ت (٧٤٥هـ = ١٣٤٤م) :

ففى مَعْرِض تفسيره أيضاً لقول الله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية[2] يقول ما نصه : أخبر الله تعالى أن هؤلاء لا يهتدون أبداً ، وهى من العام الذى يُرَادُ به الخصوص ، وهو مَنْ طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر إذ قد اهتدى كثير من الكفرة وآمنوا ، ويحتمل أن يكون ذلك حكماً على الجميع أى (وإن تدعهم إلى الهدى جميعاً ؛ فلن يهتدوا جميعاً أبداً) فحمل أولاً على لفظ (مَنْ) فأفرد ، ثم حمل على المعنى فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية[3] فجمع ، وقد جعلوا دعوة الرسول ﷺ إلى الهدى (وهى التى تكون سبباً لوجود الاهتداء) جعلوها سبباً لانتفاء هدايتهم ، وهذا الشرط كأنه جواب للرسول ﷺ عن تقدير قوله : «ما لى لا أدعوهم إلى الهدى» حرصاً منه ﷺ على حصول إيمانهم ؛ فقيل : «وإن تدعهم» وتقييده بالأبدية مبالغة فى انتفاء هدايتهم[4] .

• رأى البحث :

والحق أننا نوافق الشنقيطى فيما ذهب إليه بشأن حكمه على القضية الشرطية فى قول الله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الآية[5] بأنها (شرطية اتفاقية) وليست (شرطية لزومية) لأن سبب عدم هدايتهم هنا ليس دعوة رسول الله ﷺ لهم للدخول فى الإسلام ، وإنما سبب ذلك هو إرادة الله تعالى السابقة فى علمه الأزلىّ بعدم اهتدائهم لدعوة رسول الله ﷺ ومِنْ ثم عدم دخولهم فى الإسلام .

وبهذا يخالف الشنقيطى كلاً من الزمخشرىّ وأبى حيَّان اللذين يحكمان على القضية

---

(١) الكهف : ٥٧ - وانظر (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) : لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى - ٢/ ٦٨١ - الطبعة ١ - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

(٢) الكهف : ٥٧ . (٣) الكهف : ٥٧ .

(٤) انظر (البحر المحيط) : لأبى حيَّان الأندلسىّ - ٦/ ١٣٢ - دراسة وتحقيق وتعليق : (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ على محمد عوض) وشارك فى تحقيقه : (د. زكريا النونى - د. أحمد النجولى) وقرظه : د. عبد الحى الفرماوى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

(٥) الكهف : ٥٧ .

الشرطية بأنها (شرطية لزومية) وليست (شرطية اتفاقية) حيث يريان أن دعوة رسول الله ﷺ للكفار إلى الهدى هى السبب فى عدم اهتدائهم بل وإصرارهم الأبدى على عدم الدخول فى هذا الدين ومعاداة أنصاره ؛ غير أن هذا الذى ذهب إليه الزمخشرىّ وأبو حيَّان مردود من وجهين :

١- الوجه الأول :

لإسناد انتفاء اهتدائهم إلى إرادة الله عزّ وجلّ وليس إلى دعوة رسول الله ﷺ لهم إلى الهدى ؛ وهذا ما تنطق به ذات الآية فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الآية[١] فلما علم الله تعالى فى الأزل ما سيكون من إعراضهم وما ستقدمه أيديهم بظلمهم ؛ لذا فقد ختم سبحانه على قلوبهم وأسماعهم ، فكان ذلك سبباً فى عدم اهتدائهم على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم ، وهذا المعنى قد دلت عليه غير ما آية فى القرآن العظيم كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآيتان[٢] وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الآيات[٣] إلى غير ذلك من الآيات التى تثبت انتفاء اهتدائهم وفقاً لإرادة الله تعالى على ما سبق فى علمه الأزلى ؛ فسبحانه جلّ شأنه حيث قال وقوله الحق : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية[٤] .

٢- الوجه الثانى :

لقرينه الحال التى يشهد بها واقع الدعوة إلى هذا الدين الحنيف ؛ حيث لم يلبث رسول الله ﷺ أن صَدَعَ بالدعوة امتثالاً لأمر ربه سبحانه فى غير ما آية من آيات القرآن العظيم كقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ الآيتان[٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ الآية[٦] وقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية[٧] حتى أسلم الكثيرون من أهله وعشيرته من قريش خاصة ، فضلاً

---

(١) الكهف : ٥٧ .
(٢) البقرة : ٦-٧ (آيتان) .
(٣) يسٓ : ٧ - ١٠ (اربع آيات) .
(٤) التكوير : ٢٩ .
(٥) المدثر : ١-٢ (آيتان) .
(٦) الشعراء : ٢١٤ .
(٧) النحل : ١٢٥ .

عن غيرهـم من صناديد الكفر وأئمته فى مكة عـامة ؛ بل حَسُنَ إسلامـهم وكان منهم جِلَّة الصحابة وعلماؤهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ثم أخذ أنصـار الإسلام وأتباعـه يزدادون يوماً بعد يـوم فى سائر أنحاء جـزيرة العرب وغيرها من أرض الله تعـالى مع ثبات رسول الله ﷺ والذين آمنوا معه واسـتمرارهم فى القيام بأمـر الله والدعوة إلى دينه ؛ ولا يزالون كذلك حتى أتم الله عليهم النعـمة ، وأسبغ لهم المِنَّة ، بالفتح العظيم ، والنصر المـبين ، فقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ الآيات[1] .

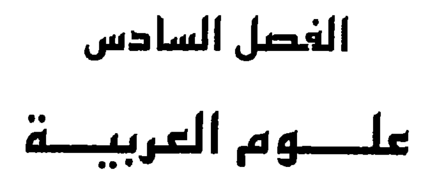
وهكذا فـلم تكن دعـوة رسـول الله ﷺ لأهل الكفر إلى الهُـدَى سـبباً فـى انتفـاء هدايتهم ؛ وذلك بدليل إسلام مالا يُعَدُّ لا يُحْصَى من خاصتهم وعامتهم ، إذ لو كانت هذه الدعوة سبباً فى انتفاء هدايتهم لما كان أسلم مَنْ أسلم ، ولما كان اهتدى مَنْ اهتدى ، بل ولما كان الإسلام ذاته قد وصل إلينا عـصراً بعد عصر ، ومن مصـر إلى مصر ، وسيظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

وبهذا يتأكـد لدينا أن عدم اهتداء هؤلاء إنما مَرَدُّهُ أولاً وآخـراً إلى إرادة الله تعالى الذى سبق فى علمه الأزلىّ ما سيكونون عليه من الضلال وتَنَكُّبِ الصراط ؛ وعليه فإنه تبرأ ساحة رسول الله ﷺ من أن تكون دعوته إياهم سبباً فى انتفاء هدايتهم ، بل إن الأمر كله راجع إلى مشيئـة الله تعالى وإرادته ، وقد نطق القرآن بهذا المعنى فى أكثـر من آية من آياته كقوله الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الآية[5] وقوله تعالى : ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ الآية[6] وقوله تـعالى : ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ الآية[7] وأخيراً قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية[8] .

* * *

(1) النصر : ١-٣ (ثلاث آيات هى السورة بأكملها) .
(2) الأنعام : ٣٥ . (3) الأنعام : ١٠٧ . (4) الأنعام : ١٤٩ .
(5) النحل : ٩ . (6) الأعراف : ٣٠ . (7) النحل : ٣٦ .
(8) الشورى : ٨ .

وبعــد : فإنه يتـضح لنا مما سبق كيف أن الـشنقيطى يعتـمد (علم الكلام) كمـوضوع أساســىّ يُصَنِّفُ الآية تحتـه ، بل ويُوَجِّهُ مـعناها على هَدْيِه ، وذلك مــن خـلال تقعـيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العلمى .



وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢ - المبحث الثانـى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظري

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : أصول علوم العربية :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : قواعد اللغة .

ب - المسألة الثانية : فقه اللغة .

جـ - المسألة الثالثة : أدب اللغة .

٢ - المطلب الثاني : تصنيف علوم العربية :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولى : التوطئة والتمهيد .

ب - المسألة الثانية : الاستقصاء والتفصيل .

جـ - المسألة الثالثة : الخلاصة والتعقيب .

ونعنى به موقف الشنقيطـى من (علوم العربية) كقاعدة نظرية ، ومـوضوع أساسىّ ، يُصَنَّفُ تحته بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

أصول علوم العربية

يترتب تصنيف الشنقيطى لعلوم العـربية ومسائلها العديدة فى ثنايا تفسـيره المختلفة على موقفه من أصول هذه اللغة التى أُسِّسَتْ عليها وقامت بها ، وهذا ما يتضح لنا بصورة جليّة من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

قواعـــد اللغــة

وتدور هذه القواعد عند الشنقيطى على محورين رئيسين يتمثلان فى كل من :

المحور الأول (علم النحو) : ويتنازعه بدوره فرعان هما (القواعد) و (الإعراب) .

المحور الثانى (علم الصرّف) : ويتنازعه أيضًا فرعان هما (الاشتقاق) و (الوزن) .

المسألة الثانية

فقـــه اللغـــة

ويدور هذا الفقه عند الشنقيطى على محورين رئيسين يتمثلان كذلك فى كل من :

المحور الأول : المعاجم .

المحور الثانى : الضـبط .

المسألة الثالثة

أدب اللغــــة

ويدور هذا الأدب عند الشنقيطى على محورين رئيسيين يتمثلان أيضًا فى كل من :

المحور الأول (البلاغة) : ويتنازعها بدورها فرعان هما (المباحث) و (الأساليب) .

المحور الثانى (الشِّعْر) : ويتنازعه أيضًا جانبان هما (النماذج) و (الاحتجاج) .

وإلى جملة هذه الأصول التى بُنِيَتْ عـليها علوم العربية من (قواعـد وفقه وأدب)

يشير الشنقيطى فى (مقدّمة تفسيره) على وجه العموم قائلاً : وقد تضمّن هذا الكتاب تحقيق بعض المسائل اللغوية ، وما يُحتَاج إليه من صرف وإعراب ، مع الاستشهاد بشعر العرب فى مواضعه المختلفة من التفسير[1] .

المطلب الثانى

تصنيف علوم العربية

يتميز تصنيف الشنقيطى لعلوم العربية التى يَعْرِض لها فى ثنايا تفسيره المختلفة بثلاث خصائص ثابتة لا تكاد تتغير سواء فى تناوله للمتّفَق عليها منها ، أو الأخرى المُختَلَف فيها ، وتتمثل هذه الخصائص التصنيفية الثلاث من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

التوطئة والتمهيد

حيث يُوَطِّىءُ الشنقيطى بين يدىْ ما يَعْرِض له من علوم العربية بتسمية بابها وتحديد موضوعها ؛ وذلك تمهيدًا لتناولها على نحو مفصّل ، وهذا مما لا يكاد يتخلف عنه فى سائر ما يَعْرِض له من هذه العلوم التى يُصنِّفُ من خلالها موضوع هذه الآية أو تلك ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

المسألة الثانية

الاستقصاء والتفصيل

وحالما يفرغ الشنقيطى من توطئته للعلم الذى يَعْرِض له تمهيدًا لتناوله ؛ فإنه يَعْمَد عندئذ إلى استقصاء أقوال علماء العربية بشأنه ، وتفصيل أدلتهم فيه ، هذا فضلاً عن مناقشة تلك الأقوال والرّدّ عليها كما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

المسألة الثالثة

الخلاصة والتعقيب

بعد أن يفرغ الشنقيطىّ من استقصاء ما يَعْرِض له من علوم العربية ، وبعد أن يفصّل

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١/٦٨ (من المقدّمة) .

القول فيهـا؛ فإنه يَعْمَد دومًا إلى ذكر خلاصة مـا تحصّل عنده من أقوال العلماء وآرائهم إزاء هذا العلم أو ذاك ، وفى النهاية يختم كـلامه بذكر تعقيب على تلك الخـلاصة يضمّنه بعض الأمور التى تَزِيدُها شرحًا وإيضاحًا ، كما سنرى ذلك فى تطبيقه العَمَلىّ بعد قليل .

* * *

وبعــد : فإن مـا ذهب إليه الشنقيطى هنا هو مـا يبدو مترجـمًا بصورة فعليّـة من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

المبحث الثانى

التطبيــق العَملــىّ

وينتظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (أصول العربية) :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولــى : تطبيق قواعد اللغة .

ب - المسألة الثانية : تطبيق فقــه اللغة .

جـ - المسألة الثالثة : تطبيق أدب اللغة .

٢ - المطلب الثانــى : تطبيق القاعدة الثانية (تصنيف العربية) :

ويعالج المسائل الثلاث التالية :

أ - المسألة الأولــى : تطبيـــق التوطـئة والتمهيد .

ب - المسألة الثانية : تطبيق الاستقصاء والتفصيل .

جـ - المسألة الثالثة : تطبيـــق الخلاصة والتعقيب .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علوم العربية) حيث يجسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلى التى تُعَدُّ تطبيقًا على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهًا بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

أصول علوم العربية

ويتمثل تطبيق الشنقيطى على ذلك من خلال تناوله لكل من (قواعد اللغة) ثم (فقه اللغة) وأخيرًا (أدب اللغة) وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تطبيق قواعد اللغة

وقد عَرَضَ لها الشنقيطى من خلال محوريْها الرئيسين المتمثلين فى كل من :

- **علم النحو:**

ويتوزع تناول الشنقيطى لمسائل علم النحو وقضاياه المختلفة من خلال فرعيْه المتمثلْين فى كل من :

١ - القواعد:

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ الآية[1] نراه يوافق ما أجمع عليه جمهور النحاة من أن (لاتَ) إنما تعمل عمل (ليس) وذلك فى (الحين) خاصة ، أو فى لفظ الحين ونحوه من الأزمنة عامة مثل (الساعة والأوان) كما أنه لابد أن يُحْذَفَ اسمها أو خبرها ، وفى ذلك يقول ما نصه :

وقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ معناه : ليس الحينُ الذى نادوا فيه (وهو وقت معاينة العذاب) حينَ مناص (أى ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذى عاينوه) فقوله تعالى : ﴿وَلَاتَ﴾ عبارة عن (لا) وهى لا النافية ، ثم (تَ)

(١) ص : ٣ .

وهى تاء التأنيث اللفظية التى زيدت هنا فى (لا) فقيل : (لاتْ) كما زيدت فى (ثمّ) فقيل : (ثُمَّتْ) وفى (رُبّ) فقيل : (رُبَّتْ) .

وأشهر أقوال النحويين فيها أنها تعمل عمل (ليس) وأنها لا تعمل إلا فى (الحين) خاصة ، أو فى لفظ الحين ونحوه من الأزمنة مثل (الساعة والأوان) كما أنها لابد أن يُحْذَف اسمها أو خبرها ، والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب ، وربما عُكِسَ كما قال سيبويه ، وإليه أشار ابن مالك فى (الخلاصة) بقوله :

فى النكِـرَاتِ أُعْمِلَتْ كَلَيْسَ (لاَ) وقـد تَلِى (لاتَ) و (إنْ) ذا العَمَـلاَ

وَمَا لـ (لاتَ) فى سِوَى (حِينٍ) عَمَل وحَذْفُ ذى الرّفع فَشَا والعَكْسُ قَلّ

ثم اعلم أن أصوب الأقوال فى (لاتْ) أن التاء منفصلة عن (حين) وأنها تعمل عمل (لَيْس) وذلك خلافًا لِمَنْ قال : إنها تعمل عمل (إنَّ) ولِمَنْ قال : إن التاء متصلة بحين وأنه رآها فى مصحف الإمام (وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ) متصلة بها[1] .

٢ - الإعراب :

أكثر الشنقيطى من إعرابه للعديد من الآى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، غير أنه لا يَعْمَد إلى ذلك إلاّ حينما تتنازع هذه الآية أو تلك عدة وجوه إعرابية ؛ ومن ثم يلج باب إعرابها ليبيّن ما اتفق عليه جمهور النحاة بشأنها .

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية[2] نراه يتناول وجهىْ إعراب كلمة (مِلّة) المتمثلين فى النصب على نزع الخافض أو النصب على محذوف قبلها ، مرجحًا الوجه الثانى منهما ، وفى ذلك يقول ما نصه :

قال بعضهم : هو منصوب بنزع الخافض ومال إليه ابن جرير الطبرىّ أى (ما جعل عليكم فى دينكم من ضيق كملّة أبيكم إبراهيم) وأعربه بعضهم منصوبًا بمحذوف أى (الزموا مِلَّة أبيكم) ولا يبعد أن يكون قوله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ شاملاً لما ذُكِرَ قبله من الأوامر فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ١٧/٧ - ١٨ .

● وانظر نص وشرح هذه الأبيات فى (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٣٠١/١ (فصل فى : ما ولا ولات وإنْ المُشَبَّهَاتِ بِلَيْسَ) - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

(٢) الحج : ٧٨ .

وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآيتان[١] ويوضح هذا قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية[٢] والدين القيم الذى هو مِلَّةُ إبراهيمَ شامل لما ذُكِرَ كله[٣] .

- **علم الصَّرْف :**

ويتوزع تناول الشنقيطى لمسائل علم الصَّرْف وقضاياه من خلال فرعيْه المتمثلَيْن فى كل من :

١ - الاشتقاق :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية[٤] نراه يتناول الوضع الصرفى لكلمة (تَبَارَكَ) من حيث الجمود والاشتقاق موضحًا أنه فعل جامد لا يتصرّف ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

اعلم أن قول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل جامد لا يتصرّف ؛ فلا يأتى منه (مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل) ولا غير ذلك ، كما أنه مما يختص به الله تعالى ؛ فلا يقال لغيره : (تَبَارَكَ) وذلك خلافًا للأصمعى[٥] .

٢ - الوزن :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ الآية[٦] نراه يتناول الوزن الصرفى لكلمة (جَهَنَّم) مرجحًا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن (النون المشددة) زائدة ، وأن أصلها (جَهَم) ومن ثم فإن وزنها الصرفى هو (فَعَنَّل) وفى ذلك يقول ما نصّه :

اختلف العلماء فى وزن (جَهَنَّم) بالميزان الصرفى ، فذهب بعض علماء العربية إلى أن وزنها (فَعَنَّل) فالنون المضعفة زائدة ، وأصل المادة : الجيم والهاء والميم من (جَهَمَ) بمعنى (عَبَسَ وجهه) لأنها تلقاهم بوجه متجهم عَابِس ، كما أن وجوههم تعبس فيها لما يلاقون من ألم العذاب .

(١) الحجّ : ٧٧ - ٧٨ (آيتان) .
(٢) الأنعام : ١٦١ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/٧٤٩ - ٧٥٠ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٢٦٣ .
(٦) التوبة : ٨١ .

ومن ذلك قول مسلم بن الوليد الأنصاريّ :

شكَــوْتُ إليهــا حُبَّهَا فَتَبَسَّمَــتْ ... ولَــمْ أرَ شَمْسَــاً قبلَهــا تَتَبَسَّــمُ

فقلـتُ لها : جُـودى فَأَبْدَتْ تَجَهُّمَا ... لِتقتلَنِــى يا حُسْنَــهَا إذْ تَجَهَّـــمُ

وتقول العرب : (جَـهَمَهُ) إذا استقبله بوجـه كريه مجتمع ، ومن ذلك قـول عمرو بن الفضفاض الجهنى :

ولا تَجْهمينَــا أُمَّ عَمْــرو فإنمــا ... بنا دَاءُ ظَبْــيٍ لم تَخُنْــهُ عَوَامِلُــه

كما قال بعض العلمـاء : (جَهَنَّم) فارسية معربة وأصلهـا : (كَهَنَام) وتعنى بلسانهم (النار) ثم عرّبته العرب فـأبدلوا الكاف جيما[1] فصارت (جَهَنَام) ثـم شددوا النون وحذفوا الألف فصارت (جَهَنَّم) .

المسألة الثانية

تطبيــق فقــه اللغــة

وقد عَرَضَ له الشنقيطى من خلال محوريْه الرئيسين المتمثلين فى كل من :

• المعاجـم :

حيث يَعْرِض الشنقيطى لأصل المعنى الموضـوع لبعض مفردات الآية التى هو بصددها ، ومبينًا فى نفس الوقت ما لها من معان أخرى فى استعمالاتها المختلفة ، ومن ذلك ما صنعه إزاء ذكره للمعنى المعجمى لكل من (أُمَّة) و (عَائلة) و (شُعُوب) كما يلى :

١ - كلمة (أمة) :

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ الآية[2] نراه يتناول المعانى المعـجميّة الأربعة التى وردت عليـها كلمة (أُمَّةٍ) فى القرآن الكريم فيقول ما نصّه : استعمل لفظ (أُمَّةٍ) فى القرآن الكريم أربعة استعمالات تشمل كلا من :

الأول : هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة بمعنى (البُرْهَة من الزمن) .

الثانى : استعمالهـا بمعنى (الجماعة من الناس) وهو الاستعمال الـغالب لها كقول الله تعالى : ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ الآية[5] إلى غير ذلك من الآيات .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٧٢ - ٤٧٣ . (٢) هود : ٨ .
(٣) القصص : ٢٣ . (٤) يونس : ٤٧ . (٥) البقرة : ٢١٣ .

الثالث : استعمالها بمعنى (الرجل المُقتَدَى به) كقول الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ الآية[1].

الرابع: استعمالها بمعنى (الشريعة والطريقة) كقول الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ الآية[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية[3] إلى غير ذلك من الآيات[4] .

٢ - كلمة (عائلة) :

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)﴾ الآيات[5] نراه يتناول المعانى المعجميّة الإحدى عشرةَ التى عليها (عـائلة الرجل) بمناسبة ذكر كلمة (عَـقِبِهِ) فى هذه الآية الكريمة ، وفى ذلك يقول مـا نصّه : والألفـاظ التى يتكلم عليهـا العلماء فى هذا المبـحث هى أحدَ عـشرَ لفظًا تشمل كلاً من :

(الذريّة والبنين والعَـقِب والوَلَد والنسل) وأن أربعة منها يدل ظاهر الـقرآن على أنها يدخل فيها أولاد البنات ، وواحد بخلاف ذلك وهو (الوَلَد) .

وأما السِّتة الباقية منها فهى : (الآل والأهل) ومعناهما واحد ، ثم (القرابة والعشيرة والقوم والموالى) وكلام العلماء مضطرب فيها .

وبعد ذلك يذهب الشنقيطى إلـى الاستشهاد لمعنى كل من (القرابة والعـشيرة) بما ورد بشأنهـما فى كتاب الله تعـالى وسُنة رسوله ﷺ ومشـيرًا إلى أنه لم يحضـره شىء بشأن تحديد مـا يدخل فى كل من هذه الألفـاظ الإحدى عشـرةَ وما يخـرج عنها إلاّ على سـبيل التقريب سوى لفظين منها وهما (القرابة والعشيرة) ثم يختم ذلك كله بقوله :

ولم نُطِلْ الكلام هنا فى جـميع هذه الألفاظ المذكـورة التى هى أحدَ عشـرَ لفظًا خوف الإطالة ؛ ولأننا لم نجد نصوصًا من الوحى تحدّد شيئًا منها تحديدًا دقيقًا[6] .

٣ - كلمة (شُعُـوب) :

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الآية[7] نراه يتناول طبقـات العرب السِّت من خلال تناوله لمعنى (شعـوبًا وقبائل) فى هذه

---

(١) النحل : ١٢٠ . (٢) الزخرف : ٢٢ . (٣) الأنبياء : ٩٢ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ١٣ - ١٤ . (٥) الزخرف : ٢٨ - ٣٠ (ثلاث آيات) .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٢٣٠ - ٢٤١ . (٧) الحجرات : ١٣ .

الآية الكريمة ، وفى ذلك يقول مـا نصّه : والشعوب جمع شَـعْب : وهو الطبقة الأولى من الطبقات السِّت التى عليها العرب وهى :

(الشَّعْب والقـبيلة والعِمَـارة والبطن والفخذ والفـصيلة) فالشعب يجمع (القبائل) ، والقبيلة تجمع (العمائر) ، والعمارة تجمع (البطون) ، والبطن يجمع (الأفخاذ) ، والفخذ يجمع (الفصائل) وأمثال هذه الطبقات فى العـرب هى : (خزيمة) شعب - (كنانة) قبيلة - (قريش) عمارة - (قُصَىّ) بطن - (هاشم) فخذ - (العباس) فصيلة .

وسميت (الشعـوب) لأن القبائل تتشعب منها ، كمـا لم يُذْكَر من هذه الطبقات السِّت فى القرآن الكريم إلاّ ثلاث منها اثنتان فى هذه الآية الكريمة وهما (الشعوب والقبائل) والثالثة وهى (الفصيلة) فى قول الله تعالى : ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ الآية[1] .

ثم اعلم أن العرب قد تطلق بعض هذه الـطبقات السِّت على بعض ، ومن ذلك إطلاق (البطن) على (القبيلة) فى قول الشاعر :

وإنّ (كِـلابًا) هـذه عَشْـرُ أَبْطُنٍ ... وأنتَ بَرِىءٌ من قبائِلِهَا العَشْرِ[2]

- **الضبط :**

لا يفتأ الشنقيطـى أنْ يُنَبِّه إلى الضبط الصحيح لما يَعْرِض له من المفـردات والأعلام مبينًا حقيقة ما نطقت به العرب منها ، وكـاشفًا عن مرادها بها ، ومن ذلك ما صنعه إزاء كلمتىْ (النَّات وأَكْيَات) ثم اسم (حِمَاس) على النحو التالى :

١ - كلمتا (النّات) و (أكيات) :

ففى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ الآية[3] نراه يتناول هاتين الكلمتين بالضـبط الصحيح مبـينًا حقيقـة نطـق العـرب بهما ومقـصودهـا منهما ، وفى ذلك يقول ما نصه:

يَرُدُّ الله تعالــى فـى هذه الآية الكريمة علـى الـعرب التى كانت تعتقـد أنها كانت تزوج الجـن وتباضـعها ؛ حـتى روى أن عمرو بـــن يربوع بـن حنظلة بن مالك تـزوج سِـعْلاَةَ

(١) المعارج : ١٣ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٦٣٤ - ٦٣٦ .
(٣) النحل : ٧٢ .

منهم[1] وكان يخبؤها عن سنا البرق لئلا تراه فتنفر منه ، فلما كان فى بعض الليالى لمع البرق وعاينته السِّعْلاَة ؛ فقالت : (عمرو !!) ونفرت منه فلم يرها أبداً ، ولذا قال علباء بن أرقم يهجو أولاد عمرو المذكور :

أَلاَ لَحَى الله بنى السِّعْلاَة عمرو بن يربوع لِئَام النَّات

ليسوا بأعفاف ولا أَكْيَات

وقوله : (النَّات) أصله (النَّاس) حيث أُبْدِلَتْ فيه السين تاءً ، وكذلك قوله : (أكيَات) أصله (أكيَاس) جمع (كيِّس) حيث أُبْدِلَتْ فيه السين تاءً أيضاً[2] .

٢ - اسم (حِمَاس) :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[3] نراه يثبت أخذ زكاة عُرُوض التجارة عن عمر بن الخطاب ﷺ دون أن يخالفه فى ذلك أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومعتضداً له بالحديث الوارد عن (حِمَاس) المقصود قائلاً ما نصّه :

ويعتضِد لهذا بما ثبت عن أبى عمرو بن حِمَاس ، أن أباه حِمَاساً قال : (مررت على عمر بن الخطاب ﷺ) إلى آخر الأثر[4] .

وبعد أن يفرغ الشنقيطى من ذكر هذا الأثر بطرقه المختلفة ، ورواياته المتعددة ؛ يَعْمَد عندئذ إلى ضبط اسم (حِمَاس) قائلاً : و (حِمَاس) بكسر الحاء وتخفيف الميم وآخره سين مُهْمَلَة[5] .

المسألة الثالثة

تطبيق أدب اللغة

وقد عرض له الشنقيطى من خلال محوريْه الرئيسين المتمثلين فى كل من :

---

(١) السِّعْلاَة والسِّعْلَى : أى الغُول ، وقيل : هى ساحرة الجِنّ ، ومنه قولهم : (اسْتَسْعَلَت المرأةُ) إذا صارت كالسِّعْلاَة خبثًا وسَلاَطة ، أو يقال للمرأة الصَّخَّابَة البَذِيَّة ، أو قبيحة الوجه سيئة الخلق ، والجمع (سَعَالى وسَعَال وسِعْليَات) - انظر مادة (سَعَلَ) فى لسان العرب : ٢٠١٨/٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٣١٧/٣ - ٣١٨ .

(٣) التوبة : ٣٤ .

(٤) راجع تفصيل هذا الأثر ص من هذا البحث .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤٦٠/٢ .

• **البلاغة :**

ويتنازعها فى تفسير الشنقيطى فرعان يتمثلان فى كل من (المباحث) و (الأساليب) على النحو التالى :

١ - المباحث :

ففى معرض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الآية[١] نراه يتناول المبحث المعروف عند البلاغيين بـ (التشبيه المقلوب) حيث يذكر أقوالهم فيه مع أدلته المعتبرة من القرآن الكريم ذاته ، ومن كلام العرب وأشعارهم ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

قال بعض العلماء : (فى الكلام قَلْب) وهو مروى عن ابن عباس ﷺ وغيره ، حيث قالوا : والمعنى (ويوم تُعْرَضُ النار على الذين كفروا قالوا) وهو كقول العرب : (عرضت الناقة على الحوض) يعنون : (عرضت الحوض على الناقة) ويدل لهذا قول الله تعالى : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ الآية[٢] .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : هذا النوع الذى ذكروه من القلب فى الآية كقلب الفاعل (مفعولاً) والمفعول (فاعلاً) ونحو ذلك ، وقد اختلف فيه علماء العربية فمنعه البلاغيون إلاّ فى (التشبيه) حيث أجازوا قلب (المشبه) مشبهًا به ، وقلب (المشبه به) مشبهًا بشرط أن يتضمن ذلك نكتة أو سراً لطيفًا كما هو المعروف عندهم فى مبحث (التشبيه المقلوب) وقد أجازه كثير من علماء العربية .

والذى يظهر لنا أنه أسلوب عربى نطقت به العرب فى لغتها ، إلا أنه (يُحْفَظُ ما سُمِعَ منه ولا يُقَاسُ عليه) ومن أمثلته فى (التشبيه) قول الراجز :

ومَنْهَلٌ مُغَبَّرَةٌ أَرْجَاؤُهُ   كأنَّ لونَ أرضِه سَمَاؤُهُ

أى : كأن سماءه لون أرضه .

ومنه كذلك قول الآخر :

وبَدَا الصباحُ كأنّ غُرّتَهُ   وجهُ الخليفة حينَ يُمْتَدَحُ

---

(١) الأحقاف : ٢٠ .

(٢) الكهف : ١٠٠ .

لأن أصل المراد : تشبيه وجه الخليفة بغرّة الصباح ؛ فَقَلَبَ التشبيه ليوهم أن الفرع أقوى من الأصل فى وجه التشبيه .

كما قالوا : ومن أمثلته فى القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ الآية[1] لأن العُصْبَة من الرجال هى التى تنوء بالمفاتيح أى تنهض بها بمشقة وجُهْد لكثرتها وثقلها ، ومنه كذلك قول الله تعالى : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ الآية[2] أى : عموا عنها ، ومن أمثلته فى كلام العرب قول كعب بن زهير :

كـأنّ أوبَ ذراعيْهـا إذا عَـرِقَتْ وقـد تَـلَفَّعَ بالقَـوْرِ العَسَـاقِـيلُ

لأن معنى قوله: (تَلَفَّعَ) أى لبس اللفاع وهو اللحاف، و (القَوْر) أى الحجارة العظام، و (العَسَاقيل) أى السراب ، والكلام هنا مقلوب ؛ لأن (القَوْر) هى التى تلتحف بـ (العَسَاقِيل) لا العكس ، وهذا ما أوضحه لبيد بن ربيعة العامرىّ فى معلقته بقوله :

فبتلكَ إذا رَقَصَ اللوامعُ بالضُّحَى واجتـابَ أرديةَ السَّـرَابِ إكامُـهَا

فصـرّح بأن (الإِكَام) التـى هى الحجارة قـد (اجتـابت) أى لَبِسَتْ أردية السَّرَاب ، و (الأردية) جمع رداء ، وهذا النوع من القلب وإنْ أجازه بعـضهم إلاّ أنه لا ينبغى حَمْلُ الآية عليه ؛ لأنه خلاف الظاهر ، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه ، وظاهر هذه الآية جَارٍ على الأسلوب العربى الفصيح[3].

هذا إلى غـير ذلك من المباحـث البلاغيـة التى عرض لهـا الشنقيطى فـى ثنايا تفسـيره المختلفة مثل : (مبحث القَصْر) و (مبحث المشاكلة) و (مبحث الاستعارة)[4] .

٢ - الأساليب :

ففي مَعْرِض تفسير الشنقيطي لقول الله تعالي : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④﴾ الآيات[5] نراه يتناول أسلوب (إطلاق المفرد الذى يـراد به الجمع) كمـا أُطْلِقَ (النجم) فى هذه الآية الكريمة وهو (مفرد) فى حين أريد به (النجوم) وهى (جمع) وفى ذلك يقول ما نصّه :

قيل : المراد بالنجم أى (نجوم السماء) وعليه فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع كقول الله

(١) القصص : ٧٦ . (٢) القصص : ٦٦ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٤) راجع تفصـيل هذه المباحث البـلاغية على التـرتيب فى (أضواء البـيان) : ١/ ١٠٣ - ٣/ ٣٨٨ - ٦/ ٤٥٢ .

(٥) النجم : ١ - ٤ (أربع آيات) .

تعالى : ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ الآية[1] يعنى(الأدبار) وقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الآية[2] يعنى (الملائكة) وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية[3] يعنى (الغُرَف) ، وقد قدمنا أمثلة كثيرة لهذا فى القرآن الكريم فى سورة الحج عند الكلام على قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ الآية[4] .

كما أن إطلاق (النجم) ويراد به (النجوم) معروف فى لغة العرب ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

ثم قالوا : تُحِبُّهَا قلت : بُهْراً عددَ النجمِ والحَصَى والترابِ[5]

وكذلك قول الراعى :

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النجمَ فى مُسْتَحِيرَة سَرِيعٌ بأيدى الآكلين جُمُودُهَا[6]

هذا إلى غير ذلك من الأساليب البلاغية الأخرى التى عَرَضَ لها الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة مثل : (صيغة افْعَلْ فى فعل الأمر التى تأتى للتهديد كما هو مقرر فى فن المعانى) وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية[7] .

• الشعر :

ويتنازعه فى تفسير الشنقيطى جانبان يتمثلان فى كل من (النماذج) و (الاحتجاج) على النحو التالى :

١ - النماذج :

شملت شواهد الشنقيطى الشعرية فى تفسيره مختلف أغراض الشعر وعصوره بدءً من العصر الجاهلى ومروراً بالعصر الإسلامى وانتهاءً بالعصر الحديث ، كما لم تقتصر هذه النماذج على الشعراء من الرجال ، بل امتدت إلى الشواعر من النساء ، وقد شملت أيضًا شعراء الشناقطة من أهل بلاده إلى جانب غيرهم ، وفيما يلى نكتفى ببعض هذه النماذج تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

(١) القمر : ٤٥ . (٢) الفجر : ٢٢ .
(٣) الفرقان : ٧٥ . (٤) الحج : ٥ .
(٥) البُهْر : تَتَابُع النَّفَس - انظر مادة (بَهَر) فى مختار الصحاح : ص ٦٧ - والمعنى : أنه يحبها بشدة إلى درجة تَتَابُع أنفاسه وتَلاحُقها بسبب لهفته عليها واشتياقه إليها .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٩٩/٧ .
(٧) الحِجْر : ٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١١٧/٣ .

• **من الشعر الجاهلىّ:**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ الآية[1] نراه يتناول معنـى (المقوين) مستشهداً عـليه بقول الشـاعر الجاهلى عنتـرة بن شدّاد العَبْسىّ المُكَنَّى بـ (أبى المغلّس) فى معلقتـه ، حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصّه : وكل شىء خلا من الناس يقال له : (أَقْوَى) فالرجل إذا كان فى الخلا قيل له : (أقوى) والدار إذا خلت من أهلها قيل لها : (أَقْوَت) ومنه قول عنترة :

حُيِّيتَ مِـنْ طَلَلٍ تَـقَادَمَ عَهْـدُهُ   أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْـدَ أُمِّ الهيْثَمِ[2]

• **من الشعر الإسلامىّ:**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ الآية[3] نراه يتناول معنى (تَعاطَى) مستشهداً عليه بقول الشاعر الإسلامىّ الصّحابىّ الجليل حسّان بن ثابت الأنصارىّ ﷺ حيث يقـول الشنقيطى فى ذلك ما نصّه : والعـرب تقول : (تعاطى كذا) إذا (فعَلَه أو تَنَاوَلَه) كما تقول : (عاطاه) إذا (تناوله) ومنه قول حسّان ﷺ :

كِلْتَاهُمَا حَلَـبُ العَصِيرِ فَعَاطِنِى   بِزُجَاجَـةٍ أَرْخَاهُمَا للمِفْصَلِ[4]

• **من النساء الشّواعر:**

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ الآية[5] نراه يتناول معنى (العزة) مـستشهداً عليه بقـول الشاعرة الإسلامية الصـحابية الجليلة الخنسـاء ﷺ فيـقـول فى ذلك مـا نصّه : والظاهر أن وجـه إطلاق العـزة على (الحَـمِيَّـة والاستكبار) أن مَنْ اتصف بذلك كـأنه ينزل نفسه منزلة الغَالب القَـاهر وإنْ كان الأمر ليس كذلك ؛ لأن أصل العزة فى لغة العرب (الغلبـة والقهر) ومنه قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[6] والعرب يقولون : (مَنْ عَـزَّ بَزَّ) يعنون (مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ) ومنه قول الخنساء :

كأنْ لم يكـونوا حِمَـى يُخْتَشَى   إذِ الناسُ إذ ذَاكَ (مَنْ عَزَّبَزَّ)[7]

---

(١) الواقعة : ٧٣ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٩٦ .
(٣) القمر : ٢٩ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٢٣ .
• وانظر شرح البـيت المذكور فى (ديوان حسَّـان بن ثابت الأنصارىّ) : تصحـيح وشرح د. محمد عزت نصر الله ص١٨٤ – منشورات دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – (د. ت) .
(٥) صٓ : ٢ .
(٦) المنافقون : ٨ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ١٣ .

- **من شعراء الشناقطة :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ الآية[1] نراه يتناول عظَمَ كيد النساء مستشهدًا عليه بما ورد فى القرآن الكريم ذاته ، ثم بما أكدته سُنة رسول الله ﷺ ، وأخيرًا بما صاغه شعرًا الشاعر الشنقيطى الحسن بن أَبِه الحَسَنِىّ ، وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

هذه الآية الكريمة إذا ضُمَّتْ لها آية أخرى حَصَلَ بذلك بيان أن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، والآية المذكورة هى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ الآية[2] لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ يدل على أن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان .

قال القرطبىّ : قال مقاتل عن يحيى بن أبى كثير عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : «إنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان» لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وقال : ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ الحديث[3] .

وقال الأديب الحسن بن أَبِه الحَسَنِىّ الشنقيطىّ :

ما استعظمَ الإلهُ كيْدَهُنَّهْ … إلاّ لأنهنّ هُنَّ هُنَّهْ[4]

٢ - الاحتجاج :

يُوَظِّفُ الشنقيطى ما يسوقه من شواهد شعرية فى الاحتجاج لما يذهب إليه إزاء ما يتناوله من الآيات بالتفسير ، ومن ذلك ما صنعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾

---

(١) يوسف : ٢٨ . (٢) النساء : ٧٦ .

(٣) والحديث المذكور أورده القرطبى فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف : ٢٨ - انظر (الجامع لأحكام القرآن) : لأبى عبد الله القرطبى ٩/ ١٧٢ - ١٧٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٧٢ .

والشاعر هنا بعد أن أجهده البحثُ عن سبب عظم كيد النساء ؛ فلم يجد بُدًا من أن يضع أيدينا على ذلك السبب من حيث لا سبب سوى أن عظم كيد النساء يرجع إلى طبيعة خلقهنّ وفطرة الله تعالى فيهنّ ؛ ومن ثم فإنّ المرأة هى المرأة ، وإن اختلفت الديار والأمصار ، وتعاقبت الدهور والأعصار .

ولنتأكد بذلك الحقيقة القرآنية الخالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ألا وهى : (ما خَلَقَ الله تعالى شيئًا واستعظمه قدر ما استعظم كيدَ النساء ، وما خَلَقَ تعالى شيئًا واستحقره قدر ما استحقر كيدَ الشيطان) والله تعالى أعلى وأعلم .

الآية[1] حيث نراه يرجح أن سُكنى نبىّ الله سليمان بن نبىّ الله داود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام كانت ببلدة (تَدْمُر) ببلاد الشام .

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بما ورد على لسان الشاعر العربى الشهير النابغة الذبيانىّ ، حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصّه : وقد قال نابغة ذُبيَان :

إلاّ سليمان إذ قال الإلـهُ لَـهُ ... قُمْ إلى البَرِيَّة فاحْدُدْهَا عن الفَنَد

وخَيِسَ الجِنَّ إنى قد أذنتُ لهم ... يَبْنُونَ (تَدْمُرَ) بالصُّفّاح والعَمَد

و (تَدْمُر بلد بالشام) وذلك مما يدل على أن (الشام) هو مَحَلُ سُكْنَاه كما هو معروف[2] .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

تصنيف علوم العربية

وفيما يلى نكتفى بذكر شاهد واحد تجتمع فيه الخصائص التصنيفية الثلاث التى أشرنا إليها فى التقعيد النظرىّ ، والتى تميّز تصنيف الشنقيطى لما يَعْرِض له من مبحث لغوى تندرج تحته هذه الآية أو تلك ؛ حيث تتجلى هذه الخصائص الثلاث هنا من خلال عرضنا للمسألة اللغوية المتمثلة فى : (أنْ) المصدرية الناصبة ، والمخففة من الثقيلة بأحوالها المختلفة ، وذلك تنبيهًا بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

تطبيق التوطئة والتمهيد

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ الآية[3] نراه يمهد لتلك المسألة قائلاً : واعلم أن المقرر فى علم النحو أن : (أن) لها ثلاث حالات هى :

---

(1) الأنبياء : ٨١ .

(2) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٦٧٧ .

● الفَنَد : الخَرَفُ وإنكارُ العقل من الهَرَم أو المرض ، كما يعنى الخطأ فى الرأى والتكذيب والتعجيز - انظر مادة (فَنَد) فى لسان العرب : ٥/٣٤٧٢ .

(3) طه : ٨٩ .

الحالة الأولى : أن تكون مخففة من الثقيلة قولاً واحدًا .

الحالة الثانية : أن تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ، أو تكون محتملة لكونها المخففة من الثقيلة .

الحالة الثالثة : أن تكون مصدرية ناصبة للمضارع قولاً واحدًا .

المسألة الثانية

تطبيق الاستقصاء والتفصيل

وبعد أن يمهد الشنقيطى لتلك المسألة نراه يلج عندئذ إلى تناولها على نحو من الاستقصاء والتفصيل من خلال عرضه لكل حالة من الحالات المذكورة على حدة ، حيث يشرع فى ذلك قائلاً :

الحالة الأولى : أن تكون مخففة من الثقيلة قولاً واحدًا ، ولا يحتمل أن تكون (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع .

وضابط هذه المسألة أن تكون بعد فعل للعلم وما جرى مجراه من الأفعال الدالة على اليقين ، وذلك كقول الله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الآية[2] ونحو ذلك من الآيات .

ومنه كذلك قول الشاعر :

واعْلَمْ فَعَمَلُ المَرْءِ يَنفَعُهُ[3] أَنْ سوف يأتى كُلُّ ما قُدِرَا

وقول الآخر :

فى فِتْيَةٍ كسُيُوفِ الهِنْدِ قد عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ

ثم إذا جاء بعد هذه المخففة من الثقيلة فعل مضارع فإنه يرفع ولا ينصب كقوله :

عَلِمُوا أَنْ يُؤَمَّلُونَ فَجَادُوا قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوا بأَعْظَمِ سُؤْلِ

و (أنْ) هذه المخففة من الثقيلة يكون اسمها مستكنًا غالبًا ، والأغلب أن يكون ضمير الشأن ، وقيل : لا يكون ضمير الشأن ، وخبرها الجملة التى بعدها، وإلى هذا أشار ابن

---

(١) المزمل : ٢٠ . (٢) الجنّ : ٢٨ .

(٣) وفى رواية : (واعْلَمْ فَعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُهُ) - راجع فى ذلك (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١/٣٨٧ - (البيت رقم (١٠٦) .

مالك فى (الخلاصة) بقوله :

وإنْ تُخَفَّفْ (أَنْ) فـاسْمُهـا استكنّ ... والخبـرَ اجعَلْه جمـلةً من بعد (أَنْ)

وما سُمِعَ فى شعر العرب من بروز اسمها فى حـال كونه غير ضمير الشأن فمنْ ضرورة الشعر كقول (جنوب أخت عمرو ذى الكلب) :

لقـــد علِـمَ الضـــيفُ والمُرْمِـلُون ... إذا اغْـبَـرَّ أُفْقٌ وهَبَّتْ شَـمَـالاَ
بأنْـكَ ربيـعٌ وغـــيـثٌ مَـــرِيعٌ ... وأنْكَ هـناكَ تـكونُ الثِّـــمَـــالاَ

ومنه أيضًا قول الآخر :

فلو أنْكِ فـى يومِ الرخـاءِ سَـألْتِنِى ... طَلاَقَكِ لـم أبخلْ وأنتِ صَـــدِيقُ

الحالة الثانية : أن تكون محتملة لكونها المصدرية الناصـبة للمضارع ، أو تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ، أو تكون محتملة لكونها المخففة من الثقيلة .

وإن جاء بعدها فعل مضارع جاز نصبه للاحتمال الأول ، وجاز رفعه للاحتمال الثانى ؛ وعليه القراءتان الـسَّبعيتـان فى قول الله تعالى : ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية[1] بنصب (تكونَ) أو برفـعه (تكونُ) وضابط (أنْ) هـذه أن تكون بعد فعـل يقتضى الظـن ونحوه من أفعال الرُّجْحَـان ، وإذا لم يفصل بينها وبين الفعل فاصل فـالنصب أرجح ؛ ولذا فقد اتفق جمهور القرّاء على النصب فى قول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ الآية[2] .

كما قيل : إنّ (أنْ) الواقعة بعد الشك ليس فـيها إلاّ النصب ، وهذا ما نقله الصَّبَّانُ فى حاشيته عن أبى حيان بواسطة نقل السيوطىّ عنه .

الحالة الثـالثة : أن تكون (أنْ) ليست بعـد ما يقتضى لا اليقين ولا الـظنّ ولا ما يجرى مجراهما ؛ وإذن فهى المصدرية الناصبة للفعل المضارع قولاً واحدًا .

المسألة الثالثة

تطبيــق الخلاصة والتعقيب

وحالما يفرغ الشنقيطى من التوطئـة والتمهيد ، ثم الاستقصاء والتفـصيل ، بشأن مسألة (أنْ) المصدرية الناصبـة ، والمخففة من الثقيلة بأحـوالها الثلاث المختلفة ؛ فـإنه يَعْمَد عندئذ إلى ذكر خلاصة ما تَحَصَّل عنده من مجمـوع ما عرض له من أقوال العلماء بأدلتهم المختلفة إزاء هذه المسألة .

---

(١) المائدة : ٧١ .
(٢) العنكبوت : ٢ .

ومن ثم ؛ فإنا نراه يُدْرِجُ هذه الخلاصة من خلال تعقيبه على سائر ما ذكره تحت ما قاله ابن مالك فى (ألفيته) بشأن أحوال (أنْ) الثلاث السابقة ، حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصه : وإلى الحالات الثلاث المذكورة أشار ابن مالك فى (الخلاصة) بقوله :

وَبِلَـنِ انْصِــبْــهُ وكى كـــذا بأَنْ ... لا بعــدَ علمٍ والتـى من بعــد ظَنّ

فَانْصِبْ بهَا والرَّفْعَ صَـحِّحْ واعتَقِدْ ... تخـفيـفَـهاَ مِـن (أنَّ) فَهْـوَ مُطَّرِدْ[1]

وبهذا تكون قد علمتَ أوجـه هذه المسألة بإيضاح ، كما رأيتَ أقـوال العلماء وما اتفق عليه الجمهور منها بشأن إعمال (أنْ) فى النصب إذا جاءت بعد فعل من أفعال الرُّجْحَان التى تفيـد الظن والشك ، أو كانت بعـد ما لا يفيـد لا الظن ولا اليقين ، وما سـوى ذلك فهى المخففة من الثقيلة غير العاملة فيما بعدها[2] .

* * *

وبعـــد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطىّ يعتـمد (علوم العربية) كموضوع أسـاسىّ يُصنِّفُ الآية تحتـه ، بـل ويُوَجِّـه معناها على هَـدْيه ، وذلك مـن خلال تقـعيـده النظـرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ.

---

(١) انظر نص وشرح هذين البيتين فى (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مـالك) : بتحقيق محمد محيى الدين بن عبد الحميد ٤/٣ - ٤ (باب : إعراب الفعل) .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٤/٤٩٨ - ٥٠٠ (ثلاث صفحات) .

الفصل السابع

علـــم التاريـــخ

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرى .

٢ - المبحث الثانى : التطبيق العملى .

المبحث الأول

التقعيـــد النظـــرىّ

ويتنظم المطلبين التالين :

١ - المطلب الأول : الوقائع :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولـى : العصـر الجاهـلىّ .

ب - المسألة الثانية : العصـر الإسلامىّ .

٢ - المطلب الثانـى : السِّيَر :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولـى : السيرة الخاصـة .

ب - المسألة الثانية : السيرة العامـة .

ونعنى به موقف الشنقيطى من (علم التاريخ) كقاعدة نظرية ، وموضوع أساسىّ ، يُصنّفُ تحته بعض ما يَعْرِض له من الآيات بالتفسير ، وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

الوقائـــــع

يتنازع تلك الوقائع التاريخية فى تفسير الشنقيطى العصران المشهوران فى تاريخ هذه الأمّة المتمثلان فى كل من المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

العصـــر الجاهلـــى

حيث يَعْرِض الشنقيطى للعديد من وقائع هذا العصر الذى سبق ظهور الإسلام فى جاهلية العرب الأولى ، بما فى ذلك حروبهم وأيامهم ، ومختلف مراحل حياتهم ، وما اعتورها من مثالب ومظالم ، وما خيَّم عليها من تناحر وتباغض ؛ مما كان له أسوأ الأثر على عدم استقرارهم ، فضلاً عن إشاعة العنف بينهم .

المسألة الثانية

العصـــر الإسلامـــى

حيث يَعْرِض الشنقيطى كذلك للعديد من وقائع هذا العصر منذ ظهور الإسلام وحتى عصره الذى كان يعيش فيه ، بما فى ذلك من جهاد المسلمين لإعلاء كلمة الله تعالى فى وجه أعداء الله ورسوله ﷺ وإرساء دعائم الدين الجديد بين معاقل الكفر ، ووسط بطون الشرك فى مكة آنذاك .

فضلاً عما أفرزه جهادهم من نتائج ، وما أرساه من مبادئ ، سادت فيما بعد حياتهم ، وساست أحوالهم، سواء فى عصور الهزائم والانكسارات ، أو عصور المجد والانتصارات .

المطلب الثانى

السِّيَـــــر

ويتنازع هذه السيرة فى تفسير الشنقيطى قسمان رئيسان يتمثلان فى كل من المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

السـيرة الخاصـة

ونعنى بها سيرة رسول الله ﷺ التى عرض لها الشنـقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى شملت كُـلاً من نسبه الشـريف ، ثم مغازيه وسرايـاه ، وأخيراً بعض مراحل حـياته الشريفة بكل ما فيها من عظَات وعبَر فى مقام اقتداء الأمة به ﷺ عملاً بقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ الآية[1] .

المسألة الثانية

السـيرة العامـة

ونعنى بها سيرة الصحابة رضوان الله عليـهم أجمعين التى عرض لها الشنقيطى فى ثنايا تفسـيره المختلفـة ، والتى شملت ما كـانت عليه حيـاتهم من أحداث ومواقف ، وفـضائل ومكارم ، وذلك إضافةً إلى نصفتهم وعدلهم ، وقيامهم بأحكام دينهم على أنفسهم وذويهم قبل غيرهم .

وفـى هذا ما فـيه من إرساء دعائم الحق ، والعـدل بين الخَلْق ؛ ما جعل الأمة تـقتدى بهم ، وتسير على هَدْيهم .

* * *

وبعـد : فإن ما ذهب إليـه الشنقيطى هنا هو ما يبدو مـترجمًا بصورة فـعليّة من خلال تطبيقه العَمَلىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

المبحث الثانى

التطبيـــق العمـــلىّ

ويتنظم المطلبين التاليين :

١ - المطلب الأول : تطبيق القاعدة الأولى (الوقائع) :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولـى : تطبيق العصر الجـــاهلىّ .

ب - المسألة الثانية : تطبيق العصـر الإســلامىّ .

٢ - المطلب الثانـى : تطبيق القاعدة الثانية (السِّيَر) :

ويعالج المسألتين التاليتين :

أ - المسألة الأولـى : تطبيق السيرة الخاصــــــة .

ب - المسألة الثانية : تطبيق السيرة العامــــــة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلى الذى اتبعه الشنقيطى فى تصنيفه هذه الآية أو تلك على أساس ما تتعلق به من (علم التاريخ) حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ ، وفيما يلى نكتفى ببعض أمثلة هذا السلوك الفعلىّ التى تُعَدُّ تطبيقًا على القاعدتين المذكورتين ، وذلك تنبيهًا بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول

تطبيق القاعدة الأولى

(الوقـــائع)

ويتمثل تطبيق الشنقيطى على ذلك من خلال تناوله لتلك الوقائع على مستوى العصرين (الجاهلىّ) و (الإسلامىّ) من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تطبيق العصر الجاهلىّ

ونكتفى من هذا العصر باستدعاء إحدى وقائعه التى تقوم شاهدًا على غيرها مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهى :

- **حرب البَسُوس :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ الآية[1] نراه يتناول صورة من صور ذلك الإسراف فى القتل ، والذى وقع فى جاهلية العرب الأولى قبل الإسلام من خلال تلك الحرب الشهيرة المعروفة بـ (حرب البسوس) وفى ذلك يقول ما نصّه : والنهى عن الإسراف فى القتل هنا يشمل ثلاث صور :

١ - الصورة الأولى (أن يُقتلَ اثنان أو أكثر بواحد) :

وهذا ما كانت تفعله العرب فى الجاهلية ، ومنه ما حدث عندما قُتِلَ بجيرُ بن الحارث بن عَبَّاد على يد مهلهل بن ربيعة فى (حرب البسوس) المشهورة بـ (شِسْع نَعْل كُلَيْب) وعندئذ غضب الحارث بن عبّاد بسبب قتل ابنه ، وقال فى ذلك قصيدته المشهورة :

(١) الإسراء : ٣٣ .

قَـربّا مـرْبَـطَ النَّعَـامَـة منِّى لَقِـحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَال
قَـربّا مَـربَـطَ النَّعَـامَـةِ مِنِّى إنَّ بَيْعَ الكرامِ بالشِّسْعِ غَـالِى(1)

ومنه قوله أيضًا :

كُلُّ قَـتيـلٍ فى كُلَيْبِ غُـرَّه حـتى ينالَ القـتلُ آلَ مُـرَّه

ومعلوم أن قتل جماعة فى واحد لم يشتركوا فى قتله إنما هو إسراف فى القتل داخل فى النهى المذكور فى الآية الكريمة .

٢ – الصورة الثانية (أن يُقتلَ بالقتيل واحدٌ فقط ولكنه غير القاتل) :

لأن قتل البرىء بذنب غيره هو إسراف فى القتل منهى عنه فى الآية الكريمة أيضًا .

---

(١) المرْبَط والمرْبَطَة : أى كلُّ ما تُربَـطُ به الدَّوَابُّ ، أما (المَرْبط والمَرْبِط) فـهو موضع ربطـها ، وهو من الظروف المخصوصة – انظر مادة (ربَط) فى لسان العرب : ٣/ ١٥٦٠ .

لَقِحَتْ : أى حَمَلَتْ ، وأصل اللِّقَاح للإبل ، ثم استُعيرَ فى النساء ، ومنه قوله : (لَقِحَتْ الناقة تَلْقَحُ) إذا حَمَلَتْ ، فإذا استبان لَقَاحُهَا فهى (لاقحٌ وقَارحٌ) فإذا استبان حَمْلُها فهى (خَلِفَةٌ) فإذا كانت أيام نَتَاجِها فهى (عَائذ) ومنه قولهم أيضاً : (أَلْقَحَ الفَـحْلُ الناقة) أى لَقِحَتْ هى لَقَاحاً ولَقْحاً ولَقَحاً إذا قَبِلَتْهُ ؛ فهى لاَقِحٌ من إبل لَوَاقِحَ ولُقَّح ، أو هى لَـقُوحٌ من إبلٍ لُقُحٍ – انظر مادة (لَقِح) فى لسان العرب ٥/ ٤٠٥٧ .

حِيَال : من قولهم : (حَـالَت الناقةُ تحِيلُ حِيَـالاً) إذا لم تَحْمِلْ – انظر مادة (حَيَل) فى لسان العرب : ٢/ ١٠٧٣ .

الشِّسْع: هو أحد سُيُور النَّعْل الذى يُدْخَل بين الإصبعين ثم يُدْخَل طَرَفُه فـى الثَّقْب الذى فى صدر النَّعْل المشدود فـى الزمام، ومنه قولهم: (شَسِعَتْ النَّعْلُ وقَبِلَتْ وشَرِكَتْ) إذا انقطع شِسْعُهَا ، كما يقال: (رَجُلٌ شَاسِع) إذا انقطع شِسْعُ نَعْلِه – انظر مادة (شَسِع) فى لسان العرب: ٤/ ٢٢٥٧ .

● والمعنى : أن الحارث بن عَبَّاد يعبِّـر عن غضبه بسبب مقتل ابنه (بُجَيْر) فـيهجو كلاً من (بنى وائل) و(بنى كُلَيْب) سـاخراً منهـما ، ومخـاطباً إياهمـا بقوله : قَرِّبَـا زمام النعامـة منى (التى هى مضرب المثل فى الجُبْن والخوف ، بل وأكثر الطيور دَسًّـا لرأسها فى التراب حـتى لا يراها صيَّادُوها على الرغم من أنها أضخم الطيور جسـماً وهو الذى يَدُلُّ عليها ويرشد إليها) وذلك تشبيـهاً لهما بها من حيث جُبْنُهُـمَا الذى يَدُلُّ أيضاً عليهـما ويرشد إليهمـا ؛ فهما اللذان لا طاقة لهـما بالحرب ولا يُعْرَفَان بها ، ولذا فإن حربهـما هذه التى قُتِلَ فيها (بُجَيْر) هى الحرب الوحيدة الغـير مألوفة عنهما ، ومثلهما فيه كمثل الناقة التى حَمَلَتْ وهى عقيم لا تلد على غي ما توقع .

ثم يعود الحارث مبالغاً فى سخريته منهمـا بتكرار خطابه إليهما قائلاً : (قَرِّبَا مربَط النعامة منى) خاتماً ذلك بما أشبه بالحكْمَة فيقول : (إن بيع الشِّسْع بالكرام غالى) أى أن ابنه وهو من الكرم قد قُتِلَ على يد واحد من اللِّئَام ، وذلك كَمَنْ باع أَثْمَنَ الأشياء وأَنْفَسَهَـا فى مقابل أَتْفَهِ الأشياء وأَرْخَصِهَا – والله تعالى أعلى وأعلم .

٣ – الصورة الثالثة (أن يُقتلَ نَفسُ القاتل ويُمثَّلَ به) :

فإن زيادة المُثلة هى إسراف فى القتل منهى عنه فى الآية الكريمة كذلك .

وهذا هو التحقيق فى معنى هذه الآية[1] .

المسألة الثانية

تطبيق العصر الإسلامىّ

ونكتفى أيضًا من هذا العصر باستدعاء إحدى وقائعه التى تقوم شاهدًا على غيرها مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهى :

- **محنة خلق القرآن :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا﴾ الآيتان[2] نراه يتناول رَدَّ الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على (العاص بن وائل السَّهمىّ) الذى قال : (إنه سَيُؤْتَى يوم القيامة مالاً وولدًا) .

وإزاء هذا يبيّن الشنقيطى أن هذا الردَّ هو المعروف عند الأصوليين بدليل (السَّبْر والتقسيم) وأن لهذا الدليل آثارًا تاريخية عديدة منها المحنة العظمى وهى (القول بخَلْق القرآن العظيم) ومن ثم يتناول الشنقيطى تلك المحنة العقائدية العظمى من خلال أحداثها التاريخية المتعاقبة أيام كل من (المأمون والمعتصم والواثق) من خلفاء الدولة العباسية ، ومبينًا أن تلك المحنة هى السبب الأول لضعف المسلمين وتأخرهم عبر مراحل التاريخ المختلفة ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

إن هذا الدليل العظيم جاء فى التاريخ أنه أول سبب لضعف المحنة العظمى على المسلمين فى عقائدهم بالقول : (بخَلْق القرآن العظيم) وذلك أن محنة القول بخَلْق القرآن نشأت فى أيام الخليفة (المأمون) واستفحلت جدًا فى أيام الخليفة (المعتصم) ثم استمرت على ذلك فى أيام الخليفة (الواثق) وهى فى جميع ذلك التاريخ قائمة على ساق وقدم .

ومعلوم ما وقع فيها من قتل بعض أهل العلم الأفاضل وتعذيبهم واضطرار بعضهم إلى المداهنة بالقول خوفًا ، ومعلوم أيضًا ما وقع فيها لسيد المسلمين فى زمنه (الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل تغمده الله برحمته الواسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا)

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٤٩٩ – ٥٠٠ .

(٢) مريم : ٧٨ – ٧٩ (آيتان) .

من الضرب المبرح أيام الخليفة (المعتصم) وقد جاء أن أول مصدر تاريخى لضعف هذه المحنة وكبح جماحها إنما هو هذا الدليل العظيم المعروف بـ (السَّبر والتقسيم) .

وعقب ذلك يستطرد الشنقيطى فى عرضه لوقائع هذه المحنة العظمى ذاكرًا ما ورد بشأنها فى بعض المصادر التاريخية مثل (تاريخ بغداد للخطيب البغدادى - البداية والنهاية لابن كثير) وفى النهاية يختم الشنقيطى كلامه عن هذه المحنة العظمى مستأنسًا بما ذكره الخطيب البغدادى وغيره من أن الخليفة (الواثق) قد تاب من القول بخَلْق القرآن العظيم[1] .

المطلب الثانى

تطبيق القاعدة الثانية

(السِّيَر)

ويتمثل تطبيق الشنقيطى على ذلك من خلال تناوله لتلك السير على مستوى القسمين (الخاص) و(العام) من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

تطبيق السيرة الخاصة

ونكتفى من سيرته ﷺ باستدعاء جانب واحد مما يقوم شاهدًا على غيره مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهو :

- **ذوو قربى النبى ﷺ :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية[2] نراه يبيّن المقصود بـ (ذى القربى) فى هذه الآية الكريمة على أنهم (بنو هاشم وبنو المطلب) من ذوى قرابته ﷺ (دون بنى عبد شمس وبنى نوفل) .

وذلك على أظهر الأقوال خلافًا لمن قال : إنهم (بنو هاشم فقط) وكذا خلافًا لمن قال : إنهم (قريش كلها) وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه : وأما ذوو القربى فهم (بنو هاشم

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٣٧٨/٤ - ٣٨١ .
(٢) الأنفال : ٤١ .

وبنو المطلب) على أظهر الأقوال دليلاً ، وإليه ذهب كل من الشافعى وأحمد بن حنبل وأبى ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد .

وقال البخارىّ فى (صحيحه) فى باب (فرض الخُمس) : عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله أَعْطَيْتَ بنى المطلب وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ؛ فقال رسول الله ﷺ : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شىء واحد » الحديث[1] قال الليث : حدثنى يونس ، وزاد جبير : ولم يقسم النبىّ ﷺ لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل.

وهنا يذهب الشنقيطى إلى إيضاح القول فى كون بنى هاشم وبنى المطلب وبنى عبد شمس وبنى نوفل بمنزلة واحدة من رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يقسم ﷺ شيئًا لبنى عبد شمس الذين منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا لبنى نوفل الذين منهم راوى الحديث جبير ابن مطعم رضي الله عنه وذلك من خلال استدعاء الشنقيطى لنسب رسول الله ﷺ قائلاً ما نصّه :

وإيضاح كونهم من النبىّ ﷺ بمنزلة واحدة أن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأولاد عبد مناف بن قصى أربعة : (هاشم والمطلب وعبد شمس) وهم أشقاء ، وأمهم (عاتكة بنت مُرة بن هلال السلمية) إحدى عواتك سليم اللاتى هُنّ جدات رسول الله ﷺ وهنّ ثلاث :

الأولى : هذه التى ذكرنا .

الثانية : عمتها وهى (عاتكة بنت هلال) التى هى أم عبد مناف .

الثالثة : بنت أخى الأولى وهى (عاتكة بنت الأوقص بن مُرة بن هلال) وهى أم وهب والد آمنة أم رسول الله ﷺ .

وأما رابع أولاد عبد مناف فهو (نوفل بن عبد مناف) وأمه (واقدة بنت أبى عدى) واسمه نوفل بن عبادة بن مازن بن صعصعة .

قال الشيخ أحمد البدوىّ الشنقيطىّ فى نظمه (عمود النسب) :

عَبْدُ مَنَاف قَمرُ البطحاء ... أربعةٌ بنوه هؤلاء
مطلبٌ وهاشمٌ ونَوْفَلُ ... وعبد شمس ، هاشم لا يُجْهَلُ

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) فرض الخُمُس (باب) ومن الدليل على أنّ الخُمُسَ للإمام ، وأنه يُعطِى بعض قرابته دون بعض - (طبع بيروت) .

كما قال فى بيان عواتك سليم اللاتى هُنّ جدات رسول الله ﷺ :

عَـــوَاتـكُ الـنبىّ أُمُّ وَهْـب	وأُمُّ هـاشـم وأُمُّ الـنَّـدْب
عَـبْـدُ مَنَاف ذه الأخـيـره	عـمـةُ عمة الأُولى الصغـيـره
وهُنّ بالتـرتيب ذا ، لذى الرجـال	الأوقص بـنَ مُـرّة بن هـلال

فبـهذا الذى بيّنا يتضح أن الصحيح هو أن المراد بـ (ذى القربى) فى الآية هم (بنو هاشم وبنو المطلب) دون (بنى عبد شمس وبنى نوفل) ووَجْهُهُ أنّ (بنى عبد شمس وبنى نوفل) عادوا الهاشميين وظاهروا عليهم قريشًا ؛ ومن ثم صاروا كالأباعد عنهم للعداوة وعدم النصرة ؛ ولذا فقد قال فيهم أبو طالب عَمٌّ رسول الله ﷺ فى (لاميته المشهورة) :

جزَى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلا	عـقـوبةَ شرٍّ عاجلٍ غيرِ آجلِ
بميزان قسْط لا يخيس شعيرة	له شاهدٌ من نفسه غير عَائلِ
لقد سَفَهَتْ أحلامُ قومٍ تبدّلوا	بنى خُلَف قَيْضاً بنا والغَيَاطلِ[1]
ونحن الصّميمُ من ذُؤابَة هَاشم	وآل قُصَىٍّ فى الخطوب الأوَائلِ

ثم يختم الشنقيطى كلامه قائلاً ما نصه : وبهذا الحديث الصحيح الذى ذكرنا يتضح لك عدم صحة قول مَنْ قال : بأنّ ذى القربى هم (بنو هاشم فقط) وكذا عدم صحة قول مَنْ قال : (إنهم قريش كلهم)[2] .

المسألة الثانية

تطبيق السيرة العامة

ونكتفى من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين باستدعاء أحد الجوانب الذى يقوم شاهدًا على غيره مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ألا وهو :

- **القِصَاصُ لِعَلِىِّ بن أبى طالب** رضي الله عنه :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا**﴾ الآية[3] نراه يبيّن أن القِصَاص حق من حقوق القُصَّرِ من أولاد المقتول ، ولا يلزم

(١) الغَيَاطل جمع غَيْطَلَة : وهى اجتماع الناس وازدحامهم مع ارتفاع أصواتهم واختلاطها فَرَحًا بكثرة المال والطعام والشراب عقب الحروب وغيرها - انظر مادة (غَطَل) فى لسان العرب : ٤/ ٣٢٧٢ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٢/ ٣٦١ - ٣٦٣ (ثلاث صفحات) .

(٣) الإسراء : ٣٣ .

لإتمام ذلك انتظار بلوغ الصبى ولا إفاقة المجنون من أولاده ، ويستدل لهذا بالقِصَاص لعلىّ ابن أبى طالب ﵁ حيث يقول فى ذلك ما نصّه :

إنّ الحسن بن علىٍّ ﵄ قتل عبد الرحمن بن ملجم المرادىّ قِصَاصاً بقتله علياً ﵁ مع أن بعض أولاد علىٍّ ﵁ كانوا إذ ذاك صغاراً ولم ينتظر بقتله بلوغهم، ولم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة ولا غيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، بل إن الحسن قد فعل ذلك بأمر أبيه عَلِىٍّ ﵄ كما هو مشهور فى كتب التاريخ، ولو كان انتظار بلوغ الصغير واجبًا لانتظره .

ثم يختم الشنقيطى كلامه عن قِصَاص أولاد علىٍّ لأبيهم رضوان الله عليهم أجمعين من قاتله عبد الرحمن بن ملجم قبّحه الله ، فيورد فى ذلك بعض المدح الباطل فى ابن ملجم من قِبَلِ بعض الشعراء الآثمين ، غير أنه يُرْدِفُ ذلك بالرد على ذلك المدح الباطل من قِبَلِ بعض الشعراء الصالحين ، حيث يقول ما نصّه : قال عمران بن حطان السدوسى يمدح ابن ملجم قبحهما الله فى قتله أمير المؤمنين علياً ﵁ :

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِىٍّ ما أرادَ بِهَا ... إلاَّ ليبلغ مِن ذى العرشِ رِضْوَانَا
إنى لأذكُرُهُ يومًا فأحسبه ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عند الله مِيزَانَا

وجزى الله تعالى خيراً ذلك الشاعر الذى رَدّ عليه فى ذلك قائلاً :

قلْ لابن مُلْجَمٍ والأقدارُ غالبَةٌ ... هَدَّمْتَ ويلكَ للإسلام أرْكَانَا
قَتلتَ أفضلَ مَنْ يمشى على قَدَمٍ ... وأوّلَ الناسِ إسلامًا وإيمانا
وأعلمَ الناسِ بالقرآن ثم بما ... سَنَّ لنا الرسولُ شرعًا وتبيانا
صِهْرَ النبىِّ ومَوْلاَهُ وناصِرَهُ ... أَضْحَتْ مناقِبُهُ نوراً وبُرْهَانا
وكان منه عَلَى رغم الحَسُود له ... مكانَ هارونَ مِنْ موسى بن عِمْرَانا

وذلك إلى قوله :

يا ضَرْبَةً مِنْ غَوِىٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظَى ... فسوف يَلْقَى بها الرحمنَ غَضْبَانَا
كأنَّهُ لم يُرِدْ قَصْداً بضربته ... إلاَّ لِيَصْلَى عذابَ الخُلْدِ نيرَانَا

وبما ذكرنا تعلم أن قتل الحسن بن عَلِىٍّ ﵄ لابن ملجم قبّحه الله كان قبل بلوغ الصغار من أولاد عَلِىٍّ رضوان الله عليهم أجمعين وهذا مما يقوِّى حُجَّةَ مَنْ قال بعدم انتظار بلوغ

الصغير أو إفاقة المجنون[1] .

* * *

وبعـد : فإنه يتضح لـنا مما سبق كيف أن الشنقيطىّ يعـتمد (علم التاريخ) كـموضوع أساســىّ يُصنِّفُ الآية تحتـه ، بـل ويُوَجِّه مـعناها على هَدْيه ، وذلك من خـلال تقعـيده النظرىّ ، ثم تطبيقه العَمَلىّ.

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٣/٥٤٨ - ٥٥١ (أربع صفحات) .

جِماع القول

فى هذا الباب

وفى ختام حديثنا عن هذا الباب بفصوله السبعة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمرين التاليين :

١ - الشمول :

ونعنى به شمول تلك العلوم الشائعة التى عَرَضَ لها الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى توزعت فى هذا الباب بين فصوله السبعة المتمثلة فى كل من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) والناظر إلى جملة هذه العلوم يلحظ أنها من (الشمول والعموم) بحيث جمعت بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية بصفة خاصة ، فضلاً عما يتصل بهما ويندرج تحتهما من جملة العلوم الأخرى بصفة عامة .

وإنْ دلّ هذا على شىء إنما يدلّ على شمول فكر الشنقيطى وعمومه ، الأمر الذى جاء كنتيجة طبيعية لتأخره ومعاصرته ؛ مما جعله يشمل فى تفسيره حصاد المفسرين السالفين ، ويطالع جهود العلماء المحققين ؛ وفى هذا التواصل ما فيه من الفائدة الجمة ، والنفع العميم ، لكل مَنْ يبحث فى تفسيره ، أو حتى ينظر فيه .

٢ - المنهجية :

ونعنى بها منهجية الشنقيطى فى تصنيفه لتلك العلوم السبعة التى يُصنِّفُ تحتها هذه الآية أو تلك ، بل ويُوَجِّه معنى الآية فى ضوء هذه العلوم وعلى هَدْيها ، وهو فى تصنيفه هذا لا يكاد يتخلف عن ثلاث خصائص ثابتة تميّز تناوله لتلك العلوم وعرضه لها حيث يبدأ (بالتوطئة والتمهيد) ثم يثنى (بالاستقصاء والتفصيل) ويختم فى النهاية بذكر (الخلاصة والتعقيب) .

وفى هذا ما فيه من الترتيب المنهجىّ ، والترابط العلمىّ ؛ ما يحقق الغاية المرجوّة ، ويصيب الهدف المنشود ، إزاء أتم فائدة مستطاعة ، وأقصى نفع ممكن ، بهذا التفسير ومنهج صاحبه فيه ، من خلال مراحله المتعاقبة التى تُسْلِم كل منها إلى ما بعدها ، وتعتمد كل منها على ما قبلها .

وبهذا ينتهى هذا الباب .

الباب الثالث

السِّمة الثالثة

التحليل

لسائر ما يَعْرِض لــه

وينتظم تهميداً وثلاثة فصول :

- تمهيد : بين يدىْ هذا الباب .

1- الفصل الأول : الانتقــاد .

2- الفصل الثانى : الاستنباط .

3- الفصل الثالث : الاجتهاد .

تمهيد
بين يدىْ هذا الباب

يُعَدُّ هذا التحليل هو السِّمَة الثالثة والأخيرة من السِّمات العامة لمنهج الشنقيطى فى التفسير بعد سِمَتَيْه الأوليين المتمثلتيْن فى كل من (الجمع) و (التأصيل) وقبل أن نشرع فى تناول هذه السِّمَة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى الأمور الثلاثة التالية :

١- المدلول :

حالما يفرغ الشنقيطى من الجمع بين المأثور والمعقول أولاً ، ثم تأصيل ذلك الرصيد المجموع تحت ما يندرج إليه من جملة العلوم الإسلامية ثانياً ؛ فإنه يَعْمَد آنذاك إلى تحليل ذلك كله تحليلاً دقيقاً متأنياً ، حيث يُنْعِم النظر ، ويُجِيل الفكر ؛ ولينتهى به المطاف إلى الوقوف على ما هو مُخْتَلَفٌ فيه فضلاً عما هو مُتَّفَقٌ عليه ؛ ومن ثم فإن ماهية هذا التحليل إنما تتمثل فى حصر ما هو مُخْتَلَفٌ فيه وتحديده ؛ تمهيداً لتناوله وتفنيده ، ثم مناقشته وتوجيهه .

٢- المجال :

وبهذا المفهوم فإنه يمكننا أن نحدّد جال هذا التحليل بوقفه على كل ما هو مُخْتَلَفٌ فيه ، حيث يتناوله الشنقشيطى ويفنده ، ثم يناقشه ويوجّهه ، من خلال ثلاثة محاور تتمثل فى كل من (الانتقاد) ثم (لاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) .

وبهذا تتمخض هذه المحاور فى النهاية عن حقيقة ما يرجّحه الشنقيطى من الأقوال والآراء ، أو ما يستخلصه من الحِكَم والأحكام ، أو ما يبدعه فى النهاية من مسائله الخاصة ، وقضاياه الذاتية ، وذلك وَفْقَ أدلته الشرعية ، وفى إطار حُجَجِه العلميّة .

٣- المنهجية :

وليس ثمة شك فى تميّز هذا التحليل بتلك المنهجيّة الواضحة التى يبدؤها الشنقيطى بتحديد ما هو متفق عليه مما هو مختلف فيه ، أما ما هو متفق عليه فذلك ما يثبته الشنقيطى أثناء مرحلتىْ (الجمع) و (التأصيل) السابق ذكرهما ، واللذين يمثلان السِّمتين الأوليين من سِمَات منهجه فى التفسير ، وأما ما هو مختلف فيه فذلك ما يتناوله هنا أثناء مرحلة (التحليل) والذى يمثل السِّمَة الثالثة والأخيرة من سِمَات منهجه فى التفسير .

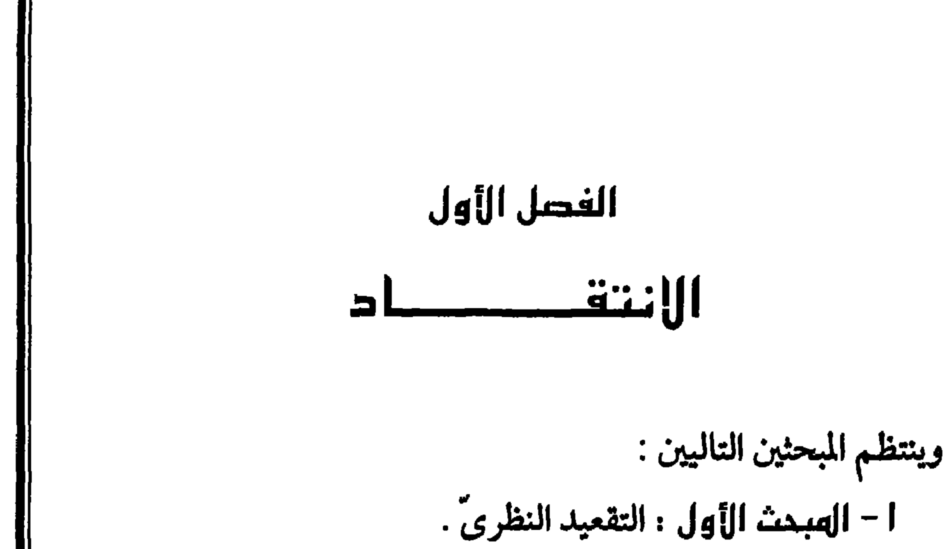
وهو فى تحليله هنا إنما يسـير وَفْقَ ترتيب منهـجىّ واضح ، وينتقل بين خطوات علمـية متعاقبة ؛ حيث يبدأ هذ التحليل بأُولَى خطواته المتمثلة فى (الانتقاد) من خلال إنعام نظره ، وإجالة فكره ، فى سائر ما يَعْرِض له من الأقوال والآراء المُخْـتَلَف فيها حتى يَنْتهى إلى رأى راجح بشأنها .

فإنْ لم يَنْتَهِ إلى ذلك الترجيح ؛ لجأ عندئذ إلى (الاستنباط) من ذات النص ليخلص من خلالـه إلـى ما يذهب إليـه ويراه ؛ فإن افـتقـد النص الذى يسـتنبط منه عَمَـدَ عندئذ إلى (الاجتهاد) بأدلته الشرعية ، وضوابطه المعتبرة .

وبهذا الترتيب وذاك التعـاقب تتأكد لدينا منهجية هذه المرحلة حـيث (التحليل) بمحاوره الثـلاثة بصفـة خاصّـة ، فضـلاً عن منهجـية المرحلـتين السابقـتين عليهـا حيث (الجـمع) و(التأصيل) بصفة عامّة .

* * *

وفيما يلى نَعْـرِض لهذه السِّمَة الثالثة والأخـيرة من سِمَات منهج الشنقيطى فى التـفسير من خلال ثلاثة فصول يختص كل فصل منها بأحد محاور هذا التحليل .



الفصل الأول

الانتقـــــــــاد

ويتنظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظريّ .

٢- المبحث الثانى : التطبيق العمليّ .

المبحث الأول

التقعيد النظري

وينتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - **المطلب الأول** : النظر إلى ذات القول لا إلى قائله .

٢- **المطلب الثاني** : التأدب في مواطن الخلاف .

٣- **المطلب الثالث** : تفويض العلم إلى الله تعالى .

ونعنى به جملة الخصائص والسِّمَات التى يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادىء أساسية ، يعتمد عليها ، ويَصْدُر عنها ، إزاء نقده لما يَعْرِض له من مجمل الأقوال المختلف فيها فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية :

المطلب الأول

النظر إلى ذات القول لا إلى قائله

إنّ حرص الشنقيطى على إحقاق الحق ، وتبيان الصواب ؛ لَيَحْمِلُه على التوجُّه إلى ذات القول دون أن يعنيه قائله بحال ، وهذا ما يصرّح به بل ويقيم عليه الدليل من القرآن العظيم فضلاً عن كلام العرب حيث يقول ما نصّه :

واعلم أنا نرجّح فى هذا الكتاب المبارك ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل ، من غير تعصب لمذهب معين ، ولا لقول قائل معين ؛ لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود ، إلاّ كلامه ﷺ .

كما أنه من المعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيراً ؛ ألاَ ترى إلى مَلكة سبَأ فى حال كونها تسجد للشمس من دون الله هى وقومها لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله تعالى فيه ، فلم يكن كفرها مانعاً آنذاك من تصديقها فى الحق الذى قالته ، وذلك فى قولها فيما ذكره الله تعالى عنها : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ فقد صدقها سبحانه فى قولها هذا بقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ الآية[1] .

وقد قال الشاعر فى ذلك أيضاً :

لاَ تَحْقِرَنَّ الرَّأْىَ وَهْوَ مُوَافِقٌ ... حُكْمَ الصَّوَابِ إذا أَتَى من نَاقِصِ

فالدُّرُّ وَهْوَ أَعَزُّ شَىءٍ يُقْتَنَى ... ما حَطَّ قيمته هَوَانُ الغَائِصِ[2]

المطلب الثانى

التأدب فى مواطن الخلاف

وانطلاقاً من مبدئه النقدىّ فى النظر إلى ذات القول لا إلى قائله ؛ نرى الشنقيطى آخذاً نفسه بأُطُرِ اللياقة ، وملزماً إياها بحدود الأدب؛ فلا يقع فى الذوات، ولا يجرّح الهيئات ؛ لأنه لا يعنيه إلاّ أقوالهم وآراؤهم ، بعيداً عن ذواتهم وشخوصهم ، وهو فى ذلك إنما

---

(١) النمل : ٣٤ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٦٨/١ (من المقدمة) .

يتأدب بأدب القرآن ، ويأتمر بأمر الله فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية[1] .

بل ويقتدى برســول الله ﷺ الذى امتدحه ربه سبـحانه فزكّى أخلاقـه بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الآية[2] وهذا ما تتـرجمه أم المؤمنين عـائشة رضي الله عنها واصفة أخـلاقه ﷺ بقوله: «كان خُلُقُه القرآن» وفى رواية : «كان قرآناً يمشى على الأرض» الحديث[3] .

وتأدباً بهذه الآداب العالية ، وتَخَلُّقاً بهذا الأخلاق السامية ؛ يسلك الشنقيطى سبيله إلى نقد ما يَعْرِض له من خلاف دون نقد صاحبـه ، وهذا ما يبدو واضحاً جلياً من خلال بعض الشواهد التى نسوقــها هنا تنبيهاً بهـا على غيرها مما فى ثنايا تفسيـره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

١- تأدبه مع الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين :

لا يفتأ الشنقيطى أن يذكر الصحـابة والتابعين فى بعض مواطن الخلاف حتى يُقْرِنَ ذلك بالترحم علـيهم والترضـية عنهم بما يليق بمقـامهم ، ويتناسب مع منزلتـهم ، ومن ذلك ما صنعه فى مَـعْرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ الآية[4] حيث يقول فى ذلك ما نصه :

قال مـقيده عـفا الله عنه وغفـر له : تفسـير (الأيام المعلومات) فى آيـة الحج هذه بأنها (العشر الأوَلُ من ذى الحجة إلى آخر يوم النحر) لاشك فى عدم صحته ، وإنْ قال به بعض أجلاء الصحابة والتابعين مِمَّنْ ذكرنا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[5] فهو وإن كان يصرّح بعدم صـحة ما ذهبوا إليـه ، إلاّ أنه يثبت لهم فى ذات الوقت جلال مـقامهم ، والترضـية عنهم .

ومما تجدر الإشــارة إليه أن تأدب الشنقـيطى مع الصحـابة والتابعين رضـوان الله عليهم أجمعين إنما يمثل سلوكه الدائم ، ودَيْدَنَه الثابت ، إزاء ذكره لهم واستشهاده بأقوالهم التى لا تعد ولا تحصى مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك فى مـواطن الاتفاق معهم بصفة عامّة ، فضلاً عن بعض مواطن الخلاف القليلة معهم هنا بصفة خاصّة .

---

(١) الحجرات : ١١ . (٢) القلم : ٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتـاب) صلاة المسافرين وقصرها (باب) جامع الصلاة الليل ومَنْ نام عنه أو مرض - (طبع بيروت) .

(٤) الحج : ٢٨ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٤٩٧ - ٤٩٨ .

٢- تأدبه مع الأئمة الأربعة :

وواضح جَلِيّ لِمَنْ يعاين تفسير الشنقيطي أو يطالع فيه تأدبه مع الأئمة الأربعة الأعلام (أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل) رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ، ومع أن هذا ما يمثل أيضاً سلوكه الدائم ، ودَيْدَنَه الثابت ، في مواطن الاتفاق العديدة معهم بصفة عامّة ، إلاّ أن ما يعنينا هنا هو تأدبه في بعض مواطن الخلاف القليلة معهم بصفة خاصّة .

ويشهد لهذا تأدبه مع إمام أهل السنة ، ورابع هؤلاء الأئمة ، أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، والذي نجتزيء به عن الثلاثة الأئمة السالفين رحمهم الله تعالى أجمعين ، حيث يقول الشنقيطي في ذلك ما نصّه :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذي يظهر لي أن ما روي عن الإمام أحمد مع علمه ، وجلالته وورعه ، هو خلاف الصواب ؛ وإنْ كان قائله في المنزلة المعروفة التي هو به ؛ إلا أن قياسه هذا يخالف ظاهر عموم القرآن ، والقياس إن كان كذلك رُدَّ بالقادح المسمى (فساد الاعتبار) كما أوضحنا في هذا الكتاب المبارك مراراً ، وذكرنا فيه قول صاحب (مراقي السُّعود) :

والخُلْفَ للنَّصِّ أو إجماعٍ دَعَا (فَسَادَ الاعتبارِ) كُلُّ مَنْ وَعَى[1]

وهكذا لا يكتفي الشنقيطي في خلافه لقول الإمام أحمد بإثبات علمه وعلو كَعْبِهِ ، وجلال منزلته وورعه ، وإنما يُدَلِّل على خلافه معه بدليليْه المعتبريْن من كتاب الله تعالى ، ثم من قول علماء الأصول ؛ وفي صنيعه هذا ما فيه من الجذر والحيطة ، فضلاً عن المهابة والتوقير، ما يؤكد تأدبه مع هذا الإمام الجليل خاصّة، ومع الأئمة الثلاثة الباقين بصفة عامّة .

٣- تأدبه مع علماء السلف :

والناظر في ثنايا تفسير الشنقيطي المختلفة ليلحظ بوضوح مدى التزامه بأدب الخلاف مع جملة علماء السلف رضوان الله عليهم أجمعين حيث يبدو ذلك جلياً إمّا من خلال الإشارة إليهم على سبيل الإجمال والعموم ، وإمّا من خلال تسمية بعضهم على سبيل التحديد والخصوص ، وذلك كما يلي :

(١) أضواء البيان : الشنقيطي ٥/ ٧٧٠ .

أ - على سبيل الإجمال والعموم :

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـوله الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الآية[1] نراه يَرُدُّ قـول بعض العلمـاء مِمَّنْ ذهبـوا إلى أن (الأيام المعلومـات هنا هى العشر الأوائل مـن ذى الحجة إلى آخـر يوم الـنحر) حيـث يثـبت لهـم جلال علمهم متأدباً فى خلافه معهم فيقول: قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : تفسير (الأيام المعلومات) فى آية الحج هذه بأنهـا (العشر الأُوَلُ من ذى الحجة إلى آخـر يوم النحر) لاشك فى عدم صحته وإنْ قال به بعض من أجلاء العلماء مِمَّن ذكرنا[2] .

ومن ذلك أيضاً ما صنعه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الآية[3] حيـث نراه يَـرُدُّ قول بعض العلماء مِمَّنْ ذهبوا إلى إمكان الجمع بين أحاديث أنساك رسول الله ﷺ الثلاثـة فى الحج حيث (إفراده وتمتعه وقرانه) فيقول :

واعـلم أن الأحاديث الواردة بأن رسول الله ﷺ كـان مفرداً والواردة بأنه كـان متمتعاً والواردة بأنه كان قارناً لا يمكن الجـمع بينها ، إلاّ الواردة منها بالتمـتع والواردة منها بالقِرَان فالجمع بينهمـا واضح ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كـانوا يطلقون اسم التمتع على القِرَان كما هو معروف عنهم ولا يمكن النزاع فـيه ، مع أن أمره ﷺ أصحابه بالتمتع قد يطلَق عليه أنه تمتع ؛ لأن أمره ﷺ بالشىء كفعله إياه .

أما الجمع بين الأحاديث الواردة بالإفراد مع الأحـاديث الواردة بالتمتع والقِرَان فلا يمكن بحال ؛ فادّعَـاء إمكان الجمع بينها غلط ، وإنْ قال به خَلْق لا يُحْـصَى من أجلاء العلماء[4] فهـو وإنْ كـان يصرِّح بأن مـا ذهبوا إليه إنما هـو مـن قبيل الإدعـاء والغلط الذى لا يصـح بحـال ، إلاّ أنه يُثْبِتُ لهم فى ذات الوقت (جلالهم وعلمهم فضلا عن كثرة عددهم) .

ب- على سبيل التحديد والخصوص :

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ الآية [5] نراه يَرُدُّ قول الطبرىّ فيـما ذهب إليه بشأن المراد بكل من (مخلقة وغير مـخلقة) ملتزماً فى ذلك أسلوباً رفيعاً يتسم بالتقدير الواضح ، ويفيض بالأدب الجم ، حيث يقول ما نصّه : قال أبو

---

(١) الحج : ٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٤٩٧ – ٤٩٨ .

(٣) الحج : ٢٧ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ١٦٧ .

(٥) الحج : ٥ .

جعـفر بـن جرير رحـمه الله تعـالى : وأَوْلَى الأقوال فى ذلك بالصـواب قول مَنْ قـال : (المخلّقة) أى المصوّرة خلقاً تاماً ، و(غير المخلّقة) أى السِّقْط قبل تمام خَلْقه[1] .

قال مقيده عـفا الله عنه وغفر له : هذا القول الذى اختاره الإمـام الجليل الطبرىّ رحمه الله تعالى لا يظهر صوابه ؛ وفـى نفس الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهى قول الله جَلَّ وعَلاَ فى أول الآية : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنه على القول المذكور الذى اختـار الطبرىّ يصير المعنى : (ثم خلقناكم من مضغة مخلّقـة ، وخلقناكم من مضغة غير مخلقة) وخطاب الناس بأن الله تعالى خلق بعضهم من مضغة غير مصوَّرة فيه من التناقض كما ترى .

ومن ثم ؛ فإن ظاهر القرآن يقتضى أنّ كلاً من المخلّقة وغير المخلّقة يخلق الله تعالى منه بعض المخاطبين من خلقـه فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ الآية[2] .

وهكذا فالشنقيطى وإنْ كان يصرِّح بعـدم صواب ما ذهب إليه الطبرىّ ، إلاّ أنه يثبت له فى ذات الوقت جلاله وعلمـه ، وإمامته ومكانتـه ، فضلاً عن ترحمه علـيه ، وتحوطه فى خلافه معه بإقامة الدليل عليه .

ومن ذلك أيضاً ما صنعه فى مَعْـرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الآية[3] حيث يَرُدُّ استـدلال المزنىّ بقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ الآية[4] على أن (الأيام المعلومات) فى آية الحج المذكورة هى (العشـر الأوائل من ذى الحجـة إلى آخر يوم النحـر) بدلالة (فى) الظرفيّـة فى كل من الآيتين على استـغراق ظرف الذبح والنحر لجمـيع هذه الأيام ؛ ومن ثم يَرُدُّ الشنقيطى ذلك قائلاً :

بَيَّنَ الله تعالـى فى كتابه الكريم أنّ الأيام المعـلومات هى ظرف الذبح والنحـر ؛ وعليه تفسيرها بأنها العشر الأُوَلُ يلزمه جواز الذبح فى جـميعها مع عدم جوازه بعد غروب شمس اليوم العاشـر ، وهذا كله باطل كما ترى ، وَزَعْمُ المزنىِّ رحمـه الله تعالى أن آية الحج هذه هى كقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ الآية[5] ظاهر السقوط ؛ لأنّ كون القمر

---

(1) السُّقط والسِّقْط والسَّقْط : هو الجنين الذى يسقط من بطـن أمه قبل تمام خَلْقه ذكـراً كان أم أنثى - انظر مادة (سَـقَطَ) فى كل من لسان العرب : ٣/٢٠٣٧ - مـختار الصحـاح : ص ٣٠٣ - المعجم الوسيط : ١/٤٥٢ .

(2) الحج : ٥ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/٢٢ - ٢٣ .

(3) الحج : ٢٨ . (4) نوح : ١٦ . (5) نوح : ١٦ .

كوكباً واحداً ، وكـون السموات سبعاً طباقاً ، هى قـرينة دالة على أن القمر فى واحدة من هذه السموات دون السِّت الأخرى[1] .

وهكذا فالشنقيطى وإنْ كان يصف مـا ذهب إليه المزنى بأنه (زَعْمٌ) بل ويحكم عليه بأنه قول (ظاهر السُّقـوط) إلاّ أنه يترحم عليه فى ذات الوقت الذى يختلف معـه فيه ؛ وهذا ما يؤكد توجُّه الشنقيطى إلى ذات القول لا إلى قائله كما أسفلنا ذلك عنه .

٤- تأدبـه مع علماء الخلف :

ولا يقتصر تأدب الشنقيطى بأدب الخلاف مع علماء السلف فحسب ، بل يَطَّرِدُ ذلك مع علماء الخلف حتى يشمل المتأخرين منهم والمحـدَثين ؛ وهذا ما يبدو واضحاً جلياً من خلال الشاهد التالى الذى نسوقه هنا للتدليل على ذلك :

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[2] نراه يَرُدُّ دعوى الشـيخ أحمد الصاوى فـيما ذهب إليه بشـأن عدم جواز تقليـد غير المذاهب الأربعة ، بل وحكمه على مَنْ يفعل ذلك بالضلال الذى قد يؤدى إلى الكفر ، هذا فضـلاً عن مغالاته فى قوله بـأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة من أصـول الكفر ؛ ومن ثم يَرُدُّهُ الشنقيطى قائلاً :

واعلم أيها المسلم المنصف أنّ من أشنع الباطل وأعظم القول بغير الحق على الله تعالى ، وعلى كتابه العظيم ، وعلى نبيّه ﷺ وسنته المطهـرة : هو ما قاله (الشيخ أحمد الصّاوىّ) فى (حاشيته على الجلالين) فى سورتىْ (الكـهف وآل عمران) وقد اغترّ بقوله فى ذلك خَلْق لا يحصى من المُتَسَمِّين باسم طلبة العلم لكونهم لا يميزون بين حق وباطل .

فقد قال (الصاوى أحـمد المذكور) فى الكلام على قوله الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ الآية[3] (بعد أن ذكـر الأقوال فى انفصـال الاستثناء عن المسـتثنى منه بزمان) مـا نصّه : وعـامة المذاهب الأربعـة على خلاف ذلك كله ، فـإن شرط حلِّ الأيمان بالمشيـئة أن تتـصل ، وأن يقصـد بهـا حِلّ اليمين ، ولا يضـرُّ الفصل بتنفس أو سُـعال أو عطاس ، ولا يجـوز تقليد مـا عدا المذاهب الأربعـة ، ولو وافق قول الصـحابة والحـديث الصحـيح والآية ؛ فالخـارج عن المذاهب الأربعة ضـالّ مضلّ وربما أدّاه ذلك للـكفر ، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنة من أصول الكفر (أ هـ . منه بلفظه) .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٥٠٠ .
(٢) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .
(٣) الكهف : ٢٣ .

فانظر يا أخى رحمك الله تعالى : ما أشنعَ هذا الكلام وما أبطَله ، وما أجرأ قائله على الله تعالى ، وعلى كـتابه العظيم ، وعلى نبيـه ﷺ وسُنّته ، وعلى أصحـابه رضوان الله عليهم !! سبحانك هذا بهتان عظيم !![1] .

وهكذا ومع شـدة بطلان هذا الكلام الذى ورد على لسـان الصـاوى ؛ إلاّ أنه لم يدفع الشنقيطى إلى الخروج عن أدب العلـماء ولياقتهم فى مواطن الخـلاف ، وهذا ما يتضح فى بَدْءِ كلامه حيث ذكـره بقوله : (الشيخ أحمد الصاوىّ) واصفاً إياه بـ (الشـيخ) وغاية ما لجأ إليه الشنقـيطى فى التنفيس عن ضـيقه وحزنه مـن باطل هذا الرجل أن اكتفى بقلب اسـمه فَحَسْب قائلاً : (فقد قال الصاوىّ أحمد المذكور) .

وهذا ما يؤكد بدوره أيضاً مبدأ الشنقيطى النقدى الذى يتمثل فى توجُّهه إلى ذات القول لا إلى قائله كما أسلفنا عنه ذلك .

المطلب الثالث

تفويض العلم إلى الله تعالى

ومما يلتزم به الشنقيطى فى سـائر ما يَعْرِض له بالنقد أن يُقْرِن ذلك بتفـويض العلم فيما ذهب إليه إلى الله تعـالى ؛ الأمر الذى لا يكاد أن يتخلف عنه بحـال من الأحوال ، ويأتى تفويضــه هذا فى أحد مواضع ثلاثة ، فإمّـا أن يأتى فى أول كلامه حيث يُصَـدِّر قوله به ، وإمّا أن يأتى فى آخر كلامه حيث يَخْتِم قوله به ، وإمّا أن يأتى فى الموضعين معاً حيث يَبْدأ به كلامه ثم يَخْتِـمُه به كذلك ، وفيمايلى نسوق بعض شواهد هذه المواضع تنبـيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة على النحو التالى :

١- التفويض فى صدر كلامه :

ويقع هذا قليلاً فى تفسيره ، ومن ذلك قوله :

أ - قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذى يظهر لى والله تعالى أعلم ... [2] .

ب- فالجواب والله تعالى أعلم : ....[3] .

٢- التفويض فى عَجُز كلامه :

ويقع هذا كثيراً فى تفسيره ، ومن ذلك قوله :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٣٧ - ٤٣٨ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٣٥ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٣٣ .

أ - والله أعلم[1] . ب- والله جلّ وعلا أعلم[2] .

جـ - والله تعالى أعلم[3] . د- والعلم عند الله تعالى[4] .

هـ - وهذا الأمر لا يظهر لى كلَّ الظهور ، والعلم عند الله تعالى[5] .

٣- التفويض فى صَدْرِ وعَجُزِ كلامه معاً :

ويقع هذا نادراً فى تفسيره ، ومن ذلك قوله :

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذى يظهر لى والله تعالى أعلم أنه . . . والله تعالى أعلم[6] .

* * *

وبعد : فبـهذه المبـادىء النقدية الثلاثـة يتناول الشنقيطى بالنقـد سائر مـا يَعْرِض له من خلاف ، وهذا ما يبـدو مترجماً بصـورة فعلية من خلال تطبيـقه العَمَلىّ على ذلك التقـعيد النظرىّ .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٦١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٢٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٣١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٢٥ - ٢/ ٤٤٥ - ٣/ ٧ - ٣/ ٣٧ - ٣/ ٥٢ - ٣/ ٦٠٤ (موضعان) - ٥/ ٢٢٧ - ٥/ ٤٨٩ (إلى غير ذلك من المواضع التى تَنِدُّ عن الحصر فى ثنايا تفسيره المختلفة) .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٧٤٢ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٣٥ .

المبحث الثانى

التطبيق العملىّ

ويتنظم المطالب الثمانية التالية :

١- المطلب الأول : نقد الإسرائيات .

٢- المطلب الثانى : نقد المفسِّرين .

٣- المطلب الثالث : نقد المحدِّثين .

٤- المطلب الرابع : نقد الأصوليين .

٥- المطلب الخامس : نقد الفقهاء .

٦- المطلب السادس : نقد الفرق الإسلامية .

٧- المطلب السابع : نقد اللغويين .

٨- المطلب الثامن : نقد المؤرخين .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى نقده لسائر ما يَعْرِض له من الأقوال والآراء الخلافية التى تتعلق بجملة العلوم الإسلامية التى تناولها بالتصنيف فى ثنايا تفسيره المختلفة ، حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ .

وفيما يلى نسوق بعض شواهده النقدية تنبيهاً بها على غيرها والتى تشمل نقده كلاً من : (الإسرائيليات - المفسِّرين - المحدِّثين - الأصوليين - الفقهاء - المتكلمين - اللغويين - المؤرخين) وذلك من خلال المطالب الثمانية التالية والتى يتكفل كل مطلب منها بأحد أنواع هذا النقد المذكورة .

المطلب الأول

نقد الإسرائيليات

ونعالج تحته المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : موقف الشنقيطي من الإسرائيليات .

٢- المسألة الثانية : إعراض الشنقيطي عن بعض الإسرائيليات .

٣- المسألة الثالثة : ردّ الشنقيطي لكثير من الإسرائيليات .

تتنازع نقد الشنقيـطى للإسرائيليات فى ثنايا تفسيـره المختلفة ثلاث مسائل نسـوقها على النحو التالى :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطىّ من الإسرائيليات

ويتلخص موقف الشنـقيطى من الإسرائيليـات فى تقسيمـه إياها ثلاثة أقسام منهـا قسم يجب تصديقه ، وقسم يجب تكذيبه ، وثالث يُتَوَقَّفُ فـيه فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه ، وهذا ما يوضحه الشنقيطى بقوله : ومـن المعلوم أن مـا يـروى عن بنى إسرائيل من الأخبار المعروفة بـ (الإسرائيليات) لـه ثـلاث حالات :

١- أنه فى واحدة منها يجب تصديقه :

وهى ما إذا دَلّ الكتاب أو السُّنّة الثابتة على صدقه .

٢- وأنه فى واحدة منها يجب تكذيبه :

وهى ما إذا دَلّ القرآن أو السُّنّة أيضاً على كذبه .

٣- وأنه فى الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق :

وهى ما إذا لم يثبت فى كتاب ولا سُنّة صدقه ولا كذبه .

وبعد أن يورد الشنقيطى هـذه الأقسام الثلاثة نراه يشيـر إلى أن أغلب هذه الإسرائيليات إنما يقع من أهل الكتاب فيما يتعلق بالقَصَص الواردة فى القرآن والسُّنّة ، والتى يزعمون أنها منزلة فى الكتب السماوية الأخرى السابقة على القرآن .

وإزاء هذا يبيّن الـشنقيطى بطلان مزاعـمهم، ويقطع بسـقوط ادّعاءاتـهم ؛ ومن ثم فلا يجوز الرجوع إليها ، ولا يصح التعويل عليـها ، وهذا ما يذهب ليقيم الدليل عليه قائلاً : واعلم أن ما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف القـصص الواردة فى القرآن والسُّنّة الصحيحة زاعمين أنه منزل فى التوراة أو فى غيرها من الكتب السماوية ؛ إنما هو باطل يقيناً ولا يعوّل عليه .

وذلك لأن الله جلّ وعلا قد صرّح فى هذا القـرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديْه ولا من خلفه تنزيل مـن حكيم حميد بأنهم بدّلـوا وحرّفوا وغيّـروا فى كتبهم كـما فى قوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية [١] وقوله تعالى : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

(١) النساء : ٤٦ - المائدة : ١٣ .

تتنازع نقد الشنقيطى للإسرائيليات فى ثنايا تفسيره المختلفة ثلاث مسائل نسوقها على النحو التالى :

المسألة الأولى

موقف الشنقيطى من الإسرائيليات

ويتلخص موقف الشنقيطى من الإسرائيليات فى تقسيمه إياها ثلاثة أقسام منها قسم يجب تصديقه ، وقسم يجب تكذيبه ، وثالث يُتَوَقَّفُ فيه فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه ، وهذا ما يوضحه الشنقيطى بقوله : ومن المعلوم أن ما يروى عن بنى إسرائيل من الأخبار المعروفة بـ (الإسرائيليات) له ثلاث حالات :

١- أنه فى واحدة منها يجب تصديقه :

وهى ما إذا دَلّ الكتاب أو السُّنّة الثابتة على صدقه .

٢- وأنه فى واحدة منها يجب تكذيبه :

وهى ما إذا دَلّ القرآن أو السُّنّة أيضاً على كذبه .

٣- وأنه فى الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق :

وهى ما إذا لم يثبت فى كتاب ولا سُنة صدقه ولا كذبه .

وبعد أن يورد الشنقيطى هذه الأقسام الثلاثة نراه يشير إلى أن أغلب هذه الإسرائيليات إنما يقع من أهل الكتاب فيما يتعلق بالقَصَص الواردة فى القرآن والسُّنّة ، والتى يزعمون أنها منزلة فى الكتب السماوية الأخرى السابقة على القرآن .

وإزاء هذا يبيّن الشنقيطى بطلان مزاعمهم، ويقطع بسقوط ادّعاءاتهم ؛ ومن ثم فلا يجوز الرجوع إليها ، ولا يصح التعويل عليها ، وهذا ما يذهب ليقيم الدليل عليه قائلاً : واعلم أن ما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف القصص الواردة فى القرآن والسُّنّة الصحيحة زاعمين أنه منزل فى التوراة أو فى غيرها من الكتب السماوية ؛ إنما هو باطل يقيناً ولا يعوّل عليه .

وذلك لأن الله جلّ وعلا قد صرّح فى هذا القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بأنهم بدّلوا وحرّفوا وغيّروا فى كتبهم كما فى قوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية [1] وقوله تعالى : ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

(١) النساء : ٤٦ - المائدة : ١٣ .

تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية[3] إلى غير ذلك من الآيات .

وتلك الكتب السماوية بخلاف هذا القرآن العظيم الذى تولى الله جلّ وعلا حفظه بنفسه ، ولم يكلْهُ إلى أحد حتى يغيّر فيه أو يبدّل أو يحرّف كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[4] وقال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ الآيتان[5] كما قال تعالى فى نبيه ﷺ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان[6] .

وقد صَحّ عن رسول الله ﷺ : «أنه أَذِنَ لأمته أن تحدّث عن بنى إسرائيل، غير أنه نهاهم ﷺ عن تصديقهم وتكذيبهم؛ خَوْفَ أن يصدّقوا بباطل، أو يكذبوا بحق» الحديث[7] .

وبهذا التحقيق تعلم أن القَصَص المخالفة للقرآن والسُّنة الصحيحة التى توجد بأيدى بعضهم ، زاعمين أنها فى الكتب المنزّلة ؛ يجب تكذيبهم فيها لمخالفتها نصوص الوحى الصحيح التى لم تحرّف ولم تبدّل ، والعلم عند الله تعالى[8] .

المسألة الثانية

إعراض الشنقيطى عن بعض الإسرائيليات

يضرب الشنقيطى أحياناً عن ذكر بعض الإسرائيليات التى لا جدوى لها ، ولا طائل من ورائها ، وهذا ما يصرّح به وينصّ عليه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الآية[9] حيث يقول فى ذلك ما نصّه :

---

(1) الأنعام : 91 .   (2) البقرة : 79 .   (3) آل عمران : 78 .

(4) الحِجر : 9 .   (5) القيامة : 16 - 17 (آيتان) .

(6) النَّجم : 3 - 4 (آيتان) .

(7) أخرجه البخارى فى صحيحه من رواية أبى هريرة ﷺ قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أُنزِل إلينا وما أُنزِل إليكم» انظر صحيح البخارى (كتاب) الاعتصام بالكتاب والسُّنة (باب) قول النبى ﷺ : «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء» - (طبع بيروت) .

(8) أضواء البيان : الشنقيطى 4/186 - 187 .   (9) الكهف : 18 .

وما يذكـره المفسرون من الأقـوال فى اسم كلبهم ، فيـقول بعضـهم : اسمه (قِطْمِـير) ويقول بعضهم : اسمه (حِمْرَان) إلى غير ذلك ؛ فإننا لم نُطِلْ به الكلام لعدم فائدته ، ففى القرآن العظيم أشياء كـثيرة لم يبيّنها الله تعالى لنا ، ولم يبيّنهـا رسوله ﷺ لنا ، كما لم يثبت فى بيانها شىء ؛ ومن ثم فإنّ البحث عنهـا لا طائل تحته ، ولا فائدة فيه ؛ ومع ذلك فإن كثيراً من المفسرين يُطْنِبُون فى ذكر الأقوال فيها بدون علم ولا جدوى .

أما نحن فنعرض عن ذكر هذه الأشياء دائماً ، والتى من أمثلتها كل من : (اسـم ولون كـلب أصحاب الكهـف ، والبعض الذى ضُرِبَ به القتيل من بقـرة بنى إسرائيل ، واسـم الغـلام الذى قتله الخـضر وأنكر عليـه موسى قـتله ، وخشـب سفينة نـوح وكم طولـها وعَـرْضُها وكـم فيها مـن الطبقات) إلـــى غير ذلك ممـا لا فائـدة فـى البحـث عنـــه ، ولا دليل علـى التحقيق فيه[1] .

المسألة الثالثة

رَدُّ الشنقيطى لكثير من الإسرائيليات

رأينا فيما سـبق كيف أن الشنقيطى يُعْرِض عن ذكر بعض الإسـرائيليات التى لا جدوى منهـا ولا طائـل وراءهـا ؛ أمـا إنْ كانت تلك الإسـرائيليات ممـا يتعلق بأصـول هذا الدين وحدوده ؛ فلا شك أنهـا على جانب عظيم من الخطر ، بل ويتحتم على العلماء المعـتبرين من سلف الأمة وخلفها أن يُجَلُّوها لـعموم المسلمين وخصوصهم ؛ ليقفـوا على سقوطها ، ويتيقنوا من بطلانها .

ومـن هــذا المنطلق يتـعقب الشـنقيطى مـثل هذا النوع مـن الإسرائيليـات حيث يبـيّن سقـوطه ويحكم ببطلانه من خلال ما يسوقه من أدلته الـشرعية وشواهده المعتبرة فى ذلك ، وفيمـايلى نكتفى بأحـد هــذه الشواهد تنبـيهاً به على غيـره مما فى ثنايا تفسيره المخـتلفة ، ونعنى بـه :

● **قصة الغَرَانيق :**

تُعَدُّ هذه الـقصة عَلَمَـاً على الإسرائيليـات التى اختلقـها وأشاعـها أعـداء الإسلام من المشركين ومَنْ شايعهم من أهل الكتاب وغيرهم ؛ وذلك بهدف النَّيل من شخص رسول الله ﷺ ومن ثم النَّيل من رسالة الإسلام الخالدة .

وقـبل أن نشرع فى بيـان موقف الشنقـيطى من هذه القـصة وحُكْمِـه عليهـا بالسقـوط

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٤٣ - ٤٤ .

والبطلان ، فإنا نمهد بين يدىْ ذلك ببيان معنى الغرانيق ، ثم نتبعه موقفه منها ، وذلك على النحو التالى :

١- معنى الغَرَانِيق :

و(الغَرَانِيق) : هـى الذكــور من طيور الماء البيضــاء ذوات الأعنــاق والسيقان الطويلة ، وتتسم بجـمال منظـرها ، فـضلاً عن تميزها ببعض الريش الذهبىّ اللون فــى مُـقَدَّم رأسها والذى يعرف بـ (القُنْزُعَة) .

وأما واحد الغرانيق فيقال له : (غُرْنُوق) كـعُصْفُور ، و(غِرْنَوْق) كفِرْدَوْس ، و(غِرْنَيْق) كمِعْلَيْق ، و(غِرْنِيق) كمِسْكِين ، وأخيراً فقد يقال له : (غُرْنَيْق) و(غِرْيَاق) و (غُرَانِق)[1] .

٢- موقف الشنقيطى من الغَرَانِيق :

ففى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية[2] نراه يَعْرِض لهذه القصة مبيناً بطلانهـا ، ومؤكداً على عدم صحتها ، وذلك من خلال القـرينة القرآنية الموجـودة فى ذات الآية التى زعمـوا أنها شاهد على هذه القـصة المُخْتَلَقَة المزعومة ، حيث يقول ما نصّه :

ذكر كثير من المفسرين فى تفسير هذه الآية (قصة الغرانيق) حيث قالوا : إن سبب نزول هذه الآية الكريمة هو أن النبىّ ﷺ قـرأ سورة (النجم) بمكة ، فلـما بلغ قول الله تـعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ الآيتان[3] ألقى الشيطان عندئذ على لسانه قوله : (تلك الغرانيقُ العُلَى ، وإنْ شفاعتهن لَتُرْتَجَى) .

ثم لما بلغ رسول الله ﷺ آخـر السورة سَجَدَ ، وسَـجَدَ معه المسلمـون والمشركون ؛ وعندئذ قال المشركون : مـا ذكر محمد آلهتنا بخيـر قبل اليوم ؛ ثم شاع فى الناس آنذاك أنّ أهل مكة قد أسلموا بسبب سجودهم مع النبى ﷺ حـتى رجع المهاجرون من الحبشة ظناً منهم أن قومهم قد أسلموا ، غير أنهم وجدوهم على كفرهم .

---

(١) انظر فى ذلك كلاً من :

- مادة (غَرَق) فى كل من : لسـان العرب : ٣٢٤٤/٤ - مختار الصـحاح : ص ٣٥٩ - المعجم الوسيط : ٦٧٥/٢ .
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام : الشنقيطىّ ص ١٢٩ .

(٢) الحج : ٥٢ .

(٣) النجم : ١٩ - ٢٠ (آيتان) .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التى تضمنها أن يقول بعض العلماء فى الآية قولاً ويكون فى نـفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القـول ؛ وهذا القول الذى زعمه كثير من المفسـرين وهو أن الشيطان ألقى على لسان النبى ﷺ هذا الشرك الأكبر ، وذلك الكفر الـبواح ، الذى هو قولهم : (تلك الـغرانيقُ العُلَى ، وإنّ شفـاعتـهنّ لترتجى) يَعنُون : (اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى) الذى لا شك فى بطلانه .

فـإن فى نفس سـياق آيات النجم التى تخلـلها إلقاء الـشيطان المزعـوم ، قرينةً قـرآنيةً واضحـةً على بطـلان هذا القول ؛ لأن النبى ﷺ قـرأ بعد موضع الإلقـاء المزعوم بقليل قول الله تعالى فى (اللات والعُزّى ومـنـاة الثالثة الأخرى) : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ الآية[1] وليس من المعقـول أن النبى ﷺ يَسُبُّ آلهتهم هـذا السَّبَّ العظيم متأخراً عن ذكره لها بالخير المزعوم ؛ وإلاّ غضبوا ولم يسجدوا ، لأن العبرة بالكلام الأخير .

ومـع ذلك فـقد دلت آيات أخـرى فى غيـر سورة (النجم) علـى بطلان هذا الـقول ، وهى تلك الآيات الـدالة علـى أن الله تعالى لم يجـعل للشيطـان سلطاناً على النبى ﷺ ولا علـى إخوانه من الرسل ، ولا علـى أتباعهم المخلصين ، ومنها قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الآيـتان[2] وقوله تعـالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية[4] وقوله تـعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ الآية[5] وعلى القول المزعوم أن الشـيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح ؛ فـأى سلطان له أكبر من ذلك ؟!

بل إن من الآيات الدالة على بطلان ذلك القـول المزعوم فى رسـول الله ﷺ قول الله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيتان[6] وقوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الآيتان[7] وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية[8] وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ

---

(١) النجم : ٢٣ . (٢) النحل : ٩٩ - ١٠٠ (آيتان) . (٣) الحجْر : ٤٢ .
(٤) سبأ : ٢١ . (٥) إبراهيم : ٢٢ . (٦) النجم: ٣ - ٤ (آيتان) .
(٧) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢ (آيتان) . (٨) الحجر : ٩ .

﴿الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآيتان[1] فهذه الآيات القرآنية تدل يقيناً على بطلان ذلك القول المزعوم ؛ ومن ثم سقوط تلك القصة المزعومة[2] .

● **رأى البحث :**

والحق أننا نذهب إلى ذات ما ذهب إليه الشنقيطى فى حكمه على هذه القصة المختلقة المزعومة بالسقوط والبطلان ، كما نؤيد احتجاجه بدليليْه اللذين تمثل أحدهما فى تلك القرينة القرآنية الموجودة فى ذات آية (النجم) التى زعموا أنها مَحَلُّ الشاهد عندهم ، فى حين تمثل دليله الثانى فى تلك الجملة من الآيات التى ساقها فى مَعْرِض استشهاده على أن الشيطان لا سلطان له على رسول الله ﷺ ولا على غيره من إخوانه من رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بل ولا على عباد الله المخلصين .

وفضلاً عن هذين الدليلين المعتبرين إلاّ أننا نرى أن هناك قرينتين قرآنيتين أخريين تشهدان على سقوط هذه القصة وبطلانها ، أما أولَى هاتين القرينتين فتوجد فى آية (الحج) وأما ثانيتهما فتوجد فى آية (النجم) وفيما يلى نبيّن وجه استدلالنا بهما على النحو التالى :

١- القرينة الأولى (فى آية الحج) :

ففى قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية[3] يبيّن الحق سبحانه أنه يبطل ما يلقيه ويقوله الشيطان أثناء تلاوة رسول الله ﷺ لكتاب الله تعالى ، كما أبطل سبحانه ما كان يلقيه ويقوله الشيطان أثناء تلاوات رسل الله وأنبيائه لما أنزل عليهم فى أقوامهم من قبل .

ومن ثم ؛ فإن إسناد الإلقاء إلى الشيطان لهو دليل قاطع على أن هذا الإلقاء لم يَقُلْه رسول الله ﷺ وإنما قائله هو الشيطان ذاته ؛ وبهذا تَبْرأُ ساحة رسول الله ﷺ من زعم هذا الإلقاء بنص هذه الآية ذاتها .

كما أن إثبات الله تعالى نَسْخه وإبطاله لما يلقيه ويقوله الشيطان ، ثم إحكامه سبحانه وإثباته آياته الحقة ؛ لهو دليل قاطع على بطلان هذه القصة المزعومة وسقوطها ، وأنها لم تُباشِر لسان رسول لله ﷺ فضلاً عن عقله وقلبه ؛ لأنه بنسخ الله تعالى ما يلقى الشيطان ، وبإحكامه سبحانه آياته ؛ يحفظ رسوله ﷺ من أن يصل إليه من الشيطان أىّ مقال ، أو أن ينال منه على أية حال .

---

(١) فصّلت : ٤١ - ٤٢ (آيتان) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٧٢٨ - ٧٣٠ .

(٣) الحج : ٥٢ .

٢- القرينة الثانية (فى آية النجم) :

ففى قـول الله تعالى : ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ الآية[١] أمر بالسـجود فى هذه الآية الأخيرة التى ختمت بها السورة، وكما هو معلوم أن هذا موضع سجدة من سجدات التلاوة فى القرآن؛ ومن ثـم فقد سـجد رسول الله ﷺ امـتثالاً لهـذا الأمر الإلهى، وليس كـما زعموا من أنه سجد ﷺ تصديقاً وتأكيداً على الخير الذى ذكر به آلهتهم فى زعمهم الباطل .

وإلاّ لو صَحّ زعمـهم هذا لكان سجـد ﷺ فور ذكره آلهـتهم فى قـول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ الآيتان[٢] إظهاراً منه وإثباتاً لذكره آلهتهم هذه بالخير ؛ حتى إنه ليسجد لربه سبحانه شكراً وامتناناً على هذا الوفاق بينه وبين أتباع هذه الآلهة .

ولكن حاشاه ﷺ أن يقع منه ذلك ، سبحانك هذا بهتان عظيم !! لقد سجد ﷺ امتثالاً لأمر ربه سبحانه فى آخر السورة ، ولم يسجدعند ذكر آلهتهم الباطلة فى أول السورة نفسها ؛ وبهذا ينـتفى ذكره ﷺ آلهتهم المزعومة بهذا الخيـر المزعوم ؛ وهذا ما يتأدى عنه بالضـرورة عـدم إجـراء ذلك القـول على لسانـه ﷺ من الأصل ؛ ومن ثم بطلان هذه القصة وسقوطها من الأصل كذلك .

وهكذا فبضم هـاتين القرينتين القرآنيتين إلى دليلىْ الشنقـيطى السابقيْن ؛ فإنه يـتأكد لنا بطلان هذه القصة وسقوطـها ، شأنها فى ذلك شأن سائر أمثالها من الإسـرائيليات المختلقة المزعومة التى يجب رَدُّهَا وتكذيبها، فضلاً عن عدم صحة الرجوع إليها، أو التعويل عليها .

* * *

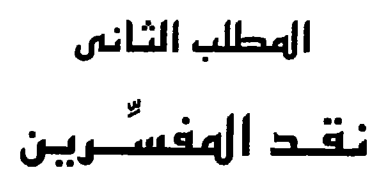
وبعد : فإنه يتـضح لنا مما سبق كيف أن الشنقـيطى يسلك إزاء نقده الإسرائيليـات أحد سبيلين ، فإما أن يُعْرِض عند ذكر تلك الإسـرائيليات التى لا جدوى منها ولا طائل تحتها ؛ حيث لا يترتب على تركها خطر من ورائهـا ، وإمـا أن يتعقب تلك الإسرائيليات الأخـرى التى يؤدى تركها إلى استـشراء شرها ، واستفحال خطرها ؛ من حـيث فتنة المسلمين بها ، ووقوعهم فى أمر دينهم بسببها .

وفى هذين المسلكين ما فـيهما من المنهجـية وتوجيه الجُـهْد ما جعل الشنقيـطى ينقد ما يستحق النقد ، ويُعْرِض فى ذات الوقت عما لا يستحق النقد .

---

(١) النجم : ٦٢ (الآية الأخيرة فى السورة) .

(٢) النجم : ١٩ - ٢٠ (الآيتان فى أول السورة) .



المطلب الثانى

نقد المفسِّرين

ونعالج تحته المسأليتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : توجيه الشنقيطىّ لآراء المفسِّرين .

٢- المسألة الثانية : رَدّ الشنقيطىّ لآراء المفسِّرين .

يتنازعُ نقدَ الشنقيطىّ للمفسِّرين جانبان يتمثل أحدهما فى توجيهه لبعض آرائهم الخلافية بحملها على أحد الوجوه المعتبرة ، فى حين يتمثل ثانيهما فى ردّه لبعض هذه الآراء الخلافية من خلال أدلـته المعتـبرة فى ذلك أيضـاً ، وفيـما يلـى نكتـفى بذكر بعض شـواهد هذين الجانبين تنبيـهًا بها علـى غيرها مما فـى ثنايا تفسيره المختلفـة ، وذلك مـن خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

توجيهه لآراء المفسرين

ففى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ الآية[1] نراه يوجّه رأى ابن جرير الطبرىّ بشأن (غلبـة الأنبياء والرسل) الواردة فى قوله الله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ الآيتان[3] بحمله على أحد أمرين ، حيث يذكرهما ويعلّل لهما فيقول فى ذلك ما نصه :

لقد حـقق العلماء أن غلبة الأنـبياء على قـسمين : (غلبة بالحـجة والبيـان) وهى ثابتة لجميعهم ، و(غلبة بالسيف والسِّنان) وهى ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال فى سبيل الله ؛ ولأن مَنْ لم يؤمر بالقـتال ليس بغالب ولا مغلوب ؛ لأنه لم يُغَـالَبْ فى شىء ، أما تصريحه تعـالى بأنه كتب أن رسله هم الغالبون فـهو شامل لغلبتهم مَنْ غـالبهم بالسيف ، وهذا هو معنى الغلبة فى القرآن والذى يشمل أيضاً غلبتهم بالحجة والبيان .

وهـذا مـا يبـيّن أن نصـر الـرسل المذكور فى قـول الله تعـالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ الآيتان[5] أنه نصر غلبة بالسيف والسِّنان للذين أمروا منهم بالجهاد ؛ لأن الغلبة التى بَيَّنَ أنها كتبها لهم هى أخصّ من مطلق النصر ؛ لأنها نصـر خاص ، كما أن الغلبة لغةً هى القهر ، والنصر لغةً هى إعانة المظلوم ؛ فيجب إذن بيان هذا الأعمّ بذلك الأخصّ .

وبهذا تعلـم أن مـا قالـه الإمام الكبير ابن جرير رحـمـه الله ، وكذا مَنْ تبعه فى تفسير قول الله تعـالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية[6] مـن أنه لا مـانع مـن قـتل الرسول المأمـور

---

(1) آل عمران : ١٤٦ .
(2) غافر : ٥١ .
(3) الصَّافَّات : ١٧١ - ١٧٢ (آيتان) .
(4) غافر : ٥١ .
(5) الصَّافَّات : ١٧١ - ١٧٢ (آيتان) .
(6) غافر : ٥١ .

بالجهاد ، وأن نصره المنصوص عليه فى الآية يُحْمَل حينئذ على أحد أمرين أحدهما : أن الله ينصره بعد الموت ؛ وذلك بأن يسلط على قاتله مَنْ ينتقم منه ، كما فعل بالذين قتلوا (يحيى وزكريا) من تسليط (بُخْتَنَصَّر) عليهم ونحو ذلك ، وثانيهما : حَمْل الرسل فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ على خصوص نبينا ﷺ وحده ، وهذا لا يجوز حمل القرآن عليه لأمرين :

● **الأمر الأول** : أنه خروج بكتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل من كتاب ولا سُنة ولا إجماع ؛ ومن ثم فإن الحكم بأن المقتول من المتقاتلين هو المنصور بعيد جداً وغير معروف فى لسان العرب ؛ فَحَمْل القرآن عليه بلا دليل غلط ظاهر ، وكذلك حَمْل الرسل على نبينا محمد ﷺ وحده بعيد جداً أيضاً ، والآيات الدالة على عموم الوعد بالنصر لجميع الرسل كثيرة ولا نزاع فيها .

● **الأمر الثانى** : أن الله تعالى لم يقتصر فى كتابه على مطلق النصر الذى هو فى اللغة (إعانة المظلوم) بل صرّح بأن ذلك النصر المذكور للرُّسُل هو (نصر غلبة) وذلك فى قوله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ الآية[1] .

وقد رأيتَ معنى الغلبة فى القرآن ، ومرَّ عليك أن الله سبحانه جعل المقتول قسْماً مقابلاً للغالب فى قوله تعالى : ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية[2] كما صرّح تعالى بأن ما وعد به رسله لا يمكن تبديله وذلك فى قوله جلّ وعلا : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية[3] .

ولا شك أن قول الله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ هو من كلماته التى صرّح بأنها لا مبدل لها ، وقد نفى جلّ وعلا عن المنصور أن يكون مغلوباً نفياً باتاً فى قوله تعالى : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ الآية[4] وقد ذكر مُقَاتِل أن سبب نزول قول الله تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ أن بعض الناس قال : أَيَظُنُّ محمد وأصحابه أن يغلبوا الروم وفارس كما غلبوا العرب ، زاعماً أن الروم وفارس لا يغلبهم النبى ﷺ لكثرتهم وقوتهم ؛ فأنزل الله تعالى الآية المذكورة .

وهذا ما يدل على أن الغلبة المذكورة فى الآية هى غلبة بالسيف والسِّنان ؛ لأن صورة سبب النزول لا يمكن إخراجها ، كما يدل له قول الله تعالى قبله : ﴿أُولَٰئِكَ فِي

---

(١) المجادلة : ٢١ .
(٢) النساء : ٧٤ .
(٣) الأنعام : ٣٤ .
(٤) آل عمران : ١٦٠ .

﴿الأَذَلِّينَ﴾ الآية[1] وقوله تعالى بعده : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الآية[2] .

وهكذا يتمثل نقد الشنقيطى هنا فى توجيه مـا ذهب إليه إمام المفسِّرين ابن جرير الطبرىّ ومَنْ تبعه من المفسِّرين بشأن مسألة (غلبة الأنبياء والرسل) حيث فَنَّدَ قولهم من خلال حمله على وجـهين ، ومدللاً على عـدم جواز أىٍّ منهمـا ؛ ولينتهى بـذلك إلى أن غلبة الأنبـياء والرسل إنما تشمل نصـرهم فى حياتهم الدنيا فى دعـوتهم بالحُجَّة والبيـان ، وفى جهادهم بالسيف والسِّنَان، وهو ذات ما نذهب إليه ونؤيده .

المسألة الثانية

رَدُّهُ آراء المفسرين

وكما عرضنا لتـوجيه الشنقيطى لرأى الطبرىّ وآراء مَنْ تبعه من المفـسِّرين ؛ فإنا نَعْرِض هنا كذلك لرد الشنقيطى رأىَ الطبرىّ ، ثم لردِّه آراء المفسِّرين ، وذلك على النحو التالى :

١- رَدُّهُ رأىَ الطبرىّ:

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ الآيات[3] نراه يرد ما ذهب إليه إمـام المفسِّـرين ابن جرير الطبـرىّ رحمـه الله تعالـى من أن المراد بـ (النجم) فى هذه الآية الكريمة هو (خصوص نجم الثُّرَيَّا) وفى ذلك يقول ما نصه :

اعلم أن القول بأنه (الثريـا) وأن المراد بالنجم هو (خصوصها) وإن اخـتاره ابن جرير ، ليس بوجيـه عندى ؛ والدليل على ذلك جمع الله تعـالى للنجوم فى القَـسَم الذى أَقْسَمَ به سبحانه فى قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الآية[4] لأن الظاهر أن المراد بالنجم إذا هوى هنا كالمراد بمواقع النجوم فى (الواقعة)[5] .

وهكذا نرى أن (النجم) هنا إنما هو رمـز على جنس غيره من النجـوم الأخرى ، وليس دالاًّ على واحد منهـا بعينه ، وهذا ما يبـيِّنه الحق سبحانه فـى سورة الواقعة بقـوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[6] ومن ثم فهى جمع من النجوم وليست نجماً واحداً بعينه ، لا (خصوص الثُّرَيَّا) ولا (خصوص غير الثُّرَيَّا) وهذا ما نوافق الشنقيطى فيه ، ونقرّه عليه .

---

(١) المجادلة : ٢٠ .

(٢) المجادلة : ٢١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ١/ ٣٥٣ - ٣٥٥ .

(٣) النجم : ١ - ٤ (أربع آيات) .

(٤) الواقعة : ٧٥ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٧٠٠ .

(٦) الواقعة : ٧٥ .

٢- ردّه آراء المفسرين :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الآية[١] نراه يبيّن أن المقصود بما أخفاه رسول الله ﷺ فى نفسه وأبداه الله تعالى إنما هو زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ بوحى من الله تعالى ، وهى آنذاك تحت زيد بن حارثة ﵁ وذلك خلافاً لما ذهب إليه كثير من المفسِّرين الذين ردّ الشنقيطى قولهم بما نصّه :

إنّ الله تعالى أَبْهَمَ فى أول هذه الآية الكريمة هذا الذى أخفاه رسوله ﷺ فى نفسه وأبداه الله سبحانه ، ولكنه أشار سبحانه فى ذات الآية إلى أن المراد به هو زواجه ﷺ من زينب بنت جحش ﵂ حيث أوحى إليه ذلك وهى فى ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة ﵁ لأن زواجه ﷺ إياه هو الذى أبداه الله سبحانه بقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الآية[٢] وهذا هو التحقيق فى معنى الآية الذى دلّ عليه القرآن ، كما أنه هو اللائق بجنابه ﷺ .

وبه تعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين من أن الذى أخفاه رسول الله فى نفسه وأبداه الله تعالى إنما هو وقوع زينب فى قلبه ومحبته لها وهى تحت زيد ، وأنها سَمِعَتْه قال : «سبحان مقلب القلوب» إلى آخر القصة ؛ فإنْ هذا كلّه لا صحة له ، والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يُبْدِ من ذلك شيئاً ؛ مع أنه صرّح سبحانه بأنه مُبْدِى ما أخفاه رسول الله ﷺ [٣] .

وحقاً ؛ فلو كان ما أخفاه رسول الله ﷺ فى نفسه شيئاً غير الزواج المأمور به ؛ لكان الله تعالى قد أبداه ؛ ولما لم يُبْدِ الله تعالى غير هذا الزواج ؛ لذا فقد تأكد بطلان ما ذهب إلى غيره كثير من المفسرين الذين ردّ الشنقيطى أقوالهم بما نتفق معه فيه ، ونقرّه عليه .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن نقد المفسِّرين عند الشنقيطى يتوزع بين توجيهه

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .
(٢) الأحزاب : ٣٧ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٥٨٠ - ٥٨١ .

لآرائهم أحياناً ، ورده لآرائهم أحياناً أخرى ، وهو فى هذا أو ذاك لا يعدم إقامة الحجة على ما يذهب إليه ، من خلال أدلته الشرعية ، وشواهده المعتبرة .

ثم إن نقده هذا وإنْ كـان قد شمل أعلام المفسِّرين وأئمتهم (كالطبـرىّ والقرطبىّ وابن كثير وابن العربىّ وأبى حيّانَ والرازىّ والبغـوىّ وابن عطيّة والزمخشرىّ والآلوسىّ) وغيرهم ؛ إلاّ أننا اكتفينا منهم بعَلَمِهم وإمامهم أبى جعفـر محمد بن جرير الطبرىّ رحمه الله تعالى تنبيهاً به على جملتهم مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة .

المطلب الثالث

نقد المُحَدِّثين

ونعالج تحته المسائل الثلاث التالية :

١ - المسألة الأولى : كلام الشنقيطيّ فى إسناد الحديث .

٢- المسألة الثانية : كلام الشنقيطيّ فى تخريج الحديث .

٣- المسألة الثالثة : كلام الشنقيطيّ فى درجة الحديث .

يتوزع نقدُ المُحَدِّثين عند الشنقيطىّ بين كـلامه فى (إسناد الحديث) حيث تفنيده لما يذكره المحدّثون من الجـرح والتعـديل لرجال إسناد هذا الحـديث أو ذاك ، ثم كلامه فـى (تخريج الحديث) حـيث تَتَبُّـعُه لروايات الحـديث المختلفـة ، وطرقه المتـعددة ، وبيان تخـريج هذه الروايات فى كتب السُّنـة ومصنّفات الحديث بمـختلف أنواعها ، وأخـيراً كلامـه فى (درجة الحديث) حـيث عَرْضُه أقـوال العلماء بشـأن حكمهم عـلى الحديث ، وتحـديدهم درجـة صحته ؛ ومن ثم حكمـه على الحديث بالقَبُول والإعمال ، أو بالرّدّ والإهمـال ، وفيما يلى نكتفى بذكر بـعض شواهد هذه المحاور الثـلاثة تنبيهـاً بها على غيـرها مما فى ثنايا تفسـيره المختلفة ، وذلك من خلال المسائل الثلاث التالية :

المسألة الأولى

كلامه فى إسناد الحديث

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[1] نراه يَعْرِض للخـلاف الواقع بين العلماء فى (زكاة الحُلِىّ المبـاح) حيث يتناول من خـلال ذلك رجال إسناد الحـديث الذى احـتج به مَنْ قال : (لا زكـاة فى الحُلِىّ المباح) فيقول مـا نصه : واعلم أنّ مَنْ قال بأن (الحُلِىّ المباح لا زكاة فيه) إنما تنحـصر حجته فى أربعة أمور :

- الأول : حديث جاء بذلك عن رسول الله ﷺ .
- الثانى : آثـار صحيـحة عن بعض الصحـابة رضوان الله عليـهم أجمعين يَـعْتَضِـدُ بها الحديث المذكور .
- الثالث : القياس .
- الرابـع : وضع اللغة .

أما الحديث: فهو ما رواه البيهقىّ فى (معرفة السُّنن والآثار) من طريق (عافية بن أيوب) عن الليث، عن أبـى الزبيـر، عن جابـر، عن النبى ﷺ أنه قـال: «لا زكـاة فى الحُلِىّ» الحديث[2] .

---

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) أخـرج مالك مـاذهب إليه بعض الصحـابة كابن عمر وعـائشة وجابر بن عبـد الله وأنس بن مالك رضى الله عنهم أجمعين من أن (الحلى لا زكاة فيه) - انظر الموطأ (كتاب) الزكاة (باب) ما لا زكاة فيه من الحلى والتبر والعنبر - (طبع بيروت) - وقد أخرج الترمذى أيضاً نفس ما أخرجه مالك عن هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين - انظر سُنن الترمذى (كتاب) الزكاة (باب) ما جاء فى زكاة الحلى - =

قال البـيهقى : وهذا الحـديث لا أصل له ، وإنّ ما روى عن جابر من قـوله فهو غـير مرفـوع ، وأما الذى يروى عن عافـية بن أيوب ، عن الليث ، عن أبى الزبيـر ، عن جابر مرفوعاً فـهو لا أصل له ، و(عافية بن أيوب) مجـهول ، فَمَنْ احتج به مرفوعـاً كان مغرراً بدينه ، داخلاً فـيما نعـيب به المخالفين من الاحتـجاج برواية الكذابين ، والله يعـصمنا من أمثال هذا .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : ما قاله الحافظ البيهقىّ رحمه الله تعالى من أن الحكم برواية (عافية) المذكـور لهذا الحديث مرفوعاً من جنس الاحتـجاج برواية الكذابين فيه نظر ؛ لأن (عافـية) المذكور لم يقل فيـه أحد إنه كذاب ، وغايـة ما فى الباب أن البيـهقى ظن أنه (مجهول) لأنه لم يطلـع على كونه ثقة ، وقد اطلع غيره على أنه (ثقـة) فوثقه ، وقد نقل ابن أبى حاتم توثيقه عن أبى زرعة .

وقال ابن حجر فى (التلخيص) : (عافـية بن أيوب) قيل ضعيف ، وقال ابن الجوزى : (ما نعلم فيه جرحـاً) وقال البيهقى : (مجهول) ونقل ابن أبى حـاتم توثيقه عن أبى زرعة ؛ ولا يخفى أن مَن قال : إنه (مـجهول) يُقَدَّمُ عليه مَنْ قـال : إنه (ثقة) لأنه اطلع على مالم يطلع عليه مَنْ ادّعى أنه مجهول ، كما أنّ (مَنْ حفظ حُجَّة على مَنْ لم يحفظ) .

ثم إن التـجريح لا يُقْبَل مع الإجمـال ؛ فـ (عافيـة) هذا وثقه أبـو زرعة ، والتعـديل والتجريح يكفى فيهما واحد على الصحيح فى (الرواية دون الشهادة) وفى هذا يقول العراقىّ فى (ألفيته) :

وصَحَّحُوا اكتفاءَهم بالواحِـــدِ   جرحاً وتعديلاً خلافَ الشّاهِدِ

= (طبع بيروت) .

كما أخرجه ابـن الجوزى مرفوعاً من طريق عافية بلفظ : «ليس من الحلى زكـاة» وقد عَقَّبَ عليه بقوله : قالوا عافية ضعيف ، قلنا : ما عرفنا أحـداً ظفر فيه ، وقالوا : قد روى هذا الحديث موقوفاً على جـابر ، قلنا : الراوى قد يسند الـشىء تارة ، وقد يفـتى به تارة أخرى - انظر (التـحقـيق فى أحاديث الخلاف) : لابن الجوزى ٢/ ٤٢ - الطبعة ١ - تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدنى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

ويؤكد ابن حجـر ما ذهب إليه ابن الجوزى ، وكذا ما نقله ابن أبى حـاتم عن أبى زرعة ، بشأن توثيقهم (عافـيَة) المذكور ، وتعديلهم له قائلاً ما نصه : رَوَى البيـهقى فى (المعرفة فى السُّنن والآثار) عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا زكاة فى الحلى» من حديث (عـافية بن أيوب) عن أبى الزبير عن جابر ، ثم قـال : (لا أصل له ، وإنما يروى عن جابر من قـوله) وعافيـة قيل ضعـيف ، وقال ابن الجوزى : (مـا نعلم فيه جـرحاً) وقـال البيهقى : (مـجهول) ونقل ابن أبى حاتم (توثيـقه) عن أبى زرعة - انظر (تلخيص الحبير) : لابن حجر العسقلانى ٢/ ١٧٦ - (طبع المدينة المنورة) .

كما أن التعديل يُقبَل مجملاً بخلاف الجرح للاختلاف فى أسبابه ، وفى هذا يقول العراقىّ فى (ألفيته) كذلك :

وصَحّحُوا قَبُولَ تعديل بلاَ ذكْرِ أسباب لـه ، أنْ تَثْقُلاَ
ولم يَرَوْا قَبُولَ جَرْحٍ أُبْهِمَا للخُلْف فى أسبابهِ ، وربَّمَا
استُفسرَ الجَرْحُ فلمْ يَقْدَحْ كما فَسَّرَهُ شُعْبَةُ بالرَّكْضِ ، فَمَا
هذا الذى عليه حُفَّاظُ الأثَرْ كَشَيْخَيْ الصحيح مَعَ أهلِ النَّظَرْ[1]

وهذا هو الصحيح ؛ لأنه مما لاشك فيه أن قول البيهقى فى (عافية) : (إنه مجهول) أَوْلَى منه بالتقديم عليه قول أبى زرعة فيه : (إنه ثقة) ولأنه كما ذكرنا أنّ (مَنْ حَفِظَ حُجَّة على مَنْ لم يَحْفَظْ) .

وأخيراً فمما يؤيد ما ذُكِرَ من توثيق (عافية) المذكور أن ابن الجوزىّ مع سَعَةِ اطلاعه ، وشدة بحثه عن الرجال ؛ فقد قال : (إنه لا يَعْلَمُ فيه جرحاً) ومن ثم ؛ فإذا ثبت الاستدلال بالحديث المذكور ؛ فإنه يصير بهذا نصاً فى محل النزاع[2] .

---

(١) راجع فى ذلك باب (معرفة مَنْ تُقْبَلُ روايتُه ومَنْ تُرَدُّ) من (نظم الدُّرَر فى معرفة الأثر) المعروف بـ(ألفية مصطلح الحديث) : للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ت (٨٠٦ هـ = ١٤٠٤م) – ص ١٨٤ – ضمن مجموعة بعنوان (نفائس) – تحقيق : محمد حامد الفقى – مطبعة السُّنة المحمدية – القاهرة – (د . ت) .

ويرى السيوطى أنّ الأصل فى العَالِم هو عَدْلُه إلى أن يظهر جرحه ، كما أن الجرح والتعديل يكفى فى قَبُولِهِمَا أن يَحكُمَ بهما عالِم واحد على الأصح ؛ ومع هذا فالجرح مقدم عنده على التعديل خلافاً للعراقى والشنقيطى ؛ إلاَّ إذا كان هذا الجرح مفصَّلاً بحيث يتأدّى عنه فى النهاية نفيه عن صاحبه ؛ فعندئذ يتم تقديم القول بتعديله على القول بتجريحه ، وهذا ما يشير إليه الحافظ السيوطى فى (ألفيه الحديث) بقوله :

.... بأنَّ كلَّ مَنْ بعلمٍ يُعْرَفُ
عَدْلٌ إلى ظهور جرح ، وأَبَوْا والجرحَ والتعديلَ مطلقاً رَأَوْا
قَبولَه من عَالِمٍ على الأصَح ما لم يُوَثَّقْ مَنْ بإجمال جُرِحْ
وقَدِّمِ الجرحَ ولو عَدَّلَهُ أكثرُ فى الأقوى ، فإنْ فَصَّلَهُ
فقال : منه تَابَ ، أو نَفَاهُ بوَجْهِه ؛ قُدِّمَ مَنْ زَكَّاهُ

• انظر (ألفية علم الحديث) : للحافظ جلال الدين السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) ص ٤٢ – الطبعة ١ – مكتبة العلْم بجدة – ومكتبة ابن تيمية بالقاهرة – ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٤٦ – ٤٤٧ .

وهكذا يتعقب الشنقيطى منزلة (عافيـة) المذكور من (الجرح والتعديل) لينتهى إلى القول بتوثيقه ، ومثبتاً أن مَنْ عَدَّلَهُ بحكمـه عليه بأنه (ثِقَة) مقدم على مَنْ جَرَّحَهُ بحكمه عليه بأنه (مجهول) .

وبهذا يَسْلَمُ رجالُ إسنادِ الحديث المذكور من التجريح ؛ ومن ثم فإنه يثبت الاستدلال به كنص فى مَحَلِّ النزاع ، وهذا مـا أشار إليه الشنقـيطى فى ختام كلامـه الذى نقله عن أئمة الجرح والتعديل بشأن توثيقهم (عَافِيَة) المذكور .

المسألة الثانية

كلامه فى تخريج الحديث

ففى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الآية[1] نراه يذهب إلى القول بجواز صلاة ركعتىْ الطواف فى أوقات النهى بلا كراهة ، ومستدلاً فى ذلك بقول الله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ الآية[2] ثم بالحديث الذى رواه جـبير بن مطعم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يا بنى عبد مـناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصَلَّى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار » الحديث[3] .

وحالما يفرغ الشنقيطى من استدلاله بهذا الحديث نراه يَرُدُّ على المجد ابن تيمية فى عزوه إياه للإمام مسلم قائلاً فى ذلك ما نصّه: عزا المجد ابن تيمية حديث جبير لمسلم حيث قال: (رواه الجمـاعة إلاّ البخـارى) وهذا وَهْمٌ منه ، وقد تبعـه عليه المحبُّ الطبرىّ حـيث قال : (رواه السبـعة إلاّ البخارىّ وابن الرفـعة) ثم قال المحبُّ الطبـرىّ : رواه مسلم ولفظه : «لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت ، وصَلّى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار» وكأنه والله أعلم لما رأى ابن تيمية قد عزاه إلى الجماعة دون البخارىّ؛ اقتطع مسلماً من بينهم واكتفى به عنهم، ثم ساقه باللفظ الذى أورده ابن تيمية ؛ فأخطأ مكرراً [4] .

وهكذا يُحَرِّر الشنقيطى المقام هنا بشأن تخريج حـديث جبير المذكور ، حيث يثبت وَهْمَ المجد ابن تيميـة فى تخريجه له فى (صحيح مسلم) ومن ثم وَهْمَ المحـبّ الطبرىّ الذى تبعه فـى ذلك ، وهـو فى ذات الوقـت يؤكـد عـدم رواية البخـارىّ ومسلم لهذا الحديث ؛ مما

---

(1) الحج : ٢٩ .   (2) البقرة : ١٢٥ .

(3) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) الحج (باب) ما جاء فى الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لِمَنْ يطوف - (طبع بيروت) - وقـال الترمذى : هذا حـديث حسن صحـيح - كما أخـرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) المناسك (باب) الطواف بعد العصر - (طبع بيروت) .

(4) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٢٢٣ - ٢٢٤ .

يدل على عنايته بتخريج الحديث الذى يستشهد به ، وتعقبه طرقه المتعددة ، ورواياته المختلفة .

المسألة الثالثة

كلامه فى درجة الحديث

ففى مَعْرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان[1] نراه يستدل على مشروعية الاجتهاد فى هذه الآية الكريمة بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن قائلاً له : «فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسُنّة رسول الله ﷺ قال: فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ، قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال: الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرْضِى رسولَ الله ﷺ » الحديث[2] .

وبعد أن يورد الشنقيطى نصَّ هذا الحديث نراه يشرع فى تتبع درجته والحكم عليه ؛ وليخلص فى نهاية المطاق إلى قول العلماء بصحته وتلقى الأمة له بالقَبُول ، وفى ذلك يقول ما نصّه : اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكور فى المُسْنَد والسُّنن كلها من طريق شعبة عن أبى عون عن الحارث بن عمرو (وهو ابن أخى المغيرة بن شعبة) عن أناس من أصحاب معاذ ، عن معاذ ، عن رسول الله ﷺ .

أما الرواية المتصلة الصحيحة التى ذكرنا سابقاً عن ابن قدامة فى (روضة الناظر) أن عبادة بن نسى رواه عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ : فهذا الإسناد وإن كان متصلاً ، وكان رجاله معروفين بالثقة ؛ إلاّ أنى لم أقف على مَنْ خرّج هذا الحديث من هذه الطريق ، إلاّ عند كل من :

١- العلامة ابن القيّم ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ هـ) :

حيث ذكره رحمه الله تعالى فى كتابه (إعلام الموقعين) عن أبى بكر الخطيب بلفظ :

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٩٧ (آيتان) .

(٢) سبق تفصيل القول فى هذا الحديث من حيث تخريجه ودرجته ؛ وقد انتهى حكم قدامى العلماء ومحدثيهم عليه بأنه وإنْ كان ليس صحيح الإسناد ، إلاّ أنه صحيح المعنى ، بل وعليه عمل الأمة سلفاً وخلفاً ، وهذا هو وجه شهرته التى تُعَضِّدُ قَبولَه والأخذَ به ، والله تعالى أعلم - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(وقد قـيل : إن عبادة بن نسى رواه عن عبـد الرحمن بن غنم ، عـن معـاذ) ولفظة (قيل) صيغة تمريض كما هو معروف .

٢- الحافظ ابن كثير ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م):

حيث ذكره رحـمه الله تعالى فى (تاريخه) باللفظ الذى ذكـرنا بالإسناد الذى أخرجه به الإمام أحمد، ثم قال: وأخرجه أبو داود ، والترمذىّ من حديث شعبة به، وقال الترمذىّ : لا نعرفه إلاّ من هذا الوجـه ، وليس إسناده عند بمتصل ، ثم قال ابن كثـير : وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه ، إلاّ أنه من طريق محمـد بن سعيد بن حسان (وهو المصلوب أحد الكذابين) عن عبادة بن نسى ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ به نحوه .

واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من (تاريخ ابن كـثير) التى هى من الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ فيها تحريف مطبعى فى الكلام الذى ذكرنا ، ففيـها : محمد بن سعد بن حسّان ، والصواب (محمد بن سـعيد لا سعد) كما فيها : عن عيـاذ بن بشر ، والصواب (عبادة بن نسى) .

وما ذكره ابن كثير رحمه الله تعـالى من إخراج ابن ماجه لحديث معاذ المذكور من طريق محمـد بن سعيد المصلـوب ، عن عبادة بن نسى ، عن عبـد الرحمن وهو ابن غنم ، عن معاذ ، لم أره فى سُنن ابن ماجه ، أما الذى فى سُنن ابن ماجه بالإسناد المذكور من حديث معاذ فهو غير المتن المذكور ولفظه : حدثنا الحسـن بن حماد سجادة ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموىّ ، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة ابن نسى، عبد عبد الرحمن بن غنم ، حدثنا معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : «لا تقضينّ ولا تَفْصِلَنّ إلاّ بما تعلم ، وإن أُشْكِلَ عليك أمر فَقِفْ حتى تبينه أو تكتب فيه» الحديث[1] .

وما أدرى أَوَهِمَ الحافظ ابن كثير فيمـا ذكر ؟! أو هو يعتقد أن معنى (تبينه) فى الحديث أى تعلمه باجـتهـادك فى استخـراجه من المنصوص ، فـيُرْجَع فى ذلك إلى مـعنى الحديث المذكور .

وعلى كل حال فالرواية المذكورة من طريق عبادة بن نسى ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ ، فيها كذّاب هو محمد بن سـعيد المذكور الذى قتله أبو جعفر المنصور فى الزندقة ثم صَلَبَه ، وقال فيه أحمد بن صالح : إنه وضع أربعة آلاف حديث .

فإذا علمتَ بهـذا انحصار طرق هـذا الحديث المذكور الذى فـيه : (أن معـاذاً قال للنبىّ

(١) أخرجه ابن ماجه فى سُننه (كتاب) المقدمة (باب) اجتناب الرأى والقياس - (طبع بيروت) .

ﷺ : إنه إنْ لم يجد المسألة فى كتاب الله ولا سُنة رسول الله ﷺ اجتهد فيها رأيه ؛ وقد أقرّه النبىّ ﷺ على ذلك فى الطريقتين المذكورتين) علمتَ وَجْه تضعيف الحديث عند من ضعفه حيث يقول :

إن طريق عبادة بن نسى عن ابن غنم لم تسندوها ثابتة من وَجْه صحيح إليه ، كما أن الطريقَ الأخرى التى فى المسند والسنن فيها الحارث ابن أخى المغيرة وهو مجهول ، والرواة فيها أيضاً عن معاذ مجاهيل ؛ فَمِنْ أين قلتم بصحتها ؟!

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : ذكر ابن كثير فى مقدمة تفسيره أن الطريقة المذكورة فى المسند والسُّنن بإسناد جيد ، ولعله يرى أن الحارث المذكور ثقة ، وقد وثقه ابن حبان ، وأن أصحاب معاذ لا يُعْرَفُ فيهم كذّاب ولا متهم .

ويؤيد ما ذكرنا عن مراد ابن كثيربجودة الإسناد المذكور ما قاله العلامة ابن القيّم رحمه الله فى (إعلام الموقعين) حيث قال فيه : وقد أقر النبى ﷺ معاذاً على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصاً عن الله ورسوله ، فقال شعبة : حدثنى أبو عون عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال : «كيف تصنع إنْ عَرَضَ لك قَضَاء» ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال : «فإن لم يكن فى كتاب الله» قال : فبسُنة رسول الله ﷺ قال : «فإن لم يكن فى سُنة رسول الله ﷺ» ؟ قال : أجتهد رأيى لا آلو ؛ فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : «الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرْضِى رسولَ الله » الحديث[1] .

فهذا حديث وإن كان عن غير مُسَمَّيْن ؛ إلاّ أنهم من أصحاب معاذ مما يدل على شهرة الحديث ؛ ومن ثم فلا يضرّه عدم تسميتهم ، كما أن الذى حدّث له الحرث بن عمرو هم جماعة من أصحاب معاذ لا عن واحد منهم ؛ وهذا أبلغ فى الشهرة من أن يكون عن واحد منهم فقط حتى ولو سُمِّىَ .

ثم كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمَحَلِّ الذى لا يخفى ، ولا يُعْرَفُ فى أصحابه متهم ولا كذّاب ولا مجروح ، بل إن أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم ، ولا يشك أهل العلم بالنقل فى ذلك ، كما أن (شُعبَة) حامل لواء هذا الحديث قال فيه بعض أئمة الحديث : إذا رأيت (شُعْبَة) فى إسناد حديث ؛ فاشْدُدْ يديْك به .

وقال أبو بكر الخطيب : وقد قيل إن عبادة بن نسى رواه عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ ، وهذا إسناد متصل ، ورجاله معروفون بالثقة ، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

وبعد هذا يعود الشنقيطى إلى ذكر خلاصة قوله فى الحكم بصحة هذا الحديث كصحة غيره من بعض الأحاديث المماثلة التى ذكرها بقوله : ومن ثَمَّ ؛ فقد وقفنا من خلال هذا الذى ذكرنا على صحة هذا الحديث عندهم ، كما وقفنا بذلك على صحة قول رسول الله ﷺ : «لا وصية لوارث» الحديث[1] وقوله ﷺ فى البحر : «هو الطهور ماؤه ، الحِلّ ميتته» الحديث[2] وقوله ﷺ : «إذا اختلف المتبايعان فى الثمن ، والسلعة قائمة ؛ تحالفا وتَرَادَّا البيعَ» الحديث[3] وقوله ﷺ : «الدِّيَة على العَاقلَة» الحديث[4] .

(١) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (كتاب) الطهارة (باب) الطهور للوضوء - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه النسائى فى سُننه (كتاب) البيوع (باب) اختلاف المُتَبَايِعَيْن فى الثمن - (طبع الأردن) - وقد نص النسائى على (استحلاف البائع وحده ، وتخيير المبتاع فى الأخذ أو الترك .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الدِّيَات (باب) جنين المرأة - (طبع بيروت) .

والعَاقلَة: هم العَصَبَةُ من أقارب الرجل من جهة أبيه الذين يدفعون دية قتل الخطأ وشبه العَمْد ، ومن ذلك حديث رسول الله: «قضى رسول الله ﷺ بدِيَة شبْه العَمْد والخطأ المَحْض على (العَاقلَة) يؤدونها فى ثلاث سنين إلى ورثة المقتول» - انظر مادة (عَقَلَ) فى لسان العرب: ٤/٣٠٤٦ .

وعن الدِّيَة التى تضمنها هذا الحديث الذى ساقه ابن منظور هنا فى (لسانه) فقد عَرَضَ لها الشوكانى من خلال ذكره خلاف العلماء الوارد بشأنها قائلاً فى ذلك ما نصه : قال الشافعى فى (مختصر المزنى) : لا أعلم مخالفاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالدية على العاقلة فى ثلاث سنين ، قال الرافعى : تكلم أصحابنا فى ورود الخبر بذلك ، فمنهم مَنْ قال ورد ونسبه إلى رواية علىٍّ ، ومنهم مَنْ قال ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالدية على العاقلة ، وأما التأجيل فلم يَرِدْ به الخبر ، وقد أخذ ذلك من إجماع الصحابة .

قال ابن المنذر : وما ذكره الشافعى لا نعرفه أصلاً من كتاب ولا سُنة ، وقد سُئِلَ عن ذلك احمد بن حنبل فقال : لا نعرف فيه شيئاً ، فقيل : إنّ أبا عبد الله (يعنى الشافعى) رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : لعله سمعه من ذلك المدنىّ ؛ فإن كان حسن الظن به (يعنى إبراهيم بن أبى يحيى) وتعقبه ابن الرفعة قائلاً : (إنّ مَنْ عَرَف حُجَّة على مَنْ لم يَعْرِف) .

وروى البيهقى من طريق ابن لهيعة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : من السُّنة أن تُنَجَّمَ الدية فى ثلاث سنين ، وقد وافق الشافعىَّ على نقل الإجماع الترمذىُّ فى (جامعه) وابنُ المنذر ؛ فحكى كل واحد منهما الإجماع ، وقد روى التأجيل ثلاث سنين ابنُ أبى شيبة وعبد الرزاق والبيهقى عن عمر ، وهو منقطع لأنه من رواية الشعبى عنه ، ورواه عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريج عن أبى وائل قال : إن عمر بن الخطاب جعل الدية الكاملة فى ثلاث سنين ، وجعل نصف الدية فى سنتين ، وما دون النصف فى سَنة ، وأما البيهقى فقد روى التأجيل المذكور عن أمير المؤمنين علىٍّ رضوان الله تعالى عليه .

● انظر فى ذلك (نيل الأوطار) : لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤م) - ٧/٢٤٨ - دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م .

فهـذه الأحاديث وإنْ كانت لا تثبت من جهة الإسناد ؛ إلاّ أنهـا لما تلقتهـا الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ؛ فكذلك حديث معاذ ﷺ لما احتجوا به جميعاً فقـد غنوا بذلك عن طلب الإسناد له ؛ وإضافـةً إلى هذا الذى ذكرنا فإن الأمـة قد تَلَقَّتْ هذا الحديث قديماً وحديثاً بالقَبُول[1] .

- **رأى البحث :**

والحق أننا نؤيد ما ذهب إليه الشنقيطى إزاء حكمه بصـحة هذا الحديث الذى تلقته الأمة بالقَبُـول ، من حيث أخذهـا به ، وإعمالهـا له ، سلفاً وخلفاً ، بمـا بلغ معه حـد (التواتر المعنوى) وفى هــذا مـا فيه من الذيوع والشـهرة ما جـعل المحققين مـن الـعلماء المعتـبرين يرجعون إليه ، ويعوّلون عليه ، بشـأن ما يؤصله من مراتب الحكم ، وما يقرره من درجات القضاء ، من خلال تلك المنهجية الواضحة ، وذلك التعاقب المنطقى ؛ حيث التماس الحكم فى كتـاب الله تعالى أولاً ، ثم فـى سُنة رسول الله ﷺ ثانيـاً ، ثم الاجتهـاد بالرأى فى ضوء الكتاب والسُّنة ثالثاً .

وهذا ما يشهد له فعل العلماء ، ويؤيده واقع الأمة ، على اختلاف دُورها وأمصارها ، وتعاقب دهورها وأعصارها .

- **رَدُّ القول بضعف الحديث ونكارته :**

ذهب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى إلى تضعيف إسناد هذا الحديث والقول بنكارته مصـرّحاً بأنه ربما لم يسـبقـه غيره إلـى ذلك ، غير أن من جـملة ما يُرَدُّ به علـيه هو ذلك التصحيح الذى انتهى إليه الشيخ محمد زاهد الكوثرىّ الذى سبقت وفاته وفاة الألبانى بقرابة نصف قرن من الزمان ، حيث كانت وفاة الأول عام (١٣٧١ هـ = ١٩٥١م) فى حين كانت وفاة الثانى عام (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) وفيما يلى كلام كل منهما بشأن الحديث المذكور :

١- تضعيف الألبانى :

حيث ذكر الألبانى ضعف إسناد هذا الحـديث ونكارته قائلاً ما نصّه : لابد لى أن أَلْفِتَ الانتباه إلى حديث مشـهور قلما يخلو منه كتاب من كتب أصول الفـقه ؛ وذلك لضعفه من حيث إسناده من كتب أصول الفـقه ؛ وذلك لضعفه من حيث إسناده ، ثم لتـعارضه مع ما انتهينا إليه مـن عـدم جواز التفريق فى التشريع بين الكتـاب والسُّنة ، ووجـوب الأخذ بهما معاً ، ألا وهو حديث (معاذ بن جبل ﷺ) .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٣/ ٥٨٣ - ٤/ ٦٠٠ .

وبعد أن يسوق نص الحـديث يقول : وقد بيّنت ضعف إسناده بياناً شافياً ربما لم أُسبَق إليه فى السلسلة السـابقة الذكر[1] وحسبى الآن أن أذكر أن أمـير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى رحمه الله تعالى قال فيـه : (حديث منكر) فهذا هو الذى أردت أن أنبّه إليه ، فإنه أصبت فَمِنْ الله تعالى ، وإن أخطأت فَمِنْ نفسى[2] .

غير أن ظن الشيخ الألبـانى بأنه ربما لم يسبقه غيره إلى بيـان هذا الحديث هو تعميم لا وجه له ، فضلاً عن كونه ظناً لا ينعقد به حكم ، وهذا ما يبيّنه الدليل التالى ذكره .

٢- تصحيح الكوثرىّ:

سبق الشـيخ الكوثرى إلى بيان هذا الحديث قبـل الشيخ الألبانى ، حيث تعـقب جملة الأقوال التى وردت بشأنه ، ثم رد على القـائلين بضعفه وانتهى إلى الحكم بصـحته ، وفى ذلك يقول ما نصّه : وأمـا محاولة توهين أمر هذا الحديث بأن أصحاب مـعاذ مجاهيل وأن رواية المجاهيل مردودة ؛ فهى مـحاولة فاسدة لأن أصحاب معاذ معـروفون بالدين والثقاة ، ولا يستطيع هذا المحاول أن يثبت جرحاً فى أحد من أصـحاب معاذ نصاً ، وكم فى صحيح البخارىّ من رجال لم يُنْـقَلْ توثيقهم عن أحد نصاً إلاّ أنه لم يثبت جـرحهم ؛ ومنْ ثم فقد أدخلت روايتهم فى الصحيح كما نصّ على ذلك الذهبىّ فى كتابه (الميزان) .

ولعل فى قول الكوثرى هذا تفسيراً لما ذكره الألبانى من أن البخارىّ رحمه الله تعالى قد ذهب فى (صحيحه) إلى القول بنكارة هذا الحديث .

- ***اعتضاد الكوثرىّ بقول ابن العربىّ:***

ويعتـضد الكوثرىّ فى تصحـيحه حديث مـعاذ المذكور ، بما قـاله القاضى أبو بكر بن العربىّ فيذكر عنه ما نصه : وقال أبو بكر بن العربى ذلك الحافظ الكبير : اختلف الناس فى هذا الحـديث ، فمنهـم مَنْ قال : إنه لا يصح علـى مصطلحـهم ، ومنهم مَنْ قـال : هو صحـيح ، والذى أدين به هو القول بصحتـه ؛ حيث إنه حديث مـشهور يرويه (شُعْبَة بن الحجّاج عن جماعة من الأئمّة والفقهاء) .

---

(١) ويقصد بهـا سلسلته المعروفة بـ (سلسلة الأحـاديث الضعيفة والموضـوعة وأثرها السيء فى الأمة) : الحديث رقم ٨٨٥ – الطبعة ٤ – مكتبة المعـارف – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م .

(٢) منزلة السُّنّة فى الإسلام وبيان أنه لا يُسْتَغنى عنها بالقرآن : الشيخ محـمد ناصر الدين الألبانىّ ص ١٥ – طبعة لجنة البيان بدار المسلم – القاهرة – ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

• اعتضاد الكوثرىّ بقول البغدادىّ:

كما يعـتضد الكوثرىّ بما ذهـب إليه الخطيب البغـدادىّ بشأن شهرة هذا الحديث فـيذكر عنه ما نصّه : وقال الخطيب البغدادىّ فى كتابه (الفقيه والمتفقّه) وهو بالطبع من أجدر كتبه : وقول الحـارث بن عمرو عن أناس من أصـحاب معاذ يدل علـى شهرة هذا الحديث وكـثرة رواته ؛ وقد عُرِفَ فـضل معاذ وزهده ، كمـا أنّ الظاهر من حال أصحابه هو الديـن والثقة والزهد والصّلاح رضوان الله عليهم أجمعين .

• خلاصة قول الكوثرىّ:

وأخيـراً يختم الكوثرىّ قوله فى هـذا الحديث بالتأكـيد على شهـرته مع احتفـائه بكثرة القرائن والروايات التى بلغتْ به حَدَّ التواتر المعنوى ، حـيث يقول فى ذلك ما نصّه : ولقد روى هذا الحديث مَنْ لا يُحْصَوْنَ كـثرةً حتى تلقاه فقهاء التابعين وتابعـوهم بالقَبُول ، فضلاً عن جريانهم خَلَفاً عن سَلَفٍ على الأصل الأصيل الذى أصَّلَهُ هذا الحديث .

ومن ثم ؛ فقد تلخص من ذلك كله أن هذا الحديث ثابت عند جمهرة من الجامعين بين الفـقه والحـديث ، بل إنه مع احتُـفَّ به من القرائن والروايات ليـبلغ مـدلوله حَدَّ (التـواتر المعنوى) ولو أخـذتُ أسْرُدُ طرق هذا الحديـث من الكتب السالف ذكـرها فضلاً عـن سائر الكتب والروايات الأخرى فى هذا الصدد ؛ لطال بـنا الكَلام جداً ، ولَسَئِمَ المطالع الكريم ، غير أنّ فيما ذكرناه غُنْيَةً فى معرفة مرتبة هذا الحديث رغم تقوّلات بعض النقلة بشأنه[1] .

وهكـذا ينتهى رأى البـحـث إلى ذات ما انتهى إليه رأى الشنقـيطىّ ، ومِـن قبله كـل مـن البغدادىّ ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١م) وابـن العربىّ ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩م) وابن قدامة ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣م) وابن كثيـر ت (٧٧٤ هــ = ١٣٧٣م) وأخيراً الكوثرىّ ت (١٣٧١ هـ = ١٩٥١م) بشـأن ما ذهبوا إليـه من حكمهم بصحة هذا الحديث ، والذى يشـهد عليه قَبُول الأمة له ، وعملها به .

* * *

وبعد : فإنه يتـضح لنا مما سبق كيف أن الشنقـيطى يسلك إزاء نقده الحديثىّ أحـد سُبُلٍ ثلاثة تتمثل فى (تعقبـه رجال إسناد هذا الحديث أو ذاك لبيان موقفـهم من الجرح والتعديل)

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (مقـالات الكوثرىّ) : بقلم العلامة الشيخ محمـد زاهد الكوثرىّ المتوفى عام (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) - ص ٦١ - تحت عنوان : (حديث معاذ بن جبل ﷺ فى اجتهاد الرأى) - طبع القاهرة - (د . ت) .

ثم (تتبعـه طرق الحديث المتعددة ورواياته المخـتلفة ليقف من خلال ذلك على تـخريجه فى مظانه من كتب الصحـاح خاصة والمصنفات الأخرى عـامة) وأخيراً (عرضـه الأقوال العلماء المعنيين فى هذا الحديث أو ذاك لينتهى إلى معرفة درجته من الصحة والضعف) .

وفى هذا ما فيه من عناية الشنقيطى واهتمامه بشواهده الحديثية ما جعله يطيل النَّفَسَ فى تناوله مختلف جوانب الحديث من حيث إسناده وتخريجه ودرجته ؛ الأمر الذى يحقق لهذا النقد منهجيته ، ويكفل له موضوعيته .

المطلب الرابع

نقد الأصوليّين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : رَدّ الشنقيطيّ للأصُوليين من السَّلف .

٢- المسألة الثانية : رَدّ الشنقيطيّ للأصُوليين من الخلف .

يتوزعُ نقدُ الأصُوليّين عند الشنقيطيّ بين رَدِّه لبعض آراء أهل الأصول من السّلف وعلى رأسهم واضع علم الأصول الإمام الشافعيّ رحمه الله تعالى ، ثم رَدّه لبعض آراء أهل الأصول من الخَلَف مثل القَرَافيّ ومَنْ تبعه من المُحْدَثين كالعلويّ الشنقيطيّ ، وفيمايلي نكتفي بشاهديْ الشنقيطيّ على ذلك تنبيهاً بهما على غيرهما مما في ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

رَدُّهُ للأصُوليين من السلف

وعلى رأسهم واضع علم الأصول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

ففي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية[1] نراه يَعْرِض للمسألة الأصولية المعروفة بـ (شرع مَنْ قبلنا) حيث يذكر أن ما ثبت من الأمور في كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ أنه كان شرعاً لِـمَنْ قبلنا ؛ فإنه يصير عندئذ شرعاً لنا ما لم نُؤمَرْ في الكتاب والسُّنّة ذاتهما بعدم الأخذ به ، أو ترك العمل بمقتضاه .

كما يَعْرِض الشنقيطي من خلال هذه الآية أيضاً للمسألة الأصولية التي مؤداها أنّ خطاب الله تعالى إلى نبيّه ﷺ إنما يشمل بدوره خطاب الله تعالى لجميع أمته ﷺ وهو بذلك يَرُدُّ قول الشافعيّ الذي خالف به ما عليه الجمهور في هاتين المسألتين فيقول ما نصّه : وكون شرع مَنْ قبلنا الثابت بشرعنا شرعاً لنا إلاّ بدليل على النسخ : فهذا هو مذهب الجمهور ، ومنهم مالك ، وأبو حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين ، وقد خالف الشافعي رحمه الله تعالى في أصح الروايات عنه ، حيث قال : (إنّ شرع مَنْ قبلنا الثابت بشرعنا ليس شرعاً لنا إلاّ بنص من شرعنا على أنه مشروع لنا ، كما خالف أيضاً في الصحيح عنه في أنّ الخطاب الخاص برسول الله ﷺ يشمل حُكْمُه الأمة .

وقد استدل للأول بقول الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية[2] كما استدل للثاني بأن الصيغة الخاصة برسول الله ﷺ لا تشمل الأمة وضعاً ؛ فإدخالها فيها صرف للفظ عن ظاهره ، فيحتاج إلى دليل منفصل .

وقد حَمَل الهُدَى في قول الله تعالى : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الآية[3] كما حَمَل الدِّين في

---

(1) المائدة : ٣٢ . (2) المائدة : ٤٨ . (3) الأنعام : ٩٠ .

قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ الآية[1] على خصوص الأصول التى هى التوحيد دون الفروع العملية ؛ لأن الله تعالى قال فى العقائد : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الآية[2] وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية[3] وقال تعالى : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الآية[4] .

وقد قـال الله تعالى فى الفروع العـملية : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية[5] فدلّ على اتفاقهم فى الأصول ، واختـلافهم فى الفروع ، كما قال رسول الله ﷺ : «إنا معشر الأنبياء إخوة لِعلاَّتٍ ديننا واحد» الحديث[6] .

قال مقـيده عفا الله عنه وغـفر له : أما حَمْلُ الهُدَى فـى قوله الله تعالى : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وحَمْلُ الدِّين فى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ على خصوص التـوحيد دون الفروع العملية فهو غير مُسَلَّم :

أما الأول : فَلِمَا أخرجه البخاريّ فى (صحـيحه) فى (تفسير سورة صٓ) عن مجاهد أنه سأل ابن عـباس رضي الله عنهما : «منْ أين أخذْتَ السـجدةُ فى (صٓ) ؟ فقال : أو مـا تقرأ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الآيات[7] فسجدهـا داود ؛ فسجدها رسول الله ﷺ » الحديث[8] .

فهذا نص صحيح صريح عن ابن عـباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ أدخل سجود التلاوة فى الهُدَى فى قـوله تعالى : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ ومعلوم أن سجود الـتلاوة فرع من الفروع لا أصل من الأصول .

---

(١) الشورى : ١٣ . (٢) الأنبياء : ٢٥ . (٣) النحل : ٣٦ .

(٤) الزخرف : ٤٥ . (٥) المائدة : ٤٨ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحـه (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) قول الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ مريم : ١٦ - (طبع بيروت) .

(٧) الأنعام : ٨٤ - ٩٠ (سبع آيات) .

(٨) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) التفسير (باب) سورة صٓ - (طبع بيروت) .

وأمــا الثانى : فَلأنَّ النبىّ ﷺ صـرّح فى حديث جبـريل الصحـيح المشـهور أن اسم (الدّين) يتناول (الإسلام والإيمان والإحسان) حيث قال ﷺ : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» الحديث[١] وقد قــال الله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ الآيــة[٢] وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾ الآية[٣] .

فصرّح ﷺ فى الحديث المذكور بأن الإسلام يشمـل الأمور العملية (كالصلاة والزكاة والصوم والحجّ) وكذا فى حديث ابن عمـر رضي الله عنهما المتفق عليه فى قوله ﷺ : «بُنى الإسلامُ على خمس» الحديث[٤] ومع ذلك لم يقل أحد إن الإسلام هو خصوص العقائد دون الأمور العملـية ؛ فَدلَّ هذا على أن الدِّيــن لا يختص بذلك فى قــول الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ الآية[٥] وهو ظاهر جداً ؛ لأن خير ما يُفَسَّر به القرآن هو كتاب الله تعالى وسُنة رسول الله ﷺ .

وأمّا الخطاب الخاص بالنبى ﷺ فى نحـو قول الله تعالى : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ فقد دلت النصوص على شـمول حكمه لجمـيع الأمة كما فى قـوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية[٦] إلى غيرها من الآيات .

وقد علمنا ذلك من اسـتقرار القـرآن العظيم حيث يعبّـر فيه دائمـاً بالصيغة الخـاصة به ﷺ ثم يشـير إلى أنّ المراد عـموم حكم الخطاب للأمـة كقـول الله تعالى فـى أول سورة الطلاق : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ثم قال تـعالى : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية[٧] فدلّ ذلك على دخول الكل تحت قـوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وقال الله تعالى فى سـورة التحريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ الآيتان[٨] فدلّ ذلك على عموم حكم الخطاب بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ .

ونظير ذلك أيضاً فى سورة الأحزاب حيث قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الآيتان[٩] فقوله تعالى : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يدلّ

---

(١) أخرجه البخـارى فى صحيحه (كتـاب) الإيمان (باب) سؤال جبريل - (طبع بيروت) - كـما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) بيان الإيمان والإسلام والإحسان - (طبع بيروت) .

(٢) آل عمران : ١٩ . (٣) آل عمران : ٨٥ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيـحه (كتاب) الإيمان (باب) قول النبى ﷺ : «بُنِيَ الإسلام على خمس» - (طبع بيروت) - كمـا أخرجه مسلم فى صحيـحه (كتاب) الإيمان (باب) أركان الإسـلام ودعائمه العظام - (طبع بيروت) .

(٥) الشورى : ١٣ . (٦) الأحزاب : ٢١ . (٧) الطلاق : ١ .

(٨) التحريم : ١ - ٢ (آيتان) . (٩) الأحزاب : ١ - ٢ (آيتان) .

على عموم الخطاب بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وكذا كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ثم قال تعالى : ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾ الآية[1] .

بل ومن أصرح الأدلة فى ذلك آية الروم وآية الأحزاب ، أما آية الروم فقد قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ ثم قال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ الآيتان[2] وهو حال من ضمير الفاعل المستتر المخاطب به النبىّ ﷺ فى قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ وتقرير المعنى : فأقم وجهك يا نبىّ الله فى حال كونكم منيبين ، فلو لم تدخل الأمة حكماً فى الخطاب الخاص به ﷺ لقال تعالى : منيباً إليه بالإفراد ؛ وذلك لإجماع أهل اللسان العربى على أن الحال الحقيقية (أعْنِى التى لم تكن سببية) فإنها تلزم مطابقتها لصاحبها إفراداً وتثنية وجمعاً ، وتذكيراً وتأنيثاً ؛ فلا يجوز أن تقول : جاء زيد ضاحكين ، ولا جاءت هند ضاحكات .

وأما آية الأحزاب فقد قال الله تعالى فى قصة زينب بنت جحش الأسديّة ﵂ : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الآية[3] فإنّ هذا الخطاب خاص بالنبىّ ﷺ إلاّ أنّ الله تعالى قد صرّح بشمول حكمه هذا لجميع المؤمنين فقال تعالى : ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ الآية[4] كما أشار سبحانه إلى هذا أيضاً فى قوله تعالى : ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[5] لأن الخطاب الخاص به ﷺ فى قوله تعالى ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية[6] لو كان حكمه خاصاً به ﷺ لأغنى ذلك عن قوله تعالى : ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما هو ظاهر .

كما أنّ أُمَّ المؤمنين عائشة ﵂ قد رَدَّتْ على مَنْ زعم أن تخيير الزوجة يُعَدُّ طلاقاً بأن رسول الله ﷺ قد خيَّر نساءه فاخترنه ﵅ غير أنه لم يُعدّه رسول الله ﷺ طلاقاً مع أن الخطاب فى ذلك خاص به ﷺ فى قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآيتان[7] .

كما أخذ الإمام مالك رحمه الله تعالى بينونة الزوجة بالرِّدَّة من قول الله تعالى : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية[8] مع أنه خطاب خاص برسول الله ﷺ[9] .

---

(١) يونس : ٦١ .
(٢) الروم : ٣٠ - ٣١ (آيتان) .
(٣) الأحزاب : ٣٧ .
(٤) الأحزاب : ٣٧ .
(٥) الأحزاب : ٥٠ .
(٦) الأحزاب : ٥٠ .
(٧) الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ (آيتان) .
(٨) الزمر : ٦٥ .
(٩) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٢/ ٦٤ - ٦٧ .

وبهذا يَرُدُّ الشنقـيطى قول الإمام الشـافعى واضع علم الأصول مـن السلف بشأن هاتين المسألتين الأصوليتين اللتين خالف فيهمـا ما عليه جمهور علماء الأصول ، وذلك من خلال أدلته المعتبرة من الكتاب والسُّنة والآثار .

المسألة الثانية

رَدُّهُ للأصُوليين من الخلف ومن أمثالهم القرَافِى والعلوى الشنقيطى

ففى مَعْـرض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[1] نراه يَرُدُّ قول كل من القَرَافِى وعـبد الله العلوىّ الشنقيطىّ ومَنْ تبعهمـا من متأخرى الأصـوليين فيـما ذهبـوا إليه من أنَّ تدبر القـرآن العظيم وتفـهمـه والعمل به لا يجـوز إلاَّ للمجهتدين خاصة الذين بلغوا درجة الاجتهاد دون غيرهم .

وإزاء هذا يثبت الشنقيطى بأدلته المعتبرة من الكتاب والسُّنة أن الحق الذى لا شك فيه هو أنّ كلّ مَنْ له قـدرة من المسلمين على التعلم والفـهم وإدراك معـانى الكتاب والسُّنـة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهما والعمل بما علم منهـما ، وفى ذلك يقول ما نصّه : اعلم أن قول بعض متأخرى الأصوليين : إنَّ تدبر هذا القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلاّ للمجتهدين خاصـة ، وأن كل مَنْ لـم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عندهم لا يجـوز له ذلك ؛ فهـو قول لا مسـتند له من دليل شرعىّ أصلاً ، فـضلاً عن أن أكثـر شروطهم فى الاجتهـاد المطلق لا يستند إلـى دليل مِـن كتاب ولا سُنة ولا أثـر عـن الصـحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولا إجـماع ولا قياس .

بل الحق الذى لا شك فـيـه أنّ كلّ مَنْ له قدرة من المسـلمين على التعـلم والتفـهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُّنة ؛ فإنه يجب عليه تعلمهـما والعمل بما علم منهما ، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعاً ، وأما ما علمه منهما علماً صحيحاً ناشئاً عن تعلم صحيح ؛ فله أن يعمل به ولو آية واحدة أو حديثاً واحداً ؛ لأن من المعلوم أن هذا الذم والإنكار فـى هذه الآية الكريمة عـلى مَنْ لم يتدبر كـتاب الله تعـالى هـو عام لجـميع الناس ؛ ومما يُوَضِّح ذلك أن المخاطبين الأولين بـه الذين نزل فيهم هم المنافقـون والكفار ، ومما لاشك فيه أنْ ليس أحد منهم مستكملاً لشروط الاجتهاد المقررة عند أهل الأصول ؛ بل ليس عندهم شىء منها أصلاً .

---

(1) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

ومن ثم ؛ فلو كان القرآن لا يجوز أن ينتفع بالعمل به والإهتداء بِهَدْيِهِ إلا المجتهدون بالاصطلاح الأصولىّ ؛ لما وبّخ الله تعالى الكفار وأنكر عليهم عدم الاهتداء بهداه، ولما أقام عليهم الحُجَّة به حتى يحصّلوا شروط الاجتهاد المقررة عند متأخرى الأصوليين كما ترى .

ومعلوم أن من المقرر فى الأصول أن (صورة سبب النزول قطعية الدخول) وإذن فدخول الكفار والمنافقين فى الآيات المذكورة قطعىّ ، ولو كان لا يصح الانتفاع بهَدْى القرآن إلاّ لخصوص المجتهدين لما أنكر الله تعالى على الكفار عدم تدبرهم كتاب الله ، وعدم عملهم به ، وقد علمتَ أن الواقع خلاف ذلك قطعاً ، كما لا يخفى أن شروط الاجتهاد لا تشترط إلاّ فيما فيه مجال للاجتهاد ، أما الأمور المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد حتى تُشْتَرَطَ فيها شروط الاجتهاد ، بل ليس فيها إلاّ الاتباع .

وما ذكره القرافى وتبعه فيه الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوىّ الشنقيطىّ فى كتابه (نشر البنود) شرح كتابه (مراقى السعود) بقوله :

مَنْ لـم يكنْ مجتهداً فالعَمَل　　　منه بمعنى النّصِّ مما يُحْظَل[1]

حيث يشرح بيته هذا بناءً على ما ذهب إليه القرافى فيقول : يعنى أنّ غير المجتهد يحظل له أى يمنع أن يعمل بمعنى نص من كتاب أو سُنة وإنْ صحّ سندها ؛ وذلك لاحتمال عوارضه من نسخ أو تقييد أو تخصيص أو غير ذلك من العوارض التى لا يضبطها إلاّ المجتهد ، فلا يخلّصه من الله تعالى إلاّ تقليد مجتهد .

فهذا الذى ذهب إليه القرافىّ وتبعه فيه العلوىّ الشنقيطىّ لا يصح على إطلاقه بحال لمعارضته لآيات وأحاديث كثيرة من غيرْ استناد إلى دليل ؛ ولأنه من المعلوم أنه لا يصحّ تخصيص عمومات الكتاب والسُّنة إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه ، كما أنه من المعلوم أن عمومات الآيات والأحاديث الدالة على حث جميع الناس على العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ أكثر من أن تُحصَى ، ومنها قوله ﷺ : «تركت فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله وسُنتى» الحديث[2] وقوله ﷺ : «عليكم بسُنّتى» الحديث[3] ونحو ذلك مما لا يُحْصَى .

---

(١) يُحْظَل : أى (يُحظَر) بلسان بعض الشناقطة ممَّنْ يبدلون الراء لاماً - راجع فى ذلك (ألفية ابن مالك وأثرها فى الثقافة المورتانية) : يحيى بن البَرَّا ص ١٥ .

(٢) سبق تخريج الحديث ص　من هذا البحث .

(٣) أخرجه أبو داود فى سُنته (كتاب) السُّنَّة (باب) فى لزوم السُّنَّة - (طبع بيروت) - كما أخرجه فى مسنده (مسند الشاميين) - حديث رقم (١٦٦٩٤) - (طبع بيروت) .

فتخصيص جميع تلك النصوص بخصوص المجتهدين وتحريم الانتفاع بهَدْى الكتاب والسُّنة على غيرهم تحريماً باتاً ؛ فهذا مما يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو سُنة رسوله ﷺ ومن ثم فلا يصح تخصيص تلك النصوص بآراء جماعات من المتأخرين المُقِرِّين على أنفسهم بأنهم من المقلّدين ؛ خاصة أنه من المعلوم أن المُقَلِّد الصِّرْف لا يجوز عدّه من العلماء ولا من ورثة الأنبياء .

وبهذا تعلم أنه (لا مستند للقرافىّ ولا للعلوىّ الشنقيطى) الذى تبعه فى منع جميع المسلمين غير المجتهدين من العمل بكتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ إلاّ مطلق احتمال العوارض التى تَعْرِض لنصوص الكتاب والسُّنة من (نسخ أو تخصيص أو تقييد أو نحو ذلك) وهو مردود من وجهين :

● **الوجه الأول :**

أنَّ الأصل فى ذلك هو السلامة من النسخ حتى يثبت ورود النسخ ، والعام ظاهر فى العموم حتى يثبت ورود المُخَصِّص ، والمطلق ظاهر فى الإطلاق حتى يثبت ورود المقيِّد ، والنص يجب العمل به حتى يثبت النسخ بدليل شرعى ، والظاهر يجب العمل به عموماً كان أو إطلاقاً أو غيرهما حتى يَرِدَ دليل صارف عنه إلى المحتمل المرجوح كما هو معروف فى محله .

واعلم أن أول مَنْ زعم أنه لا يجوز العمل بالعام حتى يُبْحَثَ عن المُخَصِّص فلا يوجد ونحو ذلك ، هو أبو العباس بن سريج ، وقد تبعه فى هذا جماعات من المتأخرين حتى حكوا على ذلك الإجماع حكاية لا أساس لها ، وقد أوضح ابن القاسم العبّادى فى كتابه (الآيات البيّنات) غلطهم فى ذلك عند كلامه على (شرح المَحَلّىّ لقول ابن السبكىّ فى (جمع الجوامع) حيث قال : ويُتَمَسَّكُ بالعام فى حياة النبىّ ﷺ قبل البحث عن المُخَصِّص ، وكذا بعد وفاته ﷺ خلافاً لابن سريج .

وعلى كل حال فظواهر النصوص من عموم وإطلاق ونحو ذلك لا يجوز تركها إلاّ لدليل يجب الرجوع إليه من مُخَصِّص أو مُقَيِّد ، لا لمجرد مطلق الاحتمال للعوارض كما هو معلوم فى محله ؛ وعليه فإن ادّعاء كثير من المتأخرين أنه يجب ترك العمل به حتى يبحث عن المُخَصِّص مثلاً هو خلاف التحقيق .

● **الوجه الثانى :**

أن غير المجتهد إذا تعلّم بعض آيات القرآن أو بعض أحاديث النبىّ ﷺ ليعمل بها ؛

فإنه يتعلم بذلك النص العام أو المطلق ويتـعلم معه مخصِّصَه أو مقيِّده إنْ كـان مُخَصَّصاً أو مُقَيَّداً ، كما يتعلم أيضاً ناسخه إن كان منسوخاً ؛ لأن تعلم هذا سهل جداً عن طريق سؤال العلماء العارفين به ومراجعة كتب التفسـير والحديث المعتدّ بها فى ذلك ؛ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا فى الـعصر الأول يتعلم أحدهم آية فيعمل بها ، وحـديثاً فيعمل به لا يمتنع من العمل بذلك حتى يحصّل رتبة الاجتهاد المطلق .

وربما عمل الإنسـان بما علم فيعلّمه الله تعـالى ما لم يكن يعلم كما يشـير إلى ذلك فى قوله تـعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية[1] وقوله تـعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية[2] على القول بأن الفرقان هو العلم النافع الذى يُفَرِّق بين الحق والباطل ، وكذا فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الآيـــة[3] .

فهذه التقوى التى دَلَّتْ الآيات على أن الله تعالى يُعَلِّمُ صاحـبها بسببها ما لم يكن يعلم لا تزيد على عمله بما عَلِمَ من أمر الله تعالى؛ وعليه فهى عمل ببعض ما عَلِم زاده الله تعالى به علم ما لم يكن يعلم .

فالقول بمنع العمل بما عَلِمَ من الكتاب والسُّنة حتى يُحَصِّل رتبة الاجتهاد المطلق هو عين السَّعى فى حرمان المسلمين جـميعاً من الانتفاع بنور القرآن حتى يحـصّلوا شرطاً مفقوداً فى اعتقاد القائلين بذلك ؛ وادّعاء مثل هذا على الله تعالى وعلى كتابه العظيم وعلى سُنّة رسوله الكريم ﷺ هو فى غاية الوضوح كما ترى[4] .

وبهذا يَرُدُّ الشنقيطى قول كل من (القرافىّ والعلوىّ الشنقيطى) ومَنْ تبعهما من متأخرى الأصوليين كابن سـريج وغيره بشأن ما ذهبوا إليـه من قَصْرِ تدبر القرآن وتفهـمه والعمل به على المجتهدين مِمَّنْ بلغوا رتبـة الاجتـهاد المطلق دون غيرهم من سائر المسلمين ، ومبيّناً أنّ قولهم هذا يخالف نصـوص الكتاب والسُّنة ؛ ومِنْ ثم فلا مستند لهم ولا دليل فـيما ذهبوا إليه وقالوا به .

* * *

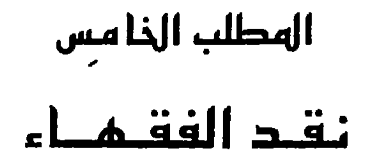
وبعد : فإنه يتـضح لنا مما سبق كيف أن الشنقـيطى يجمع فى نقده الأصُـولىّ بين نقده

(١) البقرة : ٢٨٢ . (٢) الأنفال : ٢٩ . (٣) الحديد : ٢٨ .

(٤) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٤٣٠ - ٤٣٤

لعلماء الأصـول من السلف وعلى رأسهم الإمـام الشافعـىّ واضع علم الأصول ومقـعّده ، وبين نقده لعلمـاء الأصول من الخَلَفِ كالـقرافىّ وعبد الله العـلوىّ الشنقيطىّ وغيـرهما من متأخرى الأصوليين .

وفى هذا ما فيه من الشمول والمنهجية ما جعل الشنقيطى يجمع فى نقده هذا بين السلف والخلف ، فلم يقتصـر على أحدهما دون الآخر ، أو يَسْتَغْنِ بالسـابق منهما عن اللاحق ؛ كما لم يمنعه سَبْقُ الشافعىّ وريادته فى وضع علم الأصول وتقعيد مسائله من نقده وردِّ قوله على ما تقتضيه الأدلة المعتبرة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ الأمر الذى يحقق لهذا النقد الأصولىّ شموله ومنهجيته ، فضلاً عن تجرّده وموضوعيته .



المطلب الخامس

نقد الفقهاء

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : رَدّ الشنقيطيّ الأئمة الأربعة خاصةً .

٢- المسألة الثانية : رَدّ الشنقيطيّ غيرَ الأئمة الأربعة عامةً .

يتوزع النقد الفقهىّ عند الشنقيطىّ بين رَدِّه بعض أقوال الأئمة الأربعة (أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل) وردِّه بعض أقـوال غيرهـم من الأئمة المعتبـرين أمثال (الأوزاعى وابن العـربىّ والقرطبىّ وابـن حزم الظاهرىّ) وآخـرين من نظرائهم من أئمـة الأمـة وفقـهائهـا المحققيين ، وفيما يلى نكتفى بذكـر بعض الأمثلة التى تقوم شاهداً على نقد الشنقيطى لكلا الفريقين تنبـيهاً بها على غـيرها ممـا فـى ثنايا تفسـيره المختلفة ، وذلك من خـلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

رَدّهُ الأئمة الأربعة خاصة

ووفقاً للتـرتيب الزمنىّ للأئمة الأربعة رحمـهم الله تعالى أجمعين نسـوق شاهداً واحداً لنقد الشنقيطى كلاً منهم على النحو التالى :

١- نقده أبا حنيفة ت (١٥٠ هـ = ٧٦٧م) :

ففى مَعْرض تفسـير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية[1] نراه يرد ما ذهب إليه الإمـام أبو حنيفة رحمـه الله تعالى بشأن قـوله بسقوط نصيب رسـول الله ﷺ وكذا سقوط نصـيب ذوى قرباه بمجرد وفاته ﷺ وانتقالـه إلى الرفيق الأعلى ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

واعلم أن النبىّ ﷺ كان يَصْرِفُ نصيبـه الذى هو خُمْسُ الخُمُس فى مصالح المسلمين بدليل قـوله ﷺ : «والخُمُسُ مردود عليـكم» الحديث[2] وهذا هو الحق الذى يدل له ما ثبت فى (الصـحيح) : «أن رسول الله ﷺ كـان يأخذ قـوت سَنَتِهِ من فَيْءِ بنى النضـير» الحديث[3] أما بعد وفاته ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ؛ فإن بعض العلماء يقول بسقوط نصيبـه بوفاته ﷺ وممَّنْ قال بذلك أبو حنيـفة رحمه الله تعالى ، بل وقـد زاد أبو حنيفة سقوط سهم ذوى القربى أيضاً بوفاته ﷺ .

والصحيح أن نصيبه ﷺ باقٍ ، وأن إمام المسلمين يَصْرِفُه فـيما كان يَصْرِفُه فيه رسول الله ﷺ من مصالح المسلمين ، وقال بعض العلماء : (يكون نصيبه ﷺ لِمَنْ يلى الأمر

(١) الأنفال : ٤١ .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (كتاب) الجهاد (باب) ما جاء فى الغُلُول - (طبع بيروت) .

(٣) أخرجه البخارى فى صـحيحه (كتاب) النفقة (باب) حـبس نفقة الرجل قُوت سَنَة على أهله - (طبع بيروت) .

بعده) كـما روى عن أبى بكر وعلى وقتـادة وجماعـة ، وقال ابن كثيـر : جاء فيـه حديث مرفوع[1] .

قال مـقيده عـفـا الله عنه وغفـر له : والظاهر أن هذا القول راجـع فى المـعنى إلى ما ذكرنا أنه الصـحيح ، وأن مـعنى (كونه لِمَنْ يلى الأمر بعـده) : أى أنه يَصْرِفُـه فيمـا كان يَصْرِفُه فـيه ﷺ لأنه يقول ﷺ : «والخُمُسُ مردود عليكم» وهو واضح كـما ترى غاية الوضوح .

ولا يخفـى أن كل الأقـوال فى نصيب رسـول الله ﷺ بعـد وفاته راجـعه إلى شـىء واحد ، ألا وهو صـرفه فى مصـالح المسلمين ، وقد كـان الخلفاء الراشـدون المهديّون ﷺ يصـرفونه فـيمـا كان يصـرفه فـيه ﷺ وكـان أبو بكر وعمـر ﷺ يَصْرِفَـانِه فى الكُرَاع والسِّلاح[2] أما نصيب ذوى القربى فجمهور العلماء على أنه بَاقٍ ولم يسقط بموته ﷺ .

وبهذا تعلم أن ما ذكرناه من عدم سقـوط نصيب رسول الله ﷺ ونصيب ذوى القربى بعد وفاته ﷺ هو الصحيح (خلافاً لما ذهب إليه أبو حنيفة وقال به رحمه الله تعالى)[3] .

٢- نقده مالكاً (١٧٩ هـ = ٧٩٦م) :

فى مَعْرِض تفسيـر الشنقيطى كذلك لقول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية[4] نراه يرد ما ذهب إلـيه الإمام مـالك رحمه الله تـعالى مِـن أنه لا تُقْسَـمُ للنساء ولا للصبيـان الذين لا قدرة لهم علـى القتال أيةُ قِـسْمَةٍ مـن الغنيمـة ، بل ولا يُعْطَون منها أية عطية ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

وأصحّ الأقوال دليلاً أنه لا يُقْـسَم للنساء والصبيان الذين لا قدرة لهم علـى القتال وما

---

(١) وقد نصّ ابن كـثير على هذا بقوله : اخـتلف الناس فى سهم رسول الله صلى الله تعـالى عليه وآله وسلم الذى كان يناله من الخُمُس ؛ مـاذا يُصْنَعُ به بعد وفاته ؟ فقال قـائلون : (يكون لِمَنْ يلى الأمر من بعده أى تسليـماً للخليفة مـن بعده) وروى هذا عن أبى بكر وعلىٍّ وقتادة وجـماعة ، وجاء فـيه حديث مرفوع ، كما اجتمع الرأى على جعل سَهْمَىْ الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الخَيْل والعُدَّة فى سبـيل الله ؛ فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر ﷺ - انظر (تفـسير القرآن العظيم) : للحافظ ابن كثير ٢/ ٣١٢ - (طبع حلب والقاهرة) .

(٢) الكُرَاع : اسم جامع للخـيل والسلاح ، أما (الكُرَاع فى البـقر والغنم) : فهـو بمنزلة (الوظيف) من الخيل والإبل ، وهو المستدق الساق العارى من اللحم ، يذكر ويؤنث ، والجمع منه (أَكْرُع وأَكَارِع) - انظر مادة (كَرِع) فى لسان العرب : ٥/٣٨٥٨ .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ٢/٣٥٩ - ٣٦١ .

(٤) الأنفال : ٤١ .

جرى مجراهم ، ولكن يُرْضَخُ لهم[1] من الغنيمة باجتهاد الإمام ؛ ودليل ذلك ما رواه مسلم فى (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله نجدة عن خَمْس خِلال منها : هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهن بسهم ؟ فكتب إليه ابن عباس رضي الله عنهما : «كتبت تسألنى هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجَرْحَى ويُحْذَيْنَ من الغنيمة ، وأمّا بسهم ؟ فلم يضرب لهنّ ﷺ » الحديث[2] .

وهو صريح فيما ذكرنا ؛ ومن ثم فيجب حَمْل ما ورد فى غيره من أنّ النساء يُسْهَمُ لهنّ على الرَّضْخ المذكور فى هذا الحديث والمعبَّر عنه بقوله : «يُحْذَيْنَ من الغَنيمَة» قال النووىّ : قوله (يُحْذَيْن) هو بضم الياء وإسكان الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة أى (يُعْطَيْنَ تلك العطيّة وتسمى الرَّضْخ)[3] .

وبهذا تعلم أن المرأة تستحق الرَّضْخ ولا تستحق السَّهم ، وذلك (خلافاً لما ذهب إليه الإمام مالك رحمه الله تعالى) حيث قال : (لا رَضْخَ للمرأة) إلاّ أن مذهبه هذا مردود بهذا الحديث الصحيح الصريح[4] .

٣- نقده الشافعيّ ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠م) :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطىّ لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[5] نراه يَرُدُّ قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيما ذهب إليه بشأن اشتراطه أن يكون الركّاز ذهباً أو فضة فقط دون غيرهما حتى تجب فيه زكاته ومقدارها الخُمس ، مخالفاً بهذا ما عليه جمهور العلماء ، وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

وقال الشافعى فى (الجديد)[6] : يشترط فى وجوب الخمس فى الركاز أن يكون ذهباً أو

---

(١) الرَّضْخ والرَّضِيخَة والرُّضَاخَة: هى العطية القليلة من المال ونحوه - انظر مادة (رَضَخ) فى لسان العرب : ٣/١٦٥٨

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الجهاد والسِّيَر (باب) النساء الغازيات يُرْضَخُ لهنّ ولا يُسْهَمُ - (طبع بيروت) .

(٣) يقال : (حَذَاه يَحْذيه) أى أعطاه ، والاسم منه : (الحِذْوَة والحَذِيَّة والحُذْيَا والحُذَيَّا) أى العَطِيَّة - كما يقال : (أَحْذَاه يُحْذِيه) أى أعطاه أيضاً ، والاسم منه : (إحْذَاء وحذِيَّة وحُذْيا) أى العطية أيضاً ، ومن ذلك قولهم : (أَحذيتُه من الغنيمة) أى أعطيتُه منها ، ومنه أيضاً المثل القائل : (أَخَذَهُ بين الحُذَيَّا والخُلْسَة) أى بين الهِبَة والاستلاب - انظر مادة (حَذَا) فى لسان العرب : ٢/٨١٤ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٥) التوبة : ٣٤ .

(٦) ويقصد به مذهب الشافعى الجديد الذى وضعه (لأهل مصر) فى مقابل مذهبه القديم الذى وضعه من قبل (لأهل العراق) .

فضة دون غيرهما ، وقد خالفه فى هذا جمهور أهل العلم ، وقال بعض العلماء : إذا كان فى تحصيل المعـدن مشقة ففيه ربع العشر ، وإنْ كان لا مشـقة فيه فالواجب فيه الخمس ، ولهذا وجه من النظر ، والعلم عند الله تعالى[1] .

٤- نقده ابنَ حنبل ت (٢٤١ هـ = ٨٥٦م) :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الآيات[2] نراه يرد قول الإمـام أحمد بن حنبل رحمـه الله تعالى فيمـا ذهب إليه بشأن إباحته (جَلْدَ عُمَيْرَة) قياسـاً له على فضلات البدن التى تدعو الضرورة إلى إخراجها ، وفى ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

اعلم أنه لاشك فى أن هذه الآية التى هى ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تدل بعمومها على منع الاسـتمناء باليد المعروف بـ (جَلْدِ عُمَيْرَة) كما يقـال له (الخضخضة) لأن مَنْ تلذذ بيده حـتى أنزل منيه بذلك ؛ فقـد ابتغى وراء ما أحلّه الله ، فهـو من العادين بنص هذه الآية الكريمة المذكورة هنا ، وكذا المذكورة فى سورة (سأل سائل)[3] .

وقد ذكر ابن كثير أن الشافعى ومَنْ تبـعه استدلوا بهذه الآية على منع الاستمناء باليد ، كما قال القرطبىّ : قال محمد بن عبد الحكم : سمعت حرملة بن عبد العزيز قال : سألت مالكاً عن الرجل يجلـد عميرة ؟ فـتلا هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ .

قـال مـقيده عـفا الله عنه وغـفر له : والذى يظهـر لى أن اسـتدلال مالك والشـافعىّ وغيرهما من أهل العلم بهذه الآية الكريمة على منع جلد عميرة الذى هو الاستمناء باليد هو اسـتدلال صـحيح بكتـاب الله تعالى يدل عليـه ظاهر القرآن ، بل ولم يعـارضه شىء من كتاب ولا سُنّة .

أما ما روى عن الإمـام أحمد مع علمه وجلالتـه وورعه من إباحة جَلْد عميرة مـستدلاً على ذلك بالقيـاس قائلاً : هو إخراج فضلة من البدن تدعـو الضرورة إلى إخراجهـا فجاز قياساً على الفَصْد والحجامة كما قال فى ذلك بعض الشعراء :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٤٧٠ . (٢) المؤمنون : ٥ - ٧ (ثلاث آيات) .

(٣) ويقصد بذلـك قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المعارج : ٢٩ - ٣١ (ثلاث آيات) .

إذا حَلَلْتَ بِوَادٍ لا أنيسَ بــــه ... فاجْلِدْ عُمَيْرَةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ

فهو خلاف الصواب وإنْ كان قائله فى المنزلة المعروفة التى هو بها ؛ لأنه قياس يخالف ظاهر عموم القرآن ، والقياس إن كان كذلك رُدَّ بالقادح المسمَّى (فساد الإعتبار) كما أوضحناه فى هذا الكتاب المبارك مراراً وذكرنا فيه قول صاحب (مراقى السُّعود) :

والخُلْفَ للنصِّ أو إجماعٍ دعَا ... (فَسَادَ الاعتبارِ) كُلُّ مَنْ وَعَى

فالله جلَّ وعَلاَ قال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ولم يستثن من ذلك ألبتة إلاّ النوعيْن المذكوريْن فى قوله تعالى : ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ حيث صرّح برفع الملامة فى عدم حفظ الفرج عن الزوجة والمملوكة فقط .

ثم جاء سبحانه بصيغة عامة شاملة لغير النوعيْن المذكوريْن دالّة على المنع هى قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ وهذا العموم لاشك أنه يتناول بظاهره ناكح يده ؛ وكما هو معلوم فإن ظاهر عموم القرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ لدليل من كتاب أو سُنّة يجب الرجوع إليه ، أما القياس المخالف له فهو (فساد الاعتبار) كما أوضحنا ، والعلم عند الله تعالى[1] .

المسألة الثانية

ردّه غير الأئمة الأربعة عامة

وكما ردَّ الشنقيطىُّ بعض أقوال الأئمة الأربعة فإنا نراه يَرُدُّ كذلك بعض أقوال غيرهم من أئمة الأمة وفقهائها ، والذين نكتفى باثنين منهم تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، ألا وهما :

١- نقده الأوزاعىّ الفقيه ت (١٥٧ هـ = ٧٧٤م) :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية[2] نراه يرد قول الأوزاعى فيما ذهب إليه فى فقه هذه الآية الكريمة من أن المرأة إذا شاركت فى أعمال القتال فإنها تستحق بذلك أن يُسْهَمَ لها سَهْمٌ من الغنائم ، وفى الرد على ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

قال الأوزاعىّ : والمرأة تستحق السهم إنْ كانت تقاتل أو تُدَاوِى الجَرْحَى ؛ غير أن هذا

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٦٩/٥ - ٧٧١ .
(٢) الأنفال : ٤١ .

المذهب مردود بالحـديث الصحيح الصريح الذى رواه مسلم فى (صحيحـه) عن ابن عباس ﷺ لما سأله نجدة عن خَمْسٍ خِلالٍ منهـا : هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهنّ بِسَهْم ؟ فكتب إليه ابن عباس ﷺ : «كتبتَ تسألنى هل كان رسـول الله ﷺ يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغـزو بهن فيداوين الجَرْحَى ويُحْذَيْنَ من الغنيمة ، وأمّا بسهم ؟ فلم يضرب لهنّ ﷺ » الحديث[1] .

وهو صريح فى أن النسـاء يُسْهَمُ لهنّ على الرَّضْخ المذكور فى هذا الحديث والمعبَّر عنه بقوله : «يُحْذَيْنَ من الغنيـمة» والذى به تعلم أن المرأة تستحق الرَّضْخَ ولا تسـتحق السَّهْمَ ؛ وذلك (خلافاً لما ذهب إليه الأوزاعىّ) من أنها تستحق السَّهم[2] .

٢- نقده القرطبىّ الفقيه ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣م) :

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ الآية[3] نراه يرد قول القرطبىّ فيما ذهب إليه فى فقه هذه الآية الكريمة من أنّ زيادة أى مُحَرَّم (كالسِّباع والحمر مثلاً) على الأربعة المذكورة فى الآية والتى تتمثل فى (الميتة والـدم المسفوح ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به) إنما هـى زيادة تُشْبِهُ زيادة تغريب الزانى البكر على الجَلْد ، أو زيادة الشاهد واليمين على الشاهدين أو الشاهد والمرأتين ، وفى الرد على ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

اعلم أن ما ذكـره القرطبىّ وغيـره من أن زيادة تحريم السِّبـاع والحمر مـثلاً بالسُّنة على الأربعة المذكورة فى الآية كزيادة التغريب بالسُّنة على جلد الزانى مائة الثابت بالقرآن ، وكذا كزيادة الحُكْم بالشاهد والـيمين فى الأموال الثابتة بالسُّنة على الشـاهدين أو الشاهد والمرأتين المذكـور فى قول الله تعـالى : ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ الآية[4] فهذا غير ظاهر عندى ؛ وذلك لوضوح الفرق بين الأمرين .

لأن زيـادة التـغريب ، والحُكْـم بالـشاهـد واليـمين ، علـى آية : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية[5] فـى الأول ، وآية : ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ الآية[6] فـى الثانى ، إنما هـى زيادة شىء لم يتـعرض له القرآن بنفى ولا إثبات ، ومثل هذه الزيادة لا مانع عند جمهور العلمـاء منها ؛ لأن الزيادة على النصّ ليست

---

(١) راجع تخريج وتفصيل هذا الحديث ص ٧٣٧ من هذا البحث .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٠٩ .

(٣) الأنعام : ١٤٥ .

(٤) البقرة : ٢٨٢ (آية الدَّين) .

(٥) النور : ٢ .

(٦) البقرة : ٢٨٢ (آية الدَّين) .

نسخاً عند الجمهور خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله تعالى .

أمـا زيادة مُحَـرَّم آخـر على قول الله تعـالى : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الآية[٥] فليست زيادة شىء سكت عنه القرآن ، وإنما هى زيادة شىء نفاه القرآن لدلالة الحصر القرآنى على نفى التحـريم عن غير الأربعة المـذكورة ؛ ومن ثم فإن الفرق واضح بين الأمـرين غاية الوضوح[٦] .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سـبق كسيف أن الشنقيطى يتناول بنقده الفقـهىّ كلاً من الأئمة الأربعة بصفة خاصّة ، فضلاً عن غيرهـم من أئمـة الأمة وفقهائها بصفة عامّة ؛ وفى هذا ما فيه من المنهجيّة وطلب القول بالدليل ما يؤكد لا مذهبيّة الشنقيطى وعدم تعصبه لمذهب بعينه أو قول بذاته ، كـما هو أحد مبادئـه النقدية الثابتة من حـيث (النظر إلى ذات القول لا إلى قائله) .

ومِنْ ثم ؛ فلم يمنعه جلال ومنزلة الأئمة الأربعة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين من أن يَرُدَّ بعض أقوالـهم بأدلته المعتـبرة من كـتاب الله تعالى وسُنة رسـوله ﷺ وآثار صحـابته وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين مـتأدباً فى ذلك بأدب الخلاف معهم ، بل وحافظاً لهم منزلتهم ومُـقَدِّراً عِلْمَهم ، ثم مؤكّـداً أخيراً وَرَعَهُم ومُـتَرَحِّماً عليهم ، هـذا فضلاً عن رَدِّه غيرَهـم من أئمة الأمة وفقهائها بذات الأدب ، ونفس التقدير .

---

(٥) الأنعام : ١٤٥ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٢٤٨ - ٢٤٩ .

المطلب السادس

نقــد الفِرَق الإسلاميّة

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

١- المسألة الأولى : نقد الشنقيطيّ الصُّوفيَّةَ خـــاصَّة .

٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطيّ الفِرَقَ الأخرى عامَّة .

يتمثل نقد الشنقيطى هنا فى رَدّه أقوالَ الفِرَق العديدة، وآراءَ الطوائف المختلفة، حيث ينفذ من خلال ذلك إلى إبطال معـتقداتهم، وتقويض أسسـهم، مُجَلّياً وجه الصواب فيـها بأدلته الشرعية، وشواهده المعتبرة، وفيما يلـى نكتفى من نقد الشنقيطى هذه الفِرَقَ بشاهدين اثنين، يختص أولهما بنقده الصُّوفيّة خاصّة ، فى حـين يختصَ ثانيهما بنقده الفِرَق الأخرى عامّة، تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده الصوفية خاصة

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ الآيتان[1] نراه ينقد مـا عليه متصـوفة آخر الزمـان الذين هم بمعزلٍ عن الصوفية الحَقَّة ممَّنْ يعـملون بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ وفى الرَّدِّ على ذلك يقول الشنقيطى ما نصّه :

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى[2] عن جماعة من الرجال يجـتمعون لذكر الله تعالى ،

---

(١) طه : ٩٠ - ٩١ (آيتان) .

(٢) أبو بكر الطُّرْطُوشيّ أو الدُّشْتُوشيّ ت (٥٢٠هـ = ١١٢٧م) :

هو الفقـيه الإمام العَـلاَّمة القدوة الزاهـد شيخ المالكية أبو بكر مـحمد بن الولـيد بن خلف بن سليمان بن أيوب القُرَشيّ الفِهْرِيّ الأندلسيّ الطرطوشيّ عالم الإسكندرية ، والطُّرْطُوشيّ : نسبة إلى (طُرْطُوشَة) بشرقى الأندلس ، كما كان يقال له : (ابن أبى رَنْدَقَه) وهى لفظة إفرنجية كانت تعنى فى وقته (رُدَّ أو تَعَال) .

قرأ الفرائض والحسـاب فى وطنه ، ثم لازم القاضى أبا الوليد الباجى بـ (سَرَقُـسْطَة) وأخذ عليه مسائل الخلاف كمـا سمع منه وأجاز له ، ثم قرأ الأدب بـ (إِشْبِيلِيَّة) على أبى مـحمد بن حزم ، ثم رحل إلى المشرق فحَجَّ ودخل بغـداد والبصرة ، فسمع بالأولى من قـاضيها أبى عبـد الله الدامغانى ورزق الله التميمى وأبى عـبد الله الحميدى وغيرهم ، كمـا سمع بالثانية سُنَن أبى داود من أبى على التُّسْـتَرِىّ ، كما تفـقه بهمـا على أبى بكر محمد بن أحـمد الشاشى المعروف بالمستظهرى الفقـيه الشافـعى ، وكذا أبى أحـمد الجرجـانى ، ثم نزل بيت المقدس مدة ، وتَحَـوَّلَ بعده إلى الثَّـغْر (أى الإسكندرية) فأقام بها وتخرَّج عليه أئمة كثيرون .

كان إمامـاً عالماً عاملاً ، زاهداً ورِعـاً ديِّناً ، متواضعاً مـتقشفـاً ، متقلِّلاً من الدنيا راضياً منها باليسيـر ، من تصانيفه العـديدة : (سِرَاج الملوك - بِرُّ الوالدين - كتاب الفِتَـن) وغيرها ، توفى فى التاسعـة والستين من عمره من عـامه المذكور ، ودُفِنَ بمقبـرة (وَعْلَة) قريباً من (البرج الجـديد) قِبْلِى (الباب الأخضر) وقد عُرِف قـبره فيما بعد وأقيم عليه مسجـد يُعْرَف بـ (مسجد الطرطوشى) وهو لا يزال قائماً حتى يومنا هذا بالإسكندرية . =

وكذا ذكر رسول ﷺ ، وهم يُوَقِّعُون بقضيب على شىء من أديم[1] فى حين يقوم بعضهم يرقص ويتواجـد حتى يقع مَغْشِياً عليه ، ثم يحـضرون بعد ذلك شيـئاً يأكلونه ، وهم فى ذلك ينشدون قائلين :

يـا شيخُ كُفَّ عن الذنوبْ	قبــــــلَ التفرّق والزَّلَلْ
واعمـــــلْ لنفسكَ صالحاً	مــــا دامَ ينفعُكَ العَمَلْ
أمّا الشبابُ فقــــد مَضَى	ومَشيبُ رأسِكَ قــــد نَزَلْ

فهل الحضور معهم جائز أم لا ؟!! (أفتونا مأجورين) .

وعندئذ يجيب الإمام الطرطوشى سائله قـائلاً : اعلم يرحمك الله تعالى أن الجواب فى مثل هذا ونـحـوه أن مذهب الصوفـية بطالة وجهـالة وضلالة ، وما الإسلام إلاّ كـتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ .

وأما الرقص والتواجد : فـأول مَنْ أحدثه هـم أصحاب السَّامِرىّ عندما اتخذ لهم عجلاً جسداً لـه خُوار[2] قاموا يرقصـون حواليه ويتواجدون ؛ فهـو ديـن الكفـار وعُبَّاد العِجْل ، وأمـا القضيب: فـأول مَنْ اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عـن كتاب الله تعالى .

= راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ٤/ ٢٦٢ - ٢٦٥ .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى ١٩/ ٤٩٠ - ٤٩٦ .
- الوافى بالوفيات : لخليل بن أيبَك الصفدى ٥/ ١٧٥ .
- الدِّيباج المُذْهَب : لابن فرحون المالكى ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٨ .
- حُسْن المحاضرة : للحافظ جلال الدين السيوطى ١/ ٤٥٢ .
- تراجم إسلامـية : د. محـمد عبـد الله عنان - (ص ٢٨٩ - ٢٩٧) - (أبو بكر الطرطوشىّ وكتابه : سِرَاج الملوك) - مكتبـة الأسرة (الأعمال الدينية) - إصدار الهيئـة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

(١) أى يضربون فى إيقاعٍ منتظم أو دَقَّات متشابهة متكررة بقضيب من خشب أو نحوه على شىء من جِلْد أو نحوه ، وهم يتناوبون فيما بينهم على فعْل ذلك واحداً تلو الآخر لضمان استمرار هذا الإيقاع الذى يتمايل على أثره الآخرون المتحلّقون فى حلقة واحدة كبـيرة أو فى عدة حلقات صغيرة تكاد تتساوى فى عدد أفرادها، وهم يصنعـون صنيعهم هذا الذى يطلقون عليـه (حلقات الذِّكْر) فى بيوتهم ليلة الجـمعة ونهارها بصفـة خاصة، أو فى المساجد المدفـون بها بعض آل البيت ﷺ وغيرهـم من العلماء والمشايخ بمناسبة ذكرى ميلادهم فيما يُعْرَف بـ (المولد) من كل عام بصفة عامة - والله تعالى أعلى وأعلم .

(٢) وهذا ما حكاه القرآن عن قوم موسى حـينما ردُّوا عليه فى قول الله تعالى : ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ طه : ٨٧ - ٨٩ (ثلاث آيات) .

وإنما كـان يجلس النبىّ ﷺ مع أصـحـابه رضـوان الله عليهـم أجمـعين كـأنما على رءوسـهـم الطير من الوقـار؛ ومِنْ ثم فـإنه ينبـغى للسلطان ونوابه أن يمنعـوهم من حضـور المساجـد وغيرها ، كـما لايحل لأحـد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يـحضر مـعهم، ولا أن يعينهم على باطلهم، وهذا هو مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : اعلم أن بعض الصوفية على الحق ، ولاشك أن منهم ما هو على الطريق المـستقيم مـن العمل بكتاب الله تعـالى وسُنة رسوله ﷺ وقد عـالجوا بذلك أمراض قلوبهم وحرسوها ، وراقبوها وعرفوا أحوالها ، وتكلموا على أحوال القلوب كلاماً مفصلاً كما هو معلوم .

ومن هؤلاء (أبو سليمان الدارانى - وعون بن عبد الله الذى كان يقال له (حكيم الأمة) - وسهل بن عبد الله التسترى - أبو طالب المكىّ - أبو عـثمان النيسابورىّ - يحيى بن معاذ الرازى - الجُنيـد بن محـمـد)[1] ومَنْ سار عـلى منوالهم ؛ لأنهم عالجـوا أمراض أنفـسهم بكتاب الله تعالى وسُنـة نبيه ﷺ ولم يحيدوا عن العـمل بالكتاب والسُّنة ظاهراً وباطناً ، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع .

---

(١) وفيما يلي موجز تراجمهم بترتيب ذكر الشنقيطى لهم على النحو التالى :

● أبو سليمان الدَّارَانىّ ت (٢١٥هـ = ٨٣٠م) :

هو الإمام الكبير زاهد العـصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمـد (وقيل : بن عطيه ، وقيل : ابن عسكر ، وقيل : بن أحمد بن عطية) العَنْسِىّ الدَّارَانِىّ ، وهى نسبة شاذة إلى (دَارَيَّا) قرية بغوطة دمشق ، روى عن سفيان الثورىّ وأبى الأشهب العُطاردىّ وعـبد الواحد بن زيد البصرى وغيرهـم ، كما روى عنه تلميذه أحمد بن أبى الحوارىّ وهاشم بن خالد وحُمَيْد بن هشام العَنْسِىّ وغيرهم .

من مأثوراته : (مَنْ أحـسـن فى نهاره كُفِىَ فى ليله ، ومَنْ أحسن فى ليله كُـفِىَ فى نهاره - مَنْ صَدَقَ فى تَرْكِ شهوة ذهب الله سبحانه وتعـالى بها من قلبه - نِمْتُ ليلة عن وِرْدِى فإذا بِحَوْرَاءَ تقول لى : تنام وأنا أُرَبَّى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام) .

قال الجُنَيْد : (شىءٌ يروى عن أبى سليمان أستحسنه كثيراً : مَنْ اشتغل بنفسه شُغِل عن الناس ، ومَنْ اشـتغل بربه شُـغِل عن نفـسه وعن الناس) وكـذلك : (لكل شىء عَلَمٌ ، وعَلَمُ الخِـذْلان تَرْكُ البكاء) - كما قال أحمد بن الحوارى تلميذ الدارانى : (قلت لأبى سليمان : صَلَّيْتُ صلاة فى خَلْوَة فـوجـدتُ لها لَذَّة ؛ فـقال : أىُّ شـىء لَذَّكَ منها ؟ قلت : حـيث لم يَرَنِى أَحَـدٌ ، فقـال : إنك لضعيف ؛ حيث خطر بقلبك ذكر الخَلْق) .

وأخيراً فقد كـان الدَّارَانىّ أحد عباد الله الصالحين ، ومن الزهّاد المتعبديـن ، ورد بغداد فأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام حيث أقام بقريته (دَارَيَّا) حتى توفى بها من عامه المذكور .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

● تاريخ بغداد : للخطيب الغدادى : ٢٤٨/١٠ - ٢٥٠ . =

... ...

= ● وفيات الأعيان : لابن خلِّكان ٣/ ١٣١ .

● سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٠/ ١٨٢ - ١٨٦) حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى .

● طبقات الصوفيـة : لأبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ت (٤١٢هـ = ١٠٢٢م) - (ص ٧٥-٨٢) - تحقيق : نور الدين شريبة (من علماء الأزهر) - الطبعـة ١ - الناشر : جماعة الأزهر للنشر والتأليف - طبع : دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م .

ويلاحظ أن الدَّارَانِىّ المذكـور هو غير أبى سليـمان الدارانى الكبـير واسمـه : عبـد الرحمن بن سليمـان بن أبى الجَوْنَ العَنْسِىّ الدمـشقى ، كان مُـحَدِّثاً رَحَّالاً ، روى عن لـيث ويحيى بن سعـيد الأنصارىّ وابن أبى خالد والأعمش وعمرو بن شَرَاحِيل الدَّارَانِىّ ، كما روى عنه إسماعيل بن عيَّاش من أقرانه ومحـمد بن عائذ وأبو توبة الحلبى وصفـوان بن صالح وهشام ابن عمّـار ، وثَّقَهُ دُحَيْم ، وقال أبو حاتم: لا يُحتَجُّ به، وقد روى له ابن ماجه حديثاً، وكانت وفاته سنة نيِّف وتسعين ومائة .

● انظر ترجمته فى (سير أعلام النبلاء) : للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٠/ ١٨٦ - ١٨٧) - حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى .

● **عَوْن بن عبد الله (حكيم الأمة) ت (بعد ١١٠هـ = بعد ٧٢٩م) :**

هو الإمام القدوة العـابد أبو عبد الله عون بن عبد الله بـن عتبة بن مسعـود الهُذَلِىّ الكوفىّ أخو فقيه المدينة عُـبيد الله ، حَدَّث عن أبيه وأخيه وسـعيد بن المسيِّب وابن عباس وعـبد الله بن عمرو ، كما حدّث عن عائشة وأبى هريرة غير أنه قـيل : إن روايته عنهما مُرْسَلَة ، كما أرسل أيضاً عن عَمِّ أبيه عبد الله بن مسعود ، وقد حَدَّث عنـه إسحاق بن يزيد الهُذَلِىّ وحنظلة بن أبى سفيان ومالك بن مِغْوَل ومحمد بن عجلان وأبو حنيفة ومِسْعَر وصالح بن صالح بن حَىّ والمسعودىّ ، وقد وثَّقَه أحمد وغيره ، وقال على بن المدينى : (صَلَّى عَوْنٌ خلف أبى هريرة) .

لزم عمر بن عبد العزيز وهو خليفـة وكانت له عنده منزلة ، ومن مأثوراته : (إن من العصمة أن تطلب الشىء من الدنيا ولا تجده - إن مَنْ كـان قبلكم كانوا يجعلون للدنيا مـا فَضَلَ عن آخرتهم ، وإنكم اليوم تجـعلون لآخرتكم ما فَضَلَ عن دنيـاكم - إن الله لَيُكْرِه عبده على البلاء كـما يُكْرِه أهلُ المريض مريضهم وأهلُ الصَّبِىِّ صَبِيَّهم على الدواء ، ويقولون : اشرب هذا فإن لك فى عاقبته خيراً) وقد كانت وفـاته سنة بضع عشرة ومائة ، كمـا أورد الحافظ المِزِّىّ عن البخارى ذكره له فـيمَنْ مات (بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

● سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى - (٥/ ١٠٣ - ١٠٥) - حقق هذا الجزء: شعيب الأرنؤوط .

● حِلْيَة الأوليـاء وطبقـات الأصفيـاء : للحافظ أبى نعيم أحـمد بن عـبد الله الأصبـهانى ت (٤٣٠هـ = ١٠٣٩م) - (٤/ ٢٤٠ - ٢٧٢) - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

● تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجَّاج يوسف المِزِّىّ ت (٧٤٢هـ = ١٣٤٢م) - (٢٢/ ٤٥٣ - ٤٦١) - حـققـه وضبط نصَّـه وعلّق عليـه : د. بشار عـوّاد معروف -مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - (د.ت) . =

... ...

= • سَهْل التُّسْتَرِىّ ت (٢٨٣هـ = ٨٩٦م) :

هو شيخ العارفين الصوفى الـزاهد أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ابن رفيع التُّسْتَرِىّ ، صَـحِبَ خاله محمد بن سَوَّار ، كما لقى فى الحـج ذا النون المصرىّ وصَحِبَه ، وقد ذكر أبـو عبد الرحمن السُّلمِىّ أنه أسند الحـديث وساق بإسناده إلى سَهْل حـديثاً من رواية أنس إلى رسول الله ﷺ .

له كلمات نـافعة ، ومـواعظ حَسَنة ، وقَـدَمٌ راسخة فى الطريق ، ومن مـأثوراته : (أنه أتى أبا داود فـقال له : أخـرج لى لسـانك هذا الذى حَدَّثْتَ به أحـاديث رسـول الله ﷺ حتى أُقَبِّلَه ؛ فأخـرجه له - كـما قال : لا مـعين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التـقوى ، ولا عَمَلَ إلا الصبـر عليه - كما كان يقول : مَنْ أراد الدنيـا والآخرة فليكتب الحديث ؛ فإن فيـه منفعة الدنيا والآخرة) وقد كانت وفاته فى عامه المذكور ، وقيل : (٢٧٣هـ) أو : (٢٩٣هـ) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ص ٢٠٦ - ٢١١ .
- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٤/ ٦٦٥ .
- سيـر أعلام النـبلاء : للحـافظ شمـس الديـن الذهبىّ - (١٣/ ٣٣٠ - ٣٣٣) - حـقق هذا الجزء : على أبى زيد .

• أبو طالب المَكّىّ ت (٣٨٦هـ = ٩٩٦م) :

هو الإمام الزاهد العـارف شـيخ الصوفيـة أبو طالب محمد بن على بن عطيـة الحارثى ، المكىّ المنشأ ، العجمى الأصل ، وقد سمع الحديث كما روى عنه غـير واحد ، ومن مصنفاته كتاب أسماه (قوت القلوب) على لسـان الصوفيـة ، وقد ذكر فـيه أحاديث لا أصل لهـا فضلاً عن أشـياء منكرة مستشنعة فى صفات الله عزّ وجـلّ ، كما ذكر الخطيب البغدادى عن أبى طاهر العَلّاف أن أبا طالب المكى نشأ بمكة ثم دخل البصرة بعـد وفاة أبى الحسن بن سالم فانتمى إلى مقالـته ، وقدم بغداد بعد ذلك فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ غـير أنه خلط فى كلامه ، وقد حُفِظَ عنه قوله : (ليس على المخلوقين أضرّ من الخالق) فَبَدَّعَـه الناس وهجروه ؛ فامتنع على إثره عن الوعظ حتى توفى فى جمادى الآخرة من عامه المذكور ، وأخيراً فإن العتيـقى يذكره بقوله : (كان رجلاً صالحاً مجتهداً فى العبادة ، وله مصنفات فى التوحيد) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ٣/ ٨٩ .
- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ٤/ ٣٠٣ - ٣٠٤ .
- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير ١٥/ ٤٦٧ - ٤٦٨ .
- سير أعلام النبلاء: للحافظ شمس الدين الذهبى - (١٦/ ٥٣٦ - ٥٣٧) - حقق هذا الجزء: أكرم البوشى .

• أبو عثمان النَّيْسَابُورِىّ ت (٢٩٨هـ = ٩١١م) :

هو الإمام المحدِّث ، الأستاذ الواعـظ القدوة ، شيخ الإسلام أبو عثمان سعيـد بن إسماعيل بن =

... ...

= سعيد بن منصـور النيسابورى الحيرى الصوفى ، ولد بمدينة (الرَّىّ) ونشأ بهـا ثم انتقل إلى (نيسابور) فسكنها حتى توفى بها من عامه المذكور .

وقد صَحِبَ قـديماً يحيى بن معاذ الرازى وشـاه بن شجاع الكِرْمانى وأبا حـفص الذى أخذ عنه طريقته بنيسابور، كما كان يطلب الحـديث ويُسْنِدُه، ومن جملة أقواله المأثورة : (طول العتاب فُرْقَة، وتَرْك العتـاب حِشْمَـة - لايستوى الرجل حـتى يستوى فى قلبـه أربعة أشيـاء: المنع والعطاء، والعزّ والذّلّ - منذ أربعين سَنَة ما أقامنى الله تعالى فى شيء فكرهتُه، ولا نقلنى إلى حال فسخطتُه) .

ولما تغيّـر الحال على أبى عثمـان عند الموت ؛ مَزَّقَ ابنه أبو بكر قميـصاً على نفسه ، فـفتح أبو عثمان عينه وقال : خلاف السُّنَّة يا بُنَىّ فى الظاهر ، وعلامـة رياء فى الباطن ، وكان كثيراً ما ينشد فى حاله وعظه :

وغيرُ تَقِىٍّ يأمـــرُ الناسَ بالتُّقَى   طبيبٌ يُدَاوِى والطبيـبُ مَرِيضُ

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ص ١٧٠ - ١٧٥ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ٩/٩٩ - ١٠٢ .
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٢/٣٦٩ - ٣٧٠ .
- سير أعلام النبلاء : للحـافظ شمس الدين الذهبى - (٦٢/١٤ - ٦٦) - حقق هذا الجزء : أكرم البوشى .

- **يحيى بن معاذ الرازى ت (٢٨٥هـ = ٨٧٢م) :**

هو الشـيخ الواعظ أبو زكريا يـحيى بن مـعاذ بن جـعفـر الرازى ، وهو أوسط أخـويْه الكبيـر إسمـاعيل والصـغير إبراهـيم ، وكانوا كلهم زُهَّاداً ، خـرج إلى (بَلْخ) وأقام بها مـدة ثم رجع إلى (نَيْسَابُور) وظل بها حتى وفاته من عامه المذكور .

روى عنه الغرباء من أهل (الرَّىّ وهَمَذَان وخراسـان) أحاديث قليلة مُسْنَدة ، وقد تكلّم فى علم الرجاء وأحسن فيه ، ومن جملة أقوالـه المأثورة : (لا يُفْلِح مَنْ شممتَ رائحة الرياسة منه - مسكين ابن آدم ؛ قَلْع الأحجار أهونُ من تَرْك الأوزار - لا تستبطيء الإجابة وقد سددتَ طريقها بالذنوب - ما بَعُدَ طريق إلى صديق ، ولا استوحَشَ فى طريق مَنْ سلك فيه إلى حـبيب - حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبرِّ ولا تـنقص بالجَفَاء - مـسكين ابن آدم ؛ لو خاف النار كمـا يخاف الفـقر ؛ دخل الجنة - الكلام الحَسَن حَسَن ، وأحـسن من الكلام معناه ، وأحـسن من معناه استـعـماله ، وأحـسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا مَنْ يُعْمَل له) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ص ١٠٧ - ١١٤ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ٢٠٨/١٤ - ٢١٢ .
- وفيات الأعيان : لابن خَلّكان ٦/١٦٥ - ١٦٨ .
- سير أعلام النبلاء : للحـافظ شمس الدين الذهبى - (١٥/١٣ - ١٦) - حقق هذا الجزء : على أبى زيد .

- **الجُنَيْد بن محمد القَوَارِيرى ت (٢٩٨هـ = ٩١١م) :**

هو شيخ الصـوفية أبو القاسِم الجنيـد بـن محمد بـن الجنيد النَّهَاوَنْدِىّ ثم البغـدادىّ القَوَارِيرىّ =

فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغى ولا يصح على إطلاقه ، والميزان الفارق بين الحق والباطل فى ذلك هو كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ فَمَنْ كان منهم متبعاً لرسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله ، وهَدْيه وسَمْته ، كَمَنْ ذكرنا وأمثالهم ؛ فإنهم من جملة العلماء العاملين ، ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال ، وأما مَنْ كان على خلاف ذلك فهو الضال .

نعم قد صار من المعروف بالاستقراء فى الأونة الأخيرة وفى أزمنة كثيرة قبلها أن عامّة الذين يَدَّعُون التصوف فى شتى أقطار الدنيا إلاّ مَنْ شاء الله تعالى منهم دَجَاجلَة يتظاهرون بالدّين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم؛ وليتخذوا بذلك أتباعاً وخَدَماً ، وأموالاً وجَاهاً ، وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق ، لا يعملون بكتاب الله تعالى ولا بسُنة رسوله ﷺ واستعمارهم لضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين .

= الخَزَّاز ، والقواريرى نسبة إلى أبيه الذى كان يبيع الزُّجَاج ، أصله من نَهَاوَنْد ومولده ومنشؤه بالعراق ، تَفَقَّهَ على أبى ثور ، سمع وصَحِبَ كلاً من الحسن بن عرفة والسَّرِىّ السَّقَطِىّ وأبى حمزة البغدادىّ والحارث المُحَاسِبِىّ ، وقد أتقن العلم وأقبل على شأنه وأخلص العبادة ونطق بالحكمة ، ظل على حاله تلك حتى توفى من عامه المذكور .

ومن جملة أقواله المأثورة : (عِلْمُنَا مضبوط بالكتاب والسُّنة ، فمَنْ لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يَتَفَقَّهْ ؛ لا يُقْتَدَى به – الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار – الوقت إذا فات لا يُسْتَدْرَك ، وليس شىءٌ أعَزَّ من الوقت – الإخلاص سِرٌّ بين الله وعبده ، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هَوَىً فيُميلُه) .

راجع تفصيل ترجمته فى كل من :

- طبقات الصوفية : لأبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ص ١٥٥ – ١٦٣ .
- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى ٧/ ٢٤١– ٢٤٩ .
- وفيات الأعيان : لابن خلّكان ١/ ٣٧٣ – ٣٧٥ .
- طبقات الحنابلة : للقاضى أبى يعلى ١/١٢٧ – ١٢٩ .
- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السُّبكى – (٢/ ٢٦٠ – ٢٧٥) – تحقيق : (د. عبد الفتاح محمد الحلو) مع (د. محمود محمد الطناحىّ) .
- سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين الذهبى – (١٤/ ٦٦ – ٧٠) – حقق هذا الجزء : أكرم البوشى .

ويلاحظ أن الجنيد المذكور هنا هو غير الجنيد بن محمد القَايِنِى المتوفى عام (٥٤٧هـ = ١١٥٢م) واسمه : أبو القاسم الجنيد بن محمد القَايِنِى الإمام القدوة المحدِّث شيخ الصوفية ، نزيل (هَرَاة) حيث سمع بها كلاً من محمد بن على العُمَيْرى ونجيب بن ميمون ، كما سمع بـ (أصْبَهَان) كلاً من أبى بكر بن ماجه وسليمان الحافظ ، وأخيراً فقد سمع بـ (مَرْو) أبا المظفر السمعانى ، وقد قال عنه ابن النجار : (كان فقيهاً فاضلاً ، محدِّثاً صدوقاً ، موصوفاً بالعبارة) .

- راجع تفصيل ترجمته فى (سير أعلام النبلاء) : للحافظ شمس الدين الذهبى – (٢٠/ ٢٧٢ – ٢٧٣) – حقق هذا الجزء : محمد نعيم العرقسوسى .

ومنْ ثم ؛ فإنه يجب التباعد عنهم ، والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله تعالى وسُنة نبيه ﷺ حتى ولو ظهر على أيديهم بعض الخوارق ، ولقد صدق مَنْ قال :

إذا رأيتَ رجـــلاً يَطير　　　وفوقَ ماء البحرِ قـد يَسير

ولم يقفْ عندَ حدودِ الشرعِ　　　فـإنه مستدرج أو بِدْعى

واعلم أن القول الفصل فى ذلك هو قول الله تعالى : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ الآيات[١] .

وعليه ؛ فَمَنْ كان عمله مخالفاً للشرع كمتصوفة آخر الزمان فهو الضال ، ومَنْ كان عمله موافقاً لما جاء به نبينا ﷺ فهو المهتدى ، ونرجو الله تعالى أن يهدينا وإخواننا المؤمنين ، وألاّ يزيغنا ولا يضلنا عن العمل بكتابه وسُنة رسوله ﷺ التى هى محجة بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك[٢] .

المسألة الثانية

نقده الفِرَق الأخرى عامـة

ونكتفى من هذه الفِرَق بأشهرها وأكثرها دوراناً فى مجال الدراسات الشرعية ألا وهى المعتزلة ، تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسير الشنقيطىّ المختلفة كما يلى :

● **نقد المعتزلة :**

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطىّ لقول الله تعالى : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ الآية[٣] نراه يرد ما ذهب إليه المعتزلة فى نفيهم صفات المعانى فى حق الله عزّ وجلّ ، ومؤكداً أنه لا يشك عاقل فى بطلان هذا المذهب وتناقضه ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

بَيَّنَ الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه يقصُّ على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه فى

(١) النساء : ١٢٣ - ١٢٥ (ثلاث آيات) .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٥٠١ - ٥٠٣ .
(٣) الأعراف : ٧ .

الدنيا ، وأخبرهم جلّ وعلا بأنه لم يكن غائبـاً عما فعلوه أيام فعلهم له فى دار الدنيا ، بل هو الرقيب الشـهيد على جميـع الخَلْق ، المحيط بكل ما فعلوه من صـغير وكبـير ، وجليل وحقير .

وقد بيَّنَ سبحانه هذا المعنى فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ من نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الآية[3] .

وفى هذه الآية الكريمة الردّ الصريح على المعـتزلة النافين صفات المعـانى القائلين : (إنه تعالى عـالم بذاتـه لا بصفة قـامت بذاتــه هـى العلم) وهكذا فى قولهم : (إنه تعـالى قادر مريد ، حَىٌّ سميع ، بصيـر متكلم) فإنه هنا أثبت سبحانه لنفسه صـفة العلم بقوله تعالى : ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ الآية[4] ونظيره فى قوله تعالى : ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ الآية[5] .

وهـى أدلة قـرآنيـة صـريحـة فى بطلان مـذهبـهم الذى لا يـشـك عـاقل فى بطلانه وتناقضه[6] .

* * *

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أنّ نقد الفِرَق يتناول عند الشنقيطى كلاً من الصوفية بصفة خاصّة ، ثم المعتزلة من الفِرَق الأخرى بصفة عامّة .

أما الصوفـيـة فلأنها أعدل الفِرَق الإسـلامية وأقربها إلى أهل السُّنّة والجمـاعة من حيث التزامها فى الجملة بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ فضلاً عن أنها أكثر الفِرَق الإسلامية دوراناً فى مجال البحوث الشـرعية لما لقضاياها من تلك الخصوصيـة التى تتعلق بصلة العبد بربّه عزّ وجلّ .

---

(١) المجادلة : ٧ . (٢) الحديد : ٤ . (٣) يونس : ٦١ .

(٤) الأعراف : ٧ . (٥) النساء : ١٦٦ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى : ٢٩١/٢ - وانظر تفصيل صفات المعانى السبع (القدرة - الإرادة - العلم - الحياة - السمع - البصر - الكلام) ص من هذا البحث .

وأما المعتزلة فلأنها من أكثر الفِرَق وأشهرها دوراناً فى مجال البحوث الشرعية كذلك ، ولكن من حيث وقوعهـا فى صفات الله عزّ وجلّ ، وخوضها فيمـا لا يليق بجلاله وكماله تعالى الله عما يقـولون علواً كبيراً ؛ ومن ثم فقد كـانوا أبعد الفِرَق فى ذلك عن أهل السُّنة والجماعة .

ومن ثم ؛ فقد كان فى نقـد هاتين الفِرْقَتَيْن الغُنْيَةُ بهما عمـا سواهما من الفِرَق الأخرى فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة .

المطلب السابع

نقد اللُّغَويِّين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : نقد الشنقيطي ابنَ مالك خاصَّة .

٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطي اللُّغَويِّين الآخرينَ عامَّة .

يتناول النقد اللُّغَوِيُّ عند الشنقيطى رَدَّهُ بعض ما ذهب إليه النحوىّ الكبير ابن مالك فى ألفيتــه المعروفة بـ (الخلاصــة) بصفة خاصّــة ، فضلاً عن رَدِّه بعض ما ذهب إليــه غيره من المحققين من علماء اللغة المعتبرين بصفــة عامة من أمثال (الأصمعىّ - الزبيدىّ - الزّجّاج - العينىّ - الصبّــان) وغيرهــم من أئمة العربيــة وعلمائها ، وفيما يــلى نكتفى من ذلك بشاهد على كل منهمــا تنبيهــاً بهما على غيــرهما مما فى ثنايا تفــسيره المختلفــة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده ابنَ مالك خاصّة

ففى مَعْرِض تفسـير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الآيات[1] نراه يَرُدُّ قول ابن مالك فــيما ذهب إليه من عــدم صحة الاستثناء من الاســتثناء فى هذه الآية الكريمة فيــقول فى ذلك مــا نصّه : فى هذه الآية الكريمــة دليل واضح لما حقــقه العلمــاء من جواز الاستــثناء مــن الاستــثناء ؛ لأن الله تعالى قد اسـتثنى آلَ لوط مـن إهلاك المجـرمين بقوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ثم استثنى من هذا الاســتثناء امرأة لوط بقوله تعالى : ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ .

وبهذا تعلم أن قول ابن مالك فى (الخلاصة) :

.. .. وحُكْمُها فى القصدِ حُكْمُ الأوَّلِ[2]

ليس صحيحاً على إطلاقه .

وقــد أوضح صاحب (مــراقى السُّعود) مــسألة (تعــدد الاســتثناء) من خــلال مبـحث (المخصّص المتصل) بقوله :

وذَا تعـــــددٌ بعَطــف حَصَلْ ... بالاتفـــاق مسُــــجَّلاً للأوَّلْ

إلاّ فكلٌّ للّذى بـــــه اتــصَلْ ... وكلُّها مع التساوى قـــد بَطَلْ

---

(١) الحجْر : ٥٨ - ٦٠ (ثلاث آيات) .

(٢) وتمام هذا البيت فى ألفية ابن مالك (الخلاصة) هو :

كَلَمْ يَفُوا إلاّ امْرُءٌ إلاّ عَلــــى ... وحكمُها فى القَصْدِ حكمُ الأوَّلِ

● راجع تفصيل ذلك فى (شرحَ ابن عـقيل على ألفية ابن مالكَ) : تحقيق محـمد محيى الدين عبد الحميد ٢/٢٠٩ (وذلك من خلال باب الاستثناء) .

إنْ كان غيرَ الأوَّلِ المستغرِقــــا   فالكُلُّ للمخــــرج منــه حقِّقَا
وحيثما استغـــرق الأوَّلِ فقـــطْ   فَألْغِ واعتبِرْ بِخُلْفٍ فى النَّمَطْ(1)

المسألة الثانية

نقده اللغويين الآخرين عامّة

ونكتفى من هؤلاء اللغويين بأحـد أشهر أعلامهم ألاَ وهو الأَصْمَعِىُّ ، وذلـك تنبيهاً به على غيره مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة كما يلى :

● **نقده الأصْمَعِىّ:**

ففى مَعْـرِض تفسير الشنقيـطى لقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الآية(2) نراه يَرُدُّ قول الأصعمى فيـما ذهب إليه من أنّ الفعل (تَبَارَكَ) مما يستعمل فى كلام العرب لغير الله عَزّ وجلّ ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

حكى الأصعــمىّ قائلاً : (تَبَارَكْتُ عليكم) هو من قول أحـد العرب عندما صعـد رابية فقال لأصحابه : (تباركت عليكم) أى تعاليت وارتفعت ؛ وعلى هذا يكون الفعل (تباركت) صفة ذات ، وقال ابن عـباس والحسن والنخعى : هو من البركة حـيث التزايد فى الخير من قِبَلِه سبحانه، فالمعنى زاد خيره وكثر عطاؤه؛ وعلى هذا يكون الفعـل (تباركت) صفة فعل .

قال مقيـده عفا الله عنه وغفر له : الأظهر عندى فى معنى (تَـبَارَكَ) بحسب اللغة التى نزل بها القرآن أنه (تَفَاعَلَ) من البركة كما جزم به ابن جرير الطبرىّ ؛ وعليه فمعنى (تَبَارَكَ) أى تكاثرت البركات والخـيرات من قِبَلِهِ ؛ وهذا يستلزم عظمته وتقـدسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ؛ لأنَّ مَنْ تأتى من قِبَلِهِ البركات والخيرات ، ويدرّ الأرزاق على الناس ، هو وحده المتفرد بالعظمة ، والمستحق إخلاص العبادة له .

أما الذى لا تأتى من قِبَلـه بركة ولا خير ولا رزق كالأصنام وسـائر المعبودات من دون الله تعالى ؛ فـلا يصح أن يُعْبَـد ، بل وعبادتـه كفر مُـخَلَّدٌ في نار جهنم ، وقـد أشار الله سـبحـانه إلى هذا فى قوله تعـالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية(3) وقوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآية(4) وقوله

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ١٥٥ - ١٥٦ .
(2) الفرقان : ١ .
(3) العنكبوت : ١٧ .
(4) النحل : ٧٣ .

تعالى : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الآيتان[2] وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الآيتان[3] .

ثم اعلم أن قوله : (تَبَارَكَ) هو فعل جامد ل يتصرّف ؛ فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا غير ذلك ، وهو مما يختص بالله تعالى ؛ فلا يقال لغيره سبحانه ، خلافاً لما ذهب إليه الأصمعىّ .

كما أن إسناد الله تعالى الفعل بارك إلى قوله تعالى : ﴿الذى نزل الفرقان﴾ يدلّ على أن إنزاله الفرقان على عبده هو من أعظم البركات والخيرات والنعم التى أنعم بها على خلْقه ، ونظيره قول الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الآية[4] وغيرها من الآيات الدالة على ذلك .

وإطلاق العرب الفعل (تَبَارَكَ) مسنداً إلى الله تعالى معروف فى كلامهم ، ومن ذلك ما يقوله الطِّرِمَّاح الشاعر[5] :

---

(١) الأنعام : ١٤ .
(٢) الذاريات : ٥٧-٥٨ (آيتان) .
(٣) غافر : ١٣-١٤ (آيتان) .
(٤) الكهف : ١ .
(٥) الطِّرِمَّاح بن حكيم ت (نحو ١٢٥هـ = نحو ٧٤٣م) :
هو أبو نَفْر أو أبو ضَـبِيْنَة الطِّرِمَّاح بن حكيم بن الحَكَم بن نَفْـر بن قيس بن جَحْـدَر بن ثعلبة ، والطِّرِمَّـاح بمعنى طويل القـامـة ، وقيل : كـان يلقب بـ (الـطِّرَّاح) أصله من (طيىء) ثم منشـؤه بـ (الشام) وقد انتقل منها إلى (الكوفة) مع مَنْ وردها آنذاك من جيوش الشام .
كان الطِّرِمَّاح من فـحول الشعراء الإسلاميين وفـصحائهم كما كـان خطيبًا مُفَوَّهاً ، وقد اعـتقد مذهب (الشُّرَاة الأزارقـة) ثم اتصل بخالد بن عبد الله القَسْـرِىّ فكان يكرمه ويستجيـد شعره ، وإلى جوار هذا فقد كان هَجَّـاءً معاصراً للكميت الشاعر صديقاً له فلا يكادان يفـترقان ، وقد ظل كذلك حتى وفاته من عامه المذكور .
راجع تفصيل ترجمته فى كل من :
- الأعلام : لخير الدين الزركلى ٣/ ٣٢٥ .
- الشعر والشعراء : لأبى محمد عـبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِىّ ت (٢٧٦هـ = ٨٩٠م) - (٢/ ٥٨٥ - ٢٩٠) - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر - مراجعة : السيد أحمد صقر - طبع : دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م .
- الأغانى : لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد القرشىّ الأموىّ الأصفهانىّ ت (٣٥٦هـ = ٩٦٧م) - (١٢/ ٣٥ - ٤٥) - الطبـعـة ١ - مطبعـة دار الكتب المصـرية - القـاهرة - ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م .

تَبَارَكْتَ لا مُعْطٍ لشيءٍ مَنَعْتَهُ ... وليس لما أعطيتَ يارب مَانِعُ

وكذلك ما يقوله شاعر آخر :

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ ... لنا أبــداً ما أوْرَقَ السلمُ النَّضرُ

ولا عَائدٌ ذَاكَ الزمَانُ الذى مَضَى ... تَبَارَكْتَ ما تُقَدِّرْ يَقَعْ ولَكَ الشكرُ(1)

* * *

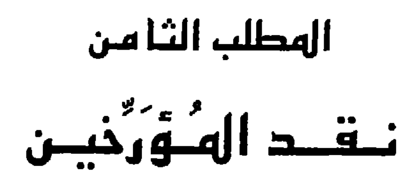
وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقـيطى يجمع فى نقده اللغوى بين ابن مالك خاصة ، والأصمعى من اللغويين الآخرين عامة .

فلم تمنعه ريادة ابن مـالك الأندلسىّ (ذلك العلاّمَة النحـوىّ الكبير) كمـا لم تمنعه منزلة الأصمعى (ذلك العَـلاّمَة اللغوىّ الشهير) من أنْ يَـرُدَّ بعض ما ذهبا إليه مما خالفا فـيه أدلته الشرعيـة ، وشواهده المعتبـرة ، والتى تقوم حُجَّةً له على صواب مـا ذهب إليه ، فى حين تقوم حجةٌ عليهما فى مخالفتهما الصواب بما ذهبا إليه .

وفى هذا ما فيه من المنهجية والموضـوعية ما يؤكد دوران الشنقيطى حيث يدور الدليل ، دونما نظر ذاتى إلى قائل هذا القول ، أو صاحب ذاك الرأى .

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٢٦٢ - ٢٦٣ .



المطلب الثامن

نقد المؤرخين

ونعالج تحته المسألتين التاليتين :

١- المسألة الأولى : نقد الشنقيطى بعضَ الوقائع .

٢- المسألة الثانية : نقد الشنقيطى بعضَ السِّيَر .

يتناول النقـــد التاريـخيّ عنـــد الشنقيطيّ رَدَّه بعضَ الوقـائع التاريخـيّة ، ثم رَدَّه بعضَ أحـداث السيـرة ؛ بما يُجَلّى فيهمـا وجه الصواب ويبطل خـلافـه بأدلته الشرعيـة وشواهده المعتبرة ، وفيما يلى نكتفى من ذلك بشاهد على كل منهما تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

نقده بعضَ الوقائع

ونكتفى من تلك الوقـائع بواحدة من أشهرها فى تاريخ المسلمين ، وأقـربها إلى قلوبهم ألا وهى واقعة بناء بيت الله الحرام ببلد الله الحرام ، وذلك كما يلى :

● **بناء البيت الحرام:**

ففى مَعْرِض تفسـير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الآية[1] نراه يَرُدُّ ما زعمه بعض المؤرخين من أن الله تعـالى قد رفع البيت الحـرام إلى السمـاء أيام طوفان نوح ، وأنه كان من ياقوتة حمراء ، إلى آخر هذه المزاعم الى رَدَّهَا بقوله :

يقول الله تعـالى فى هذه الآية : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أى واذكرْ حين بوأنا ، وتقـول العرب : (بؤأتُ له منـــزلاً ، وبـــوّأته منزلاً ، وبـوّأته فى منزل) كلها بمعنى واحـــد أى هيـأته لـــه ، ومكّنت له فيـــه ، وأنزلته فيــه ؛ (فتبـوّأه) أى نزله ؛ و(تبوّأت له منزلاً) أى هيـأته له أيضا وأنزلته فيه .

و(بوّأه) المتعدى بنفسه منه قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية[3] ومنه قول عمرو بن مَعْد يكرِب الزبيدىّ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِى مَاجِـدٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدَىَّ لَحْــــداً

أى هيأته له وأنزلته فيه .

و(بَوّأتُ له) منه قول الله تعالى هنا : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الآية[4] .

(١) الحج : ٢٦ .
(٢) العنكبوت : ٥٨ .
(٣) النحل : ٤١ .
(٤) الحجّ : ٢٦ .

و(بَوَّأته فيه) منه قول الشاعر :

وبُوِّئَتْ فــى صميم مَعْشَرِهَا   وتَمَّ فــــى قومهَا مُبَوَّؤُهَا

أى نزلت من الكرم فى صميم النسب .

و(تبوأتُ له منزلاً) منه قول الله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ الآية[1] و(تبوأه) منه قول الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية[4] .

و(أصل التَّبوء من المَبَاءَة) : وهى منزل القوم فى كل موضع فـقول الله تعالى : ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أى هيأناه له وعرّفنـاه إياه ليبنيه على قواعده الأصلـية المندرسة حين أمرناه ببنائه ، كما يُهَيَّأُ المكان لِمَنْ يريد النزول فيه .

والمفسرون يقـولون : بُوِّأَ الله تعالـى لإبراهيم مكان البيت وأراه إياه بسبب ريـح تسمّى (الخَجُـوج) كنست مـا فوق الأساس حتـى ظهر الأساس الأول الذى كان مندرسـاً ؛ فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه ، كما قيل : أرسل الله تعـالى له مُزْنَةً فاستقرت فوقه ، فكان ظلها على قدر مساحة البـيت ؛ فحفرا عن الأساس فظهر لهما فبنياه عليـه ، كما يقولون أيضاً : إن البيت كـان مندرساً من زمن طوفان نوح ، وأنّ مَـحَلَّه كان مربض غنم لرجل من قـبيلة (جُرْهُم) .

ثم اعلم أن المؤرخين لهم كـلام كثيـر فى قصة بناء إبراهيم وإسـماعيـل للبيت ، ومن جملة ما يزعمـون أن البيت الحرام رفعه الله تعالى إلى السـماء أيام الطوفان ، وأنه كان من ياقوتة حمراء ، وقد درج على ذلك ناظم عمود النسب[5] فقال :

ودَلَّتْ إبراهيمَ مُزْنَةٌ عليـــه   فهى عـلى قَدْرِ المساحة تُرِيه

وقيل دَلَّتْهُ (خَجُوجٌ) كَنَسَتْ   ما حولَه حتى بَدَا مـا أُسِّسَتْ

قَبْلُ الملائِكُ مِـــن البناءِ   قبلَ ارتفاعه إلـــى السَّمَاءِ

---

(١) يونس : ٨٧ .
(٢) الزمر : ٧٤ .
(٣) يوسف : ٥٦ .
(٤) الحشر : ٩ .
(٥) ويقصد به أحمد البدوىّ المجلسىّ البوحمدىّ الشنقيطىّ صاحب نظمىْ (عمود النسب) و (المغازى) - راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

ومن المعلوم أن هذا ونحوه شبيه بالإسرائيليات ؛ فلا يُصَدَّقُ منه إلاّ ما قام دليل من كتاب الله تعالى أو سُنّة رسوله ﷺ على صدقه ؛ ولهذا فإنا نقلل من ذكر مثل ذلك فى الغالب .

وإذا علمتَ هذا فاعلم أنّ غاية ما دَلّ عليه القرآن أنّ الله تعالى قد بَوّأ مكان البيت لإبراهيم ؛ فهيّأهُ له وعَرّفَهُ إياه ليبنيه فى مَحَلّه ، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أنّ أوّل مَنْ بناه هو إبراهيم ولم يُبْنَ قبله .

غير أن ظاهر قول إبراهيم فيما حكاه القرآن عنه حين ترك إسماعيل وأمه هاجر فى مكة كما فى قول الله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الآية[1] يدلّ على أنّ البيت كان مبنياً ثم اندرس كما يدلّ عليه قوله تعالى هنا : ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الآية[2] فهو يدلّ على أنّ للبيت مكاناً سابقاً كان معروفاً ، والله تعالى أعلم[3] .

المسألة الثانية

نقده بعضَ السِّيَر

ونكتفى من تلك السِّيَر بواحدةٍ من أهمها وأقواها صِلَةً بنَسَب رسول الله ﷺ وقومه حال ميلاد الدولة الإسلاميّة الجديدة ، ألا وهى رابطة العصبيّة القَبَليّة كما يلى :

- ***رابطة العَصَبيّة القَبَليّة :***

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطىّ لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[4] نراه يَرُدّ ما زعمه بعض أصحاب السِّيَر من أنّ رسول الله ﷺ قد أقر تلك العصبية القبلية من خلال انتفاعه بعصبيته النسبية من مثل ما وقع له ﷺ من عمّه أبى طالب وجَدّه عبد المطلب وهما آنذاك على غير الإسلام ، حيث يبين الشنقيطى وجوب التفريق بين منع النداء بتلك الرابطة وبين الانتفاع بها ، وفى ذلك يقول ما نصّه :

اعلم أنه لا خلاف بين العلماء فى منع النداء برابطة غير الإسلام كالقوميات والعصبيات النسبية، ولاسيما إذا كان النداء بالقومية يُقْصَدُ من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية ؛ فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقى: أنه نداء إلى التخلى عن دين الإسلام ، ومنْ ثم رفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً .

---

(1) إبراهيم : ٣٧ .
(2) الحجّ : ٢٦ .
(3) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/ ٦١ - ٦٤ .
(4) الإسراء : ٩ .

علـى أن يُعْتَاضَ من ذلك روابـط عـصبية قومـية ، مدارها على أن هذا من العـرب ، وهذا منهم أيضاً ؛ فالعروبةلا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام ، بل إن اسـتبدالها به صفقة خاسرة ، وهى كما قال الراجز :

بَدَّلْتَ بالجُمَّةِ رأسـاً أَزْعَـرَا وبالثنايا الواضحاتِ الدَّرْدَرَا

كما اشترى المسلمُ إذ تنَصَّرَا

ولا يخفى أنّ حـال العرب هذه كانت معلومـة قبل الإسلام وبعده ، حـيث إنّ رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القـومية العربية هم (أبو جهل وأبو لهب والوليـد بن المغيرة) ونظراؤهم من رؤساء الكفرة الذين بيّن الله تعالى تعصبهم لقومـيتهم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الآية[2] وأمثال ذلك من الآيات .

كمـا بيّن الله تعالى فى محكم كـتابه أن الحِكَمَة فى جـعله بنى آدم شعوباً وقـبائل هى التعارف فيما بينهم، وليست هى أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها ، وفى ذلك يقـول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الآية[3] فاللام فى قوله تعالى : ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لام التعليل ، والأصل : (لتتعارفوا) وقد حـذفت إحدى التاءين ؛ ومن ثم فإنّ التعارف المذكور هنا هو العلّة المشتملة على الحِكْمَة لقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ .

ونحن حين نصرّح بمنع النداء بالروابط العـصبية والأواصر النسبـية ، ونقيم الأدلة على منع ذلك؛ فـإننا لا ننكر فى ذات الوقت أنّ المـسلم ربما انتفـع بروابط نسبـيـة لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة ؛ ومن ذلك مـا نَفَعَ الله جلّ وعلا نبيَّه ﷺ بعمـه أبى طالب ؛ حيث بيّن الله سبحانه أنّ عَطْفَ ذلك العمّ الكافر على نـبيّه ﷺ هو من مِنَن الله تعالى عليه، وذلك فى قوله تـعالى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ الآية[4] أى آواك بأن ضَمَّك إلـى عمك أبى طالب؛ ولذا فقد كان من آثار هذه العصبية النسبية أن قالو أبو طالب فى ابن أخيه رسول الله ﷺ :

واللهِ لَنْ يَصِلُوا إليكَ بِجَمْعِهِمْ حتى أُوَسَّدَ فـى الترابِ دَفِينَا

وقد نفع الله عزّ وجلّ بتلك العصبـيّة النسبية كذلك نبيَّه شُعَيـباً على نبينا وعليه الصلاة

(١) المائدة : ١٠٤ .
(٢) البقرة : ١٧٠ .
(٣) الحجرات : ١٣ .
(٤) الضحى : ٦ .

والسلام كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ الآية[1] كما نفع الله تعالى بهذه العصبيّة النسبيّة نبيّه صالحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية[2] فقد دلّت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح ؛ ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءاً إلاّ ليلاً خُفْيَةً ، وقد عزموا على أنهم إنّ فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم ، ولمّا كان لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا عصبة له في قومه ؛ لذا فقد ظهر أثر ذلك حتى قال فيما حكاه القرآن عنه في قوله الله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ الآية[3] .

وعليه ؛ فإنه يلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرّق بين الأمرين ، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال ؛ ولاسيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام ، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد ، أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة ، نعوذ بالله تعالى من طمْس البصيرة .

ثم اعلم أنّ منع النداء بروابط القوميات لاينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبيّة التي لا تَمُتُّ إلى الرسالم بصلة ، وذلك كما وقع من أبي طالب لرسول الله ﷺ حيث ثبت في (الصحيح) عنه ﷺ أنه قال : « إنّ الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرجل الفاجر» الحديث[4] .

ولكن تلك القرابات النَّسَبِيَّة لا يجوز أن تُجْعَلَ هي الرابطة بين المجتمع ؛ لأنها تشمل المسلم والكافر ، وكما هو معلوم أن المسلم عدو الكافر كما قال الله تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية[5] .

ومما يوضحّ لك أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام قول الله تعالى في أبي لهب عَمّ رسول الله ﷺ : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ الآية[6] ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسيّ من

---

(١) هود : ٩١ . (٢) النمل : ٤٩ . (٣) هود : ٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب) الجهاد والسِّيَر (باب) إنّ الله يؤيد الدِّين بالرجل الفاجر - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب) الإيمان (باب) غلظ تحريم قتل الإنسان نَفْسَه - (طبع بيروت) .

(٥) المجادلة : ٢٢ . (٦) المَسَد : ٣ .

الفضل والمكانة عند رسول الله ﷺ والمسلمين والذى أشار إليه ﷺ فى قوله : «سلمان منا أهلَ البيت» الحديث[5] وقد أجاد مَنْ قال فى ذلك :

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه (باب) ذكـر سلمان الفارسى ﷺ - انظر (المستدرك على الصحيحن) : لمحمد بن عـبد الله الحاكم النيسابورى ت (٤٠٥ هـ = ١٠١٥م) - ٣/ ٦٩١ - الطبعـة ١ - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .

وذكره السيوطى فى جامع الأحـاديث من رواية عمرو بن عوف ﷺ : ٤/ ٣١٥ - حديث رقم (١٢٩٧٩) - كما ذكره الهـيثمى فى مجمعه (باب) غزوة الخـندق وقريظة - والذى يتبين من خلاله سبب هذا الحديث ، حيث يقول فى ذلك مـا نصه : عن عمرو بن عوف المزنى أن رسول الله ﷺ (خَطَّ الخندق من أحمـر السَّبَخَتَيْنِ طَرَفَ بنـى حارثة عام حزب الأحزاب حـتى بلغ المَدَاحِج ، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً) واحتج المهاجرون والأنصـار فى سلمان الفارسىّ ، وكان رجلاً قوياً ؛ فقال المهاجرون : (سلمـان منا) وقال الأنصار : (سلمان منا) فقـال رسول الله ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» كما رواه الطبـرانى ، وفيه كثير بن عبـد الله المزنى ، وقد ضعفه الجمهـور ، وحسَّن الترمذى حديثه ، وبقية رجال ثقـات - انظر (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) : للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى - ٦/ ١٣٠ - طبع مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م .

وأما فيما يتعلق ببيان معانى مفردات هذا الحديث فنسوقها على النحو التالى :

فقـوله : (خَطَّ الخندق) من قولهم : (خَطَّ الأرض) أى جـعل عليها عـلامة بالخَطِّ ليُـعْلَمَ أنه قد اختارها ليبـنيها داراً ، ومن ذلك (خِطَطُ الكوفة والبصرة) - انظر مـادة (خَطَط) فى لسان العرب : ٢/ ١١٩٨ - وعليه فإنّ قوله : (خَطَّ الخندق) أى جعل على موضعه من الأرض خَطّاً مستطيلاً ليكون بمثابة العلامة التى تدل الـصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على أنّ رسـول الله ﷺ قد اختار هذا المكان الذى خَطَّه ليقوموا فيه بحفر الخندق .

وقوله : (السَّبَخَتَيْن) هو مثنى (السَّبَخَة) : وهى الأرض التى تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلاّ بعض الشـجر - انظر مادة (سَبَخ) فى لسان العـرب : ٣/ ١٩١٧ - وعليه فـإنّ قوله : (من أحـمر السبختين) أى من الأرض الحمراء التى لا تكاد تنبت إلا قليـلاً ؛ وهذا ما يجعل حفر الخندق فى مثل هذه الأرض بالمدينة المنورة اختـياراً مناسباً ، لأنه لا يـفوِّت على المسلمين فرصة الانتـفاع بخصوبتـها والزراعة فيها نظراً لقلة خصوبتها فى الأصل .

وقوله : (طَرَفَ بنى حارثة) أى بداية من (حَرَّة بنى حارضة) حيث الحَىّ الذى كانوا يقيمون فيه ، وهو ما يمثل الآن طرف الحَرَّة الغربية عند الموضع المعروف بـ (ثَنِيَّة حَرَّة بنى سَلَمَة) الواقعة بين (مسجد القبلتين) و (المساجد السبعة أو مساجد الفتح أو مساجد الأحزاب) وقوله : (عام حزب الأحزاب) أى عام غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق المذكورة ، والتى وقعت فى شوال من العام الخامس لهجرة رسول الله ﷺ الموافق لعام (٦٢٧م) وقـوله : (المدَاحِج) أى اسم الموضع الذى انتهى إليه حـفر الخندق ، والذى يمثل الآن طَرَفَ الحَرَّة الشرقية عند الموضع المعروف بـ (أَجَمَة الشـيخين) الواقعة شرقى (مسجد المُستَرَاح) وقـوله : (أربعين ذراعاً) أى لمسافة أربعين ذراعـاً طولياً من الأرض ، و(الذِّرَاع) : هى يد الإنسان من المِرفَق حتى الـرُّسْغ ، ومقياس أشهر أنـواعها هى (الذراع الهاشمـية) والتى تعادل (٣٢) إصبعاً ، أو (٦٤) سنتيمتراً - انظر مادة (ذَرَع) فى المعجم الوسيط : ١/ ٣٢٢ .

وبناءً على ما تقدم ؛ فقد بدأ حفر الخندق من طرف الحَـرَّة الغربية إلى طرف الحَرَّة الشرقية ليربط =

... ...

= بين الحَرَّتين ، وذلك بهدف تحصين الجـهة الشمالية للمدينة المنورة والتى غالباً مـا يغزوها المعتدون من ناحيـتهـا ، وقد امـتد الخندق بطول (٢٧٢٥) مـتراً، وعـرض (٤٠) ذراعاً ، وعُـمْق (٢٠) ذراعاً ، واشترك فى حفـره رسول الله ﷺ بنفسه مع (١٥٠٠) من المهاجرين والأنصـار من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، واستغرق الحفر (٦) أيام كاملة .

وكان سلمـان الفارسىّ ﷺ هو الذى أشار علـى رسول الله ﷺ بحفـر الخندق قائلاً له : (يا رسول الله كنا إذا خـفْنَا خَنْدَقْنَا) أى كانوا إذا أحسـوا الخوف من عدوهم لجأوا إلى حـفر الخنادق فى بلادهم فارس، ولما قسَّم رسول الله ﷺ المسلمين إلى مهاجرين وكلَّفهم بالجهة الغربية من الخندق، وإلى أنصار وكلَّفهم بالجهة الشرقية منه ؛اخـتلفوا عندئذ فـى سلمان ﷺ فقال المهاجرون : (سلمان منا) وقـال الأنصار : (سلمـان منا) فقـال رسـول الله ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» وذلك لأن رسول الله ﷺ هو الذى دفع عِوَضَ عِتْـق سلمان لليهودى الذى كان يَسْتَـرِقُّه ، وهذا العِوَض كان مُقَدَّراً بـ (غرس ثلاثمائة نخلة حتى تثمر ، إضافةً إلى أربعين أوقية من الذهب) وقد غرس رسول الله ﷺ النخل بيده الشـريفة فلم تمر سَنَة حتى أثمر كله ، كـما أعطى اليهودى قدر بـيضة من الذهب فوزن منها أربعين أوقية وبقيت كما كانت ، وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بذلك بينه وبين اليهودى .

و(الأُوقِيَـة) : تساوى اثنى عـشر درهمـاً ، كمـا تعادل بدورها جـزءاً من اثنى عشـر جزءاً من (الرِّطْل) وتجمع علـى (أَوَاق) فى حين يجمع الثانى على (أَرْطَال) - انـظر مادتىْ (أوَق) و(رَطَل) فى المعجم الوسيط : ١/ ٣٣ - ١/ ٣٦٤ .

ولما كان سلمان ﷺ ليـس من المهاجرين ولا الأنصار من حيث الموطـن والنشأة ، وإنما كان من بلاد فارس ؛ لذا فقد كان هذا سبب اختلافهم فيـه من حيث حرص كل فريق منهما أن يضمه إليه ، غير أنه فاز فى نهاية الأمر بشرف الانتساب إلى أهل بيت رسول الله ﷺ .

وفيما يتعـلق بغزوة الخندق وما كان من خبر سلمان الفارسىّ ﷺ ودوره فـيها ، راجع فى ذلك كلاً من :

- السيرة النبوية : لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرىّ ت (٢٩٣ هـ = ٩٠٦م) - ٣/ ١٢٧ .
- الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين ﷺ : للشيخ غالى محمد الأمين الشنقيطى ص ٢٠٢ - الطبعة ٣ - (دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة) مع (مؤسسة علوم القرآن بدمشق) - ١٤١١ هـ = ١٩٩١م .
- المخطط التفصيلى للمدينة المنورة الذى يتضمنه الكتيب الإعلامى الدورىّ تحت عنوان (التدخين : أضراره ومكافحته) : تأليف (د. يحيى بن ناصر خواجى) مع (د. حسن البنا محمد) - الطبعة ٢ - إصدار (الشـئون الصحـية بالمدينة المنورة) بالتـعاون مع (لجنة أصدقـاءالمرضى بالمدينة المنورة) - المدينة المنورة - المحرم ١٤١٥ هـ = يونيو ١٩٩٤م .

وأخيراً وفى مَعْرِض تفسـير (إنقاص الأرض) الذى ورد فى آيتين فقط من القرآن الكريم حيث قول الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد : ٤١ - وقول الله تعالى : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الأنبياء : ٤٤ - يذكر الدكتور زغلول النجار أن إنقاص الأرض كان يُفَسَّر قديماً على أنه أحد أمرين أولهما: موت العلماء والذى يتأدّى عنه فساد عظيم ، وثانيهما : انحسار دولة الكفر بسبب الفتوحات الإسلامية العظيمة . =

لَقَدْ رَفَعَ الإسلامُ سَلْمَانَ فارسٍ ... وقد وَضَعَ الكفرُ الشريف أَبَا لَهَب

وقد أجمع العلماء على أن الرجل إذا مات وليس له من القُرَباء إلاّ ابن كافر ؛ فإنّ إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام ، ولا يكون لولده لصلبه الذى هو كافر ؛ ولما كان الميراث دليل القرابة لذا فقد دَلّ ذلك على أنّ الأخوة الدينية هى أقرب من البنوة النَّسَبِيَّة .

وبالجملة ؛ فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التى تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض ، وتربط بين أهل الأرض والسماء ، هى رابطة (لا إله إلا الله) فلا يجوز ألبتة النداء برابطة غيرها ؛ ومن ثم فإن مَنْ وَالَى الكفارَ بالروابط النَّسَبِيَّة محبةً لهم ورغبةً فيهم ؛ فإنهم يدخلون فى قول الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ الآية[2] والعلم عند الله تعالى[3] .

* * *

= وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى السنوات القليلة الماضية خلال النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى حين اكتشف علماء الطبيعة أن إنقاص الأرض يعنى (انكماشَها) وذلك بسبب (البراكين الهائلة) التى تنفجر فى جوفها لتقذف ملايين الأطنان من المادة والطاقة على شكل بخار الماء الذى يمثل (٧٠٪) منها ، والباقى على شكل غازات أخرى ومعادن منصهرة تعرف بـ (الطفوح البركانية) أو (الحُمَم) أو (الصُّهَارَة) والتى تصعد من جوف الأرض فتمر خلال الصدوع حتى تصل إلى سطح الأرض فتكوِّن ما يعرف بـ : (الحَرَّات) ومفردها (الحَرَّة) .

وإذن فـ (الحَرَّة) تعنى تلك الطفوح البركانية التى تتجمد تدريجياً وتمتد لمسافات طويلة على سطح الأرض ثم تتحول بفعل عوامل التعرية إلى أخصب أنواع التربة من البازلت المفتت ذى اللون الأحمر أو الأسود ، وحول (المدينة المنورة) وحدها (٧٠٠) فوهة بركان من المحتمل ثورانها لأنها ليست خامدة ، ولقد ثار بعضها فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولذلك تقع المدينة المنورة بين حَرَّتَيْن عظيمتين (حَرَّة رَهَط) جنوب المدينة ، و(حَرَّة خيبر) شمالها ، إضافة إلى حَرَّتَيْها الصُّغْرَيَيْن (الحَرَّة الشرقيَّة) شرق المدينة ، و(الحَرَّة الغربيَّة) غربها ، واللتين تم حفر الخندق فى غزوة الأحزاب ليصل بين طَرَفَيْهِمَا .

ومن العجب أن يُظْهِرَ المَسْحُ الجَوِّيُّ أن الحجاز وحده به ما يقرب من تسعين ألف كيلو متر مربع من هذه الحَرَّات الحمراء أو السوداء التى كوَّنتها الطفوح البركانية ، والتى يصل سُمْكُ طبقتها إلى ثلاثمائة متر تقريباً .

• راجع فى ذلك بتصرف يسير (محاضرة الاعجاز العلميّ فى القرآن الكريم) : د. زغلول النجار (أستاذ الجيولوجيا وعلوم الأرض بالجامعات العربية والعالمية ، ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بالمملكة المتحدة) وقد أجرى معه الحوار الأستاذ أحمد فراج من خلال برنامجه الشهير (نور على نور) على مدار حلقتين على القناة الأولى بالتليفزيون المصرى ، واللتين تم إعادتهما مرتين كان آخرهما الاثنين (٤ من ذى القعدة ١٤٢١هـ) الموافق (٢٩ من يناير ٢٠٠١م) .

(١) المائدة : ٥١ .

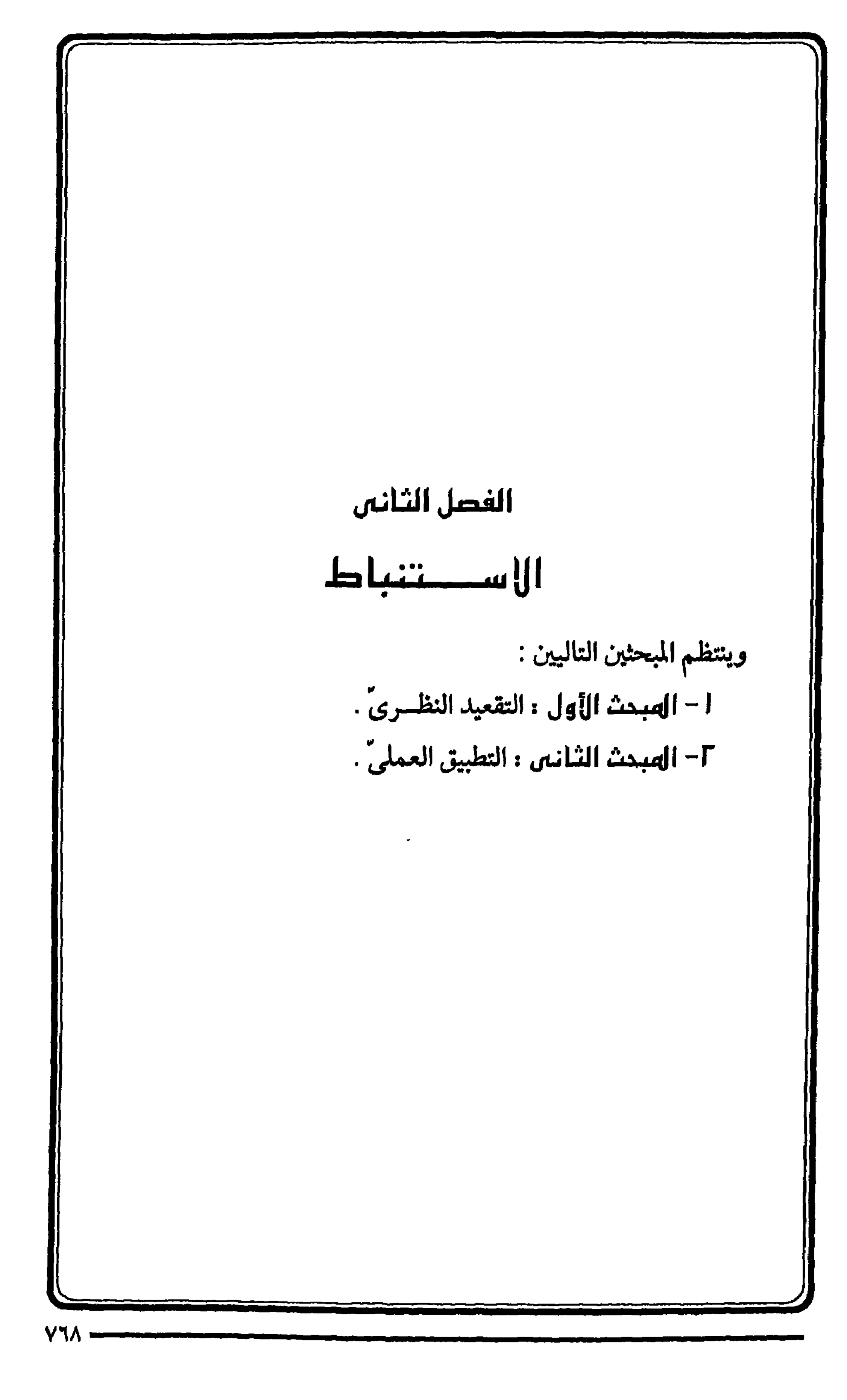
(٢) الأنفال : ٧٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٣/ ٤٤٤ - ٤٤٨ .

وبعد : فإنه يتضح لنا مما سبق كيف أن الشنقيطى يجمع فى نقـده التاريخىّ بين ردّه ما لايَصِحُّ من الوقائع التاريخية التى تتصل بتاريخ الإسلام والمسلمين ، والتى يصفها بأنها أشبه ما تكون بالإسرائيليات التى يجب إهمالها وإسقاطها من ذاكرة الأمة واعتبارها .

هذا إلى جانب ردّه مـا يثار من شبـهات حول سـيرة رسول الله ﷺ ومـا أرساه من مبادىء ثابتـة ، ودعائم راسخة ، التـزمها فى حياته ﷺ وسـار عليها صحـابته من بعده وتابعوهم من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وفى هذا ما فـيه من المنهجيّـة والموضوعيّة مـا يؤكد حرص الشنقيطى على تجلـية وجه تاريخ الإسلام الناصع المضىء ، إضـافة إلى ذبِّه ودفاعه عن رسول الإسـلام وسيرته العطرة المشرّفة ﷺ فى وجه أعـداء الله ورسوله وأشياعهم من الحاقدين على هذه الأمـة بتاريخها وسيرة نبيِّها ﷺ .



الفصل الثانى

الاستنباط

وينتظم المبحثين التاليين :

١ - المبحث الأول : التقعيد النظرىّ .

٢- المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظريّ

وينتظم المطالب السبعة التالية :

١- المطلب الأول : ماهيَّة الاستنباط .

٢- المطلب الثاني : حُجِّيَّة الاستنباط .

٣- المطلب الثالث : ضرورة الاستنباط .

٤- المطلب الرابع : شروط الاستنباط .

٥- المطلب الخامس : ضوابط الاستنباط .

٦- المطلب السادس : مجال الاستنباط .

٧- المطلب السابع : معجم الاستنباط .

ونعنى به جملة الخصائص والسِّمات التى يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادىء أساسية ، يعتمد عليها ، ويَصْدُرُ عنها ، إزاء ما يذهب إليه من استنباطات متعددة ، وما يخرج به من استنتاجات متنوعة ، مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

ماهيّة الاستنباط

يمثل الاستنباط أحد محورىْ التأويل الذى يُعَدُّ آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ ، للتفسير بالرأى ، وذلك إضافة إلى المحور الثانى المتمثل فى الاجتهاد .

وبهذه الحيثية يتوجه الاستنباط إلى استنطاق كلِّ نصٍّ أُشْكِلَ فهمُه ، أو خفى معناه ، من كتاب الله تعالى بصفة خاصّة ، أو من سُنَّة رسوله ﷺ وآثار سلفه الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بصفة عامّة ، من خلال إقدام المفسِّر على استخدام عقله وإعمال رأيه ؛ وذلك بقصد إيضاح هذا الإشكال ، وإظهار ذلك الخفاء .

ومن ثم ؛ فإنّ الاستنباط سابق على الاجتهاد فى الرتبة ، ومتقدم عليه فى الترتيب ؛ وذلك من حيث كونه يقوم بالدور الأول ، ويمثل الخطورة الأساسية ، من عمل التفسير بالرأى ، ونطاق تأثيره ؛ والاستنباط بهذه الكيفية يبدأ من النص المشكل الخفىّ وينتهى إليه ، حيث يدور فى فلكه ، فلا يتجاوز إطاره ، ولا يتعدى حدوده .

وهذا هو ذات ما يسلكه الشنقيطىّ إزاء استنباطاته المختلفة التى يبدؤها من النص المشكل الخفىّ وينتهى بها إليه ، بعد أن يَحْمِلَه إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إيحاء ، مستنتجاً منه ما يشاء ومستخرجاً منه ما يريد ؛ وليعبِّر بذلك فى النهاية عن الشطر الأول من تفسيره بالرأى والمتمثل فى هذا (الاستنباط) .

المطلب الثانى

حُجيّة الاستنباط

يُدلّل الشنقيطى على مشروعية الاستنباط من خلال إقامته الحُجَّة على مشروعية التأويل ؛ باعتبار أن الاستنباط إنما يمثل المرحلة الأولى من التأويل إلى جانب مرحلته الثانية المتمثلة فى الاجتهاد .

وقد سبق أن فصّلنا القول فى أدلة الشنقيطىّ على مشروعية التأويل فى كل من القرآن والسُّنة والآثار بما موجزه ما يلى :

● **أدلة التأويل :**

١ - من القرآن :

وذلك فى مَعْرِض تفسير لقول الله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ الآية[١] إضافة إلى ذكره نظرائها من الآيات الأخرى التى يطلق فيها التأويل غالباً على حقيقة الأمر التى يؤول إليها كقول الله تعالى : ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ الآية[٣] وقوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ الآية[٤] وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ الآية[٥] إلى غير ذلك من الآيات المماثلة[٦] .

٢- من السنة :

وذلك من خلال استدلال الشنقيطى على مشروعية التأويل بدعاء النبىّ ﷺ لابن عباس ﵄ قائلاً : اللهمّ فَقِّهْهُ فى الدِّين وعَلِّمْهُ التأويل » الحديث[٧] .

٣- من الآثار :

وذلك من خلال استدلال الشنقيطى على مشروعية التأويل بقول أم المؤمنين عائشة ﵂ : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهمّ وبحمدك اللهمّ اغفر لى» يتأوّل القرآن - الحديث[٨] .

● **غياب بعض الأدلة :**

ومع أن الشنقيطى قد استدل على مشروعية الاستنباط من خلال ستدلاله على مشروعية التأويل من الكتاب والسنة والآثار؛ إلاّ أنه قد غابت عنه بعض أشهر هذه الأدلة والمتمثلة فى كل من الآيتين التاليتين :

---

(١) آل عمران : ٧ . (٢) يوسف : ١٠٠ . (٣) الأعراف : ٥٣ .

(٤) يونس : ٣٩ . (٥) النساء : ٥٩ .

(٦) راجع تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٧) راجع تخريج هذا الحديث ص من هذا البحث .

(٨) راجع تخريج هذا الحديث ص من هذا البحث .

١- أول وأخصُّ هاتين الآيتين :

ألا وهى قول الله تـعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية(١) والتى أغفلهـا الشنقيطى فى تفسـيره (أضواء البيـان) بين قول الله تعالى : ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ الآية(٢) وقوله تـعالى : ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية(٣) .

٢- ثانى وأعمُّ هاتين الآيتين :

ألا وهى قول الله تعالى : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ الآية(٤) والتى أغفلها الشنقيطى فى تفسـيره (أضواء البيان) بين قـول الله تعالى : ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ الآية(٥) وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ الآية(٦) .

المطلب الثالث

ضـــرورة الاســتنباط

تتبع الضرورة الداعية إلى الاستنباط عند الشنقيطى من ذات الضرورة الداعية إلى التأويل عنده ؛ وذلك حذواً بضرورة الفرع التى تتبع ضرورة الأصل ، على اعتبار أن الاستنباط أحد فرعىْ التأويل إضافة إلى فرعه الثانى المتمثل فى الاجتهاد .

ولما كان الأصل عند الشنـقيطى هو التوجـه للأخذ بظاهر القرآن وعـدم العدول عنه إلاّ لضرورة تلجئه إلى ذلك ، وهو ذات ما يصرّح به قائلاً : (إنّ ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب الرجـوع إليه)(٧) لذا ؛ فإن الـضرورة الداعيـة إلى الاستنبـاط عنده إنما تتمثل فى حالة عدم غَنَائه بظاهر النصّ فى إدراك هدفـه ، وقعوده به عن بلوغ غايته ؛ ومِنْ ثم فإنه يتحتـم عليه أن يَلجأ مضطراً إلى العدول عن الظهور إلى التـأويل بمحوريْه المتلازمين حيث الاستنباط أولاً ، ثم الاجتهاد ثانياً .

وهكذا يجب فى رأينا على الشنـقيطى وغيـره من المفسِّرين أن يتوجـه أولاً إلى المعنى الظاهر المتبادر من النصّ ؛ من حيث وجوب أخذه به ، وضرورة صدوره عنه ، خاصة وأنه يُبِينُ عن نفسه بنفسه ، ويَدُلُّ بذاته على معـناه ؛ ومِنْ ثم فلا حاجة لأن يلجأ الشنقيطى إلى

---

(١) النساء : ٨٣ . (٢) النساء : ٧٤ .

(٣) النساء : ٨٤ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) آل عمران : ١٨٧ . (٥) آل عمران : ١٨٦ .

(٦) آل عمران : ١٩١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطىّ ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٤/ ٥٨٥ .

الاجتـهاد إلاّ عندمـا لا يفى ظاهر النصِّ بإدراك الهدف المـنشود ، وبلوغ الغـاية المرجوة ، وتلكم هـى الضرورة التى تُعَدُّ فـى رأينا دافـعاً للاستنباط بصفـة خاصّـة ، وللتأويل بصفة عامّة .

المطلب الرابع

شـــروط الاســتنباط

يمثل الاستنباط مع الاجتهاد محـورىْ التأويل الذى يُعَدُّ بدوره آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبـيق العـملى للتفـسـير بالرأى عند الشـنقيطىّ ، ومِنْ ثم فـإنّ الشـروط التى تَرِدُ على الاسـتنبـاط لتـصدر بدورها مـن ذات المَعِين الذى تصـدر منه ذات الشـروط التى ترد على الاجتهاد ، وليس ثمة فـارق بين شروط الاستنباط وشروط الاجتهاد إلاّ فـيما يتعلق بالفارق بين مَحَلِ الاستنباط ونطاق تأثيره ، ومَحَلِ الاجتهاد ونطاق تأثيره .

ففى حـين يبدأ الاستـنبـاط من النص وينتـهى إليه دون أن يتـجاوز إطاره ، أو يتـعدى حدوده ، فـإننا نجد أن الاجتهـاد يبدأ من النص كذلك إلاّ أنه ينـتهى به فيمـا وراءه بعد أن يَحْمِلَه إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إيحاء .

وإزاء هذا يورد الشنقيطى اثنى عشـرَ شرطاً اشترطها متأخـرو الأصوليين وأوقفوها على المجتهدين دون غيرهم فى عملهـم بكتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ غيـر أن الشنقيطى قـد بيَّنَ أن أكثـر هذه الشروط لا مـستند لهـم فـيها ، ولا دليل عليـها مِـن كتـاب أو سُنّة أو أثر أو إجـماع أو قـياس؛ لأن كل إنسـان إذا أراد أن يعمل بنص من كـتاب أو سُنّة فـلا يمتنـع عليه ولا يستحيل أن يتعلم معناه، ويبـحث عنه هل هو منسوخ أو مخصص أو مقيد حتى يعلم ذلك فيعمل به .

ومـع أن الشنقيطى قد جعل ذلك فـى غير الأمور المنصوصة فـى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنّة ، والتى لا يرى فيها إلا الاتباع دون غيره من استنباط أو اجتهاد ؛ إلاّ أننا قد استدركنا على ذلك من خلال توجيه قول أهل الأصول : (لا اجتهاد مع النص) ليصير فى رأينا (لا اجتهاد إلا مع النصّ) .

المطلب الخامس

ضـوابـط الاسـتنباط

وتتمثل ضوابط الاستنباط عند الشنقيطى فى ذات الضوابط التى تحكم التأويل عنده على

اعتبار أن الاستنباط أحد فرعىْ التأويل إضافة إلى فرعه الثانى المتمثل فى الاجتهاد ، وتنحصر هذه الضوابط فى ضابطين اثنين لا يخرج الشنقيطى عن إطاريْهما ، ولا يتجاوز حدودهما ، إزاء ما يلجأ إليه من استنباط بصفة خاصة ، أو تأويل بصفة عامة ، ألاَ وهما :

١- الضابط الأول (اللغة) :

ويحتكم الشنقيطى إلى اللغة كضابط أول قبل غيرها ؛ وهذا على اعتبار أسبقية الوضع ، وأوّليّة الوجود ، حيث إنها هادية إلى أصل المعنى ، وحاكمة لتوجهه ، وذلك منذ أن كان للإنسان وجود ، ومنذ أن كانت له لغة خطاب .

ومن ثم ؛ لا يفتأ الشنقيطى أن يُعْمِلَ هذا الضابط اللغوىّ مصرّحاً بين الحين والآخر باحتكامه إلى لغة العرب ، وما يجرى وَفْقاً لقواعدها الثابتة ، ومن ذلك قوله : وأظهر الأقوال فى الآية عندى هو جريانها على اللغة الفصيحة من غير إشكال ولا تقدير[١] .

٢- الضابط الثانى (الأصول) :

ويأتى احتكام الشنقيطى إلى هذا الضابط الأصولىّ بعد احتكامه إلى الضابط اللغوىّ ؛ بناء أيضاً على أسبقية وضع اللغة قبل الأصول ، وأوّليّة وجودها قبله ، وإزاء إعمال الشنقيطى هذا الضابط الأصولىّ نكتفى بالإشارة إلى هاتين القاعدتين تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، ألاَ وهما :

- **قاعدة (الأخذ بظاهر القرآن) :**

وهى ذات القاعدة التى سبق أن تناولناها بالذكر فى مَعْرِض حديثنا عن (ضرورة الاستنباط) منذ قليل بما أغنى عن إعادة ذكرها هنا ثانية .

- **قاعدة (دلالة الإشارة) :**

وهى تلك القاعدة التى يحتكم إليها الشنقيطى فى تفسيره للآية من خلال ضَمِّها إلى غيرها من الآيات الأخرى ؛ وبحيث يتأدى عن ذلك اكتمال دلالتها ، وتمام معناها ؛ وهو ذات ما يجرى على المقرر عند علماء الأصول فى هذا الصدد ، والذى ينقله الشنقيطى عنهم قائلاً ما نصه : لا تدل بعض الآيات على معناها إلاّ بضمها إلى بعض الآيات الأخرى ، وتلكم هى الدلالة المعروفة عند علماء الأصول بـ (دلالة الإشارة)[٢] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/ ٣٦٣ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٣٨٥ .

المطلب السادس

مجـــال الاســتنباط

وينحصـر مجال الاستنباط عند الشنقيطى فى ذلك النصِّ الخفى المشكل الذى لا يفى ظاهره بإدراك تمام الهدف المنشود منه ، وبلوغ كمال الغاية المرجوة فيه ؛ وعندئذ يلجأ الشنقيطى إلى الاستنباط بضابطيه السابقين بقصد رفع هذا الخفاء ، وإزالة ذلك الإشكال ، واللذين يكتنفان النصَّ القرآنيَّ بما يجعله لا يكشف بنفسه عن مدلوله ، ولا يُبِينُ بذاته عن معناه .

ولما كان النصُّ القرآنى يتألّف من كلٍّ من اللفظ المفرد والجملة المركبة شأنه فى ذلك شأن لغته نزل بها ، بل وسائر اللغات الفاعلة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ؛ لذا فقد كان من المنهجيّة أن يشمل مجال الاستنباط عند الشنقيطى كلاً من :

١ - اللفظ المفرد :

وهو كل لفظ قرآنى يكتنفه الغموض ، ويَلُفُّه الإشكال ؛ بحيث لا يكشف بنفسه عن مدلوله، ولا يُبِينُ بذاته عن معناه، ومن ثم يتوجّه إليه الشنقيطى من خلال الاستنباط أولاً ؛ فإمّا أن يدرك الهدف المنشود منه ، ويبلغ الغاية المرجوة فيه ؛ وإلاّ توجّه إليه من خلال الاجتهاد ثانياً .

وتنبيهاً ببعض هذه الألفاظ القرآنية المفردة على غيرها مما يتناولها الاستنباط نذكر كلاً من : (الكَلالة - بَحِيرة - سَائِبَة -وَصِيلَة - حَام)[1] .

---

(١) انظر مواضع ومعانى هذه الألفاظ على بعض أوجهها فى (كلمات القرآن تفسير وبيان) : للشيخ حسنين محمد مخلوف - الطبعة ١ - مكتبة الأمين - المدينة المنورة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩م .

حيث وردت معانيها بحسب ترتيب سورها القرآنية على النحو التالى :

- الكَلاَلَة : الميت الذى ولد له ولا والد ، وذلك فى قوله الله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ النساء : ١٧٦ .
- بَحِيرَة : الناقة التى تُشَقُّ أُذُنُها وتجعل للطواغيت فى حالة إذا ما ولدت خمسة أبطن آخرها ذَكَرٌ .
- سَائِبَة : الناقة التى تُسَيَّبُ للأصنام من أجل شفاء من مرض ، أو نجاة من حرب .
- وَصِيلَة : الناقة التى تترك للطواغيت إذا بكّرت بأنثى ثم ثَنَّتْ بأنثى أيضاً ، أى واصلتْ الأنثيين .
- حَامِ : الفَحْل أو الذَّكَر الذى لا يُرْكَب ولا يُحْمَل عليه شىء فى حالة إذا ما لَقِحَ ولدُ ولدِه ، أى صار قادراً على ضِراب الإناث .

وهذه المفردات الأربع يجمعها قول الله تعالى : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة : ١٠٣ .

٢- الجملة المركَّبة :

وهى كل جملة قرآنية يكتنفها الغموض ، ، ويَلُفُّهَا الإشكال ؛ بحيث لا تكشف بنفسها عن مدلولها ، ولا تُبِينُ بذاتها عن معناها ، ومِنْ ثم يتوجَّه إليها الشنقيطى من خلال الاستنباط أولاً ، فإما أن يدرك الهدف المنشود منها ، ويبلغ الغاية المرجوة فيها ؛ وإلا توجّه إليها أيضاً من خلال الاجتهاد ثانياً .

وتنبيهاً ببعض هذه الجمل القرآنية المركَّبة على غيرها مما يتناولها الاستنباط نذكر كلاً من قول الله تعالي : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الآية[١] وقوله تعالى : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية[٢] وقوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ الآية[٣] .

---

(١) الأنعام : ١٤٦ .

● ومعنى هذا التركيب القرآنى : أن الله تعالى قد حَرّمَ على اليهود كل ماله إِصْبَع أو مِخْلب من الدوابّ والطيور بصفة عامة ، أما من الغنم والبقر بصفة خاصة فقد حَرّم عليهم شحومَ الكَرِش والكُليَتين ، واستثنى سبحانه من ذلك شحوم الظهر والمصارين والأمعاء ؛ وذلك جزاءً لهم على بغيهم وظلمهم ، والله تعالى أعلم .

(٢) النمل : ٤٤ .

● ومعنى هذا التركيب القرآنى : أن نبيَّ الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام طلب من بُلْقَيس ملكة سبأ عندما جِيءَ بها وبعرشها إليه أن تدخل قصره ، فلما رأت ساحته اللامعة البَرَّاقة حسبته ماءً غزيراً ؛ ومن ثم كشفت عن بعض ساقيها خشية أن يصيبها البلل ؛ وعندئذ أعلمها نبيُّ الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن هذا ليس ماءً ، وإنما هو زجاج شفاف أملس لامع شأنه فى ذلك شأن سائر الزجاج الذى بنى منه قصره العظيم ؛ الأمر الذى انتهى بها إلى إدراك حقيقة ضعفها ، فضلاً عن ضلالها وعدم إسلامها ؛ ومن ثم تابتْ وأنابت لتسلم فى النهاية مع سليمان لله ربِّ العالمين .

(٣) يسٓ : ٣٩ .

● ومعنى هذا التركيب القرآنى : أنّ الله عزّ وجلّ هو خالق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، ومن مظاهر قدرته هذه جلّ وعلا أن جعل سير القمر فى منازل ومسافات مختلفة ؛ بحيث يطلع فى أول ليلة من الشهر الهجرىّ ضئيلا قليل النور ، ثم يزداد فى الليلة الثانية ، وكلما ارتفع منزلة ازداد ضياءً وإن كان يقتبس هذا الضياء من الشمس ، ثم يستمر هكذا حتى يكتمل نوره فى الليلة الرابعة عشرة ، وبعدها يشرع فى النقصان حتى يصير فى آخر الشهر كالعرجون القديم ، أى شبيهاً بِعِذْق الرُّطَب اليابس العتيق فى انحنائه وتقوسه عندما تنفصل عنه الرُّطَب ويترك وحده فيصيبه =

فأمثال هذه الألفاظ القرآنية المفردة ، وأمثال تلك الجمل القرآنية المركبة ، لا تكشف بنفسها عن مدلولها ، ولا تُبِينُ بذاتها عن معناها ؛ ومِنْ ثم فهى بحاجة إلى بذل الجهد ، وإعمال الرأى ، إزاء فهمها واستيعابها ، من خلال أقصى ما تحمله من مدلول ، وأبعد ما ترمى إليه من إيحاء .

وتلكم هى مهمة التأويل ، وذلكم هو دوره ، من خلال فرعه الأول المتمثل هنا فى الاستنباط ، ثم فرعه الثانى المتمثل فيما بعد فى الاجتهاد ، واللذين يعمل كل منهما على مُسْتَوَيِى الإفراد والتركيب عند الشنقيطى فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير .

● استدراك أصوليّ :

١- لماذا اللفظ دون الجملة ؟!

ومن خلال تأكيدنا على أن التأويل إنما يُعَدُّ آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ للتفسير بالرأى ، ثم من خلال تأكيدنا أيضاً على أن التأويل إنما يقوم على محورَيْن اثنين يتمثلان فى الاستنباط أولاً ، فالاجتهاد ثانياً ، وذلك على مستوى اللفظ القرآنىّ المفرد ، ثم على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

لذا ؛ فإنه يتبيّن لنا أن قصر علماء الأصول تعريفهم للتأويل على اللفظ القرآنى فقط دون الجملة القرآنية المركبة بقولهم : (التأويل هو صَرْف اللفظ عن معناه الظاهر أو الراجح المتبادر منه إلى المعنى المحتمل المرجوح بدليل يدل عليه ويقترن به) إنما هو قَصْر لا وجه له ، فضلاً عن أنه حصر يَقْعُد بالتأويل دون إدراك هدفه ، وبلوغه غايته ، على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

وأنىّ لنا أن نُسَلِّمَ بمنهجية هذا القصر ، وواقعية ذلك الحصر ، مع أن النص القرآنى لا يقوم إلاّ على كلا المستويين معاً ، مستوى اللفظ المفرد ، ومستوى الجملة المركبة ؛ ناهيك

= القِدَمُ بتعاقب الليل والنهار عليه .

واشتراك الشمس مع القمر بمنازلهما المتعددة ، ومسافاتهما المختلفة ؛ جعله الله تعالى أساساً لعلمنا بعدد السنين والحساب ، حيث نستدلّ بسير القمر ومنازله على مُضِىّ الشهور وانقضائها ، فى حين نستدل بسير الشمس ومنازلها على تعاقب الليل والنهار وتتابعهما ؛ وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه فى غير آية من آيات القرآن العظيم كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس : ٥ - وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ الإسراء : ١٢ - وقوله تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن : ٥ - إلى غير ذلك من الآيات .

عن تأليف الكلام بأسره من اللفظ المفرد والجملة المركبـة معاً ، وهذا ما يؤكده الواقع الفعلىّ للغتنا العربية ، بل وسائر اللغات الفاعلة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى .

٢- بين الصَّرْف والحَمْل :

يوهم لفظ (الصَّرْف) الذى ذكـره الأصوليون فى تعـريفهم لمصطلح التـأويل بترك المعنى الظاهر للنصّ القرآنى بالكلية ، بل والالتفات عنه مباشرة إلى غيره دونما نظره أو اعتباره .

أما لفظ (الحَـمْل) فيدل على وجـود أخذ المعنى الظاهر فى الاعـتبار ؛ من حـيث كونه أساساً ينطلق منـه الاستنباط خاصة ، والتأويل عـامة ، مسترشداً بــه ، ومتجاوزاً إيـاه إلى غيره ، ولا نقول يتركه أو يلتفت عنه .

ومِنْ ثم ؛ فـإن التعـبير بـلفظ (الحَمْل) أنسب فـيمـا نرى فى تعريف التـأويل من لفظ (الصَّرْف) من حـيث دلالته على الممارسـة العملية التى يقـرها واقع التأويل ، بل وتحتمـها طبيعته ، على اعتبار أن المعنى الذى يتتجه التأويل تالٍ للمعنى الظاهر ، ورديف له .

● تعريفُ التأويل :

وبناء على ما تقدّم فإننا نرى أن التعريف المناسب للتأويل هو عبارة عن : **(حَمْل النصّ القرآنىّ إفـراداً وتركيـباً إلى أقصى مـا يمكن أن ينتهى إليـه المعنى بضوابطه المعتبـرة من اللغة والأصول عندما لا يفى ظاهر النص بذلك) .**

المطلب السابع

معجم الاستنباط

تدور ألفاظ الشنقـيطى فى تعبيره عن اسـتنباطاته المختلفة إزاء مـا يَعْرِض له من الآيات بالتفـسير حول مشـتقات الفعـل (ظَهَرَ) بصفة أسـاسية ، أو مشتـقات الفعل (أَخَذَ) بـصفة استثنائية ، وفيـمايلى نكتفى بذكر بعض أمثلة هذين الفعلين تنبيهاً بهـا على غيرها مما يضمه معجم ألفاظ الاستنباط عند الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة كما يلى:

أ- مشتقات الفعل (ظَهَرَ) :

وبحسب ترتيب ورود مشتقات هذا الفعل يعبّـر الشنقيطى بها عن استنباطاته المختلفة فى تفسيره قائلاً ما نصّه :

١- هذا هو ما ظهر لنا فى هذه المسألة ، والله تعالى أعلم ، ونسبة العلم إليه أسلم[١] .

٢- قال مقيده عفا الله عنه : والظاهر لى . . .[٢] .

٣- قال مقيده عفا الله عنه : والذى يظهر لى ، والله تعالى أعلم أن . . .[٣] .

٤- قال مقيده عفا الله عنه : والذى يظهر لى أن . . . .[٤] .

٥- قال مقيده عفا الله عنه : والظاهر أن هذه الآيات المذكور إنما تشمل . . . .[٥] .

٦- قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : والذى يظهر لى فى هذه المسألة أن . . . . .[٦] .

٧- قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الأظهر عندى فى هذه المسألة أن . . . .[٧] .

ب- مشتقات الفعل (أخذ):

ويعبّر الشنقيطى عن استنباطاته المختلفة من خلال أحد مشتقات هذا الفعل بلفظه ، أو من خلال الدلالة عليه بمعناه ، ومن ذلك مايلى :

١- لفظ الفعل:

ومن ذلك قول الشنقيطى ما نصّه : ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أنه . . . .[٨] .

٢- معنى الفعل:

ومن ذلك قول الشنقيطى ما نصّه : ومن هذه الآية الكريمة أن . . . .[٩] ويعنى بهذا أن يقول : (ويؤخذ من هذه الآة الكريمة أن . . . .) .

* * *

وبعد : فإن جملة تلك المبادئ هى التى تحكم سائر ما يَعْرِض له الشنقيطى من استنباطاته المختلفة ، وهذا ما يبدو مترجماً بصورة فعلية من خلال تطبيقه العمليّ على ذلك التقعيد النظريّ .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٢٦٨ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٣ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٤ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/٤٤٤ .
(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٥٢ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٧٧ .
(٧) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/١٢٥ .
(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٣٩٩ - ٥/٧٧ .
(٩) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٤٠٩ - ٤٥٧ (من خلال اثنى عشر موضعاً على مدار تسع وأربعين صفحة) .

المبحث الثانى

التطبيق العملىّ

وينتظم المطالب السبعة التالية :

١ - المطلب الأول : استخـــراج اللــــؤلؤ والمرجان .

٢- المطلب الثانــى : أقـــــل أَمَــــــد للحَمْل .

٣- المطلب الثالـث : مـــــدة خَلْق السموات والأرض .

٤ - المطلب الرابــع : ملاءمة جَعْل الطلاق بيد الرجـــل .

٥ - المطلب الخامس : بُطْلان دَعْوَى مساواة المرأة بالرجل .

٦ - المطلب السادس : وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٧- المطلب السابـع : الجهــــاد فَــــرْضُ كِفَايـــــة .

ونعنى به ذلك السلوك الفعلىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى سائر استنباطاته التى عَرَضَ لها فى مختلف فنون العلم وفروعه ؛ حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيده النظرىّ .

ولما كان منهج البحث يقوم على أساس الاختيار والانتقاء ، لا الحصر والاستقصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فيما يلى بذكر جملة من استنباطات الشنقيطى ، تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

استخراج اللؤلؤ والمرجان

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية[1] نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من ماءِ النهر العَذْب ، كما يستخرجان من ماء البحر المِلْح على السواء ؛ وذلك خلافاً لماجزم به العلماء المحققون ، وذهب إليه المفسرون المعتبرون ، من أن اللؤلؤ والمرجان لايستخرجان إلاّ من ماء البحر المِلْح فقط دون غيره .

وإزاء استنباطه هذا يقول الشنقيطى ما نصّه : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إنّ المراد بقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ أى من مجموعهما الصادق بالبحر المِلْح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر المِلْح وحده دون العَذْب .

وهذا القول الذى قالوه فى هذه الآية الكريمة مع كثرتهم وجلالهم لاشك فى بطلانه ؛ لأن الله تعالى قد صرّح بنقيضه فى سورة (فاطر) ولاشك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك فى قوله الله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الآية[2] .

فالتنوين فى قوله تعالى : ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ تنوين عِوَض أى منْ كُلٍّ واحدٍ من العَذْب والمِلْح تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وهى (اللؤلؤ والمرجان) وهذا مما لا نزاع فيه[3] .

ويُعَقِّبُ الشيخ عطية محمد سالم على استنباط شيخه الشنقيطى هنا قائلاً ما نصّه :

(1) الرحمن : ٢٢ .   (2) فاطر : ١٢ .

(3) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٧٤٨ .

وهذا الاستنتاج الذى توصّل إليه فضيلة الوالد رحمه الله تعالى يُعْتَبَرُ فَتْحاً من الله ؛ لأنه توصّل إليه استنتاجاً فجاء الواقع يشهد بذلك ، مع أنه لم يَطَّلِعْ عليه رحمه الله تعالى ؛ ولذا فقد لزم التعليق والتنبيه عليه بقولنا :

إنه قد ثبت وجود اللؤلؤ فى الماء العَذْب كما ذهب إليه رحمه الله تعالى ، حيث جاء فى (دائرة معارف الشعب المصرية - عدد ٧٣ - صحيفة ٥٣٧) ما نصّه : وأنواع المَحَار جميعها قد تنتج اللؤلؤ ، ولكنه يوجد غالباً فى أنواع معينة منها ؛ فلقد عُثِرَ مثلاً على لآلىء رائعة الجمال فى مَحَار المياه العذبة فى بريطانيا ، وخاصة أنهار (ويلز واسكتلندا) .

وأشهر لؤلؤة منها عُثِرَ عليها فى نهر (كونواى) فى القرن السابع عشر الميلادى[1] وقد أهداها أحد نبلاء الإنجليز إلى الملكة (كاترين) زوجة (شارل الثانى) ولا تزال محفوظة ضمن مجوهرات (التاج البريطانى فى برج لندن) كم لا يزال الأهالى يقتنون المَحَار عند مصب هذا النهر .

ومِنْ ثم ؛ فقد كان إثبات الشيخ رحمه الله تعالى وجزمه باستخراج اللؤلؤ من الماء العَذْب مغايراً لما عليه جميع المفسرين إثباتاً مُؤَيَّداً بنور الله تعالى ، حيث شهد له الواقع ، وصدّقه الحِسّ ؛ بل وفى ذلك تأييد لكل مجتهد وجد مستنداً صريحاً لما ذهب إليه ، ولما فهمه من كتاب الله تعالى ، وإنْ غاير أقوال الآخرين ما دام له مستند ظاهر كهذه المسألة .

ثم إنّ هذا مصداق لما جاء عن عَلِيٍّ ﷺ وما نطق به من مشكاة النبوة حينما سُئِلَ: هل خَصَّكُمْ رسول الله ﷺ آلَ البيت بشىء من الوحى؟ فقال: لا ، إلاَّ بما فى هذه الصحيفة[2]

(١) وهو يقابل القرن الحادى عشر الهجرىّ .

(٢) والمقصود بـ (الصحيفة) : هى صحيفة على بن أبى طالب ﷺ التى دَوَّنَ فيها بعض ما أخذه وتعلمه من رسول الله ﷺ وقد اشتملت على سبعة نصوص أثبتتها أغلب كتب السُّنَّة ، ورواها معظم الأئمة الثقات كالبخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والنسائى والإمام أحمد وغيرهم .

ونصوصها وإن بدت قليلة؛ إلاّ أنها احتوت فقهاً كثيراً تناول موضوعات شتى تمثلت فى كل من: (حَرَم المدينة - ذمة المسلمين وأمانتهم - تكافؤ دماء المسلمين - قتل المسلم بالكافر - فكَاك الأسير - بعض الكبائر وعقابها) كما أشارت بعض رواياتها إلى موضوعىْ : (الجراحات والمَعَاقِل أى الديات - ثم فرائض الصدقة) .

ولمزيد من التفصيل بشأن نصوص هذه الصحيفة وتوثيق رواياتها وما احترته من فقه، راجع فى ذلك:

- صحيفة على بن أبى طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ (دراسة توثيقية فقهية) : لأستاذنا الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب - الطبعة ١ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

أو فَهْماً فى كتاب الله يعطيه مَنْ يشاء من عباده[1] .

فهـذا هـو الفهم الصحيـح المستند إلى نصٍّ صـريح أعـطاه الله تعالى له ، رحـمه الله تعالى رحمة واسعة [2] .

● **رأى البحث :**

والحق أن فى سورة الرحمن ذاتهـا قرينةً قرآنيةً تشهد لاسـتنباط الشنقيطى وتؤيده ، ألا وهى قول الله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآيات[3] .

فمع أن الله عزّ وجلّ قد جعل البحرين المِلْحَ والعَـذْبَ يتقابلان ويتماسان ؛ إلاّ أنهما لا يختلطان ولا يمتزجـان ، وذلك بفعل هذا الحاجز الإلهىّ الذى يفصل بين مائـيْهما ، والذي يُعَدُّ من أجَلِّ آيات قدرة الله تعالى وعظمته ؛ ومنْ ثم فإن استخرج اللؤلؤ والمرجان منصرف إلى كل منهما على حـدة ، وليس من مجموعهـما معاً ؛ لأنهما لا يخـتلطان ولا يمتزجان على نحو ما أوضحته الآيات .

---

(٣) ورد هذا النص فى إحـدى رواياته عن شعبة قـال : سمـعت القاسم بن أبى بزة يحـدّث عن أبى الطفيل قال : سئل على بن أبى طالب ﷺ : أخَصَّكُمْ رسـول الله ﷺ بشىء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشىء لم يَعُمَّ به الناس كـافة ، إلاّ ما كان فى قـرِاب سيفى هذا ، قـال : فأخرج صحيفة مكتوباً فيها : (لعن الله مَنْ ذبح لغير الله ، ولعن الله مَنْ سَرَقَ منار الأرض ، ولعن الله مَنْ لعن والديْه ، ولعن الله مَنْ آوى مُحْدثاً) .

● صحيح مسلم : ١٥٦٧/٣ – كتاب (الأضاحى) – باب (تحريم الذبح لغير الله ، ولعن فاعله) – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – (د.ت) .

قِرَابُ السَّيْف : هو مـا يشبـه الجِرَاب أو الوعـاء المصنوع من الجِلْد ، وفيـه يضع الراكب أو المسافر سيفه وسوطه وعصاه وأداته ، وقـد يحمل فيه زاده من تمر وغيره – انظر مادة (قَرُبَ) فى لسان العرب : ٣٥٦٦/٥ .

مَنار الأرض : هو العَلَم أو العلامـات التى توضع لتمييـز حدود الأراضى ، وتحديد نواحـيها المختلفة ، ومن ذلك قولهم : (مَنَار الحَرَم) أى أعلامه التى ضربها إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام لتمييز أقطار الحَرَم ، وتحديد نـواحيه ؛ وبها تُعْرَفُ حدود الحِلِّ مـن حدود الحَرَم – انظر مادة (نَوَرَ) فى لسان العرب : ٤٥٧١/٦ .

آوَى مُحْدثاً : أى نَصَرَ وحَمَى وسَـانَد وأجَار كُلَّ مَنْ يفعل الأمر الحادث المُنْكَر غيـر المعتاد ، والذى لم تَرِدْ به سُنَّة رسول الله ﷺ ومن ثم فإن الإيواء هنا يعنى الرضـا بهذا المُحْدَث والصبر عليه ، بل إقراره على منكره وقَبُول بدعته – انظر مادة (حَدَثَ) فى لسان العرب : ٧٩٦/١ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧٤٨/٧ هـ١ .

(٣) الرحمن : ١٩-٢١ (ثلاث آيات) .

بل إن هذا الحاجز الإلهىّ الذى يفصل بين الماء العَذْبِ والماء المِلْح ليشهد به الواقع الملموس فى بعض أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ، وهذا ما يؤكده الشنقيطىّ ذاته فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الآية[1] حيث يقول فى ذلك ما نصّه : اعلم أن لفظة (مَرَجَ) تطلق فى اللغة إطلاقين :

الأول : مَرَجَ بمعنى (أَرْسَلَ وخَلَّى) من قولهم : (مَرَجَ دابته) إذا أرسلها إلى (المَرْج) وهو الموضع الذى تَرْعَى فيه الدواب ، كما قال حسان بن ثابت ﷺ :

وكانتْ لا يَزَالُ بها أنيسٌ خلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وشاءُ[2]

وعلى هذا فالمعنى : أرسل البحرين وخلاّهما لا يختلط أحدهما بالآخر .

---

(١) الفرقان : ٥٣ .

(٢) مُرُوجٌ : جمع (مَرْج) وهو الأرض الواسعة ذات النبات الكثير ، حيث (تَمْرُجُ الدَّوَابُّ) أى تترك لتسرح وتَرْعَى فيها مختلطةً حيث شاءت - انظر مادة (مَرَج) فى لسان العرب : ٥/ ٤١٦٨ .

النَّعَم والنَّعْم : هى المال الراعية التى تشمل الإبل والبقر والغنم ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة : ٩٥ - وقيل : أكثر ما يطلق هذا الاسم على الإبل خاصة ، وهو يذكر ويؤنث فتقول : (هذا نَعَمٌ واردٌ ، وهذه نَعَمٌ واردةٌ) والجمع : (أَنْعَام) والتى تأتى بمعنى (النَّعَم) فَتُذَكَّرُ أحياناً كقوله الله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ النحل : ٦٦ - كما تؤنث أحياناً أخرى كقول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ المؤمنون : ٢١ - ٢٢ (آيتان) وجمع الجمع : (اناعيم) كما قيل : إنّ جمع النَّعَم (نُعْمَان) مثل (حَمَل وحُمْلاَن) - انظر مادة (نَعَم) فى كل من لسان العرب : ٦/ ٤٤٧٨ - مختار الصحاح : ص ٦٦٨ .

الشاة : من الغنم تذكر فتقول : (هذا شاةٌ) كقولهم : (هذا رحمة) ومن ذلك قوله الله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف : ٥٦ - وقوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ الكهف : ٩٨ - كما تؤنث فتقول : (هذه شاةٌ) وأصل الشاة : (شاهة) لأن تصغيرها : (شُوَيْهَة) والجمع : (شِيَاه) من ثلاث إلى عشر ، فإذا زادت على عشر فهى (الشاة) فى معنى الجمع لأن الألف واللام للجنس ، فإذا كثرت فوق ذلك فهى (شاءٌ) وتجمع على (شَوِيٌّ) - انظر مادة (شَوَه) فى كل من لسان العرب : ٤/ ٢٣٦٥ - مختار الصحاح : ص ٣٥١ .

والمعنى : أن تلك الأرض كانت عامرة مأنوسة بهذه الأنعام الكثيرة من الإبل والبقر والغنم التى كانت تَرْعَى فيها ، فتأكل من نباتها وتسرح معاً حيث شاءت وكيف شاءت .

والثانى: مَرَجَ بمعنى (خَلَط) ومنه قول الله تعالى: ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ الآية[1] أى مختلط .

فعلى القول الأول : فالمراد بالبحرين أى الماء العذب فى جميع الدنيا ، وكذا الماء المِلْح فى جميعها ؛ فقوله تعالى : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ يعني به ماء الآبار والأنهار والعيون فى جميع أقطار الدنيا ، وقوله تعالى : ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أى البحر المِلْح كالبحر المحيط وغيره من البحار التى هى مِلْح أُجَاج ؛ وعلى هذا التفسير فلا إشكال .

وأما على القول الثانى : بأن مَرَجَ بمعنى (خَلَط) فالمعنى أنه يوجد فى بعض المواضع اختلاط الماء المِلْح والماء العَذْب فى مجرى واحد ، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر ، بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى ، وهذا محقق الوجود فى بعض البلاد ، ومن المواضع التى هو واقع فيها ذلك المحل الذى يختلط فيه نهر السنغال بالمحيط الأطلسى بجنب مدينة (سانلويس) .

وقد زرتُ هذه المدينة عام ستة وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة ١٣٦٦هـ[2] واغتسلتُ مرة فى نهر السنغال، ومرة فى المحيط ، غير أنى لم آتِ مَحَلَّ اختلاطهما ، ولكن أخبرنى بعض المرافقين الثقاة أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه جَالِسٌ يغرف بإحدى يديْه عَذْباً فراتاً، وبالأخرى مِلْحاً أُجاجاً، والجميع فى مجرى واحد ، لا يختلط أحدهما بالآخر ؛ فسبحانه جلّ وعلا ، ما أعظمه وما أكمل قدرته .

وهذا الذى ذكره جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة قد جاء موضحاً فى غير هذا الموضع كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ الآية[3] وقوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ⑲ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ الآيتان[4] أى لا يبغى أحدهما على الآخر فيمتزج به .

وهذا البرزخ الفاصل بين البحرين قد بيَّن الله تعالى أنه حاجز حجز به بينهما ، وذلك فى قوله جلّ وعلا : ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ الآية[5] .

وعليه ؛ فإنّ هذا الحاجز هو اليَبْسُ من الأرض الفاصل بين الماء العَذْب والماء المِلْح على التفسير الأول ، أو هو حاجز من قدرة الله تعالى غير مرئى للبشر على التفسير الثانى ، والعلم عن الله تعالى[6] .

---

(١) قٓ : ٥ . (٢) وهو ما يقابل عام ستة وأربعين وتسعمائة وألف من الميلاد ١٩٤٦م .
(٣) فاطر : ١٢ . (٤) الرحمن : ١٩ - ٢٠ (آيتان) . (٥) النمل : ٦١ .
(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٣٣٨ - ٣٤٠ .

غير أننا نُرَجِّحُ التفسير الثانى على أنه حاجز إلَهِىّ غير مَرْئِىّ بدليل قول الله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ومن ثم فإن محل هذا الحاجز يوجد فى الماء ذاته فى المنطقة الفاصلة بين البحرين ، وهو فى ذات الوقت يمنع بقدرة الله تعالى اختلاطهما وامتزاجهما .

وقد أخبرنى بعض مَنْ أثق فيهم أنهم عاينوا ذلك وأحسوا به فى منطقة (رأس البَرّ) عند المحل المعروف هناك بـ (اللِّسَان) فسبحان الله العظيم !! خالقِ كل شىءٍ !! وهو على كل شىءٍ قدير !!

المطلب الثانى

أقلُّ أمَد للحَمل

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ الآية[1] نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة بضمها إلى آيتين أخريين أنّ أَقَلَّ مُدَّةٍ للحَمْل هى ستة أشهر ، وإزاء استنباطه هذا يقول الشنقيطى ما نصّه : هذه الآية الكريمة ليس فيها بإنفرادها تَعْرض لبيان أقل مدة للحمل ، ولكنها بضميمة بعض الآيات الأخرى إليها يُعْلَمُ أقل أمد للحمل ؛ لأن هذه الآية الكريمة صرّحت بأن أمد الحمل والفِصَال معاً هو ثلاثون شهراً [2] .

أما قول الله تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ الآية[4] فيبيّنان أنّ أمد الفصال عامان وهما أربعة وعشرون شهراً ؛ فإذا طرحتها من الثلاثين شهراً السابقة بقيت ستة أشهر ؛ فتبيّن بذلك كونها أمداً للحمل وهى أقله ، ولا خلاف فى هذا بين العلماء ، كما أن دلالة هذه الآيات على أن أقل أمد للحمل ستة أشهر هى المعروفة عند علماء الأصول بـ (دلالة الإشارة)[5] .

---

(١) الأحقاف : ١٥ .

(٢) الفصَال : الفطَام ، ومنه قولهم : (فَصَلَت المرأةُ وَلَدَهَا تَفْصِلُه فَصْلاً وفِصَالاً) أى فَطَمَتْه ، وقد سُمِّىَ وَلَدُ الناقة بـ (الفَصِيل) إذا فُصِلَ عن أُمِّه ، والجمع (فُصْلانٌ وفِصَالٌ) – انظر مادة (فَصَل) فى لسان العرب: ٥/ ٣٤٢٢ .

(٣) لقمان : ١٤ . (٤) البقرة : ٢٣٣ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٣٨٥ – ٣٨٦ .

وقد ثبت مثل ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ عندما أُتِىَ بامرأة قد ولدتْ لستة أشهر ؛ فَهَمَّ برجمها ظناً منه أنها قد ارتكبت الفاحشة فحملَتْ سِفَاحاً ، ثم ظلت تخفى ذلك لمدة ثلاثة أشهر قبل الستة المذكورة ؛ وذلك لعلم عمر ﷺ أنْ أمد الحمل هو تسعة أشهر، حيث لم يتصورّ أنه ربما يكون ستة أشهر .

فلما بلغ ذلك علىَّ بن أبى طالب ﷺ قال : (ليس عليها رَجْمٌ) فلما بلغ عمر ﷺ أرسل إلى=

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليـه الشنقيطىّ فى استنباطه هذا من أنّ أقل مـدة للحمل هى سـتة أشهر هو ذات ما يشهد به واقع بعض النساء اللائى يضعن حملهن بعد ستة أشهر بصورة أو بأخرى ، سواء كان ذلك بطريقـة طبيعيّة أو من خلال عمليّة جـراحيّة ، وسواء كان المولود غير مكتـمل النمو ، والذى يسميه أهل الطب بـ (الطفل المُبْتَسر) حيث يحـتاج وتلك حاله إلى رعاية صحيّة خاصّة تعـرف عندهم بـ (الحَضَّانات) أو سواء كان مكتمل النمو ؛ ومِنْ ثم فلا حاجة له بهذا كله .

ومع ذلك فإن هذه الستة أشهر التى تَعُـدُّ أقلّ مدة للحمل عند بعض النساء ، وكذا مدة السبعة أشهر كأوسط مدة للحمل بنسبة أكثر قليلاً عند البعض الآخر منهن ؛ فإنّ كلتا المدتين تظلان استثناءً على المدة الأصليـة للحمل التى هى تسعة أشهر كـأقصى وأتم مدة للحمل ، والتى عليها غالب النساء فى كل زمان ومكان .

وكمـا دلّت الآيـات الثلاث المذكـورة على الستة أشـهر التى هى أقل أمـد للحمل فى استنبـاط الشنقيطى ؛ فإن ذات الآيات لتدلّ أيضـاً على المدتين الأخريين المحددتين بالسـبعة والتسعة أشهر .

لأن تحـديد الفصال بمدة عـامين فى قول الله تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ الآية[1] لم يجعله الله عزّ وجلّ عـلى سـبيل الجزم والإلزام ، وإنما جعله سبـحانه علـى سبيل التخـيير لِمَنْ أراد التمـام ؛ وهذا ما دَلّ عليه حـرف الجر (فى) الذى تضمنه قـول الله تعالى : ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ أى (فـى خـلال عامين وليس شرطاً بعد تمامهما) وهذا ما أكدّه سبحانه أيضاً فى قوله تعـالـى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ الآية[2] .

= علىٌّ ﷺ يسأله ؛ وعندئذ أجابه علىٌّ رضى الله عنه قائلاً : (يقول الله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ البقرة : ٢٣٣ - ويقول تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف : ١٥ - فستـة أشهر حمله ، وحولان تمام الرضاعة ؛ فلا حَـدَّ عليها) فلما علم عمـر ﷺ ذلك خَلَّى عنها ، ولم يرجـمها ؛ لتـيقنه آنذاك أنّ السـتة أشهـر هى أقل أمد ممكن للحمل .

● انظر فى ذلك (تحفـة المودود بأحكام المولود) : للإمام أبى عبـد الله شمس الدين محـمد بن أبى بكر أيوب الدمشقى المعروف بابن قيِّم الجوزيّة ت (٧٥١هـ= ١٣٥٠م) - ص ٢٠٦ - طبع المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٣٩٧هـ= ١٩٩٧م .

(١) لقمان : ١٤ . (٢) البقرة : ٢٣٣ .

وعليـه ؛ فإن الثلاثين شـهراً التى تشـمل الحمل والفِـصَال مـعاً فى قول الله تـعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ الآية[1] إنما تتسع لتستوعب مُـدَدَ الحمل الثلاث حيث الستة أشهر كأقل مدة ، ثم السبعة أشهر كأوسط مدة ، وأخيراً التسعة أشهر كأقصى وأتم مدة .

أما مدة الرضاعة التى يكون بعدها الفصال فهى تلك المتبقية من الثلاثين شهراً بعد طرح مُدَد الحمل الثلاث منهـا على التوالى ؛ ومِنْ ثم فقد يكون هذا الفِصَال بعـد أربعةٍ وعشرين شهراً بما يعادل عامين كاملين ، أو ثلاثةٍ وعشرين شهراً بما يعادل عامين إلاّ شهراً ، أو واحدٍ وعشرين شهراً بما يعادل عامين إلاّ ثلاثة أشهر .

بل إن التخييـر الذى سبق أن أشارت إليه الآيتان ليدلّ على أن الفِـصَال قد يقع بعد أقل من تلك المدد الثلاث ؛ وذلك من مولود إلى مولود ، حسبما يتناسب مع ظروفه ، ويتلاءم مع أحواله .

المطلب الثالث

مُدّة خلق السمّاوات والأرض

ففى مَعْرِض تفسـير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ الآية[2] نـراه يستنبط من هـذه الآية الكريمة بضـمها إلـى بعـض الآيات الأخــرى أن مدة خَلْق السـماوات والأض هـــى ستـة أيام ، والتـى صرّح بها الحق سبـحانه فى غير آية من القرآن العظيم ؛ وذلك خلافـاً لما قد يُتَوَهَّم من هذه الآية المذكـورة وجملة الآيات التى ضُـمَّتْ إليهـا من أن مدة خلق السـماوات والأرض هى ثمانية أيام .

وإزاء استنباطه هذا ، والذى يؤكده القرآن العظيـم ، يقول الشنقيطى ما نصّه : والظاهر أن معنى قول الله تعالى هنا: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى فى تتمة أربعة أيام، وتتمة الأربعة حاصلة بيومـين فقط ؛ لأن الله تعـالى قال : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية[3] ثم قال تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى فـى تتمة أربعة أيام، ثم قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية[4] وبضم هذين اليومين إلى الأربعة السابقة ؛ فيكـون مجموع الأيام التى خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض وما بينهما هـو (ستة أيام) .

وهذا الذى ذكرناه فـى الآية لا يصح غيره بحـال ؛ لأن الله تعالى قـد صرّح فى آيات

(1) الأحقاف : ١٥ .
(2) فُصِّلَتْ : ١٠ .
(3) فُصِّلَتْ : ٩ .
(4) فُصِّلَتْ : ١٢ .

متعددة من قرآنه العظيم بأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية[4] إلى غير ذلك من الآيات[5] .

فلو لم يُفَسَّرْ قوله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ على أن معناه (فى تتمة أربعة أيام) لكان المعنى أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ثمانية أيام) لأن قوله تعالى : ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ إذا فُسِّرَ بأنها (أربعة أيام كاملة) ثم جُمِعَتْ مع (اليومين) الذين خُلقَتْ فيهما الأرض والمذكورَيْن فى قوله تعالى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية[6] ثم جمعنا إلى ذلك أيضاً (اليومين) اللذين خُلقَتْ فيهما السماوات والأرض والمذكورَيْن فى قوله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية[7] لكان المجموع (ثمانية أيام) .

وهذا ما لم يَقُلْ به أحد من المسلمين ، فضلاً عن أن النصوص القرآنية مصرّحة بأنها (ستة أيام) فَعُلِمَ بذلك صحة الذى ذكرنا ، وكذا صحةُ دلالة الآيات القرآنية عليه[8] .

● رأى البحث :

والحق أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه هذا من أنّ مدة خَلْق السماوات والأرض هى (ستة أيام) هو ذات ما صرّح به الحق سبحانه فى سبع آيات من قرآنه العظيم ؛ إلاّ أنّ

---

(1) الفرقان : ٥٩ . (2) السجدة : ٤ .

(3) ق : ٣٨ . (4) الأعراف : ٥٤ .

(5) ويقصد بذلك الثلاث آيات الأخرى فى كل من قول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يونس : ٣ - وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ هود : ٧ - وأخيراً قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ الحديد : ٤ - ولم يَرِدْ فى سائر القرآن العظيم غير هذه الآيات السبع التى صرّح فيها الحق عزّ وجلّ بمدة خَلْق السماوات والأرض التى هى (ستة أيام) .

(6) فُصِّلَتْ : ٩ : (7) فُصِّلَتْ : ١٢ .

(8) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/١١٦ - ١١٧ .

حيثـية هذا الاستنباط تكمن فى رفع ذلك الإشكال ، ودفع هذا التـوهم ، والذى قد يفضى إليه ظاهر الآيات المذكورة من أن مدة خَلْق السمـاوات والأرض هى (ثمانية أيَّام وليست ستة أيَّام) .

ومع ذلك فإنه يمكننا توجـيه هذا الاستنبـاط مـن ظواهر ذات الآيات المذكورة نفسـها ؛ لأن قـول الله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية[1] يُفْهَم منه أنّ مـدة خلق السـماوات السـبع وحـدها هى (يَوْمَـان) وقـول الله تعـالـى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَـيْنِ﴾ الآية[2] يُفْـهَم منـه أن مـدة خَلْق الأرض وحـدها هـى (يَوْمَان) .

أما قـول الله تعالى بعد ذلك مباشرة فى نفس السورة : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ الآية[3] فإنـه يُفْـهَم منه أن اليومين اللذيـن خُلِقَتْ فيهـما الأرض وحـدها المذكورين فـى الآية السابقة هـما داخلان فـى الأيام الأربعة هنا .

ولما كان جَـعْلُ الرواسى فوق الأرض هو مـن أصل خَلْقِ الأرض ذاتها ؛ لذا فـإنّ مدة خَلْق الأرض بما فى ذلك جعل هذه الرواسى من فـوقها هى (يَوْمَان) وتتبـقى بعد ذلك مدة وضع البركـة فى الأرض وتقدير الأقـوات فيـها وهى (يَوْمَان) واللذان يمثـلان نصف الأيام الأربعة المذكورة من حيث المدة .

وبهذا يصير مجموع مدة خَلْق الأرض برواسيها ، مع مدة وضع البركة وتقدير الأقوات فيـها هو (أربعة أيَّـام) والتى إذا ضُمَّتْ إلى مدة خَلْق السـماوات السبـع التى هى (يَوْمَان) لصار حـاصل جمعهـا (ستة أيام) وهى ذات مـدة خَلْق السماوات والأرض مـعاً التى دلت عليها آيات القرآن السبع السابق ذكرها .

المطلب الرابع

ملاءمة جَعْل الطلاق بيد الرجل

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[4] نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة ملاءمـة أن يكون الطلاق بيد الرجل لا بيد المرأة ؛ حيث إنّ ذلك يُعَـدُّ من هَدْى القرآن للتى هى أقوم ، وإزاء هذا يقول مـا نصّه : ومن هَدْى

(١) فُصِّلَتْ : ١٢ .
(٢) فُصِّلَتْ : ٩ .
(٣) فُصِّلَتْ : ١٠ .
(٤) الإسراء : ٩ .

القرآن للتى هى أقوم جعله الطلاق بيد الرجل كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الآية[1] ونحوها من الآيات الأخرى[2] .

لأنّ النساء مزارع وحقول تبذر فيها النُّطَفُ كما يبذر الحَبُّ فى الأرض كما قال الله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[3] ولاشك أن الطريق التى هى أقوم الطرق أنّ الزارع لا يُرغَمُ على الازدراع فى حقل لا يرغب الزراعة فيه ؛ لأنه يراه غير صالح له .

والدليل الحسىّ القاطع على ما جاء به القرآن من أنّ الرجل زارع ، والمرأة مزرعة : أن آلة الازدراع مع الرجل ؛ فلو أرادت المرأة أن تجامع الرجل وهو كاره لها ، لا رغبة له فيها ، فإنّ ذَكَرَه لم يَنْتَشِرْ ولم يقم إليها ، ومن ثم فلا تقدر منه على شىء ؛ وذلك بخلاف الرجل فإنه قد يُرْغِمُهَا على الجِمَاع وهى كارهة فتحمل وتلد ، كما قال أبو كبير الهذلىّ :

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِــــهِ وهُنَّ عَوَاقِدٌ   حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غيرَ مُهَبَّلِ[4]

فَدَلَّتْ الطبيعة والخِلْقَة على أنّ الرجل فاعل والمرأة مفعول بها ؛ ولذا فقد أجمع العقلاء على نسبة الولد له لا لها ؛ ومن هنا فإن تسوية المرأة بالرجل فى أمر الطلاق لَهِيَ مكابرة فى المحسوس كما لا يخفى[5] .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه ملاءمة كون الطلاق بيد الرجل لابيد

(١) الطلاق : ١ .

(٢) ويقصد بذلك الآيات السبع المماثلة في كل من قول الله تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾ البقرة : ٢٣٠ - وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ البقرة : ٢٣١ - ٢٣٢ (آيتان) - وقوله تعالى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ البقرة : ٢٣٦ - وقوله تعالى : ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ البقرة : ٢٣٧ - وقوله تعالى : ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الأحزاب : ٤٩ - وقوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ التحريم : ٥ .

(٣) البقرة : ٢٢٣ .

(٤) المُهَبَّل : هو الرجل ثقيل الحركة من كثرة لحمه وزيادة وزنه ، ومنه قولهم : (هَبَّلَه اللحمُ) إذا كثر عليه وركب بعضه بعضاً - (فأهبله) أى أثقله - انظر مادة (هبل) فى لسان العرب : ٦/٤٦٠٧ .

● والمعنى : أنه كم من امرأة لا ترغب فى الجِمَاع ؛ حتى إنها تُحْكِمُ ربط إزارها تعبيراً عن رفضها ، ومع ذلك فقد قام إليها خفيفاً فى حركته ، سريعاً فى أداء مهمته ، بحيث لم يَعُقْه ثقل وزنه ، أو ضخامة جسمه ، عن جِمَاعِها وهى كارهة ، وقضاء وطره وهى رافضة ، والله تعالى أعلم .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٤١٤ - ٤١٥ .

المرأة ، وعدم سوغ المساواة بينهما فى ذلك ، هو ذاته ما يلائم واقع المرأة وحالها ، بل ويناسب طبيعتها وفطرة الله تعالى فيها ؛ وذلك لأن الشرع الحكيم لم يجعل إليها ولايتها على نفسها إلاّ فيما تدعو إليه الضرورة بقدرها فى بعض خواصّ أحوالها ، أما فى غالب وعموم أحوالها فقد وَكَلَ الشرع ولايتها إلى أبيها منذ ولادتها وحتى زواجها ؛ ولتنتقل ولايتها بهذا الطور الجديد فى حياتها إلى زوجها .

فعلى امتداد حياتها من مهدها إلى لحدها ، وولايتها بيد وليّها من رجالها ، أباً كان أو مَنْ يقوم مقامه ، ثم زوجاً مسئولاً عنها بعد زواجها ؛ فكيف بالمرأة وتلك حالها أنْ تُوكَلَ إليها ولايتها على غيرها بأنْ يُجْعَل الطلاق بيدها لا بيد زوجها وهو القَوَّامُ عليها بقَوَامَته التى أثبتها له خالقه سبحانه فى قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية[1] فهل يُجْعَلُ لِمَنْ لا قَوَامَة لها ولايةٌ على مَنْ له القوامة الكاملة ؟! بل هل يُجْعَلُ للمرأة التى لا ولاية لها على نفسها ولايةٌ لها على زوجها الذى إليه ولايتها ؟!

لاشك أن الجواب على هذا الاستفهام الاستنكارى يتأدّى عنه سقوط تلك الدعوى المتمثلة فى محاولة تسوية المرأة بالرجل فى جعل الطلاق بيدها ، حيث تطلّقُ المرأةُ زوجَها بموجب ذلك دونما قيد أو شرط ، بل وقتما شاءت ، وكيفما شاءت ؛ وفى هذا ما فيه من انتكاس الفطرة ، وتَنَكُّبِ الصراط ، فيما لو جُعِلَ الطلاقُ بيد المرأةِ لطلَّقَتْ زوجَها آلاف المرات ؛ وذلك كنتيجة حتمية لما فيها من لين العاطفة ، وتقلّب المزاج .

ومن ثم فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الرجل أنسب وأنفع لأن يُجْعَل الطلاقُ بيده ، وذلك لما يتمتع به من الصبر والحكمة ، فضلاً عما له من القوامة وكمال العقل والدين ؛ وهذا ما يجعله صالحاً للقيام بدوره تجاه إعمارذلك الكون ، بل والنهوض بأمانة استخلافه فى الأرض ، وسبحان الحكيم الخبير الذى يَحْسم هذا فى غير آية من قرآنه العظيم كقوله تعالى : ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الآية[2] ثم قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية[3] وأخيراً قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ الآيتان[4] .

(١) النساء : ٣٤ .
(٢) طه : ٥٠ .
(٣) القمر : ٤٩ .
(٤) الأعلى : ٢ - ٣ (آيتان) .

المطلب الخامس

بُطلان دَعْوَى مُسَاوَاةِ المرأةِ بالرجل

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة أيضاً بطلان دعوى مساواة المرأة بالرجل فى جميع الأحكام والميادين ، وإزاء هذا يقول ما نصّه : واعلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أنّ من هَدْى القرآن لتى هى أقوم عدم تسوية الأنثى بالذكر فى جميع الأحكام والميادين ؛ حيث إن الدعوة إلى هذه التسوية هى فكرة كافرة ، خاطئة خاسرة ، مخالفة للحسِّ والعقل ، فضلاً عن مخالفتها للوحى السماوىّ ، والتشريع الإلهىّ ؛ ومن ثم فإنّ فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنسانى ما لا يخفى على أحد إلاّ مَنْ أعمى الله بصيرته .

لأن الله تعالى قد جعل الأنثى بصفاتها الخاصة بها صالحةً لأنواع من المشاركة فى بناء المجتمع الإنسانى صلاحاً لا يصلح لها غيرها ، ومن ذلك الحمل والوضع والإرضاع وتربية الأولاد وخدمة البيت والقيام على شئونه من طبخ وعجن وكنس ونحوها ، وهذه الخدمات التى تقوم بها المرأة للمجتمع الإنسانى على الشرف والفضيلة والقيم الإنسانية ، هى خدمات لا تقل عن خدمة الرجل بالعمل والاكتساب .

وقد زعم أولئك السفلة الجهلة من الكفار وأتباعهم أن المرأة لها من الحقوق فى الخدمة خارج بيتها مثل ما للرجل من ذلك ؛ مع أنها فى زمن حملها ونفاسها ورضاعها لا تقدر على مزاولة أى عمل فيه أى مشقة كما هو مشاهد ومعلوم ، كما أنها إذا خرجت هى وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة كحفظ الأولاد الصغار ، وإرضاع مَنْ هو فى زمن الرضاع منهم ، وتهيئة المأكل والمشرب لزوجها حين مجيئه من عمله ، ونحو ذلك .

ولو أجَّروا إنساناً يقوم مقامها ؛ لتعطل ذلك الإنسان فى ذلك البيت ذات التعطل الذى خرجت المرأة فراراً منه ؛ ومن ثم عادت النتيجة فى حافرتها على أنّ خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين ؛ لأن المرأة متاع هو خير متاع الدنيا ، وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضاً للخيانة ؛ لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شىء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكراً ؛ فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه مالا يخفى على أدنى عاقل .

وكذلك إذا لمس شيئاً من بدنها بَدَنُ خائنٍ سَرَتْ لذة ذلك اللمس فى دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية؛ ولاسيما إذا كان القلب فارغاً من خشية الله تعالى ، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانةً وغدراً ؛ وتحريك الغرائز بمثل ذلك النظر واللمس يكون غالباً سبباً لما هو شر

(١) الإسراء : ٩ .

منه ، كما هو مشاهد بكثرة فى البلاد التى تركت الصيانة وتخلّت عن تعاليم الإسلام ؛ فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلاّ ما شاء الله تعالى ؛ لأنه قد نُزِعَتْ من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ، نعوذ بالله من مسخ الضمير والذوق ، ومن كل سوء !!

أما دَعْوَى الجهلة السَّفلة من أنّ دوام خروج النساء باديات الرؤوس والأعناق والمعاصم والأذرع والسُّوق ونحو ذلك يُذْهِبُ إثارة غرائز الرجال ؛ لأن (كثرة الإمساس تذهب الإحساس) !! فهو كلام فى غاية السُّقوط والخِسَّة لأن معناه إشباع الرغبة مما لا يجوز ؛ حتى يزول الأَرَبُ منه بكثرة مزاولته ، وهذا ساقط كما ترى لأن الدوام لا يُذْهِب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء بدليل أن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهم ، ومع ذلك فلا تزال ملامسته لها ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته ، وهذا هو المشاهد المعلوم ، والذى لا ينكره إلاّ مكابر :

لقدْ أَسْمَعْتَ لو نَادَيْتَ حَيّاً ولكنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادى

وقد أمر رَبُّ السماوات والأرض ، خَالِقُ هذا الكون ومُدَبِّرُ شئونه ، العَالِمُ بخفايا أموره وبكل ما كان وما سيكون ، أمر سبحانه بغض البصر عما لا يَحِلُّ ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآيتان[1] .

كما نَهَى الحق سبحانه المرأة أن تضرب برجلها لتُسْمِعَ الرجالَ صوتَ خلخالها ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ الآية[2] وكذلك فقد نهاهن عزّ وجلّ عن لين الكلام لئلا يطمع أهل الخَنَا فيهن[3] وذلك فى قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ الآية[4] .

فلتعلمن أيتها النساء اللاتى تحاولن أن تَكُنَّ كالرجال فى جميع الشئون أنكنّ مترجلات متشبهات بالرجال ، وأنكن ملعونات فى كتاب الله تعالى على لسان رسوله ﷺ وكذلك المخنثون المتشبهون بالنساء فهم أيضاً ملعونون فى كتاب الله تعالى على لسان رسوله ﷺ

---

(١) النور : ٣٠ - ٣١ (آيتان) . (٢) النور : ٣١ .

(٣) الخَنَا : الفُحْشُ والقُبْحُ والفَسَاد ، ومنه قولهم : (خنَا فى مَنْطقه يَخْنُوخنًا) أى أفحش فى الكلام ، ومثله (أخنَى) كما يقال : (فى كلامه إخنَاء) أى فحشٌ وقبحٌ – انظر مادة (خنَا) فى لسان العرب : ١٢٨٢/٢ .

(٤) الأحزاب : ٣٢ .

ولقد صدق مَنْ قال فيهم :

وما عَجَبٌ أنّ النساءَ تَرَجَّلَتْ ولكنّ تأنيثَ الرجال عُجَابُ(١)

هذا وقد تَوَسَّع الشنقيطى فيما له تعلق بذات الموضوع وهى مسألة (حجَاب المرأة) حيث حقق المقام فى وجوب احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها ، وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ الآية(٢) من خلال أدلته الشرعية ، وشواهده المعتبره من الكتاب والسُّنة واللغة والأصول ، فضلاً عن أقوال العلماء المحققين ، وآراء المفسرين المعتبرين فى هذا الصدد(٣) .

● **رأى البحث :**

والحق أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه هذا من بُطْلاَن وسقوط دَعْوَى مساواة المرأة بالرجل فى جميع الأحكام والميادين ، هو ذات ما يتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها ، بل ويلائم فطرة الله تعالى فيها ، وذلك من وجهين :

● **أما الوجه الأول** : فلأن المرأة وإنْ كانت تمثل نصف المجتمع ، إلاّ أنها تلد فى ذات الوقت نصف الآخر ؛ ومِنْ ثم فهى تمثل بهذه الحيثية المجتمع كله ، فهى بحق صانعة الرجال ، وبانية نهضة الأمة ؛ وهذا ما أشار إليه شاعر النيل حافظ إبراهيم بقوله :

الأمُّ مَدْرَسَــةٌ إذا أعــدَدْتَها أعــددتَ شعباً طيبَ الأعْرَاقِ

ومكانة بهذه الأهمية، ودور بهذه الخطورة ؛ لجدير بشرعنا الحنيف أن يصون صاحبته ، وأن يحفظ لها كرامتها ، وهذا ما يتحقق لها من قَرَارِها فى بيتها ، وتوفرها على رعاية زوجها وأولادها ، فى مهمة هى من أشرف المهام ، وعمل هو من أعظم الأعمال .

وهذا ما تدعوها إليه تعاليم خالقها العالم بها أكثر منا ، بل وأكثر من نفسها ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الآيتان(٤) .

ولاشك أن القَرَار فى البيت والمتأدّى عنه الطُهْرُ وذَهَابُ الرِّجْس منصرف إلى سائر

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٢٢ - ٤٢٤ . (٢) الأحزاب : ٥٩ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ٥٨٤ - ٦٠٣ (على مدار عشرين صفحة كاملة) .

(٤) الأحزاب : ٣٣ - ٣٤ (آيتان) .

المسلمات أسوة بآل البيت رضوان الله عليهم أجمعين لأن عموم العلة دليل على عموم الحكم ، وهذا ما قرره علماء الأصول بقولهم : (إنّ العلة قد تعمِّمُ معلولها) وإليه يشير صاحب (مراقى السعود) بقوله :

وقـد تُخَصِّصُ وقد تُعَمِّم   لأصلها لكنْ لا تُحَرِّم[1]

● **أما الوجه الثانى** : فعندما تنكَّبتْ بعض المجتمعات هذا الصراط ، وحادت عن الفطرة التى فطر الله تعالى المرأة عليها ؛ كانت النتيجة أن ضجَّت المرأة ، وأصابها السقم والسأم ، حيث وجدت نفسها ترساً فى آلة لا تتوقف عن أن تُجرِّعَها كل يوم كئوس العذاب والشقاء ، ولا تزال تلك حالها حتى فقدتْ أنوثتها ، وانتكستْ فطرتها ، ولتتحول فى النهاية إلى ساخطة ناقمة على مجتمعها الذى يستغلها ويستنفذها لمصالحه دونما رحمة أو شفقة .

الأمر الذى تأدّى عنه بالضرورة رجوعها فى نهاية المطاف إلى المطالبة بحقوقها ، والعودة إلى مملكتها الخاصة فى بيتها ، وهى التى كانت تدعو بالأمس القريب إلى مساواتها بالرجل ومشاركتها له جنباً بجنب ، وحَذْواً بحَذْو ، فى شتى ميادين العمل ، وسائر دروب الحياة !!

وهذا ما يشهد به واقع المرأة الغربيَّة التى مَسَّهَا الضُرُّ ، وأدركها الشقاء ، بل وأشرفت على الهلاك والفناء ؛ من جَرَّاء مساواتها بالرجل ومشاركتها أعماله ، غير أنها أفاقت من سُبَاتِها ، وعادت إلى فطرتها ؛ فهبَّت للمطالبة باحترام أنوثتها ، والعودة إلى بيتها ، ولعلها يوماً ما تحقق هدفها ، وتدرك مرادها .

وسبحان الحكيم الخبير الذى جعل فطرته هى الحق ، وأنّ ما دونها من الظن هو الباطل ؛ ومِنْ ثم فلا يحق فى النهاية إلاّ الحق ، ولا يَبِيدُ إلاّ الباطل ، وتلكم هى الحقيقة التى ينطق بها قول الله تعالى : **﴿إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾** الآية[2] .

---

(٢) نشر البنود على مراقى السعود : عبد الله العلوىّ الشنقيطىّ ٢/١٥٤ (ضمن مبحث مسالك العِلّة) .

(٢) النجم : ٢٨ .

المطلب السادس

وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم﴾ الآية[1] نراه يستنبط من هذه الآية الكريمة وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك خلافاً لما قد يُتَوَهَّمُ من ظاهرها من عدم وجوبهما ، وإزاء هذا يقول ما نصّه :

اعلم أن الجاهل قد يَتَوَهَّم من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يَقْبَلْ منه المأمور ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لأن مَنْ ترك الأمر بالمعروف لم يَهْتَدِ ، وهذا ما قال به كل من ابن عمر وابن مسعود وحذيفة وسعيد بن المُسَيَّب وأبى عُبَيْد القاسم بن سلاّم وغيرهم ، كما أنّ من العلماء مَنْ قال فى قوله الله تعالى : ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أى إذا أَمَرْتُمْ فلم يُسْمَعْ منكم ، ومنهم مَنْ قال : إنّ الأمر بالمعروف يدخل فى المراد بالاهتداء فى الآية ، وهو ظاهر جداً ولا ينبغى العدول عنه لمنصف .

ومما يدل على أن تارك الأمر بالمعروف غير مهتد أنّ الله تعالى قد أقسم أنه فى خُسْر وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ الآيات[2] فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبعد أداء الواجب لا يضر الآمرَ ضلالُ مَنْ ضلّ .

وقد دلت الآيات كقول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية[3] كما دلت الأحاديث على أنّ الناس إنّ لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فإنّ الله تعالى يعمهم بعذابٍ من عنده ، ومن تلك الأحاديث ما خرّجه الشيخان فى صحيحيهما عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش ﵂ قالت : «إنّ النبى ﷺ دخل عليها فَزِعاً مرعوباً يقول : لا إله لاّ الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحَلَّقَ بأصبعيه الإبهام والتى تليها ؛ فقلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟! قال : نعم ، إذا كثر الخبث» الحديث[4] .

وعن النعمان بن بشير ﵄ أنَّ النبىَّ ﷺ قال : «مَثَلُ القائم فى حدود الله والواقع فيها كَمَثَلِ قوم استهموا على سفينة ؛ فصار بعضهما أعلاها وبعضهم أسفلها ؛ وكان الذين

(١) المائدة : ١٠٥ .
(٢) العصر : ١ - ٣ (ثلاث آيات) .
(٣) الأنفال : ٢٥ .
(٤) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

فى أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ مَنْ فوقنا ؟ فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً » الحديث[1] .

وعن أبى بكر الصديق ﷺ قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية[2] وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنْ رأى الناسُ الظالمَ فلم يأخذوا على يده ؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » الحديث[3] .

وعن ابن مسعود ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : «إنّ أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يَلْقَى الرجل فيقول : يا هذا اتقِ الله ودَعْ ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ؛ فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الآيات[4] ثم قال : كلا والله لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر ، ولَتَأخُذُنَّ على يد الظالم ، ولَتَأْطُرُنَّهُ على الحق أَطْراً[5] ولَتَقْصُرُنَّهُ على الحق قَصْراً [6] أو لَيَضْرِبَنَّ الله قلوبَ بعضِكم ببعضٍ ، ثم لَيَلْعَنَنَّكم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الشركة (باب) هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه - (طبع بيروت) .

(٢) المائدة : ١٠٥ .

(٣) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) الفتن (باب) ما جاء فى نزول العذاب ما لم يغير المنكر - (طبع بيروت) - وقد صَحَّحَ الترمذى هذا الحديث - كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الملاحم (باب) الأمر والنهى - (طبع بيروت) .

(٤) المائدة : ٧٨ - ٨١ (أربع آيات) .

(٥) أَطَرَ الشيءَ يَأْطِرُهُ ويَأْطُرُهُ أَطْراً فانْأَطَرَ انْطِطَاراً وأَطَّرَهُ فَتَأَطَّرَ : أى ثناه وعطفه فانثنى وانعطف ، بأن قبض على أحد طرفيه فَعَوَّجَه كالعود ونحوه - انظر مادة (أطر) فى لسان العرب : ١/ ٩١ .

● ومعنى (لَتَأْطُرُنَّهُ على الحق أَطْراً) أى لَتَحْمِلُنَّهُ على اتباع الحق والالتزام به ، رغماً عنه ، وخلافاً له .

(٦) قَصَرَهُ على الأمر قَصْراً : أى رَدَّهُ إليه ، وحَمَلَهُ عليه - انظر مادة (قَصَر) فى لسان العرب : ٥/ ٣٦٤٤ .

كما لَعَنَهُمْ » الحديث[١] .

وفى رواية أخرى قال رسول الله ﷺ : «لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ؛ نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ؛ فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ،ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال : لا والذى نفسى بيده حتى يَأطُرُوهم على الحق أطْراً » الحديث[٢] والأحاديث فى الباب كثيرة جداً ، وفيها الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كقول الله تعالى : ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

ويؤيد ذلك كثرة الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كقول الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية[٣] وقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية[٤] وقوله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الآيتان[٥] وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الآية[٦] وقوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الآية[٧] وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الآية[٨] وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية[٩] والتحقيق أنّ تلك الفتنة التى تعم الظالم وغيره هى أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه عمَّهم الله بالعذاب ، صالحهم وطالحهم ، وبهذا المعنى فسرها جماعة من أهل العلم ، فضلاً عن الأحاديث الصحيحة الشاهدة لذلك والتى قدمنا طرفاً منها[١٠] .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) تفسير القرآن (باب) ومن سورة المائدة – (طبع بيروت) – كما أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الملاحم (باب) الأمر والنهى – (طبع بيروت) .

(٢) أخرجه الترمذى فى سُنَنه (كتاب) تفسير القرآن (باب) ومن سورة المائدة – (طبع بيروت) – وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٤) آل عمران : ١١٠ .

(٥) المائدة : ٧٨ – ٧٩ (آيتان) .

(٦) الكهف : ٢٩ .

(٧) الحِجْر : ٩٤ .

(٨) الأعراف : ١٦٥ .

(٩) الأنفال : ٢٥ .

(١٠) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/١٦٩ – ١٧١ .

• رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه هذا مِن وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو ذات ما يلبى حاجة الأمة ، ويقوِّم اعوجاجها ، من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، وهو ما يؤكد عظمة هذا الدين وخلوده ، بل وبقاء الخير فى أتباعه من خلال قيامهم بدورهم ، ونهوضهم بأماناتهم ، من لدن رسول الله ﷺ وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها .

وفضلاً عن جملة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى ساقها الشنقيطى فى مَعْرِض احتجاجه لهذا المعنى ، والتى تضافرت جميعها لتأكيده والدلالة عليه ؛ فإن مما يُستأنس به فى هذا المقام تأكيد رسول الله ﷺ على بقاء الخير فى أمته إلى يوم الدين على وجه العموم حيث قال : «الخير فى أمتى إلى يوم الدين» الحديث[1] ثم تأكيده ﷺ ذلك أيضاً على وجه الخصوص حيث قال «لا تزال طائفة من أمتى قائمةً بأمر الله ، لا يضرّهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم ؛ حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس» الحديث[2] .

وفى هذا ما فيه من البرهان على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبقائهما بقاء الأمة ذاتها بما يُلْزِم علماءهم ودعاة الخير فيها ببذل أقصى جهدهم ، والعمل وُسْعَ طاقتهم ؛ للقيام بأمر الله فى الأمة ، وإلى أن يرث سبحانه الأرض ومَنْ عليها .

---

(١) أورد العجلونى هذا الحديث بلفظ : «الخير فِىَّ وفى أمتى إلى يوم الدين» قائلاً : قال شيخنا فى (المقاصد) : (لا أعرفه ، ولكن معناه صحيح) ويعنى به حديث : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة» .

• انظر (كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : للمفسِّر المحدِّث الشيخ إسماعيل بن محمد العَجْلُونى الجراحىّ ت (١١٦٢هـ = ١٧٤٩م) - (١/٣٩٦ - ٣٩٧) - حديث رقم (١٢٦٧) - (عن نسخة كتبت برسم فخر الأشراف السيد سعيد بن الحافظ الشيخ أحمد الحلبى العطار ، مع المقابلة بنسخة خزانة آل العطار بدمشق ، ومعارضة الملتبس منهما بنسخة دار الكتب المصرية) - الطبعة ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .

كما ضَعَّفَ الشيخ الألبانى هذا الحديث فى (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة) : ١/١٠٤ - حديث رقم (٣٠) - الطبعة ١ - (من الطبعة الجديدة) - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م . .

(٢) سبق تخريج الحديث ص من هذا البحث .

المطلب السابع

الجهاد فَرْضُ كفاية

ففى مَعْرِض تفسير الشنقيطى لقول الله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآية[1] نراه يستنبط مـن هـذه الآية الـكريمة أنّ الجهاد فَرْضُ كـفاية لا فَرْضُ عَيْنٍ ، وإزاء هذا يقول ما نصّه :

ذكر الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه فَضَّلَ المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجـة وأجراً عظيماً ، ولم يبـيّن سبحانه هنا تفضـيل بعض المجاهدين على بعض ، ولكنه بَيَّنَ ذلك جلّ وعلا فى موضع آخر وهو قوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الآية[2] .

وقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ يُفْهَم من مفهوم مخالفته أنّ مَنْ خلّفه العذر إذا كانت نيته صالحةً يُحَصِّلُ ثواب المجاهد كما صرّح رسول الله ﷺ بهذا المفهـوم فى حديث أنس رضي الله عنه الثابت فـى الصحيح أن رسـول الله ﷺ قال : «إنّ بالمدينة أقواماً ما سِرْتم من مَسِير ، ولا قطعتم من وَادٍ ؛ إلاّ وهم معكم فيه ، قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال: نعم حبسهم العذر» الحديث[3] .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

يا ظاعنينَ إلـى البيتِ العتيقِ لَقَدْ	سِرتم جُسُوماً وسِرْنا نحن أرواحا
إنّا أقَمْنَا على عُذْرٍ وعــن قَدَرٍ	ومَنْ أقامَ على عذرٍ فقـد رَاحَا

ومن ثم ؛ فـإنه يؤخـذ من قـول الله تعالـى فى هذه الآية الكريمة : ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أنّ الجهاد فَـرْضُ كفاية لا فَرْضُ عَـيْنٍ ؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركـين فَرْضاً لما

---

(1) النساء : ٩٥ . (2) الحديد : ١٠ .

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه (كتاب) الجهاد والسِّيَر (باب) مَنْ حبسه العذر عن الغزو - (طبع بيروت) - كما أخرجه مسلم فى صحيحه (كتاب) الإمارة (باب) مَنْ حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر - (طبع بيروت) .

ناسب ذلك وعد الله تعالى لهم بالحسنى التى هى الجنة والثواب الجزيل[1] .

● رأى البحث :

والحق أنّ ما ذهب إليه الشنقيطى فى استنباطه هذا من أن الجهاد فَرْضُ كفاية لا فَرْضُ عَيْنٍ هو ذات ما يوافق فطرة الله التى فطر الناس عليها ؛ إذا لو كان الجهادُ فرضَ عين لتأدّى عنه بالضرورة أنْ يقوم به بعضُ مَنْ لا طاقة لهم به كالمُسنين والمرضى فضلاً عن النساء ومَنْ فى حكمهن من المعذورين والضعفاء .

وفى هذا ما فيه من المشقة والحرج ما يُوقِعُ الأُمَّة فى دائرة الضُّرِّ والعُسْر ، وينأى بها عن دائرة النفع واليُسْر ، وهو ما يخالف بدوره أصول شرعنا الحنيف التى تقرر أنَّ دَفْعَ المَضَرَّة مقدَّم على جلب المنفعة ، وأنّ رفع الحرج والعُسْر هو نهجها الثابت ، وطريقها الراسخ ، لإدراك غايتها المرجوة ، وتحقيق هدفها المنشود ، والمتمثل فى التخفيف على هذه الأمَّة ، وشمولها بنعمة التيسير .

وعلى وجه العموم فقد نطق القرآن العظيم فى غير ما آية برفع هذا الحرج ودفع هذا العسر فى أمْر الدين ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الآية[2] وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الآيتان[3] .

وهذا ما نطق به أيضاً فى أمر الجهاد على وجه الخصوص ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الآية[4] وقوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية[5] .

وتأتى حكمة هذا التيسير فى أمر الدين بوجه عام ، وكذا علة هذا التخفيف فى أمر الجهاد بوجه خاص ؛ بناءً على ما فُطِرَ عليه الإنسان من الضعف ، وما جُبِلَ عليه من افتقاره للعون ، وهذا ما يشير إليه الحق سبحانه فى قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ الآية[6] ومن هنا فإنّ كون الجهاد فرض كفاية

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٣٩٨/١ - ٣٩٩ .
(2) الحج : ٧٨ .
(3) الشرح : ٥ - ٦ (آيتان) .
(4) الأنفال : ٦٦ .
(5) الأنفال : ١٧ .
(6) النساء : ٢٨ .

لهو مما يلائم الأمة ويناسب طاقتها ؛ بحيث إذا قام به بعض أبنائها سقط بذلك عن بقيتهم .

وسقوط الجهاد عن هذه البقية مشروط فى رأينا بشرطين ، وكلاهما دلّ عليه القرآن العظيم :

● أما الشرط الأول : فلابد أن يكون من أصحاب الأعذار التى يقرها الشرع الحنيف ، والتى حدّدها ونصّ عليها فى غير ما آية ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآيتان[1] .

فاستُثْنَي كلٌّ من الأعمى والأعرج من الجهاد ومعناهما ظاهر ، أما المريض فالمقصود به كلٌّ من المجنون الذى سقط عنه عموم التكليف بذهاب عقله (لأن العقل مناط التكليف) كما هو معلوم ، وكذا المريض الذى يعانى مرضاً عضوياً أو نفسياً ، مزمناً كان أو عارضاً ؛ بحيث يقعده عن أمر الجهاد .

كما استثنى الحق سبحانه من أمر الجهاد كلاً من الضعفاء من الرجال ممَّنْ تقدّمت بهم السِّن ، وتَأَخَّرَ بهم العُمُر ، حتى وَهَنَتْ منهم عظامُهم ، واشتعلتْ شيباً رؤوسُهم ، وذلك فضلاً عن النساء ومَنْ فى حكمهم من الولدان ؛ فأَنَّى لهؤلاء أن يجاهدوا وتلك حالهم ؟!

لهذا كان استثناء القرآن العظيم لهم فى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ الآيتان[2] .

● وأما الشرط الثانى : فهو صدق النيَّة ، وسلامة الطويَّة ، فى القعود عن الجهاد ، والتخلف عن ركب المجاهدين ؛ وذلك حتى يُقْبَلَ عذرهم ، ويسوغ استئذانهم ، وقد عَرَضَ القرآن العظيم لكلا الأنموذجين من الكاذبين والصادقين بما أبان معه عن فساد وضلال الفريق الأول ، ثم صلاح وهُدَى الفريق الثانى .

وعن حال الفريق الأول يقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا

---

(١) الفتح : ١٦ - ١٧ (آيتان) . (٢) النساء : ٩٧ - ٩٨ (آيتان) .

مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ الآيتان[1] ويقول تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآيتان[2] ويقول تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية[3] .

أما عن حال الفريق الثانى : فيقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآيات[4] .

لهذا كان الجهاد فَرْضَ كفاية لا فَرْضَ عَيْنٍ ليناسب حال هؤلاء المعذورين الصادقين ، ويُدين أولئك المُدَّعين الكاذبين ، وليشرك الأوَّلين فى ثواب الجهاد وجزائه ، فى حين يُوقع الآخرين فى إثم تركه وعقابه .

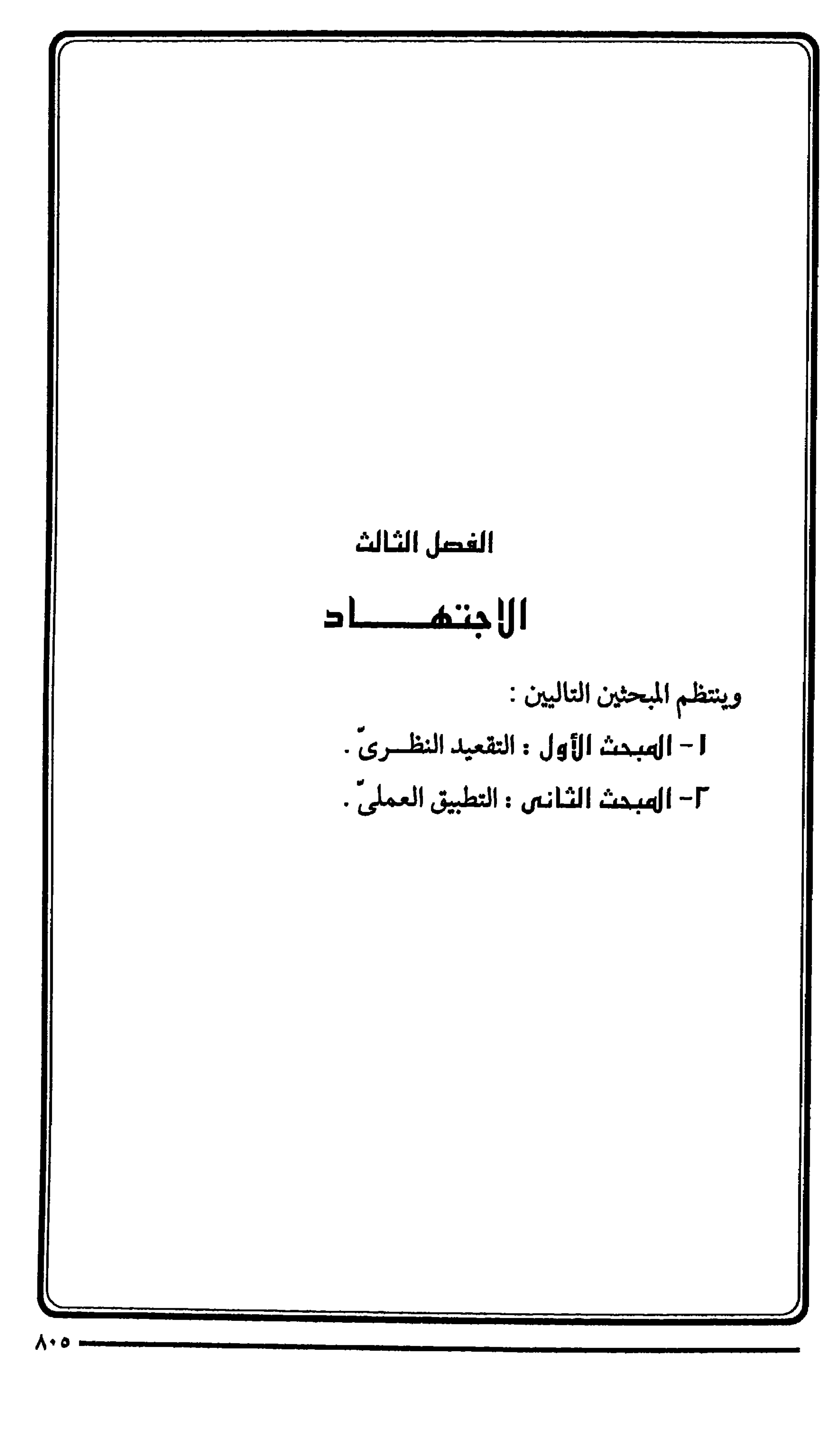
* * *

وبعد : فقد كانت هذه بعض استنباطات الشنقيطىّ التى سقناها تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، والتى اتضح من خلالها مدى تنوعها وشمولها ، فضلاً عن احتكام الشنقيطى إلى كل من اللغة والأصول كضابطين يَصْدُر عنهما ، ويعوّل عليهما ، إزاء ما يذهب إليه من استنباطات ، أو يَعْرِض له من استنتاجات .

وفى هذا ما فيه من المنهجيّة والموضوعيّة ما يؤكد حِرْصَ الشنقيطى على حشد أدلته ، ودعم حُجَّته ، فى كل ما يَعْرِض له ، أو يَصِلُ إليه ؛ وبما يتأدّى عنه فى النهاية اتفاقه مع ما تقرره القواعد المتبعة ، وتشهد به الأصول المعتبرة .

---

(١) التوبة : ٨٦ - ٧٨ (آيتان) .
(٢) التوبة : ٩٣ - ٩٤ (آيتان) .
(٣) التوبة : ١١٨ .
(٤) التوبة : ١١٩ - ١٢١ (ثلاث آيات) .



الفصل الثالث

الاجتهـــــاد

وينتظم المبحثين التاليين :

١- المبحث الأول : التقعيد النظـرىّ .

٢- المبحث الثانى : التطبيق العملىّ .

المبحث الأول

التقعيد النظري

وينتظم المطالب السبعة التالية :

١ - المطلب الأول : ماهيَّة الاجتهاد .

٢- المطلب الثاني : حُجِّيَّة الاجتهاد .

٣- المطلب الثالث : ضرورة الاجتهاد .

٤ - المطلب الرابع : شروط الاجتهاد .

٥ - المطلب الخامس : ضوابط الاجتهاد .

٦ - المطلب السادس : مجال الاجتهاد .

٧- المطلب السابع : معجم الاجتهاد .

ونعنى به جملة الخصائص والسِّمات التى يتخذ منها الشنقيطى قواعد نظرية ، ومبادىء أساسية ، يعتمد عليها ، ويصدر عنها ، إزاء ما يذهب إليه من اجتهادات ذاتية ، وما ينتجه من آراء خاصة ؛ مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك من خلال المطالب السبعة التالية :

المطلب الأول

ماهيَّة الاجتهاد

يمثل الاجتهاد المحور الثانى من محورىْ التأويل الذى يُعَدُّ آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ ، للتفسير بالرأى ، وذلك إضافة إلى المحور الأول المتمثل فى الاستنباط .

وبهذه الحيثية يتوجه الاجتهاد إلى النصّ الظاهر الجلىّ ، أو المشكل الخفىّ ، وسواء كان من كتاب الله تعالى بصفة خاصّة ، أو من سُنة رسوله ﷺ وآثار سلفه الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بصفة عامّة من خلال إقدام المفسِّر على استخدام عقله وإعمال رأيه ؛ وذلك بقصد أن يقيس عليه آراء غير مطروقة ، ويتمخض عن نتائج غير مألوفة .

ومن ثم ؛ فإنّ الاجتهاد تالٍ للإستنباط فى الرتبة ، ومتأخر عنه فى الترتيب ؛ وذلك من حيث كونه يقوم بالدور الثانى ، ويمثل الخطوة التالية ، من عمل التفسير بالرأى ، ونطاق تأثيره ؛ والاجتهاد بهذه الكيفية يبدأ من النصّ الظاهر أو الخفىّ ، ثم يتجاوز فلكه ، ويتعدى إطاره ، ولا ينتهى به إلا فيما هو أبعد من حدوده ، وأوسع من مقتضاه ، وذلك بخلاف الاستنباط الذى يبدأ من النص المشكل الخفىّ وينتهى إليه .

والشنقيطىّ يسلك إزاء اجتهاداته المختلفة ذات السبيل الذى يبدأ من النصّ الظاهر الجلىّ ، أو المشكل الخفىّ ، ولا ينتهى به إلا فيما وراء هذا النص أو ذاك ، بعد أنْ يَحْمله إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إيحاء ، مجتهداً فى قياس غيره عليه ، ومنتجاً رأيه الخاص به ، وليُعَبِّرَ بذلك فى النهاية عن الشطر الثانى من تفسيره بالرأى والمتمثل فى هذا (الاجتهاد) .

المطلب الثانى

حُجّية الاجتهاد

وعلى الرغم من التأويل يقوم على محورىْ الاستنباط والاجتهاد ؛ إلاّ أننا رأينا الشنقيطى يذهب فيما ذكرنا إلى إقامة الحجة على مشروعية الاستنباط ضمن إقامته الحجة على مشروعية التأويل بصفة عامة .

وذلك على خلاف ما ذهب إليه من إفراد الاجتهاد بإقامة الحجة على مشروعيته بصفة خاصة ، وهو ما سبق أن فصّلنا فيه القول بأدلة الشنقيطى عليه من القرآن والسُّنّة والآثار بما موجزه ما يلى :

• أدلة الاجتهاد :

١ - من القرآن :

حيث استدل الشنقيطى على مشروعية الاجتهاد بثلاث آيات من كتاب الله تعالى نكتفى هنا بمجرد الإشارة إليها على النحو التالى :

الآية الأولى :

وهى قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ الآية[1] .

الآية الثانية :

وهى قول الله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآيتان[2] .

الآية الثالثة :

وهى قول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية[3] .

• الإشارة إلى آية رابعة :

حيث أشار الشنقيطى إلى عزمه على تناول آية فى (سورة الحشر) تُوَضِّح موقفه من الاجتهاد ورأيه فيه ، دونما أن يذكر هذه الآية أو ينص عليها ، وقد اخترمته المنية قبل أن يفى بذلك .

ومن جانبنا فقد رجَّحنا أن تكون الآية التى قصدها هى قول الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية[4] أو قول الله تعالى : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

---

(١) الإسراء : ٣٦ . (٢) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ (آيتان) .

(٣) سورة محمد ﷺ : ٢٤ - وانظر تفصيل استدلال الشنقيطى بهذه الآيات الثلاث على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

(٤) الحشر : ٢١ .

الأَبْصَارِ﴾ الآية[1] .

٢- من السُّنة :

حيث استدل الشنقيطى على مشروعية الاجتهاد بحديثين من السُّنة المطهرة نكتفى هنا أيضاً بمجرد الإشارة إليهما على النحو التالى :

الحديث الأول :

وهو قول رسول الله ﷺ : «إذا حكم أحدكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» الحديث[2] .

الحديث الثانى :

وهو قول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمين قائلاً له : «فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسُنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ؛ قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال : الحمد لله الذى وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله ﷺ لما يُرْضِى رسولَ الله ﷺ » الحديث[3] .

٣- من الآثار :

حيث استدل الشنقيطى على مشروعية الاجتهاد بجملة غير قليلة من الآثار الصحيحة الثابتة عن السلف الصلح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين والتى نكتفى هنا كذلك بمجرد الإشارة إليها على النحو التالى :

أ- من آثار الصحابة :

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بجملة من اجتهادات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، والتى لم يلقوا إزاءها أدنى معارضة ، أو حتى أقل نكير ، ومن هذه الاجتهادات سبق أن سقنا استشهاده بثلاثة منها تمثلت فى كل من :

---

(١) الحشر : ٢ - وانظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر تخريج هذا الحديث وتفصيل استدلال الشنقيطى به على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

(٣) انظر تخريج هذا الحديث وتفصيل استدلال الشنقيطى به على مشروعية الاجتهاد ص من هذا البحث .

الاجتهاد الأول (صلاة العصر) :

والتى اجتـهد الصحابة رضـوان الله عليهم أجمـعين بشأنها فى حيـاة رسول الله ﷺ فصـلاّها بعضهم فى الـطريق خشيـة تأخيرها ، فى حين صـلاّها بعضـهم الآخر فى (بنى قريظة) وقد أقر رسول الله ﷺ كلا الفريقين فيما اجتهد فيه[1] .

الاجتهاد الثانى (غلام اليمن) :

والذى اجتهد علىٌّ رضي الله عنه بشأن الثلاثة الذين اختصـموا فيه ، فأقرع بينهم ثم جعل الولد للقارع ، غير أنه ألزمه بثلثىْ لدِّيَة للرجلـين الآخرين ، وقد أقر رسولُ الله ﷺ عَلِيّاً رضي الله عنه فى اجتهاده هذا الذى ذهب إليه[2] .

الاجتهاد الثالث (مسألة الكلالة) :

وهى التى اجتهد بشأنها الصدّيق أبو بكر رضي الله عنه فى خلافته على المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث رأى أنّ الكَلاَلَة هى تركة مَنْ مـات وليس له ولد ولا والد ، وقد تابعه فى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده[3] .

ب- من آثار التابعين :

وقد احتج الشنقيطى فى ذلك بما أورده الشَعْبِيُّ من أسس ومبادىء الاجتهاد التى ضمنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالته إلى شريح رضي الله عنه ليقضى بموجبها ، وليعمل بمقتضاها[4] .

● خلاصة موقف الشنقيطىّ :

وحالما يفـرغ الشنقيطى من سـرد أدلته من الكتاب والسُّنّة والآثار ؛ فـإنه يخلص عندئذ إلى القول بمشروعيـة الاجتهاد لِمَنْ اتفقتْ له وسائله وأدواته المعروفـة ، فضلاً عن ضوابطه وشروطه المعتبرة .

وهذا ما ذهب ليؤكده من خلال رده على دَعْوَى متأخرى الأصوليين الذين قالوا بانقراض الاجتهاد ، وانسداد بابه وعدم إمكان وجود مجتهد فى هذه الأمة قبل ظهور المهدى المنتظر ، حيث بيَّن بطلان دعواهم تلك ، ومناقضتهـا لحديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه : «لا تزال طائفـة من أمـتى ظاهرين على الحق ؛ لا يضـرهم مَنْ خذلهـم حتى يأتى أمـر الله » الحديث[5] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .
(٢) انظر تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .
(٣) انظر تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .
(٤) انظر تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .
(٥) انظر تخريج هذا الحديث ص   من هذا البحث .

ومِنْ ثم ؛ فإن كل ما ناقض الحق فهو الباطل دونما شك أو نزاع ، وهذا ما ينطق به قول الله تعالى : ﴿فماذا بعد الحق إلا لضلال المبين﴾ الآية[1] .

● رأى البحث :

وعلى الرغم من أن الشنقيطىّ قد ذهب إلى القول بمشروعية الاجتهاد وجوازه ؛ إلاّ أننا نرى وجوب الاجتهاد ولزومه ، لأن هذا هو ما تقضيه الضرورة ، وتدعو إليه الحاجة .

وهذا ما اعتضدنا للاحتجاج له ، وإقامة الدليل عليه ، بما ذهب إليه المحققون من العلماء المعتبرين ، والذين اكتفينا بذكر اثنين منهم تنبيهاً بهما على غيرهما ، ألا وهما :

١- شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة .

٢- الشيخ محيى الدين الكافيجى .

حيث ذهب كل منهما إلى القول بوجوب الاجتهاد فضلاً عن القول بجوازه ، وهو ذات ما يتفق مع ما ذهبنا إليه ويؤيده، وذلك من خلال أدلتهما الشرعية، وشواهدهما المعتبرة[2] .

المطلب الثالث

ضـــرورة الاجتهاد

تنبع الضرورة الداعية إلى الاجتهاد عند الشنقيطى من ذات المَعين الذى تنبع منه الضرورة الداعية إلى الاستنباط ؛ وذلك على اعتبار أنهما يمثلان معاً محورىْ التأويل الذى يُعَدُّ آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ للتفسير بالرأى عنده .

ولما كان الأصل عند الشنقيطى هو التوجُّه إلى الأخذ بظاهر القرآن وعدم العدول عنه إلاّ لضرورة تلجئه إلى ذلك ، وهو ذات ما يصرّح به قائلاً : (إنّ ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه)[3] لذا ؛ فإن الضرورة الداعية إلى الاجتهاد عنده إنما تتمثل فى حالة عدم غَنَائه بظاهر النصّ فى وضوح المعنى ، وبيان المراد ؛ ومِنْ ثم فإنه يتحتم عليه أن يلجأ مضطراً إلى العدول عن الظهور إلى التأويل بمحْوَرَيْه المتلازمين حيث الاستنباط أولاً ، ثم الاجتهاد ثانياً .

---

(١) يونس : ٣٢ - وانظر تفصيل موقف الشنقيطى إزاء مشروعية الاجتهاد وقوله به ص من هذا البحث .

(٢) انظر تفصيل رأى البحث بشأن وجوب الاجتهاد فضلاً عن جوازه ص من هذا البحث .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٤/ ٥٧٥ .

وهكذا يجب فى رأينا على الشنقيطى وغيره من المفسِّرين أن يتوجَّه أولاً إلى المعنى الظاهر المتبادر من النصّ ؛ من حيث وجوب أخذه به ، وضرورة صدوره عنه ، خاصة وأنه يُبِينُ عن نفسه بنفسه ، ويدل بذاته على معناه ؛ ومِنْ ثم فلا حاجة لأن يلجأ الشنقيطى إلى الاجتهاد إلاّ عندما لا يفى ظاهر النصّ بوضوح المعنى ، وبيان المراد ، وتلكم هى الضرورة التى تُعَدُّ فى رأينا دافعاً للاجتهاد بصفة خاصّة ، وللتأويل بصفة عامّة .

وهذا ما يؤكده الشنقيطى من خلال منعه التقليد الأعمى ، وقوله بكفر متبعه ؛ لِمَا يتأدّى عن ذلك من منع الاجتهاد ، وانسداد بابه ، وهو ما يدل القرآن على خلافه ، وتبرهن السُّنة على سواه ، وفى ذلك يقول ما نصّه : لاشك أنّ التقليد الأعمى الذى ذمّ الله به الكفار تدل الآيات على منعه ، وكفر متبعه ، ومنها قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ الآية[1] .

وأما ذهاب بعض الظاهرية كابن حزم ومَنْ تبعه إلى منع الاجتهاد فى الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، ومنع التقليد من أصله ؛ فهو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه، كما هى حال كثير من الظاهرية ؛ لأن مشروعية سؤال الجاهل للعالم ، وعمله بفتياه ؛ هو أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العامىّ يسأل بعض أصحاب رسول الله ﷺ فيفتيه ؛ فيعمل بفتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين .

وقد ذمّ الله جلّ وعلا المُعْرِضَ عن هذا القرآن العظيم فى آيات كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الآية[2] ومعلوم أن كل مَنْ لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ، أى تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبر لها ؛ فيستحق بذلك هذا الإنكار والتوبيخ المذكور فى الآيات ، إنْ كان الله تعالى قد أعطاه فَهْماً يَقْدِر به على التدبر .

وقد شكا رسول الله ﷺ إلى ربه سبحانه من هجر قومه هذا القرآن ، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ الآية[3] فإعراض كثير من الأنظار عن النظر فى كتاب الله تعالى ، وتفهمه والعمل به ، وكذا عن السُّنة الثابتة المبيِّنة له ؛ لَهُو من أعظم المناكر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدًى .

---

(١) البقرة : ١٧٠ . (٢) الكهف : ٥٧ . (٣) الفرقان : ٣٠ .

وهكذا تدل الآيات المذكورة على أن تدبر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لابد منه للمسلمين[1] .

● رأى البحث :

١- وجاهة الضرورة وملاءمتها :

وعلى الرغم من أن الشنقيطى قد ذهب إلى القول بمشروعـية الاجتهاد وجوازه ؛ إلاّ أن ما ذهب إليـه المحققـون من العلماء المعتـبرين كابـن تيميـة والكافيجى من القـول بضرورة الاجتهاد ووجـوبه ، إنما هو أمر له وجاهته التى تتلاءم مع التطورات المتلاحقـة ، والتغيرات المتتابعة ، والتى تفرزها حياة الأمة المتجددة ، ويمليها عليها واقعها المنظور .

لأن هذا الواقع إنما (يتسم بمعطياته الجديدة ، وتطوراته المتلاحقة ، يوماً بعد يوم ؛ الأمر الذى يستلزم معــه حركة دائبة متنامية ، فى إطار الفهم المتجدد للنص القرآنى وتفسيره ؛ بما يلائم حركة المجتمع ، ويراعى مصلحته العامة)[2] .

وفـى ضــوء هــذا الفهم ومن منطلقه ؛ انبعثت أول حـركة دينية إصلاحية تجديدية فى العصر الحديث ، حيث قامت على أساس فهم الواقع الإسلامى ، ومراعاة مصالحه العامة ؛ فهـا هو (الإمام محـمد عبـده) رائد هذه الحركة يَلفت النظر إلى دراسـة أصول الاجتـماع الإنسانى ، وضرورة الاستـفادة من ذلك لتجديد التشريع الإسـلامى ؛ ومِنْ ثم تجديد حركة التفسير ، ليواكب واقع الأمة ، وما يطرأ عليها من تغيير .

وهـذا هـو تلمـيذه (السيـد رشيد رضـا) الـذى يتابع ذات النهج ، ويسيـر علـى نفس الدرب ؛ حيث يجـعل من مراعـاة المصلحة العامـة للمجتـمع الإسلامى أسـاساً من أسس منهجه فى التفسير ، بل لا يلبث أن ينبّه على ذلك ويشير إليه من حين إلى آخر ؛ حتى جاء تفسيره ترجمة حقيقية لما يُعْرَفُ به (الاتجاه الاجتماعىّ) فى التفسير[3] .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٥٧٧ - ٤٢٨/٧ (بتصرف) .

(٢) دراسات فى القرآن : د. السيد أحمد خليل ص ١٤٢ - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

(٣) وإزاء التعـريف الموجز بهذه الحركة الإصلاحية التى انبعثت فى منتصف (القرن الثالثَ عشرَ الهجرىّ = التاسعَ عشرَ الميلادى) راجع كلاً من :

- الإمام محمد عبده ومنهجه فى تفسيـر القرآن الكريم : لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته ص ٦٠ - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
- دراسـات حول الـقرآن : د. إسـمـاعـيل أحمـد الطحـان ص ٢١٣ - تحت عنوان : (الاتجـاه الاجتماعىّ فى التفسير) - الطبعة ١ - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م . =

والحق أن هذا الفهم المستنير لواقع المجتمع الإسلامى ، والذى يهدف لنهضته وإصلاحه ، إنما يتسق فى الأصل مع القول بوجوب الاجتهاد والضرورة الداعية إليه ؛ وذلك لأن الاجتهاد خاصة ، والتفسير بالرأى عامة ، إنما يُنَاطُ به أنْ (يكشف ويبرز ما استكن فى النصوص من مفاهيم ودلالات ، ويفتح الباب لارتياد آفاقها ، وتَمَثُّل معطياتها ، وتجسيم مفاهيمها ، فى صورة أحكام تقنن لما يستحدث من مشكلات الحياة ، ولتضع بذلك أمام المسلم حلولاً واختيارات عدة ، تقبلها النصوص ، فتتسع لها ، ولا تتناقض معها)[1] .

وتلكم هى وجاهة القول بوجوب الاجتهاد ، وهذه هى ملاءمة ضرورته ، والتى تلبى فى النهاية حاجة الأمة الماسَّة إليه ؛ فتفى بمتطلبات حياتها المتطورة ، وتستوعب واقعها المتجدد ، فى شتى الأعصار ، ومختلف الأمصار .

المطلب الرابع

شروط الاجتهاد

يمثل الاجتهاد مع الاستنباط محورىْ التأويل الذى يُعَدُّ بدوره آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ للتفسير بالرأى عند الشنقيطىّ .

ومن ثم ؛ فإن الشروط التى تَرِدُ على الاجتهاد لَتَصْدُرُ بدورها من ذات المَعِين الذى تَصْدُرُ منه الشروط التى تَرِدُ على الاستنباط ، وليس ثمة فارق بين شروطِهما سوى فيما يتعلق بمحل كل منهما ونطاق تأثيره ؛ ففى حين يبدأ الاستنباط من النصّ وينتهى إليه دونما أن يتجاوز إطاره ، أو يتعدى حدوده ، فإننا نجد أن الاجتهاد يبدأ من النص كذلك إلاّ أنه ينتهى به فيما وراءه بعد أن يَحْمِلَه إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من مدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه من إيحاء .

وعلى الرغم من أن الشنقيطى قد عَرَضَ من قبل لشروط التأويل والتى تشمل بدورها شروط محوريْه المتمثلين فى كل من الاستنباط والاجتهاد بصفة عامة[2] إلاّ أننا نراه يَعْرِض هنا لشروط الاجتهاد بصفة خاصة ؛ وذلك فى سياق رده على متأخرىْ الأصوليين بشأن ما وضعوه من شروط لا مستند لهم فى أكثرها ، فضلاً عن رده ما ذهبوا إليه بشأن انقراض

= • التفسير ورجاله : محمد الفاضل بن عاشور ص ١٥٨ - نشر مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

(١) اتجاه التفسير الفقهىّ : لأخى وزميلى الدكتور محمد المنسىّ ص ١٩ - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م .

(٢) انظر تفصيل ذلك ص   من هذا البحث .

الاجتــهاد وانسداد بابه ، بل وعدم إمكان وجــود مجتــهد فى هذه الأمة قبل ظهــور المهدى المنتظر .

وإزاء هــذا ، يَعْرِض الـشنقيطى لشــروط الاجتــهاد من خــلال شروط المُجْتــهَد ، ثم شروط المُجتَهَد فيه ، وذلك على النحو التالى :

١ - شروط المُجتهِد :

يسوق الشنقــيطى جمله هذه الشروط التى بلغت اثنى عــشرَ شرطاً على لسان مـتأخرى الأصوليين الذين يوقفون العمل بكتاب الله تـعالى وسُنة رسوله ﷺ على المجتهدين الذين تم لهم تحصيلها دون غيرهم .

وحالما يفرغ من سرد شــروطهم تلك فإنه يَعْمَد عندئذ إلى القول بعدم استناد كـثير منها إلى دليل ، وافـتقار مـعظمهــا إلى حجة ، ومــبيناً فى ذات الوقت أنّ كل مَـنْ له قدرة من المسلمين على التعلم والتفـهم ، وإدراك معانى الكتاب والسُّنة ؛ فإنه يجب عليـه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما(١) .

٢- شروط المُجتهَد فيه :

ويوجز الشنقيطى تلك الشروط من خلال عبارته المحدَّدَة التى يوجب بها الاتباع ، ويمنع بموجبها الاجتهاد ، فى كل مــا نَصَّتْ عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، وهذا ما سبق أن أوضحناه من قبل مقروناً بنص كلامه فيه(٢) .

● رأى البحث :

ليـس ثمـة شـك فـى أنّ مـا ذهب إليـه الشنقـيطى إنما يتفق مع ما يقصــده الأصوليون بقولهم : (لا اجتهاد مع النص) .

والحق أن هذا القول بحاجة فى رأينا إلى توجيه من خلال ما سَنَعْرِض له بعد قليل أثناء حديثنا عـن (مجـال الاجتهاد) ومــدى الدور الذى يقوم بـه النـص وجـوداً وعَدَماً إزاء هذا المجال ، ونطاق عمل الاجتهاد فيه .

---

(١) انظر تفصـيل هذه الشروط الاثنى عشـرَ مع رَدّ الشنقـيطى على أصحـابها من متأخـرى الأصوليين ، وذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر فى ذلك ص من هذا البحث .

المطلب الخامس

ضوابط الاجتهاد

تتمثل ضوابط الاجتهـاد عند الشنقيطى فى ذات الضوابط التى تَحْكُمُ الاستنباط عنده ، وذلك علـى اعـتبار أنهـما يُكَوِّنَانِ مـعاً محـورىْ التـأويل ، والذى يمثل بدوره آلـة التنفـيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ ، للتفسير بالرأى عنده .

وتنحصر هذه الضوابط فى ضابطين اثنين لا يخرج الشنقيطى عن إطاريْهما، ولا يتجاوز حدودهما ، إزاء ما يلجأ إليه من اجتهاد بصفة خاصة ، أو تأويل بصفة عامة ، ألا وهما :

١ - الضابط الأول (اللغة) :

حيث يحتكم الشنقـيطى إلى اللغة كضابط أول قبل غـيرها ؛ وهذا على اعتبار أسبـقية الوضع ، وأوليّة الوجـود ، حيث إنها هادية إلى أصل المعنى ، وحَـاكِمَة لتوجُّهه ، وذلك منذ أن كان للإنسـان وجود ، ومنذ أن كانت له لـغة خطاب ، على نحو مـا أوضحناه من قبل[١] .

٢- الضابط الثانى (الأصول) :

ويأتى احتكام الشنقيطى إلى هذا الضابط الأصولىّ بعـد احتكامه إلى الضابط اللغوىّ ، بناء أيضاً على أسبقية وضع اللغة قبل الأصول ، وأولية وجودها قبله .

وقد فـصّلنا القـول إزاء إعمـال الشنقيطى هذا الضـابط الأصولىّ مـن خلال قاعـدتين أصوليتين تنبيهاً بهما على غيرهما مما فى ثنايا تفسيره المختلفة[٢] .

المطلب السادس

مجـال الاجتهاد

ينحصـر مجال الاجتهاد عند الشنقيطى فيما لا نص فيه ، أمَّا ما ورد فيه نص فلا يرى فيـه إلاَّ الاتبـاع ، وفيمـايلى نَعْرِض لموقفـه من كلا الأمرين مـن حيـث تعامله مـع النصّ وجـوداً وعَدَمَاً ، ثـم نتـبعـه ببيان مستـوييْ الاجتهاد إفراداً وتركـيباً ، وذلك علـى النحـو التالى :

---

(١) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

(٢) انظر تفصيل ذلك ص من هذا البحث .

أولاً : موقفه من النص وجوداً وعدماً :

ويتوزع ذلك بين موقف الشنقيطى إزاء الاجتهاد فيما يوجد فيه نص ، والاجتهاد فيما لا يوجد فيه نص ، وهذا ما يتضح من خلال عرضنا لكل من :

١ - ما فيه نصٌ :

يذهب الشنقيطى إلى القول بمنع الاجتهاد فى كل ما نَصَّتْ عليه آيات الكتاب وأحاديث السُّنة ، حيث لا يرى فى هذه النصوص سوى الاتباع ، وإزاء رأيه هذا يقول ما نصّه : والأمور المنصوصة فى نصوص صحيحة من الكتاب والسُّنة لا يجوز الاجتهاد فيها لأحد ، بل ليس فيها إلا الاتباع ، ومن ثم فلا اجتهاد فيما دلّ عليه نصٌ من كتاب أو سُنة سالم من المُعَارِض(١) .

● رأى البحث :

(لا اجتهاد إلا مع النص) :

وليس ثمة شك فى أن ما ذهب إليه الشنقيطى بشأن منع الاجتهاد فى المنصوص عليه ؛ إنما يتفق مع ما يقصده علماء الأصول بقولهم : (لا اجتهاد مع النصّ) والحق أن هذا القول بحاجة فى رأينا إلى توجيهه من خلال الوجوه الثلاثة التالية :

١- الاجتهاد الباطل :

حيث نرى أن توجيه قول الأصوليين : (لا اجتهاد مع النصّ) إنما يعنى أنه (لا اجتهاد باطلاً أو مُعَارِضاً أو مُخَالِفاً) لما تدل عليه نصوص أخرى من الكتاب والسُّنة .

ومِنْ ثم ؛ فإنه يسوغ لنا أن نُوَجِّهَ قول الأصوليين هذا ليصير : (لا اجتهاد إلاّ مع النص) أى لا اجتهاد فيما يراد فيه الاجتهاد إلا فى ضوء ما تدل عليه النصوص الأخرى ، وفى ظل ما تَهْدِى إليه .

٢- افتقاد النصّ :

ونعنى بذلك تحديد مجال الاجتهاد ، وتعيين نطاق عمله ؛ حيث لا يكون الاجتهاد إلاّ عند افتقاد وغياب النص مَحَلٌ هذا الاجتهاد وموضعه .

ومِنْ ثم ؛ فلا يَعْمَد المفسِّر إلى الاجتهاد إلا عندما يفتقد النصّ فى المسألة التى يريد أن

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٥٤٧ .

يجتـهد فـيهـا ، غـير أن ذلك لا يكـون إلاّ مع وجـود النصوص الأخـرى التى يسـتضىء بدلالاتها ، ويستهدى بمعانيها ، إزاء ما يجتهد فيه بشأن هذه المسألة أو تلك .

٣- مَحَلُّ الاجتهاد:

أما إعمال المفـسِّر عقلَه ، وإنعامه نظرَه ، فيمـا تحت يديْه من نصوص الكتاب والسُّنة ؛ فهذا ما يتنازعـه (الاستنباط) أولاً ، فإمّا أنْ يفى بالهدف المنشـود ، ويدرك الغاية المرجوة ؛ وإلاّ تنازعه (الاجتهاد) ثانياً ، حيث يفى بذلك ويدركه .

وذلك لما سبق أن فصّلْنا فيـه القول بشأن مستويىْ التأويل الـلذين يتمثلان فى كل من : (الاستنبـاط) الـذى يعمل داخـل النصّ الخفىّ المشكل ، فـلا يتـعدى إطاره ، ولا يتـجاوز حدوده ، ومِنْ ثم فـهو يبدأ مـن النص وينتهى إليه ، ثم يأتـى بعد ذلك (الاجتـهاد) الذى يعمل عند غـياب النصّ وافتقـاده فيما يراد الاجـتهاد فيـه ، إلاّ أنه يبدأ فى ذات الوقت من النص أيضاً غـير أنه لا ينتهى إلاّ فيـما وراء النص ، بعد أن يَحْمِلَه إلى أقـصى ما يمكن أن يصل إليه مـن مـدلول ، وأبعد ما يمكن أن يعطيه مـن إيـحاء ؛ فلا يُحَدُّ بِحَـدٍّ ، ولا يقيَّد بإطار ، اللهمّ إلاّ استضاءته بالنصوص الأخرى واستـرشاده بها ؛ وذلك ضماناً لسلامته من التعارض ، وبُعْدِهِ عن التناقض اللذين يتأدّى عنهما بطلانه وعدم قَبُوله .

وهو ذات القيد الذى يشير إليه الشنقيطى بقوله : واعلم أن كل اجتهاد يخالِف النصّ ؛ فهـو اجتهاد باطل ؛ لأن نصـوص الكتاب والسُّنة حاكـمة على كل المجتهـدين فليس لأحد منهم مخالفتها كائناً مَنْ كان[1] .

ب- ما ليس فيه نصّ:

وقبل أن يَعْمَد الشنقـيطى إلـى اجتهاده فيما لا نـص فـيه ؛ فـإنه يأخذ نفسه بالحذر ، ويلزمها الحيطة ، سالكاً إزاء ذلك السُّبُلَ الثلاثة التالية :

١- استنفاذ المظانّ:

فـلا يلجـأ إلـى الاجتـهـاد إلاّ بعـد أن يستنفـذ كل مـا يستطيـعه من طرق البـحث والاستقصاء ، ومظان الحصـر والاستـقراء ، ووُسْعَ طاقته ، وقَـدْرَ إمكانه ؛ عَلَّه يلتمس ما قـد يكون ورد بشأنه هنا أو هـناك ، وتدور هذه المظان حول رجـوع الشنقـيطى إلى كُلٍّ من المصادر الثمانية التالية :

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/٥٤٧ .

● **الكتاب :**

حيث يبدأ دائمـاً باستقراء آيات القرآن الكريم إزاء ما يتناوله قـائلاً ما نصّه : واعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على . . .[1] .

● **السُّـنة :**

وتلى القرآن من حـيث رجوعه إليها ، واعـتماده عليهـا ، وهذا ما يشير إليـه قائلاً ما نصّه : وإنما قلنـا إن هذا هو التحقـيق ؛ لأن الكتاب والسُّنة الصـحيحـة دالآن عليه ، والله تعالى يقول : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية[2] .

● **الآثــار :**

وتشمل الآثار الصحيـحة الثابتة عن السلف الصالح من الصـحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين كما يلى :

آثار الصحابة :

حيث يخـصّ مـنهم الخلفاء الراشدين الأربعـة الذين يأتون عنـده علـى رأس الصـحابة وفـى مـقدمـتـهم ، ثـم يليـهم المهاجـرون ، ومـن بعـدهم الأنصـار رضـوان الله عليـهم أجمعين[3] .

آثار التابعين :

ويَعْرِض لهم مُلْحقاً بهم تابعى التـابعين ومَنْ يلونهم من أهل القرون الثلاثة الأولى على وجه الخصوص فيقول : ولم يقل به أحـد من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير[4] وقد يشير إليهم بلفظ (السَّلَف) على وجه العموم فيقول : والسَّلف مُجْمِعُون على هذا ، وقد تواترتْ الآثار عنهم فى ذلك[5] .

● **الإجماع :**

وإليــه يشير بلفظ (إجـماع عامة أهل العلم) فيقول : وإجـماع عامـة أهل العلم ، إلاّ مَنْ شَذَّ عـن السَّواد الأعظم ؛ فـإنـه يكفى فى الدلالة على . . . .[6] وقد يشـير إليـه بلفظ

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٤١٧ .

(٢) النساء : ٥٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٥/ ٥٣٣ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/ ٥٣٣ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/ ٤٣٠ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٢/ ٤٦٢ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/ ٥٤٣ .

(كافة علماء المسلمين) فيقول : واعلم أنّ الحق الذى دلّ عليه فِعْل كافة علماء المسلمين هو . . . .[1] .

• الأئمة الأربعة :

حيث يذكرهم فى غير موضع من تفسيره قائلاً : وهذا ما عليه الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى[2] .

• فقهاء الأمصار :

وإليهم يشير بقوله : ولم يَقُلْ به أحد من فقهاء الأمصار المعروفين[3] .

• كبار المفسرين :

حيث يذكرهم فى ثنايا تفسيره المختلفة بقوله : وبه قال كبار المفسِّرين[4] .

• العُرْف السائد :

وهذا ما يشير إليه بقوله : والحاصل إن كان هناك عُرْفٌ خاصّ ؛ فإنه وَجَبَ اتباعُه فى ذلك[5] وقد يشير إليه ببعض التفصيل قائلاً : ومن الأدلة المقنعة المرائى المتواترة ، وما اتصل بها من عمل المسلمين فى سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار[6] .

وهكذا تندرج هذه (المظان الثمانية) تحت مصادر الشنقيطى من المأثور المتمثلة فى كل من (الكتاب - السُّنَّة - الآثار) ثم مصادره من الرأى المتمثلة فى كل من (الإجماع - الأئمة الأربعة - فقهاء الأمصار - كبار المفسِّرين - العُرْف السَّائد) .

٢- الحذر والحيطة :

وحالما يفرغ الشنقيطى من استقراء مصادره الثمانية المذكورة دون أن يلتمس فيها شيئاً إزاء ما لا نصّ فيه ؛ فإنه يَعْمَد عندئذ إلى إعمال عقله ، واجتهاد رأيه ؛ غير أنه يأخذ نفسه بالحذر ، ويلزمها الحيطة بشأن ما يجتهد فيه ، وهذا ما يشير إليه بقوله : وأما هذا الأمر فلا نصّ فيه ؛ والأحسن تركه احتياطاً [7] وقد يشير إلى ذلك بقوله : واعلم أنّ هذه المسألة ليس

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٤٥١ - ٧/ ٤٨٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٤٣٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٤٥١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٤٣٧ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٢٤١ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/ ٤٣٤ .

(٧) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/ ٤٦٧ .

فيها نصّ ، وسنذكر هنا بعض ما يظهر لنا أنه أقـرب للصواب مع الاختصار لعدم النصوص فى ذلك(١) .

٣- التوقف والامتناع :

وإذا كان الشنقيطى قد أخذ نفسه فيما سبق بالحذر ، وألزمها الحيطة ، إلاّ أنه قد يتوقف فى بعض الأحيان الأخرى عن إعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، فيما لا نص فيه ، وفى تعليله ذلك نراه يصرّح بأنه لا علم له بدليل يرجع إليه فى هذا الأمر أو ذاك ؛ ومن ثم فمثل ذلك لا يُعْرَفُ عنده بالرأى .

وإلى هذا يشير فى غيـر موضع من تفسيره قائلاً ما نصّـه : وأمّا هذا الأمر فلا أعلم له دليلاً يجب الرجوع إليـه ، والعلم عند الله تعالى(٢) وقد يشير إليـه بقوله : وأما هذا الأمر فلم يثبت فيه نقل صحيح ، ومثله لا يُعْرَفُ بالرأى(٣) وأخيراً ربما يشير إليه قائلاً : وأمّا هذا الأمر فلا نعلم أية من كتاب الله تبيّنه(٤) .

ثانياً: مستويا الاجتهاد إفراداًوتركيباً:

ولما كان النصّ القرآنى يتألف من كل من اللفظ المفرد والجملة المركبة شأنه فى ذلك شأن لغته التى نزل بها ، بل وسائر اللغات الفاعلة فى شتى أنحاء المعمورة من أرض الله تعالى ؛ لذا فقد كان من المنهجيّة أن يشمل الاجتهاد عند الشنقيطى فيما لا نصّ فيه كلاً من :

١- اللفظ المفرد:

وهو كل لفظ لم يَرِدْ بشـأنه نصّ يمكن أن يرجع إليه الشنقـيطى ؛ ومن ثم يتوجّـه إليه بأعمال عقله ، واجتهاد رأيه ، ليدرك الهدف المنشود منه ، ويبلغ الغاية المرجوة فيه .

وتنبيهاً ببـعض هذه الألفاظ المفردة على غيرها مما يتناولها الاجتـهاد عند الشنقيطى نذكر كلاً من : (الخَطْمىّ - القَرْطَبَان - القَرْنَان - الكَشْخَان)(٥) .

٢- الجملة المركبة :

وهى كل جملة لم يَرِدْ بشأنها نصٌ يمكن أن يرجع إليه الشنقيطى ؛ ومن ثم يتوجّه إليها

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/٢٩٦ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٥/٤٦٧ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٤/١٢٢ .
(٤) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/ ٧٥٠ .
(٥) وسوف نفصّل القـول فى ضبط ومعانى هذه الألفاظ المفردة مـن خلال اجتهاد الشنقيطى بشـأنها بعد قليل .

أيضاً بإعمال عـقله ، واجتـهاد رأيـه ، ليدرك الهدف المنشود منهـا ، ويبلـغ الغاية المرجوة فيها .

وتنبيهاً ببعـض هذه الجملة المركبة على غيرها مما يتناولها الاجتـهاد عند الشنقيطى نذكر كلاً من : قـول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الآية[1] وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الآيـة[2] وقـوله تعـالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية[3] وقوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ﴾ الآية[4] .

- **استدراك أصُولىّ :**

ومن خلال تأكيدنا فيما سبق علـى أن التأويل إنما يُعَدُّ آلة التنفيذ الفعلىّ ، وأداة التطبيق العملىّ للتفسير بالرأى ، ثم من خلال تأكـيدنا أيضاً على أن التأويل إنما يقوم على محورَيْن اثنين يتمثلان فى الاستنباط أولاً، فالاجتـهاد ثانياً، وذلك علـى مستوى اللفظ القرآنىّ المفرد، ثم على مستوى الجملة القرآنية المركبة .

لذا ؛ فقـد اسـتدركنا على الأصـوليين قَصْرَهـم التأويل علـى اللفظ المفـرد دون الجملة المركبة ، وكذا تعبيرهـم عـن ذلك بلفظ (الصَّرْف) وليس (الحَمْل) وهذا ما عالجناه من خلال الأمرين التاليين :

١- لماذا اللفظ دون الجملة ؟!

٢- بين الصَّرْف والحَمْل .

ثم انتهينا بعد ذلك إلى تعريف التأويل بما نصّه :

- **تعريف التأويل :**

هو حَمْلُ النَصّ القرآنىّ إفراداً وتركيبـاً إلى أقصى ما يمكن أن ينتهى إليه المعنى بضوابطه المعتبرة من اللغة والأصول عندما لا يفى ظاهر النص بذلك[5] .

---

(١) الإسراء : ٩ . (٢) الفرقان : ٦٧ . (٣) الشورى : ١٠ .

(٤) الزخرف : ٣٢ - وسـوف نفصّل القـول فى معانى هذه الجـمل القرآنيـة المركبة مـن خلال اجتـهاد الشنقيطى بشأنها بعد قليل .

(٥) انظر تفصيل هذا الاستدراك الأصولىّ من خلال وجهيْه المذكورين ، وذلك ص من هذا البحث .

المطلب السابع

معجـم الاجتهاد

يتوزع معجم الاجتهاد عند الشنقيطى بين ألفاظه التى يعبّر بها عن حذره وكذا توقفه عن الاجتهـاد أولاً ، ثم ألفاظه التى يعبّر بها عن اجـتهاده ثانياً ، وهذا مـا يتضح لنا من خلال مايلى :

١- ألفاظ الحذر والتوقف :

وهى ما سبق أن عَرَضْنَا لبـعضٍ منها تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفـسير الشنقيطى المخـتلفة، وذلك مـن خـلال تناولنا لموقـفه ممـا لا نص فـيه ، سـواء مـن حيث (الحـذر والحيطة) أو (التوقف والامتناع) .

٢- ألفاظ الاجتهاد وإجرائه :

ونسـوق هنـا بعضاً منها تنبيهاً بها علـى غيرهـا مما فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ، حيـث يعـبّر عن إعمـال عقله ، واجتهـاد رأيــه ، ببعض الألفاظ الـدالة علـى إنفاذ ذلك الاجتهاد وإجرائه ، ومنها ما نصّه :

أ- قولــه : ومن المعلوم أنّ المسألة إنْ لم يوجـد فيها نصّ من كتاب الله تعـالى أو سُنه نبيه ﷺ فاجـتهاد العــالـم حينئذ بقـدر طاقـته فى تفهم كـتاب الله تعالى ليـعرف حكم المسكوت عنه مـن المنطوق بــه ؛ فإن ذلك لا وجه لمنعـه ، وقد كـان ذلك جارياً بين أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينكره أحد من المسلمين[1] .

ب- وقوله : واستدلال البعض على منع الاجتـهاد فى الشرع مطلقاً ، وتضليل القائل به ، هو من وضع القرآن فى غير موضعه ، وتفسيره بغير معناه[1] .

جـ- وقوله : ومشـروعية سؤال الجاهل للعـالم ، وعمله بفتياه ؛ هـو أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ومعلوم أنه كان العـامىّ يسأل بعض أصحاب النبىّ ﷺ فيفتيـه ؛ فيعمل بفتياه ، ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين[2] .

د- وقوله : ومـعلوم أن كل مَنْ لم يشتـغل بتدبر آيات هذا القرآن الـعظيم ، أى تصفحـها

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٤٣٠ .
(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٥٧٧ .
(٣) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٣/ ٥٧٧ .

وتفهمها ، وإدراك معانيها ، والعمل بها ؛ فـإنه مُعْرِض عنها ، غير متدبّر لها ؛ وبهذا فإنه يستحق الإنكار والتوبيخ إنْ كان الله تعالى قد أعطاه فَهْماً يَقْدِر به على التدبّر[1] .

هـ- وأخيـراً قوله : وعراض كـثيـر من الأنظار عن النظر فى كتاب الله تـعالى ، وتفهـمه والعمل به ، وكذا عـن السُّنّة الـثابتة والمبيِّنة له ؛ لَهُوَ من أعظم المناكـر وأشنعها ، وإنْ ظن فاعلوه أنهم على هُدًى ؛ وعليه فإن تدبّر القرآن وتفهمه ، وتعلمه والعمل به ، هو أمر لابد منه للمسلمين[2] .

* * *

وبعد : فإن جـملة تلك المبادىء هى التى تحكم سـائر ما يَعْرِض له الشنقـيطى سواء من حيث حذره أو توقفه عـن إعمال عقله وعدم اجتهاد رأيه أحيـاناً ، أو من حيث إقدامه على إعمال عـقله واجتهاد رأيه أحيـاناً أخرى ، وهذا ما يبدو مـترجماً بصورة فـعلية من خلال تطبيقه العملىّ على ذلك التقعيد النظرىّ .

(١) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/٤٢٨ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٧/٤٢٨ .

المبحث الثانى

التطبيق العملىّ

وينتظم المطالب الستة التالية :

- أولاً : ما توّقف فيه :

١- المطلب الأول : استعمال الخَطْمِىِّ فى الإحرام .

٢- المطلب الثانى : كيفيَّة إنجـــــاب الشياطين .

٣- المطلب الثالث : احمرار السماء عـند انشقاقها .

- ثانياً : ما اجتهد فيه :

١- المطلب الأول : القَــذْفُ ببعـــض الألفاظ .

٢- المطلب الثانــى : الانتفاع بلحـــوم الأضاحى .

٣- المطلب الثالـث : بطلان الشيوعية وســقوطها .

ونعنى به السلوك العملىّ الذى اتبعه الشنقيطى فى سائر اجتهاداته التى عَرَضَ لها فى مختلف فنون العلم وفروعه ؛ حيث يُجَسِّد من خلال ذلك تطبيقه العملىّ على ما ذهب إليه فى تقعيد النظرىّ .

ولما كان منهج البحث يقوم على أساس الاختيار والانتقاء، لا الحصر والاستقصاء ؛ لذا فسوف نكتفى فيما يلى بذكر جملة من اجتهادات الشنقيطى، سواء ما توقَّف فيه أو ما أقدم عليه تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة، وذلك من خلال المطالب الستة التالية :

أولاً : ما توقّف فيه

المطلب الأول

استعمال الخَطْمِىّ فى الإحرام

وقبل أن نَعْرِض لتوقف الشنقيطى إزاء الاجتهاد فى ذلك ؛ فإنا نقدِّم بين يديْه لضبط ومعنى الخطمىّ فى اللغة كما يلى :

● **تعريف الخَطْمِىّ :**

أما من حيث ضبطه اللغوىّ ففيه وجهان ، حيث يقال له فى الأول منهما : (الخَطْمِىّ) بفتح الخاء المعجمة ، فى حين يقال له فى الثانى منهما : (الخِطْمِىّ) بكسرها ، مع سكون الطاء المُهْمَلَة وكسر الميم بعدهما ياء مشددة فى كل منهما ، كما يلاحظ غلبة الوجه الأول وشهرته دون الوجه الثانى .

وأما من حيث معناه اللغوى فهو عبارة عن نبات من الفصيلة الخُبَّازِيَّة ، كثير النفع ، ذكىّ الرائحة ، يُدَقُّ ورقه يابساً ثم يُغْسَلُ به الرأسُ فينظفه وينقيه ؛ ومنه قولهم : (مِسْكٌ خَطَّامٌ) أى يملأ الخيشوم من حِدَّة رائحته الذكيّة .

وفى الحديث : «أنه كان ﷺ يغسل رأسه بالخَطْمِىِّ وهو جُنُبٌ ؛ يجتزىء بذلك ولا يَصُبُّ عليه الماء» الحديث[1] أى أنه كان ﷺ يكتفى بالماء الذى يَغْسِل به الخطمىَّ ناوياً به غُسْلَ الجنابة ، دون أن يستعمل بعده ماءً آخر يَخُصُّ به الغُسْل[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سُنَنه (كتاب) الطهارة (باب) فى الجُنُب يغسل رأسَه بِخَطْمِىٍّ أيجزئه ذلك ! - (طبع بيروت) .

(٢) انظر مادة (خَطَم) فى كل من لسان العرب : ١٢٠٣/٢ - مختار الصحاح : ص ١٨١ - المعجم الوسيط : ٢٥٤/١ .

• توقُّفُ الشنقيطيّ :

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ الآية[1] من خلال تناوله لمناسك الحج وأحكامه ، نراه يتوقف عن الاجتهاد فى حكم المُحْرِم الذى يَتَدَلَّكُ فى الحَمَّام مستعملاً الخَطْمِيَّ فى غسل رأسه ، وهل تلزمه الفِدْية إنْ هو فعل ذلك أم لا ؟

ويعلل الشنقيطى توقفه عن الاجتهاد فى ذلك بعدم وقوفه على نصٍّ يعوّل عليه ، أو دليلٍ يرجع إليه ، وبهذا يصرّح قائلاً : أما التَّدَلُّكُ فى الحَمَّام ، وغَسْلُ الرأس بالخَطْمِيِّ فلا نصَّ فيه ؛ والأحسن تركه احتياطاً ، وأما لزوم الفِدية فيه فلا أعلم له دليلاً يجب الرجوع إليه ، والعلم عند الله تعالى[2] .

المطلب الثانى

كيفية إنجاب الشياطين

ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الاية[3] نراه يثبت ما أثبتته هذه الآية الكريمة من أنّ للشيطان ذرية من نسله ، غير أنه يتوقف عن الاجتهاد فى كيفية ولادة هذه الذرية وإنجابها .

ويعلل الشنقيطى توقفه عن الاجتهاد فى ذلك بعدم ثبوت نقل صحيح فيه ؛ ومِنْ ثم فمثله لا يُعْرَفُ بالرأى ، وبهذا يصرّح قائلاً : وقول الله تعالى فى هذه الآية الكريمة : ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ دليل على أنّ للشيطان ذرية ؛ فادعاء أنه لا ذرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة كما ترى ، وكل ما ناقض صريح القرآن فهو باطل بلا شك ، ولكن طريقة وجود نسله هل هى عن تزويج أو غيره فلا دليل عليها من نص صريح ، والعلماء مختلفون فيها .

قال الشعبيُّ : سألنى رجل : هل لإبليس زوجة ؟ فقلت : إنّ ذلك عُرْسٌ لم أشهده ! ثم ذكرتُ قول الله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ فعلمتُ أنه لا تكون ذرية إلاّ من زوجة ؛ فقلتُ : نعم ، وما فهمه الشعبيُّ من أن الذرية تستلزم الزوجة قد رُوِيَ مثله عن قتادة ، وقال مجاهد : إن كيفية وجود النسل منه أنه أدخل فَرْجَه فى فَرْج نفسه فباض خمس بيضات ، قال : فهذا هو أصل ذريته .

---

(1) البقرة : ١٩٦ .

(2) أضواء البيان : الشنقيطيّ ٥/٤٦٧ .

(3) الكهف : ٥٠ .

وقال بعض أهل العلم : إنّ الله تعـالى خَلَقَ له فى فخذه اليمنى ذَكَـراً ، وفى اليسرى فَرْجَـاً ؛ فهو ينكح هذا بهـذا فَيَخْـرُجُ له كل يوم عَشْرُ بيـضات ، ثم يَخْرُجُ من كل بيـضة سبعون شيطاناً وشيطانة .

ولا يخفى أن هذه الأقوال ونحوها لا مـعول عليها لعدم اعتـضادها بدليل من كتاب أو سُنة ؛ فـقـد دلت الآية الكريمة على أن لإبليس ذريـة ، أمـا كيـفيـة ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح ؛ ومثله لا يُعْرَفُ بالرأى[1] .

المطلب الثالث

احمرار السّماء عند انشقاقها

ففى مَعْرِض تفسـيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الآية[2] نراه يورد قولين للعلماء فى مـعنى (الدِّهَان) غير أنه يتوقف عن الاجتـهاد فى القول الأول منهما ، والمتمثل فـى أن السماء ستنشق يوم القيامة ثم يَحْمَرُّ لونـها حتى تصير كلون الجِلْد الأحمر .

ويعلل الشنقـيطى توقفه عن الاجـتهاد فى ذلك بعـدم وجود نصّ من كتـاب الله تعالى يمكن الرجوع إليه ، وبهذا يصرّح قائلاً : ذكر الله جلّ وعلا فى هذه الآية الكريمة أن السماء ستنشق يوم القيامة ، وأنها إذا انـشقت صارت وردة كالدِّهان ، وقوله تعالى : ﴿وَرْدَةً﴾ أى حمراء كلون الورد ، وقوله تعالى : ﴿كَالدِّهَانِ﴾ فيه قولان معروفان للعلماء :

- الأول منهما : أن الدهان هو الجلد الأحمر ؛ وعليه فالمعنى أنـها تصير وردة متصفة بلون الورد مُشَابِهَة للجِلْد الأحمر فى لونه .

- والثانى : أن الدهان هو مـا يُدْهَن به ؛ وعليه فقد قيل : إنـه جمع دهن ، وقيل : هو مفرد ؛ لأن العرب تسمى ما يدهن به (دهاناً) على الإفراد ، ومنه قول امرىء القيس :

كأنَّهـــما مَزَادَتَا مُتَعَجِّلٍ   فريان لِمَا تدهنى بِدِهَانِ

- **وحقيقة الفرْق بين القولين :**

أنّ القول الأول على أن الدهان هو الجِلْد الأحمر : فـيكون الله تعالى قد وصف السماء عند انشقاقـها يوم القيام بوصف واحـد وهو الحمرة ، فشبـهها بحمـرة الورد وحمرة الأديم الأحمر ، حيث قال بعض أهل العلم : إنها يصل إليهـا حَرُّ النار فتحمرّ من شدة الحرارة ،

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٤/ ١٢٢ .

(2) الرحمن : ٣٧ .

وقال بعضهم الآخر : إن أصل السماء حمراء إلاّ أنها لشدة بعدها وما دونها من الحواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمـر على حقيقته ، غير أنها تُرَى يوم القيـامة على حقيقة لونها .

أما القول الثانى على أن الدهان هو ما يدهن به : فإنّ الله تعالى قد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين معاً ، أحدهما حمرة لونها ، وثانيهما أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن .

وحالما يفرغ الشنقيطى من عَرْضِـه لكلا القولين الواردين عن العلماء فى معنى (الدُّهَان) نراه يتوقف عن الاجتهاد فى القول الأول منهما قائلاً ما نصّه :

● أما على القـول الأول ؛ فلم نعلم آية من كتاب الله تعالى تبـيّن أن السماء ستـحمرّ يوم القيام حتى تكون كلون الجِلد الأحمر .

وهو فى ذات الوقت يسوق الآيات التى تشهد للقول الثانى وتؤيده قائلاً ما نصه :

● وأما على القول الثانى المتـمثل فى أن السماء ستذوب وتصير مائعـة ، فقد أوضحه الله جلّ وعلا فى غيـر هذا الموضع ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ الآية[1] والمهل شىء ذائب على كلا القولين سواء قلنا : هو ردىء الزيت وعكره ، أو قلنا : إنه الذائب من الحـديد أو النحاس أو نحـوهما ، وقد أوضـح الحق سبحـانه أن المهل شىء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الآية[2] .

ثانياً : ما اجتهد فيه

المطلب الأول

القذفُ ببعض الألفاظ

ففى مَـعْرِض تفسـيره لقـول الله تعالى : **﴿والذين يرمـون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾** الآية[3] نراه يجتهـد رأيه إزاء القذف ببعض الألفاظ التى لم يَرِدْ فيـها نص ، حيث يقول فيهـا إمّا بالحدّ وإمّا بالتـعزير وفقاً للعُـرْف السائد بشأنهـا فى مواطنها ؛ وذلك قـياساً لها على غـيرها من

(١) المعارج : ٨ . (٢) الكهف : ٢٩ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٧٥٠ .

(٣) النور : ٤ .

الألفاظ المنصوص عليها ، ومن تلك الألفاظ التى لم تَرِدْ النصوص بتحديدها ثم اجتهد فيها الشنقيطى رأيه نذكر كلا من :

● **القرْطبان :**

ويُعرِّفه الشنقيطى بقوله : هو الدَّيُّوث الذى يُدْخِلُ الرجالَ على (امرأته) وقيل : هو الذى يرى مع امرأته رجلاً فيدعه خالياً بها ، وقيل : هو الذى يبعث امرأته مع غلام بالغ أو مع مُزَارِعِه إلى الضيعة ، أو يأذن لهما بالدخول عليها فى غيبته ، وقيل : هو القَوَّاد الذى يجمع أو يكون سبباً فى الجمع بين رجل وامرأة لمعنى غير ممدوح ، وأخيراً قيل : هو كل مَنْ لا غيرة له على امرأته ومحارمه[1] .

ويُوَصِّلُ صاحبُ اللسان لهذا اللفظ مؤكداً معناه المذكور أخيراً فيقول : وأما (القَرْطَبَان) الذى تقوله العامَّة لـ (الذى لا غَيْرَةَ له) فهو مُغَيَّر عن وجه ؛ لأن أصله الكَلْتَبَان) المأخوذ من (الكَلَب) وهو القيادة ، و(التاء والنون) زائدتان ، وهذه هى اللفظة القديمة عن العرب ، ثم غَيَّرَتْهَا العامَّة الأولى فقالت : (القَلْطَبان) ثم جاءت بعدها عامَّة سُفْلَى فَغَيَّرَتْ على الأُولَى فقالت : (القَرْطَبَان)[2] .

● **القرنان :**

ويعرِّفه الشنقيطى بقوله: ومعناه عند العامة مثل معنى الدَّيُّوث أو قريب منه ، وقيل : هو مَنْ له (بنات) ويُدْخِلُ الرجالَ عليهن ، وقيل : هو الديوث المشارِكُ قرينُهُ فى زوجته ، وقيل : إنه ليس من كلام العرب[3] .

وأما صاحب اللسان فيعرِّفه بقوله : هو الذى يُشَارَكُ فى امرأته كأنه يَقْرُنُ به غيره ، وقيل : هو نعت سَوْءٍ فى الرجل الذى لا غَيْرَةَ له ، وقيل: هو عربى صحيح ، كما قيل : إنه من كلام أهل الحَضَر ، أما أهل البادية فلم يلفظوا به ولم يعرفوه[4] .

● **الكشخان :**

ويعرِّفه الشنقيطى بقوله : ومعناه عند العامّة أيضاً مثل معنى الدَّيُّوث أو قريب منه ، وقيل : هو مَنْ له (أخوات) ويُدْخِلُ الرجالَ عليهن ، وقيل : قد يُكْسَرُ فيقال (الكِشْخَان)

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) انظر مادة (قَرْطَب) فى لسان العرب : ٥/ ٣٥٩٢ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ١٢١ .

(٤) انظر مادة (قَرَن) فى لسان العرب : ٥/ ٣٦٠٧ .

أى الديوث ، ومنه قولهم : (كَشْخَـه تَكْشِيخاً وكَشْخَنَة) أى قال له : (يا كـشخان) وقيل : إنه ليس من كلام العرب[1] .

وأما صاحب الـلسان فيوجز تـعريفه بقوله : هو الدَّيُّوث ، ويقـال للشاتم : لا تَكْشِخْ فلاناً ، ومنه (الكَشْـخَنَة) وهى مُوَلَّدَة وليست عربيـة ، كما أنّ (الكَشْحَـان) دخيل فى كلام العرب[2] .

وبعد أن يُعَرِّفَ الشنقيطى بهذه الألفاظ الثلاثة نراه يجتهد رأيه بشأن حُكْمِ مَنْ قَذَفَ غيره بها فيقول ما نصّه :

قال مقـيـده عفا الله عنه وغفـر له : الذى يظهر أن التحقيق فـى هذه الألفاظ المذكورة أنها تتبع العُرْف الجارى فى البلد الذى قيلت فيه ؛ فإن كـان من عُرْفهم أنّ المراد بها الشتم بما لا يوجـب الحـد ؛ فقد وجب فـيها (التعزير) لأجل الأذى ، ولا حد فـيها ؛ وإن كان من عُـرْفهم أنهـا يـراد بهـا الشـتم بالـزنا أو نفى النَّسَب ، وكـان ذلـك معروفـاً أنه هو المقصود عُرْفاً ؛ فقـد وجب فيـها (الحَدّ) لأنّ العُرْفَ متبع فـى نحو ذلك ، والعلم عند الله تعالى[3] .

● رأى البحث :

والحق أن مـا ذهب إليه الـشنقيطى إنمـا يتفق والواقعُ المُشَـاهَدُ فى مـخـتلف الأمصـار والأعصار ؛ وذلك لأن بعض الألفاظ التى يقبلها ويستسـيغها العُرْف السائد فى بلد ما ، قد لا يقبلها ولا يسـتسيغهـا العرف السائد فى بلد آخر ؛ ومِنْ ثم فـإن بعض هذه الألفاظ التى توجب التعـزير فى بلد ما ، هى ذاته التى توجب الحـدّ فى بلد آخر ؛ وذلك وفقـاً لما يقرّه العُرْف السائد فى كل منهما .

ولما كان إعمالُ العُرْف مما تعتبره أصـول شرعنا الحنيف ما لم يُخَالِفْ منصوصاً عليه من كتاب الله تعالى وسُنة رسـوله ﷺ أو مُجْمَعاً عليه من قِبَل علماء الأمة سَـلَفِها وخَلَفِها ؛ لذا فقد عُلِمَ أن اجتهاد الشنقيطى بشـأن تردد حُكْمِ القذف بهذه الألفاظ بين (التعزير والحدّ) وفقـاً للعُرْف السائد فـى مواطنها ، إنما يخصّ غـير المنصوص عليـه أو المنطوق به ، والذى بذات حُكْمِه ألحق الشنقيطىّ حكم المسكوت عنه وقاسه عليه .

---

(1) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/ ١٢١ .

(2) انظر مادة (كَشَخ) فى لسان العرب : ٥/ ٣٨٨١ .

(3) أضواء البيان : الشنقيطىّ ٦/ ١٢١ .

المطلب الثانى

الانتفاع بلحوم الأضاحى

ففى مَعْـرِض تفسيره لقـول الله تعالى : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الآية[1] نراه يجتهد رأيه إزاء انتـفاع بؤسـاء الأمة وفـقرائهـا فى شتى أنحـاء المعمـورة من أرض الله تعالى بلحـوم تلك الأضاحى التى يتركها الحجـيج فى (مِنَى) يوم النحر دون أن تصل إلى مَن هم أهل للانتفاع بها .

ومن ثم ؛ فإنه يترتب على تركها نتنها وفـسادها مما يتأدَّى عنه إيذاء سائر الحجيج بها ، فضلاً عما فى ذلك من إضاعة الأموال التى أنفقت فى شرائها ؛ وهذا مما يتعارض دون أدنى شك مع الهدف الذى من أجله شُـرِعَ الهَدْىُ ، ألا وهو التقرب به إلى الله تعـالى بما شرعه الله تعالى .

وإزاء الاجتـهاد فى انتـفاع المسلمين بلحـوم هذه الأضاحى ، وإصابة الـهدف الذى من أجله شُـرِعَتْ ، يقول الشنقـيطى ما نصّـه : واعلم أن ما يفـعله كثـير من الحجّـاج الذين يزعمون التقرب بالهَدْى يوم النحر من ذبح الغنم فى أماكن متفرقة من (مِنَى) لا يقدر الفقراء على الوصول إليها ، والتمكن منهـا ، فبتركها مذبوحة ليس بقربها فـقير ينتفع بها ، يؤدى إلى أن تضيع تلك الغنـم بكثرة ، بل تنتفخ وينتـشر نتن ريحها فـى أقطار (مِنَى) حتى يعمَّ أرجاءَها النتنُ كأنه نتن الجِيَف .

وكل ذلك لا يجوز ، وهو إلـى المعصيـة أقرب منه إلى الطاعة ، ولا يـجوز لِمَنْ بسط الله تعالى يده إقرارهم على ذلك ؛ لأنه فَسَاد وأذيّة لسـائر الحجاج بالأرواح المنتنة ، كما أنه إضاعة للمال وإفساد له باسْم التقرب إلى الله تعالى .

ودواء ذلك الداء المنتـشـر فى (مِنَى) كل سنة أن يعلم كلُّ مُـهْدٍ وكلُّ مُـضَحٍّ أنه يلزمـه إيصال لحم مـا يتقرب به إلـى الفقراء ؛ فـعليه إذا ذبحهـا أن يؤجر مَنْ يسلخـها طريّة حين ذبحها ، أو يسلخها هو ويحملها بنفـسه أو بأجرة ، حتى يوصلها إلى المستحقين ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الآية[2] ويقول تعالى : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الآية[3] فلا يمكنه إطعـام أحد مِمَّنْ أمره الله تعالى بـإطعامهم إلا بإيصال ذلك إليهم ، ولو اجتهد فى إيصاله إليهم لأمكنه ذلك ؛ لأنه قادر عليه .

---

(١) الحج : ٢٨ . (٢) الحج : ٢٨ . (٣) الحج : ٣٦ .

وعلى مَنْ بسط الله تعالى يده أن يعين الحجّاج المتقربين بهذه الدماء على طريق الإيصال إلى الفقراء بالطرق الكفيلة بتيسير ذلك كتهيئة عدد ضخم من العاملين للإيجار يوم النحر على سَلْخ الهدايا والضحايا طريّة وحمل لحومها إلى الفقراء فى أماكنهم ، وكتعدد مواضع الذبح فى أرجاء (مِنَى) وفِجَاج (مكة) ونحو ذلك من الطرق المعينة على إيصال الحقوق لمستحقيها .

ثم علم أن التحقيق فى فقراء الحَرَم أنهم هم الموجودون فيه وقت نحر الهدايا من الآفاقيين وحاضرى المسجد الحرام ؛ فإنْ ذَبَحَ فى موضع فيه فقراء وخَلَّى بينهم وبين الذبيحة فقد أجزأه ذلك ؛ لأنه يَسَّرَ لهم الأكل منها بطريق لا كلفة عليهم فيها ، فكأنه أطعمهم بالفعل ، والعلم عند الله تعالى[1] .

● **رأى البحث :**

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى إزاء اجتهاده بشأن انتفاع المسلمين بلحوم الهَدْى والأضاحى فى شتى أنحاء العالم الإسلامى ، هو ذات ما أقدمتْ على إنفاذه حكومة المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م) ولا يزال قائماً حتى الآن .

وفى حوار أجرته (مجلة الأمة القطريَّة) مع الدكتور أحمد محمد على (رئيس البنك الإسلامى) بِجِدَّة حول (مشروع لحوم الهَدْى والأضاحى وكيفية الاستفادة منها) يقول :

جاء التفكير فى هذا المشروع إثر الازدياد الكبير لأعداد الذبائح التى تضيع فى موسم الحج هَدَراً ، وهذه المشكلة رغم صعوبتها إلاّ أنها تعتبر حديثة نسبياً ؛ لأن عدد الحجاج كان محدوداً فى الزمن السابق ، وقد كانوا يقيمون مدة أطول فى المشاعر قبل العودة إلى بلادهم فى قوافلهم ، ومن ثم فقد كانوا يمضون أياماً وليالى يدخرون لها بعض لحوم الهَدْى والأضاحى التى يتزودون بها .

وبعد أن تيسرت ولله الحمد سبلُ الحج ، وظهرت وسائل السفر الحديثة ؛ فقد زاد عدد حجاج بيت الله الحرام حتى وصل عدد الحاضرين فى المشاعر إلى نحو ثلاثة ملايين نسمة ، كما ازدادت أعداد الذبائح فى (مِنَى) حتى وصلت إلى نحو مليون ذبيحة فى كل موسم ، وهذا ما يستحيل معه الإفادة منها كلها فى أثناء الموسم ؛ لأن ما يذبح منها من مطلع شمس أول أيام النحر إلى ظهر ذلك اليوم يُقَدَّرُ بنحو نصف مليون ذبيحة .

وقد أوجد هذا التزايد مشكلة صحية كبيرة حيث كانت تُتْرَكُ هذه الذبائح على الأرض

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٥/٥٥٣ .

فى المجازر ؛ ومن ثم فإنها تتعرض للتعفن والتلف وتكون سبباً فى الأوبئة ؛ وهذا مما يتنافى ولاشك مع مقاصد الشرع من تقديم الهَدْى والأضحية ، كما أن فيه إهداراً وإضاعة للمال ؛ وقد أدى هذا الأمر بالمسئولين فى (المملكة العربية السعودية) إلى أن يبادروا فى أيام الموسم إلى دفن وحرق ما يتركه الحجاج من الذبائح والفضلات حرصاً على سلامة الناس وصحتهم العامة .

وتلافياً لهذا الوضع المؤسف فقد قرروا القيام بدراسات متعددة بشأن الإفادة المُثْلَى من هذه اللحوم ، وقد كان هذا المشروع من نتائج تلك الدراسات ؛ حيث أمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله تعالى بتكوين لجنة المشروع الإفادة من لحوم الهَدْى والأضاحى ، تُشْرِف على كل ما يتصل بهذا المشروع وطرق تنفيذه .

وبناءً عليه ؛ فقد بدأت الاستفادة من لحوم كافة الأغنام التى ذبحت فى مجزرة (المعيصم) النموذجية ، حيث استفيد مع بداية هذا المشروع عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) من حوالى (٧٠٠٠٠) رأس ، ثم ارتفع هذا العدد عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) إلى حوالى (١٨٦١٩٥) رأساً ، ثم ارتفع مرة أخرى حتى وصل عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) إلى حوالى (٣٠٧٢٦٧) رأساً .

وقد تم توزيع كميات من هذه اللحوم على فقراء الحَرَم ، كما تم شحن كميات منها إلى عدد من الدول الإسلامية لصالح الفقراء واللاجئين فى كل من : (باكستان - بنجلاديش - الأردن - مالى - تشاد - جيبوتى - بوركينا فاسو - اليمن الشمالى - السودان - موريتانيا) حيث تم نقل اللحوم إلى هذه الأقطار عبر وسائل النقل المختلفة بَرّاً وبحراً وجواً ، وعلى أن تظل هذه اللحوم أثناء النقل مُبَرَّدَة أو مجمدة حسب الحاجة ، وذلك لضمان وصولها إلى المستفيد منها وهى فى حالة مُرْضِية .

وأخيراً فإن الترتيبات الموضوعة لتوزيع هذه اللحوم على اللاجئين والمحتاجين فى جميع هذه الدول هى ترتيبات ممتازة وفعالة بفضل الله تعالى[1] .

---

(١) انظر تفصيل هذا المشروع مع بيانات البنك الإسلامى للتنمية إلى حجاج بيت الله الحرام ، وكذا الجداول الإحصائية المقارنة المُبَيِّنَة لأعداد الذبائح التى استفاد بها مستحقوها فى مختلف أقطار العالم الإسلامى ، وذلك من خلال الحوار الذى جاء بعنوان :

- لحوم الأضاحى (التنمية وتثمير الموارد الإسلامية) : حوار مع الدكتور أحمد محمد على (رئيس البنك الإسلامىّ بجدة) - أجراه وائل صبرى ميرزا - مجلة الأمة : ص ٢٤ - العدد ٧٢ - السنة ٦ - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية قطر - ذو الحجة ١٤٠٦ هـ = أغسطس ١٩٨٦م .

وهكذا ينتقــل اجــتهاد الشنقيطى هنا بشــأن (الانتفاع بلحوم الأضاحى) مــن حيز النظر إلى حيز التطبيق .

ولئــن كـــان هــذا المشــروع قــد رأى النــور عـــام (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م) بعــد رحــيل الشنقيطى بقرابة عشر سنــوات ؛ إلاّ أنــه جـــاء تلبية لحاجــة الأمـة الماســة ، والتى طالما أملــتْ فيــه ، بــل وتطلّعت إليه ؛ وذلك لما يعود به على فقرائها ومعوزيها بالخير العميم ، فضلاً عــما يحققه لهــا من انتفاعهــا الأمثل بهذه اللحوم ، من خلال حــفظها من التلف ، وصون أموالهــا من التبديد ؛ وفى هذا مــا فيه من امتثــال أمر الله تعالى ، واتباع سُنــة نبيه ﷺ ما يحقق معنى التقرب إلى الله تعالى بما شرعه الله تعالى .

المطلب الثالث

بُطلان الشيوعية وسقوطها

ففي مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ الآية[1] نراه يبدأ بتأكيد ما نطقتْ به هذه الآية الكريمة من تفاوت الخلائق فى الحظوظ والأرزاق ، وتباينهم فى المنازل والدرجات ؛ وذلك وفق ما اقتضته حكمة الخالق عزّ وجلّ ، العالِم بأمورهم ، والمتصرِّف فى أحوالهم ، بما شاء وكيف شاء ، وهو على كل شيء قدير .

ثم يَعْمَد الشنقيطى بعد ذلك إلى اجتهاد رأيه إزاء بطلان الشيوعيّة وسقوطها فيما تدعو إليه من المساواة المزعومة بين أتباعها من خلال حملهم على التزام مبادئها الفاسدة ، والسير على نُظُمها الهابطة ، والتى من أهمها قتل حريّاتهم ، ونزع ملكياتهم ، فضلاً عن حصولهم على طعامهم ببطاقاتهم ، وحرمانهم مغادرة بلادهم ؛ فى مقابل إطلاق أيديهم فى ممارسة شهواتهم ، وتغييب عقولهم .

وإزاء تفسير الآية المذكورة ثم الاجتهاد من خلالها بشأن بطلان الشيوعية وسقوطها يقول الشنقيطى ما نصّه : يبيّن الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه سبحانه لم يُفَوِّض إليهم أمر معايشهم وحظوظهم فى الدنيا ، بل تولى هو جلّ وعلا قسمة ذلك بينهم ؛ فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً ، وهذا رفيعاً وهذا وضيعاً ، وهذا خادماً وهذا مخدوماً ، ونحو ذلك .

وإذنْ فالله جلّ وعلا لم يفوّض إليهم حظوظهم فى الدنيا ، ولم يحكّمهم فيها ، بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء وكيف شاء ، فكيف يُفَوِّض أمر إنزال الوحى حتى يتحكموا فيمَنْ ينزل إليه الوحى ؟! وكما ترى فإن هذا مما لا يُعقل ، ولا يظنه إلا غبى جاهل كالكفار المذكورين .

ثم إنّ قول الله تعالى هنا فى هذه الآية الكريمة : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ دالّ على أن تفاوت الناس فى الأرزاق والحظوظ إنما هو سُنّة من سُنن الله السماوية الكونية القدرية التى لا يستطيع أحد من أهل الأرض ألبتة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجوه كما فى قول الله تعالى : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ الآية[2] .

وبذلك تَحَقَّقَ أنّ ما يتذرع به الآن الملاحدة المنكرون لوجود الله تعالى ، بل ولجميع النبوات والرسائل السماوية ، إلى ابتزاز ثروات الناس ، ونزع ملكهم الخاص عن أملاكهم ،

(١) الزخرف : ٣٢ . (٢) فاطر : ٤٣ .

بدعوى المساواة بين الناس فى معايشهم ؛ لاشك أنه أمر باطل ، ولا يمكن بحال من الأحوال .

مع أنهم لا يقصدون ذلك الذى يزعمون ، وإنما يقصدون استئثارهم بأملاك جميع الناس ؛ وذلك ليتمتعوا بها ويتصرفوا فيها كيف شاءوا تحت ستار كثير من أنواع الكذب والغرور والخداع ، وهذا ما يتحققه كلٌّ عاقل مُطَّلِع على سيرتهم ، عَارِفٍ بأحوالهم مع مجتمعهم فى بلادهم ، فالطغمة القليلة الحاكمة ومَنْ ينضم إليها هم المتمتعون بجميع خيرات البلاد ، فى حين أن غيرهم من عامة الشعب محرومون من كل خير ، مظلومون فى كل شىء ، حتى ما كسبوه بأيديهم يُعْلَفُونه ببطاقة كما تُعْلَف البغال والحمير .

وقد علم الله جلّ وعلا فى سابق علمه يأتى ناس يغتصبون أموال الناس بدعوى أن هذا فقير وأن هذا غنىّ ، وقد نهى جلّ وعلا عن اتباع الهَوَى بتلك الدعوى ، بل وأوعد مَنْ لم يَنْتَه عن ذلك بقوله تعالى : ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ الآية[1] وقوله تعالى هنا فى هذه الآية : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ فيه وعيد شديد لِمَنْ فعل ذلك أو أقدم عليه[2] .

● رأى البحث :

والحق أن ما ذهب إليه الشنقيطى إزاء اجتهاده هنا بشأن بطلان الشيوعية وسقوطها ، فضلاً عن خيانة دعاتها وضلالهم ؛ لَهُوَ مما يشهد له واقع تلك الأقطار ، وتؤيده أحوال قاطنيها ، والذين ظلوا يرزحون تحت نَيْر هذا الظلم ولا يزالون ، محكومين فى ذلك بالحديد والنار ، منهوبة مقدراتهم ، ومهدرة آدميتهم .

وإنّ نظرة عاجلة للتعريف بهذا المذهب الفكرى لتُبِينُ عن مدى سقوطه وبطلانه ، فضلاً عن اكتواء مَنْ انخدعوا فيه بناره ولظاه[3] .

* * *

---

(١) النساء : ١٣٥ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٢٤٣ - ٢٤٧ .

(٣) لمزيد من التفصيل عن (الشيوعيّة) وسائر ما يتعلق بها (من حيث نشأتها وأبرز مؤسسيها وأفكارها ومعتقداتها وانتشارها ومواقع نفوذها) راجع فى ذلك :

● الموسوعة الميسّرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة : ص (٣٠٩ - ٣١٣) - الطبعة ٢ - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامىّ - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩م .

وبعد : فقــد كــانت هـــــذه بعض اجتهادات الشنقـيطى التى سقناها تنبيهـاً بها على غيـرها ممـــا فى ثنايا تفسيـره المختلفة ، وسـواء تلك التى توقف فيهـا ، أو الأخرى التى اجتهد فيها .

وقد اتضح من خـلال تلك الاجتهادات مـدى تنوعها وشـمولها ، فضـلاً عن احتكام الشنقيطى إلى كل من اللغـة والأصول كضابطيْن يَصْدُر عـنهما ، ويعوّل عليهـما ، إزاء ما يذهب إليه من اجتهادات ، أو يَعْرِض له من آراء .

وفـى هـذا ما فيه من المنهجيّة والموضوعيّة ما يؤكد حرص الشنقيطى على حشد أدلته ، ودعم حُجَّته ، فى كل ما يَعْرِض له ، أو يَصِلُ إليه ؛ وبما يتأدَّى عنه فى النهاية اتفاقه مع ما تقرره القواعد المتبعة ، وتشهد به الأصول المعتبرة .

جِمَاع القول
فـى هـذا الباب

وفى ختـام حديثنا عن هذا الباب بفـصوله الثلاثـة فإنه يجدر بنا أن نشـير إلى كل من الأمرين التاليين :

١- الشمول :

ونعنى به شـمـول هذا التـحليل بمحـاوره الثـلاثة المتـمـثلة فى كل من (الانتـقـاد) ثم (الاستنباط) وأخيراً (الاجتهاد) والتى انطوى كل منها بدوره على جملة من النماذج المختلفة ، وطائفة من الشواهد المتعددة ، والتى تتـسم جميعها بالشمول ، وتتميـز فيما بينها بالتنوّع ؛ وهذا ما يتضح جلياً من خلال محتوى كل محور منها على حدة .

فقد حوى (الانتقاد) موقف الشنقيطىّ النقدىّ من ثمانية فروع تمثلت فى نقده كلاً من : (الإسرائيليـات - المفسِّريـن - المُحَدِّثين - الأصوليّين - الفـقهاء - المتكلّـمين - اللُّغويين - المؤرِّخين) .

ثم اشتـمل (الاستنبـاط) على سبـعة اسـتنباط تمثلت فى كـل من : (استخـراج اللؤلؤ والمَرْجَان - أقلّ أمَـد للحَمْل - مـدة خَلْق السموات والأرض - مـلاءمة جَعْـل الطلاق بيد الرجل - بُطْلاَن دَعْوَى مـساواة المرأة بالرجل - وجوب الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر - الجهاد فَرْض كفاية) .

وأخيراً فـقد اشتمل (الاجتهـاد) على ستة اجتهادات ، تَوَقَّفَ الـشنقيطى فى ثلاثة منها تمثلت فى كل من : (اسـتعمـال الخَطْمِىّ فى الإحرام - كيـفية إنجـاب الشياطين - احـمرار السماء عند انشقـاقها) فى حين اجتهد فى ثلاثة أخـرى تمثلت فى كل من : (القَذْفُ ببعض الألفاظ - الانتفاع بلحوم الأضاحى - بطلان الشيوعيّة وسقوطها) .

وبالنظر إلى تلك الأمثلة التى سقناها تنبيهاً بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ يتبيّن لنا مدى شـمولها وتـنوعها ؛ بما يُخْـرِجُهَـا عن التحديد والانحـصار ، أو القـصور والاختصار ، وهذا ما يصيب الهدف منها ، ويحقق الغاية فيها .

٢- المنهجية :

ونعنى بها منهـجيّة الشنـقيطىّ فى تعاقب تلك المحـاور الثلاثة وتلازمهـا ؛ الأمر الذى يتأدّى عنه تمهيد السابق منها للاحق ، وارتباط اللاحق منها بالسابق .

فهـا هو يبدأ تحليله بـ (الانتـقاد) حيث يُنْـعِم النظر ، ويُجِيل الفكر ، إزاء نقـده جملة الآراء المُخْتَلَف فـيها ، ولا يزال كذلك حتى ينتـهى إلى ترجيح ما يراه راجحـاً منها ، وفق أدلته الشرعيّة ، وضوابطه المعتبرة .

فإمّا أن يصيب هدفه ، ويدرك غايته ؛ وإلاّ عَـمَدَ عندئذ إلى (الاستنباط) حيث يستنتج مـا يراه ، ويستـخرج مـا يَعِنُّ له ؛ بما يُزِيل إشكال ذلك الـنصّ الخفىّ ، ويرفع غـموضـه وإجماله، وهو فى هذا يبدأ من النص وينتهى إليه، فلا يتعدى حدوده، ولا يتجاوز إطاره .

وأيضاً إمـا أن يصيب هدفه ، ويدرك غايـته ؛ وإلاّ عَمَد أخـيراً إلى (الاجتهـاد) حيث يقدح زِنَاد فكره ، ويُعْمِل غاية عقله ؛ بما تتحقق به آراء غير مطروقة ، وتتمخض عنه نتائج غير مـعـروفة ، وهو فى هذا يبدأ من النص وينتـهى وراءه ، متعدياً حـدوده ، ومـتجاوزاً إطاره .

وفـى هذا مـا فـيـه مـن الترتيب المنـهجىّ ، والتـرابط العلمىّ ؛ مـا يحقق أتم فـائدة مستطاعة ، ويبلغ أقصى نفع ممكن ؛ من هذا التفسير ومنهج صاحبه فيه ، وذلك من خلال مراحله المتعاقبة ، وخطواته المتتاليـة ، والتى تُسْلِم كل منها إلى ما بعدها ، وتعتمد كل منها على ما قبلها .

وبهذا ينتهى هذا الباب .

تعقيب
حول هذا المنهج

وبعـد هذا التطواف فى منهج الشنقـيطى بأبوابه الثـلاثة المتمـثلة فى (الجـمع بين المأثور والمعقول) ثم (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) وأخيرًا (التحليل لسائر ما يَعْرِض له) فإنه يطيب لنا أن نشير فى الختام إلى الأمور الثلاثة التالية :

أولاً : الشمول :

ونعنى به شمول هذا المنهج الذى بَدَا واضحًا جَلِيًّا فى كل سِمَة من سِمَاته الثلاث ؛ فإذا مـا أَنْعَمْنَا النظـر وأَجَلْنا الفكر فى السِّمَة الأولى مـثلاً وجـدناها وقـد جمـعت بين المأثور والمعقـول، واللين يشمـلان بدوريْهما القـرآن والسُّنة والآثار إلى جانب أقـوال وآراء العلماء المحققين والمفسِّرين المعتبرين .

ثم السِّمَة الثانية حيث تُوَصِّل للعلوم العربية والإسلامية والتى تشمل بدورها سبعة علوم تمثلت فى كل من : (علوم الـقرآن - علوم الحـديث - علم الأصـول - علم الفقـه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

وتأتى بعد ذلك السِّمَة الثالثة والأخيرة المتمثلة فى تحليل سائر ما يَعْرِض له الشنقيطى فى ثنايا تفسيره المختلفة حيث نقده لثـمانية فروع تمثلت فى كل من : (الإسرائيليات - المفسِّرين المحدِّثين - الأصـوليين - الفقهاء - الفِـرَق الإسلاميـة - اللُّغويين - المؤرخين) ثم يُرْدِفُ ذلك النقد باستنباطاته المختلفة ، ومنها إلى اجتهاداته الخاصة التى يختم بها هذا التحليل .

والناظر إلى طبيعة هذه السِّمَات ومـا احتوته من جملة هذه العلوم وتلك الفنون ليبيِّن له مدى شمول هذا المنهج وعمومه ، الأمـر الذى كَفَلَه للشنقيطى ظرفه الزمنى من حيث تأخُّرُه ومعاصرتُه مما مكَّنه من جمع حصاد المفسِّـرين السالفين ، ومطالعة جهود العلماء المحققين ، وفى هذا ما فيه من الشمول والعموم ما لا يفتقد مثله إلى دليل ، ولا يفتقر إلى برهان .

ثانيًا : الأصالة :

ونعنى به أصـالة هذا المنهج الذى وافق به الشنقـيطى ما سَبَقَ أن أجـمع عليه العلمـاء وتواضع عليـه المفسِّرون من أن أعظـم وأجلّ ما يفسَّـر به القرآن إنما هو القـرآن ذاته ثم سُنة

رسول الله ﷺ وأخيراً آثار الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهو ما يُعْرَف بـ : (المأثور) وبعده يأتي التفسير بأقوال العلماء وآراء المفسِّرين متى دعت إليها الحاجة واقتضتها الضرورة ، وهو ما يُعْرَف بـ : (الرأى أو المعقول) .

وبالنظر إلى طرفىْ هذا المنهج المتمثلْين فى (المأثور والمعقول) يتبيَّن لنا مدى ما يتسم به هذا المنهج من الأصالة التى أقرها سَلَف الأمة وخَلَفها ، والتى سبق لنا الاستشهاد عليها والتدليل لها بما ورد عن كل من : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية والشيخ محيى الدين الكافيجى ، وذلك فى مَعْرِض جوابهما على ذلك السؤال الذى مفاده : ما هى أفضل الطرق لتفسير القرآن الكريم ؟

ثالثاً : المنهجية :

ونعنى بها هذا الترتيب المنطقىّ ، وذلك الترابط العلمىّ ، بين سمات هذا المنهج وركائزه الأساسية الثلاث بصفة عامة ، ثم بين المحاور الثلاثة (الانتقاد ثم الاستنباط وأخيراً الاجتهاد) والتى تقوم عليها السِّمَة الثالثة المتمثلة فى التحليل بصفة خاصة .

فالشنقيطى يبدأ بالجمع بين المأثور والمعقول ، ثم يَعْمَد إلى هذا المجموع ليُؤَصِّله من خلال جملة العلوم العربية والإسلامية التى عَرَضَ لها فى ثانيا تفسيره المختلفة ، وأخيراً يتناول هذا كله بالنقد والاستنباط والاجتهاد .

وفى هذا ما فيه من الترتيب المنطقىّ ، والترابط العلمىّ ما يشهد لهذا المنهج بتلك المنهجيّة التى يتأدَّى عنها بالضرورة أثر تُسْلِم كل سِمَة من سِمَات هذا المنهج إلى ما بعدها ، وتعتمد فى ذات الوقت على ما قبلها ، وهل المنهجية إلا ارتباط السابق باللاحق ، واعتماد اللاحق على السابق ؟ !!

* * *

وأخيراً :

فإنه بالرغم مما يتسم به منهج الشنقيطى من (الشمول) و (الأصالة) و (المنهجية) إلا أن هناك من الملاحظات المنهجيَّة التى يمكن أن تُحْسَبَ له ، وكذا الأخرى التى يمكن أن تُحْسَبَ عليه ، ما تقتضينا الضرورة أن نَلْفت النظر إليها ، وتلزمنا الحَيْدَة أن نُنَبِّه عليها ، وهذا ما تتكفل به خاتمة هذا البحث فضلاً عن أهمِّ نتائجه وتوصياته .

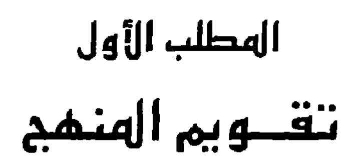
الخاتـــمة

وتنتظم المطالب الثلاثة التالية :

١ - المطلب الأول : تقويم المنهـــج .

٢ - المطلب الثانى : أهم النتائـــج .

٣ - المطلب الثالث : أهم التوصيات .



وينتظم المسألتين التاليتين :

١ - المسألة الأولى : مـا يُحْسَبُ له .

٢ - المسألة الثانيـة : ما يُحْسَبُ عليه .

ونعنى بهذا التقـويم رَصْدَ ما يمكن أن يُحْسَبَ للشنقيطى وكذا مـا يمكن أن يُحْسَبَ عليه من جملة الملاحظات المنهـجية التى عَـرَضْنَا لها على مدار هذا البـحث مشفوعـة بشواهدها التفـصيلية على النحـو الذى وردت به فى ثنايا تفسيـره المختلفة ؛ ومن ثم فـإننا نكتفى هنا بمجرد الإشارة إلى جملة هذه الملاحظات من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى

مـــا يُحْسَـــبُ لـــــه

وتتمثل جملة هذه الملاحظات المنهجية التى يمكن أن تُحْسَبَ للشنقيطى فيما يلى :

١ - موافقة بعض عنوان التفسير :

ونعنى بذلك موافقة كل من قول الشنقيطى : (أضواء البيان) وكذا قوله : (إيضاح) فى دلالتهما على مضمونهما الذى التزم تطبيقه على مدار منهجه فى ثنايا التفسير المختلفة .

فقوله : (أضواء البيان) يعنى تسليط الأضـواء الكاشفة التى تبدّد الظلام ، وتنير الطريق أمام الناظر فى المُجْمَل أو المُشْكَل أو الخَفِى من آيات القرآن ؛ وذلك طلبًا لفهمها ، وتحصيلاً لمعناها ، وهذا مـا يشير إليه الشـيخ عطية محمد سالم مـن خلال إبانتـه عن منهج شيخه قائلاً : ما مات إلا بعد أن ترك فى كل مكتبـة ، بل وفى كل منزل (أضواء البيان) التى تبدّد الظلام ، وتهدى السبيل[(١)] .

وأما قـوله : (إيضاح) فيـعنى تَوَجُّه منهجـه إلى تلك الآيات التى يحتـاج فهمـها إلى الكشف والإبانة والإظهـار لإزالة ما يقع بها من إجـمال وإشكال وخـفاء ، وبَدَهِىٌّ أن تمثل هذه الآيات بعضَ القرآن وليس كلَّ القـرآن الذى يشتمل على غـير ذلك من الآيات الظاهرة والتى تمثل بعضه الآخر .

ومن هنا فإن عمل الشنقيطى إنما ينحصر فى تفسير بعض آيات القرآن وليس كلَّ آياته ، وهـذا مـا يؤكـده تلميذه الشـيخ عطـية بقوله : ينبغى أن يُعْلَم أن تفسيـر (أضواء البيان) ليس تفسيـرًا شاملاً لجميع القـرآن كما يظنه البعض مِمَّـنْ يتطلبون فيه تفسيـرَ كلِّ ما أُشْكِلَ عليهم[(٢)] .

وبهذا تتضح مدى موافقة كل من كلمة (أضواء البيان) وكذا كلمة (إيضاح) فى دلالتهما

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٩ (من المقدمة بتصرف يسير) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٨/ ٥ (الجزء الأول من التتمة بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم) .

على معنى (البعـضية) من حيث تَوَجُّه كل منهـما إلى بعض الآيات ، وليس كل الآيات ، وهذا ما التزمه الشنقيطى من خلال منهجه الذى طبَّقَه فى ثنايا تفسيره المختلفة .

٢ - مناسبة المقام :

وإعمالاً لما هو مـعلوم من أن (لكل مقام مقـال) لذا فإننا نجد الشنقيطـى لا يفتر عن أن يذكر لكل مـقام ما يناسـبه من التعظيم والإجلال ، والاحـترام والإكبـار ، وهذا ما تَجَلَّى واضحًا من خلال ذكره ربَّ العزة سُبحانه مقرونًا بتنزيهه جلّ وعلا بما يليق بجلاله وكماله ، ثم ذكره رسول الله ﷺ مقرونًا بالصلاة والسلام عليه ، ثم ذكره الصحابة والتابعين مقرونًا بالترضية عليهم أجمعين ، وأخـيرًا ذكره العلماء الأعلام ، والأئمة الأفذاذ ، من سلف هذه الأمة وخَلَفِهَا ، مقرونًا بالترحم عليهم والدعاء لهم .

٣ - الحُبُّ والخيرية :

لا يفتـأ الشنقيطى يدعو لخاصـة المسلمين وعامتـهم بكل خير ، ويتعـوذ من كل شر ، راجيًا الحق سـبحانه أن يُسَلِّمَهُ وإياهم من الفـتن ما ظهر منها وما بَطَن ، وأن يُـوفِّقَهُ وإياهم إلى الصواب والسَّدَاد ، وأن يَهْـدِيَه وإياهم سُبُل الرشاد ؛ وفى هذا ما فـيه من الدلالة على خيريتـه وحبه لأمته ما جـعله ينزع فى منهجه ما بين الحين والآخـر إلى الدعاء لأبنائها بكل خير ، وتعويذهم من كل شر .

٤ - لزوم المشيئة :

وانطلاقًـا مـن قـــول الله تعـالـى : ﴿ إِنِّي فَـاعِلٌ ذَٰلِكَ غَـدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَـاءَ اللَّهُ ﴾ الآيتان[1] يُلْزِمُ الشنقيطى نفـسه بتقديم المشيئـة بين يدىْ كل ما يَعتزم تناوله من تفـسير آيات قادمة ، أو كل ما ينتوى أن يَعْرِض له من قضايا مختلفة .

٥ - تفويض العلم لله تعالى :

لا يكاد يفرغ الشنقيطى من تفسير ما يَعْرِض له من الآيات ، أو ما يتناوله من القضايا ، فى شتى فنون العلم وفـروعه ؛ حتى يختم ذلك بخـاتمته التى لا تكاد تغيب عَمَّنْ يـتصفح تفسيره أو حتى يطالع فيه ، ألا وهى قوله : (والعلم عند الله تعالى) أو قوله : (والله تعالى أعلم) إلى غير ذلك مما يماثله فى المبنى والمعنى .

---

(١) الكهف : ٢٣-٢٤ (آيتان) .

٦ - رجاؤه عفو الله تعالى فيما يقول :

وأما الجملة الثانية التى لا يكاد الشنقيطى أن يتخلف عن ذكرها عن ثنايا تفسيره المختلفة فهى قوله دائمًا : (قال مقيده عفا الله عنه) أو قوله : (قال مقيده عفا الله عنه وغَفَرَ له) وذلك فى بَدْء ترجيح له ، أو رفع إشكال ، أو دفع توهم ، أو نقد رأى ، أو استنباط آخر، أو اجتهاد خاص به .

٧ - تحوطه من الرأى :

وقد جاء هذا كنتيجة حتمية لما عُرِفَ عنه من تورعه عن الفُتْيا وحذره منها ، إلا فيما دعتْ إليه الضرورة ، واقتضته الحاجة ؛ حتى إن المحيطين به من أبنائه وطلابه ومحبيه إذا أرادوا أن يستنطقوه بالفتوى فليس أمامهم من سبيل إلى ذلك إلا أن يتكلموا أمامه بالخطأ ؛ وعندئذ لا يجد بُدًّا من أن يفتى فيما سَمِع ، ويُصَوِّب ما قيل ؛ لأنه لا يُقِرُّ خطأً ولا يَسْكُتُ عليه اقتداءً فى ذلك برسول الله ﷺ .

ثم بعد أن يفتى مضطرًا نراه يَعْمَد إلى الإعذار إلى الله تعالى فَيُبَرِّىءُ ذِمَّتَه من خلال مخاطبة المحيطين به قائلاً : (هذا كلام العلماء ، أما أنا فلا أتحمل شيئًا منه فى ذمتى) كما كان يردد دائمًا قوله : (إن الإنسان فى عافية مادام بمنأى عن ابتلاء السؤال)[1] .

وهذا ما انعكس بصورة واضحة من خلال منهجه الذى سلكه فى ثنايا تفسيره المختلفة حيث تحوطه من الرأى وحذره منه ؛ وإزاء ذلك فإننا نراه بين أحد أمرين ، فإمّا أن يُقْدِم على الرأى مضطرًا إليه ، وإما أن يتوقف فيه إن لم تسعفه أدلته الشرعية ، أو تنهض به ضوابطه المعتبرة .

٨ - الرجوع إلى الحق :

ومما يُحْمَد للشنقيطى ويُحْسَب له رجوعه إلى الحق والتزامه به متى تَبَيَّن له ذلك ووقف عليه ، وهذا ما تَجَلَّى واضحًا من خلال منهجه الذى سلكه إزاء بعض القضايا التى عَرَضَ لها فى ثنايا تفسيره المختلفة كمسألتىْ : (الأشهر الحُرُم) و(زكاة الحُلِىِّ) حيث رجع فى الأولى عن قوله بنسخها إلى القول بأنها محكمة ، كما رجع فى الثانية عن قول مَنْ حَرَّمَ لبس الذهب للنساء وقت أن سأل رسولُ الله ﷺ المرأة اليمنية عن زكاته إلى القول بإباحة لبسه آنذاك ؛ لأنه ما كان لرسول الله ﷺ أن يَسْأل عن زكاة مُحَرَّم ولا يَسْكُت عليه[2] .

---

(١) الدر الثمين فى سيرة الشيخ الأمين : د. عبد الله الشنقيطى (محاضرة مسجلة) .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/٥٨ (من المقدمة) .

٩ - الأمانة العلمية :

لا يستنكف الشنقيطى عن اعترافه بعدم علمه فى بعض ما يَعْرِض له ، ومن ذلك ما صَرَّح به أثناء تناوله للأحدَ عشرَ لفظًا التى يشملها قوم الرجل والمتمثلة فى كل من : (الذرية - البنين - العَقِب - الولد - النَّسْل - الآل - الأهل - القرابة - العشيرة - القوم - الموالى) حيث يُرْدِف ذكره لها بقوله : ولم يحضرنى الآن تحديد يتميز به ما يدخل فى كل واحد منها وما يخرج عنه إلا على سبيل التقريب إلا لفظين منها وهما القرابة والعشيرة[1] .

بل قد تقتضيه أمانته العلمية لأن يذكر ما زاده من عنده أحيانًا فوق النص الذى ينقله عن غيره ، ومن ذلك ما صنعه فى مَعْرِض استشهاده ببيتٍ من الشعر أورده الزمخشرى فى تفسيره (الكشاف) حيث يقول الشنقيطى فى ذلك ما نصه : ومما ذكره الزمخشرى على طريقة قول زائد بن صعصعة الفقعسى :

إِذْ ما انْتَسَبْنَا لـم تَلِدْنِى لَئِيـمَةٌ ولم تَجِدِى مِنْ أَنْ تَقَرِّى بها بُدًّا

ثم يشير الشنقيطى بعد فراغه من هذا النقل بنصه عن الزمخشرى قائلاً : (أهـ. منه بلفظه، إلا أننا زدنا اسم قائل البيت وتكملته)[2] .

١٠ - توثيق نقوله :

حيث يُعْمَد الشنقيطى فى نهاية نقله عن غيره من علماء السلف والخلف إلى تصريحه بنهاية نقله نصًا عنهم كقوله مثلاً : (أ هـ. كلام السيوطى فى الإكليل)[3] أو تصريحه بنهاية نقله تلخيصًا عنهم كقوله مثلاً : (انتهى من التلخيص بلفظه)[4] .

وقد يصل به الأمر أحيانًا إلى تصويب ما قد يقع من أخطاء فيما ينقل عنه من مصادر ، ومن ذلك ما صنعه مثلاً فى مَعْرِض نقله عن ابن كثير فى (تاريخه) حيث يقول ما نصه : (واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من تاريخ ابن كثير التى هى من الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ فيها تحريف مطبعى فى الكلام الذى ذكرنا ، ففيها : محمد بن سعد بن حسان والصواب محمد بن سعيد لا سعد ، وفيها : عن معاذ بن بِشْر والصواب عن عبادة بن نَسِىّ)[5] .

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/٢٣٦ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/٣٨٥ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٣٤٥ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٥٢ .

(٥) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٦٠٠ - والسنة التى ذكرها الشنقيطى هنا هى بالتقويم الهجرى ، ويقابلها بالتقويم الميلادى عام ١٩٣٢م .

بل قد يبلغ به الأمر أحيانًا إلى ذكر المصدر الـذى ينقل عنه محدِّدًا عدد الصفحات التى رجع إليـها ، ومن ذلك مـا صنعه فى نقله عن شـيخ الإسلام (ابن تيـميـة) فى (مجـموع الفتاوى) حيث يقول مـا نصه : (ومِمَّنْ جزم بهذا أبو العباس ابن تيمية رحـمه الله فقد قال فى الجزء الرابع من مجـموع الفتاوى من صحيـفة خمس وتسعين ومائتين إلى صحـيفة تسع وتسعين ومائتين ما نصه : . . .)[1] .

١١- التأدب فى مواطن الخلاف :

ويُعَدُّ هذا التـأدب من أهم ما يميـز منهج الشنقيطى إزاء نقـده غيره من علـماء السلف والخلف أو خلافه مـعهم فى هذا الرأى أو ذاك ، وقد سبق أن عـرضنا فى ثنايا البحث إلى العديد من شواهد تأدبه هذا فى مواطن الخلاف ، ومنها مـثلاً : إجلاله الطبرى وذكر منزلته وعلو كعبه فضـلاً عن إمامته وريادته فى التفسير وذلك بين يدىْ خلافـه معه ، وكذا إجلاله الإمام أحمد بن حنبل والإشـادة بورعه وعبادته فضلاً عن ذَبِّهِ عن السُّنَّة وذَوْدِهِ عن حـياضها وذلك بين يديْ خلافه معه فى بعض الرأى .

بل إنه لم يترك تأدبه هذا حتى مع بعض المُحْدَثين الذين خاضوا فيه دونما حَدٍّ أو حَقٍّ ، ومنهم (أحمـد الصاوى) حـيث سَمَّاه فى مَـعْرِض رده عليه مـرتين ذكره فى الأولى منهـما بقوله: (الشـيخ أحمـد الصاوى) ثم كان أقـصى ما ذكره به فى المرة الـثانية أن قَلَبَ اسـمه فَحَسْب حيث قاله : (الصاوى أحمد المذكور)[2] .

١٢- نقاد لا نقال :

والناظر فى ثنايا تفسير الشنقيطى المختلفة ليـتضح له بجلاء أنه نَقَّادٌ بصير وليس نَقَّالاً أو حَـاطِبَ ليل ؛ حيث لا يَعْـمَد إلى النقـل دون النقد ، أو الجـمع دون التحليل ، وهذا مـا عـرضنا له من خلال نقـده كـلاً من : (المفسِّـرين - المُحَدِّثـين - الأصوليين - الفـقهـاء - المتكلمين - اللغويين - المؤرخين)[3] .

١٣- إعراضه عن الإسرائيليات :

ومما يُحْسَبُ للشنقيطى ذلك المنهج الذى سلكه إزاء إعراضه عن ذكر بعض الإسرائيليات

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٦/٤٢٦ .

(٢) راجع تفصيل ذلك ص ٦٨٧-٦٩٣ من هذا البحث .

(٣) راجع تفصيل ذلك ص ٧٠٥-٧٦٧ من هذا البحث .

التي لا جـــدوى منها ولا طائــل وراءها ، ومن ذلك (اسم ولـون كلب أصحاب الكهف) و (اسم الغلام الذى قتله الخضر وأنكر عليه مـوسى قتله) و (خشب سفينة نوح وكم طولها وعَرْضُها) إلى غير ذلك مما لا فائدة فى البحث عنه ، ولا دليل على التحقيق فيه .

أما تلك الإسرائيليات التى تتـعلق بأصول هذا الدين وحدوده ، أو تمس رسول الإسلام ﷺ وعصمته ؛ فإن الشنقيطى ينبرى للرد عليها مبينًا سقوطها وحاكمًا ببطلانها من خلال أدلته الشـرعية ، ووَفْقَ ضـوابطه المعتبـرة ، ومن أشهرها (قـصة الغرانيق) التى عَـرَضْنا لها بالتفصيل فى موضعها من البحث[1] .

١٤- الاستنباط والاجتهاد :

وتأتى استنبـاطات الشنقيطى واجتـهاداته لتمثـلان المحورين الثانى والثالث بعـد المحور الأول المتمثل فى انتـقاداته ، حيث تقوم على هذه المحاور الثلاثة السِّـمَةَ الأولى من سِمَات منهجه فى التفسـير والمتمثلة فى (التحليل لسائر ما يَعْرِض له) بعد سِمَـتَيْه الأوليين المتمثلتين فى (الجمع بين المأثور والمعقول) ثم (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) .

وبهذا يُتَوِّج الشنقيطى منهجه بجملة هذه الاسـتنباطات وتلك الاجتهادات التى تُعَدُّ ثمرة علمه ، ونتاج فكره ، وهذا مما يُحْسَب له ، ويُثْرِى منهجه الذى بَثَّهُ ثانيا تفسيره المختلفة .

١٥- عزمه على إكمال التفسير :

وأخيـرًا فإن مما يُحْمَـد للشنقيطى ويُحْـسَب له ذلك العزم الذى بدا واضحًـا من خلال تصريحه برغـبته الملحة ورجائه من الله تعـالى أن يُطيل عمره وأن يُحْسِن خاتمتـه حتى يختم تفسير القرآن كله ، غير أن المنية قد اختـرمته دون أن يُدْرِك ما أراد حيث انتهى تفسيره بنهاية سورة (الحَشْر) وبها ينتهى الجزء (السابع) من (أضواء البيان) .

وفى هذا ما فيه من حـرص الشنقيطى على اطِّرَاد منهجه ، وتطبيق طريقـته ؛ ما جعله يتمنى أن تكون خـاتمته ، بختام تفـسيره لكامل القـرآن من مبدئه إلى منتهـاه ؛ وذلك حتى يَتَسنَّى للناظر فى تفسيـره أن يقف على منهجه فى أى موضع منه متى تَيَسَّر وكـيفما اتفق له هذا ، بقطع النظر عن أن يبدأ بأول التفسير ثم ينتهى بآخر ما وقف عليه الشنقيطى .

ولإدراك هذا الهدف ، وبلوغ تـلك الغاية ؛ نهض الشيخ عطـية محـمد سالم بإكـمال تفسيـر شيخه الشنقيطى فـيما أسماه بـ (تَتِـمَّة أضواء البيان) والتى تـقع فى الجزأين (الثامن

(١) راجع تفصيل ذلك ص ٦٩٧-٧٠٤ من هذا البحث .

والتاسع) وهو إن كان قد صرَّح غير مرة بأنه لن يستطيع أن يكون كشيخه من حيث المنهج ، إلا أنه يكيفه أنه حاول الاقتراب منه قَدْرَ إمكانه وَوُسْعَ طاقته ؛ خاصة وأنه استعان بكثير من الآيات التى فسَّرها شيخه فى ثنايا تفسيره المختلفة مما لم يفسره فى الجزأين (الثامن والتاسع) وحسبنا أن نشير من هذه الآيات إلى آيات سورة (الناس) وهى آخر سور القرآن الكريم والتى عَرَضَ لها الشنقيطى من خلال تفسيره لسورة (هود)[1] .

المسألة الثانية

مـــا يُحْسَـــبُ علــــيه

وتتمثل جملة هذه الملاحظات المنهجية التى يمكن أن تُحْسَبَ على الشنقيطى فيما يلى :

١ - عدم موافقة بقية عنوان التفسير :

ونعنى بذلك عدم موافقة قول الشنقيطى (القرآن بالقرآن) فى دلالته على مضمونه الذى لم يلتزم تطبيقه على مدار منهجه فى ثنايا تفسيره المختلفة .

لأن هذا يفيد بذاته معنى الحصر والقصر ؛ حيث يُفْهَمُ من هذا التركيب أن الشنقيطى إنما أراد أن يَلْفِتَ الانتباه إلى أنه سيقتصر فى تفسيره هذا على تفسير القرآن بالقرآن فقط دون غيره ، وهذا ما لا يمكنه الالتزام به ، ولا يستطيع له .

ومن ثم ؛ فإنه تَرِدُ على استخدام الشنقيطى لهذا المصطلح ومدى التزامه به بعض الملاحظات التى يمكن أن نرصدها فيما يلى :

- الملاحظة الأولى (لا وجه لهذا التحديد) :

إنّ قصر الشنقيطى تفسيره على القرآن بالقرآن كما حدده بالمدلول الذاتى لهذا المصطلح، إنما يُعَدُّ حصرًا وتضييقًا لا وجه له ؛ ومن ثم فهو مردود من وجهين :

الأول : من المُحَال أنْ يقتصر أىُّ مُفَسِّر فى تفسيره للقرآن على القرآن وحده ؛ ذلك لأن القرآن كله لم يفسِّر نفسَه بنفسِه من مبدئه حتى منتهاه ، وإنما فَسَّرَ بعضُهُ بعضًا ، ثم ليبقى الكثير منه بعد ذلك بحاجة إلى تفسيره بغيره ، ونعنى بغيره أى السُّنَّة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ثم آثار صحابته وتابعيه من السلف الصالح ﷺ وهو ما يعرف بـ : (التفسير بالمأثور) هذا بالإضافة إلى تفسيره بما صَحَّ عن تابعى التابعين ومَنْ بَعْدَهم من علماء

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/٨-٣/ ٥٠ .

الأمة ، على اختلاف أعصارهم ، وتعدد أمصارهم ، إلى يومنا هذا ، بل وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها ، وهو ما يعرف بـ : (التفسير بالرأى) .

الثاني : لم يتفق هذا التحديد لغير الشنقيطى من مفسرىّ الأمة على امتداد مسيرة التفسير ، بمراحله العديدة ، وأطواره المختلفة ، فلم نعهد أحدهم وقد قصر تفسيره على القرآن بالقرآن فحسب ، وإنما نراهم وقد وسموا تفاسيرهم بما يشير إلى اتساع مجال التفسير ليشمل تفسير القرآن بالقرآن وبغير القرآن من المأثور والرأى ، ودون أن يقعوا فى هُوَّة هذا الحَصر ، أو يتقيّدوا بإسار هذا التحديد ، والذى ألزم الشنقيطىٌّ به نفسه ، دونما أدنى مبرر، وفى غير ما إلزام .

- الملاحظة الثانية (عدم الالتزام بهذا التحديد) :

وعلى الرغم من تحديد الشنقيطى لمساره الذى قصره على تفسير القرآن بالقرآن كما جاء فى عنوان تفسيره ؛ إلا أنه لم يلتزم ذلك فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ حيث نجده يفسّر القرآن بالقرآن وبغير القرآن من المأثور والرأي ، على غرار غيره من المفسرين السابقين واللاحقين ، الذين سلكوا ذات السبيل ، وساروا على نفس الدرب .

وبناءً عليه ؛ فلم يلتزم الشنقيطى بما ألزم نفسه به من قصر تفسيره على القرآن بالقرآن لا غير ؛ وأنَّى له أو لغيره أنْ يَقْدرَ على ذلك ، أو يستطيع له ؟ ! .

- الملاحظة الثالثة (رَدُّ الحَمْلِ عَلَى الأَغْلَب) :

ولئن قيل : إنّ الذى حَمَلَ الشنقيطىّ على تضمين عنوان تفسيره ذلك المصطلح المحدد بقوله : (القرآن بالقرآن) إنما هو قصده فى الإشارة إلى أن الأغلب والأَوْلَى فى تفسيره هو تفسير القرآن بالقرآن ذاته ؛ غير أن هذا مردود من وجهين :

الأول : أن هذا المصطلح المحدد موهم بخلاف مراده فى ذلك ؛ حيث إن قوله : (القرآن بالقرآن) لا يفيد سوى الحصر والتحديد .

الثاني : لم يَعْمَد الشنقيطى إلى رفع هذا الإيهام بالتنبيه عليه فى مقدمة تفسيره ؛ وليقطع بذلك معنى القصر ، وينفى به معنى الحصر ، الحادث فى قوله : (القرآن بالقرآن).

- الملاحظة الرابعة (ضَرْبٌ من السَّجْع الموهِم) :

ولم يَبْقَ لنا إلا أنْ نرجح أنّ الذى حَمَلَ الشنقيطى على ذلك التحديد ، وقاده إلى هذا الحصر ، إنما هو رغبته فى تحقيق السَّجْع) بين طرفىْ عنوان تفسيره ؛ ليوافقَ الطرفُ الأوّلُ فى قوله : (أضواء البيان) طرفَه الثانىَ فى قوله : (القرآن بالقرآن) .

ولئن كان السَّجْعُ أمرًا غير معيب ، بل قد يكون مندوبًا إليه عند كثير من قدامى العلماء ومحدثيهم ، على ما جرت به العادة على اتباعهم ذلك فى تفاسيرهم وتصانيفهم .

إلا أنّ هذا السَّجْع يصير مردودًا ولا وجـه له بحال ؛ إذا ما أدى إلى خلاف المراد منه ، أو حتى التباس الفهم بشأن المقصـود به ، وهو ذات ما وقع فيه الشنقيطى بهذا السَّجْع الذى يوهم بخلاف مراده من تفسيره .

- **الملاحظة الخامسة (صَنِيعُ غيره من المفسِّرين) :**

ينقسم المفسرون إزاء وقوعهم من عدمه فى تحديد تفاسيرهم وقصرها على القرآن بالقرآن إلى فريقين :

أ – الفرق الأول (المُعَمِّمُون) :

وهولاء لم يقيّدوا عنـاوين تفاسيرهم بقصـرها على تفسير القرآن بـالقرآن ، ولم يلزموا أنفسهم حصرها فيه .

ولخروجهم من هذا التحديد فـقد لجأ بعضهم إلى تضمين عنوان تفسيره مـا يفيد عموم التفسير بالقرآن وغيره ، كإضـافتهم لفظ (جامع) أو (الجامع) أو (مَجْمَع) ومن أمثلة ذلك : (جـامع البيـان) للطبـرىّ ت (٣١٠ هـ = ٩٢٧م) – (الجامع لأحكـام القرآن) للقـرطبىّ ت (٦٧١هـ = ١٢٧٣م) – (مجمع البيان) للطبرسىّ ت (٥٤٨هـ = ١١٥٣م) .

فى حين لجأ بعـضهم الآخر إلى استـعمال بعض الألفاظ التى تدل بذاتهـا على الاتساع والشمول مثل (المحيط) و (البحر) و (النهر) ومن أمثلة ذلك : (البحر المحيط) و (النهر المادّ من البحر) وكلاهما لأبى حيان الأندلسى ت (٧٥٤ هـ = ١٣٥٣م) .

أما أغلب المفسِّـرين وأكثرهم فقـد تركوا عناوين تفاسيرهم علـى إطلاقها لتفيـد العموم والشمول بـذاتها ، ومن أمثلة ذلك (الكشف والبيـان) للثعلبى ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦م) – (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ت (٧٧٤هـ = ١٣٧٣م) .

ب – الفريق الثانى (المُحَدِّدُون) :

وهؤلاء قد وقعوا فيما وقع فيه الشنقـيطى ، من حيث قصر عناوين تفاسيرهم وحصرها فى تفسـير القـرآن بالقرآن ؛ ومن ثم فإنه يُرَدُّ علـى صنيعهم هذا بمثل مـا رُدَّ به على صنيع الشنقيطى من قبل .

وهؤلاء المفـسِّرون وإنْ كـانوا قِلَّةً ؛ إلا أننا نُمَـثِّلُ لهم بكل من : الشـيخ عبـد الكريم

الخطيب ، والدكتور حسن عزِ الدِّين الجمل ، حيث وَسَمَ كلاهمـا تفسيره بعنوان : (التفسير القرآنى للقرآن)[1] .

٢ - النقص والتداخل فى صياغة المنهج :

عَرَضَ الشنـقيطى فى مقـدمة تفـسيـره لمنهجه الـذى يعتزم أن يسلـكه فى ثنايا تفسـيره المختلفة، غير أن ما نَصَّ عليه فى المقدمة لا يُعَبِّـر عما التزمه فى سائر التفسير ؛ الأمر الذى تأدَّى عنه نقص وتداخل هذا المنهج من حيث صياغته والإبانة عنه .

فالذى ذكـره الشنقيطى يتمـثل فى أنه سيُبَيِّن القـرآن بالقرآن ملتزمًـا فى ذلك بالقراءات العشر ، إضافة إلى بيان الأحكام الفقهية بأدلتها من السُّنة وأقوال العلماء فى غير ما تعصب مذهبى ، ثم تحقيق المسائل اللغـوية ، وكذا الاستشهاد بشعر العرب ، مع تحـقيق ما يُحْتَاج إليه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث[2] .

وبإنعام النظر فيمـا ذكره الشنقيطى وَفْقَ هذا الترتيب يتبين لنا مدى افتـقار هذه الصياغة إلـى كثيرٍ مِمَّا طَبَّـقَه فـى ثنايا تفسيره دون أن يشير إليه أو يـدرجه ضمن صـياغته لمنهجه المذكور ، ومن ذلك تفسيره للقرآن بآثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم تفسيـره كذلك بالرأى عندما تدعـو إليه الضرورة وتقتـضيه الحاجة ، وذلك مـن لدن عصر الاستشـهاد بتابعى التابعين وحـتى عصره الذى يعيش فيـه بما في ذلك علم الكلام والتاريخ والسِّيَر ، إضـافة إلـى رأيـه الذاتى واجتهاده الخـاص على نحو ما فصّلناه فى مـوضعه من البحث .

وفضلاً عن هذا الافتقار فإننا نلاحظ ذلك التداخل الحادث فى صياغته لهذا المنهج حيث كان الأَحْرَى به أن يبدأ بتـفسير القرآن بالقرآن ثم بالسُّنة ثم بيانه الأصـول ثم الفقه ثم اللغة خلافًا لترتيبه الذى ذكره فى مقدمته آنفًا .

(١) راجع فى ذلك كلاً من :

- التفـسيـر القرآنى للقرآن : عـبد الكريم الخطيب ت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م) - الـقاهرة - (بدون بيانات) .
- التفسير القرآنى للقرآن : د. حسن عزِ الدِّين الجمل - طبع الدار الفنية - القاهرة - ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ١/ ٦٧-٦٨ (من المقدمة) .

٣ - الإطالة والاستطراد:

يستطرد الشنقيطى أحيانًا فى مَعْرِض تفسيره لبعض الآيات بما يرقى لأن يكون بحثًا أصوليًا أو فقهيًا مستقلاً ومن ذلك مثلاً نذكر ما يلى :

• ففى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ الآية[١] نراه يتحدث عمَّا يَحِلُّ ولا يَحِلُّ من المطعومات من لحوم وغيرها بما يبلغ (٣٢) صفحة[٢] .

• وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية[٣] نراه يتحدث عن (الغنيمة والفىء بما يبلغ (٥٢) صفحة[٤] .

• وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الآية[٥] نراه يتحدث عن (هُدَى القرآن للأقوم) بما يبلغ (٥٠) صفحة[٦] .

• وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الآية[٧] نراه يتحدث عن (القتل والقصاص وما يتعلق بهما من أحكام) بما يبلغ (٧٧) صفحة[٨] .

• وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[٩] نراه يتحدث عن (القياس والاجتهاد) بما يبلغ (٧٦) صفحة[١٠] .

• وفى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ الآية[١١] نراه يتحدث عن (الاجتهاد والتقليد) بما يبلغ (١٥٥) صفحة[١٢] .

---

(١) الأنعام : ١٤٥ .

(٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٢٤٦-٢٧٧ .

(٣) الأنفال : ٤١ .

(٤) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٣٥١-٤١٣ .

(٥) الإسراء : ٩ .

(٦) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٤٠٩-٤٥٧ .

(٧) الإسراء : ٣٣ .

(٨) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٩٩٤-٥٧٦ .

(٩) الأنبياء : ٧٨-٧٩ (آيتان) .

(١٠) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ٥٩٦ - ٦٧٢ .

(١١) سورة محمد ﷺ : ٢٤ .

(١٢) أضواء البيان : الشنقيطى ٧/ ٤٢٨-٥٨٣ .

- بل إن أمر الإطالة والاستطراد قد بلغ بالشنقـيطى إلى الحد الذى جعله يوقف (الجزء الرابع بكامله) على (تفسير سورة الحَجِّ وحدها) حيث استغرقت (٧٢٧) صفحة[١] .

والشنقيطى فى هذا كـله ليس بِمَعْزِلٍ عن إحـساسه بإطالتـه واستطراده ؛ والدليل على ذلك تصريحه فى كثير من الأحيان بهما ، وتنبـيهه القارىء إليهما ، كقوله مثلاً : (ولنكتف بما ذكرنا مـن الأحكام التى تتعلق بهـذه الآية الكريمة خوف الإطالة المُملَّة) وذلك فـى نهاية تفسيـره لقول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية[٢] .

وتفاديًا لهذه الإطالة المُملَّة على حد تعبيره فقد يلـجأ إلى الاختصار كقوله مثلاً : (وقد جاءت فى ذلك قصة مُطَوَّلَة ملخصها : . . .) وذلك فى مَـعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الآيتان[٣] .

وقد يلجـأ أحيانـًا أخرى إلى الإحالة على المصـادر المُوَسَّعَـة كقوله مـثلاً : (ومَنْ أراد الاطلاع فعليه أن ينظر كتب فروع المذاهب) وذلك فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالـــــى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الآية[٤] .

٤ - التفريع :

وإزاء بيان سائر ما يتعلق بالآية من حِكَمٍ وأحكام يلجأ الشنقيطى إلى التعقيب على هذه الآية أو تلك بعد فراغه من تفـسيرها ، وذلك من خلال انتهاجه أسلـوبًا من التفريع يشمل عشـرة أنواع تمثلت فى كل من : (الفصـول - المسائل - الفروع - القـضايا - التنبيـهات - الأسئلة - الأمور - النقاط - الجوانب - الوجوه) .

وهذا التفـريع يتأدَّى عنه بالضـرورة نوع من الاستقـصاء والإطناب والتفـصيل مما ينأى بالقارىء عـن موضوع الآية لِيَـجُرَّه إلى جـملة غيـر قليلة من الأقوال والآراء ، فـضلاً عن المناقشات والترجيحات التى تُنَسِّيه ما هو بصدد طلبه أو النظر فيه ، وذلك على مدار التفسير كله .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٤/ ١-٧٢٧ (الجزء الرابع بكامله) .

(٢) الأنفال : ٤١ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٢/ ٤١٣ .

(٣) الأنبياء : ٧٨-٧٩ (آيتان) - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٤/ ٥٩٨ .

(٤) الزخرف : ٢٨ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٧/ ٢٣٥ .

٥ - التكرار :

وقد يلجأ الشنقيطى أحـيانًا أخرى إلى إعادة وتكرار تفسير مـا سبق أن فسَّره من الآيات المماثلة للآية التى يَـعْرِض لها ، وأكثـر ما يقع منه ذلك فى تفسـيره للقرآن بالقـرآن وهو ما سبق أن عَرَضْنَا له بالتـفصيل فى موضعــه من البحث من خلال (تفسيـر الشنقيطى بالمأثور) وذلك ضمن (جمعه فى تفسيره بين المأثور والمعقول) .

٦ - الغموض :

ونعنى به إعراض الشنقـيطى عن شرح المفردات اللغـوية الغامضـة ؛ الأمر الذى يؤدى بدوره إلى استشكال فهـمها على القارىء ، ومن ثم عدم وصوله إلى وجه الصـواب فيها ، وليس أدَلَّ على ذلك من (حديث الـدَّجَّال) الذى احتوى على سـبعة وعـشرين (٢٧) لفظًا غامضًا كلهـا بحاجة إلى الشرح وبيان المعنى وهو ما سبق أن عَـرَضْنَا له بالشـرح والتفصيل فى موضــعه من البـحث من خلال تناولنا (جمع الـشنقيطى فى تفسـيره للقـرآن بين القرآن والسُّنَّة) .

هذا بالإضافة أيضًا إلى عــدم تناوله للمفردات الشعرية الغامـضة بالشرح وبيان المعنى ، الأمر الذى يتأدَّى عنه التبـاس فَهْم القارىء فضلاً عن عدم وضوح الشـاهد بالنسبة إليه فــى مَحَلِّ الاستدلال به ، وذلك على مدار شواهد الشنقيطى الشعرية فى ثنايا تفسيره المختلفة ؛ وهذا ما حملنا على شرح بعض تلك المفردات التى استشهـدنا بها فى مواضعها المختلفة من البحث .

٧ - مآخِذ عزْوِه وتوثيقه :

وتتراوح هذه المآخـذ بين الخطأ فى العزو والتـوثيق ، ثم العزو دون تحـقيق أو توثيق ، وأخيرًا عـدم العزو والتوثيق بالكليـة ، وفى الأمثلة التاليـة تنبيه بها على غـيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

● الخطأ فى عزو ونسبـة بعض الأقوال إلى أصحابها مثل الخطأ في عـزو قول المَيُورْقِىّ إلى السَّخَاوِىّ ، ونعنى بذلك قوله : (مَنْ وَرَّخ مؤمنًا فكأنما أحياه) وقد عَرَضْنَا لتحقيق ذلك من خلال تمهيدنا لترجمة الشنقيطى .

● العزو دون التوثيق مثل عزوه القول بأن (شعيب هو صِهْر موسى) إلى الحنابلة ، غير

أنه لم يوثق هذا العزو حيث اكـتفى بالإشارة إلى أنَّ صِهْر موسى قد يكون واحـداً آخر غير شعيب دون أن يُحَقِّق ذلك[1] .

● أما إعـراضه عن العزو والتوثيق بالكليـة فهذا مما يكثـر فى ثنايا تفسيره المخـتلفة ، ويشمل كثيراً من الأقوال والآراء ، فضلاً عن النظوم والأشعار .

٨ - مآخذ إيراده للآيات :

وتتمثل هذه المآخذ فى كل من : (الخطأ - عدم الترقيم - عدم التخريج - عدم الترتيب - عدم المنهجية) وفى الأمثلة التالية تنبيه بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

● فمن أخطاء الآيات ذلك الخطأ الذى تكرر مرتين فى قـوله : (ثم هم) وصوابه قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُون ﴾ الآية[2] .

● ومن عدم تـرقيم الآيات التى يَعْـرِض لها بالتـفسيـر جمـيع الآيات التى وردت فى تفسيـره عدا الجزء الرابع منه حيث التـزم بترقيم جميع آياته فى سـورها الأربع التى شملت (الكهف - مريم - طه - الأنبياء) .

● ومن عدم تخـريج الآيات التى يَعْرِض لهـا بالتفسـير جمـيع الآيات التى وردت فى تفسيره عدا آيات الجزء الرابع أيضًا .

● ومن عدم التـزامه بالترتيب المصـحفى للآيات الى يسوقهـا ليفسِّـر بها الآية المطلوبة جمـيع الآيات التى وردت فى تفسـيره ، مع الأخذ فى الاعـتبار أنه قـد يُخَرِّج بعضـها فى سورها أحيانًا.

● ومن عدم المنهـجية عدم تناوله لكثيـر من القضايا فى أول موضع لـها من القرآن ، ومثال ذلك إعـراضه عن تناول الحروف المقطعة فى (أول سورة البقـرة) بل تجاوز أيضًا أوائل كل من (آل عمـران - الأعراف - يونس) ولم يَعْرِض لهـا إلا فى (أول سورة هود)[3] وقد سبق أن فصَّلنا القـول فى ذلك من خلال حديثنا عن (علوم القرآن) ضـمن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) فى تفسيره .

---

(١) أضواء البيان : الشنقيطى ٢/ ٧٠ .

(٢) الذاريات : ١٣ - وانظر (أضواء البيان) : الشنقيطى ٦/٤٠٧ .

(٣) أضواء البيان : الشنقيطى ٣/ ٣-٧ .

٩ - مآخذ إيراده للأحاديث :

وتشمل هذه المآخـذ كلاً من : (الخطأ فى الحكم على الحديث - الخطأ فى التـخريج - نقص التخريـج - عدم التخريج - عدم ترتيب الروايـات) وفى الأمثلة التالية تنبـيه بها على غيرها مما فى ثنايا تفسيره المختلفة ، وذلك على النحو التالى :

● فمن الخطأ فى الحكم على الحديث حكمـه بالضعف على قول مَنْ قال : (إن الرؤيا التى أراه الله تعالى إياها هى رؤياه فى المنـام بنى أمية على منبره ﷺ وإن المراد بالشـجرة الملعونة فى القرآن بنـو أمية) بيد أن هذا القول لا أصل له من الصـحة ، وليس ضعيفًـا كما حكم عليه الشنقيطى ، وقد عَرَضْنَا لتفـصيل هذا من خلال تناولنا لـ (علوم الحديث) ضمن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) فى موضعه من البحث .

● ومن الخطأ فى التخريج تخريجه لحـديث رسول الله ﷺ الذى يبشر فيه بـ : «أن نصف أمتـه سيدخلون الجنة» حـيث أخطأ فى (الكتاب) و (البـاب) اللذين ورد تحتهـما هذا الحديث فى (صحيح البخارى) .

● ومن النقص فى التخريج تخريجه لإحدى روايات الحديث السابق بذكره (الكتاب) و (بعض من الباب) دون ذكر بقية بابه الطويل الذى أورده تحته البخارى فى صحيحه .

● ومن عدم التـخريج إعراضه عن تخـريج بعض الأحاديث الذائعة كـقول رسول الله ﷺ : «أُمِرْت أن أقـاتل الناس حتى يشـهدوا ألا إله إلا الله» وكـذا إعراضه عـن تخريج بعض الأحاديث غير الذائعة كقول رسول الله ﷺ : «مَنْ أَعتَقَ شِركًا له فى عَبْد» .

● ومن عدم ترتيبه للروايات وَفْقَ ترتيب كتبهـا وأبوابها التى وردت تحتها فى مصادرها من كتب السُّنة المختلفـة ذات الحديث الذى يبشر فيه رسـول الله ﷺ بـ : «أن نصف أمته سيدخلون الجـنة» حيث خرَّجه فى (كتـاب التفسيـر) ثم (كتاب الرِّقاق) ثم (كـتاب أحاديث الأنبيـاء) وذلك بخلاف ترتيب البـخارى لهذه الـكتب فى صحيـحه والتى بدأها بـ (كـتاب أحاديث الأنبياء) ثم (كتاب الرِّقاق) وأخيرًا (كتاب التفسير) .

هذا ، وقد عَرَضْنَا بالتـفصيل لكل من : (الخطأ فى التخـريج - النقص فى التخريج - عـدم التـخريج - عـدم ترتيب الروايات) مـن خـلال تعـقيبنا علـى (علـــوم الحـديث) ضمـن (التأصيل للعلوم العربية والإسلامية) فى موضعه من البحث .

١٠- مآخذ إيراده للأحكام :

ومن ذلك ما وقع منه فى مَعْرِض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية[1] حيث يرد تأويل أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بعـدم سماع الموتى لمخالفته النصوص الصريحة من الكتاب والسُّنة ، ثم يُعَـقِّبُ على ذلك قائلاً : (وهذا التأويل لا يجب الرجوع إليه) .

فقوله : (لا يجب) ليس دقيقًا فى الدلالـة على مراده ؛ لأنه يُوهِمُ باحتمال (الجواز) أو (الندب) ومن ثم فقد كان من الأنسب أن يقول : (لا يصح) بدلاً من (لا يجب) لقطع هذا التوهم المحتـمل ، وهذا ما عَرَضْنَا له بالتـفصيل من خلال تعقـيبنا على (تفسيـر الشنقيطى للقران بالآثار) ضمن (جمعه فى التفسير بين المأثور والمعقول) فى موضعه من البحث .

---

(١) النمل : ٨٠ .

ونعنى بهذه النتـائج أهَمَّ ما تَمَخَّضَ عنه البـحث من جوانب الأصَالة أو جـوانب الجِدَّة التى يَتَّسِمُ بها هذا الـتفسير ومنهج الشنقـيطى فيه ، والتى تتمثل بدورهـا فى النتائج الثلاث التالية :

النتيجة الأولى

الأصالــة المنهجـيـة

وتتمـثل هذه الأصالة المنهجـية فى موافقـة الشنقيطى لمنهج سَلَف هذه الأمة فـضلاً عن خَلَفِها من العلماء المحققين والمفسِّرين المعتبرين الذين يُجْمِعُون على أنّ أشرفَ وأَجَلَّ ما يُفَسَّر به القرآن هو القـرآن ذاته إذ لا أحد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ من الله عزّ وجلّ ، ثم تفـسير القـرآن بسُنّة رسول الله ﷺ إذ لا أحـد أعلم بكلام الله عـزّ وجلّ بعد الله عـزّ وجلّ من رسول الله ﷺ وأخيراً تفسير القرآن بما صَحَّ من آثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين إذ لا أحـد أعلم بكلام الله عزّ وجلّ بعد رسول الله ﷺ من الصـحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلكم ما يُعْرَف بـ (التفسير بالمأثور) .

وبعد ذلك يأتى تفـسير القرآن بما صَحَّ من أقـوال العلماء من لدن عصـر تابعىْ التابعين وإلى أن يرث الله تعـالى الأرض ومَنْ عليـها ، وذلـكم ما يُعْـرَف بـ (التـفـسيـر بالرأى أو بالمعقول) .

وهذا ما سار عليـه الشنقيطى والتزمه فى ثنايا تفـسيره المختلفـة حيث جمع بين (المأثور والمعقول) فى مَعْرِض ما يتناوله من الآيات بالتفسير ؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما أو الاستغناء بأحدهما عن الآخر بحال ، وهو مـا يشهد به واقع التفسير فضلاً عمـا عليه عمل المفسِّرين على امتداد مسيرة التفسير وعبر مراحله وأطواره المختلفة .

وتلكم هى أصالة المنهج التى يؤكـدها شيخ الإسلام ابن تيمـية فى كتابه : (مـقدمة فى أصول التفسير) والتى عَرَضْنَا لها بالتفصيل من خلال حديثنا عن (جمع الشنقيطى فى تفسيره بين المأثور والمعقول) وذلك فى موضعه من البحث .

النتيجة الثانية

الاتجـــاه الأصــولى

يُبَـشِّرُ مَـسْلك الشنقيطى فى تـفسـيره بميـلاد اتجاه جـديد يمكن أن نطلق عليه (الاتجـاه الأصولى فى التـفسيـر) والذى يقوم فى الغـالب على استخـدام مصطلحـات علم الأصول

وتوظيف قواعده المختلفة ، كما يُشكِّلُ أسلوب علمـاء الأصول سُدَاتَه ولُحْمَتَه فى معظم ما يتناوله من المباحث الشرعية ، وجُلّ ما يَعْرِض له من المسائل العلمية .

وليس أدَلّ على تأثر الشنقيطى بهذا الأسلوب الأصولى الذى يَسْرِى بوضوح وجَلاء فى ثنايا تفسيره المختـلفة من ذلك التناول الذى يبدؤه بالاستقراء والاستقـصاء ، ثم يُرْدِفُه بالسَّبْر والتقسيم ، ويختمه فى النهاية بالتحليل والاستنتاج .

ويأتى هذا التأثر الأصـولى كنتيـجة حتـمية وردِّ فِـعْلٍ بَدَهِى لنشأته العلمـية على علم الأصول وتضلعه منذ مرحلة الطلب من مباحثه العديدة وقواعده المختلفة ، وذلك من خلال توفره على المصـدر الأصولى الأول بالنسبة إلـيه خاصة ، وغـيره من طلاب العلم فى بلاده عامـة ، وهو المعروف بـ (مَـرَاقِى السُّعُـود) مع شرحـه المعروف بـ (نَشْـر البُنُود) وكـلاهما للأصولىّ الكبير عبد الله العلوىّ الشنقيطى .

وهذا ما دَفَعَ الشنقـيطىَّ لأن يُوَجِّهَ اهتـمامه الخاص ، ويُولِـىَ عنايته الفائقـة لشرح هذا المصدر الأصولى المنـظوم ، بقصد تبسيط مـباحثه وتقريـب مطالبه لطلاب العلم من المعنيين بهذا الفن خاصة فضلاً عن غيـرهم من المعنيين بعلوم الشرع عامة ، وذلك من خلال شرحه الموسوم بـ : (نثر الورود علي مراقى السُّعُود) وهـم ما سـبق أنت عَرَضْنَا له بالتفصيل ضمن حديثنا عن (مؤلفات الشنقيطى المطبوعة) فى موضعها من البحث .

وهكـذا يَـصُبُّ هذا الاهتـمـام وتؤول هذه العنايـة إلى تأثر الشنقـيطى الـواضح بعلم الأصول واتِّبَـعه البَـيِّن لأساليب الأصـوليين فى تناول شتى المبـاحث الشرعيـة ، ومعـالجة مختلف المسائل العلمية ؛ وهو مـا يؤكد بدوره ما سبق أن أشرنا إليه من أن هذا المَسْلَك من الشنقيطى فى تفسيره إنما يُبَشِّر بميـلاد اتجاه جديد يمكن أن نطلق عليه : (الاتجاه الأصولى فى التفسير) .

النتيجة الثالثة

الموسوعـة التفسيريّـة

يُعَدُّ تفـسيـر الشنقيطى الموسـوم بعنوان : (أضـواء البيـان فى إيضاح القـرآن بالقرآن) أضخمَ أعمـاله المطبوعة وأدَلَّهَا على الشمـول والموسوعية ، وهو ما يبدو واضـحًا جليًا من خلال اسـتقرائه واستـقصائه ثم تحليـله واستيعـابه لأقوال المفسِّرين المعتبـرين وآراء العلماء المحققين على امتداد مسيرة التفسير وعبر مراحله المختلفة من لدن عصر تابعى التابعين وحتى عصره الذى يعيش فـيه ، وقد ساعده على ذلك تَأخُّرُهُ ومعـاصرتُه مما يَسَّرَ له الاطلاع على

سائر ما كـتبه المفسِّرون قبله خـاصة ، فضلاً عمـا أنتجته قرائح غيـرهم من العلماء المعنيين عامة .

وإن نظرة فاحصـة إلى هذا الكَمِّ الهائل من المصادر المختلفة التى حـشدها الشنقيطى فى تفسيره لتؤكد ذلك الشمول وتبـرهن على تلك الموسوعية ، حيث بلغت هذه المصادر مائتين وخمسة وأربعين (٢٤٥) مصدرًا جاءت مُصنَّفَةً وَفْقَ الجدول الإحصائى التالى :

م	المصـــــــــدر	العدد
١	كتب التفسير وعلوم القرآن	٢٤٠
٢	كتب السُّنة وعلوم الحديث	٧٤
٣	كتب الفقه وأصوله	٦٢
٤	كتب العقيدة وعلم الكلام	١٢
٥	كتب العربية وعلومها	١٨
٦	كتب التاريخ والسِّير	١٦
٧	كتب العلوم المختلفة	١٠
٨	الكتب المُبْهَمَة	١٩
٩	كتبه الخاصة	٨
١٠	الأقوال العديدة	١
١١	الأشعار العديدة	١

وإذا ما أخـذنا فى الاعتبـار تكرار كل نوع من هذه المصادر بما يَنِدُّ عن الحـصر فى ثنايا تفسيره المختلفـة ، فضلاً عن تعدد الأقوال والأشعار التى استشـهد بها ورجع إليها فى ثنايا تفسيره المختلـفة ؛ لتَبَيَّن لنا أمام هذا الكمِّ الهائل ، ولَتَأكَّدَ لنا أمـام هذا الحَشْد الضخم من المصادر مدى ما يَتَّسِمُ به تفسير الشنقيطى من الشمول ، ومدى ما يتصف به من الموسوعية؛ الأمر الذى يمكنـنا معه أن نعـتبـره بمثابة (المعجـم الجَامِع) أو (السِّجِلّ الـشامِل) لتصانيف المفسِّرين السالفين ، وتآليف العلماء المعنيين ، وهو ما يَصْـدُق على وصفنا لتفسير الشنقيطى بـ (الموسوعة التفسيريّة) .

المطلب الثالث

أَهَـــمُّ التـوصـــيات

وينتظم التوصيات الثلاث التالية :

١ - التوصية الأولى : القرآن بين التفسير والمنهج .

٢ - التوصية الثانية : التحقيق العلميّ الدقيـــق .

٣ - التوصية الثالثة : الإدراج ضمن مقررات الدراسات العليا .

ونعنى بهـذه التوصـيات أَهَمَّ الأمـور التى يرى البحث ضـرورة أخذها بعـين الاعتـبار والعمل على تحقيقها إتمامًا للفائدة وتعميـمًا للنفع بهذا التفسير ومنهج الشنقيطى فيه ، والتى تتمثل بدورها فى التوصيات الثلاث التالية :

التوصية الأولى

القِرَان بين التفسير والمنهج

وتتمثل هذه التوصية فى ضرورة القِرَان بين كل تفسير وبين منهج صاحبه فيه ، وهذا ما ينطبق بدوره على ضرورة التلازم بين (تفسير أضواء البيان) وبين (منهج الشنقيطى) بحيث لا تمتد أيدى البـاحثين المعنيين خـاصة ، فضلاً عن غـيرهم من طلاب العلم عـامة ، إلى هذا التفسير أو ذاك إلا وتمتد فى ذات الوقت إلى منهج صاحبه فيه .

لأننا نرى أن (المنهج) إنما يُعَـدُّ بمثابة (الخـارطة) التى يسـير على هَدْيِهـا كلُّ مَنْ أراد أن يطالع (التفـسير) أو هو (الدليل) الذى يرشـده إلى طريقة هذا المفسِّـر أو ذاك ؛ الأمر الذى يوفر عليه الجهد والوقت ويكفيه مؤنة البحث والتنقيب من خلال وقوفه على بُغْيَته من أقصر طريق وبلوغه مُرَاده من أيسر سبيل .

وليس أَدَلَّ على ذلك من أن طـالب العلم لو أراد مـثـلاً أن يقف على رأى الشنقـيطى بصدد مسألة أصولية معينة ، أو قضية فقهية محدَّدة ؛ فليس عليه سوى أن يرجع إلى السِّمَة الثانيـة من سمَـات منهجـه والموسومة فى هذا الـبحث بعنوان : (التـأصيل للعلوم العـربية والإسلامية) ثم يُعْمَد من خـلاله إلى (علم الأصول) ومن بعده إلى (علم الفقه) وذلك حتى يتبيَّن طريقة الشنقيطى فى كليهما قبل أن يطالع تفسيره أو يبحث فيه دون أن يكون على بينة من أمره فـيما يريد ، أمّا إذا عَـرَفَ منهجه ووقف عليـه فإنه يمكنه بعد ذلك أن يسـير على هُدًى فى التفسير ليقيسَ الشبية بالشـبيه ويُضُمَّ النظيرَ إلى النظير فى غير ما إضاعةٍ للوقت أو إهدارٍ للجهد .

التوصية الثانية

التحقيق العلمىّ الدقيق

وتنبنى هذه التوصية على ما سبق أن أشرنا إليه فى النتيجة الثالثة من أن تفسير الشنقيطى إنما يُعَدُّ بمثابة (الموسـوعة التفسيـرية) وهو الأمر الذى يدعو إلى العناية بهذا التفـسير ويَلْفِتُ الانتباه إلى ضـرورة خدمته خدمـة شاملة متمـيزة من خلال تناوله بالتحقـيق العلمى الدقيق لسائر ما يحتويه وكافة ما يشمله من فنون العلوم وفروعها المختلفة .

فتفسير بهـذا الشمول وهذه الموسوعية لَحَرِىٌّ بأن تمتد إليه يد التـحقيق الدقيق من ضبط وتخريج وتوثيق وفهرسة وتصنيف لاستـخراج دُرَرِه ولآلئه ، وتجلية فوائده ولطائفه ؛ وذلك لتيسير الاستفادة منه على الوجه الأمثل الذى يناسب شموله وموسوعيته .

وإنَّا لنسأل الله تعالى أن يوفقنا للنهوض بهـذا العمل الضخم وأن يعيننا على إنجازه نظرًا لما يستلزمـه من الجهد والوقت ، ومـا يقتضيـه من التفرغ والانقطاع ؛ خـاصة وأنه يقع فى عشرة (١٠) أجزاء كـاملة بلغت جـملة صفحـاتها مـا يقرب من سـتة آلاف وخـمسـمائة (٦٥٠٠) صفحة من القطع الكبير ، والله وحده المستعان ، وعليه التُّكْلان .

التوصية الثالثة

الإدراج ضمن مقررات الدراسات العليا

وتأتى هذه التوصيـة فى النهاية لتضع تفسير الشنقـيطى بين يدىْ طلاب الدراسات العليا المعنيين بالتفـسير ومناهجـه خاصة ، وغـيره من العلوم الشرعـية عامـة ، وذلك من خلال إدراجه ضمن مـقرراتهم الدراسية كأحـد المصادر الموسوعية الشاملة فـى مختلف فنون العلم وفروعه .

وليس من المبالغة فى شىء إذا قلنا إن هذا التفسير بما له من الشمول والموسوعية لَيَصْلُحُ لأن يكون مجـالاً خِصْبًـا ثَرِيًّا للبحث فى العلوم اللغـوية بصفـة عامة ، فـضلاً عن العلوم الشرعية بصفة خاصة .

فإدراج مثـل هذا التفسيـر ضمن مقررات الدراسـات العليا ليتأدَّى عنه بالضـرورة تقوية مَلَكَة البحث واتساع الفكر ، والذى يُسْهِم بدوره فى تحصيل أكبر نفع ممكن ، وتحقيق أقصى فائدة مَرْجُوَّة .

وفى الختام

طائفة من :

المأثور عنه والمأثور فيه

١ - من المأثور عن الشنقيطى :

- إن الدنيا أصغر من أن تكون لحَيٍّ وطنًا .
- لو كانت الدنيا مَيْتَةً لأباح الله منها سَدَّ الخَلَّة .
- الدنيا كالماء المالح كلما شرب منه الإنسان زاد ظَمأً .
- ما ليس فى بطنك لا تُعَوِّلْ عليه ، فالنصوص لا تُضَيَّعُ ولا يُفَرَّطُ فيها .
- تَكَايَسُوا ؛ فالغيبَةُ ضَعْفٌ وخَورَ .
- لا تأكلوا الغِيبَةَ فى مجلسى ؛ فأخذُ حسناتى وأنا شائب هذا لا صبر عليه ، والله لو تقتلوا أبنائى وتأخذوا أموالى لسامحتكم ، لكن أن تأخذوا حسناتى فلا .
- لو أنكم مُتُّمْ ولم تَسُبُّوا فِرْعَوْنَ لم يَقُل لكم الله يوم القيامة لما لم تسبوا فرعون ؛ فاتركوا أعراض المسلمين ولا تتكلموا عليها ، واعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة .

٢ - من المأثور فى الشنقيطى :

- كان مثل (ابن جرير الطبرى) حيث كان يبدو كالمتخصص فى كل العلوم .

(ابنه الدكتور عبد الله النشقيطى)

- كان فى علمه مثل (الإمام مالك) فى زمانه .

(تلميذه وابن عمِّه أحمد بن أحمد المختار الشنقيطى)

- كان فى تفرغه للعلم والاشتغال به مثل (الإمام الشافعى) .

(تلميذه الأول الشيخ عطية محمد سالم المصرى)

- كان يذكرنى بـ (شيخ الإسلام ابن تيمية) فى قوة استحضاره للآيات التى تتناسب مع البحث .

(الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى)

• لو كان فى هذا الزمن أحد يستحق أن يُسَمَّى شيخ الإسلام لكان هو .

(تلميذه الدكتور بكر أبى زيد)

• لقد مُلِىءَ عِلْمًا من رأسه حتى أخمص قدميه .

(سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى الحجاز سابقًا)

• كان إذا تكلَّم فى الآية تتسابق إليه العلوم من بلاغة ونحـو وشواهد عربية وغيرها مما يُدْهِشُ الحاضرين لما يرون من سَعَة علمه .

(فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى)

• كان بحراً فى العلوم ، ولم يكن له مُنَافس فى تفسيـر القرآن بأنواعه الأربعة : بالقرآن والسُّنة وأقوال السَّلف واللغة العـربية ، وعنده فى اللغة استحضار عـديم النظير ، وله حافظة نادرة قوية ، ويعتبر فى وقته نادراً .

(فضيلة الشيخ حمَّاد الأنصارى)

• كان واسع العـلم بالتفسـير واللغـة وأقوال أهل العلم ، مع زهده ووَرَعـه وتثبته فى الأمر ، ومَنْ سـمع حديثـه حين يتكلم فى التـفسـير يعـجب كثـيراً من سَعَـة علمه وإطـلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يَمَلُّ حديثه ؛ فرحمه الله رحمة واسعة ، ونفع المسلمين بعلومه .

(سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى الحجاز السابق)

* * *

وأخيراً :

فـإنى لا أملك إلا أن أضرع إلـى الله العَلِىّ القدير أن يـرحمَ الشنقيطـىّ وسائر علمـاء المسلمين جزاءَ ما قدَّموا وكَفَاءَ ما أعطوا لدينهم وأمتهم .

كما أسـأله سبحانه أن يرزقنا الإخـلاص فى السِّر والعَلَن ، وأن يُجَنِّبَنَا الخطأ والزَّلَل ، وأن يطيل فى أعمارنا ويحسن فى أعمالنا ؛ ليستعملنا فى خدمة شرعه الحنيف بكتابه العظيم وسُنة نبيِّه الكريم عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم .

اللهمَّ اكـتبْ عملنا هذا خالـصًا لوجهك الكريم ، واجـعله وسائر أعـمالنا فى مـيزان حسناتنا يوم اللقاء ، وامْتَنَّ علينا يا مولانا بالقَبُول والرِّضاء .

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية[1] .

﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية[2] .

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يَصِفُون

وسلامٌ على المرسلين

والحمد لله ربِّ العالمين

فى الأوَّلين والآخِرِين

أهـ

(١) المزمل : ٢٠ .

(٢) القصص : ٨٨ .

فهرس الفهارس

وينتظم الفهارس الخمسة التالية :

١ - فهرس الآيات القرآنية .

٢ - فهرس الأحاديث النبويَّة .

٣ - فهرس الأعلام .

٤ - فهرس المراجع .

٥ - فهرس الموضوعات .

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	١ - سورة الفاتحة		
١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	٤٠٢
٢	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ... ﴾	٧	٣٨١
	٢ - سورة البقرة		
٣	﴿ الٓمٓ ﴾	١	٥٠٨
٤	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾	٢	٣٨٠-٥٠٨
٥	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا ... ﴾	٣	٣٨٠
٦	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن ... ﴾	٤	٣٨٠
٧	﴿ نَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ ... ﴾	٦	٣٨٠-٦٤٣
٨	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ ... ﴾	٧	٣٨٠-٦٤٣
٩	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم ... ﴾	٢٠	٥٢٩
١٠	﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ... ﴾	٢٣	١٣-٥١٠
١١	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي ... ﴾	٢٤	١٣-٥١٠
١٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً ... ﴾	٢٦	٣٤٦
١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ ... ﴾	٣٠	٢٠٥-٦١٤
١٤	﴿ الُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ ... ﴾	٣٢	١٢
١٥	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ... ﴾	٣٤	٣٥٩
١٦	﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ... ﴾	٣٧	٣٦٣
١٧	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ ... ﴾	٤٠	٣٥٤-٣٦٣
١٨	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ ... ﴾	٤٣	٢٠٥-٣٩٠-٥٠١
١٩	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ ... ﴾	٤٥	٣٥٤
٢٠	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ ... ﴾	٤٧	٣٦٣

١١٢	﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ ... ﴾	٣١	٤١٥
١١٣	﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ ... ﴾	٣٣	٤٩٨
١١٤	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ ... ﴾	٣٤	٧٩٢
١١٥	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ ... ﴾	٣٦	٣٦١
١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً ... ﴾	٤٠	٣٤٦
١١٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ ... ﴾	٤٣	٤٩٣-٤٧١
١١٨	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ... ﴾	٤٦	٦٩٨
١١٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .. ﴾	٥٩	٤٤٢-٤٠٠ ٨١٩-٣٧١
١٢٠	﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ ... ﴾	٧٤	٧٧٢-٧٠٧-٤٧٠
١٢١	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ... ﴾	٧٦	٦٦٣
١٢٢	﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ ... ﴾	٨٠	٥٨٨
١٢٣	﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ... ﴾	٨٢	٧٧٢-٤٤٤
١٢٤	﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ ... ﴾	٨٣	٤٧٠
١٢٥	﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ ... ﴾	٨٤	٧٧٢-٤٧٠
١٢٦	﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ... ﴾	٩٥	٨٠١
١٢٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ... ﴾	٩٧	٨٠٣
١٢٨	﴿ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ .. ﴾	٩٨	٨٠٣
١٢٩	﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ ... ﴾	١٠٠	٨٠٣
١٣٠	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ... ﴾	١٠٣	٥٠١-٣٨٩
١٣١	﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ ... ﴾	١١٩	٤٣٥
١٣٢	﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن ... ﴾	١٢٣	٧٥٠
١٣٣	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ... ﴾	١٢٤	٧٥٠
١٣٤	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ ... ﴾	١٢٥	٧٥٠

٢٦٢	﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ... ﴾	٨	٦٥٥
٢٦٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ... ﴾	١٣	١٣-٥٠٩
٢٦٤	﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ... ﴾	١٤	٥٠٩
٢٦٥	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ .. ﴾	١٥	٤٠٠
٢٦٦	﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ... ﴾	١٦	٤٠٠
٢٦٧	﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ ... ﴾	٢٩	٣٨١
٢٦٨	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ... ﴾	٤٤	٦٣١
٢٦٩	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا ... ﴾	٦١	٦١٤
٢٧٠	﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ .. ﴾	٧٠	٧٨٩
٢٧١	﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ... ﴾	٧٣	٤٨٥
٢٧٢	﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾	٨٠	٧٦٣
٢٧٣	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا ... ﴾	٨٣	٥٨٨
٢٧٤	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا ... ﴾	٩١	٧٦٣
٢٧٥	﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ... ﴾	١١٤	٣٩٠

١٢ - سورة يوسف

٢٧٦	﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا ... ﴾	١٤	٣٩٨
٢٧٧	﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ ... ﴾	١٨	٥٨٢
٢٧٨	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ ... ﴾	٢٤	٢٦٨
٢٧٩	﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ .. ﴾	٢٦	٥٩٠-٥٩١
٢٨٠	﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ ... ﴾	٢٧	٥٩٠-٥٩١
٢٨١	﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن ... ﴾	٢٨	٨٧-٥٩٠-٦٦٣
٢٨٢	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ .. ﴾	٣١	٣٦٦
٢٨٣	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ ... ﴾	٤٠	٣٧١
٢٨٤	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا ... ﴾	٥٦	٧٦٠

٣٦٧	﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ... ﴾	٧٧	٢٩٣-٥٤٨
٣٦٨	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم ... ﴾	٨٣	٤٠٩-٤١٦
			٤١٧-٤٨٤
٣٦٩	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾	٨٤	٤٠٩-٤١٦
			٤١٧-٤٨٤
٣٧٠	﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٨٥	٤٨٤
٣٧١	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ ... ﴾	٨٦	٤٨٤
٣٧٢	﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ ... ﴾	٨٧	٤٨٤
٣٧٣	﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ .. ﴾	٨٨	٤٨٤
٣٧٤	﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٨٩	٤٨٤
٣٧٥	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ ... ﴾	٩٠	٤٨٤
٣٧٦	﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾	٩١	٤٨٤
٣٧٧	﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٩٢	٤٨٤
٣٧٨	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا ... ﴾	٩٣	٤٨٤
٣٧٩	﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ... ﴾	٩٤	٤٨٤
٣٨٠	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ... ﴾	٩٥	٤٨٤
٣٨١	﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ... ﴾	٩٦	٤٨٤
٣٨٢	﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾	٩٧	٤٨٤
٣٨٣	﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ... ﴾	٩٨	٣٩٣-٣٩٤-٤٠٧
			٤٨٤-٧٨٤
٣٨٤	﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ ... ﴾	٩٩	٣٩٣-٣٩٤-٤٠٧
٣٨٥	﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ... ﴾	١٠١	١٠٠
٣٨٦	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ... ﴾	١٠٥	٤١٤
٣٨٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ ... ﴾	١٠٧	١٥٧

٢٢ - سورة الحج

٢٣ - سورة المؤمنون

٤٩٥	﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ ... ﴾	٢٨	٦٣١
٤٩٦	﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾	١٠٧	٣٦٠-٣٧٦-٣٧٧
٤٩٧	﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾	١٠٨	٣٦٠-٣٧٦-٣٧٧
	٢٤ - سورة النور		
٤٩٨	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ ... ﴾	٢	٤٩١-٤٩٣-٤٩٨-٥٠٢-٧٤٠
٤٩٩	﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ ... ﴾	٣	٤٩٩
٥٠٠	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ ... ﴾	٤	٨٢٩
٥٠١	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ ... ﴾	٦	١٠٦
٥٠٢	﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ... ﴾	٢٦	٢٧٦
٥٠٣	﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا ... ﴾	٣٠	٧٩٤
٥٠٤	﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... ﴾	٣١	٣٦١-٣٦٨-٤٢٨-٧٩٤
٥٠٥	﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ ... ﴾	٣٢	٤٩٩
٥٠٦	﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ ... ﴾	٣٣	٣٦١
٥٠٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ ... ﴾	٥٨	٣٦١-٥٠٠
٥٠٨	﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ ... ﴾	٦١	٤٩٩-٥٠٠
	٢٥ - سورة الفرقان		
٥٠٩	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ ... ﴾	١	٦٥٤-٧٥٥
٥١٠	﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا ... ﴾	٣٠	٤٤٥-٨١٢
٥١١	﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ... ﴾	٥٣	٧٨٤
٥١٢	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا ... ﴾	٥٤	٣٨٦-٥٢٩
٥١٣	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا ... ﴾	٥٥	٣٦٩
٥١٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٥٦	٣٦٩-٣٨١

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٦٤	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	٥٧	٤٨٠
٦٦٥	﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ . . . ﴾	٥٨	٤٨٠
٦٦٦	﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم . . . ﴾	٧٧	٣٦٥
٦٦٧	﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾	٨١	٣٦٩

٤٤ - سورة الجاثية

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٦٨	﴿ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا . . . ﴾	١٠	١٧٠

٤٥ - سورة الأحقاف

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٦٩	﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ . . ﴾	٩	٣٣٨
٦٧٠	﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ . . . ﴾	١٥	٧٨٦-٧٥٧-٧٨٨
٦٧١	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ . . . ﴾	٢٠	٤٠٠-٤٣٥-٦٥٩

٤٥ - سورة محمد ﷺ

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٧٢	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ . . . ﴾	٤	٣٦١-٣٧٥
٦٧٣	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ . . . ﴾	١٠	٥٨٧
٦٧٤	﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	٢٤	١٢٦-٢٥٨-٣١٥ ٤٤٤-٤٦٨-٦٩٢ ٧٢٩-٨٠٨-٨٥٢
٦٧٥	﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ . . . ﴾	٢٥	٢٧٧

٤٧ - سورة الفتح

م	الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٧٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ . . . ﴾	١٠	٥٤٧
٦٧٧	﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ . . ﴾	١٦	٨٠٣
٦٧٨	﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ . . . ﴾	١٧	٨٠٣
٦٧٩	﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ . . . ﴾	٢٠	٥٠٠
٦٨٠	﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا . . ﴾	٢١	٥٠٠-٥٢٩
٦٨١	﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا . . . ﴾	٢٢	٥٠٠

٧٠٣	﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾	٣٢	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٤	﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾	٣٣	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٥	﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا ... ﴾	٣٤	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٦	﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣٥	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٧	﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٦	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٨	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	٣٧	٣٦٩-٣٥٨
٧٠٩	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	٤٧	٣٦٩
٧١٠	﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾	٥٧	٧٥٦
٧١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٥٨	٧٥٦-٦٣٠
	٥١ - سورة النَّجْم		
٧١٢	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	١	٧٠٨-٦٦٠
٧١٣	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	٢	٧٠٨-٦٦٠
٧١٤	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	٣	٢٦٠-٢٥٦-٣٣ ٦٣٣-٥٤٧-٢٩٥ ٦٩٩-٦٦٠ ٧٠٨-٧٠٢
٧١٥	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٤	٢٨٥-٢٥٦-٣٣ ٦٣٣-٦٢٠-٥٤٧ ٦٩٩-٦٦٠ ٧٠٨-٧٠٢
٧١٦	﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	٨	٦٤٠-٦٣٨-٦٣٧
٧١٧	﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾	٩	٦٤٠-٦٣٨-٦٣٧
٧١٨	﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾	١٠	٦٤٠
٧١٩	﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾	١١	٦٤٠

٥٦ - سورة المجادلة

٥٧ - سورة الحشر

٥٨ - سورة الممتحنة

ثانيا : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا : فهرس الأعــلام

• رابعا : فهرس المراجع •

• أولاً : المصاحف الشريفة :

١ - المصحف الشريف (برواية حفص عن عاصم) :

تشرف بالأمر بطباعته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وتمت طباعته بـ (مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف) بالمدينة المنورة - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٢ - المصحف الشريف (برواية ورش عن نافع) :

تشرف بالأمر بطباعته جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بإشراف لجنة من كبار علماء المسلمين بالمدينة المنورة برئاسة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، وتمت أولى طبعاته فى دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

❁ ❁ ❁

• ثانيا : التفسير وعلوم القرآن :

٣ - اتجاه التفسير الفقهى :

لأخى وزميلى د. محمد المنسى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

٤ - الإتقان فى علوم القرآن :

للحافظ جلال الدين السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - طبع : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

٥ - أثر الواقع الثقافى فى التفاسير الحديثة للقرآن الكريم :

بزوى أحمد الضاوى - رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٦ - أحكام القرآن :

لأبى بكر الجَصَّاص الحنفى ت (٣٧٠ هـ = ٩٨١ م) - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٧ - أحكام القرآن :

للقاضى أبى بكر بن العربى المالكى ت (٥٤٣ هـ = ١١٤٩ م) - تحقيق : على محمد البجاوى - دار المعرفة - بيروت - لبنان - (د.ت) .

٨ - أحكام القرآن :

عماد الدين الطبرى المعروف بـ (إِلْكِيَا الهَرَّاس) الشافعى ت (٥٠٤ هـ = ١١١١ م) - تحقيق : (موسى محمد على - د. عزت عطية) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .

٩ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث :

د. محمد حسين الذهبى ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - نشر مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

١٠ - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير :

د. محمد محمد أبى شهبة - إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - سلسلة (البحوث الإسلامية) - السنة (١٤) - الكتاب رقم (٤) - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١١ - أضواء البيان :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - طبع على نفقة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد بن عبد العزيز - ويوزع مجانًا وقفًا لله تعالى - الطبعة ١ - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٢ - الإكليل فى استنباط التنزيل :

للحافظ جلال الدين السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - راجعه وصححه : أبو الفضل عبد الله محمد الصِّدِّيق الغمارى الحَسَنى - طبع على نفقة السيد : أسعد الدرابزونى - دار العهد الجديد - الخرنفش - القاهرة - (د. ت) .

١٣ - البحر المحيط :

محمد بن يوسف الشهير بأبى حَيَّان الأندلسى الغرناطى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) - وبهامشه (تفسير النهر المادّ من البحر لأبى حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط لتلميذه تاج الدين الحنفى ت ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - الطبعة ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٤ - البرهان فى علوم القرآن :

بدر الدين الزركشىّ .

١٥ - البسيط فى تفسير القرآن الكريم :

لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣ تفسير) - وفهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية الجزء الأول (التفسير) - المخطوط رقم (٢٨٢) .

١٦ - التفسير القرآنى للقرآن :

د. حسن عزّ الدِّين الجمل - طبع الدار الفنية - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

١٧ - التفسير القرآنى للقرآن :

عبد الكريم الخطيب ت (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م) - القاهرة - (بدون بيانات) .

١٨ - التفسير البيانى للقرآن الكريم :

دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ت (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) - طبع القاهرة - (بدون بيانات) .

١٩ - التفسير بين الماضى والحاضر :

لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - دار الاعتصام - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢٠ - التفسير الكبير المشهور بـ (مفاتيح الغيب) :

فخر الدين بن عمر الرازى ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠ م) - الطبعة ٢ - نشر : دار الكتب العلمية - طهران - إيران - (د. ت) .

٢١ - التفسير ورجاله :

محمد الفاضل بن عاشور - نشر مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٢٢ - التفسير والمفسِّرون :

د. محمد حسين الذهبى ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - ملتزم الطبع والنشر : دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

٢٣ - التيسير فى قواعد علم التفسير :

محيى الدين الكافيجى - ورقة (٤) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧) - (تفسير) .

٢٤ - تفسير سورة الإخلاص :

شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - راجع نصوصه وجرَّج أحاديثه وعلق عليه : د. عبد العلى عبد الحميد حامد - الطبعة ٢ - (الدار السلفية بومباى الهند) مع (دار الريان للتراث بالقاهرة) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٥ - تفسير الجلالين :

للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّى ت (٨٦٤ هـ = ١٤٥٠ م) وجلال الدين عبد الرحمن السُّيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - طبع دار القلم - بيروت - لبنان - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .

٢٦ - تفسير الكاشى

مُلاَّ محسن الكاشى - (بدون بيانات) .

٢٧ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ (تفسير المنار) :

للإمام محمد عبده مع السيد رشيد رضا ت (١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٨ - تفسير القرآن العظيم :

للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م) - الطبعة ١ - (مكتبة التراث الإسلامى حلب سوريا) مع (مكتبة الإرشاد بالقاهرة) - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

- وانظر طبعة أخرى : دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٩ - تفسير القرآن العظيم :

لأبى محمد سهل بن عبد الله التُّسْتَرِىّ ت (٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م) - (بدون بيانات) .

٣٠ - تفسير القرآن العظيم مُسْنَداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين :

للإمام الحافظ عبد الرحمن الرازى المعروف بابن أبى حاتم ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - تحقيق : أسعد محمد الطيب - الطبعة ٢ - المكتبة العصرية - (صيدا - بيروت) - لبنان - ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

٣١ - تنزيه القرآن عن المطاعن :

إملاء قاضى القضاة عماد الدين عبد الجبار - على نفقة : محمد سعيد الرافعى صاحب المكتبة الأزهرية - طبع المطبعة الجمالية - القاهرة - ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .

٣٢ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن :

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ = ٩٢٣ م) - الطبعة ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

● وانظر طبعة أخرى : دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

● وكذا الطبعة المحققة : سلسلة (تراث الإسلام) - حققه وعلّق حواشيه : محمود محمد شاكر - راجعه وخرَّج أحاديثه : أحمد محمد شاكر - الطبعة ٢ - طبع : دار المعارف بالقاهرة (١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م) - نشر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م) .

٣٣ - الجامع لأحكام القرآن :

لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبىّ ت (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) - تحقيق : أحمد عبد العليم البردونى - الطبعة ٢ - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

● وانظر طبعة أخرى : سلسلة (المكتبة العربية - التراث) - الطبعة ٣ - إصدار وزارة الثقافة - الجمهورية العربية المتحدة - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - نشر دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٣٤ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم :

للشيخ طنطاوى جوهرى ت (١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م) - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

٣٥ - حقائق التفسير :

لأبى عبد الرحمن السُّلَمِى ت (٤١٢ هـ = ١٠٢٢ م) - (بدون بيانات) .

٣٦ - دراسات حول القرآن :

د. إسماعيل أحمد الطحان - الطبعة ١ - مكتبة الفَلاَح - الكويت - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

٣٧ - دراسات فى القرآن :

د. السيد أحمد خليل - طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٣٨ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - نفس بيانات المرجع رقم (٩) السابق ذكره .

٣٩ - زاد المَسِير :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بـ (ابن الجوزي) ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) - الطبعة ٣ - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٤٠ - شرح طيبة النشر :

أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري (الابن) ت (٨٥٩ هـ = ١٤٥٥ م) - طبع القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م .

٤١ - شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن :

د. عبد المتعال الجابري - دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٤٢ - عرائس البيان :

لأبي محمد الشيرازي ت (٦٠٦ هـ = ١٢١٠ م) - (بدون بيانات) .

٤٣ - علم التفسير :

د. محمد حسين الذهبي ت (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م) - سلسلة (كتابك) - الكتاب رقم(٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٤٤ - فتح القدير الجامع بين فَنَّيْ الرواية والدراية في علم التفسير :

محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) - الطبعة ٢ - طبع مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م .

٤٥ - الفتوحات المكية :

محيي الدين بن عربي ت (٦٣٨ هـ = ١٢٤١ م) - تحقيق وتقديم : د. عثمان يحيى - تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مدكور - إصدار : (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية بمصر) بالتعاون مع (معهد الدراسات العليا في السربون بفرنسا) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٤٦ . الفوز الكبير فى أصول التفسير :

ولى الله الدهلوى - عرّبه عن الفارسية : سلمان الحسينى الندوى - الطبعة ٢ - دار الصحوة القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

٤٧ . فى ظلال القرآن :

بقلم سيد قطب ت (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م) - الطبعة ٢ - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - (د. ت) .

● وانظر الطبعة الشرعية الثالثة عشر - دار الشروق - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٤٨ . القرآن محاولة لِفَهْمٍ عصرىّ :

د. مصطفى محمود - الطبعة ٧ - دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

٤٩ . القرآن والتفسير العصرىّ :

دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ت (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) - دار المعارف - القاهرة - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٥٠ . الكَشّاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل :

لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرىّ الخوارزمىّ ت (٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م) - وبهامشه (حاشية السيد شريف الجرجانى ، وكتاب الإنصاف لابن المنير المالكى ، وكتاب تنزيل الآيات لمحب الدين أفندى ، وبأعلاه النص القرآنى برسم وضبط الدُّورى) - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - (د. ت) .

٥١ . الكشف والبيان فى تفسير القرآن :

لأبى إسحاق الثعلبى ت (٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م) - مخطوط فى أربعة مجلدات تحت رقم ١٣٦١/٢٠٥٦) - مكتبة مخطوطات الجامع الأزهر - القاهرة .

● كما توجد نسخ متفرقة منه فى كل من : دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧ تفسير) - ومعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (مصورة على مخطوطة الأزهر) .

٥٢ . كلمات القرآن تفسير وبيان :

الشيخ حسنين محمد مخلوف - الطبعة ١ - مكتبة الأمين - المدينة المنورة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٥٣ - لباب التأويل فى معانى التنزيل :

علاء الدين علـى بن محمد الشهير بالخازن ت (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م) - وبهامشه (تفسير معالم التـنزيل) لأبى محـمد الحسين الـبغوى ت (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) - الطبعـة ٢ - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .

٥٤ - متن الجزرية (أو منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه) :

من نظم إمام القرّاء وفـخر المقرئين العلامة محمد بن محـمد بن محمد الجزرىّ (الأب) ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - تشرف بتصحيحها ومقابلتها على نسخة خطية مقروءة على الناظم وعليها خطه : خادم القرآن الكريم أيمن رشدى سويد الدمشـقى - إصدار : جمعية القرآن الكريم بجدة - يطلب مـن (مكتبة الرشـاد للنشر والتوزيـع) مع (مكتبة الســوادى للتوزيع) - جدة - المـملكة العربية السعودية - شعبان ١٤٠٧ هـ = أبريل ١٩٨٧ م .

٥٥ - مجاز القرآن :

صَنْعَة أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى ت (٢١٠ هـ = ٨٢٦ م) - تحقيق : محمد فؤاد سزكين - نشر : مكتبة الخانجى - القاهرة - (د. ت) .

٥٦ - مجمع البيان :

لأبى على الـطبرسى ت (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) - طبع مـكتبة الحياة - بيـروت - لبنان - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .

٥٧ - محاضرات فى تاريخ تفسير القرآن الكريم (اتجاهاته ومناهجه) :

لأستاذنا الدكـتور محمد بن إبراهيـم شريف - ألقيت على طـلاب الفرقة الثالثة بـكلية دار العلــوم جامعــة الـقاهرة - نشر : دار العـروبة بالكويت - إشـراف : دار الفصحى بالـقاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٥٨ - مقاصد القرآن الكريم (مقدمة فى التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل البقرة) :

للإمام الشهيد حسن البنا - طبعة دار الشهاب - القاهرة - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٥٩ - مقدمة فى أصول التفسير :

شـيخ الإســلام تقى الدين أحمد بن تـيمية ت (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م) - تحقـيق : محب الدين الخطيـب - الطـبعة ٢ - عنيت بنشره : المطبعة السلفية ومـكتبتها - القاهرة - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

● وانظر طبعة أخرى : تحقيق د. عدنان زرزور - (دار القرآن الكريم بالكويت) - مع (مؤسسة الرسالة بيروت لبنان) - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

● وكذا طبعة أخرى : تحقيق أبى حذيفة إبراهيم بن محمد (مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير) - الطبعة ١ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م .

٦٠ - منع جواز المجاز فى المُنَزَّل للتعبد والإعجاز :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - نفس بيانات المرجع رقم (٩) السابق ذكره .

٦١ - منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم :

لأستاذنا الدكتور عبد الله شحاته - مطبعة جامعة القاهرة - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٦٢ - منهج أهل السُّنَّة فى تفسير القرآن الكريم (دراسة موضوعية لجهود ابن القيِّم التفسيرية) :

د. صبرى المتولى - الناشر : مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٦٣ - المُهَذَّب فى القراءات العشر من طريق طيبة النشر :

د. محمد سالم محيسن - الطبعة ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٧٨ م .

٦٤ - النسخ فى القرآن الكريم :

د. مصطفى زيد - الطبعة ١ - الناشر : دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

٦٥ - النشر فى القراءات العشر :

للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزرىّ (الأب) ت (٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م) - قدَّم له صاحب الفضيلة : الأستاذ على محمد الضباع (شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية) -وخرَّج آياته : الشيخ زكريا عميرات - الطبعة ١ - منشورات محمد على بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م .

٦٦ - هِمْيَان الزَّاد :

محمد بن يوسف إطفيش ت (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) - (بدون بيانات) .

٦٧ - **الواحدى ومنهجه فى التفسير :**

د. جودة محمد محمد المهدى - الطبعة ١ - لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف - جمهورية مصر العربية - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٦٨ - **الوسيط فى تفسير القرآن الكريم :**

لأبى حسن الواحدى ت (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (١٣١ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٨٠ - ٦٣٥) - (التفسير) - كما هو مبين بفهرس المخطوطات .

٦٩ - **الوجيز فى تفسير القرآن العزيز :**

للواحدى السابق ذكره - مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام (٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤) - (التفسير) - وهو مطبوع على هامش (التفسير المنير لمعالم التنزيل) - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م .

❁ ❁ ❁

• ثالثا : السنة وعلوم الحديث :

٧٠ - **ألفيَّة علم الحديث :**

للحافظ جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) - الطبعة ١ - (مكتبة العِلم بجدة) مع (مكتبة ابن تيمية بالقاهرة) - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٧١ - **ألفيَّة مصطلح الحديث المعروفة بـ (نظم الدرر فى معرفة الأثر) :**

للحافظ زين الدين العراقى ت (٨٠٦ هـ = ١٤٠٤ م) - ضمن مجموعة بعنوان (نفائس) - تحقيق : محمد حامد الفقى - مطبعة السُّنَّة المحمدية - القاهرة - (د. ت) .

٧٢ - **الإحسان فى تقريب صحيح ابن حِبَّان :**

الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسى ت (٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م) - حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : شعيب الأرنؤوط - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

٧٣ - **تبسيط علوم الحديث وأدب الرواية :**

الشيخ محمد نجيب المطيعى - مطبعة حسَّان - القاهرة - ١٣٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٧٤ - التاريخ الكبير :

للحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ت (٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) - طبع تحت مراقبة : د. محمد عبد المعيد خان - يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٧٥ - التحقيق فى أحاديث الخلاف :

لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ت (٥١٠ هـ = ٥٩٧ م) - تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدنى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٧٦ - التمهيد :

لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ - تحقيق (مصطفى بن أحمد العلوى - محمد عبد الكبير البكرى) - وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

٧٧ - تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير :

للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م) - عُنِى بتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه : السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م (دون ذكر بيانات الطبع) .

٧٨ - تهذيب الكمال فى أسماء الرجال :

للحافظ المتقن جمال الدين أبى الحجّاج يوسف المِزّىّ ت (٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م) - حققه وضبط نصه وعلّق عليه : د. بشار عواد معروف - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م) .

٧٩ - تيسير مصطلح الحديث :

د. محمود الطحان - الطبعة ٧ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٨٠ - الجامع :

للإمام مَعْمَر بن راشد الأزدى - برواية عبد الرازق الصنعانى - الجزء الحادى عشر - عُنِىَ بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : الشيخ المحدِّث حبيب الرحمن الأعظمى - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى- عمّان - الأردن ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٨١ – جامع الأحاديث (للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) :

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ت (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) – تقديم : د. عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر) – جمع وترتيب : (عباس أحمد صقر – أحمد عبد الجواد) – قراءة ومراجعة : (محمد المهدى محمود – شعبان على خليل – محمد الفاتح الكتانى) – طبع على نفقة د. حسن عباس زكى – الطبعة ١ – مطبعة خطّاب – القاهرة – ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٨٢ – الجوهر النقى :

العلامة علاء الدين على بن عثمان الماردينى الشهير بابن التركمانى ت (٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م) – الطبعة ١ – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند – ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م .

٨٣ – السُّنَن الكبرى :

للحافظ أبى بكر أحمد بن على البيهقى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) – (وبذيله الجوهر النقى لابن التركمانى) – نفس البيانات السابقة .

٨٤ – سلسلة الأحاديث الصحيحة وشىء من فقهها وفوائدها :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

٨٥ – سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السئ فى الأمة :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – الطبعة ٤ – مكتبة المعارف – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٨٦ – سُنَن الترمذى المعروف بـ (الجامع الصحيح) :

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) – تحقيق : كمال يوسف الحوت – الطبعة ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٨٧ – سُنَن أبى داود :

للإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعص السجستانى الأزدى ت (٢٧٥ هـ= ٨٨٩ م) – دار الحديث – القاهرة – (د. ت) .

● وانظر طبعة أخرى: المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – (د. ت) .

٨٨ - سُنَن الدارمى :

لـلإمام أبى محمـد عبـد الله بن عبد الرحمـن الـدارمـى ت (٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) - طبع بعناية : محمد أحمد دهمان - ونشرته : دار إحياء السُّنة النبوية - (بدون ذكر بلد الطبع وتاريخه) .

● وانظر طبعة أخرى : دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٨٩ - سُنَن سعيد بن منصور :

سـعيد بن مـنصور ت (٢٧٧ هـ = ٨٤٢ م) - دراسة وتحقـيق : د. سعد بـن عبد الله آل حُمَيْد - الطبعـة ١ - دار الصميعـى للنشر والتـوزيع - الرياض - المملـكة العربية الـسعودية - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م .

٩٠ - سُنَن ابن ماجه :

للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد القزوينى المعروف بابن ماجة ت (٢٧٣ هـ = ٨٨٧ م) - حقق نصوصه ورقم كتـبه وأبوابه وأحاديثه وعلَّق عليه : محمد فؤاد عبـد الباقى - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م .

● وانظر طبعة أخرى : دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٩١ - سُنَن النسائى :

لأبى عـبد الرحمـن أحمد بن شـعيب النـسائى ت (٢١٤ هـ = ٨٣٠ م) - دار العـشائر الإسلامية - عمَّان - الأردن - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٩٢ - صحيح البخارى :

للإمام الحـافظ أبى عبد الله محـمد بن إسماعيـل البخارى ت (٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) - دار القلم - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٩٣ - صحيح مُسْلم :

للإمام مسلم بن الحـجاج القشيرى النيسابورى ت (٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م .

● وانظر طبعة أخرى : بعناية محمد فؤاد عـبد الباقى - وإشراف محب الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - (د. ت) .

٩٤ - صحيفة على بن أبى طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ :

دراسة توثيقية فقهية لأستاذنا الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب - الطبعة ١ - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٩٥ - ضعيف سُنَن الترمذى :

للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى - إشراف : زهير الشاويش - الطبعة ١ - طبع المكتب الإسلامى - عمَّان - الأردن - ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٩٦ - العِلَل المتناهية فى الأحاديث الواهية :

للإمام أبى الفرج عبد الرحمن الجوزى ت (٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م) - تحقيق : إرشاد الحق الأسدى - نشر : إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان - (د. ت) .

٩٧ - العِلَل الواردة فى الأحاديث النبوية :

للحافظ أبى الحسن على الدارقطنى ت (٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) - الطبعة ١ - تحقيق : د. محمفوظ عبد الرحمن السلفى - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٩٨ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى :

للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ت (٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م) طبع مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

- وانظر طبعة أخرى: بعناية محمد فؤاد عبد الباقى - وإشراف محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - (د. ت) .

٩٩ - فى الحديث النبوىّ (بحوث ونصوص) :

لأستاذنا الدكتور أحمد يوسف سليمان - نشر : دار العروبة بالكويت - إشراف : دار الفُصْحى بالقاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٠٠ - كتاب الجرح والتعديل :

للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ت (٣٢٧ هـ = ٩٣٩ م) - الطبعة ١ - (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند) بالتعاون مع (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان) - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

١٠١ - كتاب الضعفاء الكبير :

للحافظ أبى جعفر محمد بن عمرو العقيليّ المكىّ - الطبعة ١ - تحقيق : د. عبد المعطى أمين قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٠٢ - كتاب المراسيل :

لأبى داود سليمان بن أشعث السجستانى الأزدى ت (٢٧٥ هـ = ٨٨٩ م) - الطبعة ١ - دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٠٣ - كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس :

للشيخ إسماعيل العجلونى الجراحى ت (١١٦٢ هـ = ١٧٤٩ م) - برسم : السيد سعيد الحلبى العطار - مع المقابلة على نسخة خزانة آل العطار بدمشق - مع المقابلة على نسخة خزانة آل العطار بدمشق - مع المعارضة بنسخة دار الكتب المصرية - الطبعة ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٠٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى - طبع مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

١٠٥ - المستدرك على الصحيحين فى الحديث :

للحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ت (٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م) - وبذيله (تلخيص المستدرك) : للحافظ أبى عبد الله شمس الدين الذهبى ت (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) - نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

● وانظر طبعة أخرى : تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١٠٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل :

للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى ت (٢٤١ هـ = ٨٥٦ م) - شرح وفهرسة : أحمد محمد شاكر - طبع دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

● وانظر طبعة أخرى : مؤسسة التاريخ العربى - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - ١٤١١ هـ = ١٩٩٢ م .

● وكذا طبعة أخرى : مؤسسة قرطبة - الهرم - القاهرة - (د. ت) .

١٠٧ - مسند الطيالسى :

لأبى داود سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - الطبعة ١ - تحقيق : (د. محمد بن عبد المحسن التركى) بالتعاون مع (دار هجر) - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

١٠٨ - المُصَنَّف :

للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعانى ت (٢١١ هـ = ٨٢٧ م) - ومعه (كتاب الجامع للإمام مَعْمَر بن راشد الأزدى برواية الصنعانى) - بعناية : حبيب الرحمن الأعظمى - الطبعة ٢ - المكتب الإسلامى - عمَّان - الأردن - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٠٩ - المعجم الأوسط :

للحافظ أبى القاسم سليمان الطبرانى ت (٣٦٠ هـ = ٩٧١ م) - قسم التحقيق بدار الحرمين : (أبو معاذ طارق بن عوض الله) مع (أبى الفضل عبد المحسن الحسينى) - (نشر : دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١١٠ - المعجم الكبير :

للإمام الطبرانى السابق ذكره - تحقيق وتخريج : حمدى عبد المجيد السلفى - الطبعة ١ - (الدار العربية للطباعة ببغداد) بالتعاون مع (لجنة إحياء التراث الإسلامى بوزارة الأوقاف) - العراق - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١١١ - معرفة السُّنن والآثار عن الإمام الشافعى على ترتيب مختصر المزنى :

تصنيف الإمام البيهقى السابق ذكره - تحقيق : سيد كسروى حسن - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م .

١١٢ - مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح :

دة . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٦٤) - دار المعارف - القاهرة - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١١٣ - موسوعة أطراف الحديث النبوى :

إعداد : أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعة ١ - عالم التراث للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - المحرم ١٤١٠ هـ = أغسطس ١٩٨٩ م .

١١٤ - **الموطأ :**

للإمام مالك بن أنس الأصبحى ت (١٧٩ هـ = ٧٩٦ م) - دار إحياء العلوم - بيروت - لبنان - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١١٥ - **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :**

للحافظ شمس الدين الذهبى السابق ذكره - تحقيق : على محمد البجاوى - الطبعة ١ - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

١١٦ - **نزهة النظر شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر :**

للحافظ ابن حجر العسقلانى السابق ذكره - تعليق : إسحاق عزوز (مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة) - نشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م .

١١٧ - **الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث :**

د. محمد محمد أبى شهبة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

❁ ❁ ❁

• رابعاً : الفقه وأصوله :

١١٨ - **الإجماع بين النظرية والتطبيق :**

د. أحمد حمد - الطبعة ١ - دار القلم - الكويت - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

١١٩ - **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول :**

للإمام محمد بن على الشوكانى ت (١٢٠٥ هـ = ١٨٣٤ م) - تحقيق : محمد سعيد البدرى - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٢٠ - **أصول التشريع الإسلامى :**

للشيخ على حسب الله - الطبعة ٦ - مطابع المكتب المصرى الحديث - نشر : دار المثقف العربى - إشراف : أسرة مسجد السلام بالهرم - الجيزة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢١ - **أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامى :**

للأستاذ عبد الوهّاب خلاّف - الطبعة ٣ - القاهرة (بدون بيانات) - ١٣٩٦ هـ = ١٩٤٩ م .

١٢٢ - أصول الفقه :

للشيخ محمد الخضرى - الطبعة ٧ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٩١ م.

١٢٣ - الأصول من علم الأصول :

للشيخ محمد صالح العثمين - الطبعة ١ - مكتبة المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م .

١٢٤ - إعداد المُهَج للاستفادة من المنهج فى قواعد الفقه المالكى :

أحمد بن أحمد المختار الجكنى الشنقيطى - الطبعة ١ - مراجعة : عبد الله الأنصارى - طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر - من منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامى - دولة قطر - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

١٢٥ - الإقليد فى الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد :

مجتزئ من (تفسير أضواء البيان للشنقيطى) - تحقيق : شريف هَزَّاع - الطبعة ١ - طبع : (المكتبة الإسلامية عمّان الأردن) - نشر : (مكتبة ابن تيمية الطالبية الهرم الجيزة - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٢٦ - بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع :

للإمام علاء الدين أبى بكر الكاسانى الحنفى الملقب بـ (ملك العلماء) ت (٥٨٧ هـ = ١١٩١ م) - الطبعة ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

١٢٧ - تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام :

لأبى الوفاء إبراهيم بن فرحون المالكى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الشرفية بمصر - ١٣٠١ هـ = ١٨٨٤ م .

١٢٨ - التمهيد :

لأبى محمد عبد الرحيم الإسنوى - تحقيق : د. محمد حسن هيتو - الطبعة ١ - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١٢٩ - تحفة المودود بأحكام المولود :

للإمام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن قيِّم الجوزية ت (٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م) - طبع المكتبة القيّمة - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٣٠ - تخريج الفروع على الأصول :

لأبى المناقب محمود بن أحمد الزنجانى - تحقيق : د. محمد أديب صالح - الطبعة ٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٣١ - ٩٩ سؤالاً وجوابًا فى البيع وصوره :

جمع : صالح بن ذياب - إجابة : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية - الطبعة ١ - مطابع الرشيد - المدينة المنورة - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١٣٢ - جمع الجوامع :

للإمام تاج الدين السُّبكى ت (٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) - شرح المَحَلى - حاشية البنانى - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - (د. ت) .

١٣٣ - حاشية الدسوقى على الشرح الكبير فى الفقه المالكى :

محمد عرفة الدسوقى - تحقيق : محمد عليش - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت).

١٣٤ - الحاوى للفتاوى :

للحافظ السيوطى السابق ذكره - مطبعة السعادة - القاهرة - (د. ت) .

١٣٥ - الرسالة :

للإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - تحقيق : أحمد محمد شاكر - طبع مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٨ م .

١٣٦ - روضة النَّاظِر وجُنَّة المُنَاظِر :

لأبى محمد عبد الله بن قدامة المقدسىّ الحنبلى ت (٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م) - تحقيق : د. عبد العزيز السعيد - الطبعة ٢ - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض المملكة العربية السعودية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٣٧ - فتح الرحيم على فقه الإمام مالك بالأدلة :

محمد بن أحمد الملقب بـ (الدَّاه) الشنقيطى - الطبعة ١ - مكتبة القاهرة - الأزهر - مصر - شعبان ١٣٨٧ هـ = نوفمبر ١٩٦٧ م .

١٣٨ - فتح القدير :

محمد بن عبد الواحد بن الهمام السيواسى الحنفى - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٣٩ - **القوانين الفقهية :**

محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى المالكى - (بدون بيانات) .

١٤٠ - **القول السديد فى كشف حقيقة التقليد :**

مجتزئ من (تفسير أضواء البيان للشنقيطى) - نشر : مقتدى حسن الأزهرى - الطبعة ١ - دار الصحوة للنشر - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٤١ - **مجموع الفتاوى :**

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية السابق ذكره - جمع : عبد الرحمن بن محمد القاسم - الطبعة ١ - الدار العربية - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٤٢ - **المُحَلَّى :**

لأبى محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى - تحقيق : أحمد محمد شاكر - تصحيح : زيدان أبى المكارم - مكتبة الجمهورية - القاهرة - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .

١٤٣ - **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة الحنبلى :**

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ت (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٤ م) - من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

١٤٤ - **المُغْنِى :**

لابن قدامة الحنبلى السابق ذكره - الطبعة ١ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

- وانظر طبعة أخرى : تحقيق : (د. عبد الله بن عبد المحسن التركى - د. عبد الفتاح الحلو) - الطبعة ١ - دار هجر - القاهرة - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

١٤٥ - **مُغْنِى المحتاج :**

محمد الخطيب الشربينى الشافعى - دار الفكر - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٤٦ - **مواهب الجليل من شروح مختصر خليل فى الفقه المالكى :**

لأبى عبد الله محمد المغربى المعروف بـ (الحطَّاب) - الطبعة ٢ - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٤٧ - نثر الورود على مراقى السُّعُود :

شرح الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى - تحقيق وإكمال تلميذه : د. محمد ولد سيدى ولد حبيب الشنقيطى - الطبعة ١ - نشر : محمد محمود الخضر القاضى - توزيع : دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م .

١٤٨ - نشر البنود على مراقى السُّعُود :

عبد الله العلوى الشنقيطى ت (١٢٣٣ هـ = ١٨١٨ م) - الطبعة ١ - إهداء وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٤٩ - نَيْل الأوطار :

محمد بن على الشوكانى السابق ذكره - دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

١٥٠ - الهداية شرح البداية :

لأبى الحسين على بن أبى بكر المرغينانى الحنفى - المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان - (د. ت) .

❁ ❁ ❁

• **خامساً : العقيدة وعلم الكلام :**

١٥١ - آداب البحث والمناظرة :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - طبع : (مكتبة ابن تيمية للطباعة والنشر بالقاهرة) مع (مكتبة العلم بجدة) - (د. ت) .

١٥٢ - الإقليد فى الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد :

نفس بيانات المرجع رقم (١٢٥) السابق ذكره .

١٥٣ - بطلان المجاز وأثره فى إفساد التصور ، وتعطيل نصوص الكتاب والسُّنَّة :

بقلم مصطفى عيد الصياصنة - دار المعراج للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٥٤ - الحاكمية فى أضواء البيان :

جمعها عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار طيبة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة والرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

١٥٥ - الرَّدُّ على الجهميَّة والزنادقة :

للإمام أحمد بن حنبل السابق ذكره - تحقيق : عبد الرحمن عميرة - دار اللواء - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٥٦ - السلفية وأعلامها فى موريتانيا :

الطيب بن عمر بن الحسين - الطبعة ١ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م .

١٥٧ - شعَب الإيمان :

للإمام أبى بكر البيهقى السابق ذكره - تحقيق : أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

١٥٨ - مختصر الصواعق المُرْسَلَة على الجهمية والمُعَطِّلَة :

للإمام ابن قيِّم الجوزيَّة السابق ذكره - اختصره الشيخ محمد بن الموصلى - تصحيح الناشر: زكريا على يوسف - مطبعة دار البيان - القاهرة - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

١٥٩ - مِفْتَاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العِلْم والإرادة :

للإمام ابن قيِّم الجوزيَّة السابق ذكره - تحقيق : محمود حسن ربيع - الطبعة ٣ - مكتبة حميدو - الإسكندرية - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٦٠ - المفسِّرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات :

محمد بن عبد الرحمن المغراوى - (القسم الرابع : الرد على المفسرين الخلفيين) - طبع : دار المنار - توزيع : مؤسسة الجريسى - الرياض - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

١٦١ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - طبع وإهداء وتوزيع : (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) - (دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

❁ ❁ ❁

• سادساً : العربية وعلومها :

١٦٢ - ألفية ابن مالك وتأثيرها فى الثقافة الموريتانية :

يحيى بن البَرَّا - مذكرة تَخَرُّج - مدرسة تكوين الأساتذة - نواكشوط - موريتانيا - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٦٣ - الخَصَائص :

لأبى الفتح ابن جِنِّى ت (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) - تحقيق : محمد على النجار - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٦٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة ٢٠ - دار التراث - القاهرة - رمضان ١٤٠٠ هـ = يوليو ١٩٨٠ م .

١٦٥ - فى عِلْمَىْ العَرُوض والقافية :

لأستاذنا الدكتور أمين على السيد - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٦٦ - المُزْهِر فى علوم اللغة وأنواعها :

للحافظ السيوطى السابق ذكره - بعناية (محمد أحمد جاد المولى بك - على محمد البجاوى - محمد أبى الفضل إبراهيم) - الطبعة ٣ - دار التراث - القاهرة - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

❁ ❁ ❁

• سابعاً : التاريخ والسِّيَر :

١٦٧ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم :

لشمس الدين البَنَّاء المقدسىّ البَشَّارى ت (٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) - مطبعة بريل بمدينة ليدن (١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م) - وأعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد بالعراق (د. ت) .

١٦٨ - الإحاطة فى أخبار غرناطة :

لذى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب - تحقيق : محمد عبد الله عنان - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٦٩ - الإعلام بالتوبيخ لِمَنْ ذَمَّ التاريخ :

للحافظ شمس الدين السَّخَاوى ت (٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م) - نشر دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

١٧٠ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور :

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ت (٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م) - طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجيا بألمانيا الاتحادية - أشرف على الطبع المعهد الألمانى للأبحاث العلمية

١٧٩ - رحلة ابن بطوطة

طبع القاهرة بدون بيانات .

١٨٠ - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام :

بقلم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الشروق - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٨١ - السيرة النبوية :

لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ت (٢١٣ هـ = ٨٢٩ م) - بعناية : طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

١٨٢ - العالم بين يديك (موريتانيا) :

إسماعيل شوقى - الطبعة ٧ - سلسلة (اقرأ) - العدد (٣٧٩) - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ .

١٨٣ - فتوح البلدان :

أحمد بن يحيى البلاذرى ت (٢٧٩ هـ = ٨٩٣ م) - بعناية : د. صلاح الدين المنجد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٦ م .

١٨٤ - الكامل فى التاريخ :

عزّ الدين أبى الحسن على الشيبانى المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ = ١٢٣٣ م) - (دار صادر للطباعة والنشر) مع (دار بيروت للطباعة والنشر) - بيروت - لبنان - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

١٨٥ - معجم قبائل العرب :

عمر رضا كحالة - (طبعة بدون بيانات) .

١٨٦ - المقدمة فى التاريخ :

عبد الرحمن بن خلدون - تحقيق : د. على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

١٨٧ - مَنْسَك الإمام الشنقيطى :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - مجموع من تفسيره بعناية : (د.

عبد الله الطيَّار - د. عبد العزيز الحجيلان) - الطبعة ١ - دار الوطن - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م .

١٨٨ - موريتانيا الحديثة (أو العرب البيض فى القارة السوداء) :

محمد يوسف مقلد - الطبعة ١ - دار الكتاب اللبناني - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

❁ ❁ ❁

• ثامنًا : التراجم والطبقات :

١٨٩ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) :

خير الدين الزركلى - الطبعة ٧ - بيروت - لبنان - ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

١٩٠ - الأعلام العَلِيَّة فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) :

للحافظ أبى حفص البَزَّار - (بدون بيانات) .

١٩١ - الأغانى :

لأبى الفرج الأصفهانى ت (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) - الطبعة ١ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .

١٩٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة :

للوزير جمال الدين القفطى ت (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

١٩٣ - الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (أبى حنيفة ومالك والشافعى) :

للحافظ أبى عمر بن عبد البر ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - (عن نسخة دار الكتب المصرية مع إتمامها من نسخة كوبريلى محمد باشا بالآستانة) - نشر مكتبة القدسى - الأزهر - القاهرة - ١٣٥٠ هـ = ١٩٧٠ م .

١٩٤ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون :

إسماعيل باشا البغدادى - نشر مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د. ت) .

١٩٥ - بغية الوعاة فى طبقات اللُّغويين والنحاة :

للحافظ السيوطى السابق ذكره - تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - الطبعة ١ - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

١٩٦ - التعليق الصواب حاشية تحفة الألباب فى شرح الأنساب :

الشيخ حمّاد بن الأمين المجلسى الموريتانى - الطبعة ١ - مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامى - قطر - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٩٧ - التكملة لوفيات النقلة :

زكى الدين المنذرى ت (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) - تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف - (ساعدت جامعة بغداد على نشره) - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

١٩٨ - تذكرة الحُفّاظ

للحافظ الذهبى السابق ذكره - طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

١٩٩ - تراجم إسلامية :

محمد عبد الله عنان - مكتبة الأسرة (الأعمال الدينية) - إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م .

٢٠٠ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :

للقاضى أبى الفضل عياض اليَحْصُبِىّ السَّبْتِىّ ت (٥٤٤ هـ = ١١٥٠ م) - (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت) مع (منشورات دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا) - (د. ت) .

٢٠١ - ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس - الطبعة ١ - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

٢٠٢ - الجواهر المُضيَّة فى طبقات الحنفية :

محيى الدين أبى محمد بن أبى الوفاء القرشى الحنفى ت (٧٧٥ هـ = ١٣٧٤ م) - تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٢٠٣ - الحافظ جلال الدين السُّيوطىّ (إمام المجتهدين والمجدِّدين فى عصره) :

عبد الحفيظ القرنى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣٧) - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

٢٠٤ - حِلْيَة الأولياء وطبقات الأصفياء :

للحافظ أبى نُعَيم الأصبهانى ت (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٢٠٥ - ابن خلدون (أبو علم الاجتماع) :

سليمان فياض - سلسلة (علماء العرب) - الكتاب رقم (١٨) - نشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر - بمؤسسة الأهرام الصحفية القاهرة - ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م .

٢٠٦ - الدُّرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة :

للحافظ ابن حجر العسقلانى السابق ذكره - تحقيق : محمد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .

٢٠٧ - الدِّيباج المُذْهَب فى معرفة أعيان علماء المَذْهَب :

لابن فرحون المالكى ت (٧٩٩ هـ = ١٣٩٧ م) - تحقيق : د. محمد الأحمدى أبى النور - دار التراث للطبع والنشر - القاهرة - (د. ت) .

٢٠٨ - رشيد رضا أو إخاء أربعين سَنَة :

لأمير البيان شكيب أرسلان - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٧ م .

٢٠٩ - سِيَر أعلام البنلاء :

للحافظ الذهبى السابق ذكره - إشراف وتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين - الطبعة ١ - مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢١٠ - سيد قطب (الشهيد الأعزل) :

محمد على قطب (المؤلف) - تقديم : محمد قطب (الأخ) - مطابع المختار الإسلامى - القاهرة - (د. ت) .

٢١١ - سيد قطب (صفحات مجهولة) :

محمد سيد بركة - الطبعة ١ - (مطبعة المنار الجديد) مع (دار الاعتصام) - القاهرة - ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م .

٢١٢ - شجرة الزكية فى طبقات المالكية :

للعلامة محمد بن محمد مخلوف - طبعة جديدة بالأوفست عن الطبعة الأولى للمطبعة السلفية ومكتبتها عام (١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م) - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - (د.ت) .

٢١٣ - شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذَهَب :

لابن العماد الحنبلى ت (١٠٨٩ هـ = ١٧٣٠ م) - نشر المكتب التجارى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٢١٤ - الشعر والشعراء :

لابن قتيبة الدِّينورى ت (٢٧٦ هـ = ٨٩٠ م) - تحقيق : أحمد محمد شاكر - مراجعة : السيد أحمد صقر - طبع : دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م .

٢١٥ - الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب :

أحمد بن حجر آل أبو طامى ـ(قاضى المحكمة الشرعية بقطر) - الطبعة ١ - طبع وتوزيع وإهداء الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢١٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :

شمس الدين السخاوى السابق ذكره - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٢١٧ - طبقات الحنابلة :

للقاضى أبى الحسين محمد بن أبىَ يعلى ت (٥٢٦ هـ = ٨٧٠ م) - تصحيح : محمد حامد الفقى - مطبعة السُّنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .

٢١٨ - الطبقات الكبرى :

لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت لبنان - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٢١٩ - طبقات الشافعية الكبرى :

تاج الدين السبكى السابق ذكره - تحقيق : (د. عبد الفتاح الحلو) مع (د. محمود الطناحى) - الطبعة ٢ - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة - ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م .

٢٢٠ - طبقات الصوفية :

لأبى عبد الرحمن السُّلَمى ت (٤١٢ هـ = ١٠٢٢ م) - تحقيق : نور الدين شريبة (من علماء الأزهر الشريف) - طبع دار الكتاب العربى - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

٢٢١ - طبقات المفسِّرين :

للحافظ شمس الدين الداودى ت (٩٤٥ هـ = ١٥٣٨ م) : على محمد عمر - الطبعة ١ - إصدار مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية - نشر مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٢٢ - الطَّبرىّ :

د. أحمد الحوفى - سلسلة (أعلام العرب) - الكتاب رقم (١٣) - إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مطبعة ومكتبة مصر - القاهرة - شعبان ١٣٨٢ هـ = يناير ١٩٦٣ م .

٢٢٣ - العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

لابن عبد الهادى الحنبلى - مطبعة المدنى (المؤسسة السعودية بمصر) - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٢٤ - علماء ومفكرون عرفتهُم :

محمد المجذوب - الطبعة ٣ - طبع : (دار النفائس بيروت لبنان) - نشر : (دار الاعتصام بالقاهرة) - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٢٢٥ - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء :

موفق الدين أبى العباس أحمد الخزرجى المعروف بـ : (ابن أبى أُصَيْبِعَة) ت (٦٦٨ هـ = ١٤٦٢ م) - تحقيق : د. نزار رضا - من منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

٢٢٦ - غاية النهاية فى طبقات القرّاء :

شمس الدين أبى الخير محمد بن الجزرى (الأب) السابق ذكره - عُنِىَ بنشره : ج. برجستراسر - الطبعة ١ - طبع بنفقة الناشر مع مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٥٢ هـ = ١٩٩٣ م.

٢٢٧ - الفهرست :

لابن النديم - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .

٢٢٨ - فوات الوفيات :

لابن شاكر الكتبى - دار صادر - بيروت - لبنان - ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .

٢٢٩ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة :

للحافظ زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى - تصحيح : محمد حامد الفقى - مطبعة السُّنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م .

٢٣٠ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون :

مصطفى بن عبد الله الشهير بـ (حاجى خليفة) و (كاتب چلبى) - تقديم : العلامة آية

الله العظمى السيد شهاب الدين النجفى المرعشى - أعادت طبعة بالأوفست منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق - (د. ت) .

٢٣١ - المتنبى (ومعه رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا)

لشيخ العربية أستاذنا أبى فهر محمود محمد شاكر ت (ربيع الآخر ١٤١٨ هـ = أغسطس ١٩٩٧ م) - الطبعة ١ - الناشر : (دار المدنى بجدة) مع (مكتبة الخانجى بمصر) - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٣٢ - مصطفى محمود (حياتى وفكرى ، آرائى ومواقفى) :

مجموعة حوارات أجراها معه : مأمون غريب - الطبعة ١ - دار سَلْمى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .

٢٣٣ - معجم الأدباء :

لياقوت الرومى الحموى ت (٦٢٦ هـ = ١٢٩٩ م) - الطبعة الأخيرة - راجعته وزارة المعارف العمومية - طبع دار المأمون - القاهرة - (د. ت) .

٢٣٤ - معجم المؤلِّفين :

عمر رضا كحالة - (طبعة بدون بيانات) .

٢٣٥ - معرفة القُرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار :

للحافظ شمس الدين الذهبى السابق ذكره - بعناية : محميد سيد جاد الحق (من علماء الأزهر الشريف) - وبآخر الجزء الثانى منه (ذيل القُرَّاء الكبار) : لابن مكتوم ت (٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - الطبعة ١ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - (د. ت) .

٢٣٦ - من أعلام الفكر الإسلامى فى البصرة :

عبد اللطيف الدليشى الخالدى - سلسلة (الكتب الحديثة) - الكتاب رقم (٢٠) - الطبعة ١ - وزارة الأوقاف والشئون الدينية - بغداد - العراق - ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢٣٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة :

لابن تَغْرِى بَرْدِى الأتباكى ت (٨٧٤ هـ = ١٤٧٠ م) - نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة - (د. ت) .

٢٣٨ - الوافى بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفَدِى ت (٧٦٤ هـ = ١٣٦٣ م) - صدر بعناية :

س. ديدرينغ – نشر : دار فرانز شتاينر بفسبادن – طبع بمساعدة المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ببيروت فى مطابع دار صادر – بيروت – لبنان ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٣٩ – الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط :

أحمد بن الأمين الشنقيطى ت (١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م) – بعناية : فؤاد سيد (أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية) – نشر : (مكتبة الخانجى بمصر) مع (مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء) – ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٢٤٠ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خَلّكان ت (٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) – تحقيق : د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – (د. ت) .

٢٤١ – اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالِم المدينة :

محمد البشير ظافر الأزهرىّ – مطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى – القاهرة – ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

❁ ❁ ❁

• تاسعًا : الكتب العامة :

٢٤٢ – آداب زيارة المسجد النبوىّ والسلام على رسول الله ﷺ :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (١١) – الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٣ – الإسلام دين كامل :

للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى – طبع مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٤ – أصول الخطابة والإنشاء :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (٧) الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٥ – بهجة المَجَالِس وأُنس المُجَالِس وشَحْذ الذاهِن والهَاجِس :

لأبى عمر يوسف بن عبد البَرّ النمرىّ القرطبىّ – تحقيق : محمد مرسى الخولى – مراجعة : د. عبد القادر القط – طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة – (د. ت) .

٢٤٦ - التراويح (أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام) :

الشيخ عطية محمد سالم (سلسلة الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٤٧ - التمثيل والمحاضرة :

لأبى منصور الثعالبى - تحقيق : د. عبد الفتاح الحلو - طبع دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - القاهرة - ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

٢٤٨ - تحريم نكاح المتعة :

لأبى الفتح المقدسىّ ت (٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م) - تحقيق : الشيخ حمّاد الأنصارى ت (٤٩٠ هـ = ١٠٩٧ م) - تحقيق : الشيخ حمّاد الأنصارى - تقديم : الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٣) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٤٩ - تعريف عام بعموميات الإسلام :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٥) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥٠ - حكمة التشريع فى تعدُّد الزوجات وتحديد النَّسْل :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٩) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥١ - حِلية طالب العِلم :

د. بكر بن عبد الله أبى زيد - الطبعة ٢ - دار الحرية للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

٢٥٢ - دراسات إسلامية :

عبد المتعال الصعيدى - دار الفكر العربى - القاهرة - (د. ت) .

٢٥٣ - الرِّقّ (أصله ومشروعيته فى الإسلام) :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - من مطبوعات وإهداء وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (د. ت) .

٢٥٤ - رمضانيات من الكتاب والسُّنّة :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١٠) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥٥ - الرَّوْض الفتيق الفالق ومؤنس الكئيب العاشق :

لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهَّاب الهمدانى - الطبعة ٢ - تحقيق : سعيد ناصر الدهان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٥٦ - زكاة الحُلِىّ على المذاهب الأربعة :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٤) الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥٧ - الصوارم والأسنة فى الذَّب عن السُّنّة :

محمد بن أبى مدين الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٥٨ - العقْد الفريد :

لأبى عمر أحمد بن عبد ربّه - بعناية : (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبيارى) - الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

٢٥٩ - الفقيه والمتفقه :

للحافظ المؤرخ أبى بكر أحمد بن الخطيب البغدادى ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل العزازىّ - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .

٢٦٠ - لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية :

سيد الأمين المامى الشنقيطى - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٢٦١ - محاسن الإسلام والرّدّ على أباطيل خصومه :

مجموع من (تفسير أضواء البيان للشنقيطى) - تحقيق : ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٦٢ - محاضرات الجامعة الإسلامية :

الموسم الثقافى للعام الدراسى (١٣٩٤/٩٣ هـ) = (١٩٧٤/٧٣ م) - المدينة المنورة .

٢٥٤ - رمضانيات من الكتاب والسُّنّة :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (١٠) - الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥٥ - الرَّوْض الفتيق الفالق ومؤنس الكئيب العاشق :

لإمام الحرمين محمد بن عبد الوهّاب الهمدانى - الطبعة ٢ - تحقيق : سعيد ناصر الدهان - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٥٦ - زكاة الحُلِىّ على المذاهب الأربعة :

الشيخ عطية محمد سالم - سلسلة (الرسائل المدنية) - الكتاب رقم (٤) الطبعة ١ - مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٥٧ - الصوارم والأسنة فى الذّب عن السُّنّة :

محمد بن أبى مدين الشنقيطى - الطبعة ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

٢٥٨ - العِقْد الفريد :

لأبى عمر أحمد بن عبد ربّه - بعناية : (أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبيارى) - الطبعة ٢ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

٢٥٩ - الفقيه والمتفقه :

للحافظ المؤرخ أبى بكر أحمد بن الخطيب البغدادى ت (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) - الطبعة ١ - تحقيق : أبى عبد الرحمن عادل العزازىّ - دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦ م .

٢٦٠ - لمحات فيصلية من أعمال الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية :

سيد الأمين المامى الشنقيطى - الطبعة ٢ - مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٢٦١ - محاسن الإسلام والرّدّ على أباطيل خصومه :

مجموع من (تفسير أضواء البيان للشنقيطى) - تحقيق : ساعد عمر غازى - الطبعة ١ - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٦٢ - محاضرات الجامعة الإسلامية :

الموسم الثقافى للعام الدراسى (٩٣/ ١٣٩٤ هـ) = (٧٣/ ١٩٧٤ م) - المدينة المنورة .

٢٦٣ – معالم على طريق الهجرة :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (٨) – الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٦٤ – مع الرسول ﷺ فى حجة الوداع :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (١٢) – الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٦٥ – مع الرسول ﷺ فى رمضان :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (٢) – الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٦٦ – المعين والزاد فى الدعوة والإرشاد :

سيد الأمين بن المامى الجكنى الشنقيطى – الطبعة ١ – مكة المكرمة – ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م.

٢٦٧ – مقالات الكوثرى :

الشيخ محمد زاهد الكوثرى ت (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) – طبعة القاهرة (بدون بيانات).

٢٦٨ – منزلة السُّنة فى الإسلام :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – المطبعة الفنية – توزيع لجنة البيان بدار المسلم – القاهرة – ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٦٩ – منهج الإسلام فى كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين :

الشيخ عطية محمد سالم – سلسلة (الرسائل المدنية) – الكتاب رقم (٦) – الطبعة ١ – مكتبة دار التراث – المدينة المنورة – ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

٢٧٠ – منهج التشريع الإسلامى وحكمته :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى – الطبعة ١ – الكتاب رقم (٦٧) – من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

❁ ❁ ❁

• عاشراً : الدواوين والقصائد :

٢٧١ - ديوان الإمام الشافعى :

لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ت (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) - بعناية : محمد عفيف الزعبى - الطبعة ٣ - نشر : (دار الجيل) مع (مؤسسة الزعبى) - بيروت - لبنان - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٧٢ - ديوان امرئ القيس :

طبع حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م .

٢٧٣ - ديوان امرئ القيس

تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - طبع دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

٢٧٤ - ديوان جرير :

شرح : محمد حبيب - تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - القاهرة - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .

٢٧٥ - ديوان حسَّان بن ثابت الأنصارى ﷺ :

بعناية : د. محمد عزت نصر الله - من منشورات دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - (د. ت) .

٢٧٦ - ديوان ابن الرُّومى :

تحقيق : د. حسين نصَّار - إصدار : (وزارة الثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مركز تحقيق التراث) - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٢٧٧ - ديوان زهير بن أبى سُلْمَى :

شرح الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المعروف بـ (ثعلب) - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ضمن سلسلة (المكتبة العربية) - من إصدار : (وزارة الثقافة والإرشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م) - نشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

٢٧٨ - ديوان عمر بن أبى ربيعة :

شرح محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة ٢ - (مطبعة السعادة) مع (المكتبة التجارية الكبرى) - القاهرة - ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

٢٧٩ - ديوان المتنبى :

شرح أبى البقاء العكبرى المُسَمَّى : (التبيان فى شرح الديوان) - بعناية : (د. مصطفى السقا) بالاشتراك مع : (إبراهيم الإبيارى - عبد الحفيظ شلبى) - طبع ونشر : مصطفى البابى الحلبى - القاهرة - ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .

٢٨٠ - ديوان المتنبى :

شرح أبى العلاء المعرى - تحقيق : د. عبد المجيد دياب - طبع دار المعارف - القاهرة - (د. ت) .

٢٨١ - ديوان المتنبى :

بعناية : د. عبد الوهَّاب عزَّام - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

٢٨٢ - ديوان النَّابغة الذبيانى :

صنعة الإمام أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بـ (ابن السكِّيت) ت (٢٤٤ هـ = ٨٥٩ م) - ينشر لأول مرة عن أصل فريد بتحقيق : د. شكرى فيصل - دار الفكر - القاهرة - (د. ت) .

٢٨٣ - ديوان النابغة الذبيانى :

بتحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٥٢) - دار المعارف - القاهرة - (د.ت) .

٢٨٤ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات :

لأبى بكر محمد بن قاسم الأنبارى - تحقيق : عبد السلام هارون - سلسلة (ذخائر العرب) - الكتاب رقم (٣٥) - الطبعة ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢٨٥ - شرح المعلقات السبع :

للزوزنى - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م .

٢٨٦ - شعر نُصَيِّب بن ربَاح :

جمع وتقديم : د. داود سلوم - مطبعة الإرشاد - بغداد - العراق - ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

٢٨٧ - الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) :

للإمام ابن قيِّم الجوزيَّة السابق ذكره - تحقيق : محمد خليل هرَّاس - مطبعة الإمام - القاهرة - (د. ت) .

❁ ❁ ❁

• **حادى عشر : المعاجم :**

٢٨٨ - القاموس المحيط :

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) - الطبعة ٤ - دار المأمون - القاهرة - ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٧ م .

٢٨٩ - لسان العرب :

لأبى الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور الإفريقى ت (٧١١ هـ = ١٣١١ م) - بعناية : (عبد الله الكبير - محمد حسب الله - هاشم الشاذلى) - طبع دار المعارف - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٢٩٠ - مختار الصحاح :

زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ت (بعد ٦٦٦ هـ = بعد ١٢٦٨ م) - ترتيب : محمود خاطر ت (١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) - تحقيق : حمزة فتح الله ت (١٣٣٦ هـ = ١٩١٨ م) - طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م .

٢٩١ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير :

أحمد بن محمد بن على الفيومى ت (٧٧٠ هـ = ١٣٦٧ م) - الطبعة ٢ - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - بولاق - القاهرة - ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

٢٩٢ - معجم الشواهد العربية :

عبد السلام هارون - الطبعة ١ - نشر مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٢٩٣ - معجم شواهد النحو الشعرية :

د. حنا جميل حدَّاد - طبعة دار العلوم للطباعة والنشر - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

٢٩٤ - معجم المطبوعات العربية والمُعَرَّبة :

يوسف إليان سركيس - مكتبة ومطبعة سركيس - القاهرة - ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

٢٩٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :

وضع محمد فؤاد عبد الباقي - دار التراث - القاهرة - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٩٦ - المعجم الوجيز :

إصدار مجمع اللغة العربية - الطبعة ١ - القاهرة - ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٢٩٧ - المعجم الوسيط :

إصدار مجمع اللغة العربية - الطبعة ٣ - القاهرة - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

❁ ❁ ❁

• ثانى عشر : الموسوعات :

٢٩٨ - دائرة المعارف الإسلامية :

وضع مجموعة من المستشرقين - تعليق : أمين الخولى - طبع دار الشعب - القاهرة - (د. ت) .

٢٩٩ - موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية :

د. أحمد شلبى - الطبعة ٨ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

٣٠٠ - الموسوعة المُيَسَّرَة فى الأديان والمذاهب المعاصرة :

إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الطبعة ٢ - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م .

❁ ❁ ❁

• ثالث عشر : الدوريات :

٣٠١ - التعليم فى موريتانيا من المَحْضَرَة إلى الجامعة :

مجلة الأمة - العدد (٦٠) - السنة (٥) - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - ذو الحجة ١٤٠٥ هـ = أغسطس (آب) ١٩٨٥ م .

٣٠٢ - جريدة الشعب الموريتانية الحكومية :

العدد (٢٥٠٢) - طرف السفارة الموريتانية بالقاهرة - المستشار الثقافى الشيخ آبًا - السبت ٢٠ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ٧ من مايو ١٩٨٨ م - والجدير بالذكر أن هـذه الجريدة تقع فى (٨) صفحات وتصدر فى العاصمة (نواكشوط) .

٣٠٣ - دور التعليم التقليدى فى نشر الإسلام والعربية فى موريتانيا :

الشيخ خليل النحوى - مجلة الأمة - العدد (٦٧) - السنة (٦) - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - رجب الفرد ١٤٠٦ هـ = مارس (آذار) ١٩٨٦ م .

٣٠٤ - ذكريات مع الشيخ الراحل محمد الأمين الشنقيطى :

عدنان سارى الزبن - مجلة الشريعة - العدد (٢٩٠) - إصدار وزارة الشباب - عمَّان - الأردن - رجب ١٤١٠ هـ = شباط (فبراير) ١٩٩٠ م .

٣٠٥ - الشنقيطى ومدرسة النجاة فى الزُّبير :

د. على أبًا حسين - مجلة الدارة - العدد (١) - السنة (١٣) - الرياض - المملكة العربية السعودية - شوال ١٤٠٧ هـ = يونيو ١٩٨٧ م .

٣٠٦ - العلم الحديث فى خدمة فهم القرآن :

د. عبد الحافظ حلمى - مجلة (مِنْ ثمار الفكر) - الموسم الخامس - إصدار جامعة قطر - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٣٠٧ - لحوم الأضاحى (التنمية وتثمير الموارد الإسلامية) :

حوار مع د. أحمد محمد على (رئيس البنك الإسلامى بجدة) - أجراه : وائل صبرى ميرزا - مجلة الأمة - العدد (٧٢) - السنة (٦) - إصدار رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر - ذو الحجة ١٤٠٦ هـ = أغسطس ١٩٨٦ م .

٣٠٨ - مجلة التوحيد :

العدد (١١) - السنة (٢٩) - (عدد خاص) - إصدار جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية - القاهرة - ذو القعدة ١٤٢١ هـ = يناير ٢٠٠١ م .

٣٠٩ - مظاهر الوعى القومى عند مثقفىْ شنقيط :

أحمد ولد الحسن - مجلة المستقبل العربى - العدد (٧٢) - السنة (٢) - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣١٠ – موريتانيا :

عبـد الله عنان – مجلة العربى – العدد (٢٥) – السنة (٢) – بيروت – لبنان – ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٣١١ – النشرة الإخبارية :

إصدار وحدة المعلومات التابعة للندوة العالمـية للأنشطة العلمية الإسلامية – العدد (٥) – دار البحوث العلمية – الكويت – جماد الأول ١٤٠٢ هـ = مارس ١٩٨٢ م .

❁ ❁ ❁

• رابع عشر : المحاضرات :

٣١٢ – الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

د. زغلول النجـار (أستاذ الچيولوچيا وعلـوم الأرض بالجامعات العربية والعـالمية ، ومدير معهد مارك فـيلد للدراسات العلـيا بالمملكة المتـحدة) – حوار أجراه معه الأستاذ أحـمد فراج من خلال برنامجه الشهير (نور على نور) على مدار حلقتين على القناة الأولى بالتليفزيون المصرى ، واللتين تم إعادتهمـا مرتين كان آخرهما الاثنـين من ٤ ذى القعدة ١٤٢١ هـ الموافق ٢٩ من يناير ٢٠٠١ م .

٣١٣ – الدّرّ الثمين فى سيرة الشيخ الأمين :

د. عبد الله الشنـقيطى (ابن صاحبنا الـشنقيطى) – محاضـرة مسجلة ألقيت ليـلة الثلاثاء الموافق ٣ من جـمادى الآخرة ١٤١٢ هـ = ٩ من ديسـمبر ١٩٩١ م – وقد سُجِّلَتْ علـى شريط أصدرته كل من : (تسجيلات الآثار الإسلامية بجدة) و (تسجيلات مكتبة النجاة السمعية بالمدينة المنورة) .

٣١٤ – ردّ الشيخ عطية محمد سالم المُسَجَّل على رسالتنا إليه :

كانت رسالتى إليه بتاريخ الأربعاء ٢٥ من رمضان المعظم ١٤٠٨ هـ = ١١ من مايو ١٩٨٨ م على مقره بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة .

ثم كان رَدُّه المسجل بتاريخ الثلاثاء ١٢ من رمضان المعظم كذلك ١٤٠٩ هـ = ١٨ من أبريل ١٩٨٩ م حيث مقرى بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

❁ ❁ ❁

• خامس عشر : الأطالس :

٣١٥ - أطلس العالم الإسلاميّ :

جمع وإعداد مجموعة من المتخصصين جغرافيا وتربويًا بإشراف : دة . دولت أحمد صادق (أستاذة الجغرافيا البشرية) - الطبعة ١ - دار البيان العربى - جدة - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٣١٦ - الأطلس العربيّ :

طبع ورسم إدارة المساحة العسكرية - الطبعة ٥ - القاهرة - ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

٣١٧ - الأطلس المدرسيّ :

د. محمد صبحى عبد الحكيم مع آخرين - إصدار مركز النشر الجغرافى - (اسكتلندا) و (المملكة المتحدة) - ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

❁ ❁ ❁

• سادس عشر : التقاويم :

٣١٨ - تقويم أُمِّ القُرَى :

برنامج (المؤذن العربى) - الإصدار رقم (١٠١) - شركة الخليج العالمية للتكنولوجيا المصرية - القاهرة - (د. ت) .

٣١٩ - التقويم الهجريّ الميلاديّ :

البرنامج اليابانى - الإصدار رقم (هيل هـ - م ١) طوكيو - لحساب شركة كهرباء الشرق - جدة - المملكة العربية السعودية - (د. ت) .

• خامساً: فهرس الموضوعات •

الباب الثانى
مسيرتـــه العلميـــة
١٦٢ - ٣٢١

القسم الثانى

المنهـــــــج

السمات العامة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
السِّمَـــة الثالثة
التحليل
لسائر ما يَعْرِض له
٦٨٢ - ٨٣٩

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

وفى الختام

تم الفهرس بحمد الله تعالى

أهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يستهدف فى هذا البحث التعريف بواحدٍ من أعلام المفسِّرين فى العصر الحديث ، وبيان منهجه فى التفسير ؛ ومن ثم فقد جاء موسوماً بعنوان : (الشنقيطى ومنهجه فى التفسير ، فى كتابه : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن) .

والشنقيطى هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكَنىّ الشَّنْقيطىّ ، وُلدَ بمسقط رأسه (شَنْقيط) أو ما يعرف الآن بـ (جمهورية موريتانيا الإسلامية) عام (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ثم رحل إلى بلاد الحجاز فى أول خروج له من بلاده لأداء حجة الإسلام عام (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) .

وكان خروجه آنذاك على نية رجوعه إلى بلاده بعد فراغه من أداء مناسك الحج ، غير أن الله تعالى قَدَّر له المقام بمدينة رسول الله ﷺ حيث استغل هناك بالتدريس فى كلٍّ من الحرم النبوى الشريف ، ثم بالجامعة الإسلامية منذ افتتاحها عام (١٣٨١هـ = ١٩٦١م) .

كما تنقل بين كلٍّ من الرياض العاصمة مدرساً بكلياتها ومعاهدها العلمية المختلفة ، وكذا مكة المكرمة حيث كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلامىّ ، وداعية بارزاً فى مؤتمر الحج السنوىّ ، فضلاً عن رحلته للدعوة بارزاً فى مؤتمر الحج السنوىّ ، فضلاً عن رحلته للدعوة فى عشرة من الأقطار الإفريقية التى انتهت ببلاده موريتانيا .

وبعد عمر حافل بالعطاء العلمىّ قارب ثمانية وستين عاماً هجرياً ، توزعت بين القضاء والإفتاء ببلاده ، ثم التدريس والدعوة بالحجاز ، حَطَّ الشنقيطى عصا الترحال ليلقى ربه سبحانه عقب أداء مناسك حجة الأخير عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٤م) وليدفن بمقبرة (المَعْلاَة) بمنطقة (رَبْع الحُجُّون) التى تضم بين جنباتها مثوى أُمّ المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها ببلد الله الحرام بمكة المكرمة التى بدأ مقامه فى أرض الحجاز بها ، ثم انتهت حياته بأرض الحجاز فيها .

وأما من حيث بناء منهجه فى التفسير فيقوم على ثلاث ركائز أساسية ، تمثل كل منها سِمَة بارزة ، وترسم مَعْلَماً واضحاً ، من سِمَات هذا المنهج ومعالمه ، والتى تمثلت فى كلٍّ من :

• الجمع بين المأثور والمعقول :

وفيه يفسِّر الشنقيطى القرآن بالمأثور الذى يشمل القرآن وما أُثِرَ عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ثم بالمعقول الذى يشكمل رأى كلٍّ مَنْ سبقوه من عامة المفسِّرين وخاصتهم ، من لدن عصر تابعىْ التابعين وحتى عصره الذى كان فيه .

• التأصيل للعلوم العربية والإسلامية :

وفيه يؤصِّل الشنقيطى لموضوع الآية تحت أحد العلوم السبعة المتمثلة فى كلٍّ من : (علوم القرآن - علوم الحديث - علم الأصول - علم الفقه - علم الكلام - علوم العربية - علم التاريخ) .

• التحليل لسائر ما يَعرِضُ له :

وفيه يحلل الشنقيطى ما جمعه وأَصَّلَهُ من خلال ثلاث محاور تمثلت فى كل من :

١- المحور الأول (الانتقاد) : حيث نقده كلاً من : (الإسرائيليات - المفسِّرين - المُحَدِّثين - الأصوليين - الفقهاء - الفِرَق الإسلامية - اللغويين - المؤرخين) .

٢- المحور الثانى (الاستنباط) : وفيه يلجأ الشنقيطى إلى النص الخَفِىّ المُشْكَل ؛ فيرفع خفاءَه ، ويزيل إشكاله ، فى إطار أدلته الشرعية ، ووَفْقَ ضوابطه المعتبرة .

٣- المحور الثالث (الاجتهاد) : وفيه يلجأ الشنقيطى إلى قياس المسكوت عنه على المنطوق به عندما يفتقد النص الذى يمكن أن يستنبط منه ، وليصل من خلال ذلك إلى نظرته الذاتية ، ورأيه الخاص ، أيضاً فى إطار أدلته الشرعية ، ووَفْقَ ضوابطه المعتبرة .

والناظر إلى بناء هذا المنهج لَيتبيَّن له مدى ما يتسم به من المنهجية والشمولية ، أمّا المنهجية : فتبدو واضحة من خلال هذا التسلسل المنطقى ، وذلك التعاقب العلمى ، الذى يربط بين مراحله الثلاث (الجمع والتأصيل والتحليل) وأمّا الشمولية : فتبدو واضحة كذلك من خلال هذا الاستيعاب ، وتلك الإحاطة ، التى تجمع المأثور والمعقول ، ثم توَصِّل وتحلل مختلف العلوم العربية والإسلامية نقداً واستنباطاً واجتهاداً .

وختاماً : فإن منهج الشنقيطى فى تفسيره هذا إنما يُبَشِّر بميلاد اتجاه جديد يمكن أن نطلق عليه (الاتجاه الأصولىّ فى التفسير) وهو أحد أهمّ النتائج التى توصَّل إليها هذا البحث ، كما أن هذا التفسير بحاجة ماسّة إن شاء الله تعالى إلى (التحقق العلمىّ الدقيق) وهو أيضاً أحد أهمّ التوصيات التى وَصَّى بها هذا البحث .

أ هـ

2- Rooting Arabic and Islamic Sciences:

He roots the theme of the Quoranic verse under the seven sciences that are represented in (Quoron studies, Hoeith, Usouls, Jurisprudence, Doctrine, Arabic language, History) .

3- Anolysing all what he studied:

Al - Shankeety analyses, in this part, all what he collected and rooted thcough these three pillars:

A- Criticism: He criticized (the false stories (Israelites), interpreters, Mohadditheen, Usouliyeen, Juris prudence men, Islamic sects, Linguists, Historians).

B- Deduction L He returns to the ambiguous text. He clears its ambiguity according to the legal proofs, and their considerable criterica.

C- Diligence: He returns to measyring the unknown to the well - Known when the text doesn't have that rule. Agter that. he concludes his own opinion according to the legal. rules.

Who studies the structure of that method will recognize the degree of it and its comprehensiveness. Al shankeety's method is clear through the logic serial and scientific succession that connects the three stages together (combining, rooting and analysis) .

Comprehensiveness is clear thoygh understanding and the knowledge that contains the traditianal and the rational. Then rooting and analysing the various Arab and Isllamic sciences critically, deductively and diligently.

Finally, Al shankeety's interpretation method is a new and good finding that can be called. "the original (usouli) Tendency in the interpretation". It is one of the most important findings that this research achieved. scicntific Investigation". Is's also one of the most important recammendations that this research has recommended.

The Research Summary

This research aims to introducing one of the leading interpreters in the modern age, and explaining his method in the interpretation of the Holy Quoran. Hence, It was entitled "Al Shankeety and his method in the interpretation" through his book, "Highlights of eloquence in illustrating Quoran by Quoran".

Al - Shankeety is Mohammed Al - Amin som of Mohammed Al - Moukhtar Al - Gakany Al - Shankeety - Hewas born in shankeet, that is now called Mouritania in (1325 of Higra = 1907 A. D.). After that, he travelled to Saudi Arabia foe the first time to perform pilgrimage in (1367 of Higra = 1948 A. D.).

Then he went to Riyadh where he taught at ist colledges and ist various learning institutes. After - that he went to Mecca where he worked as amember in the world Muslim League and a preacher. at the Annual Pilgimage Conference, as well as his numerous journeys to the African countries that ended at his home country. Mouritania.

After his life that was full of his scientific efforts, He was 86 years old of Higra. Those years were distributed between judgement and legol decision in his country, Then teaching and calling to Islam in the Arabia. He died after performing the rituals of pilgrimage for the last time in (1393 of Higra = 1974 A. D.) He was buried in the tomb of (Al Maloh) at (Rapa Al Gohoun) area where the mother of believers, Al Sayida khadiga (May Allah be pleased with her) was buried at Blessed Mecca, where his life started and ended.

Al - Shankeety's method in the interpretation is based on three leading carnerstines. Each one Each one of them represents an outstanding feature. They draw a clear bose for his method and its charastristics. These cornerstones are as follows:

1- Combining between the tradional and the ratianal :

In this cornerstine. Al - shankeety interprets the Quiran by the traditional which contains the Quoran and what was taken from the prophet of Allah - pray and peace ne upon him - his fellows and their followers - May Allah. be pleased with them - Then by the rationol which contains the opinions of all the previous interpreters, starting with thge age of the followers' followers and ending with his Time when he Lived.

Cairo University
Dar El-Oloum Colledge
Islamic Jurisprudence
Department

Al - Shankeety and His Method

in the Interpretation Through His Book

"Highlights of Eloquence in Illustrating Quoran by Quoran"

Master of Arts

Prepared by

Ahmed Sayed Hassanein Ismael Al - sheemy
The Department Administrator

Supervisor.

M. Dr.

Ahmed Youssif Soliman

Department Master

Cairo
1422 H = 2001 A.D.